أول توثيق منهجي لتاريخ موريتانيا
القديم والوسيط والحديث

تاريخ بلاد شنقيط

من أقدم العصور إلى مقدم الاستعمار

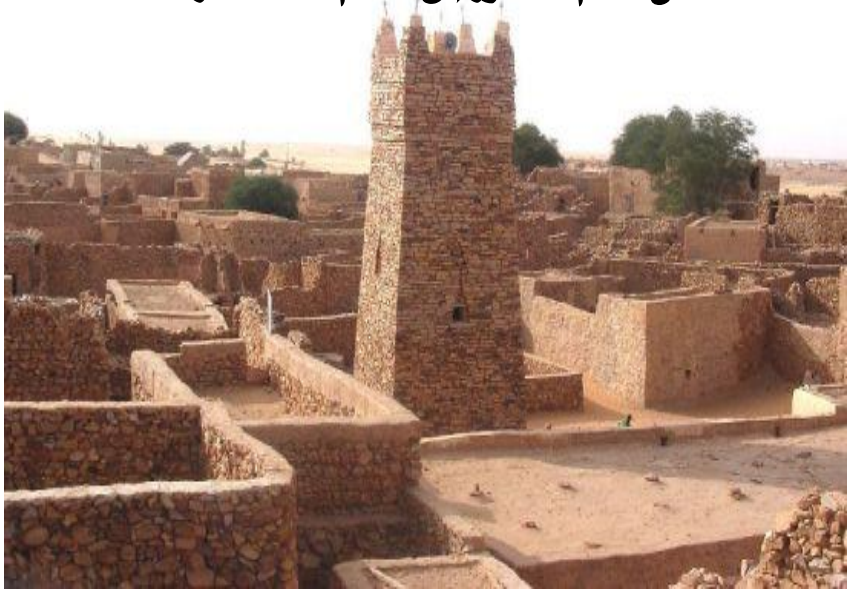

الحسين بن محنض

أول توثيـق منهـــجي لتاريـخ موريـتانيا

القديم والوسيط والحديث

تاريخ بلاد شنقيط

(من أقدم العصور إلى مقدم الاستعمار)

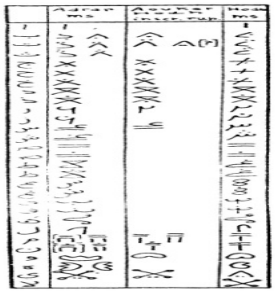

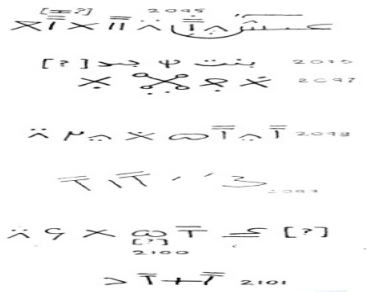

الحسين بن محنض

المجتمع البدوي الشنقيطي في بدايات القرن العشرين

مقدمة

يحتاج تاريخ بلاد شنقيط (موريتانيا) إلى حوصلة وافية ومتسلسلة وشاملة، تجمع بين أقدم ماض معروف وأحدث حاضر معيش. ويجب أن تكون هذه الحوصلة مجملة ومركزة ومختصرة بما يمكن من تداولها، ويسمح بالاطلاع عليها في وقت وجيز. فقد جمع مؤرخ موريتانيا المختار بن حامدن (1315هـ-1414هـ/ 1897م-1993م) على مدى خمسين سنة شتات تاريخ هذا القطر، وألف موسوعة ضخمة ضمت الكثير من المعلومات التاريخية المهمة، لكن تكوين فكرة شاملة عن تاريخ البلاد من خلال هذه الموسوعة –التي لم ينشر منها مع ذلك إلا أجزاء قليلة حتى الآن- يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد، نظرا لطابع التوسع والاهتمام بالتفاصيل الذي يطبع الموسوعات عادة[1]. ويبذل الباحثون المتخصصون، على اختلاف مناهجهم التاريخية، جهدا متواصلا منذ أكثر من عقدين لتقديم صورة موثقة لتاريخ هذا البلد، غير أن كثرة الجزئيات التي ما تزال بحاجة إلى دراسة أو تمحيص، جعلت السنوات تمر دون أن ينهي المتخصصون مهمتهم المتمثلة في غربلة تاريخ بلد تعرض خلال قرون عديدة لكثير من الضياع والغياب، وربما التغييب أيضا.

كما يحتاج هذا التاريخ إلى تحقيب جديد يأخذ في عين الاعتبار كل الأطوار التاريخية، حيث دأب أغلب من كتبوا حتى اليوم عن تاريخ هذه البلاد على اعتبار تاريخها المعروف يبدأ مع مقدم الإسلام متجاهلين فترة ما قبل التاريخ وكل التاريخ القديم لهذه البلاد، كما تواطأوا على وجود فراغ كبير يحول دون توثيق تاريخها الوسيط، يمتد من منتصف القرن الخامس إلى مستهل القرن الحادي عشر للهجرة (11م-17م). ولا شك أن هذا الفراغ قابل للسد نسبيا، إذا قيم ببحث مقارن، متأن وشامل في المصادر

[1] كما أن أجزاء من موسوعة المختار تعرضت بعد رحيله للإهمال، فتسربت إليها الأخطاء، بل والتحريف مما جعلها بحاجة إلى تضافر جهود المختصين لرد هذه الأجزاء إلى سابق حالها، كما تركها المؤلف.

المروية والمكتوبة المتوفرة، لا لبلاد شنقيط وحدها بل ولكافة أنحاء المنطقة التي يشكل تاريخ هذه البلاد امتدادا لتاريخها. إن بلاد شنقيط تتوفر –شأنها في ذلك شأن غيرها من البلدان- على تاريخ حافل، ويجب أن يجد كل طور من أطوار هذا التاريخ ما يستحقه من البحث والاستكشاف حتى نتمكن في النهاية من بناء تاريخ جامع، متسلسل، ومتجانس.

ولأنه لم يتصد لهذه المهمة، أي من المهتمين بالتاريخ رغم مرور عقود متعددة على قيام الدولة الموريتانية الحديثة، وتوفر الدواعي والحاجة إلى ذلك، ألفت هذا الكتاب الذي أردت له أن يستوعب بصورة مجملة تاريخ بلاد شنقيط، ابتداء بأقدم العصور وانتهاء بمقدم الاستعمار الذي أفضى إلى قيام الدولة الموريتانية المعاصرة. ولا شك أن تقديم تاريخ بلاد شنقيط بصورة موثقة شاملة ومجملة مطلب مطروح وملح للقارئ الذي يبحث عن التزود بفكرة خالية من الإطناب عن تاريخ هذه البلاد. كما أن مثل هذا النوع من التقديم لتاريخ البلدان تقليد شائع، تتوفر عليه أغلب أقطار العالم، وقد ءان الأوان لكي يكون لبلاد شنقيط بدورها تاريخها الموثق الذي تقدمه للقراء.

ومع الإيجاز الذي توخيت خلال كتابة هذا الكتاب، فقد تطلب إعداده عددا غير قليل من السنوات، ومراجعة مئات المراجع والوثائق والمصادر، والسفر إلى مناطق مختلفة في الداخل والخارج، ومع حرصي على جعل المادة التاريخية للكتاب في المتناول، فلا شك أنه غير خاف أنها تمثل حصيلة عمل نقدي ومقارن مضنيين، لاسيما عند التعرض لأطروحات تاريخية مغلوطة أو مثيرة للجدل.

وقد اعتمدت في مفصلة تاريخ هذه البلاد على تحقيب منسجم مع أطوارها التاريخية، يجعل من مقدم الإسلام فاصلا بين تاريخها القديم وتاريخها الوسيط، ويجعل من قيام دولة الإمام ناصر الدين وظهور النظام الأميري في القرن الحادي عشر الهجري (17م) بداية لتاريخها الحديث، بينما يبدأ تاريخها المعاصر مع مقدم الاستعمار.

إن ماضي بلاد شنقيط التي نحن بصدد إجمال تاريخها لم يحظ في السابق مع الأسف بكل ما يستحق من المتابعة والتدوين، وهذا يرجع في بعض جوانبه إلى عدم شمولية

الأبحاث الأركيولوجية والأنتربولوجية المتعلقة باستكشاف آثار سكان ما قبل التاريخ في هذه البلاد، كما يرجع في بعضها الآخر إلى طبيعة البربر[2] أهم مجموعة بشرية استوطنت المنطقة، واحتضنت صنهاجة اللثام الذين هيمنوا في بداية العهد المسيحي على معظم مجال أرض شنقيط، إذ لم يسجل لنا التاريخ، باستثناء شذرات قليلة، كيفية تشكل البربر، ولا كيفية نزوح طبقاتهم المختلفة إلى هذه المنطقة. وباستثناء ما توصلت إليه الدراسات الأركيولوجية، والأنتروبولوجية الحديثة، فإن التاريخ لم يتكلم عن البربر منذ العهد النيولوتي (العهد الحجري الجديد) إلى مقدم الإسلام إلى شمال إفريقيا إلا عرضا عند حديثه عن اتصال الشعوب الأخرى بهم.

لقد دفعت الامتزاجات التي شهدتها شعوب شمال إفريقيا في العصور الأولى للتاريخ إلى ظهور أساس مشترك لسكان المنطقة الممتدة من برقة (بليبيا) شمالا حتى تخوم بلادي السودان والتكرور (ببلاد شنقيط) جنوبا، واشتهر هؤلاء السكان الذين يعرفون الآن بالأمازيغ في القرون التي سبقت مجيء الإسلام بين الشعوب الأخرى باسم البربر. ولم تستطع الهجرات المتلاحقة نحو المنطقة بعد ذلك، سواء كانت هندية أوروبية، أو فينيقية، أو عبرانية، أو عربية، من تغيير الخصائص الأساسية للشعب البربري أو تغيير معالم حضارته حتى جاء الإسلام.

وإذا كانت الخلافات بين المؤرخين حول الأصل البعيد لهذا الشعب قديمة وشديدة فإن العلم الحديث وأبحاث الأنتربولوجيا الأخيرة أخذا يميلان مؤخرا باتجاه تأكيد المقولة التي كانت تقول بأن أصل جميع البربر عربي، رغم تأكيد نقاد التاريخ أنه لا عبرة بما حيك حول هذه المقولة من أساطير وحكايات[3].

---

[2] البربر إطلاق روماني (باربا‌روس في اللاتينية) على الشعب المعروف اليوم بالشعب الأمازيغي، وكانت تعني في الرومانية غير الروماني، كما تعني العجمي في العربية غير العربي.

[3] كان المؤرخون القدامى من العرب يعتقدون أن البربر، باستثناء قبيلتي صنهاجة وكتامة الحميريتين، أبناء حام بن نوح. وهذه نسبة أسطورية لجد حقيقي أو مفترض دأب المؤرخون على ذكره في مقابل سام. وربما قالوا: البربر أبناء جالوت، ولا يعرف إلى من ينسب جالوت. وربما قالوا: أبناء كنعان، بينما يعتقدون أن صنهاجة وكتامة من عرب اليمن، وزاد بعضهم زناتة في عداد العرب، ونازع ابن خلدون في ذلك مستندا إلى ابن حزم وبعض نسابة البربر، وخالفه أكثر مؤرخي العرب

ويستخلص المؤرخون المعاصرون من الوحدة المتأصلة للحضارة البربرية، ومن المعطيات اللغوية والخصائص المشتركة للسكان الموجودين في شمال القارة الإفريقية من طرابلس إلى المحيط الأطلسي وجود أساس جنسي قديم مشترك لهؤلاء السكان، رغم ما شاب هذا الجنس خلال العصور من امتزاجات كثيرة أثرت على انسجام البربر الأنتروبولوجي. إذ لا شك أنه منذ أوائل عصور التاريخ هاجرت إلى بلاد البربر شعوب مختلفة شديدة الاختلاف من الهنديين الأوروبيين إلى الآسيويين إلى الأفارقة وغيرهم، غير أن هذه العناصر المختلفة وإن امتزجت بالسكان المستقرين فإن أعدادها لم تكن من الوفرة بالقدر الذي يسمح بتغيير المقومات الجنس البربري بإفريقيا الشمالية[4].

وإذا كانت الأبحاث الأنتربولوجية، لم تنته بعد من توضيح خفايا الامتزاجات الواقعة في العصر النيولوتي (وهو العصر الحجري الجديد) وما قبله سواء بالنسبة لبلاد شنقيط أو عموم منطقة المغرب العربي، فإن أبحاثا حديثة تعتقد أن البربري القديم «يستمد أصله من عنصرين أساسيين: إنسان مشتى العربي، وإنسان ما قبل المتوسطي[5]»، وأنه يشترك نفس التاريخ والأصول مع العرب الأقدمين في الشام والجزيرة العربية.

الذين تواطأوا على أن صنهاجة وكتامة من حمير جاءوا في غزو تبابعة اليمن للمنطقة. وقد عد المؤرخ المختار بن حامدن من هؤلاء المؤرخين العرب ابن سلام وابن الكلبي والزبير بن بكار والطبري والهمداني والجرجاني والسمعاني وابن الأثير وابن خلكان وابن جزي الكلبي والفيروز أبادي ولسان الدين بن الخطيب واليعقوبي والسلطان الأشرف وصاحب الحلل الموشية والرشاطي وعبد الغني الإشبيلي وعبد الحق المالكي. وقيل إن البربر جميعهم عرب أبناء بر بن قيس بن عيلان، وضعف هذا القول أيضا ابن خلدون. ويقول بعض النسابة إن لواتة ومكلاتة أيضا من حمير مثل صنهاجة وكتامة، وهكذا غمارة وزواوة، وإن هوارة من كندة، وزناتة من عرب العماليق. وربما يقولون إنهم من بقايا التابعة اليمنيين. وكانوا يقولون: سائر البربر سوى هذه القبائل أخلاط من هجرات الكنعانيين والعماليق والأقباط والرومان والهنود الأوروبيين (اللاتين، واليونان، والوندال) وطوائف من الاتيوبيين زحفوا إلى هذه البلاد في عصور سحيقة فتشكلت منهم شعوب البربر. وقال قوم: سائر البربر من اليمن. قال المسعودي: من غسان وغيرهم تفرقوا بعدما كان سيل العرم. وقيل: تخلفهم أبرهة ذو المنار بالمغرب. وقيل: من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في هذه البلاد.

[4] شارل آندري جوليان، تاريخ شمال إفريقية، ترجمة محمد امزالي، تونس، الجزء الأول، ص78.

[5] المرجع نفسه، ص68.

وكان البربر في العهد الوسيط ينتظمون في مجموعتين كبيرتين هما: البتر والبرانس. ويبدو أن العرب اشتقوا، أو ترجموا عن البربرية اشتقاق، اسم هاتين المجموعتين من طبيعة ألبستهما فسموا البتر بالبتر لأن معظمهم لم يكن يغطي رأسه أبدا تعودوا ذلك فكأن لباسهم كان أبتر، وسموا البرانس بالبرانس لأنهم كانوا يلبسون البرانس التي تغطي رؤوسهم، تعودوا ذلك، واشتهروا به، كما سموا صنهاجة اللثام الذين يعدون في عداد البرانس بالملثمين لتعودهم على وضع اللثام الذي لا يكادون يفارقونه[6]. والبربر شعب (أوشعوب) في صور قبائل، ولذلك كان أكثر ما يبنون قبائلهم على التحالف بدل النسب.

ولم يحفظ لنا التاريخ تفاصيل روايات متناثرة، متضافرة أحيانا، ومتضاربة أحيانا أخرى عن فترات معينة من تاريخ هذا الشعب. فهو يكتفي بالإشارة مثلا إلى الهجرة الحميرية التي جاءت بموجبها صنهاجة إلى بلاد البربر، دون تقديم أية تفاصيل ذات بال، وإن بقي صدى هذه الهجرة حاضرا بقوة في كتابات مؤرخي العصر الوسيط، وأيدتها بعض الدراسات الحديثة[7]. كما يكتفي بالحديث عن توغل الفرس والماديين والأرمن في إفريقيا بعد موت هيرقليس دون إعطاء أدلة موثوق بها. وتتحدث التقاليد المروية وبعض الآثار عن نزحات قبطية باتجاه إفريقيا عبر بلاد البربر، كما تتحدث عن هجرات عبرانية (يهودية) قديمة سبقت مقدم الإسلام، دون تقديم أية تفاصيل عن الظروف الدقيقة التي اكتنفت مثل هذه الهجرات. وباستثناء ما أمدتنا به الهيروغليفية،

---

[6] فأما مجموعة البتر فمن شعوبها: نفوسة، وأداسة، ولواتة (الكبرى)، وضريسة، ويندرج تحت كل شعب من هذه الشعوب بطون وقبائل أخرى كثيرة أشهرها: زناتة التي أصبح اسمها لاحقا علما على سائر البتر، ومغراوة، ونفزاوة، وورفجومة، وبنو يفرن، ولواتة (الصغرى)، ومكلاتة. وكانت هوارة تتعايش مع هذه القبائل لاسيما قبيلة ورفجومة. وأما البرانس فمنهم: مصمودة، وتميزت مصمودة عن البرانس فصارت مجموعة مستقلة، وصنهاجة التي غلب اسمها لاحقا على سائر البرانس عدا مصمودة، ولمطة إخوة صنهاجة، وأزداجة، وأوريگة، وأوروبة، وعجيسه، وكتامة، وهسكورة، وجزولة (گزولة). وتحت كل شعب من هذه الشعوب بطون وقبائل كثيرة، فمن صنهاجة: صنهاجة المدر، منهم آل بلكين ملوك الدولة الزيرية بإفريقية (تونس الحالية) والمغرب من قبل العبيديين، وصنهاجة اللثام المعروفين بالملثمين.

[7] راجع، النافي بن الحسين، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ8م إلى نهاية القرن 5هـ11م، مرقون قيد الطبع.

والرسوم المصرية من إشارات تتعلق بالغزو الفرعوني لبلاد البربر، يظل الغموض يلف تاريخ البربر حتى عهد الغزو الفينيقي (القرن6 ق.م) لبلادهم. ولا يقدم لنا التاريخ معلومات عن اتصال اليونانيين الذين سبقوا الغزو الفينيقي لبلاد البربر إلا اعتبارا من سنة 631ق.م عندما استقر الدوريتانيون على نجد بلاد القريني، وكان لهم مع اللوبيين معارك عنيفة متكررة قبل أن يختلطوا بهم اختلاطا وثيقا.

ومع أن المؤرخين المسلمين قد كتبوا بتفصيل لا بأس به عن كيفية دخول الإسلام إلى الصحراء، فإن حظ قسم الصحراء الشنقيطية من هذه الكتابة كان قليلا، فما كتبوه لنا في ما يتعلق بگنورية[8]، أو بأمراء بلاد انبته الوثنيين الذين احتلوا أودغست واتخذوها عاصمة لهم، وكيفية انفصالهم عن مملكة غانه، وتفرع المملكتين عن مملكة آوكار التي يعود تأسيسها إلى قبائل أغرمان الليبية، وهكذا ما كتبوه حول تاريخ هؤلاء الأنباط الملثمين قبل إسلامهم وبعده، لا يتعدى ومضات تثير الفضول أكثر مما تستجلي الغوامض.

ورغم الآثار الملموسة للإسلامين الخارجي والشيعي اللذين انتشرا في هذه البلاد قبل انتشار الإسلام السني المالكي فيها، فإن التاريخ لم يترك لنا أي تفاصيل عن كيفية ومراحل هذا الانتشار. كما أن المؤرخين الذين أرخوا للدولة المرابطية التي قامت منتصف القرن الخامس للهجرة (ق11م) اكتفوا بالإجمال في ما يتعلق بشقها الجنوبي (الشنقيطي) الذي بقي في عهدة الأمير أبي بكر بن عامر[9] مركزين اهتمامهم على الشق الشمالي الذي آل إلى ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين.

ولا يساعد التاريخ بالكثير حول طبيعة التوغل الصنهاجي داخل بلاد شنقيط بعد انهيار الدولة المرابطية، ودخول هذه البلاد في عهد السيبة، متجاهلا كثيرا من التفاصيل المتعلقة بالحياة السياسية للقبائل التي عمرت البلاد في ذلك العهد، ومارست نوعا من

---

[8] تنطق هذه الكاف المصحوبة بخط فوقها جيما مصرية.

[9] الشائع في الموروث الشعبي للمجتمع الشنقيطي عامر وليس عمر كما تذكر المراجع العربية، وهذا هو الصحيح كما سنبين في فصل المرابطين.

السلطة في الفضاءات التي تصل إليها سلطتها في الوقت الذي شهدت فيه المنطقة نزحات سكانية جديدة، وعرفت تقلبات سياسية عميقة في ما بين تفكك دولة المرابطين (ق6هـ/ 12م) واكتمال سيطرة بني حسان على المجال الشنقيطي (ق11هـ/ 17م). فلا تساعد المصادر التاريخية المغربية والجزائرية إلا بالقليل في ما يتعلق بعودة الأوزاع الصنهاجية النازحة إلى بلاد شنقيط فرارا من حملة عبد المومن الموحدي الأولى (534هـ/ 541هـ - 1139م/ 1146م) التي دفعت بعدد كبير من المرابطين وأشياعهم إلى التوغل في البلاد سنة 536هـ/ 1141م، بحيث أصبحت هذه السنة محطة فاصلة في تاريخ المنطقة بسبب التحولات الاجتماعية الكبيرة التي رافقتها، إلى درجة أنه صار ينسب إليها تأسيس عدد غير قليل من المدن والقرى التي أسست في ذلك العهد، ولا تذكر المصادر شيئا كثيرا عن عودة أوزاع جيش القائد المسوفي يحيى ابن غانية التي تسربت إلى الصحراء الشنقيطية، وبنت وادان وآبير وتينيگي، وأوزاع القائد مدرك التجكاني (التلكاني أو بن تلكان في المراجع العربية[10]) الذي تنتسب إليه قبيلة تجكانت، الذين انضموا بعدما أقاموا بنواحي توات مدة من الزمن إلى إبراهيم بن إسماعيل بن علان الذي استدعى ابن غانية إلى نواحي توات لإقامة دولة مرابطية بالمنطقة، والقائد الأمير يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن الصحراوية، وبعض المنتسبين إلى هذا الأمير يوجدون اليوم في قبائل تندغه ولمتونة وإيدوريش، ومن فلول جيش ابن الصحراوية هذا نشأت قبائل ابدوكل وبيلگه وتندغه وإيدوعيش وانبيبه وإيچيچبه وتشمشه وغيرها، والقائد ينجمار الذي انضم جيشه إليهم وإليه تنتسب قبيلة النجامره. كما لا تلقي هذه المصادر أضواء كافية على هجرة العناصر الصنهاجية والزناتية والعربية الهاربة من القمع الموحدي أو

[10] كابن خلدون في تاريخه، والناصري في الاستقصاء، وغيرهما. وتعود كتابة المؤرخين العرب للتيجكاني باللام إلى كون صنهاجة كانت تبادل اللام مع الجيم أحيانا. راجع توضيح هذه النقطة عند حديثنا عن تجكانت في فصل فترة السيبة من هذا الكتاب.

الضغط الهلالي إلى الصحراء الشنقيطية، ولا على الحملات السعدية المتكررة التي ساهمت في تكريس النفوذ الحساني ببلاد شنقيط.

وليس تاريخ منطقة الضفة الجنوبية لبلاد شنقيط التي أصبحت في وقت من الأوقات مجالا زنجيا بأحسن حالا من المنطقة الشمالية، فباستثناء المعلومات القليلة المتاحة عن تاريخ مملكتي التكرور ومالي والممالك التي سبقتهما أو التي حلت محلهما لا يوجد تاريخ محفوظ وشامل للعصور القديمة والوسيطة لهذه المنطقة.

كما أن قدوم بني حسان وسيطرتهم على البلاد، وحملة التعرب الشاملة التي واكبت هذه السيطرة، وإن كانت أتاحت الفرصة لتاريخ البلاد الحديث ألا يندثر من جهة، إلا أنها دفعت من جهة أخرى إلى أدلجة الانتماء القبلي الشنقيطي، لدرجة أن أنساب السكان التي أضحت في معظمها عربية، أصبحت تشكل عائقا أمام كتابة التاريخ، خاصة وأن بعض القبائل سواء كانت من قبائل التكتلات الصنهاجية، أومن القبائل الوافدة، أو من قبائل البلاد القديمة أعادت صياغة نسبها أكثر من مرة خلال فترات متقاربة لتتبنى أنسابا جديدة أنصارية أو قرشية في مقدمتها النسب الشريف. وغير بعيد من الصواب القول بأن فصول الأنساب في هذا الكتاب يجب أن تحظى بقدر كبير من غض الطرف، لأنه لا يمكن -في ظل الظرف الراهن -التعامل معها بكامل أدوات التحري والنقد التاريخي، في حين أن حذفها كليا يؤدي إلى فوات مجموعة كبيرة من المعلومات القيمة.

ولولا كثير من البحث والتنقيب لما استطعنا أن نذكر شيئا عن الحرب الصنهاجية الحسانية الطاحنة التي اندلعت حوالي 870هـ/ 1465م بين ملاك الأرض الصنهاجيين بقيادة ابدوكل وبني حسان الوافدين. ورغم شراسة هذه الحرب وطول فترتها فإن الذاكرة التاريخية لم تحتفظ منها إلا بومضات طغت عليها الأسطورة أو تداخلت مع حرب شربيه التي قادها الإمام ناصر الدين (1055هـ-1084هـ/ 1646م-1673م)، حيث إن شربيه كانت في الأصل اسما لهذه الحرب الأولى قبل أن يعاد إطلاقها على اسم الحرب التي دارت في عهد الإمام ناصر الدين.

ومع أن توجه الإمام ناصر الدين كان دينيا بحتا فقد مثلت قبيلة تشمشه- التي هي في أغلبها من جملة بقايا لمتونيي الحرب الصنهاجية الحسانية- قطب الرحى الذي تداعت إليه كل أوزاع هذه العصبية القديمة، خاصة تلك التي نزحت إلى إمارة بيلگه في ما سيعرف لاحقا بالبراكنة وگورگول، أوتفرقت في ما يعرف الآن بالترارزة. ولم تكن تسمية حرب ناصر الدين بشربيه إلا نوعا من اعتبار التألب الحساني الجديد على الزوايا امتدادا لتألبهم الأول عليهم، ذلك التألب الذي أعاد لصنهاجة ذكرى شربيه الأولى (الحرب الصنهاجية الحسانية)، فكان الزوايا يحلمون بالثأر لصنهاجة من جهة، وباستعادة النموذج المرابطي من خلال استلهام منهجهم في التوبة وفي إقامة الدولة من جهة ثانية.

وإذا كانت دولة الإمام ناصر الدين قد أخفقت في بعث الدولة المرابطية، بسبب انحياز أحد القادة الديمانيين بعد مقتل ناصر الدين إلى بني حسان، الذين ارتبط معهم بروابط مصاهرة، فإنها قد نجحت في تصدير الثورة وفكرة الدولة الإمامية إلى دويلات الضفة اليسرى لنهر السينغال الزنجية مؤدية إلى انبعاث الدولة الإسلامية ورواجها جنوب النهر (في بوندو وفوتا چلون وفوتا تورو).

وبفشل مشروع الدولة الدينية اللمتونية التي حلم بها الزوايا في عهد ناصر الدين لم يعد لمن لم يتخل من صنهاجة عن السلاح نهائيا إلا أن يكافح حتى يتحرر من سلطان بني حسان أو يستكين لتغريمهم.

ومضت عقود قبل أن تتمكن قبيلة إيدوعيش من استعادة المجد اللمتوني الضائع وإقامة أرستقراطية أميرية مكافئة للأرستقراطيات الحسانية التي فقدت منذ استبسال إيدوعيش في حصار احنيكات بغداده (1192هـ/ 1778م) روح التضامن الذي كانت تنتصر بفضله على مختلف القبائل الصنهاجية.

ومثلت الإمارات التي واكب ظهورها ظهور ونمو التجارة الأطلسية أول شكل من أشكال الحكم المنظم والمستقر في هذه البلاد منذ فترة السيبة، رغم كون بعض هذه الإمارات لم يستطع أن يستكمل شروط النظام الأميري، فظلت سلطاته أشبه بسلطات

قبلية موسعة. وسمح هذا الاستقرار –النسبي- بخلق وضع أخذت فيه بوادر النهضة العلمية والثقافية للبيضان الشناقطة تتبلور.

وبلغت هذه النهضة ذروتها في القرن 13هـ (ق19م) ولم تخف جذوتها إلا بمقدم الاستعمار في أوائل القرن 14هـ (ق20م)، لكن هذه النهضة رغم الازدهار الثقافي والمعرفي الكبير لم تهتم إلا قليلا بتاريخ البلد. وربما كان ذلك عائدا إلى الحساسية المفرطة التي يتمتع بها سكان طبقيون مزدوجو الهوية مختلفو الأصول يعيشون في إقليم واحد بقيم اجتماعية مختلفة.

ورغم مضي60 سنة قضاها السكان تحت قبضة الاستعمار، ومرور قرابة نصف قرن على قيام الدولة الموريتانية العصرية، فإن هذه الحساسية ما زالت تمثل حتى اليوم أحد أكبر معوقات الكتابة التاريخية في هذا البلد، خاصة في مجال الأنساب والانتماء العرقي أو الطبقي في البلد. لكن مثل هذا المعوق ما كان له أن يحول بيننا وبين محاولة بلورة تاريخ شامل متناغم ومتسلسل لهذه البلاد، سواء في أطواره التي لا يمكن فصله فيها عن تاريخ المنطقة المحيطة ببلاد شنقيط، أو في أطواره التي يتميز فيها تاريخ أرض شنقيط بخصوصياته التي لا يشاركه فيها سواه. والله الموفق.

محددات عامة

كانت بلاد شنقيط التي اشتهر بها هذا القطر مؤخرا تغطي مجالا جغرافيا أوسع من موريتانيا الحالية، فكانت تضم كافة المناطق التي تجمعها مع موريتانيا لغة البيضان (الحسانية وهي لهجة عربية ملحونة) وعاداتهم وتاريخهم.

والبيضان (أو البيظان) مصطلح كان يطلق على سكان التخوم الشمالية لبلاد السودان حتى بلاد السوس (جنوب المغرب الأقصى) تمييزا لهم عن سودان الجنوب، حيث تؤلف هذه التخوم وحدة بشرية ذات طبيعة واحدة، ولغة واحدة، وعادات واحدة تدعى البيضان.

ويتشكل البيضان من مزيج من قبائل بني حسان التي هي بعض فروع قبائل المعقل النازحة مع بني هلال وبني سليم نزحتها التي بدأت من بلاد الحجاز وانتهت في بلاد المغرب، وقبائل صنهاجة سكان البلاد الأصليين، مع من كان في جوارها من قبائل البربر الزناتية البافورية أو الأغرمانية أو غيرها. والغالب على البيضان بياض البشرة وإن كانت فيهم السمرة والسحنات المختلفة. وتشارك البيضان في بلاد شنقيط قبائل زنجية توجد مضاربها اليوم في الشريط الجنوبي الممتد من الشرق إلى المحيط الأطلسي غربا مع طول الضفة الشمالية لنهر السينغال.

ويمكن تقريب الحدود التي كانت لبلاد شنقيط بحد يمر بتيندوف وآدرار توات في الجزائر الحالية، إلى أن يلتقي بالحد الشرقي في منطقة تنزروفت. ثم يمتد الحد الشرقي من تنزروفت إلى منطقة آدرار إيفقاس (مالي الحالية). أما الحد الجنوبي فتشكله الضفة اليسرى لثنية النيجر ابتداء من مناطق گاوه وصولا إلى نهر السينغال، شاملة انيور. ثم يحاذي هذا الحد الضفة الشمالية لنهرالسينغال إلى أن يصب في المحيط الأطلسي غربا، ثم ينعطف الحد باتجاه الشمال مرافقا للشاطئ إلى منطقة درعة شاملا مضارب البيضان من تكنة السوس في المغرب شمالا، إلى بيضان تيندوف في الجزائر، ومنسحبا

على الصحراء التي كانت خاضعة للاستعمار الإسباني، إلى مضارب قبائل كنته والبرابيش ومن حولهما من البيضان في دولة مالي شرقا، وربما توغلت مضارب البيضان داخل الضفة الجنوبية لنهر السينغال[11]. وكانت هذه الحدود قد تولدت عن التطورات والتحولات التي رافقت أو أعقبت قيام دولة المرابطين (ق5هـ - ق11م) بما صاحبها من توسع صنهاجي باتجاه الجنوب، ثم عن التحولات والتطورات التي شهدتها المنطقة منذ نزوح بني حسان إليها إلى دخول الاستعمار (ق8- ق14هـ / ق14 - ق20م).

ولا تشمل هذه الحدود جميع مواطن البيضان، فقد تجاوز البيضان هذه المناطق شرقا إلى عمق دولة اتشاد الحالية، بل أكملت منهم جاليات خط الرجعة بوصولها إلى أرض الحجاز، وتشكلت منهم جالية كبيرة يعرفون الآن هناك بالشناقطة.

وشنقيط (وهي تعريب شنگيطي بكاف معقودة، وياء بعد الطاء) التي تضاف إليها هذه البلاد كانت تطلق على مدينة بهذا الاسم، تأسست على هضبة آدرار التمر سنة 808هـ/ 1405م[12]، على أنقاض مدينة آبير القديمة التي يعود تاريخ تأسيسها إلى حدود سنة160 هـ/ 777م، قبل أن تصبح علما على هذا القطر من باب تسمية الشيء باسم بعضه.

وقد سميت هذه البلاد، فضلا عن بلاد شنقيط، بتسميات أخرى سبقت تسمية بلاد شنقيط أو تلتها أو عاصرتها، وإن كانت تسمية بلاد شنقيط هي التي غلبت في النهاية عليها بسبب شهرتها في البلاد العربية خلال العصر الحديث، حيث عرفت هذه البلاد في العصر الوسيط ببلاد الملثمين أو صحراء الملثمين نسبة للملثمين الصنهاجيين الذين اشتهروا بهذا الاسم تمييزا لهم عن باقي صنهاجة، لأن اللثام كان من شعارهم فكانوا لا ينزعونه مهما وقع. كما عرفت ببلاد انبته (وكتبت خطأ انبيه في المراجع

[11] ددود بن عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط: الأطر العامة وسياق الإنتاج، تاريخ موريتانيا فصول ومعالجات، ص61 - 66.

[12] الشائع بين المؤرخين أن شنقيط بنيت سنة 660هـ 1262م، وهو خطأ كما سنبينه لاحقا في هذا الكتاب.

المتداولة) نسبة إلى الأنبات (الأنباط) الملثمين الذين أقاموا بالصحراء دولة قوية سبقت دولتهم المشهورة بدولة المرابطين التي طبقت الآفاق بعدما بسطت نفوذها من أعماق صحراء شنقيط جنوبا إلى أقصى الأندلس شمالا.

وعرفت هذه البلاد خلال العهد الوسيط أيضا ببلاد التكرور نسبة إلى الإمارة التكرورية الصغيرة التي كانت قائمة إبان قيام دولة المرابطين قبالة مضارب گدالة الجنوبية الغربية قرب نهر السينغال، وبسطت بعد اضمحلال دولة المرابطين في الصحراء في نهاية القرن الخامس الهجري نفوذها على أجزاء واسعة من أراضي گدالة ولمتونة فصار صنهاجيو تلك النواحي ينضافون إليها استتارا منهم عن الموحدين، فانسحب اسمها على معظم هذا القطر «من آدغاغ (في مالي الحالية) شرقا إلى نهر صنهاجة (نهر السينغال) غربا، ومن بيط (في مالي الحالية) جنوبا إلى آدرار (آدرار التمر) شمالا[13]». وربما أطلق هذا المصطلح كذلك وأريد به ما دل عليه مصطلح بلاد شنقيط سواء بسواء.

وعرفت بلاد شنقيط كذلك ببلاد السودان، وانطبق ذلك أساسا على الجنوب والشرق الشنقيطي الحالي الذي خضع لنفوذ مملكة مالي بعد سقوط مملكة غانا، حيث مدينة ولاته المشهورة التي كانت تشكل مع أروان وتنبكتو محورا تجاريا وثقافيا مشتركا. وظلت بلاد شنقيط في عهد الحكم السوداني تعرف كذلك ببلاد التكرور، ووصلت حدودها الشمالية في هذا العهد إلى خط قريب من الحدود الموريتانية الحالية.

وخلال العصر الحديث عرفت بلاد شنقيط أو بعض نواحيها تسميات أغلبها من إطلاق أبنائها عليها، مثل البلاد السائبة (نظرا لما عرفته من سيبة سياسية)، والمنكب البرزخي (منكب لأنها في أقصى الأرض، وبرزخي لأنها تمثل برزخا بين البيضان والسودان)، وبلاد المغافرة، وبلاد أقصى المغرب، أو المغرب الأقصى، وغيرها[14].

---

[13] البرتلي، فتح الشكور في أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، 91، ص26.

[14] دود بن عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط، مرجع سبق ذكره، ص65.

ولأن اللثام الصنهاجي أو لباس ملثمي الصحراء عموما كان في وقت من الأوقات أزرق فقد عرفت بلاد شنقيط في بعض المراجع الحديثة ببلاد الرجال الزرق. وأطلق عليها الأوروبيون اسم بلاد البيضان (البيظان).

ومثلما عرفت بلاد شنقيط على مر العصور تسميات غير منضبطة، عرفت بلاد البربر من حولها تسميات غير منضبطة كذلك، فمن هذه التسميات بلاد النوميديين وهو اسم كان يطلق من طرف القرطاجيين على بلاد البربر الواقعة خارج نفوذهم، فقصرها الرومان على من بقي خارجا عن دائرة المغرب الذي أطلقوا على سكانه اسم الموريتانيين، ودائرة السباسب الجنوبية التي أطلقوا على سكانها اسم الگيتوليين أو گدالة[15]. والنوميديون حسب المؤرخ الروماني سالوست (87-35ق.م) فرس في الأصل كانوا ضمن جيش القائد اليوناني هيرقليس، واختلطوا بعد تفرق جيشه بگدالة في أقصى الجنوب الغربي للصحراء. وقد سموا بالنوميديين لكثرة ترحالهم. لكن رواية هذا المؤرخ منازع في صحتها. وقد تكون كلمة النوميديين -إذا لم تكن من قبيل التشابه اللفظي- هي الأصل لكلمة (نوماد) التي تعنى لدى اللاتينيين الرحل. ويجد هذا المصطلح صداه في إحدى قبائل بلاد شنقيط (النمادي) التي تحمل حقيقة أو مجازا هذا الاسم بسبب حياة البداوة والترحال التي كانت ممعنة فيها حتى العقود القليلة الماضية.

كما استعمل الإغريق كلمة الموريين (أو الموريسكيين أو الموريزيين أو الموريتانيين) للدلالة على سكان موريتانيا، ويعنون بها بلاد البربر الموجودين وراء النوميديين، من المحيط الأطلسي وحتى وادي شلف، ثم أطلقت من طرف الرومان إطلاقا خاصا بأبناء موريتانيا القيصرية أو موريتانيا الطنجية (مناطق من المغرب والجزائر الحاليتين).

والموريتانيون حسب المؤرخ سالوست تحريف لاسم الماديين الذين كانوا ضمن جيش القائد اليوناني هيرقليس في إسبانيا، بينما اعتبرها البعض تسمية ذات جذر يوناني هو

[15] شارل آندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص9.

كلمة مور التي تعني أسمر. وقد تكرر ذكر المور كقبائل كانت تتواجد بين المحيط الأطلسي ووادي ملوية منذ الحملة القرطاجية ضد الإغريق سنة 406م وحتى نهاية العهد البيزنطي. وكان المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس يرى أن المور هم أنفسهم لواتة الذين كانوا ينتشرون في عهده من طرابلس بليبيا وحتى تيبسه بالجزائر.

وقد أعيد استخدام اسم المور أو الموريسكيين على نطاق واسع في إسبانيا بعد سقوط غرناطة للدلالة على الأقلية الأندلسية المسلمة التي تحولت بفعل ضغط الحكم المسيحي الإسباني إلى المسيحية.

وأطلق المستعمرون الفرنسيون هذا الاسم (موريتانيا) رسميا على معظم أجزاء بلاد شنقيط، بعدما جمعوا بينه وبين اسم تراب البيظان (البيضان) لبرهة وجيزة. ثم جرى اعتماد هذا الاسم من قبل السلطات الوطنية بعد الاستقلال سنة 1960م (1380هـ).

ولم يبق لموريتانيا المستقلة من أرض بلاد شنقيط إلا مليون وثلاثون ألفا وسبعمائة (1030700) كلم مربع تشمل حوالي 13 دائرة عرضية ممتدة بين دائرتي 30.14 و24.27 شمال خط الاستواء، فهي بهذا تضم دائرة مدار السرطان (27.23)، كما تشغل 12 خطا طوليا بوقوعها بين خطي طول 15 و17غرب خط اغرينتش[16]، مع واجهة ممتدة على المحيط الأطلسي بما يزيد على 650 كلم، وشعب يناهز الآن الثلاثة ملايين نسمة، يتضمن أقليات زنجية وأغلبية من البيضان (البيض والسمر). وتتكلم هذه الأقليات الزنجية ثلاث لهجات هي البولارية والولفية والسوننكية، بينما يتكلم البيضان اليوم اللهجة الحسانية (عربية ملحونة)، وكانوا يتكلمون قبل الاجتياح الحساني في أرض الگبلة (الجنوب) والساحل (الغرب) اللهجة الصنهاجية الگدالية، وفي الشرق والشمال الشرقي اللهجة الصنهاجية المسوفية، واللهجة الأزيرية، وهي لهجة مولدة من اللهجتين السوننكية والمسوفية.

[16] بشيري بن محمد، موريتانيا الملامح الجغرافية، مجلة مصادر، الكراس الثالث، 2002، ص224.

أما من الناحية المورفولوجية فتشغل السهول وأشباه السهول معظم مساحة موريتانيا فلذلك يتسم سطحها عموما بالانخفاض. ويمكن تقسيم الوحدات التضاريسية لموريتانيا إلى مرتفعات جبلية تضم هضاب الزمور، وتوجد في أقصى شمال البلاد، ويصل ارتفاعها إلى 500م، وتشرف على حوض الركيبات الواقع ضمن حوض تيندوف، والحنك وهو عبارة عن هضبة يفصلها عن الزمور سهل الركيبات، وتأخذ اتجاها شماليا شرقيا، وجنوبيا غربيا، وقد حولتها عوامل التعرية إلى حافات متقطعة قليلة الارتفاع، وتمثل هذه الهضبة بداية تراب الحجرة من الشمال. ثم آدرار وهو هضبة مرتفعة متوسط ارتفاعها 500م، وتصل أعلى نقطة فيها إلى 820م في جهة الظهر، وقد نحتتها عوامل التعرية بشدة، وتمثل الحد الغربي لحوض تاودني الذي يمتد من آدرار وتگانت والعصابه، شاملا قسما من المجابات الكبرى الممتدة إلى الحوضين[17]، وتگانت وهي هضبة تتجه تقريبا في اتجاه شرقي غربي، ويتراوح متوسط ارتفاعها بين 200م و350م، بينما تصل أعلى نقطة فيها إلى 500م في ظهر اللبة، وتمثل هضبة تگانت الوصلة الثانية من منطقة تراب الحجرة. أما العصابه فهي امتداد ضيق لهضبة تگانت نحو الجنوب الغربي على طول 200 كلم من الشمال، مع عرض لا يتجاوز 25 كلم، وتمثل العصابه نهاية أرض الحجرة جنوبا حيث تختفي العصابه قبل انتهاء أراضي البلاد الجنوبية. ويلي هذه المرتفعات ظهر تيشيت وولاته والنعمة، وهو عبارة عن هضبة طويلة تأخذ شكل خط شبه متصل يمتد من الشمال الغربي حيث ظهر تيشيت إلى ظهر النعمة مرورا بظهر ولاته. ويمكن اعتبار هذه الهضبة امتدادا للعصابة وتگانت شرقا. وتضاف إلى هذه المرتفعات كتلتا أفله والركيز اللتين يتراوح ارتفاعهما بين 200م و300م[18]. ثم منطقة أشباه سهول، وتمتد من أقصى شمال شرق البلاد إلى غربها، فتشمل يطي وقلمان وتيرس وتازيازت وآمساگه. وقد تكونت في هذه المنطقة، بفعل

[17] سيدي عبد الله بن المحبوبي وبباه محمد ناصر، المجال والسكان، موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، مركز الدراسات العربية، بيروت، 1994، ص13 - 31.

[18] بشيري بن محمد، موريتانيا الملامح الجغرافية، مرجع سبق ذكره، ص227 - 230.

عوامل التعرية المختلفة، ءاكام كثيرا ما تكون مخروطية الشكل شديدة الانحدار يطلق عليها اسم "الاگلاب"، كما تكونت فيها عروق رملية كبيرة مثل عرق إگيدي (إگيدي الشمالي)، وعرق الحمامي، وعرق آزفال، وعرق آگشار. إضافة إلى سهول توجد في غرب البلاد، وتمتد من داخلت انواذيبو شمالا إلى شمامه جنوبا، شاغلة تكوينات الحوض الرسوبي الموريتاني السينغالي، وقد ردمت الرواسب الهوائية أجزاءها الشمالية، واحتلت معظم تلك الأجزاء النهايات الجنوبية لعرقي آزفال وآگشار، كما ردمت الرواسب البحرية والهوائية الأجزاء الجنوبية لهذه السهول كسباخ تفلي ورمال آمكرز وآفطوط الساحلي ورمال إگيدي (إگيدي الجنوبي).

ويطلق على المنخفضات في البلاد اسم إيفطوطن التي من أشهرها آفطوط الساحلي الذي يحاذي شاطئ الأطلسي، ويمتد على مسافة 300 كلم ابتداء من منطقة مصب نهر السينغال باتجاه الشمال، وآفطوط إينشيري الذي هو منخفض مستطيل حده الجنوبي سبخة تندغمشه، التي تطوقها سبخة حفرية مشهورة بمنطقة تفلي، وآفطوط تيجريت الذي هو عبارة عن سهل من نفس نمط آفطوط إينشيري إلا أن غطاءه الرملي أعظم سمكا[19].

ويتسم مناخ موريتانيا بالقسوة وارتفاع درجة الحرارة، نظرا لتعامد أشعة الشمس على المنطقة، وخلو سمائها من السحب، وانعدام غطاء نباتي كثيف. وتخضع موريتانيا أساسا لتأثير الرياح التي تهب من ثلاثة اتجاهات باردة أو معتدلة الحرارة، ولا تتوغل داخل البلاد إلا نادرا.

وتلعب هذه الرياح التي تواكب تقدم الجبهة المدارية باتجاه الشمال دورا كبيرا في توزيع الأمطار التي تتسم في موريتانيا بالندرة وعدم الانتظام، كما أن في اختلاف مناطق البلاد عاملا آخر يلعب دورا في توزيع الأمطار، فالمنطقة الواقعة في أقصى الجنوب، وتشغل 0.5 من المساحة العامة للبلاد، ذات مناخ سوداني، وتشتد فيها الأمطار لتصل

[19] نصر السيد نصر، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1979، ص 251.

إلى 400 - 600ملم سنويا، بينما تنخفض في منطقة المناخ الساحلي التي تشغل حوالي 10% من مساحة البلد إلى ما بين 200 - 400 ملم سنويا. وهي تتراوح بين 100 - 200ملم سنويا في منطقة المناخ الساحلي الصحراوي الذي يشغل حوالي 12.5 من المساحة. أما منطقة المناخ الصحراوي التي تغطي77% من مساحة البلاد فيقل معدل الأمطار فيها عن 100ملم سنويا[20].

ويوجد في موريتانيا مجرى مائي دائم وحيد هو نهر السينغال، وهو مجرى ذو تصريف سنوي شديد التذبذب يبلغ في المتوسط 24 مليار متر مكعب سنويا، بينما تتوفر البلاد بفضل الهضاب والمرتفعات الواقعة في الهوامش الجنوبية للصحراء على جريانات سطحية مؤقتة. وتتوفر موريتانيا على مياه جوفية كبيرة أهمها مياه خزان الحوض الرسوبي في الكَبلة (الجنوب) الذي يناهز 50 مليار متر مكعب، وخزان آوكار الذي يصل إلى 40 مليار متر مكعب، وخزان العيون وخزان سفوح تگانت والعصابه.

وكانت موريتانيا حتى القرن العشرين بلادا بدوية غالب سكانها رحل ينتجعون المراعي، ويعيشون على تربية المواشي. ولهم قرى قليلة مثلت عواصم ممالك قديمة، أو كانت تقع على طرق القوافل، أقاموا فيها أنواعا مختلفة ومتواضعة من العمارة، منها أودغست (عاصمة مملكة آوكار)، وكونبي صالح (عاصمة مملكة غانه)، وتيارت (عاصمة بافور)، وآبير، وولاته، وتيزخت، وتيشيت، وآزوگي، ووادان، وشنقيط، وتينيگي، وتگبه، وأطار، وتجگجه، والنعمة، ومنها بدرجة أقل توجنين، وأوجفت، وآغريجيت، وگصر البركه، وتن إبراهيم، وتيگماطين (عاصمة گنار)، وتينشيكل...إلخ.

ولم يكن النمط المعماري في بلاد شنقيط نمطا متطورا، بل كان إما طينيا، وإما مؤسسا بالحجارة غير المبلطة أو المبلطة تبليطا خفيفا بالطين. وتتخذ العمارة في بلاد شنقيط نمطا هجينا صحراويا سودانيا. ولا تخلو هذه العمارة على بساطتها أحيانا من زخرفة تزينها، ففي عمارة تيشيت يضفي التعاقب بين الحجارة البنية والغامقة رونقا بديعا.

[20] سيدي عبد الله بن المحبوبي وبياه محمد ناصر، المجال والسكان، مرجع سبق ذكره، ص13 - 31.

وتعد زخارف الكوى الجدرانية، إضافة إلى زخارف ولاته الحائطية أبرز مكونات الحلية المعمارية الشنقيطية التقليدية. وقد ساهم توفر أنواع خاصة من الطين بولاته (طين تمگنه، طين اعلي، تراب مامه) على ازدهار فن الزخرفة الولاتي. وقد لاحظ الدارسون أن زخارف ولاته تستخدم أنماطا يعتقد أنها قادمة من شمال إفريقيا أو من الأندلس[21].

[21] أحمد مولود أيده، تاريخ العمارة التقليدية بموريتانيا، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ع8، ص25-39.

الساقية الحمراء
تيرس
العمادة
البلدات الكبرى
أزواد
أروان
تنبكتو
ودان
تنكي
أزوكي
أطار
آيير
تشقيط
تيشيت
تيمبكتو
تكنه
أوداغست
تازخت
الحوض
كمبي صالح
انواكشوط
القبلة
تراكنه
لبراكنه
مدن حديثة
مدن قديمة
مدن منيدثرة

ما قبل التاريخ

بلاد شنقيط في عهد ما قبل التاريخ

1- ما قبل العصر الحجري القديم:

حصلت خلال فترة مديدة من تاريخ الأرض عرفت بعهد ما قبل الكامبري (من 4600 مليون سنة إلى 530 مليون سنة قبل الآن) عمليات تحول ميتامورفوزية عديدة رافقتها حركة النشوء الأولى للجبال، وبرزت عدة كتل قارية حارة وسط المحيطات، ثم بردت تدريجيا مخلفة رواسب صخرية جليدية، تشاهد بصورة خاصة في بلاد شنقيط في حوض تاودني. وتتألف الصخور العائدة إلى عهد ما قبل الكامبري حاليا من صخور داخلية المنشأ (بلوتونية ومتحولة)، منها تتكون الأجذاع القديمة التي سويت سطوحها بعمليات الانجراف المختلفة كما في صخور ظهر الرگيبات في هذه البلاد.

وفي العهد الأول الكامبري (من 530 مليون سنة إلى 245 مليون سنة قبل الآن) نشأت أولى أشكال الحياة على الأرض وتنوعت، حيث كانت النباتات أولا بحرية، ثم ظهرت تدريجيا في البيئة البرية. وظهرت الكائنات الحية اللافقرية ثم الفقرية أولا في البحر، قبل أن تمتد إلى البر تدريجيا. وقد عثر في بلاد شنقيط على بقايا الكائنات اللافقرية على شكل مستحاثات في منطقة الزمور، وفي جنوب آدرار، وتگانت والحوض، وگيدي ماغه[22].

واستمرت خلال هذا العهد التحولات التكتونية الكبيرة التي كانت فعالة خلال عهد ما قبل الكامبري. وتولدت عن تصادم الأغلفة الصخرية سلاسل جبلية واسعة الامتداد في الأمكنة التي كانت تحتلها أحواض المحيطات في البداية، وانغلقت تدريجيا المحيطات التي كانت تحيط بالجن الإفريقي الغربي، ونتيجة اصطدام الجن الإفريقي الغربي بالجن البرازيلي بدأت سلسلة جبال الموريتانيد المعروفة في بلاد شنقيط بالتشكل في قسمها

[22] ديديي كارتيي، جيولوجية موريتانيا، ترجمة الدكتور فؤاد العجل، طبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990، ص208.

الجنوبي، وتابعت هذه السلسلة تشكلها متقدمة نحو الشمال مع الحركة الكاليدونية المكونة للجبال التي تلاحظ آثارها في الجنوب، واستمر تقدمها مع الحركة الهرسينية. ثم التحمت جميع القارات في ما بينها مشكلة كتلة قارية ضخمة واحدة عرفت بقارة عموم الأرض (قارة اپانجى).

ورافق بداية العهد الأول الكامبري مناخ حار أعقب الفترات الجليدية التي كانت مسيطرة خلال حقبة ما قبل الكامبري الانتهائي، ويظهر ذلك في الزمر الرسوبية الحمراء الحاوية على أهرام الملح في آدرار.

وفي نهاية هذا العهد عرفت الأرض أزمتها البيولوجية الأولى حيث انقرضت أنواع كثيرة من النباتات التي ازدهرت في الدور الكربوني الأعلى، كما انقرضت مجموعات كبيرة من الكائنات اللافقرية التي تكاثرت خلال ملايين السنين الماضية.

وفي العهد الكامبري الثاني (من 245 مليون سنة إلى 65 مليون سنة قبل الآن) تأثرت قارة عموم الأرض (قارة اپانجى) بصدوع كبيرة أدت على الخصوص إلى نشوء المحيط الأطلسي. وظهرت النباتات الكاسية البذور ذات الأزهار والثمار، كما ظهرت أجناس جديدة من الكائنات الحية وانتشرت البرمائيات، ووصلت الزواحف إلى درجة كبيرة من التنوع من الأكتيصورات إلى الديناصورات، كما انتشرت الطيور والثدييات.

وفي نهاية العهد الكامبري الثاني عرفت الأرض أزمتها البيولوجية الثانية فانقرضت أجناس كثيرة من أحيائها في مقدمتها الديناصورات.

وفي العهد الكامبري الثالث (من 65 مليون سنة إلى مليون وثمانمائة ألف سنة قبل الآن) تطورت الثدييات وتكاثرت، وانتشرت الفلسيات، وهي كائنات ذات درقة كلسية عثر على نماذج منها في بلاد شنقيط أثناء حفر بئر أم التونسي (80 كلم شمال انواكشوط) [23].

[23] المرجع نفسه، ص213.

وخلال هذا العهد حدث تصادم جديد بين الصفائح التكتونية أدى إلى انحسار البحر عن الحوض السينغالي في فترة ما بعد الأيوسين، وتعرضت الصخور في نهاية هذا العهد إلى تحتت شديد في مناخ حار ورطب ذي فصلين واضحين أدى إلى تشكل الدروع الحديدية التي توجد في گورگول والبراكنة (جنوب بلاد شنقيط).

وفي نهاية هذا العهد (قبل أربع ملايين وخمسمائة ألف سنة) ظهر الإنسان الأول المعروف بالأوسترالوبيتوكيس، ويتميز أفراده بقحف رأس صغير وبوقفة منتصبة. وقد استطاع هذا الإنسان أن يصنع المادة الطبيعية، ويقطع الأحجار ويلتقط الثمار ويمارس الصيد. ولم يسجل عثور على بقايا هذا الإنسان الذي ظل موجودا حتى مليون سنة قبل الآن حتى اليوم إلا في إفريقيا الجنوبية والشرقية.

ومع بداية العهد الكامبري الرابع (مليون وثمانمائة ألف سنة قبل الآن) ظهر الإنسان المعروف بالأوموآبيليس، ويتميز أفراده بقحف رأس أوسع من قحف إنسان الأوسترالوبيتوكيس، وقد قام بدوره بتصنيع أدوات بدائية حجرية.

وقبل مليون وخمسمائة ألف سنة من الآن انتشر إنسان الأوموأركتيس (الإنسان المنتصب) الذي ظل موجودا إلى ثمانين ألف سنة قبل الآن. ويتميز أفراده بانتصاب القامة وبقحف أكبر من قحف من سبقه، مع جبهة مائلة وحاجبين بارزين وفك قوي. وقد عثر على عدة مخلفات وأدوات لهذا الإنسان في بلاد شنقيط (شمال وادان)[24].

وقبل ثمانين ألف سنة قبل الآن انتشر إنسان انياندرتال المعروف بأوموساپيين، ويتميز بحاجبين بارزين أيضا، وكانت أدواته الحجرية جيدة الصنع ومتنوعة.

ثم ظهر أخيرا إنسان أوموساپيين ساپيين قبل خمس وثلاثين ألف سنة من الآن. وقد طور هذا الإنسان صناعاته الحجرية، ومارس القنص والصيد، ونحت التماثيل، وقام بالرسم والنقش.

---

[24] المرجع نفسه، ص215.

2- الحجري القديم والحجري المتوسط:

كانت نوبات القحط والظروف المناخية الصعبة، التي عصفت ببلاد شنقيط على امتداد حقب فترة العصر الحجري القديم المتعاقبة، تحول دون بقاء الآثار العضوية للإنسان محفوظة في الرواسب، فلم يوجد ببلاد شنقيط حتى الآن غير منطقة واحدة ترك بها إنسان هذه الفترة أكثر من أداة هي منطقة الزويرات، وتحديدا في الأزرق على طرف الحمامي، وفي المنحدرات التي تتخلل الكثبان في الشمال الغربي من مقطير، حيث عثر في هذا المكان على آثار كثيرة لإنسان ذلك العهد احتفظت بها رواسب الدياتوميت في أحواض رطبة. واكتشفت كذلك آثار لسكن متميز تركت به أدوات آشولية كثيرة، مع بقايا من حيوانات مثل الفيل، وفرس النهر، والخنزير البري، والتمساح، والبقريات، يعود تاريخها إلى 125 ألف سنة سابقة، مما يجعلها تصادف فترة رطوبة من أواخر الآشولي[25].

ولا شك أن حياة الإنسان في المجال الشنقيطي في العصر الحجري القديم عرفت مدا وجزرا متبادلين بسبب تناوب القحط والخصب على المنطقة، فخلال العهد الكامبري الرابع الذي بدأ قبل مليون وثمانمائة ألف سنة قبل الآن بدأت الصحراء الكبرى تأخذ وجهها المتصحر بعد أن كانت تنعم بالخصوبة، رغم أن فترات رطبة أقل قحطا تخللت توجهها الصحراوي. وعندما ظهر الإنسان الحديث في هذه الأرض كان يتأقلم في كل مرة مع هذا الوضع فهو يتوغل في الصحراء حينما تمر بفترة رطبة ويهجرها كل ما طغى عليها الجفاف والتصحر.

وتغطي آثار الفترة العطرية (90 ألف- 20 ألف قبل الآن) فقط النصف الشمالي من البلد، حيث يشكل خط العرض 20 شمالا حدا جنوبيا لهذه الآثار التي وجدت في نفس مواقع الفترة الآشولية مثل الأزرق، وشمال آدرار، والشمال الشرقي من المجابات الكبرى، وحوض آرگين، مع الحديث عن بعض القطع غير الأكيدة في منطقة ظهر

---

[25] بوبه بن محمد نافع، روبير فرني، محمد بن ختار، الأركيولوجيا في موريتانيا ضمن كتاب الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية الصحراء والساحل، نشر سي، أر، إي، آ، آ، 2002، ص123.

تيشيت-ولاته. وقد كان لهذه الآثار في البلاد في هذه الفترة علاقة بمثيلاتها الموجودة في الشمال أو القادمة منه. وحسب المعطيات فإن هذه الثقافة انتهت قبل عشرين ألف سنة أو دون ذلك بقليل عند بداية القحط الأخير في البليستوسين. وهو القحط الذي كان من الشدة في الصحراء بحيث أخلاها تماما من البشر، وقد يكون في ذلك تفسير لعدم وصول الثقافة العطرية للساحل الإفريقي[26].

وقد أعطى الحصاد السطحي من الحجري القديم أدوات شديدة التنوع، ولا شك في وجود صناعات لأدوات أثناء الفترة الممتدة من تسعين ألف سنة إلى ثمانية آلاف سنة قبل الآن. وبعض هذه الأدوات يوحي بأنه ذو أصل موستيري، وينتمي للمجموعات الموصوفة بنفس الطابع الموستيري الصحراوي.

وكان المحيط الأطلسي بفيضاناته وتراجعاته المختلفة خلال العصر الحجري القديم يغير في كل مرة البيئة المجاورة له، مانحا السكان والحيوانات وسطا ملائما للازدهار. وقد عرف المحيط الأطلسي أواخر هذا العصر ثلاثة فيضانات مهمة هي:

- الفيضان البحري التفاريتي: وقد غمر المحيط الأطلسي خلال هذا الفيضان الساحل الشنقيطي بدرجة ليس لها نظير. وفترة تراجع المحيط التي أعقبت هذا الفيضان هي التي نشأت خلالها التراكمات الكثبانية المهمة التي ستنشأ عنها لا حقا كثبان آزفال وآگشار.

- الفيضان البحري العيوجي: إلى شمال وشمال شرق انواذيبو، وقد تراجع هذا الفيضان لتحل محله الكثبان الرملية التي تعرف بالعجولية.

- الفيضان البحري الإينشيري: وأبرز مكان يوضح موضع هذا الفيضان يقع حول سبخة تندغمشه وحول انواكشوط، وحول اطويلت التيكاتن. وقد استمر هذا الفيضان في ما بين ثلاثين ألف وأربعين ألف سنة قبل الآن[27].

---

[26] المرجع نفسه والصفحات نفسها.

[27] نصر السيد نصر، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، مرجع سبق ذكره، ص 120.

وبعد انحسار هذا الفيضان سادت فترة قارية أقل جفافا من فترات الانحسار السابقة حيث يبدو أن الأمطار كانت فيها جيدة، وكان لنهر السينغال فيها نشاط قوي، وتعددت فيها البحيرات في ما بين أربعين ألف سنة وعشرين ألف سنة قبل الآن، مما مكن السكان من أصحاب الأدوات الآشولية والعطرية وغيرها من التوغل جنوبا باتجاه النهر والاستفادة من هذه الظروف الملائمة للحياة.

ثم تلت هذه الفترة الرطبة الأولى فترة قحط طويل تسمى الفترة العقلية امتدت من عشرين ألف سنة إلى اثنتي عشرة ألف سنة سابقة، حيث قطعت الكثبان الرملية نهر السينغال من وراء كيهيدي. وخلال هذه الفترة اختفى الإنسان من هذه المنطقة بسبب الجفاف. ثم تلت ذلك فترة رطبة جدا بين عشر آلاف وسبع آلاف سنة قبل الآن عرفت بالعصر الحجري المتوسط (العهد الميزوليتي) مكنت الإنسان من السكن مجددا في الصحراء، حيث جاء السكان أولا من الشمال، ثم من الجنوب بعد ذلك، لكن الحضور البشري لم يصبح كثيفا في البلاد إلا بعد الألف السابعة قبل الآن، باستثناء منطقة الزويرات التي وجدت فيها آثار بشرية وحيوانية معتبرة تعود إلى تسع آلاف سنة من الآن.

3- الحجري الجديد:

تعود أقدم التأريخات الخاصة بالعصر الحجري الجديد في غرب الصحراء خارج بلاد شنقيط إلى نهاية الألف الثامنة قبل الآن، أما في بلاد شنقيط فإن أقدم تأريخ سجل للعصر الحجري الجديد حتى الآن كان في بداية الألف السابعة قبل الآن شرق انواذيبو. وإذا كانت بعض المواقع في العصر الحجري الجديد تظهر في الغالب ءاثار تجمعات سكنية محدودة أو خاطفة على نمط حياة القناصة الرحل، فإن مواقع كثيرة أخرى تعطي الانطباع بأن حياة مستقرة ومتطاولة قد ظهرت في الأزرق جنوب الزويرات، وفي منطقة البيظ، وفي كدامه شمال ولاته، وحمدون جنوب أطار، وفي آدرار عموما. وتوجد في منطقة الزويرات وفي شمال البلاد في اتجاه بير ام اگرين آثار لحياة متميزة، ولا شك في أنها

سابقة على الحجري الجديد، لكنها مختلطة غالبا بآثاره خاصة حول الأزرق والحمامي، ففي هذه المنطقة كانت توجد في بداية الهولوسين بحيرة كبيرة جذبت الكثير من الحيوانات والناس كما تدل على ذلك آثار الخطى البشرية المكتشفة في طين الأزرق، والتي تعود إلى 9120 (-+310) سنة قبل الآن. وقد ظلت هذه البحيرة على قدر كبير من الأهمية حتى أواسط الحجري الجديد.

ومن أهم مميزات الحجري الجديد في البلاد قيام حضارات أساسها الصيد البحري على الشاطئ الأطلسي بين انواذيبو واندر (سينت الويس)، حيث اصطاد الناس الأسماك وأنواع المحار الذي ما تزال آثاره قائمة، واستخدمت الشباك في صيد الأسماك. أما المعدات فيميزها التنوع سواء تعلق الأمر بالأواني الخزفية أو بالأدوات الحجرية التي تشمل الفؤوس والخراطات والمحكات والمثاقب والحراب وآلات الطحن. وكان الخرز والأنواط والأساور كثيرة، وهي إما من الحجارة أو من المحار أو من بيض النعام، حيث كان يدفن الموتى مع قلائد من الخرز المصنوع من المحار البحري وبيض النعام، وقد يدفن معهم جميع ما لهم من الحلي والأدوات[28].

وقبل ست آلاف سنة من الآن كان الشاطئ كله ءاهلا بالسكان، كما كان كل الجزء الشمالي من البلاد مأهولا. ثم عم الوجود البشري كافة أنحاء البلاد قبيل خمس آلاف سنة من الآن، حيث كانت البحيرات التي لا تزال تخترق مختلف أنحاء البلاد موجودة، وتحتوي على الأسماك، ويوجد على ضفافها سكان يمتهنون الصيد والقنص، حيث مارسوا تربية الدواجن والمواشي. وقد جف جل هذه البحيرات الآن مخلفا وراءه أخاديد عميقة في الوديان التي زحفت الرمال فطمست معظمها[29]. وتراجع الوجود البشري -مع تدهور المناخ والقحط الذي بدأ مع أربع آلاف وثمانمائة سنة قبل الآن-

---

[28] بوبه بن محمد نافع وروبير فيرني، الأركيولوجيا الموريتانية في متحف انواكشوط، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط 2001، ص5-7.

[29] كابرييل كامب، البربر الذاكرة والهوية، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، نشر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2005، ص85.

إلى شمال خط العرض 23 شمالا، واشتد مع أربع آلاف ومائتي سنة قبل الآن، قبل أن يخف. أما جنوب خط العرض 20 شمالا، فإن تأثير الصحراء ظهر مع وجود مجموعات تصنع خزفا ذا قاع مخروطي في منطقة انواكشوط بين 3900 و3400 سنة قبل الآن.

وبتحرر إنسان الحجري الجديد من الحاجة إلى الحجارة أخذ يستقر في مناطق كان الاستقرار فيها محظورا عليه أثناء العصر الحجري القديم، فأكمل احتلال كل المجال الشنقيطي، وتنوعت نشاطاته بين القنص، والتنمية، وصيد الأسماك والمحار، بل تعدتها إلى الزراعة التي مارسها أهل منطقة تيشيت قبل ثلاث آلاف سنة من الآن، وتربية الأبقار، والماعز، والدواجن، والخيول، والحمير.

وقد مثلت ثقافة تيشيت التي نشأت قبل أربع آلاف إلى ثلاث آلاف سنة من الآن، نموذجا للتطور الذي حصل في العصر الحجري الجديد، حيث أظهرت الدراسات أن القرى في هذه المنطقة (400 قرية مشيدة بالحجارة وموزعة بين الجرف والسهل) كانت مرتبطة بطريقة توحي بوجود تنظيم سياسي، ربما يرقى إلى مستوى إمارة أو مملكة. ولا بد أن ثقافة تيشيت كانت حتى ظهور مملكة آوكار (حوالي 300م) التي انبثقت عنها مملكتا أودغست وغانه أرقى ثقافة شهدتها بلاد شنقيط من حيث التنظيم السياسي، منذ وجد الإنسان بها، فقد كانت ثقافة تيشيت تفضل كثيرا ثقافة بوحديدة التي اشتهرت بعد ذلك بعدانة نحاس أكجوجت، وثقافة تن محم حول انواكشوط التي اشتهرت بالتنمية والصيد، فضلا عن ثقافات كل من تگانت وآدرار وغيرهما. ويعتقد أن المجموعات البشرية لثقافة تيشيت التي تقدر بعشرات الآلاف من السكان، والتي مثلت قوام هذا التنظيم السياسي الذي امتد على طرفي الجرف المطل على الحوض، بين تگانت والنعمه قد قدمت من الشمال تحت وطأة القحط الذي بدأ قبل 4 آلاف سنة[30].

[30] بوبه بن محمد نافع وروبير فيرني، الأركيولوجيا الموريتانية في متحف انواكشوط، مرجع سبق ذكره، ص8.

وأدى فيضان المحيط الأطلسي النواكشوطي الذي حدث خلال الفترة من سبع آلاف إلى أربع آلاف سنة قبل الآن إلى إحداث خليجين أحدهما عند تفلي، والآخر في وادي نهر السينغال وقد وصل فيضان المحيط خلال هذا العهد إلى منطقة بوگي، ونشأ عنه الشاطئ الحالي لانواكشوط الممتد على مسافة عدة كيلوميترات من انواكشوط حتى رأس تيميريس شمالا، بينما يمتد جنوبا مع امتداد آفطوط الساحلي وهو تكوين رقيق السمك يبدأ من أسفل برمال دقيقة الحبيبات تليها من أعلى طبقات رقيقة متتالية من القواقع والرمال. وبانحسار المحيط الأطلسي بعد هذا الفيضان، اتخذ الساحل الشنقيطي سماته الحالية، وظهرت على أنقاض خليج تفلي القديم سبخة تندغمشه الطينية الحالية، وساد منذ ذلك الحين الطقس القاري الملائم لتكوين الكثبان الرملية، التي كان الفيضان التفاريتي الذي حدث خلال العصر الحجري القديم قد هيأ لظهورها، والتي من أكبرها وأهمها كثبان آزفال وآگشار[31]. أما دلتا نهر السينغال فقد ارتبط بثقافات الشاطئ، وقد مكنته الجسور الطبيعية الطمية والرواسب الدلتاوية والمنخفضات المتفاوتة المساحة والبحيرات خاصة بحيرتا اركيز واكيير اللتان كانتا ذات أهمية كبيرة في السابق من تعميق هذه الصلة والحفاظ عليها.

وقبل ثلاث آلاف سنة من الآن تناقصت الأمطار، فتقلصت الزراعة، وجفت الأنهار التي كانت تملؤ المنطقة، وتراجعت تنمية الأبقار فانتقل سكان هذه القرى إلى تگانت حيث تقروا قبل 2000 سنة من الآن، ثم نزحوا غربا، وجاء بعدهم البربر الرحل الذين أضافوا رسومهم الصخرية التي تروي صورا من صيد اللمط والنعام إلى رسوم من سبقوهم، لكن السكان الجدد لم يعيدوا إعمار البلاد إلا جزئيا[32].

وجلب القادمون الجدد إلى بلاد شنقيط في هذه الفترة معهم عادات ثقافية مختلفة تماما عما كان سائدا، فاختفى القوس لصالح الرمح والسيف والخنجر والدرع، وفي ذلك مؤشر على ظهور مجتمع ذي تقاليد حربية، وظهرت العربات ذات العجلتين أو

[31] نصر السيد نصر، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، مرجع سبق ذكره، ص120.

[32] المرجع نفسه، ص9.

العجلات الأربع التي تجرها الخيول أو الثيران. وفي هذه الفترة ظهرت في المنطقة الثقافة الجديدة، المتمثلة في عدانات النحاس والحديد، مثلما دلت عليه عدانات ازويرات وآدرار وأگجوجت وغيرها.

وفي حوالي ألفي سنة إلى ألف وثمانمائة سنة قبل الآن كانت الصحراء الكبرى شمال خط العرض 20 خالية نسبيا من السكان، باستثناء بعض أصحاب الواحات، أو بعض المنمين الرحل وبعض صيادي الأسماك ممن عاشوا فترة ازدهار هنا وهناك، كما هو الشأن في منطقة انواكشوط وفق ما يظهر من ثقافة تن محم في منطقة انواكشوط (2000 - 1600 سنة قبل الآن).

ودفعت التغيرات المناخية الشديدة التي تعاقبت في هذا العصر إلى إحداث واقع سكاني جديد، رافقه توغل بشري متعدد الأجناس، فتناقصت الأبقار والأغنام تحت وطأة اشتداد التصحر، بينما كاد ينقرض الفيل، ووحيد القرن، والزرافة، بعدما جفت البحيرات والبرك الموسمية، وأصبحت الموارد الرعوية شحيحة، وتأقلم السكان مع الظروف الجديدة بتحويل نشاطهم إلى تنمية المواشي الصحراوية خاصة الإبل، وزراعة الواحات، قبل أن يمد الصنهاجيون الملثمون القادمون بأعداد كبيرة من الجمال، من نواحي درعة، نفوذهم ووجودهم باتجاه صحراء بلاد شنقيط.

وبينما كانت الأجناس السكانية الشنقيطية الأولى تفسح المجال أمام القادمين الجدد من صنهاجة اللثام كان الساحل الإفريقي يزدهر، ويأخذ ملامحه التقليدية الحالية، حيث سيتمكن الزنوج السوننكيون الذين امتلأت بهم بلاد مالي وأعالي السينغال والنيجر من التوغل شمالا، ليصطدموا بالملثمين الذين استوعبوا أو حلوا محل معظم الأجناس السكانية القديمة للبلاد.

التاريخ القديم

الأجناس السكانية القديمة ببلاد شنقيط ومصيرها

1- ما قبل الملثمين:

مثلت الصحراء الشنقيطية خلال حقبة ما قبل التاريخ موئلا لشظايا بشرية متنوعة، عبرت أولى الأجيال المعروفة منها مضيق السويس قادمة من آسيا إبان الفترة العطرية[33] (العصر الحجري القديم)، وسارت بمحاذاة الشاطئ المتوسطي بعدما اختلطت بأفواج من سكان حوض الأبيض المتوسط ومن المصريين، حتى وصلت في نزحات متفاوتة إلى الشواطئ الأطلسية للمغرب الأقصى، ومنها انسابت إلى الصحراء، ثم أخذت في الانتشار ببطء إلى أن وصلت خلال الفترة الآشولية (العصر الحجري القديم) إلى ضفاف نهر السينغال. وقد توزعت هذه الأفواج البيضاء القادمة من الشمال في ما بين عشر آلاف إلى سبع آلاف سنة قبل الآن في مختلف أنحاء بلاد شنقيط التي كانت شبه خالية قبيل مقدمها بسبب القحط، مشكلة أساس أقدم الثقافات البشرية المعروفة في البلاد. وحسب موني الذي اعتمد على رسوم ونقوش وكتابات وقبور سبقت العهد الإسلامي، وجدت في أطلال مدينة أودغست وحولها، فإن السكان الذين كانوا يعمرون هذه المنطقة في أواخر العصر الحجري الجديد مرتبطون بسكان حوض الأبيض المتوسط[34]. ومن أهم الثقافات التي اشتهرت في هذا العهد ثقافة تيشيت، التي وجدت قبل ثلاث آلاف وخمسمائة سنة من الآن[35]، ونزحت قبل ألفي سنة من الآن من الحوض إلى تگانت قبل أن يضطرها القحط إلى النزول غربا باتجاه المحيط الأطلسي، حيث تميزت ثقافة تيشيت بتنظيم التجمع السكاني في المنطقة الصحراوية الساحلية، ولأول مرة، في أزيد من 400 قرية يضم بعضها مئات المنازل،

---

[33] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، 48.

[34] النافي بن الحسين، موريتانيا من عهد غانه إلى المرابطين، تاريخ موريتانيا فصول ومعالجات، انواكشوط 1999، ص7-35.

[35] راجع الفصل الذي سبق.

كما هو حال دخلت العتروس التي تضم أزيد من 600 منزل. وتحيط بمنازل كل قرية منها جدران عالية من الحجارة، وتشمل أكواخا ومخازن للحبوب، وحظائر للماشية. وتتميز هذه القرى بعمران واضح يتضمن الشوارع والساحات والأسوار الدفاعية. وفي إحدى هذه القرى اكتشف ممر محصن يتصل بالسهل ويؤدي إلى بئر، يشبه منشأة أقيمت في وادان بعد ذلك بألفي سنة[36].

وقد مثل سكان هذه الثقافات المذكورة أهم مصدر بشري للشعب الذي انتشر أجداده قبل ألفي سنة من الآن على طول الشاطئ الأطلسي الممتد من الساقية الحمراء شمالا إلى ضفة نهر السينغال جنوبا، مالئا كل الفضاء الواقع شمال وغرب وجنوب آدرار، وامتزج فيما بينه امتزاجا عميقا مشكلا أمة عرفت في المراجع العربية الوسيطة باسم قمنورية، وما زالت تعرف في التقاليد المروية للزنوج والبيضان المصاقبين لنهر السينغال حتى اليوم بگنورية أو گنار، فيقول الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: «وأرض قمنورية منها في جهة الشمال متصلة من غربيها بالبحر المظلم (المحيط الأطلسي)، وتتصل من جهة شرقيها بصحراء نيسر [المسوفية][37]، وعلى هذه الصحراء طريق تجار أهل أغمت (أغمات) وسجلماسة ودرعة والنول الأقصى إلى بلاد غانه وما اتصل بها من أرض ونقارة (ونگاره) التبر، وأما أرض قمنورية المذكورة فكانت بها مدن للسودان مشهورة وقواعد مذكورة، لكن أهل زغاوة (يقصد زغاي[38]) وأهل لمتونة الصحراء، الساكنين من جهتي هذه الأرض طلبوا هذه الأرض أعني أرض

---

[36] بوبه بن محمد نافع وروبير فيرني، الأركيولوجيا الموريتانية في متحف انواكشوط، مرجع سبق ذكره، ص8.

[37] ما بين قوسين أو معقوفتين توضيحات من طرفنا.

[38] الذي كان يوجد في جهة گنار الجنوبية التكرور وليس زغاوه التي توجد بعيدا شرقا بالصحراء الواقعة شمال النيجر والتكرور كانت تسمى زغاي (زگاي) كما نقل ابن خلدون الذي قال: «أخبرني الشيخ عثمان فقيه أهل غانه، وكبيرهم علما ودينا وشهرة، قدم مصر سنة تسع وتسعين [وسبعمائة] حاجا بأهله وولده ولقيته بها، فقال: إنهم يسمون التكرور زغاي ومالي أنگاريه». ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المجلد6، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 373. انظر، المختار بن گاگيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، ط1، 2007، ص71- 72.

قمنورية حتى أفنوا أكثر أهلها وقطعوا دابرهم وبددوا شملهم.. وأهل بلاد قمنورية فيما يذكره التجار يدعون أنهم يهود، وفي معتقدهم تشويش، وليسوا بشيء ولا على شيء، ولا ملك فيهم ولا ملك عليهم، بل هم محونون من جميع الطوائف المجاورين لهم المحدقين بأرضهم[39]».

وكان لأهل گنورية –يضيف الإدريسي- «مدينتان عامرتان اسم إحداهما قمنورية (گنورية)، واسم الأخرى نغيرا (تغيرا عند ابن سعيد[40])، وكانت هاتان المدينتان تحتويان على أمم من القمنورية وبشر كثير، وكان لهم رؤوس وشيوخ يدبرون أمرهم، ويحكمون في مظالمهم وما وقع بينهم.. وبين بلاد قمنورية وبلد سلي (قرب مقامه الحالية على ضفة النهر) وتكرور (بين الگوارب (روصو) وكيهيدي على الضفة) طرق مجهولة الآثار، دارسة المسالك، قليلة السالك، ماؤها غائر، وعلامتها خفية.. بين قمنورية وسلي وتكرور مسير ستة عشر يوما (نحو 332 كلم) ومن نغيرا إلى سلي نحو من اثني عشر يوما (حوالي 244 كلم)، وكذلك منها إلى بلد أزقي (آزوگي) من بلاد لمتونة اثنتا عشرة مرحلة (حوالي 244 كلم)، وماؤها قليل يتزود لقلته من حفر يحتفرها السالكون المجتازون بتلك الأرض. وفي بلاد قمنورية جبل مانان ويتصل بالبحر المحيط وهو جبل منيع عالي الذروة أحمر التربة، وفيه أحجار لماعة تعشي البصر إذا طلعت عليها الشمس، لا يكاد الناظر ينظر إليها لشعاعها وبريق حمرتها وفي أسفله ينابيع بالماء العذب يتزود ويحمل في الأوعية إلى كل جهة[41]». وذكر ابن عبد المنعم الحميري في الروض جبل مانان هذا[42]، بينما تحدث ابن خلدون عن أرض گنورية في مقدمته بقوله: «الإقليم الثاني وهو متصل بالأول من جهة الشمال، وقبالة المغرب منه في

---

[39] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1983، ص38.

[40] سيأتي ذكره قريبا.

[41] المرجع نفسه، ص15-17.

[42] ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، طبع مؤسسة ناصر، 1980، ، حرف القاف، ج1، ص234.

البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها. وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الأعلى منهما أرض قمنورية، وبعدها في جهة الشرق أعالي أرض غانه، ثم مجالات زغاوه من السودان. وفي الجانب الأسفل منهما صحراء نيسر متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجة[43]». وذكر ابن سعيد المغربي في كتابه صورة الأرض مدينة گنار الثانية تغيرا (نغيرا عند الإدريسي) ووصفها بأنها قاعدة بلاد گدالة[44].

وكانت گدالة قد وصلت إلى أرض گنار لأول مرة سنة 25 ق.م إبان فرارها من الحملة الرومانية المتحالفة مع الملك البربري يوبا الثاني، ثم هيمنت على گنار إبان قيام دولة انبته (الأنباط)، ولم تزل تضطرهم إلى التخلي عن مواطنهم، والنزوح جنوبا حتى «أفنتهم الأيام، وتوالت عليهم الفتن والغارات من جميع الجهات، فقلوا في تلك الأرض (إبان العهد الصنهاجي)[45] وفروا عنها واعتصموا في الجبال، وتفرقوا في الصحاري، ودخلوا في ذمة من جاورهم، وتستروا في أكنافهم، فلم يبق من أهل قمنورية إلا قوم قلائل متفرقون في تلك الصحاري، وبمقربة من الساحل (شاطئ الأطلسي) عيشهم من الألبان والحوت، وهم في نكد من كد العيش وضيق الحال، وهم ينتقلون في تلك الأرض مع مهادنة من جاورهم ويقطعون أيامهم مسالمة إلى حين[46]».

واعتنق أهل گنار الإسلام بعد الفتح المرابطي، وعاشوا في وئام مع جيرانهم. وكانت لهم قصور كثيرة في المنطقة، كان أغلبها موجودا في الأماكن الصالحة للحراثة.

واندمج في گنار عدد من المجموعات التي نزحت لاحقا إلى بلادهم كأغرمان والزنوج وإيزگارن الذين آووا إليهم وسكنوا بين أظهرهم. ومع سقوط الدولة المرابطية

---

[43] ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر، 1984، ص52.

[44] ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص85.

[45] ما بين قوسين توضيحات من طرفنا.

[46] الإدريسي، مرجع سبق ذكره، ص45-46. وربما كان هؤلاء هم أسلاف مجتمع إيمراگن الحالي الذي يعيش بالمنطقة نفسها، ويتوارث مهنة صيد الأسماك.

وازدهار دولة التكرور نشطت التجارة فكثرت عمارة أهل گنار من جديد وعادت قصورهم إلى الظهور على طول طرق القوافل المتجهة من آدرار إلى بلاد التكرور، قبل أن يعبر أغلبهم نهر السينغال ويذوب في زنوج ما وراء النهر خلال فترة السيبة التي اجتاحت البلاد إبان مقدم بني حسان إليها.

وقبل ثمانية آلاف إلى سبع آلاف سنة قبل الآن ظهر الاتيوبيون في هذه البلاد[47]. والاتيوبيون قبائل بيضاء قدمت من الشمال وغلب على بشرتها الاحتراق، فأطلق عليها اليونانيون الذين احتلوا قرطاج قبل مقدم الفينيقيين اسم الاتيوبيين، ومعنى الاتيوبيين عندهم "ذوو البشرة المشتعلة"[48]. وقد كتب سيلاكس في القرن4 قبل الميلاد عنهم فعرفهم بأنهم السكان المجاورون لجزيرة سرنه (بوادي الذهب شمال الصحراء الشنقيطية)[49]، ووصفهم باسترسال شعر الرأس واللحية، وذكر أنهم من أجمل الناس، وأنهم طوال القامة، وأن قاماتهم تصل في أقل تقدير إلى أربعة أذرع[50]. ويذكر اگزيل أن لاتينيين كتبوا في بداية العصر المسيحي من أمثال ميلا وبلين وبطليموس أشاروا إلى اتيوبيين وصفوهم بالبياض في الصحراء[51].

وهؤلاء الاتيوبيون هم الإيزگارن (إثگرن) الذين وجد الملثمون أمامهم في بلاد شنقيط، وما زال صداهم موجودا في التقاليد المروية للبيضان حتى اليوم[52]، حيث تعني كلمة إثگرن عند الصنهاجيين الحمر أو محترقي اللون، وهو نفس ما كانت تعنيه كلمة الاتيوبيين عند اليونانيين.

---

[47] جورج گابرييل، البربر الذاكرة والهوية، مرجع سبق ذكره، ص98.

[48] المرجع نفسه، ص99.

[49] ما بين القوسين توضيح من طرفنا.

[50] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص51. وهذا الوصف يبين أن الاتيوبيين ليسوا هم الزنوج، كما توهم ذلك عدد من الدارسين.

[51] المرجع نفسه، ص51.

[52] ما زال صدى إيزگارن موجودا حتى الآن في لهجة البيضان الشناقطة المعروفة بالحسانية، حيث تطلق كلمة آزگير على العبد الذي تعود أصوله إلى إيزگارن، أو على العبد الأحمر مطلقا.

وقد اندمج الإيزگـارن (إثگـرن) الـذين مـروا بعمليـات تهجـين مختلفـة مـع البـيض القادمين من الشمال والسود القادمين من الجنوب في التجمعات الزناتية التي وصـلت إلى المنطقة قبل وصول صنهاجة، واكتسبوا لغتهم وثقافتهم.

واشتهر هؤلاء الإيزگارن في بلاد شنقيط بممارسة الزراعة. وكـان مـن يمـارس الزراعـة منهم في الوديان وفي الواحات يدعى بالحراطين (أهرضنن) اسمهم البربري المشـتق مـن نحلتهم، فمعنى الأهرضنن (الحراطين)[53] الذين يزرعون البساتين.

وقد عرفوا الإسلام خلال القرن الثاني للهجرة، وظهر فيهم المذهب الخارجي الأباضـي الذي وصل إلى بلاد شنقيط عن طريق مجموعات قبائل هوارة الـتي نزحـت إلى الـبلاد، وبعض التجار التاهرتيين الـذين كـانوا يجوبـون المنطقـة، بينمـا اعتنـق إخـوانهم مـن إيزگارن (الحراطين) الـذين بنـوا سجلماسـة (سـنة 140هــ/ 57-758م) المـذهب الخارجي الصفري. ورغم أنهم مزارعون في الأصل فقد شاركوا في تسيير التجـارة بـين أودغست وسجلماسة، وبين أودغست وبافور آدرار وأهل گنار، كما سيروا مع إخـوانهم من خوارج تاهرت الأباضيين التجارات إلى غانه والتكرور عبر آدرار[54]، وقـاموا ببنـاء مدينة آبير بآدرار حوالي سنة 160هـ/ 778م، التي فر إليها منـهم خلـق بعـد سـقوط أودغست في أيدي الملثمين، وسـاهموا في تـرويج المـذهب الخـارجي بـين قبائـل بـافور وگنار. وقد انتشر هؤلاء الحراطين في المناطق الصـالحة للزراعـة جنـوب وغـرب آدرار، وبنوا عددا من السواقي العجيبة تشبه السـواقي الـتي كـان حـراطين زناتـة يبنونهـا في سجلماسة في تلك الفترة، وتسمى هذه السواقي بالصنهاجية أوچگن، ومنها اسم قريـة آوليگات الحالية (70 كلم شرقي انواكشوط) التي كانت من سواقيهم، أصلها أولگـن

---

[53] تستخدم كلمة الحراطين في لغة البيضان اليوم للدلالة على الأرقاء السابقين، لأن العبيد في الغالب سود، وكذلك الحراطين الذين فارقوا حمرتهم مع الزمن لصالح السواد، فتغير مفهوم الحراطين خلال العصر الوسيط ليشمل كل أسود حر من هذا المجتمع –فلا يدخل الزنوج في هذا المفهوم- وصار كل عبد ينال حريته يصبح حرطانيا على هذا الأساس. وسيأتي مزيد من بسط هذا الموضوع عند الحديث عن التقسيم الوظيفي للمجتمع في فصل ملامح سكانية جديدة من هذا الكتاب.

[54] حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، وزارة الأوقاف المغربية، 1997، ص67.

(النطق الحساني لأوچگن) كما ذكر ابن أحمد يوره في كتابه الآبار بقوله: «أوچگن (التي هي آوليگات) جمع أوچگ لأن هنالك قليبا من حفر السوادين الأول، منها موضع الساقية التي احتفروها قديما وأطلعوا منها الماء فصار يغترف منها القائم والقاعد بلا حبل ولا دلو، ثم لعب بها الزمان ومشى عليها فلم يبق منها أثر ولا عثير[55]». وكان لهؤلاء الحراطين مزارع كبيرة في المنطقة منها مزرعة اندوگچن (اندوگلي) الواقعة إلى الشرق من آوليگات، اشتق اسمها من البساتين. وأما ما كان إلى الغرب من آوليگات فلم يحرثوه، وأطلقوا عليه اسم آمكرز، ومعنى آمكرز في اللغة الصنهاجية الأرض التي تسبب الندم لمن يقوم بحراثتها[56].

وقد ذكر ابن حوقل (ق4هـ) هؤلاء الإيزگارن ضمن قبائل الخوارج التي كانت منتشرة في المنطقة. ولم يزالوا معروفين في بلاد شنقيط باسمهم السلالي (إثگرن) حتى مقدم بني حسان، حيث ذكرهم البرتغالي فرناندس -الذي تحدث عن البلاد في ما بين 913هـ و914هـ/ 1506م و1507م- كإحدى الفئات الثلاث التي يتكون منها المجتمع الشنقيطي آنذاك (العرب، أزناگه، إثگرن)[57].

وقد والى الإيزگارن الذين لم يتفرقوا في القبائل أو يعبروا النهر قبيلة گدالة التي كانت تتقاسم معهم قبل الدعوة السنية لإمام المرابطين عبد الله بن ياسين الولاء للخوارج، ثم والت بقيتهم بعد الاجتياح الحساني للمنطقة المغافرة، وبالأخص البراكنة، حيث سيؤدي الاجتياح الحساني إلى تلاشيهم واندثارهم.

ومع بداية القرن 8 قبل الميلاد أخذت مجموعات يونانية ثم فينيقية وقرطاجية تتوغل في بلاد المغرب، وقد وصلت إلى بلاد شنقيط واستوطنتها منها جاليات متناثرة. ثم أدت رحلة الملك القرطاجي حنون (480 ق.م) التي كان يرمي من ورائها إلى البحث عن ذهب بلاد السودان إلى توطين مجموعة كبيرة من البونيقيين في بلاد شنقيط تركهم

---

[55] محمد بن أحمد يوره، كتاب الآبار، تحقيق أحمدو ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1990، ص54.

[56] المرجع نفسه، ص38. وص40 حيث قال: ومعنى آمكرز: سبب الندامة، لقلة الحرث فيه، وخبث الماء غالبا.

[57] راجع نص فيرناندس في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب.

حنون لإعمار الصحراء[58]، وتنظيم التجارة بين قرطاج والسودان الذي يجلب منه الذهب وريش النعام عبر السواحل الشنقيطية، فنشروا لغتهم وثقافتهم بالمنطقة.

وجلب هؤلاء الوافدون إلى بلاد شنقيط ديانتهم الوثنية التي أصبحت أهم ديانة في المنطقة، كما جلبوا إليها كتابة تدعى التيفناغ أو كتابة شبيهة بها (انظر الشكل[59]) تكتب من اليمين إلى اليسار ومن الأعلى إلى الأسفل، ويسمي البيضان هذه الكتابة المنتشرة ببلاد شنقيط على الجدران والجبال والمقابر بالخط السرياني[60]. وما زالت معظم رموز هذا الخط الذي اعتنى به المؤرخان المختار بن حامدن وتيودور مونو[61] عصية على الحل، فهو يختلف عن خط التيفناغ المقروء والمنتشر في المناطق المجاورة، ويشبه هذا الخط الكتابة المسماة في بعض الدراسات بالكتابة الكوانشية نسبة إلى قبائل بربرية قديمة هاجرت إلى جزر الكناري وتعرف اليوم بقيتها بـ"الكوانش"، وهي قبائل يعود أصلها إلى قبيلة گدالة[62]، وقد وجد

---

[58] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، مطبعة العمل، تونس، 1959، ص132.

[59] نقلا عن تيودور مونو، تيودور مونو، كونتريبيسيون آليتيد دو ساهارا أوكسيدانتال، اگرافير، ابينتير أي إينسيكريبسيون ريبيستر، ليبريري لاروز 1938.

[60] خط آرامي قديم شائع في الموروث الإسلامي التقليدي.

[61] تيودور مونو، مرجع سبق ذكره.

[62] مصطفى أعشي، جذور الكتابة الامازيغية، من أجل ترسيم أبجدية تيفيناغ لتدريس الأمازيغية، منشورات آ أم أه أر سي، الرباط، 2002 ص9-32.

هذا الخط في الأماكن التي كانت تسكنها گدالة أو أغرمـان. وقـد شـرح الشـيخ محمـد المامي (تـ1282هـ/ 1865م) رموز هذا الخط في منظومة حسانية نقلها مونـو (انظـر الشكل[63]).

وظلت الآثـار الفينيقيـة والبونيقيـة ماثلـة للعيـان حـتى بدايـة العهـد الوسيط، حيـث ذكـر اسـترابونه أن بالصـــــحراء (في القـــــرن الأول للميلاد) بقايـا مؤسسـات فينيقيـة، وأن الفاروزيين والسود دمروا أكثـر من ثلاثمائة قريـة بناهـا الفينيقيـون هناك[64].

وأدى الغـزو الرومـاني (204ق.م) لبلاد البربر إلى تسـرب مجموعـات رومانية عبر الصحراء، ووصل بعض هـذه المجموعـات إلى بـلاد شـنقيط حيـث ذاب في التشكيلات المهيمنة في البلاد. وتتفق الإشارات التاريخية القديمة على أن أبـا بكـر بـن عامر المرابطي وجد في آدرار أثناء فتحه له جالية رومانية مسـيحية بيضـاء[65]. وتتحـدث المصادر التاريخية عن بئر قديمة توجد جنوب شرق انواكشوط الحالي كانت تـدعى "تـن ورمي" أي (بئر الرومي)[66]، ولا يعرف إلى أي عهد تعود تسميتها.

---

[63] نقلا عن تيودور مونو، مرجع سبق ذكره.

[64] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص67.

[65] والد بن خالنا، ورقات في أنساب الصحراء، مخطوط نسخة يحي بن البراء، وأحمد بن حبت، ورقات في التاريخ، والشيخ محمد المامي، جمان البادية.

[66] ابن أحمد يوره، كتاب الآبار، مرجع سبق ذكره، ص18.

وقد تم حتى الآن اكتشاف أربع قطع نقدية رومانية في البلد، قطعتان منهما فضيتان إحداهما تعود للقرن الأول قبل الميلاد والأخرى تعود للقرن الميلادي الأول اكتشفهما الملازم زيگلير سنة 1952م (71-1372هـ) جنوب غسرمت (شرقي أگجوجت). أما القطعتان الأخريان فاكتشفت إحداهما في تامكررت بينما اكتشفت الأخرى شمال انواكشوط، وتحملان صورة الامبراطور الروماني ألكسندر سيفير (222م- 228م)[67].

وتتالت النزحات خلال هذه الفترة من العهد الفينيقي إلى العهد الروماني على بلاد شنقيط قادمة من المغرب العربي، أو من حوض الأبيض المتوسط، فتحدث هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) عن مجموعات تعرف بالنازامونيين، وذكر أن أفرادا منها قطعوا الصحراء، وواصلوا رحلتهم باتجاه الجنوب إلى أن «وصلوا إلى نهر كبير يقطن بالقرب منه أناس قصار سود يجهلون لغتهم[68]»، وتحدث سالوست عن مجموعات من الموريين توغلوا في الصحراء، وذكر أن الموريين في الأصل خليط من الماديين والأرمن، وغيرهم من الأوروبيين والآسيويين امتزجوا باللوبيين على ضفاف البحر المتوسط، وتحدث استرابونه عن قبائل الفاروزيين (الفرس) الذين كانوا يجوبون الصحراء مع بداية التاريخ الميلادي وذكر أنهم كانوا يمتلكون عربات مسلحة، وأنهم هم المسؤولون عن تدمير الكثير من القرى الفينيقية بالصحراء. وكان هؤلاء الفاروزيون في القرن الأول للميلاد جيرانا للگيتوليين (گدالة) كما ذكر ابلين لانيينه[69]. وكانوا يراقبون مسلكا يخترق البلاد ويصل إلى نهر السينغال قبل أن يختلطوا بقبائل گدالة، وهؤلاء الفاروزيون هم الذين جلبوا العربات التي سبقت عربات قبائل أغرمان والتي اكتشفت آثارها على طول الطرق التي كانت تسلكها من آدرار شمالا مرورا بتگانت ثم ظهر تيشيت وولاتة باتجاه نهر النيجر، وفي أماكن أخرى متفرقة من بلاد شنقيط.

---

[67] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، طبعة دار الغرب الإسلامي، 2000، ص36.

[68] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص52.

[69] المرجع نفسه، ص53.

وخلال هذه الحقبة كانت قبائل من الأستوريين والمارماريديين والمازيقيين تشكل إضافة إلى النازامونيين حزاما قبليا منتشرا بالتخوم الصحراوية، وتوغلت بعض مجموعات هذه القبائل في حقبة من الحقب التي عاصرت العصور المسيحية الأولى في بلاد شنقيط[70]. ونقل استرابونه عن آرتمديور أن أقواما يدعون لوتوفاج هاجروا من شمال إفريقيا واستقروا في المنطقة التي لا ماء فيها وأصبحوا يعيشون على الأزهار والأعشاب وجذور الأشجار، وكانوا يستعيضون عن الشرب بامتصاصهم لتلك الجذور[71].

وخلال القرون المسيحية الأولى أخذت مجموعات سكانية مختلفة الأصول تنشط عند التخوم الجنوبية والجنوبية الشرقية لبلاد شنقيط، فمن ناحية مصب نهر السينغال تلاقت مجموعات مختلفة تكون منها شعب التكرور الذي سيرجع إليه الفضل لاحقا في قيام دولة التكرور المسلمة المعاصرة لدولة المرابطين (ق5هـ/ 11م). وأساس شعب التكرور خليط من قبائل الليبو البيضاء القادمة من مصر عبر ليبيا وقبائل السيرير والسوننكي السوداء التي قدمت إلى البلاد من الجهتين الشرقية والجنوبية، مع من انضاف إليهم من مجموعات المنطقة البربرية (كبافور وأغرمان وغيرهم)[72]. وتتحدث المراجع الوسيطة عن هذا الشعب الذي كان يعرف أيضا باسم شعب مغزاره، إذ تحدث كل من الإدريسي وابن سعيد عن مغزاره (كتبها الإدريسي بالقاف، وابن سعيد بالفاء) بوصفها هي بلاد التكرور أو بعضا منها أو قسما من شعبها، ومعنى بلاد مغزاره في لغة أهل غانه بلاد ذهب زاره، وزاره منطقة معروفة بين انيور وولاته، فقال الإدريسي: «وفي هذا الجزء الذي رسمناه من المدن آوليل وسلي وتكرور وبريسي ودو

---

[70] سيدي عبد الله بن المحبوبي وبباه محمد ناصر، المجال والسكان، موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، مرجع سبق ذكره، ص13-31.

[71] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص52.

[72] عبد الرحمن با، التكرور ديزوريجين آلا كونكيت ابار لومالي (التكرور من الأصول إلى السيطرة المالية)، 2002، المطبعة الجديدة، انواكشوط، ص37-65.

ومورة، وهذه البلاد من أرض مقزارة السودان[73]». وقال: «وبلاد لملم تتصل من جهة المغرب بأرض مقزارة ومن جهة المشرق بأرض ونقارة (ونگاره) ومن جهة الشمال بأرض غانة ومن جهة الجنوب بالأرض الخالية وكلامهم كلام لا يشبه كلام المقزاريين ولا كلام الغانيين[74]». وقال ابن سعيد: «وأول ما يلقاك على غربي النيل من مدائن التكرور مدينة قلنمبو وهي قرية مشهورة، وكانت في زمن أبي عبيد البكري للكفار وأما في عصرنا فما على شاطئ النيل من بلاد التكرور مدينة إلا وقد دخلها الإسلام. وجميعها لسلطان التكرور، وقاعدتها على جانبي النيل اسمها تكرور، فبها عرفوا، ونسلهم يقال له مفزارة (مغزاره). وهم قسمان قسم يحضر ويسكن المدن، وقسم رحالة في البوادي وأكثر مجالاتهم في جانب النيل الشمالي وهم في الجنوب قليل[75]».

وسيساهم شعب التكرور لاسيما الليبو والسيرير والعنصر البربري الأغرماني والبافوري لاحقا في قيام شعب الوولوف الذي يوجد عمقه في السينغال المجاور.

وخلال العصر الوسيط اختلط التكرور بعنصر الفلان الذي سيتشكل بعد مقدم الإسلام، والذي تعتقد الروايات الفلانية أنه وليد امتزاج زنجي أموي تعود أصول العنصر الأموي فيه إلى حاميات الفتح الإسلامي التي عسكرت بالصحراء خلال القرن الثاني للهجرة (8م) واشتهرت في غانه بالهنيهين وفي التكرور بالفامان، وتحدث عنها البكري بقوله: «وببلاد غانه قوم يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه إلى غانه في صدر الإسلام. وهم على دين أهل غانه إلا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم، فهم بيض الألوان حسان الوجوه، وبسلى أيضا قوم منهم يعرفون بالفامان[76]». ويعتقد، كما قال المختار بن حامدن، أن هؤلاء الهنيهين هم

---

[73] الإدريسي، مرجع سبق ذكره، ص9. وهو يتحدث عن آوليل في عهد انحسرت فيه السلطة الصنهاجية وامتدت هيمنة التكرور على آوليل.

[74] المرجع نفسه، ص12.

[75] ابن سعيد، مرجع سبق ذكره، ص6.

[76] البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص384.

الهنهنبه الموجودون اليوم في الفلان[77]. وهناك من ينسب الفلان إلى أصول حميرية أو قبطية أو كنعانية، أو بربرية، أو حتى إلى أصل هندي أو فينيقي أو روماني[78]، أو مزيج من كل ذلك أو بعضه، فالشيخ موسى كمرا يقول: «غالب الفلان من البيضان البرابرة[79]»، ويقول: «تواترت الأخبار بأن كثيرا من البياضين، وكثيرا من التكرور وأهل فوته أصلهم من البربر.. وفي فوته صنهاجيون أولاد يحيى بن إبراهيم (الگدالي)[80]»، بينما يقول الشيخ عبد الله فوديي «أن أهل فوته أصلهم من الروم[81]»، ويقول السلطان محمد بلو: «أما الفلانيون فأصلهم مزيج: أمهم من توروبه، وهي من قبائل الروم، وأبوهم عربي هو عقبة بن نافع الصحابي[82]».

---

[77] المختار بن حامدن نقلا عن بعض مؤرخي الفلان. والباء الأخيرة في الهنهنبه للإضافة في لغة الفلان وليست من الإسم الأصلي كما بينه موسى كمرا في كتاباته التاريخية عند سرده لتفريعات قبائل الفلان.

[78] الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية، مخطوط، ص8-30. وانظر مؤلفات محمد بلو وعبد الله بن فودي وغيرهما من مؤرخي هذه الطائفة.

[79] الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس سرا وعلانية، مصدر سبق ذكره، ص18-20.

[80] المصدر نفسه، ص20.

[81] المصدر نفسه، ص158.

[82] محمد بلو في إنفاق الميسور، ومعنى توروبه في الأصل سكان فوتا تورو، مرقون، ص13. وهي الآن في الاصطلاح تعني أهل القرى والمدن شرط تعلمهم العلوم الإسلامية والتخلي عن الحرف المزرية عند أهل فوته، والتكلم باللغة الفلانية، ويقال فيه تورودو أيضا، سواء كان أصله فلانيا كجلبه أو بيضانيا في الأصل، وصار فلانيا باللسان والتمدن، أو سطو كأهل سارن وبوربي وسلنابي وغيرهم من سبي، ومعنى سطو وسبي السوداني من غير الفلان حيث هو، وأما فلو ويقال فيه فولبه فهو الفلاني البدوي المقيم على إصلاح الماشية، حسبما قال الشيخ موسى كمرا (انظر، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص159). وعند مؤرخي الفلان أن جدهم صحابي يدعى عقبة بن ياسر أو عقبة بن عامر بن معاذ بن مغيث بن فلان (ومنه اشتق اسم الفلان) بن سليم بن سعيد بن مرة (جد الرسول صلى الله عليه وسلم) جاء إلى هذه البلاد غازيا في جيش لعمرو بن العاص فلما وصلوا إلى بلاد الطور (تورو)، وفي رواية بلاد ماسنه أسلم أهلها طوعا، وحين أرادوا الانصراف قال ملك الطور لعمرو: اترك عندنا من جيشك من يعلمنا ويفقهنا في دين الإسلام، فترك لهم عقبة بن عامر، وقيل عقبة بن ياسر، وقيل عمار بن ياسر فتزوج بابنة ملك الطور واسمها بجمع فولدت له أربعة أولاد ذكور هم: دعتى جلو، ويي باري، وآس سوه، ورعبه باه، فلذلك كانت قبائل جلو وبري وسوه وباه هي أصل الفلان، فمن دعتى قبائل السونگاي (السونغاي)، ومن آس البعاوبيين ووراليه، ومن ويي وطابه وفرابه، ومن رعبه أورولبه ومنهم ياللبه ودينانكوبه. وقال الشيخ موسى كمرا: «يوجد هذا [الانتساب إلى فلان بن سعيد بن مرة] في التواريخ الواهية لفوتا تورو وفوتا جالون، فمرة جد الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له ولد اسمه سعيد، بل أولاده ثلاثة: تيم وكلاب ويقظة،

وأغلب الباحثين متفقون –وإن اختلفوا في عروبتهم- على انحدارهم من سلالة بيضاء قادمة من الشمال ما زالت تنعكس على ألوانهم النحاسية الفاتحة وأنوفهم المستقيمة وشفاههم الرقيقة وشعرهم المسترسل، ثم لم تزل تتوغل جنوبا حتى استقرت بنواحي نهر السينغال خلال القرن الهجري الثاني (8م) حيث اندمجت في المجتمع التكروري الذي توغل انطلاقا من الصحراء الشنقيطية في بلاد الزنوج، وامتزج معهم. ويعتقد أن اندفاع الفلان صوب نهر السينغال حدث في خضم الحركة البشرية التي نجمت عن احتلال الملثمين لأودغست بعيد قيام مملكتي سجلماسة وتاهرت، واستقلال السوننكيين بمملكة غانه، وازدهار التجارة بين شمال وجنوب الصحراء[83].

وعمار بن ياسر قتل في صفين بين علي ومعاوية ولم يدخل الغرب فضلا عن الطور (تورو)، وعقبة بن ياسر غير موجود في الصحابة، وعقبة بن عامر اثنان أحدهما بن عبس بن عمرو بن عوف بن عدي، أمره معاوية على مصر، والثاني بن نابي بن زيد بن حرام واستشهد في زمن الصديق ولا عقب له، والأقرب للصواب والأشبه أن يكون المتزوج لبنت ملك السودان عقبة بن نافع، كان ابن خالة لعمرو بن العاص والي مصر فاستعمله عمرو على إفريقية فانتهى إلى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى، ثم غزا في سنة اثنتين وأربعين غدامس، وفي السنة التي تليها افتتح ودانا وكورا من كور السودان، وأثخن في تلك النواحي، وكان له فيها جهاد وفتوح فظهر غناه وعرفت نجدته، فلما كانت سنة خمسين ولاه معاوية على إفريقية استقلالا، وبعث معه عشرة آلاف فارس فجاهد إلى أن استشهد ببلاد الزاب. ولم يدخل عقبة بن نافع فوتا تورو (الطور) إلا إذا قيل إن أصل فوتا تورو من البربر فيمكن ذلك، وأما أصل الطور فيمكن أن يكون مشتقا من الطور الذي في الشام فيقال بأنه كان مسكن أهل فوته من البربر والسودان فأجلاهم منها داود عليه السلام إلى المغرب، ويمكن أن يكون مشتقا من اسم القبيلة السودانية تورى بإمالة الراء». الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص142 - 159، والشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، منشورات معهد الدراسات الإفريقة، الرباط، 2001، ص142 - 147. بتصرف.

[83] بوبكر خالد باه، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص39. ويعطي بوبكر خالد باه لهذا الاندفاع الفلاني تاريخ 770م (153هـ)، بينما يذكر مخطوط قديم بجوزة شيرنوجاه (تـ1995 بكيهيدي) أنشودة فوتية قديمة مطلعها: «فوته ككمباري، دمگ كولومن، فرلو كاسي بيلي» تشير إلى حرب ضروس وقعت بين أمة السيرير وأمة الفلان القادمين من الشمال، وفي نهاية المطاف تم التصالح والتصاهر على أساس أن يترك حكم فوته لكومباري وذريته، في حين يستقل الفلان المحاربون القادمون من الشمال بالإقليم الواقع إلى الشرق باعتبار أنهم مؤسسون «قاطعون لأشجاره ومزيلون لعوائقه»، أما إقليم فرلو الواقع إلى الجنوب الغربي فكل من يقدر على حفر الآبار فيه فله حق السكنى والإقامة فيه. ويعتقد أن هذه الحرب قد تكون وقعت في عهد مملكة جاآ أوگو التي ظهرت خلال القرن الثالث للهجرة، وبهذا يكون عبور الفلان لنهر السينغال تم بعد التاريخ المذكور أعلاه بقرن على الأقل. بوبكر خالد باه، تاريخ الثقافة الأسلامية، مرجع سبق ذكره، ص103.

أما على التخوم الجنوبية الشرقية لبلاد شنقيط فقد أخذ شعب السوننكى يزاحم مع مطلع التاريخ الميلادي بقايا السكان ذوي الأصول المتوسطية الذين كانوا ما يزالون في المنطقة في ذلك العهد. ويعود أصل الشعب السوننكي، كشعوب المالنكى والديولا والبامبارا، إلى عنصر الماندينگ الذي يوجد عمقه اليوم ببلاد مالي المجاورة. وهذا الشعب هو الذي شكل الرافد البشري الأساس لمملكة غانه التي ستنشأ خلال القرن الثاني للهجرة (8م).

وقد تمكن السوننكيون الذين كانوا قبل مقدم الإسلام وثنيين ويهودا من التوغل إلى حدود آدرار حيث انتشروا في بلاد الحوض والعصابه وتگانت، ودارت بينهم وبين الملثمين حروب كثيرة قبل وبعد قيام دولة المرابطين أدت إلى تراجعهم إلى الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية التي دلفوا منها للبلاد.

وفي أواخر القرن الميلادي الأول (بين 81 و96م) انتشر في بلاد شنقيط شعب بربري أبيض قدم من ليبيا يدعى أغرمان، ثم شرع في تنظيم وحماية قوافل الذهب التي كانت تربط بين الجنوب السوداني والشمال الإفريقي الواقع تحت النفوذ الروماني. وقد أطلق الزنوج السوننكيون المقيمون حول معادن الذهب ببامبوك (مالي الحالية) وعلى الأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية لبلاد شنقيط على هذا الشعب الأبيض الذي استقر في بلاد شنقيط، وأصبح على احتكاك بهم اسم "السرغولي"، ومعنى "السرغولي" في اللسان السوننكي الرجال البيض أو موطن الرجال البيض[84].

وشكل هذا الشعب بعد مائتي سنة من مقدمه إلى بلاد شنقيط القوام السياسي والعسكري والإداري لتنظيم المملكة التي ظهرت في حدود 300م، وعرفت بمملكة آوكار، قبل أن تنقسم (خلال القرن الثاني للهجرة/ 8م) إلى مملكتي غانه السوننكية وانبته الصنهاجية. وبعد انقسام مملكة آوكار إلى مملكتي غانه وانبته، كانت من أغرمان السلالة المؤسسة لمملكة غانه[85]، قبل أن تذوب في العرق السوننكي. وقد اعتقد

[84] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص62.

[85] كما ذكر الخوارزمي، وسيأتي تخريجه قريبا.

دالافوس وعدد من الباحثين الغربيين أن الشعب الأبيض الذي تواطأ المؤرخون على أنه هو مؤسس مملكة غانه كان من يهود برقة[86]، لعدم عثورهم على ما يفيد بوجود بيض نافذين في المنطقة في ذلك العهد غير اليهود، لكن الخوارزمي (تـ سنة 236هـ/ 850م) يخبرنا في كتابه "صورة الأرض" أن هذا الشعب الأبيض الذي حكم غانه كان من أغرمنطين[87]، (القبائل الليبية التي تعرف بالغرامانت في بعض المراجع، وبأغرمان في بعضها[88])، وبهذا الاسم الأخير عرفوا عند البيضان في بلاد شنقيط، ومعنى عبارة أغرمان الحرفي في اللغة الصنهاجية الرومان الصغار (أغ+رمان) أما مدلولها فأتباع أو عبيد الرومان[89]، حيث كان الرومان يستخدمونهم في تسيير ومراقبة التجارة الصحراوية (خاصة تجارة الذهب) بين مملكة غانه جنوب الصحراء ومناطق النفوذ الروماني شمالها. وهم بيض كما أكدت ذلك الآثار التي عثر عليها المنقبون الإيطاليون في غرمة عاصمتهم، لكنهم ليسوا بيضا صرفا، بل كانت سحنتهم مائلة إلى الاحتراق[90].

وقد وصل أغرمان إلى بلاد شنقيط من ليبيا بانتداب من الرومان الذين قاموا بتسيير حملة وصلت إلى عمق بلاد شنقيط في ما بين 81م و96م، وبقي أغرمان في الأرض الشنقيطية لضمان أمن القوافل الرومانية. وكانوا يدينون شأنهم في ذلك شأن الرومانيين بالمسيحية، لكن مسيحيتهم كانت سطحية، حيث نقلوا معهم إلى بلاد شنقيط كثيرا من الطقوس والعادات الوثنية الفرعونية التي أخذوها عن المصريين. وقد

---

[86] أحمد الشكري، مملكة غانا وعلاقتها بالحركة المرابطية، معهد الدراسات الإفريقية، 1997، ص11.

[87] ذكر الخوارزمي في حديثه عن حكام غانه أنهم قوم يسمون أغرمنطين. نقلا عن ك.م. بانيكار في كتابه الوثنية والإسلام، ترجمة وتحقيق أحمد فؤاد بلبع، ص74. وقام المحقق بتخريج هذا النص من كتاب الخوارزمي صورة الأرض (تحقيق هانس فون مزيك، فيينا، طبع هولز هوزن 1926، ص101. وأضاف المحقق أن المقصود بالاغرمنطين شعب الغارمنطيس (الغارمانت) البيض.

[88] بهذا الاسم الذي هو المتداول في بلاد شنقيط سماهم عبد الله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط3، المركز الثقافي العربي، ص65. وهم معروفون في عدد من المراجع بالغارمانت (الگارمانت).

[89] يدعى الرومان بالصنهاجية أرمان، وأغ أداة تصغير. انظر، أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مخطوط، ص123.

[90] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص332.

تحول بعض الأغرمانيين إلى اليهودية بعد مخالطته ليهود ومتهودي المنطقة. وتناسل أغرمان وتمكنوا في الأرض بسبب ثرائهم وقوتهم الحربية، وكانوا يستخدمون العربات التي تجرها الخيول.

ولما توغل الملثمون في بلاد شنقيط خلال القرنين الميلاديين الرابع والخامس، إبان تراجع النفوذ الروماني، اختل النشاط الأغرماني القائم على خفارة قوافل الذهب التي كانت تتجه إلى الشمال، فتجافوا شيئا فشيئا عن المسالك التجارية التي كانوا يسيطرون عليها تحت وطأة ضغط الملثمين الصنهاجيين، ولجأ أغلبهم إلى السوننكيين فدخلوا فيهم، وانحازت منهم بقية إلى بافور وإيزگارن وگنار، فاختلطوا بهم واكتسبوا بذلك مع الزمن سحنة سوداء مطلقة[91].

ولما جاء الإسلام أسلم بعضهم على أيدي التجار الأباضيين الذين نشروا الإسلام في المنطقة، وأسلم آخرهم بعد الفتح المرابطي للبلاد.

وكان للأغرمانيين الذين ساكنوا أهل گنار قصور وعمائر ظلت قائمة إلى أن اضطرتهم فترة السيبة التي أعقبت دولة المرابطين إلى عبور النهر باتجاه السينغال[92].

وفي سنة 138م وصلت إلى بلاد شنقيط أول هجرة معروفة من اليهود قادمة من نواحي برقة، هربا من القلاقل التي نشبت في الامبراطورية الرومانية إبان عهد أنطوان الورع. وسرعان ما انخرطوا في تجارة الذهب التي كان يسيرها ويحميها أغرمان. وشكل التجار البرقيون وصاغة الذهب اليهود قوام الجهاز التجاري للمملكة التي أنشأها

---

[91] وبسبب هذه السحنة التي تميز أفرادهم عن باقي الجيش الروماني، وبسبب خدمتهم في هذا الجيش خلال وبعد حملته التي اخترقت بلاد شنقيط اكتسب مدلول لفظ اغرمان معناه الحالي في اللغة الصنهاجية، وهو عبيد الرومان، لدرجة أن سكان منطقة الگبلة ممن يتكلمون الصنهاجية أطلقوا لأول وهلة على أعوان الاستعمار الفرنسي الذين قدموا معه من الزنوج سواء كانوا حراسا أو جنودا أو مترجمين أو وسطاء تجاريين عبارة أغرمانيين إحياء للشبه القائم في أذهانهم بين أدوار وسحنات هؤلاء الزنوج، وأدوار وسحنات الأغرمانيين الذين لم يكن قد مضى على اضمحلال من لم يعبر النهر منهم باتجاه السينغال وقت طويل.

[92] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، طبع جامعة محمد الخامس، الرباط، 1994، ص137. وأجزاء متفرقة من الموسوعة، وكتاب الآبار لامحمد بن أحمد يوره، مرجع سبق ذكره، ص19. ووالد بن خالنا، كتاب الأنساب، مرجع سبق ذكره، ص3.

الأغرمانيون في آوكار، وتمكنوا من بناء مراكز تجارية على طرق القوافل، في وسط وشرق بلاد شنقيط في ما بين تيشيت وولاته، وفي آدرار، لعبت دور الجسر بين التجار القادمين من الشمال، والقائمين على معادن الذهب في بامبوك وغيرها (بالأراضي المالية الحالية)، وما زالت أصداء هذه المدن، التي ضاعت أسماء أغلبها، تتردد في الكتابات التاريخية.

وقام اليهود بنشر اليهودية بين سوننكيي المنطقة -الذين وصفهم ابن أبي زرع بأنهم يهود[93]- وفي الفلان والسيرير المجاورين لهم قبل اعتناقهم الإسلام.

ووقعت أيام محنة الامبراطور البيزنطي موريس (582م- 602م) الذي اضطهد اليهود وأتباع الدوناتوسية (نحلة مسيحية بربرية) هجرة يهودية ثانية باتجاه البلاد. كما تحدثت المصادر عن تسربات يهودية لفئات تمارس التجارة أو الصياغة باتجاه المدن التجارية الرئيسية بالصحراء في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) مع ازدهار التجارة بعد الفتح الإسلامي.

وكان اليهود وافرين بسجلماسة إبان قيام الدولة العبيدية الفاطمية (297هـ/ 910م) فبطش بهم المهدي، وأمر بقتل أغنيائهم واصطفاء أموالهم وتشريدهم، وفرض على من بقي منهم أن يمتهنوا بإحدى الحرفتين الكنافة والبناء[94]، فصار البناء حرفة راسخة لهم في سجلماسة لا يتجاوزونها كما قال صاحب الاستبصار[95] حتى تطاول الزمان وتغيرت الأحوال، ثم عادوا إلى الاتجار وجمع المال. وقد تسربت من هؤلاء اليهود السجلماسيين مجموعات إلى بلاد شنقيط قبل قيام الدولة المرابطية.

---

[93] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973، ص352. ومصطفى ناعمي، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد35، 1985، ص179.

[94] ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط2، دار الثقافة، بيروت، ج1، ص179.

[95] مجهول (مؤلف مغربي من أهل القرن 6هـ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د.سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة(آفاق عربية)، بغداد، 1986، ص32.

كما تسرب آحاد من اليهود بعد اضمحلال هجراتهم القديمة إلى أماكن مختلفة من البلاد، أساسها محطات التبادل التجاري (ولاته، تيشيت، وادان، آبير...) فقد تحدثت الوثائق البرتغالية عن تواجد جاليات من أثرياء اليهود في ولاته ووادان إبان ازدهار تجارة الذهب مع بلاد السودان في عهد دولتي مالي والسونگاي (السونغاي)، وقال ولد انبوجه العلوي إن يحيي جد قبيلة المحاجيب الذي وصل إلى ولاته في أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن للهجرة (13-14م) وجد فيها اليهود وأنه فتحها بالحكمة الإلهية[96].

وتحدثت ترجمة البرتلي (تـ1219هـ/ 1804م) عن تاجرين يهوديين قدما ببضاعتهما إلى ولاته صحبة الشريف مولاي الحسن بن مولاي عبد القادر إمامي، كما تحدثت الوثائق البرتغالية عن يهود كانوا يتجرون في آدرار قادمين من واد نون، وتحدثت الوثائق الفرنسية عن تجار يهود كانوا يسافرون بين مدن الجنوب المغربي ومدينة اندر (سينت الويس) السينغالية عبر آدرار والترارزة، وعن يهودي يدعى موردوخاي كان يقيم بأطار سنة 1277هـ/ 1860م وينظم التبادل التجاري بين القوافل الصحراوية الشنقيطية والسفن الإنگليزية بميناء الصويرة[97].

وخلف اليهود الذين تلاشوا نهائيا من بلاد شنقيط وراءهم كتابات وخطوطا عبرانية على الجدران أو على الجبال أو في المقابر، أو على شكل مياسم على المواشي قام الباحث تيودور مونو بدراستها[98]. وهذه الكتابات والخطوط قريبة من الخط العبراني القديم المتميز بكثرة الدوائر التي تشبه دوائر النظارات، وهو خط قابل للتشفير، لذلك بقي تجار البلاد بعد الإسلام يستخدمونه، كما ظل بعض الشيوخ يحتفظون به لتشفير

---

[96] رحال بوبريك، التاريخ الاجتماعي لولاته، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2002، ص13.

[97] البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مرجع سبق ذكره، ص20. ومحمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703م إلى 1860م، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003، ص170.

[98] تيودور مونو، مرجع سبق ذكره، ص12-37.

رسائلهم حتى زمن قريب. وقد وصف العلامة الشيخ محمد المامي (تـ1282هـ/ 1865م) هذا الخط العبراني في منظومة حسانية (انظر الشكل[99]). وترك العلامة محمد امبارك اللمتوني (تـ1290هـ/ 1873م) وثيقة يفك فيها بعض رموز هذا الخط (انظر الشكل[100]).

ومع مطلع القرن الخامس للميلاد نزحت إلى بلاد شنقيط موجة بشرية جديدة تتألف من قبائل البافور، فانتشرت في آدرار، ويعتقد الويكي أن هؤلاء البافوريين جزء من قبائل البافار البربرية البيضاء التي كانت توجد في ليبيا في القرن الثالث ميلادي قبل أن تهاجر إلى منطقة آدرار ببلاد شنقيط، ويربط الويكي بين اختفاء اسم مجموعة البافار من المصادر اللاتينية في المنطقة واستقرارهم بآدرار[101] حيث جلبوا إليه الخيول وكلاب الحراسة وغرس النخيل، وإليهم يرجع الفضل في غراسة أول نخل غرس في آدرار الذي أسسوا فيه مدنا مهمة أشهرها المالحه ومدينة الكلاب

[99] نقلا عن تيودور مونو، مرجع سبق ذكره.

[100] نقلا عن محمدن بن أحمد سالم، الخط والمخطوط في بلاد شنقيط، مرجع سبق ذكره. وترك اليهود وراءهم كلمات قليلة تسربت إلى اللهجة الصنهاجية، كما تركوا بعض رسوم ومرموزات النسيج والصناعة التقليدية التي ما تزال متداولة في بلاد شنقيط، والتي تمتزج فيها الرموز اليهودية بالرموز الوثنية والمسيحية، غير أن المجتمع الحالي لا يعرف لهذه الرموز مدلولا، ولا يعدها أكثر من زخرفة.

[101] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص78.

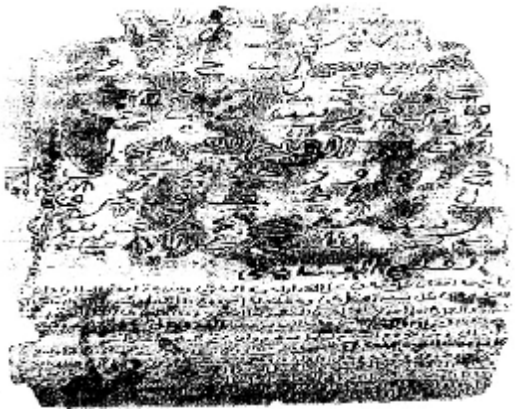

(ناحية آزوگي) بتيارت[102]. وتقول الروايات إنهم انتشروا في البداية وبشكل مركز في منطقة آدرار، حيث شملت المواقع التي استوطنوها آمدر وآموجار وتوجونين وتونگاد وتنوشرت ولكصيبة ونجاتو ومواقع أخرى كثيرة، بالإضافة إلى وجود مواقع لهم في تگانت خلال نفس الفترة مثل إن تلميت ومطماطه[103].

وكانت قبائل البافار التي كانت يهودية الديانة تقطن موريتانيا القيصرية (جنوب وغرب الجزائر الحالية) منذ القرن الثالث الميلادي، وبعد إلحاق الجزائر بالامبراطورية الرومانية عانى الرومانيون من الثورات المتلاحقة بين سنتي 259م و260م، وشارك البافاريون الذين أصبحوا جزءا من النسيج الزناتي بالمنطقة غيرهم من البرابرة في أعمال ثورية بالنوميديا لكن ثوراتهم أجهضت. وكانوا ما يزالون بالمنطقة سنة 373م، ثم سلكوا مع بداية القرن الخامس للميلاد طريق العربات الأغرمانية[104] متوغلين باتجاه آدرار ببلاد شنقيط، فارين في وجه الضغط الروماني ثم الوندالي على قبائل البربر.

وكغيرهم من قبائل المنطقة اعتنق قسم من البافوريين المذهب الخارجي الذي كان منتشرا بين الحراطين الزناتيين (إيزگارن) بآبير، وكان يروجه تجار زناتة التاهرتيون

---

[102] عبد الرحمن با، مرجع سبق ذكره، ص51. وراجع أيضا في شأن بافور، المختار بن حامدن، أجزاء متفرقة من الموسوعة، وبعض تساويده وحواشيه على مؤلفي والد كتاب كرامات أولياء تشمشه، وكتاب الآبار لامحمد بن أحمد يوره. وانظر، محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، قرطاج، 1990، ص170. ووالد بن خالنا، كتاب الأنساب، مخطوط، ص3.

[103] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص121.

[104] سيعرف لاحقا بطريق اللمتوني.

والسجلماسيون الذين كانوا يجوبون الصحراء. ولما امتد سلطان الملثمين إلى عمق بلاد شنقيط إبان دولة انبته (الأنباط)، أصبح للمتونة نفوذ على المناطق البافورية، ثم قامت الدولة المرابطية، فدوخت أرضهم، وورثت جل واحاتهم، وأرغمتهم على دخول الإسلام أو ترك الأرض وعبور النهر باتجاه السينغال، حيث سيشكل البافور الذين سيكتسبون سحنة سوداء خالصة مع الزمن –إضافة إلى أغرمان وگنار ومجموعات زنجية مختلفة- أساس شعب الوولوف الذي سيظهر في القرن السابع للهجرة (13م) وينتشر بالسينغال.

وبقيت طائفة من بافور أسلمت وفارقت المذهب الخارجي متشبثة بباطن آدرار فنموا وقووا خلال القرنين السادس والسابع للهجرة (12-13م)، لكن قوتهم تضاءلت لصالح القبائل اللمتونية والمسوفية التي أحدقت بهم من كل جانب. وتمكنت قبائل إيديشلي وابدوكل وانيرزيگ التي ارتبطت بمصاهرات معهم من طردهم من آدرار الذي سيطرت عليه في النهاية قبيلة إيديشلي.

ونزحت من بافور نزحات تفرقت في البلاد. وانحصر قسم منهم في بلاد الگبلة عند البئر التي كانت تسمى اندبفر (بئر بني بافور) جنوب مدينة المذرذرة الحالية (الترارزة)، فما زالوا هناك تأكلهم الحرب مع قبائل صنهاجة التي كانت تسعى إلى تغريبهم حتى انقرضوا وتفرقوا في القبائل، وملكت قبيلة أهل بوفلان الشمشوية بئرهم اندبفر[105].

2- صنهاجة اللثام:

كان الملثمون الذين يعرفون أيضا بصنهاجة اللثام ببلاد درعة (بالمغرب) خلال العهد الفينيقي، ووصلوا إلى الحافة الشمالية لبلاد شنقيط مع بداية التاريخ الميلادي،

[105] عبد الرحمن با، مرجع سبق ذكره، ص51. والمختار بن حامدن، أجزاء متفرقة من الموسوعة، وبعض تساويده وحواشيه على مؤلفي والد كتاب كرامات أولياء تشمشه. وكتاب الآبار لاحمد بن أحمد يوره. ونصوص من التاريخ الموريتاني، محمذن بن باباه، ص170.

وأخضعوا سائر من سبقهم من الشعوب إلى الصحراء، عبر مراحل تاريخية متعددة لم تنته إلا بعد قيام الدولة المرابطية (القرن 5 للهجرة/ 11للميلاد)، وقد ساعدهم الجمل على تذليل الصحراء، وكانوا أشداء طوال القامة وافري اللمم، طويلي الضفائر.

ومن أشهر قبائل صنهاجة اللثام: لمتونة (إيلمتونن) التي اشتهرت بقيادة الدولة المرابطية، وقيل إن لمتونة فصيل من لمطة (إيويلمدن)، ثم مسوفة (إيمشظوفن)، وگدالة (إيگدالن) شريكتا لمتونة في إقامة دولة المرابطين، ثم تارگة، وهو الاسم الصنهاجي للساقية الحمراء، ومنه اشتق اسم القبيلة التي تعرف أيضا بالتوارگ (الطوارق)، والتوارگ فصيل من لمتونة أو من لمطة امتزج بفصائل من مسوفة، ثم بنو وارث (إيويرزگ) وهي قبيلة صغيرة أسلمت إبان الفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع، ثم توغلت بعد ذلك في بلاد شنقيط، وكانت تنتجع خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) صحراء واران، التي وصفها البكري بقوله: «... ثم تمشي منه في بلد واران خمسة أيام مجابة في كثبان رمل إلى بير عظيمة في حد بني وارث قبيلة من صنهاجة[106]».

وذكر البكري لبني وارث (إيويرزگ) تواجد بنواحي بنكلابين في صدر القرن الخامس الهجري (11م)[107]، ويعتقد أن بنكلابين كانت داخل أو قرب تگانت الحالية، وكانت قريبة من مواقع اليهود الگنگاريين الذين قام بنو وارث (إيويرزگ) بقتالهم إلى جانب أمير الأنباط ابن تيفاوت اللمتوني قبيل قيام الدولة المرابطية[108].

ولم يكن معروفا من أسماء القبائل الصنهاجية المذكورة قبل الفتح الإسلامي –لدى الرومان والأمم التي سبقتهم إلى المنطقة- إلا گدالة (إيگدالن) فقد كانت تعرف في المراجع اليونانية والرومانية باسم الگيتوليين[109]. واسم گدالة مشتق من كلمة (گدل)

---

[106] البكري، مرجع سبق ذكره، ص157.

[107] المرجع نفسه، ص164.

[108] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، مرجع سبق ذكره، ص157.

[109] شارل آندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص117. وأحمد صفر، مرجع سبق ذكره، ص223. ويجدر التنبيه إلى أن هناك من اعتبر أن الگيتوليين هي أصل قبائل جزولة، ومسار القبيلتين التاريخي يدل على أنه خطأ.

الأمازيغية وهي بمعنى: أحاط، وسور، وحمى، وشمل، حيث إن گدالة كانت أول قبيلة ملثمة تتوغل في الصحراء وتحتمي بها، وتنتشر فيها انتشارا شاملا، كما كانت أول قبيلة تستولي على ممالح الصحراء وتبسط عليها حمايتها. ويعد ابن حوقل (ق4هـ) لمتونة ومسوفة ولمطة وتاركة من قبائل صنهاجة الخلص بينما يعد گدالة من قبائل صنهاجة المهجنة[110]، ولاشك أن مسار گدالة التاريخي مستقل عن مسار حليفتيها لمتونة ومسوفة.

أما لمتونة فاسمها مشتق -كلمطة- من (اللميت) وهي ثوب اللثام أو الثوب الأزرق أو الثوب عموما الذي يستخدمه الملثمون، وكانوا يعرفون قبل ذلك بتشمشه (التشميشيين كما في بعض المراجع الفينيقية)، وتشمشه كلمة صنهاجية معناها الخمسة أو المخمسة، تطلق على كل قبيلة تأسست عن تحالف خمس مجموعات قبلية. وقد أطلق المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي كان يصف مرور حنون الملك (خمسة قرون قبل الميلاد) ببلاد درعة على لمتونة اسم اللكسوسيين الذي هو ترجمة فينيقية للخمسة أو المخمسة التي تعني تشمشه[111].

والتحالف الخماسي تقليد أو طقس شائع عند البربر منذ القدم. وظل معمولا به في هذه البلاد حتى القرن العاشر للهجرة (16م) حيث تأسس عدد من القبائل في بلاد شنقيط فيما بين القرنين الثامن والعاشر (14-16م) وفق هذا التقليد، ومن هذه القبائل قبيلة تشمشه الحالية[112].

---

[110] ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص26. وقد عد عددا من القبائل أضربنا عنها لعدم اشتهارها. ويؤكد عد ابن حوقل لمتونة ومسوفة في مجموعة غير المجموعة التي عد فيها گدالة اختلاف مسار لمتونة ومسوفة الاجتماعي والإيديولوجي عن مسار گدالة، المعروف جيدا في المراجع الرومانية.

[111] شارل آندرى جوليان، مرجع سبق ذكره. والتقي العلوي، سلسلة مقالات منشورة، ص38. والخليل النحوي، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987، تونس، ص39.

[112] يعود تأسيس قبيلة تشمشه الحالية إلى القرن الهجري التاسع (15م)، حيث اجتمع خمسة رجال لمتونيو العصب، ينتسبون إلى أصول مختلفة –لا شك أن بعضها لمتوني- يرجعونها كلها إلى قبيلة قريش العربية في كنف قبيلة المدلش فتحالفوا على تشكيل تشمشه، وكتمان أنسابهم السابقة في أمور أخرى.

بينما اشتق اسم مسوفة[113] (إيمشظوفن) من تحالفهم السداسي (شظش)، حيث انضاف إلى مجموعاتهم الخماسية بطن سادس هو النبيطات (الأنباط/ انبته). وقد جعل هذا البطن السادس مسوفة تتمتع بتداخل نسبي خاص مع لمتونة (إيلمتونن) لا يتمتع بها غيرها.

وكان اسم صنهاجة (إيزناگن)[114] في أول الأمر خاصا بخمس قبائل هي: لمتونة، ومسوفة، ولمطة (إيويلمدن)، وأوريگة (إيوريگن)، وهوارة (إيهگارن)[115]، شكلت كونفدرالية قبلية خماسية قوية في الصحراء[116]، قبل أن يصير اسم إيزناگن (صنهاجة) علما عاما على جميع البرانس باستثناء مصمودة. وقد أخذت إيزناگن، اسمها من نحلة عيشها، فهي كلمة مركبة من مقطعين: إيزن وهي الخيام المصنوعة من الجلد، وآگن وهم الذين يحترفون شن الغارات فالمراد بإيزناگن خيام القوم الذين يحترفون شن الغارات. وقد تكون مركبة من إيزن بمعنى أرسل وإيگن بمعنى جماعة غير نظامية تجتمع للقيام بعمل حربي كالنهب، فيصبح معنى إيزناگن القوم الذين يقومون بالغزو أو النهب[117]. كما أخذت أوريگة اسمها من نحلة العيش التي كانت تحترفها، وهي قنص الوحش المعروف محليا بـ"الورگ".

وقد انقسمت قبائل صنهاجة اللثام بعدما تغيرت نحل عيشها انقساما آخر، فانقسمت إلى "انبته"، و"انبيه"، و"انبگه"، معنى الأولى أمراء الذهب (معنى انبته الحرفي أصحاب

---

[113] هكذا تسميها المراجع العربية الوسيطة، وقد ضبطها صالح الفلاني في ترجمته بسكون الفاء فقال: "مسوف على وزن تنور"، ويؤيده تسميتها في بعض المراجع الوسيطة بمسطوف، وهذا هو الأقرب لاسمهم الحالي مشظوف.

[114] قال ابن خلدون: «وهو -أي صنهاج- صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج». ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج6 ، ص309.

[115] نبه ابن خلدون على أن أصل إيهگارن (الهگار) هوارة، فقلبت العجمة واوها كافا. ابن خلدون، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره، ص252. ومن بقاياهم في بلاد شنقيط القبيلة المعروفة بالهواكير.

[116] تقول الأسطورة كما رواها ابن خلدون إن صنهاج ولط ابنا امرأة تدعى تزگي، ولا يعرف لهما أب تزوجها أوريگة فولدت له هوارا فهما أخوان لهوار من أمه ، راجع ، ابن خلدون ، مرجع سبق ذكره، ص105 .

[117] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة وعلاقتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860م، مرجع سبق ذكره، ص61.

السبائك)، وكانت تطلق على فصيل الملثمين الذي احتل مدينة أودغست التي كانت تمثل إحدى عواصم الذهب في البلاد، وكان منتشرا بين السوس وأودغست فعرفت بلاد هذا الفصيل ببلاد انبته[118]، وعرف أمراؤها بالأنباط (الأنباط)، وهذا الفصيل لمتوني مسوفي في أغلبه.

أما "انبيه" فمعناها أصحاب الرعي، وكانت تطلق على فصيل صنهاجة اللثام الذي ملك الإبل وامتهن الخفارة. وهو فصيل لمتوني ولمطي في معظمه، ومعنى "انبگه" أصحاب الحرث أو أصحاب الميرة، ومعظم هذا الفصيل گدالي. وعرفت هذه الفصائل التي انتحلت هذه النحل بالنبل والزعامة بين سائر صنهاجة الصحراء.

ونظرا إلى أن قبائل صنهاجة بنيت على صفات ملازمة كنحل العيش لا على أساس النسب، حيث كانت أمومية الانتساب (تنتسب إلى الأم بدل الأب)، لم تعرف بنية الأنساب الأبوية إلا مع مقدم الفينيقيين، ولم تتبنها كليا إلا بعد عهد طويل من الأسلمة، فإن فروع هذه القبائل كانت تتداخل إلى درجة أن الفرع الواحد كان يحمل أسماء عدة قبائل في آن.

وكان الملثمون قبل إسلامهم مجوسا، منهم من يعبد الكواكب، ومنهم من يعبد الأوثان، ومنهم من يعبد الدواب، وكانت وثنيتهم أخلاطا فيها من الوثنية الفرعونية والوثنية الفينيقية والوثنية الزنجية أشياء.

ومن أشهر الأوثان التي عبد السكان في هذه البلاد الإله "بعل حمون" (بعل أمون)، والإلهة "تانيت بينيبعل" ومعنى "تانيت بينيبعل": تانيت المواجهة لبعل.

[118] كتبت في بعض المراجع العربية انبيه بدل انبته وهوتصحيف.

ووثن الإلهة "تانيت" عندهم عبارة عن لبؤة حانية على طفل، وقد يجسدونها في صورة امرأة ترضع ابنها (انظر الشكل) ، ويرمزون لها برمز على شكل مثلث يمثل البدن وخط أفقي ينتهي طرفاه بشكل يمثل اليدين، ودائرة تمثل الرأس[119](انظر الشكل). والزخرفة الشنقيطية مليئة بهذا الرمز الذي يدعى باللهجة الحسانية "المقداد".

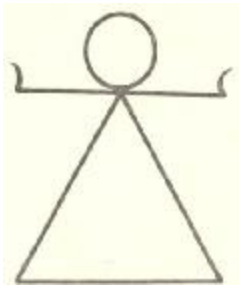

وقد أخذ الملثمون هذه الآلهة الوثنية عن البونيقيين الذين تخلفوا ببلاد شنقيط عن حنون الملك سنة 480ق.م.

ويبدو أنه كان لتانيت ذكر في نفوس الملثمين، فقد حملت نساء صنهاجة اسمها حتى بعد فشو الإسلام فيهم وتمكنه منهم. وكان هذا الاسم منتشرا في بلاد شنقيط أيام مجيء بني حسان، وله ذكر كثير في مناطق الگبلة بعدما تسمت به نساء مشهورات بالزعامة[120]، وما يزال هذا الاسم مذكورا حتى اليوم بين النساء، غير أنه لا علم لأحد في هذه البلاد بسبب اشتقاقه ولا يعرف له عندهم معنى.

وكان الصنهاجيون قديما يسمون نساءهم بتانيت رجاء أن تحل بركة الإلهة "تانيت" في المرأة التي تتسمى باسمها، وتنطبع فيها بعض صفاتها المقدسة. وهي صفات تتلخص في العقل والحزم والرئاسة والاهتمام بتربية الأبناء، وكثيرا ما كانوا يرئسون المرأة التي يعتقدون أن روح الإلهة "تانيت" قد حلت فيها.

ويكثر كذلك في نساء الملثمين -وما زال موجودا لاسيما في الگبلة- اسم "امنيانه"[121] الذي يعني ربة الخيام بالصنهاجية، وهو نفسه "تينهينان" (ناصبة الخيام) عند التوارگ، وهي امرأة مقدسة كانت تملك قبائل التوارگ التي أسست بمنطقة الهگار الجزائرية

---

[119] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص124.

[120] منهم المرأة الصالحة المعروفة تانيت بنت المختار بن الطالب أجود أم العلامة الشهير محنض بابه بن اعبيد الديماني.

[121] منهم المرأة الصالحة المشهورة امنيانه بنت محمد فال بن والد بن خالنا أم العلامة الصالح المعروف احمد بن أحمد يوره الديماني.

مملكة كبيرة في القرن الميلادي الخامس، وكانت مثالا للمرأة القائـدة ذات الـذكاء الفـذ، والسحر العجيب، فصارت أنموذجا أسطوريا لدى القبائل الصنهاجية.

وبسبب هذا المعتقد -وأمثاله من المعتقـدات- تسـرب تقـديس المـرأة إلى الملـثمين إلى درجة أنه كان مجتمعا أموميا ينتسب وينسج علاقاته القرابية انطلاقا من الأم.

وما زال اسم تانيت يطلق حتى اليوم على أحد مواقع الساحل الأطلسـي القريبـة مـن انواكشوط (50كلم شمال انواكشوط)، ولعل البونيقيين الذين تخلفوا عن حنـون الملـك ببلاد شنقيط هم الذين سموا هذا الموقع، الذي يحتمل أنه كان مرسى أو معبـدا بونيقيـا، باسم آلهتهم، أو لعله سماه بعض البربر الذين تأثروا بالديانة البونيقية.

ولم تغير قبائل الملثمين رغم وفرتها العددية وقوتها الحربية، الجغرافية البشرية للـبلاد إلا بعد قيام الدولة المرابطية، لأن توغلها في بلاد شنقيط إبان تضعضع السـطوة الرومانيـة في المنطقة (خلال القرنين الميلاديين الرابع والخامس) كان محدودا وخاطفـا، ولم يتجـاوز الثقل البشري الصنهاجي، بالنسبة للجزء الغـربي مـن بـلاد شـنقيط، في القـرون الـتي سبقت قيام المرابطين وادي الذهب جنوبا، ما لم يكـن الأمـر متعلقـا بجبايـة المغـارم، أو بخفارة القوافل، أو بالسيطرة على الشاطئ الأطلسي، أو على معادن الملـح، أو المسـالك التجارية المتجهة إلى مملكتي التكرور وغانه. أما بالنسبة للجزء الشرقي من الـبلاد فقـد وصل الملثمون إلى أودغست فاحتلوهـا ومـا حولهـا مـن أرض آوكـار في القـرن الثـاني للهجرة (8م) بعدما انتشروا في المناطق الواقعة في بينها وبين سجلماسة.

تطور وتشكل سكان البلاد خلال فترة التاريخ القديم
(من الغزو الفرعوني إلى الغزو البيزنطي)

لم يتكلم التاريخ عن البربر منذ العهد النيولوتي (العهد الحجري الجديد) إلى مقدم الإسلام إلا عرضا عند حديثه عن اتصال الشعوب الأخرى بهم. وغالبا ما كان هذا الاتصال يتم عن طريق الغزو الذي لعب الدور الأساس في تشكل وتطور البربر، كما كان هو السبب في تشكيل الجغرافيا البشرية القديمة والوسيطة لبلاد شنقيط، لاسيما في الفترة الممتدة من الغزو الفرعوني إلى الغزو البيزنطي.

1- الغزو الفرعوني (القرن**33** ق.م- القرن**8** ق.م):

أصبح وادي النيل مسرحا للحرب بين البربر والفراعنة، ابتداء من أسرة الملوك التينيين الأولى (حوالي 33 قرنا قبل الميلاد)[122]. وتسجل الوثائق انتصارات فرعون على اللوبيين (الليبيين) الذين تسميهم النصوص التهينو، وانتزاعه التاج الأبيض العظيم من أيديهم، ومده نفوذ المملكة المصرية إلى أعماق أرض البربر.

ومنذ ذلك التاريخ ظلت المحاولات الفرعونية مستمرة للسيطرة على اللوبيين، حتى اضطر رمسيس الثالث حوالي 1189ق.م، بعد انتصاره عليهم غرب منف أن ينزلهم في عشرات من الآلاف بالدلتا لمراقبتهم.

ولا يعرف الكثير عن مدى تغلغل الغزو الفرعوني في بلاد البربر، إلا أنه من المؤكد أن الأقباط المصريين وصلوا إلى أعماق الصحراء كما تدل على ذلك المرويات التقليدية للبربر[123]، وكما سجله بعض المؤرخين العرب كابن خلدون وغيره. وتدل الآثار المكتشفة في المنطقة على أن قبائل أغرمان (الغرامانت) التي نزحت منها أعداد وفيرة

---

[122] شارل آندري جوليان، مرجع سبق ذكره، 71.

[123] المرجع نفسه، ص72.

إلى بلاد شنقيط، نقلت إلى مملكة غانه كثيرا من الطقوس والعادات الفرعونية. وتجد الأسطورة السوننكية التي تعتقد أن أصول أسرة واگيدو (الأسرة الحاكمة في مملكة غانه) تنحدر من سلالة فرعونية[124] تفسيرها فيما نقله لنا الخوارزمي من كون الأسرة الحاكمة في غانه تنحدر من قبائل أغرمنطين (أغرمان)[125]، حيث تتشابه طقوس الدفن التي مارسها الملوك الغانيون مع تلك التي كان يمارسها المصريون الفراعنة، فقد كان الملوك الغانيون الأوائل في كونبي صالح (عاصمة مملكة غانا) التي توجد أطلالها في القسم الشرقي من بلاد شنقيط يدفنون موتاهم في قباب على شكل أهرامات فراعنة مصر، يبنونها من خشب الساج، فإذا مات الملك وضعوا القبة في موضع قبره في الغابة القريبة من المدينة، وهي غابة محروسة لا يمكن لأي شخص الدخول إليها، ولامعرفة ما بداخلها باستثناء الملوك والسحرة، أو السجناء الذين يحالون إليها إلى غير رجعة فتنقطع أخبارهم عن الناس، ثم يؤتى بالملك على سرير فيدخل بعد تحنيطه في تلك القبة وتوضع معه حليته وسلاحه وءانيته، وتدخل فيها الأطعمة والأشربة، ويدخل معه رجال ممن كان يخدم طعامه وشرابه ويغلق عليهم باب القبة، ثم توضع الحصر والأمتعة فوق القبة، ثم يجتمع الناس فيردمون فوقها بالتراب حتى تكون كالجبل الضخم، ثم يخندقون حولها حتى لا يوصل إلى ذلك الكوم إلا من موضع واحد[126].

وكما تتشابه مراسيم دفن كل من ملوك غانه وفراعنة مصر تتشابه أيضا بعض طقوسهم الوثنية، خاصة بالنسبة للذبح لموتاهم من الملوك والتقرب لهم بالخمور[127].

---

[124] النافي بن الحسين، موريتانيا من عهد غانا إلى المرابطين، مرجع سبق ذكره، ص7. وأضاف: «تعتقد الأسطورة الشفهية للشعب السوننكي الذي شكل أساس مملكة غانه بعدما امتزج بملوكها البيض أن ابنا لفرعون نزح من مصر إلى غرب إفريقيا وتزوج من ست نسوة من سكان ضفتي نهر النيجر فخلفن له ستة أبناء هم أجداد عشائر واگي الست التي كان ملك غانه لايخرج عنها، ومن اسمها أخذت المملكة اسم واگيدو، وهو الاسم المشهور لغانه عند السوننكيين، ومعناه بلاد واگي». وانظر أيضا، شارل ءاندري جوليان، مرجع سبق ذكره، ص72.

[125] راجع الفصل الذي سبق.

[126] النافي بن الحسين، موريتانيا من عهد غانا إلى المرابطين، مرجع سبق ذكره، ص7.

[127] شارل آندرى جوليان، مرجع سبق ذكره، ص73.

2- الغزوان الفينيقي والقرطاجي (القرن6 ق.م- القرن2 ق.م):

بدأت إرهاصات الغزو الفينيقي لبلاد البربر تلوح منذ القرن 12ق.م، حيث كان الفينيقيون من أهل صور قد أسسوا مراكز تجارية أو محطات استكشاف تجاري على بعض نقاط السواحل الإفريقية. ومن هذه المراكز مركز لوكسيس (تشميش) اللمتوني على الساحل الأطلسي للمغرب الأقصى، حوالي 1110ق.م، ومركز أوتيكه على الساحل الغربي لخليج تونس سنة 1101 ق.م، غير أن استعمارهم الحقيقي للمنطقة تطلب قرونا.

وكان البحارة الفينيقيون يجوبون المنطقة بحثا عن ذهب مملكة غانه[128] الذي كانت القوافل تحمله عبر صحراء شنقيط إلى مراكز الشحن الفينيقية على الشواطئ الأطلسية أو الشواطئ المتوسطية.

ولم يحل القرن الرابع قبل الميلاد حتى كان القرطاجيون (البونيقيون) قد سيطروا على كافة السواحل البربرية موسعين طرقهم البحرية.

وكان حنون الملك قد اتجه نحو الجنوب عبر المحيط الأطلسي مصحوبا بستين سفينة تحمل ثلاثين ألف شخص في رحلة استكشافية طافت به الساحل الشنقيطي، بعد أن اصطحب معه مترجمين لكسوسيين (تشميشيين)[129] من جنوب وادي درعة[130].

ويعتقد أنه كان يهدف إلى إحلال قرطاج -عن طريق جزيرة سرنه (هرنه بالصحراء الشنقيطية)- محل اللكسوس المركز الفينيقي العتيق، الذي كان الفينيقيون يستخدمونه في استغلال تجارة ذهب السودان المنقول بواسطة القوافل.

---

[128] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص122.

[129] لكسوس ترجمة لتشميش المشتقة من تشمشه الاسم القديم للمتونة. راجع الفصل الذي سبق.

[130] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص127. وانظر، التقي العلوي، سلسلة مقالات منشورة، مرجع سبق ذكره.

ووجد حنون اللكسوسيين الرحل يملؤون ما بين وادي درعة (الجنوب المغربي) والشمال الشنقيطي، أما وسط بلاد شنقيط التي كانت آنذاك بلاد أدغال فقد كان يعمره أخلاط من أهل گنار وإيزگارن.

وجاء في رحلة حنون التي شكك فيها بعض المؤرخين، قبل أن تثبت الاكتشافات الأثرية صحتها[131]، كما ترجمها المؤرخ اليوناني هيرودوت:

«قد رأى شعب قرطاج أنه من المستحسن أن يسافر حنون خارج أعمدة هيرقليس (مضيق جبل طارق)، وأن يؤسس مدنا لوبية بونيقية، فأبحر حينئذ في ستين سفينة ذات خمسين مجدافا، وأخذ معه جما غفيرا من الرجال والنساء يبلغ عددهم ثلاثين ألفا، مع كل ما يلزم من المؤونة وغير ذلك من الضروريات..

بعدما اجتزنا أعمدة هيرقليس (مضيق جبل طارق)، وسرنا في البحر مدة يومين، أنشأنا بلدة أولى سميناها تيماتيريون (المهديه قرب العاصمة المغربية الرباط) تحتها سهل كبير.

ثم اتجهنا نحو الغرب، ووصلنا إلى مكان يعرف بصوليس (رأس القنتل شمال آسفي المغربية)، وهو عبارة عن رأس في الأراضي اللوبية كله أشجار.

بعدما أقمنا هناك معبدا للإله بوصيدون (إله البحر) سافرنا في البحر متجهين جهة إشراق الشمس مدة نصف يوم، فوصلنا إلى بحيرة قريبة من البحر يغطيها قصب كثيف، ومرتفع ترعى فيه الفيلة وعدد كبير من الحيوانات الأخرى.

وبعدما تجاوزنا تلك البحيرة وسرنا مدة يوم كامل، شيدنا مستعمرات سميناها الجدار القاري وجيته وآكره ومليته وأرامبيس (بين رأس القنتل ومدينة أگادير بمصب نهر السوس).

[131] نازع بعض الباحثين في صحة هذه الرحلة بناء على أن التيارات الأطلسية كانت أقوى من أن تسمح لسفن تقليدية باجتياز كل هذه المسافة، لكن التحريات والنقوش والآثار التي جمعها الباحثون أكدت صحة الرحلة التي عثر مؤخرا على نصها منقوشا على لوح من النحاس تم تعليقه في معبد كرونس (معبد بعل حمون).

بعدما خرجنا من هناك وصلنا إلى نهر لكسوس الآتي من لوبيا، وعلى ضفتيه رعاة من البدويين اللكسوسيين يسرحون أغنامهم، فمكثنا مدة من الزمن صحبة هؤلاء الناس، وصرنا من أصدقائهم.

ويعيش وراءهم أقوام من الاتيوبيين، لا يكرمون الضيف في أرض كلها حيوانات ضارية، تشقها جبال كبيرة قيل إنه يخرج منها نهر اللكسوس. ويقال إن رجالا لهم هيئة غريبة يدعون الترگلوديت يعيشون حول تلك الجبال. ويزعم اللكسوسيون أنهم أسرع من الخيل في العدو.

بعدما أخذنا معنا مترجمين من اللكسوسيين سرنا بجانب الصحراء متجهين نحو الجنوب مدة يومين، ثم باتجاه شروق الشمس مدة يوم كامل، فوصلنا إلى خليج وجدنا في جوفه جزيرة صغيرة طول محيطه 5غلوات (8كلم) فسميناها سرنه (هرنه بوادي الذهب)، وتركنا فيها جالية من المعمرين. ويظهر لنا مما قطعناه في سفرنا أن هذه الجزيرة كائنة اتجاه قرطاج، لأن السير في البحر من قرطاج إلى أعمدة هيرقليس (مضيق جبل طارق) يعادل تقريبا السير من تلك الأعمدة إلى سرنه (هرنه).

ومن هناك دخلنا نهرا كبيرا يسمى وادي اگريتيس (نهر تگنت[132]) فوصلنا إلى بحيرة تحتوي على ثلاث جزر أكبر من سرنه (هرنه)، فذهبنا من تلك الجزر وسرنا مدة يوم، وبلغنا آخر البحيرة التي تشرف عليها جبال شاهقة يسكنها رجال متوحشون يلبسون جلود الحيوانات، أخذوا يقذفوننا بالصخور فمنعونا من النزول.

ومن هناك دخلنا نهرا آخر عريضا (نهر السينغال) وملآنا بالتماسيح وبأفراس النهر، فرجعنا على أعقابنا وعدنا إلى سرنه (هرنه)...إلخ»[133].

---

[132] تفيد الروايات المحلية الشنقيطية بوجود نهر قديم قرب تگنت يمتد من البحر، ويتجه شمالا وشرقا حتى يصل إلى تگانت، وبقرب مصبه جزيرة لعلها هي المذكورة من قبل البكري بقوله: «وبقرب آوليل في البحر جزيرة تسمى أيونن، وهي عند المد جزيرة لا يوصل إليها على القدم، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف، وهي أكثر شيء عندهم في ذلك البحر، وهذه الجزيرة من نول شهرين على ساحل البحر». البكري، مرجع سبق ذكره، ج2، ص58-359.

[133] أحمد صفر، مدنية المغرب العربي، مرجع سبق ذكره، ص127-128، بتصرف. وما بين قوسين توضيحات من طرفنا، وكذلك اختيارأن يكون وادي اگريتيس هو نهر تگنت المندثر، فقد اتفق أغلب المؤرخين على تحديد مركز تيماتيريون

وتكاثرت جالية المعمرين الذين ترك حنون بالصحراء الشنقيطية، وأقاموا عددا من القرى تحدث استرابونه عن تدمير السود والفاروزيين لها.

وعرفت بلاد البربر في فترة الغزوين الفينيقي والقرطاجي تطورات كبيرة تأسست خلالها شمال المغرب الأقصى تحالفات قبلية بربرية تشكلت منها مملكة الموريين (مملكة موريتانيا) التي يحدها جنوبا تحالف الگيتوليين (إيگدالن/ گدالة)، كما ظهرت مملكتا ماسوله ومازيسوله النوميديتين اللتين كانتا تقتسمان ما بين نهر الملوشه (ملويه) والأراضي البونيقية[134].

ببلدة المهدية قرب الرباط، وعلى تحديد صوليس برأس القنتل. وعلى تحديد أن المراكز الخمسة المذكورة في الرحلة أقيمت بين رأس القنتل وأگادير، لكنهم اختلفوا في ضبط جزيرة سرنه ووادي اگريتيس. ومن أبرز آرائهم فيها: رأي المؤرخ استيفان اگسيل (مؤلف كتاب تاريخ شمال إفريقيا القديم)، الذي يذهب إلى أن مصب وادي لكسيس هو مصب وادي درعة حيث نزل حنون وأخذ المترجمين، وأن سرنه كانت موجودة قرب مصب نهر الساقية الحمراءواندثرت، وأن نهر اگريتيس هو نهر الساقية الحمراء. ورأي المؤرخ إيميل گوتيي (مؤلف كتاب القرون المظلمة أو ماضي إفريقيا الشمالية) الذي يرى أن جزيرة سرنه قرب نهر السينغال بسينت الويس (اندر) الحالية، وأن نهر اگريتيس هو نهر السينغال. ورأي المؤرخين جيروم كاركوبينو (مؤلف كتاب المغرب العتيق)، وفيفيان مارتين (مؤلف كتاب شمال إفريقيا عند قدماء اليونانيين والرومانيين) اللذين يريان أن جزيرة سرنه في وادي الذهب، وهي التي ما زالت تسمى إلى اليوم جزيرة هرنه، وأن نهر اگريتيس هو نهر السينغال، وبهذا الرأي أخذ عدد من المؤرخين، لأن حنون قال في رحلته عن هذه الجزيرة: «ويظهر لنا مما قطعناه في سفرنا أن هذه الجزيرة كائنة اتجاه قرطاج لأن السير من قرطاج إلى أعمدة هيرقليس يعادل تقريبا السير من تلك الأعمدة إلى سرنه (هرنه)». وهذا يكون صحيحا إذا جعلنا هذه الجزيرة في وادي الذهب.

ولأن هؤلاء المؤرخين اعتبروا نهر اگريتيس هو نهر السنيغال، فقد جعلوا النهر العريض الذي دخله حنون بعد ذلك فرعا من نهر السينغال يدعى افاليمي، وهذا لم يكن واردا عندي، فمن ناحية فاليمى ليست أعرض من نهر السينغال، كما أنه من غير الوارد أن يكون الفرع مليئا بالتماسيح وأفراس البحر كما نقل حنون، ولا تكون هذه الدواب في النهر الأم، ومن ناحية أخرى فاليمي تؤدي إلى مناجم الذهب في بامبوك التي هي السبب الأول في رحلة حنون، ومعروف أن السفن الكبيرة لا يمكنها الوصول إليها، بل ينقل منها الذهب في زوارق صغيرة او عبر عربات الثيران إلى الأطلسي، فالذهب كان ينقل عبر الصحراء الشنقيطية إلى نقاط على الأطلسي، تحت حراسة القبائل، ثم ينقل من هناك، ومركزه الأساسي الليكسوس، وكان حنون يريد تأسيس مركز أقرب إلى قرطاج لأصحاب السفن، فلذلك ترك بعض الأقوام الذين حمل معه بجزيرة هرنه المقابلة لقرطاج لتعميرها وإقامة مرفإ تجاري بها، ولو كان فاليمي هو المقصود لما رجع حنون قبل الوصول إلى الذهب. ولهذا رجحت أن يكون المقصود بنهر اگريتيس هو نهر تگنت القديم، وبالنهر الأعرض القريب منه نهر السينغال.

[134] شارل آندرى جوليان، مرجع سبق ذكره، ص85.

ولم تزل قرطاج سيدة بلاد البربر حتى دخل البونيقيون سنة 262 ق.م في مواجهة مباشرة مع الرومان أدت في النهاية إلى خسارة البونيقيين لسيادتهم على بلاد البربر سنة 204 ق.م لصالح الامبراطورية الرومانية.

3- الغزو الروماني (204 ق.م- 429م):

ويعود الفضل في الانتصار الروماني على البونيقيين ببلاد البربر إلى تحالف القائد الروماني شيبيون الإفريقي مع مسينسا إيگليد (أمير) مملكة ماسولة البربرية. وجنى مسينسا ثمرة هذا التحالف فأصبح سيد البربر الأول[135].

وعمل مسينسا الذي أراد أن يكون عاهلا لا رئيسا قبليا على تمدين البربر، ونشر الفلاحة في أوساطهم، فأحدث انقلابا في المغرب لم يشذ عنه إلا قبائل الملثمين المتجعة في السباسب والصحراء. وكان على الأگاليد (الأمراء) من بعد مسينسا حماية نظامهم الجديد حتى لا يرجع الملثمون، وخاصة گدالة المتربصة بهم رعاياهم إلى الفوضى وحياة البدو.

وبعد قرن وربع قرن من الزمان استطاع الامبراطور الروماني أغسطس سنة 25 ق.م أن يرجع يوبا الثاني -وهو بربري تربى في روما- إلى عرش أبيه يوبا الأول الذي أطاحت به الثورات والصراعات.

وكانت گدالة حنقة على يوبا الثاني متمردة على روما فثارت على الملك الذي لم يكن أكثر من تابع للامبراطورية، وقتلت عددا كبيرا من الرومان وأشعلت الأرض تحت أقدامهم، فعينت روما قائدا عسكريا طلبت من الملك البربري يوبا الثاني، أن يمده فقمع قبائل گدالة شر قمع، واضطرها إلى الفرار باتجاه أرض گنار في عمق البلاد الشنقيطية، وساعد الجمل الگداليين على ذلك، فقد كان في تلك الفترة قد انتشر في بلاد البربر قادما من مصر عبر إفريقية.

---

[135] المرجع نفسه، ص166 وما بعدها.

واستطاعت روما بعد تمكنها من قمع ثورات بربرية مختلفة، أعتاها ثورة النوميدي تكفاريناس سنة 17 ق.م أن تبسط نفوذها التام على بلاد البربر كلها ماعدا بلاد شنقيط والمناطق المصاقبة لها من الشمال، وأن تفرض قانونها على البربر، لكن الثورات سرعان ما استؤنفت، مما جعل حملة هوستينيوس بولينوس الرومانية تعبر، ولأول مرة، خط الليمس سنة 42م لتأديب قبائل گدالة. وقد وصلت هذه الحملة إلى وادي گير (جنوب شرق سجلماسة)[136].

وفي سنوات (81- 96م) اضطر الامبراطور الروماني ديميتيانوس إلى مواجهة ثورات بربرية متعددة، ثم وجه بالاتفاق مع ملك (أغرمان) الغرامانت الليبيين المسيحيين حملة وصلت إلى كونبي صالح، واستوطنت بلاد شنقيط[137].

وفي سنوات (117- 138م) تدخل الامبراطور الروماني هرديانوس وحلفاؤه من البربر في الغرب، حيث نشبت ثورة كبرى سنة 118م، وتواصلت لفترة طويلة. وبلغت هذه الثورة من الشدة في عهد أنطوان الورع (138- 161م) حدا جعل الرومان يستنجدون بقوى أخرى لتخليص المنطقة الشمالية حتى الأطلس، وذلك بين (144- 152م). ولما امتدت الثورة إلى منطقة الأوراس توغلت الجيوش الرومانية لأول مرة عميقا في الجنوب الجزائري.

وأدت هذه الاضطرابات إلى فرار مجموعات من اليهود الليبيين الذين كانوا مستهدفين من قبل الامبراطور إلى الصحراء الشنقيطية، حيث سيجعلون –بعد أكثر من قرن من هذا التاريخ- من أودغست نقطة تبادل تجاري هام بين القبائل الزنجية السوداء جنوب الصحراء والقبائل البيضاء شمالها[138].

وفاقمت الأزمة الاقتصادية التي ظهرت في أواخر القرن الثاني للميلاد من حدة الثورات البربرية المتتالية ضد الامبراطورية الرومانية، ففي عهد سبتيموس سواريوس

---

[136] حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، مرجع سبق ذكره، ص82.

[137] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سبق ذكره، ص65.

[138] أحمد صفر، مرجع سبق ذكره، ص212. وأحمد الشكري، مرجع سبق ذكره، ص28.

(193 - 211م) انجر عن تناقص الـذهب تقلـص ضـرب السـكة، وخلطهـا بمعـادن أخرى بنسبة وصلت إلى النصـف بسـبب حالـة الحـرب المشـتعلة بـين الثـوار البربـر والرومان، وتراجع نقل ذهب السودان عبر المرافئ الأطلسية إلى الامبراطورية الرومانية.
وكانت هذ الحرب المشتعلة بين الرومان والبربر أحد الأسباب الرئيسـية الـتي أدت إلى ظهور نشاط اقتصادي صحراوي مرتبط بالقوافـل الـتي أصـبحت ترتكـز علـى نقـاط التواصل البرية، وعلى العبور التجاري بين جنوب وشمال الصحراء بدل الارتكاز علـى المحيط الأطلسي في نقل الذهب وريش النعام ومواد أخرى، كما كـان عليـه الحـال منـذ العهد الفينيقي وحتى هذه الفترة .
وقد أدى مثل هـذا النشـاط الجديـد إلى تنظـيم السـكان الأصـليين لأنفسـهم في بنيـة سياسية أكثر إحكاما، قادت إلى ظهور مملكة آوكار الأغرمانيـة بالمنطقـة الشـرقية لـبلاد شنقيط في حدود سنة 300م.
ووصل تدهور اقتصاد النقود الروماني إلى حده الأقصى سـنة 301م، لأن مملكـة آوكـار الناشئة أخذت تعمل على تصريف الذهب بواسطة سبل أخرى غير السبيل الرومـاني الأطلسي.
وقام أباطرة أقوياء مثل أورليانوس (270 - 275م) بإصلاحات إدارية وماليـة لـتلافي هذا التدهور، ولكن ذلك لم يسهم في إنقاذ الامبراطورية المتهاوية.
وبادر الامبراطور ديوقليسيانوس (284 - 305م) إلى القيام بسلسلة من الإصـلاحات الإدارية تفاديا لانحلال الامبراطورية، لكن مـا إن تـولى قسـطنطين الحكـم سـنة 305م حتى اشتعلت بلاد البربر من جديد. ولما اعتنـق الامبراطـور قسـطنطين المسـيحية جـر ذلك أذياله على بلاد البربر الذين ما لبثوا أن انتشرت فيهم نحلة مسـيحية ذات طـابع قومي بربري تدعى الدوناتوسية (نسبة إلى مؤسسها دوناتوس تـ355م)، اتخذت طابع الثورة الاجتماعية بعد سنوات من موت مؤسسها.

وحال تشتت إطار الدولة الرومانية المدني والعسكري دون قيام روما بتدخل حاسم لقمع هذه الثورة، وآل الأمر بروما التي انغمست في فوضى داخلية شديدة إلى الانقسام إلى امبراطوريتين شرقية وغربية[139].

وتوسعت خلال هذا العهد رقعة القلاقل في بلاد البربر التي أصبحت هدفا جديدا لقبائل الوندال القادمة من بحر البلطيق، فاضطر ذلك قبائل البافار (البافور) إلى ترك بلاد الجزائر، مع بداية القرن الخامس للميلاد، وسلوك طريق العربات[140] متوغلة باتجاه آدرار ببلاد شنقيط، هربا من القلاقل الناجمة عن الصراع الذي نشب بين الرومان والوندال للسيطرة على بلاد البربر.

وبينما كانت كوامن الفوضى الاجتماعية تتزايد في المنطقة كانت الكنيسة المسيحية تزيد من تأجيج الصراع بسبب تدخلها لصالح بعض الطوائف، فازداد وهن جسم الامبراطورية الرومانية، وأصبحت أوروبا وبلاد البربر الخاضعتان للامبراطورية الرومانية عرضة لزحف القوى الفتية المتوحشة التي تقودها قبائل الوندال.

4- الغزو الوندالي (429م- 533م):

لم يعق أي شيء زحف قبائل الوندال الذين انطلقوا من بحر البلطيق خلال القرن الأول قبل المسيح، ثم التقوا بعد تقلبات دامت أكثر من ثلاثة قرون في جهة نهر الرين الأوسط حيث انضمت إليهم قبائل أخرى متوحشة كقبائل الآلان والسواف، واستمرت نزحتهم حتى انتزع ملكهم غندريق قرطاجنة وإشبيلية من أيدي الرومان سنة 425م.

ومنذئذ انتصب الوندال على طول السواحل، وبسطوا نفوذهم على البحر الأبيض المتوسط، وأخذت سفنهم تنهب سواحل طنجة.

---

[139] شارل آندرى جوليان، مرجع سبق ذكره، ص135.

[140] هو نفسه الذي سيعرف لاحقا بطريق اللمتوني.

ولما أصبح ملك الوندال سيدا على معظم تراب الأندلس (التي اشتق اسمها من لفظة الوندال)، توجه بأنظاره إلى إفريقية، لكن المقادير لم تمهله فقد مات سنة 428م.

وفي سنة 429م قرر أخوه وخليفته جنسريق دخول إفريقية، لوضع حد للقلاقل التي ثارت منذ سنة 427م بسبب صراعات أصحاب النفوذ من القواد الرومان فيما بينهم، فزحف باتجاه إفريقية في جيش جرار. ولم تحل سنة 439م حتى كان جنسريق سيد بلاد البربر بلا منازع، يؤدي له كل أسياد المنطقة الطاعة، سواء كان هؤلاء الأسياد من البربر أو من غيرهم من الرومان أو القرطاجيين.

ومع موت جنسريق سنة 477م أخذ البربر البعيدون من مركز السلطة الوندالية يتحررون شيئا فشيئا، وينقلبون على أسيادهم. وانتظمت صفوف البربر الثائرين في نوميديا في قبائل مستقرة يقودها أمراء أقوياء. وقاتل الموريون الرومان والوندال معا.

وتعددت في بلاد المغرب الدويلات الأميرية فظهر ملك مملكة مازونه، وتلقب بملك القبائل المورية والرومان في السنوات الأولى للمائة الخامسة. وكان قائد بربري آخر قد سبقه في الأوراس إلى إعلان نفسه سنة 477م ملكا، ومكث أربعين سنة لا ينازعه أحد في ملكه. وأدى هذا الاستقلال النسبي للبربر إلى استبداد الملثمين بالنفوذ على الصحراء الواقعة جنوب ما كان يعرف بخط الليمس، ولم يكن الونداليون صارمين اتجاه قيام الإمارات والممالك المستقلة التي أخذت تتزايد في المنطقة، بل كانوا يكتفون منهم في أحيان كثيرة بولاء اسمي فقط. وقاد هذا الوضع في وقت لاحق إلى انتظام البربر في مجموعات قتالية قوية أنهكت الوندال وأوقعت بهم هزائم متعددة[141].

[141] ظهر للبربر في هذه الفترة قائد ذكي مشهور بالحيلة يدعى گاباوون (گابون) من قبائل لواتة يرجع إليه الفضل في ضعضعة حكم الوندال في بلاد البربر، فراح جيش زعيم الوندال تراسموند ضحية إحدى حيل گابون الحربية، وكانت تتمثل في وضع الجمالة في شكل منحن متركب من اثني عشر جملا يصطف الواحد منها خلف الآخر على شكل شبه دائرة، وإحلال الأطفال والشيوخ وأموال القبيلة في مركز هذه الدائرة، وصف الرجال القادرين على حمل السلاح تحت بطون الجمال وقد لبسوا دروعهم. ولم يتمكن الفرسان الوندال الذين تعودوا القتال بالرماح والسيوف من دفع خيولهم التي روعتها رائحة الإبل نحو الأعداء، ولما كانوا لايحذقون رمي السهام فقد كانوا هدفا لنبل البرابرة الذين كادوا أن يبيدوا الجيش الوندالي بأسره. شارل آندرى جوليان، مرجع سبق ذكره، ص322. وقد بقي اسم هذا القائد البربري

وفي سنة 527م حكم بيزنطة امبراطور يدعى يوسطينيانوس (جوستينيان) فشرع في التهيؤ للقضاء على سلطان الوندال المتضعضع في بلاد البربر.

5- الغزو البيزنطي (533- 646م):

هزم الامبراطور البيزنطي يوسطينيانوس الوندال هزيمة منكرة في إفريقية يوم 15 دجمبر 533م، وأرغمهم على الاستسلام، وألحق بلاد البربر ببيزنطة.

وفي سنة 602م قتل الامبراطور البيزنطي موريس على يد قائده فوكاس، في وقت كانت فيه بيزنطة تئن تحت وطأة الخلافات الشخصية والتصفيات الجسدية للقواد فيما بينهم، وتعاني من الهجمات الفارسية عليها، فقام والي إفريقية ليكزرك، وكان من القادة المخلصين للامبراطور المقتول، بتجهيز ابنه هيراكليوس (هرقل) للانتقام من فوكاس الذي قتل يوم 5 اكتوبر 610م خلال الاضطرابات التي اجتاحت العاصمة البيزنطية. ونجح هرقل الذي كان يحاصر القسطنطينية في تتويج نفسه امبراطورا جديدا للرومان.

وطال أمد حكم القيصر هرقل، غير أن قبضته على بلاد البربر ظلت تتراخى، حتى آل الأمر بالمغرب إلى أن تحول إلى مجموعة من الإمارات شبه المستقلة.

ومات هرقل سنة 641م (20هـ) في وقت انشغلت فيه الامبراطورية البيزنطية بحرب المسلمين، وأخذ فيه سلطانها في إفريقية يتحلل، بينما تعاظم نفوذ الأمراء والقبائل البربرية على حساب المقاطعات الموريتانية (المغربية الجزائرية)، فانحصرت موريتانيا الطنجية في سبته، واقتصرت موريتانيا القيصرية على شرشال (قيصارية)، أما موريتانيا السطيفية فقد فقدت جزءها الغربي، كما فقدت طرابلس جزءها الجنوبي. وأخذ البربر في الانحراف عن الولاء لبيزنطة، والانفراد بكياناتهم، حتى إن إقطاعات بربرية كثيرة في

خالدا في التراث الشنقيطي، غير أن الأسطورة ظلت تطور حيله حتى جعلتها أشبه بحيل طريفة وغبية. ويطلق گابون اليوم عند الشناقطة على الحيوان المعروف عندهم بگرفاف الذي يعربونه بالدب، وتسند إليه الحكايات الشعبية كثيرا من الحيل الطريفة الذكية أحيانا والغبية أحيانا أخرى.

منطقة بلاد البربر ظهرت وكأنها مستقلة تماما عن والي قرطاج اليوناني الأصل گريگوار (جرجير)[142] الذي لم يعد بدوره يخضع لبيزنطة بنفس روح التبعية التي كان عليها منذ موت هرقل، بل إنه أعلن بعدما رأى مصر القريبة منه تسقط في أيدي المسلمين دون أن يستطيع قسطنطين الثالث الذي خلف هرقل فعل أي شيء، شق عصا الطاعة على بيزنطة. ونصب نفسه امبراطورا لإفريقية.

وفي هذا الخضم، كانت الفيالق الإسلامية التي فتحت مصر تعمل على توطيد ما حققت من فتوحات في نواحيها، تمهيدا للنفاذ إلى منطقة بلاد البربر.

[142] شارل آندرى جوليان، مرجع سبق ذكره، ص142

التاريخ الوسيط

مقدم الإسلام

1- الفتوحات الإسلامية الأولى بالمنطقة:

عبرت سنة 18هـ (639م) قوة إسلامية تتألف من ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل حدود مصر مخترقة منطقة العريش، واتجهت غربا عبر صحراء سيناء بقيادة عمرو بن العاص. واضطر المقوقس بطريق الأقباط في الإسكندرية، الذي كان يحكم مصر تحت وصاية الامبراطور البيزنطي، إلى الإذعان لتسليم مصر لهذه القوة مشترطا إقرار الامبراطور هرقل لذلك، ولكن هرقل الذي كان يحتضر مات في هذه الأثناء، فاستغل المقوقس فرصة موته وسلم مصر للمسلمين الذين كانوا قد احتلوا الإسكندرية سنة 21هـ (642م).

وواصل عمرو بن العاص تقدمه باتجاه بلاد البربر، ففتح برقة دون عناء، وصالح أهلها على الجزية، ثم سار نحو طرابلس فأجلى الرومان عنها، واستولى على حصونها سنة 22هـ (643هـ)، وسير حملة بقيادة عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويله صلحا، فصار مابين زويله وبرقة سلما للمسلمين.

وكان عمرو بن العاص يريد أن يتوغل في إفريقية، ولكن عمر بن الخطاب نهاه عن ذلك خوفا من تشتت الفتوح قبل توطدها. فلما كانت خلافة عثمان (24هـ/ 644م) تقدم والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح نحو تونس بإذن من الخليفة، فجرت بينه وبين الرومان ومن تحالف معهم من بقايا القرطاجيين والوندالين والبربر معارك طاحنة، لكن المسلمين الذين استبسلوا في القتال انتصروا أخيرا، وهزموا الرومان ومن معهم، وصالحوا البربر الذين من ورائهم على الجزية. ثم أخذ عبد الله بن أبي سرح يبعث السرايا إلى أطراف البلاد.

غير أن رومان قرطاج أثاروا البربر وجعلوهم ينقضون صلحهم مع المسلمين، فسار عبد الله بن أبي سرح ثانية بعد أن استمد عثمان، فأمده بمدد كبير فيه كثير من رجال

قريش البارزين فهزم الروم، وأخضع البربر، ووطد السلطان الإسلامي ثانية على هذه المنطقة، وبلغ المسلمون في هذه المرحلة قفصة[143].

وكان جرجير (گريگوار) القرطاجي الذي شق عصا الطاعة على بيزنطة بعد موت هرقل، ونصب نفسه امبراطورا على قرطاج قد تحالف مع القبائل البربرية تفاديا لأي غزو إسلامي منتظر. واتخذ من سبيطلة قاعدة له، فلما أحس بدنو المسلمين خرج للقائهم في 120 ألف مقاتل، لكن التحالف البربري الجرجيري انهزم، وقتل جرجير، قتله عبد الله بن الزبير نفسه فنفله ابن أبي سرح ابنته.

وصالح ابن أبي سرح البربر ومن كان في معيتهم من الرومانيين واليونانيين وسائر القرطاجيين على جزية باهظة مقابل ارتحاله بالعرب عن المزاق، فعاد إلى مصر حاملا معه غنائمه سنة 27هـ (648م).

وتسببت الاضطرابات التي أعقبت مقتل الخيلفة عثمان سنة 35 هـ (656م) في وقف الفتوحات في إفريقية 17 سنة، فاغتنم الرومانيون والقرطاجيون الفرصة فحركوا البربر ضد الحاكم الذي ولاه عبد الله بن أبي سرح مكان جرجير، بينما انشغل المسلمون عنهم بالفتنة بين أنصار علي بن أبي طالب وأنصار معاوية بن أبي سفيان.

ولما اجتمع الناس على معاوية سنة 41هـ (661م) واستتب له الحكم أمر واليه على مصر معاوية بن حديج الكندي سنة 45هـ (665م) بالزحف على إفريقية، فتوغل في المزاق، وهزم جيشا بيزنطيا بحضرموت (سوسة)، واقتحم حصن جلولاء فدكه، ثم قفل راجعا إلى مصر محملا بالغنائم.

وتم تعيين عقبة بن نافع الذي كان مسؤولا عن إحدى الحاميات بين برقة وسرت على ولاية البلاد المفتوحة، وتلقى مددا من عشرة ءالاف جندي، فأخذ ينشط في توسيع رقعة السلطان الإسلامي في بلاد البربر، وحقق نجاحا عظيما، حيث أخضع قبائل كثيرة من

---

[143] أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج1، ص93.

جملتها قبيلة لواتة الكبيرة، وفتح مناطق عديدة من ليبيا وتونس الحاليتين. وقام في سنة 50هـ (670م) ببناء مدينة القيروان.

ثم عزل معاوية عقبة وعين مكانه أبا المهاجر دينار، فنشط أبو المهاجر بعض النشاط، وتمكن من التوغل إلى عيون تلمسان، حيث هزم قبيلة أوروبة واستسلم له أميرها كسيله بن لزم.

فلما استخلف يزيد بن معاوية أعاد عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية سنة 62هـ (681م)، فأخذ ينشط نشاطا عظيما، ويسجل انتصارات كبيرة على حاميات الروم وجيوش البربر.

واصطحب عقبة معه في جيشه سلفه أبا المهاجر، كما اصطحب معه كسيله في أصفاده، وكان أبو المهاجر قد قرب كسيله وجعله من أهل مشورته، فلما عزل أبو المهاجر ثار كسيله بالبربر على عقبة تذمرا من عزل أبي المهاجر، فكان عقبة لهذا السبب يمتهن كسيله في أسره، وكان أبو المهاجر ينهاه ويحذره عاقبة ذلك.

ولم يحاول عقبة حصار الأماكن المحصنة شمال الأوراس، بل انطلق صوب طنجة مباشرة بعد أن فل جيوشا من الأهالي تعززها مجموعات رومانية اصطدم بها في الطريق، فلما وصل إلى طنجة يريد أن يعبر إلى الإفرنج خرج إليه حاكم طنجة ليليان (جوليان) بالهدايا الثمينة فصالحه، ثم قال له: أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوحة الهلاك مع الإفرنج، ويقطع البحر بينك وبين المدد، فقال له عقبة: وأين كفار البربر؟ فأشار إلى بلاد السوس[144]، فاتجه عقبة نحو السوس يقاتل جموع البربر ويطاردهم، وتجاوز بلاد درعة إلى السوس الأدنى، فالسوس الأقصى، مرورا ببلاد الزاب. وقاتل قبائل صنهاجة اللثام قتالا شديدا فانهزموا ولاذوا بالصحراء، فتتبع عقبة ءاثارهم داخل الصحراء، ودوخهم. ولم يؤد هذا القتال إلى محو وثنية صنهاجة اللثام، ولا إلى استقرار الإسلام في بلادهم، غير أن توغل عقبة في هذه المنطقة أدى إلى تساقط الحصون والمدن

[144] المرجع نفسه، ج1، ص138.

والقرى التي كانت خاضعة لصنهاجة الجنوب. وقد فتح عقبة في حملته هذه مدينة ماسة في السوس الأدنى، ومدينة نفيس قرب أغمات، ومدينة تارودانت الواقعة على بعد أربعة أميال (7,36كلم) من درعة.

وأسلمت على يدي عقبة قبيلة بني وارث (إيويرزگ) الصنهاجية، التي توغلت بعد ذلك في بلاد شنقيط، وظلت تقاتل السوننكيين هناك[145] إلى أن قامت الدولة المرابطية.

وقتل عقبة وهو في طريق عودته على يد كسيله الذي كمن له في قبائل من البربر وفيالق من الروم بناحية تهوده (قرب بسكرة الجزائرية الحالية)، فقتله مع ثلاثمائة من فرسانه سنة 63هـ (683م). واستولى كسيله على إفريقية ودخل القيروان منتصرا، واتخذها عاصمة له، واضطر المسلمون الفاتحون إلى التراجع إلى ما وراء برقة في انتظار قدوم المدد بعدما رأوا من تضافر البربر -الذين كثر فيهم الارتداد عن الإسلام- والروم والقرطاجيين عليهم.

ولما تأمر عبد الملك بن مروان سير زهير بن قيس البلوي الذي كان مقيما في برقة منذ مقتل عقبة بن نافع لقمع حركة كسيله، وتوطيد الحكم الإسلامي في إفريقية وبلاد المغرب، فواجهه كسيله قرب القيروان، ومعه حشود من البربر واليونان والرومان، وذلك سنة 69هـ (688م) فهزمهم، وقتل كسيله واسترد القيروان، وطارد فلول البربر حتى وادي ملوية.

وفي هذه الوقعة ذل البربر وفني فرسانهم، وتشتت شملهم، وانخضدت شوكتهم، واضمحل أمر الرومانيين، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا فلجأوا إلى القلاع والحصون، وكسرت شوكة قبيلة أوروبة منهم، فنزح جمهورها إلى المغرب الأقصى، وتسربت إلى الصحراء الشنقيطية حيث شكلت جزءا مما سيعرف لاحقا بشعب الفلان[146].

---

[145] ابن عذاري، البيان المغرب، مرجع سبق ذكره، ج4، ص11.

[146] راجع فصل الأجناس السكانية الذي تقدم.

وقام البيزنطيون انتقاما من زهير بإنزال جيش من البحر في برقة، داهم جيش زهير وتمكن من هزيمته بعدما لقي زهير حتفه، على إثر قتال شديد مات فيه الكثير من أشراف قريش.

ولما بلغ الخبر عبد الملك بن مروان أمر حسان بن النعمان الغساني واليه على مصر بالزحف بقوة كبيرة لتلافي الأمر، فسارع إلى قيادة حملة عظيمة لم يدخل المسلمون إفريقية بمثلها. وقام حسان بمحو كل أثر للبيزنطيين في إفريقية، وتوغل في المغرب حيث واجه جيش كاهنة جبال الأوراس (بالجزائر) اليهودية فقتلها وفتح بلادها.

واستقامت بلاد إفريقية والمغرب لحسان فدون الدواوين، وفرض الخراج على من تشبث باليهودية أوالنصرانية من بربر المنطقة. وبقي الملثمون (گدالة ولتونة ومسوفة...إلخ) في صحرائهم على وثنيتهم لم يمتد إليهم سلطانه.

لكن البربر عادوا إلى الانتقاض والتمرد حينما عزل حسان عن الولاية سنة 87هـ (705م) وعين محله موسى بن نصير، وكان موسى بدوره قويا وحازما فجد في قمع المتمردين، وحسم الفتن وتوطيد النظام فانتشر الإسلام، وأخذ البربر يتنافسون على الدخول فيه.

ولم تفلح حملات موسى بن نصير في حمل قبائل الملثمين المنتشرين في الصحراء الشنقيطية على دخول الإسلام، بل ظل معظم الملثمين بعيدين عن مرمى أسلحة المسلمين، حتى كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب الذي عينه هشام بن عبد الملك فقدم إلى القيروان سنة 116هـ (34-735م)، وكان الإسلام ما يزال ضعيفا في بعض المناطق القاصية من بلاد المغرب، فجيش عبيد الله بن الحبحاب الجيوش إلى منطقة السوس الأقصى، وعين عليها ابنه إسماعيل بن عبيد الله فوجه هذا الأخير من المغرب الأقصى حملات متتالية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري توجهت إلى صحراء الملثمين وأثخنت في مسوفة وتوغلت في بلاد شنقيط، وأصابت من السبي

أمرا عظيما وظفرت بذهب كثير[147]. ومن هذه الحملات تلك التي قاد المشتري بن الأسود الذي قال: «غزوت بلاد انبيه (انبته) عشرين غزاة من السوس الأقصى، فرأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج كثيب من رمل يخرج النيل من تحته... وبلاد انبيه (انبته) من السوس الأقصى على مسيرة سبعين ليلة في براري ومفاوز[148]».

وعندما استقل عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري بحكم إفريقية سنة 127هـ/ 745م، وجه حملة رسخت خضوع المغرب لسلطته. وواصل عبد الرحمن فتوحات أبيه حبيب وجده عقبة متوغلا في بلاد الملثمين، وحفر سلسلة من الآبار في الصحراء، بعض منها يقع في شمال بلاد شنقيط[149].

وبقي معظم الصنهاجيين الموغلين في الصحراء رغم هذه الحملات متشبثين بالوثنية باستثناء مجموعات قليلة آثرت اعتناق الإسلام، لأن سلطان الفهريين بالمغرب سرعان ما تراجع، مؤديا إلى تمزق المنطقة تمزقا شجع الخوارج الذين كثروا بالمنطقة على الترويج للمذهب الخارجي.

2- الإسلام يفشو في بلاد شنقيط بفضل التجار الخوارج:

وفشا الإسلام ببطء في بلاد انبته بعد ازدهار التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها، لاسيما بعد قيام دولة بني مدرار الخارجية الصفرية بسجلماسة سنة 140هـ/ 57-758م، ودولة بني رستم الخارجية الأباضية بتاهرت التي تأسست سنة 161هـ/777م، حيث عمل تجار هاتين الدولتين على ترويج التجارة وتسيير القوافل منهما إلى مملكتي التكرور وغانه عبر بلاد الملثمين[150] ناشرين الإسلام الخارجي في

---

[147] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص22.

[148] المرجع نفسه نقلا عن البلاذري.

[149] سيأتي تفصيل هذه الآبار لاحقا.

[150] استقلت خلال القرن الثاني للهجرة الأندلس عن المغرب بعدما جاز إليها عبد الرحمن الداخل مع خلق من أخواله من البربر، وأسس فيها دولته الأموية الشهيرة سنة 138هـ، 55- 756م. كما أدت الحروب التي اندلعت في إفريقية والمغرب إلى التئام الخوارج الأباضية في تاهرت بالمغرب الأوسط حول عبد الرحمن بن رستم (ابن أمير فارس في معركة

المنطقة. وقد ساعد هؤلاء التجار على نشر المذهب الخارجي بين السكان وصول جالية من الخوارج الهواريين القادمين من نواحي الأوراس (الجزائر الحالية) إلى آدرار ببلاد شنقيط في نفس الفترة. وحسب ابن خلدون فإن هؤلاء الهواريين كانوا يسكنون مع قبيلة ورفجومة الأباضية، ففارقوها إثر هزيمتها سنة 57هـ/ 677م، وأخذوا بمذاهب العرب والتزيي بزيهم والتحدث بلغتهم، نزوعا إلى ما تتشبث به هوارة من الانتماء إلى أصل عربي [هو قبيلة كندة]، ثم عبرت منهم طائفة بعد ذلك إلى بلاد الملثمين[151].

القادسية) الذي فر إليهم من القيروان، فأقام لهم بتاهرت دولة أباضية سنة 161هـ 777م شمل نفوذها أغلب الجزائر الحالية وجنوب تونس وغرب وجنوب ليبيا وامتد حتى مشارف مملكتي غانه والتكرور. وقد استمرت هذه الدولة حتى قضى عليها العبيديون سنة 296هـ 909م. وجاء قيام دولة الخوارج الأباضيين بتاهرت مباشرة بعد قيام دولة إخوانهم الخوارج الصفرية الذين استوطنوا سجلماسة سنة 140هـ 57- 758م واتخذوها عاصمة لهم، فكان لهم فيها ملك استمر إلى سنة 366هـ 977م قبل أن يستأصله بنو خزرون من ملوك مغراوة. وزاد بناء الخوارج الصفرية لعاصمة مملكتهم الجديدة سجلماسة من أهمية مدينة أودغست التي أضحت الرابط التجاري الرئيس بين سجلماسة في الشمال ومدن السودان الجنوبية الغنية بالذهب، فشجع هذا قبائل صنهاجة اللثام على احتلال مدينة أودغست وإقامة ملك مدني بها خاص بهم. فكان هذا سبب قيام مملكة انبته (الأنباط) الملثمين. ولم يلتئم أمر إفريقية والمغرب تحت سلطة واحدة بعد هذا التفكك، بل آلت إفريقية بعد سلسلة من التطورات إلى الأغالبة (بني إبراهيم بن الأغلب التميمي) بتولية من هارون الرشيد، فاستمرت لهم هناك دولة من 184هـ إلى 296هـ (800م، 08-909م) حيث قضى عليها العبيديون. وتمكن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى من إقامة دولة إدريسية بالمغرب الأقصى سنة 170هـ 786م. وقد استفحلت هذه الدولة طيلة قرنين، ثم محاها العبيديون أيضا سنة 375هـ 985م. وقامت الدولة العبيدية الشيعية سنة 297هـ 910م فعظم شأنها بالمغرب الذي محت معظم دوله. وكانت سببا في القضاء على العديد من الجيوب الخارجية والوثنية التي كانت ما تزال باقية فيه. غير أن العبيديين لم يتمكنوا من المحافظة على الأجزاء الجنوبية للبلاد التي سيطروا عليها، فكثرت الثورات فيها، وكثر خروج الولاة على العبيديين وموالاتهم للأمويين بالأندلس الذين كانوا يشجعون المذهب المالكي ويضادون العبيديين الشيعة. ثم طمحت الدولة العبيدية إلى عبور إفريقية باتجاه مصر فتمكنت من فتحها سنة 358هـ 969م، ونقل زعيمها المعز الفاطمي عاصمته إليها سنة 362هـ 973م. وعهد المعز -الذي ارتحل إلى مصر بجميع موظفيه وخزائنه وأثاث قصوره، وحاميات كبيرة من جيوشه- بحكم إفريقية والمغرب لزعيم صنهاجة المدر بلكين بن زيري بن مناد باسم العبيديين. فقامت للزيريين بإفريقية والمغرب دولة عظيمة لم تضمحل إلا سنة 547هـ 1152م، حيث محا المرابطون (446هـ- 545هـ 1054م- 1150م) منها ما لم يمحه اجتياح قبائل بني سليم وبني هلال ومن معهم من قبائل المعقل للمنطقة.

[151] ابن خلدون، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره، ص251. وقال والد: إن منهم أحمد الهكاري (كان حيا في عجز القرن العاشر الهجري،16م) والد خديجة أم أحمد بزيد اليعقوبي جد قبيلة أهل باركلل وأختها فطيمة أم بابحمد وباركلل وبوميجه أبناء يعقوبنلل بن ديمان جد قبيلة أولاد ديمان.

وهؤلاء الهواريون هم الذين ذكر المؤرخ والد بن خالنا في بعض تقاييده باسم الهكاريين (الهواكير)[152]، لأن عجمة لغة صنهاجة قلبت واو الهواريين كافا كما ذكر ابن خلدون[153].

وقد عمل هؤلاء الهواريون الذين اشتهر منهم بطن بني كملان على نشر الأباضية في بلاد شنقيط وترويج العربية بها، واستوطن بطن بني كملان الهواري أرض گدالة قبل أن ينقرض وتذوب بقيته في القبائل الأخرى.

ومن الهواريين مجموعات استوطنت آدرار وتگانت والساحل والگبلة، ثم التأم قسم منهم خلال القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري (16-17م) حول بئرهم المعروفة بانهكاره (غرب المذرذرة)، ومعنى انهكاره بئر الهواكير. ولبقايا الهواكير اليوم عقب معروف في بعض قبائل تشمشه الحالية.

وكانت گدالة أكثر مسارعة إلى دين الخوارج من لمتونة ومسوفة اللتين سرعان ما تحول أغلبهما إلى التشيع بعدما سيطر العبيديون (الفاطميون) على المناطق المحاذية لهم من الشمال (سنة 296هـ/ 909م)، حيث وفد إليهم أمراء مملكة انبته اللمتونيون وشيوخها مبايعين[154]، فأخذت بذلك الوثنية في الارتفاع تدريجيا من البلاد.

ولم تقتصر دعوة التجار الخوارج إلى الإسلام على القبائل الصنهاجية والزناتية الموجودة ببلاد شنقيط، بل تجاوزتها إلى مملكتي غانه والتكرور الزنجيتين، حيث يعود لهؤلاء الخوارج الفضل في إسلام عدد من رعايا كل منهما، فيذكر المؤرخ الأباضي أبو العباس الدرجيني (القرن السابع الهجري/ 13م) في كتابه طبقات المشايخ أن جد والده التاجر الأباضي علي بن يخلف النافوسي، سافر من بلاده (بجنوب تونس) إلى غانه بغرض التجارة وأقنع ملك غانه بالدخول في الإسلام. ويذكر المؤرخ أبو العباس الشماخي

---

[152] والد بن خالنا، ورقات في الأنساب، مصدر سبق ذكره، ص8.

[153] ابن خلدون، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره، ص251.

[154] يذكر ابن الأحمر أن مجموعة من لمتونة وفدت على الدولة الإدريسية إبان قيامها سنة 170هـ (786م) وأسلمت على يد الإمام إدريس.

(تـ 928هـ/ 1532م) أن الملك الذي اعتنق الاسلام كـان ملـك غانـه لكـن الحادثـة حدثت في مالي. ويروي كتاب الجوهرة الأباضي حادثة إسلام ملك غانه هذه بشيء مـن التفصيل، ويؤكد هذه الرواية ابن خلدون قـائلا: إن أول مـن اعتنـق الإسـلام في مـالي ملكها برمندانه. ويـروي ابـن الصـغير المـالكي الـذي عـاش في العاصـمة الرسـتمية تاهرت، وكتب تاريخه عن هذه الدولـة في الفتـرة مـا بـين 281 - 294هـ (895 - 907م) أثناء حديثه عن تطور مدينة تاهرت إن طرق التجارة فتحت مع جميع البلـدان المجاورة مثل السودان، ويضيف أن الإمـام الأباضـي أفلـح بـن عبـد الوهـاب (208 - 240هـ/ 824 - 855م) أرسل وفدا يرأسه أحد أعيان الدولة يدعى محمد بـن عرفـه بهدايا إلى ملك السودان. ومع أن ابن الصغير لم يسم في تاريخه الملك ولا المملكـة الـتي زارها وفد الدولة الأباضية فإنه يعتقد أن البلاد التي زارها هي إمارة السونغاي.

أما المؤرخ أبو الربيع الوسياني فيذكر أن أفلح بن عبد الوهاب كان قـد فكـر في القيـام بزيارة گاوه إلا أن والده منعـه مـن ذلـك، وعنـدما أصـبح إمامـا أراد تعزيـز علاقاتـه التجارية والسياسـية بإقامـة علاقـات وديـة مـع دولـة السـونغاي الناشـئة في حـوض النيجر[155].

غير أن كل هذه الجهود لم تؤد إلى محو مطلق للوثنية، بل بقي عدد من قبائل المنطقة على دينه الأصلي، كما ظل إسلام معظـم الملـثمين مشوشـا وسـطحيا، إلى درجـة أن بعـض عائلات ملثمي مملكة انبته ظلت حتى قيام دولة المرابطين تخلط بـين المـذهبين الخـارجي والشيعي في ممارساتها الدينية.

[155] إدريس صالح الحرير، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في انتشار الإسلام هناك، مرجع سبق ذكره، ص67-83.

مملكة آوكار وانقسامها إلى مملكتي غانه وانبته

أدى تراجع سلطان الفهريين في المغرب الذي بدأ بقيام دولة عبد الرحمن بن حبيب الفهري سنة 127هـ/745م، وانهار بعد مقتل إلياس بن حبيب الفهري سنة 146هـ/ 764م إلى تمزق المنطقة تمزقا شجع على قيام العديد من الدويلات الإسلامية بها[156]، وقاد ذلك إلى قيام دولة بني مدرار الخارجية الصفرية التي اتخذت من سجلماسة سنة 140هـ/ 57-758م عاصمة لها. وزاد قيام هذه الدولة الجديدة من أهمية مدينة أودغست التي سرعان ما أضحت الرابط التجاري الرئيس بين سجلماسة في الشمال وبلاد السودان الجنوبية التي يجلب منها الذهب.

ودفع هذا الدور الجديد لأودغست أمراء صنهاجة اللثام المسيطرين على شمال وغرب صحراء شنقيط إلى التفكير في احتلال مدينة أودغست واتخاذها عاصمة لهم. وأودغست مدينة مندثرة توجد أطلالها اليوم على مسافة 34 كلم شمال شرقي مدينة تامشكط بولاية الحوض الغربي (المنطقة الشرقية لبلاد شنقيط) بضاحية بئر النوداش التي هي تحريف لكلمة أودغست التي تحرفت بدورها عن كلمة "اديأذ أوگس" بالذال، فلذلك ربما كتبت أودغست في بعض المراجع الوسيطة بالذال (أوذغست)، وتعني باللغة الصنهاجية "أهل القبلة"، ولا يريدون بها معناها المتداول اليوم الذي يعني الجنوب بل معناها الشرعي الذي يقصد به كونهم من أهل الملة الإسلامية، فهي إطلاق أطلقه مالكية المغرب والأندلس في عهد الدولة الفاطمية على خوارج أودغست والمناطق المحيطة بها الموجودة جنوب سجلماسة[157]، وما زال يستخدم اليوم للدلالة على بلاد

---

[156] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص8.

[157] كانت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الخارجي ضد الحكم الفاطمي التي دامت أكثر من عشر سنوات من أعتى الثورات، وكانت السبب في تحالف الخوارج والمالكيين بالمغرب ضد الشيعة، فقد كان والد أبي يزيد واسمه كيداد من أهل قسطيلة، وكان يختلف بالتجارة إلى بلاد السودان (عبر أودغست) وبها ولد ابنه يزيد الذي نشأ على التعلم فحفظ القرآن صغيرا، وتمذهب بمذهب الخوارج النكارية، وسافر إلى تاهرت فأقام بها يعلم الصبيان، ثم عمل بالحسبة سنة

گدالة التي كانت قاعدتها آوليل (بلاد التـرارزة) وكانـت خارجيـة المـذهب، كمـا أنـه أصبح عرفا على الجهة الجنوبية بالنسبة للسكان الواقعين عـن شمـال التـرارزة وعلـى الجهـة الغربيـة بالنسـبة للسـكان الـذين يعيشـون في المنـاطق الشـرقية بالنسـبة لهـا. وأودغست كما قال ابن حوقل الذي يكتبها بالـذال: «علـى جنـوب تامـدلت، وعلـى سمتـها في نقطـة المغـرب آوليـل [منطقـة تمتـد مـن 60 كلـم إلى 135 كلـم جنـوب انواكشوط، تعرف قاعدتها بانتررت الـتي تبعـد 90 كلـم جنـوب انواكشـوط]، وبـين سجلماسة إلى أوذغست مسيرة شهرين على سمت المغـرب، فتقـع منحرفـة محـاذاة عـن السوس الأقصى كأنها مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السـوس إلى أوذغسـت، وهـي مدينـة لطيفـة أشـبه شـيء بمكـة شـرفها الله وحماهـا لأنهـا بـين جبلين[158]».

وكانت أودغست تعرف –كما قال اليعقوبي- مع ما دونها من البلاد في القرن الثالـث للهجرة (التاسع للميلاد) عند أهلها ببلاد انبته التي سمتـها المراجـع العربيـة الوسـيطة تصحيفا ببلاد انبيه، وانبته نطق قديم لكلمة الأنباط المشهور إطلاقها اليـوم علـى قبيلـة إيدوعيش أو بعض فروعها، وبعض فروع قبيلة مشظوف، وكانت انبته (الأنبـاط) قـديما تطلق على فروع الملك والزعامـة في صـنهاجة. وقـد لعبـت أودغسـت منـذ قيامهـا في

310هـ 922م فكثر أتباعه. ولما مات المهدي ظهر في ناحية جبل أوراس واشتهر بصاحب الحمار وتلقب بشيخ المؤمنين، ودعا للناصر الأموي صاحب الأندلس. وانضم إلى أبي يزيد مالكية المنطقة الذين رأوا فيه خلاصا من المذهب الشيعي، فقد كانوا يرون من شدة ما لاقوه من المهدي من القسوة أن البربر الخوارج الموجودين في جنوب المغرب مسلمون من أهل القبلة يجوز التحالف معهم ضد العبيديين. وكان أبو يزيد يستميل أهل السنة بترحمه على أبي بكر وعمر وحث الناس على قراءة مذهب مالك والالتزام بالكتاب والسنة والتعاون على القضاء على العلو المشترك الدولة العبيدية ونصرة الولي المشترك الدولة الأموية. فكان هذا هو السبب في تسرب مصطلح أهل القبلة إلى سكان سجلماسة وما وراءها جنوبا من البلاد التي استوطنها الخوارج كبلاد شنقيط، قبل أن تصبح بعد ذلك أهل القبلة مرادفا لأهل الجنوب. وفي سنة 333هـ 944م تغلب أبو يزيد على القيروان بدعم من المالكية، غير أنه قتل في السنة الموالية. لكن أبا يزيد لم يقتل حتى ترك خلفه وشائج قوية بين المذهبين الخارجي والمالكي. راجع، فتحي زغروت، العلاقات بين الأمويين والعبيديين في الأندلس والشمال الإفريقي، ط1، 2006، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص 50-75.

[158] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط2، 1995، ص277.

العهد الأغرماني دور محطة وسيطة بين تجار الامبراطورية الرومانية الذين كانوا يفدون إلى الصحراء قادمين من الشمال بحثا عن جملة من البضائع أهمها الذهب، وبين تجار السودان الراغبين في اقتناء المنتوجات الرومانية، حيث كانت تقع في موقع مناسب لتبادل البضائع، وتتمتع بحماية طبيعية من طرف جبال أفله من ناحية، وكتلة اركيز الصخرية من ناحية أخرى.

1- مملكة آوكار:

وكانت أودغست في ذلك العهد تشكل جزءا من مملكة آوكار، وآوكار فضاء رحب، تحدث عنه البكري[159]، يمتد من شرق وجنوب شرق تگانت متصلا بالحوض، ثم ما لبثت أن أصبحت عاصمة للتنظيم السياسي الذي نشأ ببلاد آوكار حوالي سنة 300م، وتأسس على أيدي أقوام يتفق المؤرخون على أنهم بيضان الأصل وإن جهلوا من أي البيضان هم، كما نقل السعدي في تاريخ السودان: «قيل إن سلطنتهم كانت قبل البعثة، فتملك حينئذ اثنان وعشرون ملكاً، وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكا. وعدد ملوكهم أربعة وأربعون ملكا، وهم بيضان في الأصل، ولكن ما نعلم من ينتمي إليه في الأصل[160]». وقال محمود كعت في الفتاش: «الأصح أنهم ليسوا من السودان، وقيل من صنهاجة[161]». وقد أطلق عليهم السوننكيون اسم السرغولى، ومعناها الرجال البيض أو موطن الرجال البيض كما قال ابن حامدن[162]. وهؤلاء الملوك البيضان من أغرمان (أغرمنطين كما سماهم الخوارزمي[163]) الذين وفدوا إلى الصحراء الشنقيطية قادمين من ليبيا، في أواخر القرن الميلادي الأول لحماية القوافل الرومانية، وكانوا يسيطرون في

---

[159] البكري، مرجع سبق ذكره، ص382.

[160] السعدي، تاريخ السودان، تاريخ السودان، تحقيق ونشر هوداس، 1981، ص28.

[161] محمود كعت، الفتاش، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، نشر هوداس ودلا فوس، ص36.

[162] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص68.

[163] سبق تخريجه.

الفترة التي قامت فيها مملكة آوكار على المسالك التجارية الصحراوية الواقعة جنوب بلاد درعة بفضل أعدادهم الوفيرة وعرباتهم التي تجرها الخيول. وعندما قامت مملكتهم كان شعبها يتألف من السكان البيض الموجودين في المنطقة الممتدة إلى آدرار غربا، والسكان السود الواقعين دون نهر النيجر شرقا وجنوبا، بينما شكل التجار اليهود الأثرياء الذين فروا من برقة باتجاه الصحراء خلال القرن الثاني الميلادي تحت ضغط روما[164]، وتوزعوا بين أودغست وغيرها من المحطات التجارية الصحراوية الجهاز الإداري والاقتصادي لهذه المملكة.

وكانت للأنباط الملثمين مع ملوك آوكار الأغرمانيين في بداية التواجد الصنهاجي بالمنطقة علاقات حسنة فهم -خاصة لمتونة ومسوفة وگدالة- المسيطرون على الأجزاء الشمالية والغربية من طرق القوافل، وهم ملاك الجمال التي يصرف عليها التجار التجارات شمالا وجنوبا، كما أنهم سيطروا بعد توغلهم في الصحراء على المالح المهمة في المنطقة، وكان الملح من أهم ما يجلب إلى السودان ويقايض به الذهب.

غير أن العلاقات بين سكان آوكار والملثمين ساءت خلال القرن الثاني للهجرة (8م) بسبب طمع الملثمين في كسب منافع أكثر من خفارة تجار الذهب الذين أصبحوا في هذه الفترة عربا مسلمين. وتمكن الأنباط من بسط نفوذهم على القسمين الغربي والشمالي من مملكة آوكار ثم احتلال أودغست، فرد أغرمان والسوننكيون بإقامة دولة خاصة بهم في ما بقي لهم من الأرض، ثم اتخذوا من مدينة كونبي (كونبي صالح لاحقا) في أقصى الجنوب الشرقي لبلاد شنقيط عاصمة جديدة لهم، وكانت لهم عاصمة أخرى قبل ذلك تدعى واگادو[165] واشتهرت دولتهم بغانه، وظل ملوكها لفترة من الزمن من أغرمان[166].

---

[164] أحمد الشكري، مرجع سبق ذكره، ص11.

[165] بوبكر خالد باه، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص49.

[166] راجع فصل الأجناس السكانية القديمة ببلاد شنقيط الذي تقدم.

وحدث هذا التحول الذي وقع بعيد سنة 157هـ (773م) بقليل بفعل مجموعة من العوامل أهمها تدهور العلاقة بين الملثمين وملوك آوكار، ورغبة الملثمين الذين انتشروا في المنطقة في مداخيل أودغست من الذهب والضرائب.

ويبدو أن تقلص مجال مملكة آوكار الشمالي والشمالي الغربي بفعل غزو الأنباط ومن معهم من قبائل صنهاجة المتكرر للأغرمانيين، مع توسع مجال غانه جنوبا وشرقا هما اللذان غيرا من توازنها العرقي لصالح السود السوننكيين الذين سيذوب فيهم أغرمان لاحقا.

2- مملكة غانه:

وأخذ الغانيون الأغرمانيون والسوننكيون بعدما فقدوا النصف الشمالي من مملكتهم، يتوسعون على حساب الممالك السودانية المنتشرة إلى جهات الغرب والجنوب والشرق، ليشمل نفوذهم كل مجال الشعب السوننكي تقريبا من ضفة نهر السينغال غربا، إلى ضفة نهر النيجر شرقا، إلى حدود الغابات الاستوائية جنوبا. وحسب البكري فإن «غانه سمة لملوكهم واسم البلد آوكار[167]»، وأصل كلمة غانه گانه[168] فقلبته العرب غينا، وهو اسم أطلقه الصنهاجيون عليها، اشتقوه من كلمة "أگنون" الصنهاجية، ومعناها السودان (الزنوج)[169]، وأطلقوا على لغتهم اسم اللغة الگناوية (الجناوية في المراجع العربية الوسيطة).

وكان موقع عاصمتهم كونبي -التي تقع جنوب مدينة تمبدغه على مسافة 65 كلم عن طريق بوسطيلة في الجنوب الشرقي لبلاد شنقيط- في ذلك العصر يمنحها وضعية اقتصادية متميزة حيث كانت أشبه ما تكون بميناء على ساحل بحر الرمال يرتاده

---

[167] البكري، مرجع سبق ذكره، ص171.

[168] بالكاف المعجمة كالجيم المصرية.

[169] يسمي الصنهاجيون الأسود بالأگنوي وبلده بأگنه، ويسمون الغابة تگانت لأن أوراقها وأغصانها تحجب الأشعة فتغدو مظلمة سوداء.

التجار الشماليون من العرب والبربر ليستفيدوا من علاقاتها النشطة مع مناطق الغابات الاستوائية الغنية بالذهب، مما أهلها لتكون إحدى أكبر عواصم العالم الوسيط[170].

وعمل الغانيون في كونبي مع بداية القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) على إضعاف الخط التجاري المار بأودغست التي سقطت في يد أمراء انبته (الأنباط)، وتشجيع خط سجلماسة- تغازة- كونبي للتخفيف من حاجتهم إلى ملح غرمائهم الصنهاجيين، وكذلك خط كونبي- مصر، وهو خط كان محفوفا بالمخاطر لندرة المياه عليه، وانعدام الحماية على طوله[171].

وكانت مملكة غانه تتوفر على ثروات لها أهمية قصوى في التجارة العالمية آنذاك هي الذهب والرقيق. وكانوا يبادلون ذهبهم بالسلع الأخرى وزنا بوزن، مما كان يثير التجار العرب، ويدفعهم إلى ركوب المخاطر الكبيرة للحصول على هذا المعدن الثمين الرخيص[172]. وكان بغانه منجمان رئيسيان أحدهما في بامبوك بين نهر السينغال وفالييي، والآخر في بوري القريبة من مدينة سيغري.

وقد أعان التواصل بين الشعبين البيضاني والسوداني في أودغست أولا ثم كونبي ثانيا، وكذلك في المجال الواقع بينهما إلى قيام جنس مختلط بيضاني سوداني.

ويظهر أن علاقة ملك غانه برعاياه كانت مطبوعة باحترام كبير فقد كان العدل يطبع بشكل متميز سلوك الملك، بينما كان صدق الولاء يطبع سلوك الرعية. وكانت الزعامات المحيطة بكونبي تشارك في التسيير الإداري والسياسي للمملكة، بينما كان الملك يأخذ أبناءها كرهائن يقيمون عنده في القصر معززين مكرمين.

ويجد الملك الغاني في قوته العسكرية وسيلة مادية لتدعيم سلطته عن طريق المبالغة في الاستعراض العسكري أثناء الاحتفالات.

---

[170] النافي بن الحسين، موريتانيا من غانه إلى المرابطين، مرجع سبق ذكره، ص10.

[171] أحمد الشكري، مرجع سبق ذكره، ص30.

[172] المرجع نفسه، ص53.

ومع أواخر القرن 4 وأوائل القرن 5هـ (أواخر القرن 10 وأوائل القرن 11م) بلغت غانه أوج قوتها وتوسعها، وأخضعت العديد من المناطق بما فيها أودغست.

وقد ساهم توافد التجار العرب والمسلمين إلى غانه في انتشار الإسلام (الخارجي) في أوساط المجتمعين الأغرماني والسوننكي لدرجة أن المملكة كانت تعيش خلال الثلث الثاني من القرن 5هـ (11م) مرحلة انتقالية أدت إلى تعميق وترسيخ الإسلام بين أهل غانه، في وقت حل فيه ملوك سوننكيون سود محل الملوك الأغرمانيين البيض، فقد كان الملك الغاني بسي الذي توفي عام 455هـ/ 1063م -كما ذكر البكري- محمود السيرة، محبا للعدل، مرثدا (مؤثرا) للمسلمين، أما ابن أخته تنكامنين الذي خلفه في الحكم فقد كان يعتمد أساسا على المسلمين في تسيير شؤون الحكم، حيث كان يتخذ منهم مترجميه، وأصحاب بيت ماله، وأكثر وزرائه[173].

ومع انتصاف القرن الخامس الهجري (القرن 11م) أخذت مملكة غانه تتقلص من الشمال تحت وقع هجمات الصنهاجيين الذين سوف يستعيدون أودغست مع قيام دولتهم المرابطية، وتحت وقع هجمات التكرور الذين اعتنقوا الإسلام قبل قيام المرابطين، ثم تكاتفوا معهم على فتح غانه، حتى أمست الامبراطورية الغانية مجرد مملكة سوننكية صغيرة بعد دك المرابطين لواحد من أهم معاقلها جني سنة 469هـ/ 1076م.

ولم يحل القرن السادس الهجري (12م) حتى كان آل صالح العرب الأشراف الطالبيون يحكمونها[174] بعدما محا فاتحوها اللمتونيون كل أثر للوثنية والإسلام الخارجي بها.

---

[173] البكري، مرجع سبق ذكره، ص174.

[174] نقل الناصري في الاستقصاء عن نزهة المشتاق أنه لا يعرف صالح في أولاد عبد الله بن الحسن المثنى. انظر،الناصري، الاستقصاء، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس، ص100). وقال ابن خلدون: صالح بن موسى أو ابن عبد الله بن موسى. وهو صالح بن عبد الله بن موسى بن يوسف بن محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، بعثه جده أيام انتعاش دعوتهم بالحجاز واليمامة إلى بلاد السودان لإقامة دعوة لهم بها، كما نقلت بعض الكتب المختصة بالترجمة للأشراف. الطاهر بن عبد السلام اللهيوي في كتابه حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام، ص78 وما بعدها.

وفي هذه الفترة أضيفت كلمة صالح إلى اسم العاصمة الأصلي كونبي ليصبح اسمها الجديد كونبي صالح كما تعرف به حتى اليوم.

وينقل لنا ابن عبد المنعم الحميري أنه كان للملوك آل صالح في كونبي صالح أبهة عظيمة[175].

ويحدثنا الإدريسي عن حدود غانه في هذا العهد فيعرفها بأنها «تتصل من غربيها ببلاد مقزارة (مغزاره التكروريين)، ومن شرقيها ببلاد ونقارة (ونگاره السوننكيين)، وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية (بلاد بمباره)[176]».

وظلت غانه تحت أيدي آل صالح الطالبيين حتى سنة 601هـ/ 1203م حيث تمكن الصوصو من ضم غانه إلى بلادهم، واحتلال كونبي صالح، فأصبحت ملحقة بها، إلى أن تمكن قائد قبائل الماندينگ المالي سونديانا كيتا من هزيمة الصوصو سنة 634هـ/ 1235م وإلحاق غانه بامبراطورية مالي. ولم تفقد كل هذه التحولات غانه استقلالها الذاتي أو تغير من حكم آل صالح لها، وإن انتقلت عاصمتها إلى ضفاف نهر النيجر، فقد ذكر الصفدي نقلا عن ابن سعيد (تـ685هـ/ 1286م) في كنوز المطالب «أنه للصالحيين ملك متوارث إلى الآن بغانه من بلاد السودان في أقصى غرب النيل[177]».

وفي عهد المنسا موسى (منتصف القرن 8هـ/ منتصف القرن 14م) يخبرنا الشيخ الدكالي بأنه ليس في مملكة مالي «من يطلق عليه اسم ملك إلا صاحب غانه، وهو كالنائب له وإن كان ملكا، وكأنه إنما بقي اسم الملك على صاحب غانه دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاء كليا[178]». ثم تفككت مملكة مالي خلال القرن التاسع للهجرة (15م)، في فترة اضمحل فيها ذكر غانه نهائيا.

---

[175] محمد بن عبد المنعم الحميري، مرجع سبق ذكره، ص97.

[176] الإدريسي، مرجع سبق ذكره، ص9.

[177] المختار بن گاگيه، مرجع سبق ذكره، ص87.

[178] المرجع نفسه نقلا عن صبح الأعشى.

3- مملكة انبته:

اتخذ الملثمون من أودغست التي احتلوها بعيد سنة 157هـ (773م) بقليل، عاصمة لملكهم الضخم الذي وطده لهم ملكهم العظيم تيولوتان بن تيكلان الذي ملك الصحراء بأسرها، وقيل عنه إنه كان يركب في مائة ألف نجيب، وإن مساحة دولته بلغت مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها. وبلغت مدة حكم تيولوتان 65 سنة وتوفي سنة 222هـ (837م) عن عمر يناهز الثمانين.

وكان الملثمون حتى هذا العهد ما يزالون وثنيين في أغلبهم، فقد وصفهم اليعقوبي بأنه لم يكن لهم دين ولا شريعة آنذاك، وأنهم كانوا مشتغلين بغزو بلاد السودان[179]. وذكر الفزاري الذي كان حيا في النصف الثاني من القرن الثامن ميلادي (133هـ-184هـ) أن مساحة مملكتهم لذلك العهد تصل إلى 250 فرسخا (نحو 1385 كلم)[180] طولا و600 فرسخ (نحو 3324 كلم) عرضا. ويتحدث اليعقوبي الذي كان يكتب في أواخر القرن الثالث للهجرة (9م) عنهم باسمهم انبيه (يقصد انبته) بقوله: «ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان، من سائر بطون السودان، يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين مرحلة (1100 كلم تقريبا)، ثم يلقاه قوم يقال لهم انبيه (انبته) من صنهاجة في صحراء ليس لهم قرار شأنهم كلهم أن يتلثموا بعمائمهم، سنة فيهم، لا يلبسون قمصا إنما يتشحون بثيابهم. ومعاشهم من الإبل ليس لهم زرع ولا طعام، ثم يصير إلى بلد يقال له غسط (أودغست)[181] ».

وبسبب استيلاء الملثمين على أودغست نزحت جماعات من التجار الزناتيين الخوارج إلى آدرار حيث بافور، ثم لم يلبثوا أن شيدوا هناك مدينة آبير سنة 160هـ/ 777م

---

[179] النافي بن الحسين، موريتانيا من غانه إلى المرابطين، مرجع سبق ذكره، ص16.

[180] ورد في المطبوع 2500 بدل 250 فرسخا، وهو لا يصح لأن طول المملكة حينذاك يكون نحو 14 ألف كلم وهذا غير معقول، فلعله تصحيف. فتأمل.

[181] اليعقوبي، أحمد بن أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1957، ص111. وما بين القوسين توضيح من طرفنا.

لكي يتمكنوا من الاستفادة من الخط التجاري المار عبر آدرار باتجاه بلاد التكرور، بدل خط أودغست- غانه الذي أفسدته عليهم الحرب الدائرة بين الملثمين من جهة وأغرمان والسوننكيين من جهة ثانية. وتسمى آبير بشنقيط الأولى لأن مدينة شنقيط الحالية بنيت على أنقاضها.

ويعتبر ملك الملثمين تيولوتان بن تيكلان اللمتوني (المولود سنة 142هـ/ 759م) أول ملك من ملوك صنهاجة اللثام يؤسس ملكا مدنيا بعاصمة ثابتة (أودغست)، ولذلك جعله ابن أبي زرع أول ملك صنهاجي ملثم على الإطلاق، بينما سبق تيولوتان تلاگاگين (تچاگاگين) بن إبراهيم بن ترگوت المتوفى سنة 157هـ/ 774م، وسبق تلاگاگين أبوه إبراهيم، وسبق إبراهيم أبوه ترگوت بن ورتاندغ (=ورتاسن) بن منصور بن مصاله اللمتوني، إلا أن هؤلاء كانوا ملوكا بدويين.

ولما مات تيولوتان سنة 222هـ/ 837م خلفه حفيده الأثير (=يالتن[182]) بن فطير بن تيولوتان الذي طال حكمه كجده، فحكم حتى سنة 287هـ/ 900م، ثم خلفه ابنه تميم (=تلين) بن الأثير (=يالتن)[183].

وكان الملثمون قد أخذوا في التعرف على الإسلام عن كثب واعتناقه طواعية منذ عهد تيولوتان بن تيكلان (142هـ/ 222هـ- 759م/ 837م) عن طريق احتكاكهم المتلاحق بالقوافل التجارية العربية والبربرية المسلمة القادمة من الشمال التي كان أغلبها من الخوارج القادمين من تاهرت وسجلماسة. ثم فشا الإسلام فيهم في عهد الأثير (=يالتن) بن فطير بن تيولوتان (222هـ/ 287هـ- 837م/ 900م)، كما ألمح إلى ذلك ابن خلدون بقوله: «وكان هؤلاء الملثمون في صحرائهم، وكانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المائة الثالثة[184]».

---

[182] أو يلتان أو يالتو حسب بعض المراجع، وفي بعضها ابن بطي بدل فطير، وفيولوتان بدل تيولوتان.

[183] تميم بن الأثير هو نفسه تلين بن يالتن فقد كان الصنهاجيون الذين يعتنقون الإسلام يتسمون بأسماء عربية إضافة إلى أسمائهم الصنهاجية، ثم أصبحت عادة يتوارثها الأجيال.

[184] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص374.

غير أن أغلب أمراء انبته اللمتونيين والمسوفيين الـذين أذعنـوا أولا للإسـلام الخـارجي الذي انتشر في أوساط گدالة، تحولوا عنه مفضلين اعتناق المذهب الشيعي الـذي تبنـاه أبناء عمومتهم من صنهاجة المدر وحملته الجيوش العبيديـة إلـيهم ، علـى تـبني مـذهب الخـوارج الـذي اعتنقـه غرمـاؤهم الزنـاتيون (بسجلماسـة وتـاهرت)، وتبـع بعـض الگداليين لمتونة ومسوفة في هذا التشيع الذي انتشر في كل النواحي، واختفـت بفضـله الجيوب الوثنية التي كانت باقيـة في المنطقـة. وينقـل المهلـبي [القـرن الرابـع للـهجرة/ العاشر للميلاد] صورة عن بلاد انبته بعد هذا التحول، وذلـك في عهـد تـين يوروتـان (319هـ/ 360هـ- 931/ 971م) قائلا بأن: «أودغست مصر من الأمصـار جليـل، والسفر إليها متصل من كل بلد، وأهلـها مسـلمون يقـرأون القـرآن، ويتفقهـون، ولهـم مساجد وجماعـات، أسـلموا علـي يـدي المهـدي عبيـد الله [الشـيعي مؤسـس الدولـة العبيدية]، وكانوا كفارا يعظمون الشمس، ويأكلون الميتة والدم[185]».

وقتل تميم بن الأثير خلال ثـورة بعـض زعمـاء الملـثمين عليـه سـنة 306هـ/ 918م فتفككت مملكة انبته جراء ذلك. وربما كان هذا التفكك ناجما عن انقسام الملـثمين بـين التوجه الگدالي الخارجي واللمتوني الشيعي.

وبعد 13 سنة من التفكك التأم الملثمون من جديد تحت إمرة تين يوروتان بـن ويسـنو بن نزار[186] سنة 319هـ/ 931م، وطال حكم تـين يوروتـان وكـان مـن القـوة بحيـث أذعن له الغانيون، وامتد مجال سيطرته مسـيرة شـهرين (نحـو 2660 كلـم) في مثلـها، وكان يؤدي له أزيد من 20 ملكا (أميرا) من ملوك (أمـراء) السـودان الجزيـة. وهـؤلاء الأمراء لم يكونوا سوى مجموعـة مـن أشـياخ القبائـل السـودانية (الزنجيـة والحراطينيـة والأغرمانية والبافورية) المتواجدة ما بين مجال مملكة صنهاجة شمـالا ومجـال مملكـة غانـه جنوبا. وكان من ضخامة ملكه بحيث «يعتد في مائة ألف نجيب، واستمده ملـك ماسـين

---

[185] ياقوت الحموي، مرجع سبق ذكره، ص278. ومن هذه الفترة تسرب التشيع الذي مازالت آثاره جلية في بعض الممارسات والتقاليد الاجتماعية الشنقيطية رغم تحول المجتمع الكلي إلى المذهب السني المالكي بعد ذلك.

[186] تين بروتان بن اسفيشر في بعض المراجع.

على ملك أوغام فأمده بخمسين ألف نجيب، فدخلت بلد أوغام وعساكره غافلة، فغنمت البلد وأحرقته، فلما نظر أوغام إلى ما حل ببلده، هان عليه الموت فرمى بدرقته، وثنى رحله عن دابته وجلس عليها، فقتله أصحاب تين يوروتان، فلما عاين نساء أوغام [زوجهن] قتيلا تردين في الآبار، وقتلن أنفسهن بضروب القتل أسفا عليه، وأنفة من أن يملكهن البيضان[187]».

وفي عهد تين يوروتان ازدهرت أودغست ونواحيها ازدهارا عظيما، وقد وصفها البكري بأنه كان «لأهلها أموال طائلة وسوقها عامرة الدهر كله، لايسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعها وضوضاء أهلها.. وبها واحات وبساتين يزرع فيها القمح والشعير، وبها طباخات يحسن عمل أنواع الأطعمة ويجلب منها العنبر الجيد والذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة، وذهب أوداغست أجود ذهب أهل الأرض[188]».

غير أن أودغست ظلت تتعرض في عهد تين يوروتان لتحرش القبائل الزناتية الواقعة عن شماله والقبائل الغانية الواقعة عن جنوبه حتى مات سنة 360هـ/ 971م.

وملك بعد تين يوروتان بنوه، ثم افترق أمرهم سنة 385هـ/ 995م بعد أن صار ملكهم طوائف ورئاستهم شيعا، واستغل الزناتيون الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر هذا الافتراق، وتمكنوا بفضل تحالفهم مع الأمويين (حكام الأندلس) من إلحاق الهزيمة بالأنباط الصنهاجيين في عهد الزعيم الزناتي زيري بن عطية، الذي بعث ببعض الهدايا إلى المنصور بن أبي عامر في الأندلس، فيها تحف صحراوية كالجمال والدرق اللمطية وأصناف من الوحوش الصحراوية، حيث فر زيري فى أواخر سنة 387هـ/ 997م إلى الصحراء بسبب خلاف دب بينه وبين المنصور بن أبي عامر الأموي اندلعت على إثره حرب هزم خلالها زيري، فلجأ إلى بلاد صنهاجة الذين وجدهم قد انغمسوا بعد موت تين يوروتان في خلافاتهم الداخلية، فبعث إلى زناتة يحثهم على انتهاز الفرصة والانقضاض على الأنباط، فنهض إليه منهم خلق فزحف بهم على

---

[187] البكري، مرجع سبق ذكره، ص168.

[188] المرجع نفسه، ص159.

الملثمين وهزمهم. وكان أمويو الأندلس في هذا الوقت يبذلون جهودا كبيرة لإبعاد أي احتمال يؤدي بالعبيديين إلى السيطرة على الطرق الغربية المنطلقة من المغرب باتجاه أودغست، فكانوا يشجعون حلفاءهم من الزناتيين على طرد الأنباط من نواحيها والسيطرة عليها، فكان ذلك سببا في انقراض ملك الملثمين بأودغست التي ضمت من جديد -كما وصفها البكري- بعد هذا التحول مجموعات زناتية معروفة بمذهبها الخارجي[189].

وعادت غانه بعدما انجلى الأنباط عن أودغست إلى بسط نفوذها السياسي عليها، وتمكن سكان أودغست الجدد من زناتيين وأغرمانيين وسوننكيين من العمل على ازدهارها، فازدهرت ازدهارا عظيما، ونزلها من تجار العرب والبربر من زناتة ولواتة ونفوسة خلق كثير جاءوا من إفريقية[190]، وكان أكثر خلقها من البربر خوارج أباضيين وصفريين، وازدهرت كذلك بازدهار أودغست عاصمة غانه الجديدة كونبي التي كان السوننكيون يجلبون إليها الذهب ويبيعونه للتجار العرب والبربر.

وعمل التجار الخوارج مجددا على تنمية التجارة في المحطات الواقعة على طول طرق القوافل التجارية المتجهة إلى غانه، أو المارة بجبال بافور (=جبال آدرار) التي استوطنتها منذ منتصف القرن الثاني للهجرة (8م) جاليات زناتية خارجية معظمها من الحراطين، كما عملوا على إعادة ترويج المذهب الخارجي[191] بين الملثمين الذين سبق أن مالوا إلى المذهب الشيعي الذي أدى التراجع السريع للنفوذ العبيدي في المنطقة إلى بقائه سطحيا.

وكانت كونبي وأودغست مرتبطتين بالشمال بواسطة عدد من الطرق التجارية من أهمها طريق تامدلت أودغست، وهو أقدم طرق المحور الغربي استخداما، وأكثرها استمرارية، وكان يعرف بطريق العربات، حيث كانت تسلكه العربات التي تجرها

---

[189] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص73.

[190] البكري، مرجع سبق ذكره، ص158.

[191] حسن حافظي علوي، مرجع سبق ذكره، ص129-166.

الخيول المنسوبة للفاروزيين أو الأغرمانيين في عصور ما قبل الميلاد، وكانت تلك العربات تربط جنوب المغرب الأقصى بأودغست وما وراءها من بلاد غانه، وقد رسمت هذه العربات على واجهات الجبال الواقعة على طول ذلك الطريق، كما توجد رسومات لها في كهف بالجبل المطل على موقع أطلال أودغست[192]. وينطلق هذا الطريق من مدينة تامدلت بجنوب المغرب الأقصى التي كانت ذات أهمية تجارية خاصة، لوقوعها على مشارف الصحراء، ولقيمة معدن فضتها المشهور، حيث كانت القوافل القادمة من مختلف المناطق المغربية المحيطة بها كسجلماسة وأعالي درعة وإيكلي وأغمات...إلخ تتجمع فيها ثم تنطلق في قافلة كبرى من تامدلت باتجاه أودغست. وقد عرف هذا الطريق ازدهارا قويا بعد وصول العرب الفاتحين إلى المنطقة، ومن المحتمل أن تكون حملة حبيب بن أبي عبيدة سنة 116هـ/ 734م قد سلكته، قبل أن يقوم ابنه عبد الرحمن بن حبيب بحفر جملة من الآبار على طوله[193] ابتداء من سنة 127هـ/ 745م، ثم سلكه جيش المرابطين الذي قاده أبو بكر بن عامر اللمتوني قادما من آزوگي بوادي تارگة (بالساقية الحمراء) فأصبح يعرف منذ ذلك التاريخ بطريق اللمتوني[194]. ويعتقد أن من بين نقاط هذا الطريق المعروفة ببلاد شنقيط الآن: تيندوف، والفرسية، وعين بن تيلي، وبيرأم اگرين، وأناجيم، وتورين، وبير الطالب، واجريف، وآبير التي يتفرع منها طريقان، طريق يتجه إلى آوليل، وطريق يتجه إلى أودغست، مارا بتگانت عبر عگلت النمادي بوادي الخط، ويأخذ في أرض آوكار حتى يصل إلى أودغست. ويذكر موني لطريق تامدلت أودغست مسارا ينطلق من تامدلت، ليتجه إلى تيندوف، ومنها إلى بيرأم اگرين، فأناجيم، ومنه إلى تورين ثم واران فعگلت انمادي مباشرة دون المرور بآبير فالاتجاه إلى أودغست[195]. وقد تعرض البكري إلى ذكر

---

[192] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص259.
[193] البكري، مرجع سبق ذكره، ص157.
[194] النافي بن الحسين، مرجع سبق ذكره، ص260.
[195] المرجع نفسه، ص261.

مراحل هذا الطريق[196]، ذاكرا أن من بين أصعب مراحله على القوافل منطقة رملية كانت القوافل تسير فيها «في مجابة رمل معترضة لا ماء فيها، وهو أصعب موضع بطريق أودغست أربعة أيام إلى موضع يقال له وانزمين، [به] آبار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب، وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش، وبهذا الماء تجتمع جميع طرق بلاد السودان، وهو موضع مخوف، تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق، ويتخذونه مرصدا لهم لعلمهم بإفضاء الطرق إليه، وحاجة الناس إلى الماء فيه[197]»، ويعتقد أن هذه المنطقة هي صحراء مقطير الواقعة شمال آدرار[198]، وأن الموضع الذي سماه البكري وانزمين هو بئر الغلاوية الحالية الواقعة إلى الشمال الشرقي من وادان[199].

وتصل مسافة هذا الطريق إلى 51 يوما (نحو 1122كلم) من السير لا تجد القوافل أثناءها الماء إلا في اثني عشر موقعا منها، يفصل بين كل موقعين فيها ما بين يومين إلى خمسة أيام من السير، وبعضها لا يوجد به إلا الماء المالح. وتضطر القوافل التي تستخدم هذا الطريق إلى حفر بعض الآبار في أماكن مخصوصة منه بنواحي تيندوف من أجل التزود بالماء، لكن هذه الآبار كما قال البكري الذي سمى منطقتها تندفس «لا تلبث أن تنهار وتندفن[200]».

وهناك طريق درعة أودغست الذي تلتقي فيه عدة طرق أهمها الطريق الذي كان يربطها بسجلماسة، حيث تتجه القوافل جنوبا لتصل بعد خمسة أيام من السير إلى وادي تارگا (الساقية الحمراء)، الذي اعتبره البكري «أول الصحراء[201]»، ويصل طول مسافة هذا الطريق إلى مابين 40 و50 يوما من السير[202]. وكانت مسوفة تسيطر على

---

[196] البكري، مرجع سبق ذكره، ص 156- 158.

[197] المرجع نفسه، ص157.

[198] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص7.

[199] النافي بن الحسين، مرجع سبق ذكره، ص157.

[200] البكري، مرجع سبق ذكره، ص157.

[201] المرجع نفسه، ص163.

[202] النافي بن الحسين، مرجع سبق ذكره، ص263.

هـذا الطريـق «ولهـم ملـك يملكهـم ويـدبرهم تكـبره صـنهاجة وسـائر أهـل تلـك الديار[203]»، وعاصمة المرابطين التي تسمى آزوگي، وتدعى بالگناوية (الجناوية) كوگـدم هي أول مراقي الصحراء في هذا الطريق كما قال ابن عبـد المـنعم الحمـيري: «آزگـي أول مراقي الصحراء، ومنها إلى سجلماسة 13 مرحلة (نحو 288 كلم)، وإلى نول لمطـة (آسرير حاليا) 7مراحل (نحو 154 كلم)، وليست بالكبيرة ولكنها متحضـرة، ولا بـد من الدخول على هـذه المدينـة لمـن أراد التكـرور وغانـه[204]»، ووصـف البكـري هـذه الطريق بقوله: «من وادي درعـة خمـس مراحـل (110كلـم) إلى وادي تارگـا [الـذي توجد فيه آزوگي]، وهو أول الصحراء، ثم تمشي في الصحراء فتجـد المـاء علـى اليـومين والثلاثة حتى تصل إلى رأس المجابة، إلى البئر المسماة تزامت وهي بئر معينة غير عذبـة، فهي إلى الملوحة أقرب، قد أنبطت في حجر صلد من عمـل الأول، ويـزعم قـوم أن بـني أمية صنعتها، وفي الشرق منها بئر الجمالين، وعلى مقربة منها بئر تسمى نـاللي، كلـها غير عذبة، وبين هذه الآبار الثلاث وبلاد الإسلام أربعة أيام (نحو 88 كلـم)، ومنـها إلى جبل يسمى بالبربرية آدراران وازال وتفسيره جبل الحديد كمثل ذلك، وفي هـذا الجبـل مجابة ماؤها على ثمانية أيام (نحو 176كلم)، وهي المجابة الكبرى[205]». ويقصـد البكـري بهذه المجابة الصحراء الواقعة بين لكصيبة شرقي وادان شمالا، وولاته جنوبـا، الـتي ذكـر ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (14م) أن القوافل كانت عندما تتوسطها ترسـل مبعوثا إلى أهل ولاته ليستقبلوها بالماء على بعد مسيرة عدة أيـام، وآخـر مراحـل هـذا الطريق في الصـحراء هـي «قريـة مـدوگن لصـنهاجة، ومنـها إلى مدينـة غانـة أربعـة أيام[206]»، ومدوگن غيربعيدة عن موقع ولاته الحالي. ويبدو أن فرعا مـن هـذا الطريـق، كان يتجه من مدوگن مباشرة إلى منعطف النيجـر، ممـا سمـح بتأسـيس تنبكتـو، لمنافسـة

---

[203] ابن حوقل، مرجع سبق ذكره، ص98.

[204] ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، مرجع سبق ذكره، ص28.

[205] البكري، مرجع سبق ذكره، ص163.

[206] المرجع نفسه، ص164.

كونبي صالح في دور الوساطة الذي كانت تلعبه بين المناطق الصحراوية والمنطقة السودانية الواقعة خلف نهر النيجر[207].

وقد اعتقد موني خطأ أن البكري يعني بآدرار أن وزال (جبل الحديد) كدية الجل الموجودة قرب الزويرات[208]، بينما يقصد البكري كدية في الصحراء تقع في نواحي تيندوف الحالية. وقد استفاد هذا الطريق من مروره بمملحة تغازة التي كانت مسوفة تسيطر عليها، والتي يعتقد أنها هي نفسها مملحة تاتنتال التي ذكر البكري بقوله أن «معدن ملح على يومين (44كلم) من المجابة الكبرى، وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما (440كلم).. ويسمى هذا المعدن تاتنتال[209]». ومن المحتمل أن تكون حملة عقبة بن نافع قد سلكت جزأ هذا الطريق الشمالي حيث أثخنت في مسوفه سبيا وقتلا.

كما أن هناك طريقا ساحليا ينطلق من نول لمطة في جنوب السوس الأقصى على الساحل الأطلسي للمغرب، ويتجه جنوبا ليصل إلى مملحة آوليل قرب مصب نهر السينغال التي تسيطر عليها قبائل گدالة، ويبلغ طول مسافة هذا الطريق نحو 1400 كلم، كانت القوافل تقطعها بعد شهرين من السير. ويقول البكري إن هذا الطريق يعاني من قلة المياه في بعض نواحيه، وإن مستخدميه «يشربون في طريقهم من قلات يحتفرونها فتنبط ماء عذبا[210]»، وهذا الطريق هو الذي حفر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي الإدريسي به بئرا (حوالي 536هـ/ 1142م) بمنطقة تيجريت عرفت بتن إبراهيم. وينطلق من نهاية الطريق الساحلي الجنوبية (آوليل) طريق آخر يتجه من الغرب إلى الشرق، مسافته شهر (نحو 660

---

[207] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص264.

[208] توهم موني أن الجبل الذي يعنيه البكري هو كدية الجل بسبب كون كدية الجل تعني جبل الحديد، بينما الذي يعنيه البكري جبل بعيد من كدية الجل إلى الشمال الشرقي منها.

[209] البكري، مرجع سبق ذكره، ص171.

[210] المرجع نفسه، ص172.

كلم) يؤدي إلى أودغست. ويعتقد أن القوافل المحملة بملح آوليل التي كانت تستخدم هذا الطريق كانت تستغل المنخفضات الواقعة بين الكثبان الرملية حتى تصل إلى الحدود الجنوبية لآوكار الغربي، ثم تتجه بعد ذلك إلى الشرق لتمر بين آوكار والبراكنة، وتصل إلى أودغست بعد أن تعبر مضيق چوك بين هضبة تگانت والعصابه[211].

وكانت أودغست تتوفر على طرق أخرى شرقية تربطها بليبيا وتونس ومصر، وأقدم طرق هذا المحور طريق العربات الأغرمانية الشرقي المعاصر لطريقها الغربي. وتصل معظم الطرق المشكلة له صحراء الملثمين بالصحراء الوسطي والشرقية.

غير أن مدينة أودغست سوف تفقد مع حلول القرن الخامس للهجرة (11م) جزءا كبيرا من بريقها التجاري لأن الصراع على أودغست أضر كثيرا بتجارة القوافل، فأخذت گدالة تصرف ملح آوليل عبر نهر السينغال باتجاه التكرور بدل أودغست التي انقطعت السبل إليها، واضطرت غانه إلى تطوير علاقاتها التجارية مع أهل وارجلان وفتح محور تجاري جديد نحو الشرق[212] يعوض خسارتها التجارية في أودغست. وأفلح الغانيون في استجلاب ملح تغازة لتعويض بعض ما كانت أودغست تمدهم به من ملح آوليل.

ولم يستطع الأنباط أن يستعيدوا أودغست بسبب انشغالهم بخلافاتهم الداخلية التي استمرت بضعا وثلاثين سنة، حتى تمكن أبو عبد الله محمد بن تيفاوت (تارشنى) اللمتوني من بعث دولة الأنباط بعد مصاهرته لگدالة في أوائل العقد الثالث من القرن الخامس الهجري (ق11م).

وتحالف ابن تيفاوت مع قبيلة بني وارث (إيويرزگ) التي كانت تعيش في نواحي (بنكلابين)، وأسلمت قبل العهد المرابطي، لمحاربة قبائل گنگاره السوننكية اليهودية التابعة لسلطة غانه[213]، لكنه اصطدم في بدايات معاركه بطلائع من هذه القبائل

---

[211] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص257.

[212] أحمد الشكري، مملكة غانه وعلاقتها بالحركة المرابطية، مرجع سبق ذكره، ص31.

[213] ابن أبي زرع، مرجع سبق ذكره، ص157.

كانت ترابط على بعض قمم تگانت لمراقبة تحركات الصنهاجيين، فتمكنت تلك الطلائع من قتله، وصد الصنهاجيين عن غانه.

وخلف ابن تيفاوت اللمتوني الذي لم يحكم الملثمين أكثر من ثلاث سنوات صهره يحيى بن إبراهيم الگدالي، فأخذ يسير على خطى سلفه في محاربة أعدائه الغانيين قبل أن يصبح أول قادة الحركة المرابطية التي ستنجح في استعادة أودغست سنة 446هـ/ 1055م وطرد الزناتيين منها من جهة، ودحر مملكة غانه التي كانت تحكمها من جهة أخرى.

دولة المرابطين

1- من التحالف العرقي إلى الرباط الديني:

أخذ يحي بن إبراهيم الگدالي بعدما خلف ابن تيفاوت اللمتوني على رئاسة صنهاجة، يسير على خطى سلفه في محاربة أعدائه الغانيين.

فلما كانت سنة 427هـ/ 1036م خرج يحي بن إبراهيم حاجا في نفر من قومه منهم الجوهر بن سكن (أو سكم) أحد فقهاء الملثمين، واستخلف على صنهاجة ابنه إبراهيم.

ولما قضى يحي بن إبراهيم حجه قفل راجعا إلى بلاده، فمر في طريق عودته سنة 429هـ/ 1037م بالقيروان، وكان بها فقيه مالكي يدعى أبا عمران الفاسي، اشتهر بمنافحته عن المذهب السني ومقاومته للتشيع الذي نشره العبيديون في بلاده، فحضر يحي مجلس درسه، وتأثر بوعظه، واستحسن مذهبه، فرآه الشيخ أبو عمران محبا للخير فأعجبه سمته، فسأله عن اسمه ونسبه وبلده، فأخبره بذلك كله، وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق. ثم رغب يحي بن إبراهيم في أن يبعث معه الشيخ من تلامذته من يقرئهم القرآن، ويدرسهم العلم ويعلمهم الشرائع، فندب الشيخ أبو عمران تلامذته إلى ذلك فاستصعبوا دخول الصحراء وأشفقوا منها، فقال الشيخ أبو عمران ليحي بن إبراهيم: إني أعرف ببلد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا، أخذ عني علما كثيرا اسمه وگاگ بن زولو اللطمي [ويقال ابن زلوا أو زلوان]، من أهل السوس الأقصى، وسأكتب إليه كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك، فسر إليه لعلك تجد

حاجتك عنده[214]. فسار إليه يحيى بن إبراهيم الگدالي بكتاب الشيخ أبي عمران الفاسي[215].

وكان وگاك هذا علما من أعلام الفقه والتصوف رحل إلى القيروان، وأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى السوس فبنى هناك دارا سماها دار المرابطين، أقامها لتعليم العلم وإقراء القرآن. وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم قحط استسقوا به، فلما دخل يحي بن إبراهيم على وگاگ بقرية نفيس دفع إليه الكتاب، وكان ذلك في رجب سنة 430هـ/ 1038م، فنظر وگاگ في الكتاب، ثم جمع تلامذته فقرأه عليهم وندبهم لما أمرهم به الشيخ أبو عمران، فانتدب لذلك منهم عبد الله بن ياسين الجزولي، وكان من كبار طلبته وحذاقهم، ومن أهل الفضل والورع والدين والسياسة، مشاركا في العلوم، سبق له طلب العلم سبع سنين في الأندلس. وكان يعرف الگداليين وإخوانهم من اللمتونيين والمسوفيين، ويعرف بلادهم لمجاورتها لبلاده التي نشأ فيها، حيث كانت نشأته بموضع من أرض جزولة يدعى تمنارت[216].

ولما انتهى يحي بن إبراهيم إلى الصحراء ومعه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي تلقتهما قبيلة گدالة بالحفاوة، وتيامنوا بالشيخ وبالغوا في إكرامه وبره. وكان يحي يعظم عبد الله بن ياسين ويجله أمامهم ليحملهم على المبالغة في تعظيمه، وتزوج عبد الله بن ياسين فيهم مرات عديدة وأنجب ولده محمدا[217].

---

[214] ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ج4، ص10.

[215] جاء في كتاب أبي عمران: «أما بعد، إذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحي بن إبراهيم الگدالي فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته، ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام، ويفقههم في دين الله، ولك وله في ذلك الثواب والأجر العظيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا». الناصري، مرجع سبق ذكره، ج2، ص6.

[216] البكري، مرجع سبق ذكره، ص165. والمختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية 1966، ص7. وورد في مراجع أخرى أن الجوهر بن سكن هو الذي استقدم عبد الله بن ياسين (ابن الأثير في الكامل وعياض في ترتيب المدارك)، ولعله كان ضمن الوفد المرافق ليحي بن إبراهيم الگدالي. (انظر، ددود ولد عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط، تاريخ موريتانيا فصول ومعالجات، مرجع سبق ذكره، ص69.

[217] يقال إن له عقبا تفرق في قبائل من قبائل البلاد

2- مرحلة الرباط:

وباشر عبد الله بن ياسين مهمته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس وإرشادهم، وحملهم على ترك مألوفاتهم الفاسدة. وقام فيهم بالشريعة الإسلامية على المذهب المالكي، الذي تحول إليه أهل إفريقية (تونس) والمغرب بعد رحيل الدولة العبيدية إلى مصر، وكان مقبولا لدى خوارج گدالة الذين ألفوا التحالف مع المالكيين منذ ثورة أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار ضد العبيديين[218]، فأمر يحيى بن إبراهيم الگدالي، وكان متزوجا بتسع نساء، كما يرخص في ذلك بعض النحل الظاهرية والخارجية والشيعية، بمفارقة خمس منهن فأطاعه[219]. وأخذ عبد الله بن ياسين منهم الزكوات، وأقام عليهم الحدود، ولبث معهم مدة مديدة، ثم استصعبوا أوامره، فخرجت عليه جماعة من گدالة على رأسها عالمهم الجوهر بن سكن، فاتهموه بالتناقض في فتواه، وهدموا داره، ونهبوا بيت المال الذي كان بحوزته، وكادوا أن يقتلوه، فتركهم، واشتكى إلى شيخه وگاگ الذي كتب إلى الگداليين يوبخهم، ويحثهم على معاودة طاعة عبد الله بن ياسين[220].

وتحول عبد الله بن ياسين عن گدالة، وعزم على الرحيل إلى التكرور، وكان أهلها حديثي عهد بالإسلام، وربما كان لگدالة إبان فترة عبد الله بن ياسين معهم دور في رواج الإسلام بينهم، فاستعطفه يحي بن إبراهيم الگدالي الذي ساءه ما قام به سفهاء قومه، وقال له: إنما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي، وما علي في من ضل من قومي[221]. ثم قال له: هل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة؟ فقال: وما هو؟ قال: إن ههنا في بلادنا جزيرة في البحر، فيها الحلال المحض من شجر البرية،

---

[218] راجع فصل مملكة آوكار المتقدم، الهامش المتعلق بثورة أبي يزيد الخارجي.

[219] ابن أبي زرع، مرجع سبق ذكره، ص124. وانظر، الشيخ موسى كمرا الذي قال في إحدى فتاويه بصحة هذا المذهب وقال إن أحد أشياخه من البيضان قال له إن عددا من علماء الشناقطة لم يكن يرى بأسا بذلك وسماهم، وأمره بالرجوع إلى تفسير الفخر الرازي في هذه المسألة، الشيخ موسى كمرا، فتوى مخطوطة، ص3.

[220] ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ج4، ص11.

[221] الناصري، مرجع سبق ذكره، ج2، ص8.

وصيد البر والبحر، ندخل فيها ونقتات من حلالها، ونعبد الله تعالى حتى نموت، فقال عبد الله بن ياسين: إن هذا الرأي حسن فهلم بنا فلندخلها على اسم الله[222]. «فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بها بحر النيل من جهاتها، ضحضاحا في الصيف، غمرا في الشتاء، فتعود جزرا منقطعة[223]». ودخل معهما من رؤساء لمتونة يحي بن عامر وأخوه أبو بكر[224]، وسبعة نفر من گدالة في جملة من الناس[225].

وقيل إن هذه الجزيرة هي جزيرة تيدره الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي بين انواكشوط وانواذيبو، وقيل بل هي جزيرة اندر (سينت الويس) على مصب نهر السينغال ببلاد التكرور بدليل قول ابن خلدون عن بحرها إنه بحر النيل، ووجود بعض المرويات الشفهية لدى الشعب الولفي تفيد بذلك، لكن قول يحي بن إبراهيم الگدالي عن هذه الجزيرة إنها من بلاد گدالة يوضح أنها ليست اندر، لأن مضارب الگداليين كانت تنتهي في ذلك العهد عند آوليل الذي يقع حده الجنوبي 60 كيلومترا شمال نهر السينغال، أما النهر فكان خاضعا في تلك الفترة بضفتيه للتكروريين. ونرجح أن تكون هذه الجزيرة جزيرة مندثرة التي كانت توجد بمنطقة تگنت (100 كلم جنوب انواكشوط) حيث تفيد الروايات الشفهية المحلية أنه كان يوجد بهذه المنطقة نهر قديم ينحدر من هضبة تگانت ويتجه جنوبا وغربا حتى يصب في المحيط الأطلسي عند تگنت، وبقرب مصبه جزيرة لعلها جزيرة أيونن المندثرة المذكورة من طرف البكري بقوله: «وبقرب آوليل في البحر جزيرة تسمى أيونن، وهي عند المد

---

[222] المرجع نفسه، ص8. والرواية منقولة عن ابن أبي زرع، ص124. وهناك روايات أخرى تقول إن يحي بن إبراهيم الگدالي مات قبل أن يثور الگداليون على عبد الله بن ياسين، وأنه ارتحل عن گدالة لما ثارت عليه إلى لمتونة فأقام فيها. ابن خلدون مثلا، مرجع سبق ذكره، ص374.

[223] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص374.

[224] الشائع في الموروث الشعبي للمجتمع الشنقيطي أن يحي وأبابكر ابنا عامر وليسا ابني عمر كما تذكر المراجع العربية، وهذا هو الصحيح فقد كتبه العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي هكذا (عمر) دون ألف لكنه قال: هو بفتح العين (يريد عمرا)، وكذا قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، وأحمد بن حبت الغلاوي، وبين والد بن خالنا الديماني أنه عامر وأنه يقال له بالصنهاجية آمر بالهمزة بدل العين، ولقبه آم ترخيم آمر.

[225] الناصري، مرجع سبق ذكره، ص8.

جزيرة لا يوصل إليها على القدم، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف، وهي أكثر شيء عندهم في ذلك البحر، وهذه الجزيرة من نول شهرين على ساحل البحر[226]».
فهذا النهر وهذه الجزيرة الموجودان في بلاد گدالة يصح أن ينطبق عليهما وصف النيل والرباط اللذين ذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين.
وكانت مواطن الگداليين بأقصى بلاد صنهاجة جنوبا بسبب كونهم أول من أوغل في الصحراء من الصنهاجيين هربا من الحملة الرومانية المتحالفة مع الملك الموريتاني يوبا الثاني سنة 25 ق.م ضدهم.
أما مواطن ومنتجعات قبيلة لمتونة فامتدت شمال وشرق گدالة حتى منطقة لمطة وجزولة، في فضاء رحب يبدأ من شمال جبل آدرار إلى وادي نون، وتمتد مواطن لمتونة حتى تشمل بعض نقاط خط تامدلت-أودغست. ومع ذلك كانت للمتونة سلطة أو مغارم على بافور وغيرهم من سكان جبل آدرار والمناطق المحيطة به حيث كان آدرار يمثل مركزا لتفرع الطرق التجارية باتجاه بلادي السودان والتكرور، فكان جبل آدرار في ذلك العهد يعرف لذلك بجبل لمتونة فضلا عن كونه كان يعرف بجبل بافور سكانه الأصليين.
وكان مجال مسوفة إلى الشرق من مجال لمتونة، ويمتد إلى عمق الصحراء بين سجلماسة في الشمال وأودغست في الجنوب شاملا تيشيت وبعض مناطق آوكار[227]، وكانت لمسوفة كذلك مغارم على بعض القبائل المتواجدة في مجالها.
ولما تسامع الناس برباط عبد الله بن ياسين الذي بنى في هذه الجزيرة للنسك والتعبد، وتعليم العلم، وأنه اعتزل بمن معه بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار، كثر الواردون عليهم، والتائبون على يديهم، وخلال مدة يسيرة (ثلاثة أشهر) اجتمع له من التلامذة والمريدين نحو ألف رجل[228].

---

[226] البكري، مرجع سبق ذكره، ج2، ص58-359.
[227] النافي بن الحسين، صحراء الملثمين، مرجع سبق ذكره، ص82.
[228] الناصري، مرجع سبق ذكره، ص9.

3- مرحلة الغزو وتأسيس الدولة:

ولما بلغ التائبون هذا العدد قام فيهم عبد الله بن ياسين خاطبا: «إنكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل، ولن يغلب ألف من قلة، وأنتم وجوه قبائلكم، ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته بأن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده. فقالوا له: أيها الشيخ المبارك، مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين. فقال لهم: اخرجوا على بركة الله، وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله، وأبلغوهم حجته، فإن تابوا فخلوا سبيلهم وإن أبوا عن ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم، استعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[229]».

فلما أنذر تلامذته أقوامهم وأعذروا إليهم بدأ أولا بقبيلة گدالة التي هو في أرضها، فغزاها فانهزمت أمامه في وقعة عظيمة قتل فيها منها أكثر من ستة آلاف رجل، وكان ذلك في صفر سنة 446هـ/1054م. ثم غزا لمتونة فهزمها، ثم غزا مسوفة فهزمها.

فلما رأى ذلك من سلم من غزوه من سائر بربر وصنهاجة الصحراء، أتوه مذعنين مبايعين، أو مصالحين على الجزية، وأقروا له بالسمع والطاعة.

وكان يطهر كل من أتاه تائبا بأن يضربه مائة سوط، ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام، وكان يشدد في أمر الصلاة والزكاة.

وأمر عبد الله بن ياسين الملثمين ببناء مدينة لا يشف بناء بعضهم فيها على بعض فبنوا مدينة تدعى أرتنني على بعد ثمانية أيام (نحو 200 كلم) شمال غرب أزوگي الصحراوية (كوگدم)[230]. وسيضمحل أمر هذه المدينة بعد توسع الدولة، واستقرار المرابطين بآزوگي.

---

[229] المرجع نفسه، ص11.

[230] حسب أبي الفداء كما نقل ذلك عنه محققا حسن الوزان، ص151.

واتخذ ابن ياسين بيت مال يجمع فيه ما يرفع إليه من الصدقات والأخماس، ثم أخذ في شراء السلاح، وتجييش الجيوش من ذلك المال، وجعل يغزو القبائل حتى ملك مناطق واسعة من الصحراء، وبعث مما اجتمع لديه من الزكوات والأخماس والغنائم بمال جزيل إلى طلبة العلم ببلاد المصامدة، فاشتهر أمره، وتناقلت الأقطار جنوبا وشمالا أنه قام رجل بگدالة يدعو إلى الله، وإلى الصراط المستقيم، ويحكم بما أنزل الله، وأنه متواضع زاهد لا يأكل إلا مما يصطاده، فتمكن حبه من القلوب، واشرأبت إليه الأعناق.

4- أمير الحق يحيى بن عامر:

وتوفي يحيى بن إبراهيم الگدالي فعين عبد الله بن ياسين مكانه يحيى بن عامر، أحد أحفاد الملك اللمتوني تلاگاگين بن إبراهيم بن ترگوت بن ورتاندغ[231] (المتوفى 157هـ/ 774م)، وكانت لمتونة أحسن قبائل صنهاجة إسلاما وأكثرها إقبالا على التعلم والتدين وأشدها استجابة لعبد الله بن ياسين، فكان في رد عبد الله بن ياسين ملك صنهاجة اللثام إلى لمتونة بعد وفاة صهرهم يحيى بن إبراهيم الگدالي سياسة منه، لاسيما وأن يحيى بن عامر اللمتوني كان -فضلا عن كونه ابن أحد بيوت الملك فيهم- رجلا دينا، فاضلا، شجاعا، شديد التعظيم لعبد الله بن ياسين والانقياد له[232].

«وكان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربر فبعث عبد الله بن ياسين إليهم يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، وأن يؤدوا ما فرض الله عليهم من الزكاة، فامتنعوا وقتلوا

---

[231] قال ابن عذاري: «قال ذو العلم بأخبارهم (أي ملوك المرابطين) إن الجد الذي ينتمي إليه نسب جميعهم هو منصور، والجد الذي يفترق منه أفخاذهم ترگوت بن ورتاسن (=ورتاندغ) بن منصور، كان لترگوت ثلاثة أبناء: محمد وحميد وإبراهيم فتفرقت منهم بطون كثيرة». ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ج4، ص12.

[232] فمن انقياده له أنه قال له يوما: «قد وجب عليك أدب، فقال يحيى: في ماذا ياسيدي؟ قال: لا أعرفك به حتى آخذه منك، فكشف له يحيى عن بشرته فضربه عشرين سوطا، ثم قال له: إنما ضربتك لأنك باشرت القتال واصطليت بنار الحرب بنفسك وذلك خطأ منك، فإن الأمير لا يقاتل، وإنما يقف ويحرض الناس، ويقوي نفوسهم فإن حياة الجند بحياة أميره، وهلاكه بهلاكه».

رسله، فأمر لمتونة بغزوهم، فخرجوا إليهم وصعدوا عليهم الجبل وقاتلوهم ثلاثة أيام قتالا شديدا مات من لمتونة فيه عدد كثير. وصبر الفريقان صبرا عظيما، وفي اليوم الرابع حمي الوطيس بين الفريقين، واشتدت الحرب إلى أن انهزم أعداء لمتونة وقتلوهم قتلا ذريعا وسلبوا أموالهم، وسبوا نساءهم وأبناءهم[233]»، وغنموا غنيمة كبيرة خمسها عبد الله بن ياسين، وأعطى خمسها ليحي بن عامر، وهو أول خمس قسمه. وسماهم عبد الله بن ياسين بعد هذه الغزوة بالمرابطين، وسمى أميرهم يحي بن عامر بأمير الحق، وقال لهم: «إنكم فتحتم ما أمامكم وستفتحون ما وراءكم[234]».

ثم توجه المرابطون إلى أودغست سنة 446هـ/ 1055م ففتحوها، وأبطل عبد الله بن ياسين الأعشار والمكوس في أودغست، وأخذ الناس بالكتاب والسنة.

فلما كانت سنة 447هـ/ 1055م، اجتمع فقهاء من سجلماسة ودرعة وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين، ويحي بن عامر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبونهم فيه في المجيء إلى بلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات، وليخلصوها من عسف أمراء بني خزرون المغراويين[235].

فلما وصل الكتاب إلى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأه عليهم وشاورهم في الأمر، فأجمعوا على الخروج معه، فخرج بهم في صفر 447هـ (1055م) في جيش كبير وسار حتى وصل إلى بلاد درعة فوجد بها عامل مسعود بن وانودين فنفاه عنها، ووجد بها خمسين ألف ناقة لمسعود، فغنمها.

---

[233] ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ج4، ص11.

[234] المرجع نفسه، ص12. وقول ابن عذاري إن عبد الله بن ياسين سماهم بعد هذه المعركة بالمرابطين جعل بعض الباحثين من أمثال موريس فارياس يشكك في وجود الرباط كحقيقة مادية، مع أنه لا تعارض بين الأمرين.

[235] كان خزرون بن فلفل جدهم قد استولى على سجلماسة سنة 366هـ 76-779م، وخطب للدولة الأموية بالأندلس، ثم ولي بعده ابنه وانودين بن خزرون، ثم خلفه ابنه مسعود بن وانودين.

واتصل الخبر بمسعود فجمع جيوشه وخرج إلى المرابطين فالتقى الجمعان في ما بين درعة وسجلماسة، فكانت الدائرة على مغراوة، وقتل أميرهم مسعود وأكثر جيشه، وفر الباقون[236].

واستولى عبد الله بن ياسين على أموالهم ودوابهم وأسلحتهم، فأخرج الخمس منها ففرقه على فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائها، وقسم الأخماس الأربعة الباقية على المرابطين.

وعاد المرابطون إلى بلادهم فغدر بهم أهل سجلماسة، فندبهم عبد الله بن ياسين إلى غزوهم ثانية فساروا معه، وانحرف عنه گدالة الذين كانوا يقاسمون أهل سجلماسة نحلة الخوارج قبل قيام دعوة المرابطين السنية، ولم يستحسنوا صرف عبد الله بن ياسين للإمارة عن گدالة بعد وفاة يحي بن إبراهيم الگدالي ومنحها ليحي بن عامر اللمتوني، فذهبوا إلى ساحل البحر فأتبعهم يحي بن عامر في حامية من الجيش، تاركا أخاه أبابكر أميرا على بقية الجيش. وأمر عبد الله بن ياسين يحي بن عامر بأن يتحصن في حصن آزوگي الذي بناه أخوه يانو بن عامر بجبل لمتونة (جبل بافور) بآدرار، لكن جيوش گدالة حاصرت يحي بن عامر الذي كان معه أمير التكرور لبي بن ورچابي، ودارت معركة شرسة بين الطرفين بتفرله (بلجام آدرار)، قتل فيها يحي بن عامر وقتل معه خلق كثير سنة 448هـ/ 1056م. وترك يحي بن عامر ثلاثة أبناء هم محمد وعلي وعيسى.

5- تعيين أبي بكر بن عامر مكان أخيه يحي:

ولما توفي يحي بن عامر أمر عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عامر، وكان رجلا صالحا ورعا، وكانت أمه گدالية تدعى صفية[237]، فمكنه ذلك من إبرام الصلح بين گدالة ولمتونة.

---

[236] ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ص18.

[237] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج6، ص 375.

ورتب عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عامر أحوال المرابطين، ونظما أحوال درعة وسجلماسة، ثم ندبا من معهما إلى غزو بلاد السوس والمصامدة، فزحفوا إليها في جيش عظيم جعل أبو بكر على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني، ثم غزوا جزولة، وفتحوا ماسة، وتارودانت، وكان بها قوم من الرافضة، فاستأصلوا نحلتهم، وفتحوا السوس، وأظهروا فيه السنة، وأخذوا الزكوات وأسقطوا المغارم[238].

ثم توجهوا إلى بلاد المصامدة ففتحوها، ثم ارتحلوا إلى مدينة أغمات وأميرها يومئذ لقوط بن يوسف المغراوي فحاصروها حصارا شديدا، فلما رأى لقوط أنه لا قبل له بجيوش المرابطين فر عنها ليلا بأهله وحشمه إلى بني يفرن ملوك سلا وتادلا.

ودخل المرابطون مدينة أغمات في جمادى الأولى سنة 451هـ/ 1059م. ثم خرجوا منها إلى تادلا ففتحوها وقتلوا من وجدوا بها من بني يفرن، وظفروا بلقوط المغراوي فقتلوه.

وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت إسحاق النفزاوية، كانت مشهورة بالجمال والرياسة، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ أوريگة، فلما قتل المرابطون لقوط المغراوي تزوجها الأمير أبو بكر بن عامر.

6- وفاة عبد الله بن ياسين:

ثم تقدم المرابطون إلى بلاد تامسنا لمحاربة برغواطة ومحو ضلالاتهم المبنية على مذهب المتنبي صالح بن طريف البرغواطي الذي ادعى أنه يوحى إليه، وزاد ونقص في الشريعة فحرم على قومه رأس الذبيحة، فكانوا يبعثون برأسها إلى من في جوارهم من ذوي النحل والديانات الأخرى. وأصيب عبد الله بن ياسين في هذه المعارك بجراحات أجهزت عليه.

ولما أحس عبد الله بحضور أجله جمع أشياخ المرابطين فأوصاهم بألا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم، وأمرهم بأن يكونوا أعوانا على الحق، إخوانا في ذات الله. وتوفي عبد

[238] الناصري، مرجع سبق ذكره، ج2، ص14.

الله بن ياسين عشية الأحد 24 جمادى الأولى سنة 451هـ (1059م)، ودفن بكرفيله (قرب الرباط) ، وبنى على قبره مسجد مشهور[239].

ولما فرغ أبو بكر بن عامر ومن معه من القادة من دفن عبد الله بن ياسين اختاروا زميله في التلمذة على وگاگ بن زولو (كان وگاگ قد توفي سنة 445هـ/ 1053م) سليمان بن عدو (أو عذرا) الجزولي شيخا لهم، وأخذوا في تعبئة العساكر لاستئصال برغواطة، فاستأصلوهم ومحوا نحلتهم، ثم رجعوا إلى أغمات.

وأقام أبو بكر بن عامر ومن معه بأغمات إلى صفر 452هـ/ 1060م، ثم خرج غازيا في أمم لا تحصى من صنهاجة وجزولة ومصمودة، ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة ومدائن مكناسة، ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها ثم اقتحمها عنوة، وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن وخربها فلم تعمر بعده، ثم رجع إلى مدينة أغمات.

وتوفي في هذه السنة (452هـ/ 1060م) خليفة عبد الله بن ياسين سليمان بن عدو فعين المرابطون أخاه أبا القاسم خلفا له.

7- الخلاف بين گدالة ولمتونة يضطر أبابكر للعودة إلى الصحراء:

وسمع أبو بكر بن عامر أن گدالة أغارت على لمتونة بالصحراء، وأن لمتونة يتألبون للرد على گدالة، فعزم على العودة إلى الصحراء لإصلاح أمر القبيلتين. ولما أزمع العودة إليها خاطب امرأته زينب النفزاوية قائلا: «إني ذاهب إلى الصحراء وأنت امرأة بضة جميلة لا طاقة لك بحرارتها، وإني مطلقك فإذا انقضت عدتك فانكحي ابن عمي يوسف بن تاشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب[240]»، ويقال أيضا إنها هي التي طلبته أن يفارقها ففعل[241]، فطلقها وجعل طريقه على بلاد تادلا حتى أتى سجلماسة

[239] المرجع نفسه، ص19.

[240] المرجع نفسه، ص21.

[241] ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ص16.

فدخلها، وأقام بها أياما حتى أصلح أحوالها، وعقد منها ليوسف على المغرب وفوض إليه أمره، وأمره بمواصلة قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة والبربر.

وعاد يوسف بعد أن ودع أبا بكر من سجلماسة بقسم من الجيش، ومضى أبو بكر إلى الصحراء بقسمه الآخر، بينما عقد لابنه إبراهيم بن أبي بكر على سجلماسة وأحوازها، وكان ذلك سنة 453هـ/ 1061م.

وقام يوسف بن تاشفين حين وصل إلى ملوية قادما من سجلماسة بإعادة تنيظم جيشه وكان أربعين ألفا، فاختار منه أربعة قواد هم: سيره بن أبي بكر اللمتوني، ومحمد بن تميم الگدالي، وعمر بن سليمان المسوفي، ومدرك التلكاني (التجكاني)، وعقد لكل منهم على خمسة ءالاف من قبيلته، وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة والبربر، ثم سار هو في أثرهم يجتاح المغرب بلدا بلدا، ويتتبع أهله قبيلة قبيلة، فقوم يقاتلونه فيظفر بهم وقوم يفرون من أمامه حتى دخل مدينة أغمات فنظم أحوالها ووطد نواحيها، ولما استقر به المقام تزوج زينب بنت إسحاق النفزاوية[242].

8- انقسام الدولة المرابطية:

ووصل أبو بكر إلى الصحراء، فأقام بها يصلح شؤونها، ثم بلغه أثناء إقامته الطويلة بها (من 453هـ/ 1061م إلى 465هـ/ 1072م) استفحال أمر يوسف وقوة شوكته، وكان يوسف قد بنى سنة 454هـ/ 1062م، مدينة مراكش لجنده واتخذها عاصمة له فرسخت قدمه في الملك، وعظم صيته. وقيل إن أبابكر بن عامر هو الذي اختط مدينة مراكش، وأنه شرع في بنائها ثم أكملها بعده يوسف بن تاشفين[243]. وفي هذه الفترة ضرب أبو بكر بن عامر السكة أو ضربت باسمه.

---

[242] الناصري، مرجع سبق ذكره، ص19.

[243] ابن عذاري، مرجع سبق ذكره، ص17.

واستغل يوسف فرصة انشغال الأمير أبي بكر بأمور الصحراء فأخذ في توطيد سلطته، وتأليف قلوب أشياخ صنهاجة من حوله، واستقطاب زعاماتهم المحيطة بأبي بكر. وراب أبو بكر ذلك فرجع مبادرا إلى المغرب سنة 465هـ/ 1072م ليطلع على حقيقة الأمر ويختبر يوسف بن تاشفين.

وأحس يوسف بن تاشفين بأمره فشاور زوجه زينب بنت إسحاق النفزاوية في شأنه فقالت له: إن ابن عمك متورع عن سفك الدماء فإذا لقيته فاترك ما كان يعهده منك من الأدب والتواضع معه، وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساو له، ثم لاطفه مع ذلك بالهدايا من الأموال والخلع وسائر طرف المغرب، واستكثر من ذلك فإنه بأرض صحراء كل ما جلب إليه من هنا فهو مستطرف لديه.

فلما وصل أبو بكر بن عامر إلى أغمات وخرج منها قاصدا مراكش خرج إليه يوسف في جيش كبير فلقيه على بعد، وسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا، ولم ينزل له ولا تأدب معه الأدب المعتاد، فنظر أبو بكر إلى كثرة جيوشه، وقد هاله ما رأى، فقال له: يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش؟ فقال: أستعين بها على من خالفني، فارتاب أبو بكر به، ثم نظر إلى ألف بعير في ناحية أخرى موقرة، فقال له: ما هذه الإبل الموقرة؟ فقال : أيها الأمير إني قد جئتك بكل ما معي من مال وأثاث وطعام وإدام لتستعين به على بلاد الصحراء، فازداد أبو بكر تعرفا لحاله، وعرف أنه لا يتخلى له عن الأمر، فقال له: يابن عم انزل أوصيك، فنزلا معا وجلسا، فقال أبو بكر: إني قد وليتك هذا الأمر، وإني مسؤول عنه فاتق الله تعالى في المسلمين، وأعتقني وأعتق نفسك من النار، ولا تضيع من أمور رعيتك شيئا فإنك مسؤول عنه، والله تعالى يصلحك ويمدك، ويوفقك للعمل الصالح، والعدل في رعيتك، وهو خليفتي عليك وعليهم[244]، ثم ودعه، فخلا جو الملك في المغرب ليوسف بن تاشفين الذي تمكن من تمهيد المغرب والأندلس وإقامة ملك عظيم هناك توارثه بنوه بعده حتى محاه الموحدون سنة 545/ 1150م، في حين قفل أبو بكر

[244] الناصري، مرجع سبق ذكره، ج2، ص17.

راجعا إلى الصحراء فأسس فيها دولة مرابطية صحراوية دامت نحـو نصـف قـرن مـن الزمان.

الدولة المرابطية الصحراوية

1- الإمام الحضرمي المرشد الروحي الجديد لمرابطي الصحراء:

عاد أبو بكر بن عامر اللمتوني إلى الصحراء بعدما تخلى ليوسف بن تاشفين عن أعمال الدولة المرابطية بالمغرب سنة 465هـ/ 1072م، وفي نيته أن يؤسس دولة مرابطية بالصحراء اعتمادا على أخواله گدالة، وعلى من رجع معه من لمتونة ومسوفة وسائر صنهاجة، ويتخذ من آزوگي (كوگدم) عاصمة له.

واصطحب أبو بكر معه إلى الصحراء عددا من الوزراء الأمويين الذين يعتبرهم الگداليون - بسبب ماضيهم الخارجي- أسوة للمسلمين وقدوة لهم على رأسهم الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي الذي كان في مدينة أغمات، فندبه أبو بكر إلى أن يكون شيخ الدعوة المرابطية بآزوگي ومستشارها، والقائم مقام عبد الله بن ياسين فيها، ففعل. وكانت آزوگي التي اختار أبو بكر الاستقرار فيها كعاصمة لدولته تمثل الملتقى الذي يعتقد الصنهاجيون واللمطيون والأوريگيون والهواريون أن الوشائج بينهم نسجت فيه. بل تذهب الأسطورة إلى نسبة هذه الوشائج إلى امرأة تدعى تزگي[245].

وآزوگي هذه موجودة كما قال المختار بن حامدن[246] في الصحراء المسوفية اللمطية، (وتعرف أيضا في بعض المراجع بآزگي أو آرگي)، وهي غير آزوگي آدرار التي بنى بها يانو الحاج بن عامر حصنه، وبها قبر الإمام الحضرمي، بل آزوگي هذه أول مراقي الصحراء الواقعة في شرق الساقية الحمراء، والمتصلة ببلاد غانه، وهي التي تسمى بالگناوية (الجناوية) كوگدم. قال الزهري: «ومدينة آزگي في الشرق وهي حاضرة

[245] تقول الأسطورة كما رواها ابن خلدون: «إن صنهاج ولط ابنا امرأة تدعى تزگي، ولا يعرف لهما أب تزوجها أوريگة فولدت له هوارا فهما أخوان لهوار من أمه» ، ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ج6، ص105.

[246] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص32.

المرابطين[247]»، وقال ابن عبد المنعم الحميري: «آزگي أول مراقي الصحراء، ومنها إلى سجلماسة 13 مرحلة (نحو 288 كلم)، ومنها إلى نول لمطة (آسرير حاليا) 7مراحل (نحو 154 كلم)، وليست بالكبيرة ولكنها متحضرة، ولا بد من الدخول على هذه المدينة لمن أراد التكرور وغانه[248]»، وهذا بعيد جدا من آزوگي آدرار، بل بينهما عدة مئات من الكلمترات ذكر البكري مراحلها بقوله: «..وادي تارگا [الذي توجد فيه آزوگي ويعرف بالساقية الحمراء]، وهو أول الصحراء، ثم تمشي في الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل إلى رأس المجابة، إلى البئر المسماة تزامت.. وفي الشرق منها بئر الجمالين، وعلى مقربة منها بئر تسمى نالليّ.. وبين هذه الآبار الثلاث وبلاد الإسلام أربعة أيام، ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية آدرار أن وازال وتفسيره جبل الحديد كمثل ذلك، وفي هذا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية أيام[249]»، وهي المعروفة بالمجابة الكبرى وتمتد حتى لكصيبة شرقي وادان، الذي توجد آزوگي آدرار على بعد عدة عشرات من الكلمترات منها. وقد زار المستكشف اليون آفريكان (حسن الوزان) الصحراء بين 926هـ/ 932هـ - 1520م/ 1525م ووصف آزوگي المسوفية (كوگدم) بأنها خالية في ذلك العهد، مضيفا بأنها تقع في الصحراء الممتدة من تخوم تغازة إلى صحراء سجلماسة، ثم قال: «هذه الصحراء يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تنبكتو فيقطعونها من أبعد طرفي قطرها.. وفي هذه المفازة بلاد خالية تدعى كوگدم [آزوگي] لا يوجد بها ماء مسيرة تسعة أيام.. إلا ما يعثر عليه أحيانا من غدران المطر[250]»، كما وصفها مارمول كربخال الذي سماها كوگدن نفس الوصف، وقال: «إنها

---

[247] الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.، ص117. وانظر، النافي بن الحسين، مرجع سبق ذكره، ص32.

[248] ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، مرجع سبق ذكره، ص28.

[249] البكري، مرجع سبق ذكره، ص163 ونقاط التتابع تقوم مقام الحذف في هذا النص الذي يمكن العودة إليه كاملا في فصل مملكة آوكار الذي تقدم.

[250] حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983. ص150.

توجد بفيافي تغازة على الطريق الرابط بين تلمسان وتنبكتو[251]». وهـذا يؤكـد تغـاير آزوگي الصحراوية عن آزوگي آدرار التي قد يكون يانو بن عامر هو من أطلـق عليهـا اسم آزوگي الصحراوية بعد أن بنى فيها حصنه الذي ذكر البكري[252].

ولم يزل الإمام الحضرمي مع أبي بكر بن عامر بآزوگي الصحراوية حـتى استشـهد أبـو بكر فرحل إلى المغرب، ثم إلى الأندلس، وطاف تلك البلاد لكنه لم يجد مبتغاه، فعـاد إلى الصحراء في إمارة محمد بن يحيي بن عامر اللمتوني[253]، وبقي فيها حـتى استشـهد سـنة 489هـ/ 1096م في إحدى الغزوات ضد بافور بمدينة الكلاب بتيارت في جبل آدرار، ودفن بحصن آزوگي[254] الموجود بالقرب من هذه المدينة.

وترك الإمام الحضرمي ذرية بعضها اليوم منـدرج في عـداد قبائـل لمتونـة، والسماسـيد، وتاگنيت، والأغلال، وتنواجيو، وإيداب الحسن[255].

وممن اصطحب أبو بكر بن عامر معه من الأمويين المذكورين الفقيـه إبـراهيم الأمـوي الذي أصبح قاضي المجلس (مجلس الأمير أبي بكر)، ويوجد له قبر (حقيقـي أو مفتـرض جريا على عادة الصنهاجيين ببناء قبـور متعـددة في أمـاكن مختلفـة للشـخص الواحـد للتبرك به) بموضع من بلاد گدالة يدعى امبلطون (حوالي 70 كلم شمال غـرب مدينـة الگوارب الحالية) على الحدود الگدالية مع بلاد التكرور[256]، وذريتـه معروفـة اليـوم في البلاد بقبيلة "المدلش" التي هي تصحيف لكلمة المجلس.

---

[251] مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر وأحمد التوفيق، مطابع المعارف الجديدة، 1984، ج3، ص185.

[252] ولا يذكر المؤرخون سببا لبناء يانو لهذا الحصن في آدرار، هل كان لأسباب عسكرية (مواجهة مع قبائل المنطقة، أو مع السوننكيين المجاورين مثلا...) أو لأسباب اقتصادية (تجارة، جباية مغارم...إلخ) أو لأسباب اجتماعية (مصاهرة، گيطنه (موسم التمور)...إلخ).

[253] ابن بسام، الذخيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، 1979، ج6، ص119.

[254] يوجد موقع هذا الحصن التاريخي على بعد بضعة كلمترات غرب مدينة أطار الحالية.

[255] المختار بن حامدن، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص23.

[256] محمد بن أبي مدين، المنيحة، تحقيق إبراهيم بن محمد بن أبي مدين، مرقون، ص37.

واصطحب أبو بكر بن عامر معه كذلك رجلين ءاخرين من بني أمية أحدهما عبد الله بن أبي بكر الزينبي جد قبيلة إيدغزينبو المعروفة اليوم[257]، والآخر عبد الرحمن (بن الغيث حسب ابن انبوجه العلوي)[258]، وشهرته عبد الرحمن الركاز جد قبيلة تركز الحالية، وهو الذي أنقذ جيش أبي بكر لما وصل إلى لحماده (شمال مقطير) غازيا آدرار وتگانت وغيرهما من العطش بإنباطه للماء، حيث تروي الرواية الشفهية أن الجيش لما عطش صارت فرس عبد الرحمن تنبش الأرض بحافرها وتصهل، فضرب موضع حفرها بقوسه فتفجر منه الماء، فدعي عبد الرحمن من يومئذ الركاز، ودعي ذلك الموضع بالفرسية[259].

2- غزو أبي بكر بن عامر لتيرس وما وراءها من بلاد شنقيط:

ولما عين أبو بكر بن عامر الإمام أبابكر الحضرمي إماما للدعوة، والفقيه إبراهيم الأموي قاضيا للمجلس، ورتب الدولة عاد إلى مواصلة الجهاد متجها جنوبا، فهاجم قبائل مختلفة من إيزگارن وأغرمان وبافور كانت تتوزع في ما بين لحماده والزمور فأجبرها على الطاعة، ونزل بالزمور شهرا حتى ثقفها، ثم ارتحل إلى تيرس فأخضعها، ثم عسكر بكدية الجل أشهرا حتى مهد الأراضين من حولها.

ثم هاجم بعد ذلك المالحة، وهي مدينة عظيمة مندثرة كانت على بعد يومين من وادان كان معظم سكانها من البربر الخوارج وأغرمان النصارى وبافور اليهود، فقاتل أهلها حتى فتحها، ثم نازل أهل وادان وكانوا خليطا من البربر واليهود والخوارج فهزمهم.

ثم جهز جيشا إلى آبير وفيها الحراطين الزناتيون، وأقوام من نفوسة ولواتة، وكانوا كلهم آنذاك خوارج نكاريين، فهزمهم بعد قتال شديد، ثم سار مع باطن آدرار في قسم

---

[257] وحسب وثيقة في مكتبة أهل حبت فإن عبد الله الزينبي شريف من أبناء زينب بنت علي بن أبي طالب، فانتماؤه للأمويين على هذا بالولاء فقط.

[258] ابن انبوجه العلوي، فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور، مرقون ، ص34.

[259] تتضافر الروايات الشفهية والكتابات التاريخية المحلية القديمة على ذكر هذه القصة.

من جيشه، وأوكل إلى قسم آخر من الجيش مهمة تطهير ظهر آدرار حتى التقى الجيشان بتوضشين، وهي قرية عظيمة ظلت بها بقايا العمارة حتى منتصف القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد)، فوجد الجيشان بها أصنافا من الخلق جلهم مسيحيون شادين الزنانير[260] أو يهود، فتقاتل الفريقان قتالا عنيفا ثم انهزموا وفروا باتجاه أرض الگبلة، واتجه أبو بكر إلى معقل قبائل بافور بمدينة الكلاب (قرب آزوگي بتيارت) ففتحهم وبدد شملهم، وكان فيهم يهود، وفيهم كثير من الخوارج الأباضية الذين نزحوا إلى آدرار من أودغست. وجد أبو بكر في تقتيل كلاب بافور التي أزعجت جيشه، فقد كان البافوريون يربون الكلاب ويدربونها على القتال معهم في الحروب، بينما كان الخوارج النكاريون يربونها للأكل.

ثم انحدر أبو بكر بعد ذلك في جحافله يطارد هذه المجموعات وغيرها من أهل گنار الذين كانت قصورهم تملؤ مناطق إينشيري وفاي وآوكار الابكم شرقي بلاد گدالة وبلاد العرية وإيگيدي الجنوبي، فلم يزل يدوخهم حتى عسكر قرب بحيرة الركيز عند سهوة الماء، وأجبر الناس على الجزية أو الإسلام فأسلموا كلهم إلا طوائف من الفلان والسيرير عبرت النهر. واتجه أبو بكر باتجاه تگانت فحاصر قبائل گنگاره السوننكية ببطحاء السلاطين حتى هزمهم وطردهم إلى ما وراء النهر[261].

3- وفاة أبي بكر بن عامر:

وبينما كان أبو بكر عائدا كمن له بعض الگنگاريين فأصابه بسهم مسموم مات منه عندما وصل إلى محل قبره الذي أصبح يدعى "مگسم بوبكر بن عامر" في أم العويتگات

---

[260] الشيخ محمد المامي، جمان البادية، مخطوط، ص7. وكتاب أحمد بن حبت الغلاوي في التاريخ الذي هو كتاب قيم لكنه ضاع من مؤلفه فأملاه بعض تلامذته من حفظهم فأثر ذلك على بعض مواده. وقد عثرنا على نسخ متعددة منه بينها اختلافات وعلى بعضها تذييلات منها تذييل عبد الكريم بن الشيخ بن أحذيه الحسني، وقد تصرفنا في نصوص هذا المرجع بما يجعل المعلومات التي نعتمد منه منسجمة وموثقة وموافقة للمرويات الشفهية.

[261] ابن حبت، مرجع سبق ذكره، ص8-9.

(نحو 55 كلم جنوب مدينة تجگجه عاصمة ولاية تگانت الحالية)، وذلك سنة 468هـ/ 1075م وليس سنة 480هـ/ 1087م كما اطرد في عدد من المراجع، فقد نقل تاريخ وفاة أبي بكر الصحيح ابن عذاري، وهو أحد أوثق من ألف في تاريخ الدولة المرابطية، ونقله صاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، وكان ينقل من كتاب ابن الصيرفي في تاريخ المرابطين أهم مصدر تاريخي معاصر للدولة المرابطية، وتدل على صحة هذا التاريخ شواهد كثيرة منها سفر ابنه إبراهيم بن أبي بكر بن عامر سنة 469هـ، 1076م إلى مراكش لاستعادة ملك أبيه بالمغرب، ومنها قيادة يحيى بن أبي بكر بن عامر جيوش الدولة الصحراوية التي فتحت مدينة جني (گناوة) الغانية في نفس السنة (469هـ، 1076م)، مما يبين أن أبا بكر لم يكن حيا سنة 469هـ/ 1076م[262].

وركب إبراهيم بن أبي بكر بن سنة 469هـ/ 1076م في خلق كثير من لمتونة وغيرهم لاستعادة ملك أبيه بالمغرب، فسار حتى نزل بأغمات. وسمع بأمره يوسف بن تاشفين فبعث إليه الأمير مزدلي (مزدچي) بن تلكان (تجكان) اللمتوني، وكان أحد خواصه وقواده، فقال له مزدلي: ما الذي تريد يا إبراهيم؟ قال: أطلب ملك أبي الذي غصبنا فيه عمي يوسف، فقال مزدلي: إن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا، فإن كنت عاقلا فاطلب منه أن يعينك بمال وخيل ترجع بهما إلى بلدك، وإن طلبت غير هذا أخاف أن يجعل على رجلك قيدا، ويحبسك عنده عبدا، وما قلت لك ذلك إلا بوجه الشفقة عليك. فقال له: يا عمي مزدلي، رضي الله عنك، عسى أن تجتمع معه في أمري، وتبين له حالي. وكان الأمير مزدلي حسن السياسة، عارفا بخدمة الملوك، فقال له: أقم في موضعك حتى آتيك بكل ما يرضيك، فانصرف عنه ودخل على يوسف بن تاشفين فحسن كلامه إليه، فأنعم الأمير يوسف

[262] بعد الاستقراء تبين لنا أن الذي توفي في شعبان 480هـ 1087م هو ابن أخي أبي بكر الملك العظيم محمد بن يحيى بن عامر فاختلط الأمر على الرواة، وسيأتي قريبا ما يبين أنه لا عبرة لما استند إليه بعض الباحثين في تحديد تاريخ وفاة أبي بكر بن عامر انطلاقا من تاريخ ضرب السكة.

عليه بمال وخيل وكسي وغير ذلك. وحمل مزدلي كل ذلـك إلى إبـراهيم فشـكر إبـراهيم مزدلي، وانصرف راجعا، ولم يجتمع بيوسف ولا رآه[263].

4- يحي بن أبي بكر يخلف أباه أبابكر بن عامر:

واختلف في من خلف أبا بكر بعد وفاته، وكان لأبي بكر ابنان: يحي وأمه عائشـة بنـت ياران أخت إسحاق بن ياران اللمتوني، وإبراهيم وأمه سودانية، فقيل إبـراهيم هـذا، ثم أخوه يحي، وقيل يحي دون إبراهيم، وهو الصحيح لما نقله ابـن عـذاري مـن سـفر ابنـه إبراهيم للمطالبة بعرش يوسف المغربي، ولأن الزهـري الجغـرافي ذكـر أن أهـل گنـاوه (غانه) كانوا متمسكين بالكفر إلى سنة 469هـ/ 1076م، وذلك عند خروج يحي بـن أبي بكر أمير مسوفة، وأسلموا في مدة لمتونة، وحسن إسـلامهم[264]، يريـد بـذلك الأمـير يحي بن أبي بكر بن عامر اللمتوني، لكنه أطلق عليه اسم أمـير مسـوفة لكثـرة مسـوفة بنواحي گناوه (غانه).

5- محمد بن يحي بن عامر يخلف يحي بن أبي بكر:

وبعد موت يحي بن أبي بكر بن عامر حل محله ابن عمه محمد بن يحي بن عامر، فأعـاد تنظيم الدولة، وتقرب إلى شيوخ لمتونة ومسـوفة وگدالـة وسـائر صـنهاجة فانقـادوا لـه فقويت دولته، ودانت له الصحراء بأسرها إلى النهر الذي لم يعد يعرف إلا بنهر زناگـه =صنهاجة (نهر السينغال)[265]، كما دان له كثير من مجـال مملكـة غانـه المنـهارة، وظفـر بذهب كثير، فأصبح بذلك أعظم خلفاء الدولة الصحراوية، وأوسعهم ملكـا. وتسـامع الناس به فرحلوا إليه، وعاد إليه الإمام الحضرمي من الأندلس بعدما فـارق الصـحراء

---

[263] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص79.

[264] أحمد الشكري، مرجع سبق ذكره، ص79.

[265] حيث تحرفت كلمة زناگه إلى كلمة السينغال. انظر/ انواكشوط عاصمة موريتانيا خمسون عاما من التحدي، دار سيبيا، 2006، ص36. و المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص67.

بموت أبي بكر فاتخذه محمد بن يحي إمامه ومستشاره[266]، وألف له كتابه "الإشارة في تدبير الإمارة".
وتوفي محمد بن يحي في شعبان 480هـ/ 1087م[267].

6- أحمد بن يحي بن عامر يخلف أخاه محمدا:

واضطربت الأحوال بموت محمد بن يحي اللمتوني، وظهر التصدع في أركان الدولة المرابطية الصحراوية، فانتهز يوسف بن تاشفين تلك الفرصة فقطع الصلة نهائيا بين سجلماسة والصحراء، وأمر بإيقاف ضرب الدنانير التي كانت تضرب فيها باسم أبي بكر بن عامر وضربها باسمه، وقصر صلته بالصحراء على الهدايا التي واصل إرسالها إلى بني عمومته هناك[268].

وخلف أحمد بن يحي بن عامر اللمتوني أخاه محمدا، فحاول أن يثبت دعائم الدولة وقام بإعادة غزو الأطراف الجنوبية للصحراء، فغزا تيرس وآدرار وتگانت والگبلة. وفي أثناء غزوه لآدرار قتل الإمام الحضرمي الذي كان يرافقه من طرف أحد بافوريي مدينة الكلاب الذين أفتى الإمام الحضرمي باستئصال كلابهم، وكانوا قد عادوا للاستكثار منها بعد غزو أبي بكر بن عامر لهم قبل عشرين سنة.

ويوجد قبر الإمام الحضرمي الآن بآزوگي آدرار التي هي اليوم أحد المعالم التاريخية للبلاد.

---

[266] ابن بسام، الذخيرة، مرجع سبق ذكره، ص119.

[267] راجع الهامش المتعلق بوفاة أبي بكر بن عامر أعلاه.

[268] ورد في التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة للأمير عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس (ص206) «أن يوسف بن تاشفين أهدى إلى عمه الصحراوي منصرفه إلى مراكش بعد فتح الأندلس (بعد وفاة محمد بن يحي بن عمر اللمتوني بأربع أو خمس سنوات) ذخائر من غنائمه». ولعله يعني بذلك أحد كبراء الصحراء من أبناء عمه هناك، أو عما له لم تحدده المراجع. انظر، المختار بن گاگيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، مرجع سبق ذكره، ص24-25.

7- اضمحلال الدولة المرابطية بالصحراء:

ولم يستطع أحمد بن يحي بن عامر أن يحافظ على الإرث الذي ترك له أخوه محمد فعصفت الخلافات بدولته وتلاشت[269]، فرحلت فصائل مهمة من قبيلتي گدالة ولمطة عن الصحراء وانضمت إلى الدولة المغربية الشمالية بتشجيع من ملك المغرب يوسف بن تاشفين، واستقل التوارگ (وهو اسم غلب على تجمع أكثره من مسوفة، وفيه فصائل من لمتونة ولمطة وگدالة وهگار وغيرها) بنواحي مدينة تنبكتو على الطريق التجاري الرابط بين مدوگن (قرب ولاته) ومنعطف النيجر سنة 494هـ/ 1100م بعدما كان توارگ إيمغشرن يتخذون من موقعها ملتقى يمرون به ذهابا في الصيف إلى أمظغ (على ساحل نهر النيجر) وإيابا في الخريف إلى أروان، ويودعون فيه متاعهم وزروعهم لدى أمة لهم مقيمة بهذا الموقع تدعى تنبكت[270]، وأخذت مسوفة تستقل تدريجيا عن لمتونة التي تفاقم الخلاف بينها بعد أن تحول ملكها بالصحراء إلى مجرد زعامات قبلية محدودة النفوذ، تحتكم في خصوماتها إلى ملوك الدولة المرابطية الشمالية قبل سقوطها، ثم إلى الممالك الزنجية الواقعة جنوب الصحراء بعد سقوط الدولة المرابطية الشمالية[271].

---

[269] ذكرت بعض المصادر أن ملك الملثمين بالصحراء آل إلى إبراهيم بن عمر التكروري ثم ملك بعده ابنه داود، ثم ملك بعده إدريس بن إبراهيم، ثم ملك بعده ابنه عثمان بن إدريس بن إبراهيم. المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص36. والأمر هنا يتعلق بمملكة بورنو كما يوضح لنا ابن حجر في كتابه الدرر الكامنة، فالنسبة إلى التكرور عند المؤرخين في ذلك العهد كانت تشمل كل الأقاليم السودانية الواقعة جنوب الصحراء.

[270] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص11. وأضاف: «ثم أصبحت تنبكتو سوقا عامرة تؤمها القوافل من كل فج. وسكنها كبار التجار والأخيار من العلماء والصالحين من جميع أجناس صنهاجة ومن سائر الآفاق».

[271] يقول ياقوت الحموي (تـ626هـ)، مرجع سبق ذكره، عند الحديث عن زافون (جافنه بمالي الحالية): «ولاية واسعة في بلاد السودان المجاورة للمغرب ومتصلة ببلاد الملثمين، لهم ملك ذو قوة وفيه منعة، وله حاضرة يسمونها زافون، وهو يرتحل وينتجع مواقع الغيوث، وهكذا كان الملثمون قبل استيلائهم على بلاد المغرب، وملك الزافون أقوى منهم وأعرف بالملك، والملثمون يعترفون له بالفضل عليهم ويدينون له، ويرتفعون إليه في الحكومات الكبار».

البلاد السائبة

أخذ السلطان اللمتوني في بلاد شنقيط خلال فترة الأمير أحمد بن يحيى بن عامر اللمتوني يتقلص، حتى آل به الأمر إلى الاقتصار على أحواز لمتونة دون غيرها من قبائل صنهاجة. وانقسمت لمتونة، بعدما تحولت بلاد شنقيط إلى أرض سائبة، إلى عدة دويلات قبلية تتنازع على السلطان والمغارم وخفارة القوافل، بينما لم تتمكن الممالك الزنجية التي قامت جنوب الصحراء، وهيمنت في فترة ما بعد المرابطين على أجزاء مختلفة من بلاد شنقيط، من الوصول إلى درجة تمكنها من ضبط أحوال البلاد التي انغمست في فوضى عارمة استمرت عدة قرون.

وفاقمت الأوضاع السياسية بالمغرب المجاور من الوضع الداخلي لبلاد شنقيط بسبب الحروب والمجاعات المتصلة بسقوط الدولة المرابطية الشمالية، وما رافق ذلك من هجرات متواصلة للمرابطين الفارين من بطش الموحدين إلى الصحراء الشنقيطية. وانضافت إلى الهجرات المرابطية القادمة من الشمال هجرات زناتية وعربية حدثت خلال القرن السادس للهجرة (12م) بسبب الضغط الهلالي على المناطق الواقعة شمال بلاد شنقيط.

وخلقت هذه الهجرات المكثفة والمتلاحقة القادمة من الشمال وضعا جديدا أدى إلى الضغط على السكان الأصليين لبلاد شنقيط، ودفعت السيبة المنتشرة في المنطقة القبائل الضعيفة (الزناتية أو البافورية أو الأغرمانية أو الزنجية..إلخ) إلى التوغل جنوبا بحثا عن أراض مأمونة، فكان ذلك سببا في تراجع هذه المجموعات وجواز أغلبها إلى بلاد مالي أو السينغال.

وكانت بلاد شنقيط في هذا العهد مليئة بالغابات والأدغال والغيضات، ويكثر فيها النعام وبها عدد من الفيلة، وأنواع من الوحوش المفترسة، لكن الخوف من سطوة

القبائل التي أخذت تفرض المغارم على المجموعات الضعيفة أرغم السكان على اقتحام هذه الغابات والأدغال.

وسابت البلاد، وانعدم الأمن، ولجأت المجموعات الضعيفة التي لم تتسن لها الهجرة إلى الاحتماء بالمحلات (المجموعات العسكرية) والقبائل القوية مقابل مغارم معروفة، واستبدت كل محلة أو قبيلة لها سلطان من سلاح أو مال أو دين أو ثروة بأحوازها، وبسطت نفوذها على ما قدرت عليه من الأرض والناس، فكان لكل محلة أو قبيلة سلطانها الخاص بها. وتفاوت هذا السلطان في القوة، فمن هذه المحلات والقبائل ما كان له في هذه الفترة سلطان شبيه بالسلطان الأميري، ومنها ما كان مجرد أوزاع تحالفت فأسست مجموعة قبلية، أو أقامت زاوية دينية، أو بنت محطة تجارية، أو شكلت محلة عسكرية، واستطاعت أن تحمي نفسها أو احتمت بغيرها. وأدى رواج التجارة بين مملكة التكرور ودولة الموحدين إلى توفير أساس مستقر لحياة الأجناس السكانية المختلفة المتناثرة في البلاد، التي تمكنت من مقاومة عوامل الاندثار. وارتبطت هذه الأجناس بإحدى المجموعتين الأساسيتين اللتين برزت ملامح الخريطة السكانية الجديدة في ذلك العهد على أساس الارتباط بهما، وهما مجموعة قبائل الشاطئ الگدالي المتحالفة مع قبائل گنار التى صمدت لبعض الوقت في وجه التحولات الناجمة عن السيبة، ومجموعة القبائل المرابطية القادمة إلى بلاد شنقيط من الشمال فرارا من بطش الموحدين، وما رافق قيام دولتهم من محن وحروب ومجاعات.

أولا - مجموعة قبائل الشاطئ الگدالي:

دفع تفكك دولة المرابطين (الأولى) بالصحراء قبيلة گدالة ببلاد شنقيط والقبائل المجاورة لها كقبيلة هوارة وغيرها من قبائل الخوارج الزناتيين وقبائل أغرمان إلى الالتئام حول آل إبراهيم الأموي الذي قدم مع أبي بكر بن عامر من أغمات فكان قاضي مجلسه، وصارت ذريته تعرف بالمدلش (تحريف لكلمة المجلس)، وكانت تحظى باحترام

كبير بين صفوف الصنهاجيين والگناريين فكانت تنتجع على طول الشاطئ الگدالي من الساقية الحمراء إلى نهر السينغال لا يضايقها أحد.

ورغم السيبة التي ارتمت فيها البلاد بعد تفكك الدولة المرابطية، فقد ازدهرت منطقة الشاطئ الگدالي، وما اتصل بها من أرض گنار، بسبب ازدهار دولة التكرور الواقعة جنوبها على ضفتي نهر السينغال، إثر تزايد نشاط التجارة بينها وبين الدولة الموحدية في المغرب، وامتلأ الشاطئ ونواحيه بأصناف السكان الذين كانوا أساسا خوارج سابقين، انتظموا تحت ظل الگداليين، ولم يزالوا كذلك حتى اصطدمت گدالة بطلائع بني حسان من الرحامنة ومن معهم من الشعانبة في نهاية القرن الثامن أوبداية القرن التاسع للهجرة (14-15م) فكان ذلك سببا في تفرق گدالة وتشتتهم، ولجوء عدد منهم إلى أهل گنار الذين كثرت عمارتهم في ذلك العهد جنوب وغرب وشمال غرب آدرار، وانتشرت قصورهم على طول طرق القوافل المتجهة من الشمال إلى بلاد التكرور، وأصبحت محطة تن إبراهيم التي قام إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي الإدريسي بحفر بئرها وتأسيسها حوالي 536هـ/ 1142م بتيجريت عاصمتهم السياسية والتجارية قبل تأسيسهم لتيگماطين[272]، حيث تروي الرواية أن جد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين قدم هو أو أبوه شمس الدين الملقب بالشريف بوبزول من الشمال فنزل بوادان بآدرار، ثم انتقل إلى تيجريت حيث گنار فتزوج ببنت سيرين مصر (سان چيري چوب) فكانت لذريته زعامة مشهورة بين أهل گنار في تيجريت. وإلى إبراهيم هذا تنتسب أفخاذ مختلفة من قبائل أورلبه الفلانية في وادي السينغال، وبعض قبائل وطابي الفلانية في ماسنه، وأسرة بابابه التي يطلق اسمها اليوم على مدينة بابابى (غرب كيهيدي)، وقسم من هذه الأسرة في مدينة هوري فوندى وكيهيدي ونييرا، وكثير من فولبه بوصيا، وأورولبه داكا، وبنتو

[272] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، مرجع سبق ذكره، أجزاء متفرقة.

وأيدي، والذين يلقبون بباري في ماسنه، ومنه ينحدر مؤسس الدولة المامية الإسلامية سليمان بال، ومؤسس دولة ماسنه الإسلامية الشيخ أحمد بن حمدي لبو[273].

وأسس ذوو إبراهيم هذا وذوو أبيه الشريف بوبزول وأحفاده بفضل مكانتهم لدى أهل گنار والفلان وغيرهم من السكان في الأنحاء فروعا وقبائل في أماكن مختلفة فرقتها التحولات الاجتماعية الناجمة عن السيبة، فكان جد السماسيد منهم أحد بناة شنقيط في آدرار سنة 808هـ/ 1405م، وكان أجداد إيكمليلن وأهل أشفغ حيبلل، وأهل فوديه، وأهل أعمر أگدبيجه، وأهل أگد يحي، وأهل محمذن عبدي (محمن عبدي) وأهل محمذن الصديق (محمن الصديق) جزءا من دولة المدلش، ثم انضموا إلى تندغه إبان حربها مع المدلش، فصاروا من جملتهم باستثناء إيكمليلن وأولاد أشفغ حيبلل.

ومكث أجداد إيداشغره وفالات گنار من أبناء الشريف بوبزول في أهل گنار بتيجريت: إيداشغره بالبطيحه، ونزحوا منها إلى ابصينت، وفالات گنار بتن إبراهيم التي انتقلوا منها إلى تيگماطين فاستوطنوها وعظمت دولتهم فيها بحيث أصبحت تيگماطين خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة (14-15م) بمثابة عاصمة دينية وسياسية وتجارية لما بين نهر السينغال جنوبا وتيجريت شمالا، بينما كانت آبير في آدرار تلعب نفس الدور[274]. وكان من رؤسائهم في تيگماطين همر فال بن إبراهيم فال بن ساعيد بن رضوان بن عفان بن محمد فال بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين الذي وصفه الفشتالي بأنه كان أحد الشيوخ والأمراء الذين استقبلوا جيش الحملة السعدية الغربي برئاسة القائد المولى بن عيسى سنة 992هـ/ 1584م[275].

ونشر فالات گنار هؤلاء العلم في الوولوف والفلان المجاورين لهم بفوته الغربية، وكان شمس الدين (أحد أحفاد محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي)

---

[273] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص143.

[274] عزيز بطران ووينفرد جونسون، آبير في تواريخ بعض مجموعات الصحراء، جامعة هاورد، واشنطن، ص2.

[275] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، مرجع سبق ذكره، جزء الشرفاء، ص12، والفشتالي، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، المطبعة العصرية، الرباط،1973.

المعروف في فوته بچم سي قد أسهم إسهاما كبيرا في نشر العلم بالمنطقة. ويقال بأن شمس الدين هذا هو جد كل من يلقب بسي في بوصيا، حيث ذكرت وثيقة تاريخية عثر عليها في بلدة جول أن «شمس الدين الگلگمي نزل في بلدة سي، على الضفة اليسرى لنهر السينغال، وتزوج من عائلة من أعيان المنطقة وأنجب أنجالا من الذكور صاروا علماء، وانتشروا بتوجيه من والدهم في الأقاليم والقرى ببلاد فوته، ينشرون العلم والدين..[276]».

وكان من أهم القصور في منطقة گنار بعد تيگماطين قصر تينشيكل (شمال غرب المذرذره) الذي بناه أغرمان على طريق القوافل المتجهة إلى التكرور (حوالي 536هـ/ 1142م) على شاطئ بحيرة كانت توجد هناك، ومنها اشتق اسم تينشيكل التي تعني عند البحر، ويعربها الشعراء الشناقطة بذات اليم. وكان أغرمان يسكنون هذا القصر ويحرثونه حتى مطلع القرن الحادي عشر الهجري (16- 17م)، ثم تركوه بسبب مضايقات القبائل الحسانية الوافدة لهم، وأعطوه لبابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان، وكان بين أغرمان وأولاد ديمان مودة ومصاهرة فاقتسمه بابحمد مع أخويه باركلل وأحمد شلل[277]. واستقر أغلب أغرمان بعد ذلك جنوب النهر. وقصر تندگسمي (60 كلم شرقي انواكشوط) الذي بناه الفلان على طرق القوافل بين الحواضر اللمتونية والحواضر التكرورية على نهر السينغال، أسسه آيل كن بن هلال بن عبد الله الدمشقي الذي يعرف أحفاده عند البيضان بأحرار چلمت (دمات)، جد موطد الدولة المامية الإسلامية الإمام عبد القادر كن[278]. وآيل كن زعيم «من أصل عربي قدم [جده] من الشمال عن طريق غانه في وقت يجهل الرواة تحديده، وأصبح فوتي الوطن، وبولاري اللغة، وصار من أبرز زعماء السود في عهد [أمير بيلگه] أبي بكر بن عامر [بن بادي

---

[276] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص59.

[277] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص137.

[278] المرجع نفسه، ص158. وهو أيضا جد زعيم فوته الغربية أليمان (الإمام) بوبكر الذي قال الشيخ محمد المامي (ت1286هـ 1869م) مثنيا عليه: إنه رآه في قرية چورمه (بالسينغال الحالي) يقيم الحدود بيده.

بن البشاره بن عتبة بن الخظير بن يحيى (المعروف بابن الصحراوية) بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين]، وكانا رفيقين في الكفاح ضد بقية الدولة الغانية، ثم اختلفا فقتله أبو بكر بن عامر غيلة، فانتقم له منه بعد ذلك تلميذ له يدعى مگم بولي[279]». وقد آل قصر تندگسمي الذي يعيش بعض ذراري ذويه الآن بانتشيكان إلى قبيلة انگادس اللمتونية، قبل أن يؤول إلى أولاد سيدي اشواص فإيدكشمه، ثم آل في عهد اعلي شنظوره (تـ1139هـ/ 1727م) إلى قبيلة إيدوداي الشمشوية.

ومن قصور أهل گنار قصر برويت الذي كانت تسكنه قبيلة مصار اديوب ثم نزحت إلى اديولوف بالسينغال فأسست فيه قرية انكك. ومنها قصر أمندور، «ومعنى أمندور كثير الاحتراق لأنه احترق مرات عديدة وكان بناؤه من الحشيش اليابس[280]».

ومنها قصر ابصينت الذي انفصل أهله عن إيداشغره تيناذمن (فصيل من أبناء الشريف بوبزول) الذين ساكنوهم قرونا عديدة، بعد حرب بين الطرفين، وكان أهل ابصينت قد انتقلوا إليه من البطيحه بتيجريت حيث قضوا قرنين من الزمن[281].

ومنها قصر إيدوفال (قرب دگانه) اشتهروا به زمانا طويلا منذ صدر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي)، وأهله هم الذين باعوا سهل حبايه الزراعي (قرب بحيرة الركيز) لأحمد بن خيار العلوي بأربعة من الخيل العتاق في صدر القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، فلم يزالوا هناك مع من انضاف إلى نواحيهم من أبناء جنسهم ممن لم يذب في قبائل الخالفة الكحلاء البيظانية، حتى قتل أمير الترازه اعلى الكوري في يوم المرفگ سنة 1200هـ/ 1786م على يد تحالف البراكنة والإمام عبد القادر الفوتي في وقعة انگيرين فعبروا إلى الضفة اليسرى للنهر مع من عبر من زنوج المنطقة خوفا من الترارزة، وسكنوا مدينة كايي القريبة من دگانه، كما عبرت منهم مجموعات مختلفة في أوقات متفاوتة جنوب نهر السينغال فاندمجوا في سكانه.

---

[279] المرجع نفسه، ص156. وما بين المعقوفتين توضيح من طرفنا.

[280] ابن أحمد يوره، كتاب الآبار، مرجع سبق ذكره، ص37.

[281] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص24.

ولم يبق لأهل گنار مع بدء العصر الحديث سوى مناطق متفرقة من الساحل غربي آدرار أو منطقة دلتا نهر السينغال، وتقلص مفهوم گنار بعد ذلك عند السكان حتى أصبح محدودا في أربع قرى هي تيگماطين (60 كلم شمال مدينة الگوارب)، وابصينت (5كلم شمال شرق الگوارب)، وتنگن (بضاحية الگوارب الشمالية الشرقية)، وگنار (جنوب نهر السينغال).

ثانيا- القبائل المرابطية النازحة إلى بلاد شنقيط من الشمال:

أدى سقوط الدولة المرابطية بالمغرب واستيلاء الموحدين على مراكش في شوال سنة 541هـ (مارس 1147م) إلى اندلاع مقاومة شرسة ضد الدولة الموحدية الناشئة. ولم تنتصف سنة 542هـ (تنته سنة 1147م) حتى فقد الموحدون أكثر المناطق التي سبق وأن احتلوا بسبب الثورات والتمردات المختلفة. ففي وادي سوس أعلن معاذ المساطي (أو المسطاسي) تمرد جزولة، ومد نفوذه إلى حاحة ورگراگة وهزميرة وهسكورة ودكالة وبني وریاگل. وفي سبتة أعلن الأهالي تمردهم على العامل المعين من قبل الموحدين، وتمردت طنجة ومكناس ودرعة وسجلماسة فلم يبق للموحدين في بلاد المغرب سوى فاس ومراكش والقبائل الست التي شكلت النواة الأولى لدولتهم[282].

وانتهز الأميران المرابطيان الأندلسيان ابن غانية المسوفي علي بن إسحاق ابن غانية وابن الصحراوية يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين الفرصة للقضاء على الموحدين. وقام ابن غانية بحث ابن الصحراوية على الانتقال إلى المغرب للعمل على إعادة المرابطين إلى الحكم، فرحل إلى سبتة التي رحبت به، ونادى بنفسه أميرا للمسلمين معتبرا أنه الوريث الشرعي لبني تاشفين، بعد مقتل إبراهيم بن تاشفين أثناء سقوط مراكش، فبايعه أعيان سبتة ووجهاؤها وفي مقدمتهم القاضي عياض

[282] آمبروسيو ميراندا، التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية، مطبعة النجاح، الرباط، ص137.

السبتي. وضرب يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين بعد هذه البيعة بسبتة السكة باسمه.

ولما أدرك عبد المومن الموحدي خطورة الموقف شكل جيشا جرارا وجهه نحو المساطي في وادي سوس. ونجح هذا الجيش في هزم هزميرة والتقدم نحو المساطي وقتله يوم 16 ذي الحجة 542هـ (7مايو 1148م)، ثم واصل باتجاه هسكورة فهزمها، وسار إلى سجلماسة فأعاد إخضاعها، وأجبر فلول المتمردين والمرابطين الذين كانوا بها على التوغل باتجاه الصحراء الشنقيطية.

وأرسل الموحدون أسطولا لمحاصرة سبتة، لكن ابن الصحراوية احتال على قائد الأسطول الموحدي فقتله وتوجه إلى طنجة حيث حث عاملها المرابطي يحيى ابن تاعيشت على الصمود في وجه الموحدين.

ثم توجه إلى برغواطة بحثا عن العضد بين أعداء الموحدين فأبدوا له الولاء، ثم انتقل إلى دكالة التي هي تجمع صنهاجي مختلط فبايعه أهلها.

ولمواجهة الخطر الجديد الذي أصبحت تواجهه الدولة الموحدية جهز عبد المومن الكومي زعيم الموحدين جيشا بقيادة يصلاسن الهرگي، فتمكن من احتلال طنجة وقتل يحي ابن تاعيشت وحاصر سبتة لكنه لم ينجح في احتلالها، غير أنها استسلمت بعد انسحابه.

واستوطن ابن الصحراوية بمن معه من لمتونة ومسوفة وسائر البربر والأتراك والأقواط المنخرطين في جنده أرض دكالة التي بايعته، فاستنفر عبد المؤمن مختلف جيوشه للقضاء عليه مهما كان الثمن، فاجتمع له جند كثير فانطلق باتجاه آيصزول حيث يوجد يحي الصحراوي.

ومع بداية الهجوم الموحدي اقتنعت دكالة أنه لا طاقة لها بهذا الجيش الجرار فهرب مقاتلوها وفرسانها مع ابن الصحراوية إلى السوس، فتعقبهم يصلاسن ففروا إلى عمق

الصحراء[283]، فأقاموا بتوات ونواحيها فترة من الزمن كما أشار إلى ذلك "القول البسيط في أخبار تمنطيط" الذي قال بأن «أول من نزل بها وبنى بها القصر الأول يقال بأنهم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجفنت (تاشفين) حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس.. فجاؤوها هاربين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات، ووجدوا بها الجدب فعرفوا أنها أرض أمان، لأن الجند لا يطيق المقام بها ولا مطمع له فيها، فبنوا للسماء وحفروا للماء[284]».

1- النازحون مع الشريف عبد المؤمن والحاج عثمان الأنصاري:

وأعد عبد المومن الكومي بعد عودته إلى مراكش من حملته على دكالة والمرابطين بقيادة ابن الصحراوية في ربيع الأول 543هـ (أغسطس 1148م) لائحة بأسماء من تجب تصفيتهم من أبناء القبائل الذين ساندوا تمرد المرابطين ضده. ويتحدث المراكشي في كتابه "المعجب" عما شاهد من القتل المذهل لأعداء الموحدين بالسوس[285]. ووصلت الإعدامات في هذه الحملة إلى أكثر من ثلاثين ألفا بدأت بقبائل هزميرة ورگراگة وحاحة بضواحي مراكش وامتدت إلى سجلماسة ومرتفعات سوس.

وواصل عبد المومن الموحدي طيلة سنة 544هـ/ 1149م تطهير البلاد من المرابطين المناوئين للدعوة الموحدية وأنصارهم، فدفع هذا الوضع بمجموعات جديدة من المرابطين وأشياعهم إلى الفرار باتجاه بلاد شنقيط.

وكان من هؤلاء الفارين الشريف عبد المؤمن بن صالح بن الإمام عبد العالي بن جعفر بن إسحاق بن يحيى بن مالك بن يوسف بن القاسم بن عبد الله بن إدريس أحد تلامذة القاضي عياض الذين وقفوا إلى جانب المرابطين وناصروهم، هاجر من

---

[283] المرجع نفسه، ص142.

[284] نص ملحق بكتاب، فرج محمود فرج، أضواء على إقليم توات في القرنين 18-19، الجزائر، 1977.

[285] المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق ونشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي،القاهرة، 1963، ص53.

أغمات إلى بلاد شنقيط، فجاء إلى حيث مدينة تيشيت الحالية بمنطقة تگانت على مسافة 250 كلم من تجگجه (تجگجه)، وكانت ممرا للقوافل المتجهة إلى ولاته، وكان موضعها أكما يوجد بشماله على فرسخ منه (5.54كلم) جبل مرتفع، كما يوجد على أربعة أميال (7,36كلم) منه عن يمينه معدن ملح كبير، وتوجد عن جهاته الأربع معادن الحجارة والطين، وبه مياه كثيرة يصلح بها النخل وغيره فأعجبه موقعها فبناها سنة 544هـ/ 1149م[286].

وكان جمع من مرابطي مسوفة القادمين من نواحي تلمسان فرارا من حملة عبد المومن الموحدي الأولى التي أدت إلى إسقاط الدولة المرابطية (534هـ/ 541هـ- 1139م/ 1146م) التي دفعت بعدد كبير من المرابطين وأشياعهم إلى النزوح إلى بلاد شنقيط سنة 536هـ/ 1141م[287]، قد نزلوا إلى جوار تيشيت، جنوب المدينة الحالية، على بعد فرسخ (5.54كلم) منها، فبنوا الأخصاص وأقاموا وانقطعوا للعبادة وزهدوا في الدنيا ظنا منهم أن هذه الفتن المتصلة بهزيمة المرابطين، أصحاب الحق في نظرهم، دليل على قرب الآخرة، فندبهم الشريف عبد المومن إلى البناء فلم يساعدوه قائلين إنه لم يبق من الدنيا ما يستحق أن يشيد لأجله البناء[288]، فذهب وجاء بأدوات وبنائين، فبنى المسجد، ودارا لنفسه قرب المسجد.

ثم ارتحل إليه بعد ذلك أهل الأخصاص من مسوفة الذين كانوا بجواره، كما ارتحل إليه زميله في التلمذة على القاضي عياض الحاج عثمان بن محمد اللبان الخزرجي الأنصاري الذي هاجر معه من أغمات باتجاه بلاد التكرور، لكنه اختار النزول بوادان، ومكث بها دهرا قبل أن يلتحق بالشريف عبد المومن بتيشيت حيث ظلا ينشران

---

[286] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص30. والجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص78.

[287] أصبحت هذه السنة محطة فاصلة في تاريخ المنطقة بسبب التحولات الاجتماعية التي رافقته بحيث أصبح ينسب إليها تأسيس عدد من المدن والقرى التي أسست في ذلك العهد.

[288] الشيخ سيدي محمد الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله بن السالم، منشورات مؤسسة امربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، 2007، ص127.

العلم بها ويقيمان الدين حتى ماتا ودفنا بفناء مسجدهما. وأقام المسوفيون للحاج عثمان قبرا آخر بوادان يتبركون به، جريا على عادة صنهاجية مألوفة، فصار يعرف بذي القبرين.

وتصادف نزول الحاج عثمان الخزرجي بوادان مع نزوح مجموعات مرابطية إليها أغلبها من مسوفة من تفرله وتامگونه وكولانه فرت من حملة عبد المومن الموحدي الأولى (534هـ/ 541هـ - 1139م/ 1146م).

2- النازحون مع ابن غانية:

ومن جهته واصل علي بن إسحاق ابن غانية المسوفي المقاومة ضد الموحدين حتى قتل، وبعد موته خلفه أخوه يحي الذي انتصر على الجيش الموحدي سنة 605هـ/ 08-1209م في تاهرت وحولها إلى أطلال فلم تعمر بعده أبدا، لكنه انهزم بعد ذلك في معركة جبل نفوسة هزيمة قاسية، فلجأ إلى الصحراء حيث قضى ثلاث سنوات. وفي سنة 609هـ/ 1212م اتجه إلى ودان (بليبيا) وتمكن من احتلالها وقتل حاكمها قراقش[289]. غير أن الموحدين تمكنوا من دحره وطرده.

وفي سنة 624هـ/ 1227م ثار إبراهيم بن إسماعيل بن علان اللمتوني بنواحي توات «وأراد أن يجدد ملك المرابطين بقاصية الشرق[290]»، وقبض على عامل تلمسان الموحدي السيد أبي سعيد واستدعى ابن غانية إليه، وهم بالاحتيال على جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد للفتك به، ففطن له جابر فتظاهر له بالموافقة على ما يريد حتى تمكن منه فقتله، ورد تلمسان إلى طاعة المأمون الموحدي، وتألب بنو عبد الواد والموحدون بسبب ذلك ضد ابن غانية وبقية المرابطين الذين كان ابن الصحراوية قد لجأ بهم إلى نواحي توات سنة 624هـ (1227م)، فهرب الكل باتجاه الصحراء.

---

[289] آمبروسيو ميراندا، التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية، مرجع سبق ذكره، ص406.

[290] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، الجزء الخامس، ص152.

ولم يزل ابن غانية ومن معه من المرابطين يقاومون الموحدين وأحلافهم شرق وجنوب سجلماسة حتى يئسوا من أمرهم، ومات أميرهم ابن غانية سنة 631هـ/ 1233م (وقيل 633هـ/ 1235م[291])، وضاقت بهم السبل، وأرهقتهم الصحراء، فتوغلوا في بلاد شنقيط، فاتجهت بعض فلولهم باتجاه آدرار، كما هو حال محلة إبراهيم بن إسماعيل بن علان ومحلات تجكانت ولمتونه التي حلت بآبير، أومحلة ابن غانية التي عسكرت على مرتفع وادان الجبلي[292]، وكانت تتألف من خليط من اللمتونيين والمسوفيين والأندلسيين، وسائر الصنهاجيين. وستنبثق عن هذه المحلات لاحقا قبائل كإيديبسات وتاشدبيت، والتوابير، والمحافيظ وأولاد سالم المعقليين، وبعض فروع تشمشه.

ولا تذكر المصادر المكتوبة المتداولة عسكر ابن غانية الذي تدل الآثار الشفهية أنه وصل إلى آدرار بالاسم، مكتفية بالإشارة إلى محلة عسكرية مرابطية قديمة قدمت إلى آدرار، أما الرواية الشفهية فتقتصر على ذكر أولاد غانية كإحدى المجموعات البشرية المحلية المندرجة في إحدى قبائل آدرار القديمة دون أي ربط لهذه المجموعة بابن غانية أو بالمحلة المشار إليها، ويذكر المختار بن حامدن أن أرض قياك (كانياگا في المراجع الأوروبية) المذكورة في تاريخ السودان والمصاقبة لبلاد شنقيط من بلاد مالي تعرف عند البيضان بأولاد غانية دون أن يحدد ما إذا كان الأمر يتعلق بأبناء القائد المسوفي ابن غانية أو بمجرد تشابه لفظي، أو يوضح السبب في إضافة لفظة "أولاد" إلى غانية في هذا المحل[293].

---

[291] المرجع نفسه، ص89.

[292] انوجان كما تنطق بالصنهاجية.

[293] أي هل أن الأمر يتعلق بنزوح أولاد غانية إلى هذه المنطقة أو بامتداد نفوذهم (العسكري أو التجاري) إليها، أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد تشابه لفظي، وفي هذه الحالة كيف دخلت عبارة أولاد على غانية (كانياگا)، ومن أين استقى البيضان هذه الإضافة، هل هو من تسمية أولاد غانية المذكورين في آدرار أو من غيرهم؟ انظر، ابن حامدن، جزء لقطات حية، مرقون، ص18. ويؤكد المؤرخ الباحث محمد بن مولود بن داداه إطلاق البيضان اسم أولاد غانية على قياك، لكنه يقول بأنه لا يملك أي مرجع يتحدث عن وصول ابن غانية أو عسكره إلى بلاد شنقيط. محمد بن مولود، مقابلة شفهية مذكورة سابقا.

وبنى هذا العسكر بوادان قلعة حصينة، وكانت لهم هناك جبايات ومغارم على القوافل والسكان. وتروي الرواية أن هذه القلعة كانت على شكل دائرة تمتد من أعلى الجبل غربا لتنتهي عند سفحه شرقا، وبلغ سمك حائط السور حوالي متر ونصف بينما بلغ ارتفاعه أربعة أمتار في الأماكن التي لا أبواب بها وضعف ذلك في المواضع التي فيها أبواب، وكان لسور هذه القلعة أربعة أبواب الباب الشرقي (ويدعى باب المبروك) وهو أضخمها، وكان مخصصا للقوافل القادمة من الشرق ومن الجنوب الشرقي، والباب الغربي (ويدعى باب القصبة)، وهو مخصص للقوافل القادمة من التكرور أو من الشاطئ، أما البابان الشمالي والجنوبي فكانا مخصصين لسكان القلعة ومواشيهم. وكانت أبواب القلعة تحت حراسة دائمة من قبل حرس أشداء مسلحين لهم زي خاص. ولكل باب طبل يقرع قرعا خاصا عند الافتتاح وعند الإغلاق. وحمت هذه القلعة وادان طيلة قرون من أي غزو خارجي. وستنبثق عن هذا العسكر قبائل كبارتيل وتركز وأولاد تيدرارين.

واستقلت تجكانت بعد فترة وجيزة قضتها بآبير واستوطنت تينيگي. وتنتسب تجكانت إلى جكان بن شروال اللمتوني، وهم فرع من مسومه حسب ورقات والد في أنساب الصحراء[294]، وجكان هو جد أيشف الفغ (الفقيه) بن اكريل بن علي بن جكان، ورمظان ومسان أخوان لاكريل حسب أحمد بن الحاج عبد الله الرگادي[295]، وإذا صح هذا فجكان المذكور ليس سوى أحد المنتسبين إلى تجكانت المذكورين في روايات ومراجع تاريخية أقدم من هذا التاريخ بكثير، حيث كانوا يمثلون خلال العهد المرابطي ربع جيش لمتونة كما تروي الرواية الشفهية التي نقل المختار بن حامدن[296]، والتي تحيل كما يظهر من المراجع التاريخية الأخرى إلى جيش يوسف بن تاشفين الذي

---

[294] والد بن خالنا، ورقات في الأنساب، مصدر سبق ذكره، ص6.

[295] أحمد بن الحاج عبد الله، وثيقة تاريخية نقلا عن توماس وايت كومب، الشاهد الجديد على أصول كنته، مرقون، ص12.

[296] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء تجكانت، مرقون، ص4.

شكل غداة انفصاله عن أبي بكر بن عامر، وعين على واحد من أرباعه قائده مدرك التجكاني (التلكاني)[297]، وبعد انهيار الدولة المرابطية بالمغرب انتقلوا إلى وهران، ثم غادروها بسبب الضغطين الهلالي والموحدي إلى نواحي توات، وصاروا من جملة حامية تلمسان التي كان يرأس لمتونة فيها إبراهيم بن إسماعيل بن علان، وبعد قتل ابن علان وتألب بني عبد الواد والموحدين عليهم نزحوا في جملة عسكري ابن غانية وابن الصحراوية إلى بلاد شنقيط، واتجهوا مع محلة ابن غانية إلى آدرار فنزلوا آبير، ثم بنوا قرية تينيگي بين وادان وآبير حوالي سنة 680هـ (1282م)، وانتقل إليها آخرهم من آبير سنة 699هـ (1300م)[298]، فقامت لهم في تينيگي دولة علم ودين وثروة لا مثيل لها استمرت إلى نهاية القرن العاشر للهجرة (16ق.م)[299].

3- النازحون مع ابن الصحراوية:

وانحازت فلول جيش ابن الصحراوية إلى الأطراف الشمالية الشرقية لبلاد شنقيط حيث التقت بالقفر المجاور لبلاد السودان بنواحي إگيدي (الشمالي) مع مجموعات وفلول أخرى من لمتونة ومسوفة آوت إليها من صحراء الساقية الحمراء أو التحقت بها هاربة من القمع الموحدي الذي تزايد بعد مقتل ابن علان ضد المرابطين، وأسست هذه الفلول دولة عرفت بدولة المرابطين (الثانية) ترأسها الخظير (الخضر) بن أو حفيد يحي (ابن الصحراوية) بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين[300]، أما ابن

---

[297] كتبه ابن خلدون والناصري في الاستقصاء باللام بدل الجيم، حيث يتبادل هذان الحرفان أحيانا في أعلام اللغة الصنهاجية. وقد ساق ابن أحمد يوره في كتابه الآبار عدة أمثلة على ذلك منها: "ترتلاس" قال عن أصلها "ترتج أسن"، و"آگويليل" قال إن أصلها "آگوجج"، و"انويلوط" قال إن أصله "أنوجظ"، و"تنيافيل" قال إن أصله "تنيفأج"، و"آگلال" قال إن أصله "آگجج"، و"تنياشل" قال إن أصله "تنياشج"، وغيره كثير.

[298] عزيز بطران ووينفرد جونسون، آبير في تواريخ بعض مجموعات الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص4.

[299] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، مرجع سبق ذكره، جزء تجكانت، مرقون، ص7.

[300] خلط محمد امبارك اللمتوني سلاطين هذه الدولة بسلاطين الدولتين المرابطيتين السابقتين الصحراوية والمراكشية.

الصحراوية فقد رحل إلى جزولة التي قبلت أن تبايعه لكن الموحدين أخمدوا تمردها وأجبروا ابن الصحراوية على الاستسلام.

وتحكمت هذه الدولة التي اشتهرت بدولة المرابطين في المجال الواقع بين السودان وتوات وآدرار والساقية الحمراء[301]، ودام حكم الخظير بن يحيي فيها أربعين سنة، وبعد موت الخظير خلفه ابنه عتبة وحكم ستين سنة، ثم خلف عتبة ابنه البشاره ثلاثين سنة، وخلف هذا ابنه بادي البامبري الملقب انه فحكم عشرين سنة، ثم تلاه ابنه عامر وكانت مدته ستا وأربعين سنة، ثم مات فبايعت لمتونة محمذن البامبري اللمتوني فملك عشر سنوات، وتنازل بعد فشله في حروب داخلية أدت إلى انقسام الدولة المرابطية إلى أربع دول: دولة أحمد بن محمذن البامبري وستنبثق عنها دولة إيديشلي، ودولة عمه عامر بن بادي البامبري وهي دولة بيلگه (نطقها الصنهاجي بيچگه) التي ستحتل آفطوط المحاذي لنهر السينغال، ودولة الشريف المرابط أشفغ الهاشمي وإليها انضمت قبيلة انيرزيگ، ودولة دكالة التي اشتهرت بابدوكل (أو إيدوكلن أوإيدوكال[302] بحسب اختلاف المناطق واللهجات). وذكر الحسن الوزان أن ملوك هذه الدولة استمروا حتى عهد الأساكية (بداية القرن العاشر للهجرة (16م) وكانوا يدفعون ضرائب ثقيلة للأسكيا[303]، وزحفت تندغه التي تنتسب إلى تاندغ لقب عمر أخي يوسف بن تاشفين زحفا بطيئا باتجاه بلاد المدلش غربا عبر آدرار، ثم توغلت جنوبا فنزلت بمنطقة الابيار إلى الشرق من آخر منازل المدلش في جهة الشمال[304].

---

[301] انظر، الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي أشار إلى هذه الدولة، الغلاوية، مرجع سبق ذكره، ص135.

[302] وتنطق في بعض اللهجات الصنهاجية بابدوكچ. ومعناها التجمع فليس من الضروري أن تكون أصولها واحدة، كما نقل توماس وايت كومب عن المختار بن حامدن في بحثه المتعلق بكنته، مرجع سبق ذكره، ص37.

[303] حسن الوزان، مرجع سبق ذكره، ص165.

[304] كان لتندغه بعدما تبنوا "التزاويت" دور مشهود في أرض الگبلة التي نزحوا إليها عبر آدرار خلال القرون الثلاثة التي سبقت سيطرة المغافرة على البلاد إبان القرن 11هـ (القرن 17م)، وهم أول من سعى في مصالحة بني حسان وابدوكل في الحرب الصنهاجية الحسانية في نهاية القرن التاسع للهجرة (15م). وتمكنوا من إقامة علاقة خاصة مع أولاد رزگ بوأتهم موقعا متميزا في بلاد الگبلة لدى قبائل الشوكة التي حالفت أولاد رزگ كانيرزيگ وانگادس، كما مكنتهم من الانتصار على المدلش في الحرب التي دارت بين الطرفين أواخر القرن الهجري التاسع (15م) والاستيلاء على قسم

وتبع تندغه في زحفها إبان تصدع دولة المرابطين الصحراوية الثانية كل من النجامره والتونگچيين. ولم يبق في إگيدي (الشمالي) سوى ابدوكل ومن دان لها، فقامت لها هناك دولة ازدهرت أواخر القرن الثامن الهجري (14م) ودامت إلى ما بداية القرن العاشر الهجري (16م). وتمكنت ابدوكل من بسط سلطانها، على الصحراء الواقعة شمال آدرار وشرقه، ثم مدت سلطانها إلى آدرار وتگانت فاصطدمت بانيرزيگ بسبب التنافس على الإتاوات، فاندلعت بينهما حرب شرسة في بداية القرن التاسع للهجرة (15م) حشد الطرفان خلالها عسكرين عظيمين[305]، وانتهت بانتصار ابدوكل بعد صراع طويل أدى إلى تفاقم السيبة وانغماس منطقة آدرار في فوضى ومجاعة فرقت سكانه.

وانيرزيگ إحدى قبائل الأنباط اللمتونية التي آلت إلى دولة الشريف المرابط أشفغ الهاشمي، عند انقسام الدولة المرابطية الصحراوية الثانية، وقد اشتهرت خلال القرن العاشر للهجرة (16م)، وكان يدور في فلكها تحالف من مجموعات من قبائل آدرار، منها ما هو من أصل زناتي كان يعتنق مذهب الخوارج ممن كان يقيم في آدرار وينتسب إلى عبد الرحمن بن ملجم، وفيها فصائل من قبائل مختلفة من بافور والهواكير والتوابير وگدالة، وكانت انيرزيگ قبيلة قوية تسير القوافل، وتخفر السفن. واشتهر من ملوك انيرزيگ دومه الذي كان ملكا في وادان سنة 957هـ/ 1550م، وكان انيرزيگ يسيرون في عهده القوافل من آرگين إلى نهر السينغال لا يقدر أحد على التعرض لهم، لكن حربهم مع ابدوكل أدت إلى هزيمتهم وتشتتهم ونزوح قسم كبير منهم إلى بلاد

كبير من أراضيهم. وقامت لتندغه بعد انتصارها على المدلش دولة قصدها الزوايا كما كانوا يقصدون المدلش فآوتهم وحمتهم.

[305] إليها يشير اليدالي في ما رواه عن الصالح بن ميتور بوقوع حرب في التل بين عسكرين عظيمين، محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص129.

الگبلة، بينما تحالفت بقيتهم مع بنى حسان الوافدين إلى آدرار، وانضم منهم بطن إيدوبجه إلى إيدوالحاج[306].

وفي الگبلة برزت من انيرزيگ طائفتان: تغرجنت وإيدگباجه، فمن تغرجنت: العزيزات والخبابشه، وكانوا سادة الگبلة قبيل مقدم البرابيش وأولاد عگبه الذين هم أول بني حسان قدوما إليها، وإيديباي، وإيداغمحم، وغيرهم. وجمهورهم الآن منقرضون. ومن إيدگباجه: أهل إيدأحمد، وإيتال، وإيدانبگ، وغيرهم. ولا يوجد اليوم من إيدگباجه التي كانت بطونا كثيرة إلا عائلات متفرقة.

4- خراب آبير وبناء شنقيط:

وأدت السيبة الناجمة عن الحرب بين ابدوكل وانيرزيگ إلى خراب آبير ورحيل من كان فيه بعدما نزح عنه مدبرو شأنه من إيدوعلي إلى مدينة شنقيط التي بنيت في ذلك العهد. وإيدوعلي قبيلة مشهورة في المنطقة كانت قبل مقدمها إلى آبير بتبلبالت (جنوب غرب الجزائر الحالية)، وكان لها بطون كثيرة، ومائة ساقية، ثم تركوا تبلبالت بسبب الضغط الهلالي إلى توات سنة 518هـ/ 1124م، حيث التحقت بهم مجموعات من فلول المرابطين الهاربين من أحواز مراكش إبان إسقاط دولتهم من قبل الموحدين. وكانوا يدعون في توات بأولاد واعلي، ثم هاجروا من توات سنة 570هـ/ 1175م[307] فشاركوا فلول المرابطين في إعادة إعمار مدينة آبير سنة 660هـ/ 1262م، وأصبحت آبير بعد ذلك بفترة وجيزة مركزا تجاريا وثقافيا مهما، وجذبت إليها العديد من مجوعات الزوايا، إلى درجة أنها أصبحت خلال القرن الهجري الثامن (14م) أكبر وأشهر وأثرى مدينة في بلاد شنقيط، بحيث أن «الفتنة كانت تندلع في جانب من

---

[306] وفق ما نقل توماس وايت كومب في بحثه حول كتبه عن المختار بن حامدن، مرجع سبق ذكره، ص35.

[307] فرج محمود فرج، أضواء على إقليم توات في القرنين 18-19، مرجع سبق ذكره، ص26.

السوق فيها فلا يشعر بها جانبه الآخر، وكان يوجد بها عدد لا يحصى من المساجد[308]».

واستبد إيدوعلي بزعامة آبير التجارية والثقافية بعدما استقرت محلة ابن غانية بوادان، ورحلت تجكانت عن آبير إلى تينيگي، وكان إيدوعلي في آبير قبائل كثيرة ما بين صميم وحليف، وكانوا إذا مات منهم شيخ رأسوا عليهم شيخا مكانه، وكانوا يقتصون من القاتل منهم، حتى قتل يحي منهم قتيلا فقال بعضهم: نقتله، وقال بعضهم: نطرده، ثم طردوه ولم يقتلوه لشرفه وعلو منزلته فيهم، فأتى شنقيط فأسس فيها تحالفا خماسيا على عادة التحالف القبلي الذي كان سائدا في المنطقة في تلك الفترة مع كل من محمد غلي جد الاغلال –وغلي لفظ سوننكي معناه الأبيض-، وأعمر يبني جد آمگاريج، وجد إيديجر، وشمس الدين جد السماسيد.

وقام هؤلاء الخمسة بتأسيس مدينة شنقيط، فبنوا المسجد واختطوا الدور. ويدل استقراء التاريخ على أن شنقيط أسست من قبل هؤلاء الرجال في سنة 808هـ/ 1405م لا سنة 660هـ/ 1262م كما يتداول المؤرخون، فقد تحدثت الحكايات الشفهية المروية المتعلقة بتلك الحقبة عن وجود للقبائل الحسانية في آدرار في عهد محمد غلي، كما دلت المقارنات التي قمنا بها لشجرات أنساب هذه القبائل على استحالة أن يكون محمد غلي أو يحي العلوي أو أعمر يبني من أهل القرن الهجري السابع (13م)، بل نقل ابن انبوجه العلوي في كتابه فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور عن الطالب أحمد بن اطوير الجنه عن شيخه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم أنه حدثه عام 1210هـ (1795م) أنه مضى في ذلك الوقت 400 سنة على بناء شنقيط[309]، أي أنها بنيت حوالي 810 للهجرة (1407م). وقال سيدي عبد الله نفسه في كتابه صحيحة النقل: «وكان في شنقيط 11 مسجدا بالمسجد العتيق العامر اليوم، وله اليوم نيف وأربعمائة

[308] عزيز بطران ووينفرد جونسون، آبير في تواريخ بعض مجموعات الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص4.
[309] ابن انبوجه العلوي، فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور، مرجع سبق ذكره، مرقون، ص23.

سنة[310]». وسيدي عبد الله توفي سنة 1233هـ/ 1818م. وقال صاحب الوسيط: «وقد مضى من تاريخ عمارتها -أي شنقيط- إلى وقتنا هذا وهو 1329هـ (1911م) خمسمائة سنة تقريبا[311]».

ثم لم تزل عمارة آبير تضمحل إلى أن لم يبق فيه داع ولا مجيب، وكان بين ابتداء عمارة شنقيط وانقراض عمارة آبير أربعون سنة. وظلت عمارة شنقيط تتسع، واسمها يشتهر، حتى صارت علما على سائر البلاد، «فكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام، ويتعلق بهم كل من أراد الحج من سائر الآفاق، حتى إن أهل هذه البلاد من الساقية الحمراء إلى السودان لم يعودوا يعرفون عند أهل المشرق إلا بالشناقطة، وقد تحج الدار منهم كلها فلا يبقى فيها صغير ولا كبير إلا خرج للحج من شدة اعتنائهم بالحج[312]».

وفي سنة 1070هـ/ 1659م اندلعت الحرب بشنقيط بين إيدوعلي البيض وإيدوعلي الكحل، فكان ذلك سببا في انتقال إيدوعلي البيض إلى تجگجه (تجگجه)[313]، كما كان سببا في انتقال قاضي شنقيط القاضي عبد الله إلى بلاد الگبلة، مكونا مع بعض أبناء عمومته فروع إيدوعلي الگبلة[314]. وانتقل السماسيد بدورهم عن شنقيط وأسسوا مدينة أطار حوالي 1085هـ (1674م)، وتقول الرواية إن سبب ذلك يعود إلى كون الإمامة في شنقيط كانت أولا للسماسيد، ثم أعطاها إيدوعلي للاغلال، وقيل كانت

---

[310] سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد غلي، مخطوط، ص7.

[311] أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط4، 89، ص424.

[312] سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، صحيحة النقل، مرجع سبق ذكره، ص8.

[313] سبب انتقال إدوعلي البيض من شنقيط إلى تجگجه –حسب رواية سيدي بن الزين العلوي- نزاع بين الزلاَمْطَة والعور وهما بطنان من إدوعلي. وقد مات أربعمائة: مائة وأربعون من البيض الذين هم أهل تجگجه، والكحل الذين هم أهل شنجيط ماتت منهم مائتان وستون. وكانوا لا ينتهبون الأموال ولا يقتل بعضهم بعضا إلا في الصف. وكانت الغلبة على الكحل فذهبت البيض نحو باغنة ثم غدرت الكحلُ البيضَ وقتلت جل من بقي بعد الرفقة من البيض. فاتفق رأي البيض على الخروج. انظر، المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء حوادث السنين، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، مرقون، هامش المحقق، ص55.

[314] كان القاضي عبد الله عالما كبيرا، حج والتقى في طريقه بكثير من العلماء منهم علي الأجهوري، ورجع بمكتبة زاخرة. تـ1103هـ 1691م.

الإمامة أولا للاغلال ثم آلت إلى السماسيد، فأراد إيدوعلي أن يردوها إلى الاغلال فكان ذلك سببا في هجرة السماسيد إلى أطار وتخليهم عن شنقيط.
وهاجر قسم من الاغلال إبان حرب إيدوعلي البيض وإيدوعلي الكحل من شنقيط باتجاه بلاد الركيبه والحوض.

5- تلاشي ابدوكل وصعود إيديشلي:

وتصادفت حرب ابدوكل وانيرزيگ مع قدوم بني حسان إلى تخوم الأراضي الشنقيطية، وأدى التنافس على خفارة السفن الأوروبية (البرتغالية) التي أخذت تفد منذ سنة 850هـ (1446م) إلى المنطقة، وكذلك التنافس على المغارم والإتاوات في آدرار إلى تدهور العلاقة بين ابدوكل وبني حسان الذين حرضهم الشيخ سيدي محمد الكنتي على حربهم، ومعه في ذلك أصهاره تجكانت تينيگي لخلاف نشب بينهم، فنشبت حرب طاحنة بين صنهاجة وبني حسان، كانت من أشد ما شهدته البلاد في عهد السيبة من حروب.

وتفرقت ابدوكل بعد هزيمتها في هذه الحرب التي دامت أكثر من عشرين سنة في آوكار وبلاد الحوضين، وانحدر قسم منها إلى أرض الگبلة، فاندمج في قبائلها، وجاز بعضها إلى بلاد الزنوج (مالي أو السينغال) فاندمج فيهم كما وقع لقبائل جاووبه الفلانية التي هي في الأصل إحدى قبائل أگذگچ (فرع كل)[315]، وكان البدوكليون الذين اختلطوا بفلان ماسنه يعرفون فيهم بيرلابه ملوك جاووبه[316]، وربما دعوا أيضا بلام ترمس أي ملوك ترمس، حيث أصبح هؤلاء البدوكليون رؤساء في ماسنه[317]. وقد نزح

[315] موسى كمرا، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والسودانية، مصدر سبق ذكره، ص129.
[316] الشيخ موسى كمرا، مصدر سبق ذكره، ص112.
[317] المصدر نفسه، ص173.

هؤلاء البدوكليون المهجنون إلى فوته فأطاحوا بمملكة تونجون[318]، وكان لهم ملك في فوته، كان فيه الفلان كلهم تحت إمرة جاووبه[319] ذوي الأصول البدوكلية، استمر حتى قيام مملكة الدينانكوبيين[320].

---

[318] تأسست مملكة تونجون حوالي 1300م على يد فلان وطابي المختلطين بالسوننكيين، ويحملون ألقاب سو، وسيدي بي، وجاورا، وكانوا في فوته الشرقية (بوصيا، گنار، دمگا).

[319] المصدر نفسه، ص180.

[320] كان سلاطين ترمس (الشرق الشنقيطي) في الأصل من فلان ضفاف أعالي نهر النيجر، كان لهم سلطان يدعى چاچي بن سادي وله شقيقان: مگن ويك، فمات يك عن زوجة فأراد السلطان چاچي أن يتزوجها فامتنعت فقد كانت تريد مگن وهو لا يريدها ولا يقدر عليها خوفا من أخيه السلطان، فأخبر الوشاة السلطان چاچي بخلاف الواقع وأوغروا صدره على أخيه مگن، فوبخه فغضب مگن فخرج على وجهه هائما، وتبعه أربعة فرسان أو خمسة وطائفة من المشاة فلم يزالوا سائرين باتجاه الغرب أو الشمال الغربي حتى غربت الشمس فنزلوا وباتوا، ثم واصلوا المسير حتى وصلوا إلى ربوة تدعى ماسنه وهي في أرض سلطان باغنه في ذلك العهد، فوجدوا فيها الصنهاجيين أولى الضفائر - وهذه عادتهم في ذلك العهد كانوا يضفرون رؤوسهم- وهي مسكنهم، فسكنوا معهم حتى لحق بهم من تركوا وراءهم من عيالهم. ثم ذهب مگن إلى سلطان باغنه فسلم عليه وأخبره بقصته، فرحب به وأكرمه وجعله سلطانا على قومه، وأمره أن يتوجه حيث شاء في أرضه، فجعل الفلانيون الذين يعيشون على ضفة نهر النيجر وفي ما دونها من قبيلته وقبيلة سنقري يهاجرون إليه فكثروا في آوكار، وقامت لهم هناك سلطنة عظيمة مختلطة من الفلان والماسنيين الصنهاجيين. السعدي، مرجع سبق ذكره، ص180. وقال الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص112: «رأيت في بعض المكاتيب أن أصل أهل ماسنه من صنهاجه».

وقد تولى هذه السلطنة –حسب السعدي- بعد مگن ابنه الأكبر بوهم مگن، ثم تولاها أخوه علي بعد وفاته، ثم تولاها بعده ابن أخيه كنت بن بهم وقتل في حروب وقعت بين ماسنه وقبائل موسات والزغرانيين (إيزگارن)، فخلفه أخوه علي فانتصر على الزغرانيين وعلى موسات. ولما توفي علي خلفه في السلطنة ابن أخيه أنييا كانت، وكان معاصرا للأسكيا الحاج محمد (898هـ 934هـ- 1493م، 27-1528م)، وهو الذي انتقل من ماسنه إلى چنبل، ولبث في السلطنة ثلاثين سنة عشرين منها في ماسنه وعشر في چنبل. ثم خلفه ابن أخيه سود بن چاچي كانت فمكث في السلطنة عشر سنين. ولما توفي سود اختلف ابنه إل وعمه حمد سر وتنازعا على السلطنة حتى لجآ إلى الأسكيا إسحاق ليفصل بينهما، فكسا الأسكيا إسحاق كلا منهما كسوة السلطنة وردهما إلى قومهما، وقال: أيهما أحب القوم فليتبعوه. فتبع أكثرهم إل وتبع الباقون حمد سر فاقتتلا فانتصر حمد سر وطرد إل، فاستنجد إل بقبيلة سنقرى فهزمه فرجع إلى الأسكيا فأمر الأسكيا بقتله قبل وصوله إليه، فاستتب الأمر لحمد سر أربع سنين، كان حمد الفلاني أخو إل يطالب خلالها بعرش أخيه، فلما رأى الأسكيا رفض ماسنه لحمد سر أرسل قوة مع حمد الفلاني لتمكن له في الأرض فهرب حمد سر واستتب الأمر لحمد الفلاني فمكث في السلطنة أربعا وعشرين سنة أغار إبانها على عدد من حلل ماسنه المناوئة له مما أدى إلى تفرق حلل ماسنه في البلاد، فجاءت الحملة المغربية سنة 999هـ 1591م، التي كان لماسنه في عهدها أربع حلل: حلة أنييا، وحلة بوب إل، وحلة مگه كنت، وحلة علي أرد مگن. وستصبح ماسنه بعد قرون من التطور والتحول علما على بقعة خصبة

وكانت إيديشلي التي تمثل البقية الباقية من إحدى كتائب المقاومة ضد الموحدين الوافدة ضمن جيش ابن الصحراوية المرابطي، إذ أن معنى إيديشلي (إيدويشيجي بالصنهاجية) البقية الأحياء[321]، وكانت تضم فضلا عن العناصر اللمتونية عناصر مسوفية وأندلسية تنتسب إلى الأنصار كما هو حال بقية جيش ابن الصحراوية القادم من الأندلس، وبعد انقسام دولة ابن الصحراوية أصبحت إيديشلي جزءا من دولة أحمد بن محمذن البامبري، ثم ملكت أجزاء مهمة من آدرار بعدما تلاشت محلة ابن غانية وانهارت قبيلة ابدوكل.

وبعدما بسطت إيديشلي نفوذها على كل آدرار أصبحت مجموعتين متميزتين: إيديشلي الباطن وإيديشلي الظهر، واندلعت بين المجموعتين جملة من النزاعات. وكانت قبيلة إيديشلي قوية جدا إلى درجة أن الأفواج المتلاحقة لبني حسان لم تستطع أن تكسر شوكتها إلا بعد قرنين من المواجهات والتحالفات والمصاهرات المتبادلة والمستمرة.

وفي هذه الفترة اختفى التقسيم التقليدي لإيديشلي بين إيديشلي الظهر وإيديشلي الباطن بسبب دخول عصبيات جديدة في القبيلة (أنصارية وحميرية وحسانية)، وانفصال عصبيات قديمة عنها، وانشقاق فصائل من إيديشلي الباطن والتحاقها

تمتد من عقفة نهر النيجر شرقا إلى مشارف سيگو غربا، ومن مدينة جني جنوبا إلى مدينة تنبكتو شمالا، أقام فيها فلانيو المنطقة إمارة إسلامية اشتهرت بإمارة ماسنه، كما بقيت علما لإحدى المجموعات القبلية الشنقيطية المكونة من أصول بيضانية لا علاقة لها بالفلان.

واختلط فلان ماسنه بالقبائل المسوفية واللمتونية الصنهاجية والقبائل السونتكية وقبائل إيزگارن الزناتية التي كانت بالمنطقة. قال السعدي: «وأما الفقيه محمود محمد أقيت فهو من أهل ماسنه، وسمعت العلامة الفقيه أحمد بابا (التنبكتي حفيده) رحمه الله قال: ما رحّله منها إلى آبير إلا بغض الفلانيين، وهم متجاورون في سكناها. وقال عنه: إنه على يقين من عدم مناكحته معهم، ولكن يخاف ذلك على أولاده لئلا يتناسلوا معهم.. ثم بعد ذلك خطر له حب سكنى تنبكتو فسكنها». تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص46 وص88.

[321] ينقل توماس وايت كومب في بحثه المتعلق بكنته عن المختار بن حامدن، مرجع سبق ذكره، أن معنى إيدويشيجي التي هي أصل لفظة إيديشلي بقية الإنسان الحي، وهي ترجمة حرفية للعبارة التي يراد بها بقية الأحياء من الجيش المرابطي الذي كان يكافح الموحدين.

بإيديشلي الظهر (كما هو شأن المحيصر وأهل الشيخ ولد بكار)، والعكس. وتشكلت الطبيعة العصبية للقبيلة تشكلا جديدا بحيث أصبحت تتمحور غالبا حول أساس الانتساب إلى ذرية حومه، خاصة أهل هنون الذين كانت فيهم الرئاسة وأهل أعمر الذين آلت إليهم مع مقدم أولاد يحي بن عثمان إلى آدرار. وأدت الصراعات الداخلية في إيديشلي والتحالفات المتناقضة مع بني حسان إلى إضعافها لصالح سيطرة بني حسان على آدرار[322].

وعند بداية تمركز أولاد يحي بن عثمان في آدرار دعم رئيسهم آنذاك حمو ولد گراف ولد عمني إيديشلي الباطن ضد أعدائهم من إيديشلي الظهر، وتزوج فيهم فولد له ابنه وخليفته عبد الرحمن الذي زاد من الالتحام بين قومه أولاد يحي بن عثمان وأخواله إيديشلي لاسيما أولاد غيلان.

لكن منازعة عثمان ولد الفظيل لابن عمه عبد الرحمن ولد حمو، ودعم البراكنة لعثمان الذي كانت أمه بركنية من بيت أهل هيبه، بيت الرئاسة في البراكنة، أدت في النهاية إلى انتصار عثمان ولد الفظيل على عبد الرحمن وأخواله إيديشلي الذين استماتوا في محاربة عثمان طيلة سنوات عديدة. ووضعت الحرب أوزارها منتصف القرن الثاني عشر الهجري (18م) بقيام إمارة أولاد يحي بن عثمان التي وضعت حدا لعدة قرون من سلطان إيديشلي في آدرار.

6- إمارة بيلگه:

أما قبيلة بيلگه (بيچكه) المنتسبة إلى أبچك بن شروال اللمتوني[323]، فقد انحازت خلال الشقاق الذي عصف بالدولة المرابطية الصحراوية (الثانية) إلى عامر بن بادي بن البشاره بن عتبة بن الخظير ، ثم نزحوا بعد سلسلة من الحروب بآوكار وتگانت إلى آفطوط والأجزاء الشرقية من بلاد الگبلة (غرب البراكنة)، حيث قامت لهم إمارة

[322] ايبير بونت، إمارة آدرار، ترجمة بوبه بن محمد نافع، ط1، 2002، ص12.

[323] والد بن خالنا، ورقات في الأنساب، مصدر سبق ذكره، ص5.

عظيمة في عجز القرن السابع للهجرة (13م)، عرفت نوعا من الاستقرار رغم السيبة المنتشرة في البلاد. وكان من أعظم أمراء هذه الإمارة التي اشتهرت بإمارة بيلگه أبو بكر بن عامر بن بادي بن البشاره المعروف في التقاليد الولفية بالخليفة السادس[324]، الذي قام بتوسيع نطاق دولته جنوبا، فغزا الحواضر التي كانت تابعة لدولة التكرور، وقويت العلاقة بينه وبين آيل كن (جد أحرار چلمت) مؤسس قصر تندگسمي، ولام تورو (ملك فوته)، وتحالف الثلاثة ضد غانه، وتوطدت الصلات بينهم لدرجة أن أبابكر تزوج بابنة لام تورو فاطمة صل أخت إبراهيم صل زعيم فوته الغربية المشهور، في قرية گلات (جنوب النهر) المقابلة لقرية باكل فولدت له ابنا يدعى أحمدو (انچاچان انچاي)[325] انتقلت به أمه إلى فوتا تورو السينغالية حيث نشأ، ثم انتقل إلى بلاد اچيولوف (بالسينغال) وأسس مملكة اچيولوف التي تكون فيها شعب الوولوف، ملتقى القرنين 7هـ/ و8هـ (13م/ و14م) وأورثها أبناءه الذين كان يلقب من يلي العرش منهم ببوربا (أي الملك)، كما ولدت له بنتين هما إرم أبو بكر ويميگه رقية، يقال إن ملوك شمامه (الوالو) ينحدرون منهما[326]. وبينما كان هذا التحالف غازيا في بلاد الحوض اختلف السود الذين يرأسهم آيل كن مع المرابطين الذين يقودهم أبو بكر بن عامر، وكان مع آيل كن وقومه من السودان إبراهيم صل وقومه وأولاد إبراهيم الفلاني، وأدى هذا الخلاف إلى مقتل آيل كن من طرف أبي بكر بن عامر عند كر لبگر، ثم ثأر له مگم بولى جاختى فقتل الأمير أبا بكر في نفس السنة[327].

---

[324] عبد الرحمن با، مرجع سبق ذكره، ص118. والخلفاء الخمسة الذين سبقوه هم الخظير وعتبة والبشاره وبادي وعامر.

[325] المرجع نفسه، ص119.

[326] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ونقل عن مؤرخي الوولوف قصة هذه العلاقة فجعلها بين أبي بكر بن عامر بن تلاگاگين صاحب عبد الله بن ياسين وإبراهيم صل، وهكذا فعل بوبكر خالد باه نقلا عن المرويات الشفهية الوولفية (تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص54).

[327] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص55 وص156. وقد خلط بدوره بين أبي بكر هذا وجده أبي بكر بن عامر بن تلاگاگين.

ولم يقتل أبو بكر بن عامر بن بادي إلا بعد أن صار قسم كبير من منطقة النـهر يخضـع لبيلگه، الذين سيشتهر نهر صنهاجة (نهر السينغال) منذ عهدهم بنهر أبچك نسـبة إلى إمارتهم إمارة بيچكه (=بيلگه).

وشنت بيلگه الحرب على الفلان بعد مقتل أميرها أبي بكر بن عامر، فسـابت المنـاطق والجنوبية من البلاد، بسبب الفتنة التي أثارها مقتل أبي بكر بن عـامر، وأغـارت بيلگـه على عدد من قصور أغرمان وگنار المتحالفين مع الفلان، فأجبروا عددا منهم على عبور نهر أبچك جنوبا.

وحافظت بيلگه علـى قوتهـا طيلـة القـرنين الثـامن والتاسـع للـهجرة (14 - 15م)، وهمت بتقديم النجدة لابدوكل بعد هزيمتها في الحرب الصـنهاجية الحسـانية في أواخـر القرن التاسع الهجري (15م)، لكن المرابط أشفغ اللمتوني منـع صـنهاجة مـن العـودة إلى الحرب محتجا بأن الصلح مع بني حسان قد أبرم وأنه لا يجوز نقض العهد.

وتفككت إمارة بيلگه خلال القرن العاشر للهجرة (16م) بعـدما دخلـت في مواجهـة مع كولي تنگلل جنوبا، ومـع أفـواج بـني حسـان الأولى (الـبرابيش والرحامنـة ثم أولاد عگبة ثم أولاد رزگ) القادمين من الشمال، والذين رفضت بيلگه الانصياع لهـم ودفـع المغارم إليهم.

وقد استحالت قبائل كثيرة من قبائل بيلگه إلى الزنوج كما حدث لأنباط بيلگه الـذين كان يعرف أمراؤهم عند الفلان بلام تاگـه[328] ويعـرف أبنـاء عمومتـهم بهندربـه الـتي اندلعت بينها وبين تاگه حرب شرسة بسبب الرئاسة انهزمت فيها قبيلة هندربه، فلجأ قسم منها إلى الفلان واندمج فيهم، وأكثرهم الآن بعمالة خاي[329]. أما تاگه فلم يزالـوا

---

[328] موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص18.

[329] المصدر نفسه، ص18. ونقل الشيخ موسى كمرا في كتابه أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر أن ألفا ممدو بوكر الذي في ووسوبي جانجا زعم أن عنده تاريخ هندر به، وأن أصلهم من الشام، ثم سكنوا في قصر البركه [ببلاد شنقيط] مدة، وكانوا مع تاگه، ثم فارقوهم لفتنة بينهم، ثم ارتحلوا إلى نواحي منگل، ومنها ارتحلوا إلى فوته عبر مناطق من أرض مالي. أشهى العلوم، ص149.

في بيلگه يتنقلون في أرجائها ولهم بها ملك، «وقدموا في جيوش من الفلانيين وقبائل بيلگه برئاسة زعيم منهم يدعى علي بنا فسيطروا على غرب فوته، واستقروا بصفة خاصة في گدى، وعرف عهدهم بالأرطات أي أمراء الإمارات وفاربات وهم نواب الأمراء[330]». وآل الحال بمن بقي من تاگه في أرض بيلگه إلى التيشطايه، ومنها إلى تلل حيث قاتلوا من وجدوا فيها من هايرنكوبي فانجلى أهل هاير عن تلك المناطق فسكنوا فيها مدة ثم ارتحلوا إلى كومبل (مقامه حاليا) فاستقروا بها حتى هاجمهم الدينانكوبيون فغلبوهم وفرقوهم، فلم يزل أمرهم في انحطاط. وآل بهم الحال إلى أن عبروا النهر وسكنوا قرية هردلدي، واستحالوا زنوجا. ويقول بعض مؤرخيهم إن كل من لقبه گانديگا من الزنوج فأصله من تاگه اللمتونيين[331].

وكانت تعيش في بيلگه قبائل إيشگي وهي قبائل الإمارة التي لا تنحدر من تاگه صميم بيلگه، وقد نزح أفراد من هذه القبائل إلى التونگجيين مع من نزح إليهم من بيلگه وتفرق باقيها في القبائل، ونزح قسم منها إلى مالي[332].

وآلت قوة بيلگه إلى تناك في البراكنة -وليس المراد أبناء تناك بن بوزكري بن عداد بن عمران بن بركني- ، وانيرزيگ وإيدغبانو في الترارزة، وأنباط إيدويدر أسلاف إيدوعيش الذين سيطروا على الرگيبه وتگانت وآفطوط، وسائر انگادس الذين زحفوا باتجاه الگبلة، واشتهروا بالسطوة والفروسية، وكانوا بعد انهيار بيلگه تسعة بطون لكل بطن أمير وطبل: إيدويدر، وأهل محمذن يادنن، وإيدغوزه، وإيدكسجه،

---

[330] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص104.

[331] المرجع نفسه، ص18-19.

[332] لما لجأ بعض التونگجيين إلى تشمشه، حيث أحفاد ابن عمهم مهنض أمغر (جد أولاد ديمان)، كانت تشمشه التي تبنت سلوك المسالمة والمداراة تعمل على تدريب التونگجيين اللاجئين إليها على هذا السلوك، وتعير من خرج عليه بأنه "مستبچگ" -أي من بيچگه-، ودخلت هذه الكلمة أيضا اللغة الحسانية بحيث أصبحت تدل على كل سلوك مناف لـ"اتشمشي" أو "الديمين"، وربما وصفوه بأنه مستشگي أو من إيشگي، وإيشگي كلمة صنهاجية بمعنى الغير، كان البيچگيون يطلقونها على أبناء عمهم الذين لا ينحدرون من بيچگه، ودخلت مستشگي بدورها الحسانية عند أولاد ديمان كمرادف لمستبشگ، كما دخلت إيشگي في قاموسهم لتدل على غير أولاد ديمان. وما زالت بقية قبيلة إيشگي الصنهاجية موجودة اليوم ببلاد مالي.

وإيديندگ، وإيديندكان، وادويده، ويندیگرتن، وإيديلن. وكانت انگادس أول قبيلة صنهاجية تجتاح خلال فترة السيبة بلاد گنار وترغم سكانها على دفع المغارم لهم أو الرحيل باتجاه نهر السينغال، وانتشرت انگادس جراء ذلك في ما بين تيرس وإگيدي (الجنوبي) وانتشرت شرقا إلى حدود آدرار وتگانت، ثم اتخذت من الأراضي الواقعة من تندگسمي (شرق انواكشوط) شمالا إلى المذرذرة جنوبا التي كان يقيم فيها بطن يندیگرتن الانگادسي، ومن تنديله شرقا إلى آفطوط الساحلي غربا وطنا دائما لها[333].

ولما جاء أولاد رزگ إلى بلاد الگبلة والى انگادس الكتيبات الرزگانيين، ثم قاتلوا المغافرة إلى جانب الكتيبات يوم انتيتام سنة 1040هـ/ 1630م فهلك أكثرهم في تلك الحرب، وسكنت بقيتهم في نواحي الركيز حيث الأرض وبيئة فأدى ذلك إلى انقراضهم، وتفرق من بقي منهم في الجهات والقبائل، وعبر منهم قسم كبير النهر فذاب في الزنوج، ويقال إن لقب انگايدى الزنجي تحريف لكلمة انگادس.

وكان إيدغبانو كانگادس أهل قوة وبأس، فكانت تعيش في حمايتهم قبائل عديدة من قبائل المنطقة كقبيلتي باران وچاران، غير أن الحملات الحسانية المتلاحقة على بلاد الگبلة أوهنتهم، فلما ضعف إيدغبانو ضعفوا وتلاشى الجميع، وتعصبت بقايا منهم في قبائل جديدة من قبائل الگبلة.

وإلى بيلگه (بيچگه) لجأ التونگچيون (التونكليون) أسلاف أولاد ديمان في من لجأ معهم من ابدوكل وسائر لمتونة قادمين من إگيدي (الشمالي) إبان السيبة التي عصفت بمنطقة الشمال بسبب الحرب المندلعة بين ابدوكل وانيرزيگ في أوائل القرن التاسع للهجرة (15م)، وظلوا معهم حتى معركة إيدونيك (القرن العاشر للهجرة/ 16 للميلاد) التي قتل كولي تنگلل منهم فيها ثمانين تونگجيا (تونكليا).

---

[333] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزءالجغرافي، ص76.وتوماس وايت كومب في بحثه المتعلق بكتبه نقلا عن المختار بن حامدن، ص50.

7- من التونگچيين إلى تشمشه:

كان التونگچيون (التونكليون) (أبناء علي (آچـي) التـونكچي جـد أولاد ديمـان، ويحـيى التونكچي جد اليحيويين الذين يوجد الآن قسم منهم في إيچكوچي) جـزءا مـن دولـة الخظير بن يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين الصـحراوية، جـاء جـدهم عيسى اللمتوني بن عبد الله بن عمر بن يحيى بن سعيد بـن إدريـس بـن عبـد الله بـن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصـديق فسـكن في لمتونـة يقـرئ أبنـاءهم القـرآن، فصار لا يعرف إلا بهم حتى كان يدعى عيسـى اللمتـوني، ثم إنهـم أهـدوا إليـه إحـدى إمائهم فكانت جدة لأحفاده التونگچيين. هكذا يروى في أولاد ديمـان، وهنـاك روايـات تقول بأن التونگچيين لمتونيـون كمـا وجـد في بعـض نسـخ نسـب بعـض أبنـاء يحـيى التونگچي التي نصت على أن نسبهم ينحدر من أحد إخوة يوسف بـن تاشـفين، كـان أجدادهم بتارودانت قبل أن ينزحوا منها إلى إيگيدي (الشمالي) حيـث قامـت الدولـة المرابطية الصحراوية الثانية التي عرفوا فيها باسم عرب النقاب.

وإبان مزاحمة بني حسان لابدوكل على إگيدي (الشمالي)، ثارت الحرب في أوائل القرن التاسع للهجرة (15م) بين ابدوكل وانيرزيگ على المغارم في آدرار الذي أخـذ يشـهد ضغط الهجرات السكانية المتلاحقة عليـه، ودبـت الفوضـى في المنطقـة، فاضـطر ذلـك التونگچيين إلى النزوح جنوبا باتجاه الگبلة حوالي 808هـ/ 1405م.

وبينما مكث الحسانيون في إگيدي (الشمالي) عدة عقـود قبـل أن يتـاح لهـم أن يقضـوا على إمارة ابدوكل نهائيا ويتوغلوا عـبر أراضـيها باتجـاه آدرار ثم الگبلـة، أخـذ معظـم التونگجيين وأبناء عمومتهم إيدغهمذ أبناء آچـي (علـي) أگ تـدر وأبنـاء سـبر إنلـل أخوي آچي التونگچي ينحدرون في هجرات متلاحقة مع من كـان متعصـبا معهـم مـن فرع كچ (كل) من ابدوكل إلى إمارة بيچگه (بيلگه) في أقصـى جنـوب وجنـوب غـرب بلاد الگبلة.

واستطاع التونگچيون أن يؤسسوا مع أبناء عميهم سبر إنلل وآچي أگ تدر قبيلة قويـة، كما استطاع إيچكوچي الذين كانوا معهم في إكيـدي الشـمالي أن يبنـوا إلى جـوارهم

قبيلة جديدة هي الأخرى ستتعصب لاحقا مع فرع أبناء بودوله (من ذرية الشيخ سيدي محمد الكنتي) الذي نزح بدوره إلى الگبلة من آدرار، وسيتعصب الجميع مع تشمشه.

وتعود قبيلة التونگچيين إلى رجلين هما: آچي (علي) بن يحي بن يبه بن مغميه، وابن عمه وأخيه لأم: يحي، اشتهرت ذريتهما بالتونگچيين نسبة إلى ظئرهما تونگچ، تمييزا لذرية أبناء آچي أگ تونگچ (علي بن تونگچ) عن ذرية أخيه آچي أگ تدر (علي بن تدر).

وكان للتونگچيين صيت عظيم في بيچگه (بيلگه) ثم في تشمشه، خاصة بطن إيدغبرهم منهم، وهم أبناء إبراهيم بن عامر إنلل -أخي مهنض أمغر بن عامر إنلل- بن علي بن يحي بن علي التونگچي، فقد امتد جاههم وصيتهم ما بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر للهجرة (14-17م)، «حتى إن بنات همد فضج (محمد فاضل) منهم، وكن مشهورات بالرئاسة وعدم المبالاة بالناس، كن إذا لم يرضين لتونگچية زوجها، أو نقمن من معاشرته شيئا، نزعنها منه.. وبنات همد فضج أربع: جدة الإمام ناصر الدين لأبيه واسمها مريم، وجدة القاضي عثمان لأمه، وأم محنض بن يدن يعقوب، والرابعة لم تعقب، أمهن هوجاره الأغرمانية[334]».

وكان التونگچيون بعد نزوحهم إلى الگبلة أهل ماشية وتجارة، يتجرون إلى إيسنغان (كايور) واچيولوف بالسينغال، وأروان بمالي، وواد نون بالمغرب، وكانت لهم وقعات مع الفلان لاسيما في عهد كولي تنگلل الذي أخضع فوته حوالي 918هـ/ 1512م، وبسط نفوذه على اچيولا والسرير، وكانت له وقعات مع بيچگه والتونگچيين، منها وقعة إيدونيك (قرب الركيز) مع التونگچيين وأبناء عميهم سبر إنلل وآچي أگ تدر، مات فيها ثمانون تونگچيا منهم البطل المشهور محنض بن اعديجه اندقال، وأسر فيها آخرون فسعى أحمد أگذ المختار بن أشفغ أوبك بن أبيال بن يدبيال -جد أولاد حبيني (إداشفغه) الذي كان من أوجه تشمشه يومئذ- في استخلاصهم من عند كولي تنگلل

[334] والد بن خالنا، ورقات الأنساب، مصدر سبق ذكره، ص4.

وأفلح في ذلك، فكان في ذلك سبب لالتحاق مجموعات من التونگچيين الذين كانوا في بيچگه (بيلگه) أو في جوارهم بتشمشه، وتعصبهم مع بعض فروعهم.
وشارك التونگچيون وأبناء عميهم آچي أگ تدر وسبر إنلل بقية بيچگه (بيلگه) كذلك في مواجهة بني حسان الزاحفين إلى أرض الگبلة (فوج أولاد رزگ)، فكان حبيب من عقب سبر إنلل هو قاتل سيدي أحمد بن أوديكه بن أبي يعلى الخليفي رئيس أولاد خليفة من أولاد رزگ.
ثم عصفت الحروب التي أودت بإمارة بيلگه (بيچگه) بالتونگچيين، فتفرق إيدغبرهم (أبناء إبراهيم بن عامر إنلل بن علي بن يحي بن علي التونگچي) بين أهل أشفغ إبريهم من إيچيچبه، وآل الطالب إبراهيم من تاگاط، وأهل أحمذ إنلل الشرفاء الموجودين مع أولاد ديمان. وانضوى قسم منهم في قبيلة تاگنيت، وتعصبت بقيتهم مع ذرية أخيه مهنض أمغر، فممن تعصب مع ذرية مهنض أمغر أهل همد فضح.
والتحق بعض اليحيويين (أبناء يحي التونگچي) بأبناء عمهم مهنض أمغر بن عامر إنلل الذي عاد ذووه بعدما قضوا مدة من الزمن في بيلگه إلى التل[335]، فأقاموا بآبير قبل أن يتوجه مهنض أمغر إلى أبناء أعمر بن أك المدلشيين عند بئرهم التي كانت تسمى "تنداعمر أبد أك"، ثم أصبحت تدعى ابير المدلش، وتعرف الآن ببئر السعادة (70 كلم شرق انواكشوط)، (حوالي سنة 808هـ/ 1405م)، ويتزوج فيهم في بطن من بطونهم يدعى إيدكشذك، حيث أسس هناك مع بقية الخمسة قبيلة تشمشه، بينما انخرط بعض اليحيويين في قبيلة إيچكوچي الذين كانوا عصبة التونگچيين في إگيدي (الشمالي).
واستمرت قبيلة إيدغهمذ (أبناء آچي أگ تدر) قائمة لفترة بعد ذلك، وكان إيدغهمذ ذوي هيبة واحترام من قبل مختلف القبائل لاسيما سلاطينهم إيدگتلأه (إيدكتيه)، فلذلك التحق بهم أولاد ديمان التونگچيون حينما ألجأت معركة انتيتام (1040هـ/

[335] الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان، رسالة في التاريخ، مخطوط، ص3.

1630م) قبيلتهم الجديدة تشمشه إلى التفرق بعد حشد المغافرة لأولاد رزگ الذين كانوا سندا لتندغه، وكانت تندغه حماة لتشمشه، فلم يكن أحد يتعرض لهم حتى نهض المغافرة والعروسيون إلى أولاد رزگ بانتيتام، فعرفوا أنه قد أحيط بخفرائهم فتفرقوا في انتظار انقشاع الحرب، فلجأ أولاد ديمان إلى إيدغهمذ، ولجأ إيدگبهني إلى تندغه، ولجأ إيداشفغه إلى إيچكوچي، ولجأ بنو يدن ابياج من بني يعقوب إلى إيچيچبه، وإيدودام منهم إلى السوداني بوبكر چوب، رئيس قبيلة مصار جوب ببرويت[336].

وقد لجأ أولاد ديمان إلى إيدغهمذ للقرابة التي بينهم، لأن أولاد ديمان وإن كانوا من تشمشه فإن جدهم مهنض أمغر من ذرية آچي أگ تونگچ، وآچي أگ تونگچ هو أخو آچي أگ تدر جد إيدغهمذ.

وكان مهنض أمغر قد وجد أمامه عند مقدمه إلى المدلش يدبيال يوقب (يعقوب) جد قبيلة إيداشفغه الذي حل بالمدلش حينما كانوا منتجعين بتيرس قادما من آبير بآدرار، ومعه زوجته وأخته. وزوج يدبيال أخته هذه لمهنض أمغر بعدما ولد لمهنض أمغر ابنه الأول أشفغ موسى من قبيلة إيدكشذك. ثم التحق بهما كل من يدمسه جد قبيلة إيدگبهني، ويداج أگدبرغه جد قبيلة إيدوداي، وابهنضام جد قبيلتي إيديقب وأهل بارك الل، فكان هؤلاء الخمسة هم أجداد قبيلة تشمشه الحالية.

ويقال إن أصل هؤلاء الخمسة من تارودانت خرجوا منها إلى آدرار، ثم خرجوا منه إلى الگبلة متفاوتين في الخروج[337].

فأما يدبيال يوقب جد إيداشفغه، فقد ورد أنه خرج من قصر آبير (آدرار) هاربا من الفتن بأخته وزوجته، حاملا كتبه على حماره، فلما شخص من القرية إذا بفيل بارك عليه سرج، فحمل عليه كتبه ونساءه فتوجه بهم نحو الگبلة، حتى قدم بهم على أحياء المدلش وكانوا بتيرس، فلما قاربهم الفيل برك فتركه ودخل المدلش وسكن معهم

---

[336] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص96.

[337] المرجع نفسه، ص78. وهذا ممكن بالنسبة لبعضهم فقط.

وتزوج منهم[338]، فلعل أصل يدبيال يوقب من تبلبالت كما هو حال أبناء عمه إيدوعلي الذين كانوا بآبير قبل أن يبنوا شنقيط، فإن إيداشفغه وإيدوعلي ينتسبون إلى نفس الأصل.

وورد أن أبا يدمسه (جد إيدگبهني) شريف نزح من الشمال وأنجب في تندغه فطرق ابنه يدمسه ليلة مع رهط من تندغه -وكانت الحرب قد بدأت بينهم وبين المدلشيين- محلة المدلش صائلين، فاتفق أن مر يدمس في تلك الليلة بيدبيال يوقب ومهنض أمغر متهجدين فسمع قراءتهما، فوقع في قلبه أن ينضم إليهما حينئذ، فجلس معهما وتخلف عن أصحابه، ثم إن أصحابه لما جاوزوه غنموا غنيمة فمروا به راجعين فراودوه أن يمشي معهم فأبي، فتركوه مع الشيخين.

ثم التحق بالثلاثة يداج أگدبرغه (جد إيدوداي)، قادما من بعض أحياء تندغه. ويقال إنهم من بقية آل صالح الأخيضريين الذين كانوا ملوك كونبي صالح لا من بني مخزوم كما نقل بعض الرواة، فلا يبعد أن يكون يداج أو أحد آبائه على هذا قادما من آدرار الذي ربما نزح إليه من ولاته أو تيرني حيث لجأ آل صالح سنة 601هـ/ 1203م بعد أن غلبهم الصوصو على كونبي صالح. وهناك روايات تشير إلى وجود سابق له أو لذويه بوادان، قبل أن يلتحق بتندغه ثم بالمدلش. ثم التحق بالأربعة ابهنضام (أبو أحمد عامر جد قبيلتي إيديقب وأهل باركلل).

ثم إن يداج أگد برغه (جد إيدوداي) تزوج بنت مهنض أمغر (جد أولاد ديمان)، فلذلك كان أولاد ديمان وإيدوداي يدا واحدة دون سائر تشمشه، وتزوج يدمسه (جد إيدگبهني) شقيقة زوجة يدبيال يوقب (جد إيداشفغه)، فكانا يدا واحدة دون سائر تشمشه، وتزوج ابهنضام (جد إيديقب وأهل بارك الل) امرأة منفردة من المدلش فكانوا بعد ذلك ناحية وحدهم[339].

---

[338] المرجع نفسه، ص80.

[339] المرجع نفسه، ص82.

وقاربت المصاهرات بين تشمشه بعد ذلك حتى جعلتهم كالقبيلة الواحدة، فتزوج ديمان أحشت بنت ابهنض أوبك الإيداشفغية، وأمها فاطمة بنت يزيگئذ اليدمسية (الإيدگبهنية)، فلذلك تعصب إيدگبهني وإيداشفغه مع أبناء أختهم ذوي ديمان فترة من الزمن.

وكانت تشمشه أولا في المدلش، لكن المدلش أرادوا تشمشه على دخول "الشر" الذي بينهم وبين تندغه فامتنعوا فراودوهم على المغرم فأبوا، فحبسوا رجالهم، وكانوا يومئذ نحوا من خمسة وثلاثين رجلا، ما بين صميم وحليف في حظيرة، فلم يزالوا محبوسين بها حتى أفرج عنهم غزو من تندغه، فانضموا إليهم.

وقربت تندغه تشمشه، ومنحتهم ميسمها المسمى الحبارى بالتصغير (ادجيجه) الذي كان اللب بن الشويخ المغفري يحمي المواشي التي تحمله، كما طلبت تندغه من أولاد رزگ أن يجعلوا تشمشه من عتقائهم ففعلوا بعدما راودوهم على المغرم مرارا فامتنعوا، ثم توسم أولاد رزگ في تشمشه أنهم من خيار الزوايا فاحترموهم وبجلوهم وأمنوهم.

واختارت تشمشه أن تتميز عن تندغه فتحالفت مجموعاتها على بناء ائتلاف قبلي جديد وكتمان أنسابها القديمة، واشتهروا باسمهم تشمشه لما انفردوا بكيانهم. وقيل: وسبب تسميتهم تشمشه أنهم خمسة رجال خلف كل واحد منهم خمسة أولاد، وتعاقدوا على خمسة أشياء. ومعنى تشمشه باللغة الصنهاجية الخمسة أو المخمسة. والحقيقية أنهم كانوا يستلهمون التحالف الخماسي الشائع في المجتمع الصنهاجي.

وتوسع تحالف تشمشه بعد ذلك فانضم إليه أولا: إيدودن يعقوب المدلشيون، ثم إيچكوچي (أبناء ابهنض بن ابهنض بن أحمد بن أگذ أوبك وينتسبون إلى أبي عامر بن عمر بن الحرث الأصبحي)، وأبوا يدن يعقوب ويدوك (جد إيچكوچي) وهما أخوان لأم، أمهما حنه بنت باذل أگذ أك المدلشية، ثم انضم إليهم بعد ذلك أولاد أشفغ حيب الل، وأهل المبارك، وتمگله، وأهل الشاهد (أولاد بزيد، والطلايين، والتكاريز...)، وأهل بو افلان (أبناء بو دوله أحمد بن محم بن إبراهيم بن أشفغ تگدي بن الكنتي). ومنحهم

الإيچكوچيون بئرهم أگننت (جنوب شرق انواكشوط)، فجعلوها موطنهم الأساس. وأمن تشمشه لما أعتقهم أولاد رزگ، فكان معظم قواد بني حسان أو صنهاجة يحترمونهم، فازدهرت قبيلتهم لذلك ازدهارا كبيرا.

هيمنة الممالك الزنجية الواقعة جنوب الصحراء على أجزاء من بلاد شنقيط

1- مملكة التكرور:

أدى انحسار نفوذ الدولة المرابطية الصحراوية في بلاد شنقيط، وتراجع مملكة غانه إلى تزايد نفوذ مملكة التكرور الواقعة على الحدود الجنوبية لبلاد شنقيط، إلى درجة أن بلاد شنقيط اشتهرت خلال منتصف القرن السادس للهجرة (12م) باسم بلاد التكرور. وساعد على اشتهار بلاد شنقيط بهذا الاسم كون ركب الحجاج من المرابطين الصحراويين كان ينضاف إلى الركب التكروري خوفا من مضايقات الموحدين الذين حكموا المغرب اعتبارا من سنة 541هـ/ 1147م.

وكانت أقرب مدن مملكة التكرور لمضارب گدالة مدينة صنغانه التي كانت تتوزع على حوضي نهر السينغال المعروفين بشمامه، ويظن أنها بنواحي مدينة اندر (سين الويس السينغالية) أو دگانه، ثم مدينة التكرور التي ينبغي أن تكون بين الگوارب وكيهيدي بنواحي بوگى على ضفة النهر، ثم مدينة سيلى التي يظن أنها قريبة من مدينة مقامه الحالية (الجنوب الشنقيطي)[340]، وتطلق سيلى كذلك على إقليم على ضفتي النهر يشمل بوصيا وگنار اللذين يمر في وسطهما الحد الفاصل بين بلاد شنقيط والسينغال، وتوجد اليوم بلدتان إحداهما في الضفة الشمالية والأخرى في الضفة الجنوبية تحملان اسم سيلى[341]، ثم مدينة قلنبو التي يعتقد أنها انگالام (السينغالية)، ثم مدينة بريسا (ياريسنا) التي يظن أنها في خاي بمالي...إلخ[342]. أما سكانها فكانوا خليطا من قبائل السيرير والسوننكي السوداء وقبائل الليبو والهينيهين والفامان البيضاء.

---

[340] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص31-32.

[341] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص106.

[342] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص31-32.

وكانت بلاد التكرور خلال القرن الثالث للهجرة (9م) محكومة من قبل ملوك جاآووگو الذين يعتقد أنهم ملكوا التكرور منذ حوالي سنة 236هـ (850م)، وأنهم كانوا من شعب السيرير، واشتهرت مملكتهم بعدانات الحديد المنتشرة فيها.

ثم خلفهم ملوك مانا مع مستهل الألفية المسيحية الثانية (391هـ)، «ولا يعرف المؤرخون الكثير عن مملكة مانا سواء من ناحية ملوكهم أو سياستهم، بيد أن أول ملوكهم يدعى موسى مانا ولقبه سوه، وكانت تقع ديارهم الأولى في المكان الذي يعرف اليوم بآتين الواقع حوالي 10 كلمترات شمال باگودين وشمال شرق انيابيني الداخلتين في ولاية البراكنة الحالية وإقليم هبيابه قديما، وما زالت في آتين آثار المانيين مثل قبورهم وأنواع عديدة من المخلفات الخزفية التي تحدد سعة المدينة القديمة، وعلى مقربة من آتين سهل واسع يطلق عليه حتى الآن مزرعة مانا. أما عن ديار مانا الأخيرة فيعتقد أنها في ضواحي مقامة الحالية بگورگول، وبها أطلال تعرف باسم مانا أيضا[343]». ومن الوارد أن يكون ملوك مانا هؤلاء من أجناس التكرور البيضاء أو المختلطة فملك التكرور ورجابي بن رابيس المذكور في المراجع العربية الوسيطة، أحد ملوكهم الأولين، غير معروف للمخيال الشعبي للقبائل السيريرية[344]، بينما يذكر اسمه البادئ بور بأسماء القبائل الصنهاجية البيضاء، حيث إن ور لقب صنهاجي من ألقاب التعظيم كان الصنهاجيون يخلعونه على القادة، كما هو الشأن مع ورتاندغ فور هو اللقب وتاندغ هو الاسم.

وقد اعتنق ورجابي الإسلام على أيدي التجار الأباضيين، ثم حمل أهل مملكته عليه، وظل ينشره في من حوله حتى توفي سنة 432هـ/ 1040م، فخلفه ابنه لبي الذي آمن بمنهج المرابطين السني، وشارك المرابطين في بعض حروبهم الجهادية وقاتل گدالة مع لمتونة في معركة (تفرله) بآدرار.

---

[343] بوبكر خالد باه، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص56.

[344] عبد الرحمن با، التكرور ديزوريجين آلا كونكيت ابار لومالي، مرجع سبق ذكره، ص58.

واتسعت الدولة التكرورية خلال القرن السادس الهجري (12م) جنوبا وشرقا، وازدهر التبادل التجاري العربي البربري الشمال إفريقي مع التكرور فنشأ خط سجلماسة- وادان- التكرور، وخط نول- وادان- التكرور الذي كان له فرعان: فرع ساحلي يمر بمحطة تيجريت التي تأسست في نفس التاريخ الذي تأسست فيه محطة وادان، وفرع يخترق آدرار ليمر بوادان فتينشيكل (بإگيدي الجنوبي) التي تأسست بدورها في نفس الفترة.

غير أن دولة التكرور سوف تنهار نهائيا مع حلول سنة 700هـ/ 1300م بعد سلسلة من الانكماشات التي أصابتها بسبب هجمات الصوصو ثم الماندينگ الحالمين بتأسيس امبراطورية مالية كبرى.

2- مملكة مالي:

أدت الضربات التي تعرضت لها مملكة غانه على أيدي المرابطين (سنة 469هـ/ 1076م) إلى تقلصها، بعدما تمكنت القبائل السوننكية القاطنة في إقليم الصوصو الذي كان تابعا لغانه أن تعلن استقلالها عنها.

وفي سنة 600هـ/ 1203م تمكن عاهل الصوصو سومانگورو من الاستيلاء على عاصمة غانه مدينة كونبي صالح التي يحكمها بنو صالح الطالبيون. ولما استولى سومانگورو على كونبي صالح فرت بقية حكامها الصالحيين مع من كان فيها من السوننكيين المسلمين، واتجهوا إلى ولاته، وهي قرية مسوفية شبه مهجورة بنيت على أنقاض بيرو، فعمروها وأعادوا تأسيسها حوالي سنة 612هـ/ 1215م.

وأخذ سومانگورو في توسيع رقعة نفوذه، فهاجم قبائل الماندينگ المسلمة في الجنوب، لكنه انهزم وقتل سنة 633هـ/ 1235م على يد قائد الماندينگ سوندياتا كيتا الذي أفلح في تشتيت الصوصو، ثم أخذ في التوسع واحتلال جل الأجزاء التي كانت تابعة لمملكة غانه، قبل أن يؤسس امبراطورية إسلامية سودانية جديدة عرفت في التاريخ باسم مملكة مالي وبدولة السودان، وذلك عام 638هـ/ 1240م.

وبعد عشرين سنة من التوسع توفي سونديانا كيتا سنة 653هـ/ 1255م، فخلفه ابنه المنسا علي الذي حج في عهد الظاهر بيبرس سلطان مصر، وحكم خمسا وعشرين سنة. وبعد المنسا علي تعاقب على العرش عدة ملوك ضعاف، ولم تستعد الامبراطورية المالية قوتها وازدهارها إلا مع المنسا موسي الذي حكم من 712هـ إلى 738هـ (1312م إلى 1337م)[345].

ووصلت مالي في عهده إلى قمة مجدها بعدما زحفت جيوشه على ما بقي من أقاليم غانه، واستولى جنوده على گاوه وتنبكتو، وواصلوا توسعهم جنوبا إلى جبال الفوتا چالون على حدود نيجيريا الحالية، كما امتد نفوذه ليشمل معظم المجال الشنقيطي من السودان إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن التكرور إلى ءادرار شمالا[346]، وزحف على إقليم التكرور الذي يشمل مدينة سيلى فاحتله. وحل اسم بلاد السودان في هذه الفترة محل اسم بلاد التكرور أو أصبح مرادفا له عند أهل هذه البلاد، أما أهل الأندلس والمغرب ومصر والمشرق فلم تزل تعرف لديهم باسم بلاد التكرور.

وفي هذا العهد ازدهرت ولاته التي آوت إليها بعد إعمارها سنة 612هـ/ 1215م بقايا جاليات السكان القديمة التي كانت تنتشر بين أودغست وآبير وكونبي صالح منذ عهد مملكة غانه، من الأغرمانيين والسوننكيين الوثنيين أو المتهودين، وبعض اليهود البيض، وأوزاع أخرى من البربر الزناتيين، ثم قدم إليها المحاجيب الذين نزلوا توات سنة 675هـ/ 1276م[347]، وانتقلوا منها إلى ولاته فكانوا أول من نزلها من البيضان[348]. ويروي ولد انبوجه العلوي أن يحي -جد المحاجيب- قدم إلى ولاته وأهلها في ذلك العهد يهود ففتحها بالحكمة الإلهية[349]. وقال الطالب أبو بكر المحجوبي إن

---

[345] كان المنسا موسى صالحا، وملكا عظيما، له في العدل أخبار تؤثر عنه. وحج المنسا موسي عام 725هـ 1324م حجا مشهورا حمل معه فيه من الذهب كما هائلا، وسلك طريق ولاته- توات- الأبيض المتوسط- مصر.

[346] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص71.

[347] فرج محمود فرج، أضواء على إقليم توات في القرنين 18-19، مرجع سبق ذكره، ص23.

[348] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء المحاجيب، مرقون، ص5.

[349] رحال بوبريك، التاريخ الاجتماعي لولاته، مرجع سبق ذكره، ص13.

جده الأعلى يحي الكامل قدم إلى ولاته ومعه ابنه محمد وأخرجا منها أهلها بالقهر الرباني فكانت أرضها لهما ولبنيهما من بعدهما[350].

وفي عام 737هـ/ 1336م احتل الامبراطور المالي المنسا موسى تنبكتو وألحقها بامبراطوريته وبنى بها دارا للسلطنة، وعين فيها نائبا عنه، وألحق ولاته بعمالات امبراطوريته، وعين فيها افربا (نائبا) يمثله.

وكانت ولاته إذ ذاك محطة من محطات القوافل الرئيسية التي تربط بين سجلماسة وتنبكتو، وكانت مزدهرة غاية الازدهار، فنزلها عبد الواحد وعلي ابنا عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود المقري وأسسا فيها مع إخوتهما شركة تجارية كبرى سيطرت على محور ولاته تلمسان مرورا بسجلماسة، كما ذكر ابن الخطيب الذي قال بأن «أبا بكر بن يحي المقرى وإخوته اشتهروا بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبل الرحيل، وراية التقدم عند المسير، فكان أبو بكر وأخوه محمد بتلمسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهما الصغيران، بإيوالاتن [ولاته] فاتخذوا هذه الأقطار والحوائط والديار، وتزوجوا النساء، واستولدوا الإماء. وكان التملساني يبعث إلى الصحراوي [بولاته] بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران، ويكاتبهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت في الفخامة أحوالهم[351]».

وفي هذه الفترة ظهر لسان أزير (نسبة إلى قبيلة آجر المسوفية) الذي هو عبارة عن لهجة مولدة من السوننكية والصنهاجية انتشرت في الحوض وتگانت وآدرار خلال الهيمنة المالية على المنطقة، وظلت معروفة إلى عهد قريب.

---

[350] المرجع نفسه، ص14.

[351] ابن الخطيب، الإحاطة في تاريخ غرناطة، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1952، ص178.

وقدم ابن بطوطة إلى ولاته سنة 753هـ/ 1352م، وافاربا (نائب) السلطان المالي بها في تلك الفترة يدعى حسين، وقاضيها محمد بن عبد الله بن ينومر وأخوه الفقيه يحيى هو المدرس بها[352].

وبعد وفاة المنسا موسى حكم ابنه ميگا (738هـ/ 742هـ - 1337/ 1341م) فاضطربت في عهده أحوال المملكة، ثم توفي فخلفه عمه المنسا سليمان فحاول استرجاع گاوه التي فقدت في عهد سلفه فلم يستطع، فتركها وانكب على إصلاح ما فسد في الداخل، واهتم كثيرا بالعلم لأنه كان فقيها، واشتهر بالعدل إلى درجة أنه عزل منجاشو (حاكم) ولاته لمماطلته أحد تجار مسوفة في دين كان يطالبه به[353].

وبعد المنسا سليمان جاء ملوك ضعاف قذفوا بالبلاد إلى أتون الفتنة الداخلية، التي استمرت حتى قضى على ملكهم حاكم منطقة السونگاي سني علي التي كانت مجرد ولاية صغيرة تابعة للامبراطورية المالية.

3- مملكة السونگاي:

تطلق السونگاي (السونغاي) على قبائل ذات أصول بيضاء صنهاجية في أغلبها استوطنت منطقة شرق نهر النيجر، واستقرت حول كوكيا التي أقامت فيها دولة اشتهرت بملكها زا الرابع عشر الذي اعتنق الإسلام سنة 399هـ (1009م) ، كما اشتهرت باستيلائها على گاوه سنة 400هـ (1010م).

وفي سنة 872هـ/ 1468م استطاع حاكم السونگاي سني علي، الذي أخذ يتوسع على حساب مملكة مالي، أن يدخل تنبكتو ظافرا، فدوخ من كان فيها من التوارگ،

---

[352] ابن بطوطة، الرحلة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2002، ص688. ويقال إن المحاجيب هم أول من سن سنة الحجاب في ولاته، ولم يكن نساء ولاته قبل مجيئهم يحتجبن رغم عفتهن كما هو معروف من خلال المصادر التي تحدثت عن ولاته في تلك الفترة. كما يقال إن سبب تسميتهم بالمحاجيب هو ما عرف عنهم من الاحتجاب. وتقول بعض المصادر إن المحاجيب اسم قدموا به من توات. ويقال أيضا إن جدهم الكامل يحي المحجوب كان بالعراق مع الشيخ عبد القادر الجيلاني (القرن السادس الهجري، 12م) قبل وصوله إلى ولاته عبر توات.

[353] المرجع نفسه، ص688.

وبطش بالعلماء وأئمة الدين فيها. وكانت تينبكتو آنذاك تحت حكم توارگ إيمغشرن الذين تمكن سلطانهم أكل أگملول من دفع الماليين الذين دب الوهن في مختلف أرجاء امبراطوريتهم إلى مغادرة تنبكتو فغادروها سنة 837هـ/ 1433م، وكان أكل مقيما مع قومه بالبوادي فعين محمد كضه الآجري (نسبة إلى إيديجر) الشنقيطي كي (ملك) تنبكتو[354]. وكان كي محمد كضه عالما فاضلا، فبنى جامع تنبكتو، وعين الشيخ الصالح يحي التادلي إماما له.

ولما مات كي محمد كضه عين سلطان التوارگ ابنه الأكبر عمر مكانه فأساء السيرة فقطع سلطان التوارگ عنه بعض العوائد التي اعتاد التجار دفعها له، فقرر كي عمر الانتقام منه، فكاتب حاكم السونگاي سني علي وحرضه على احتلال تنبكتو، فاحتلها سني علي سنة 872هـ (1468م)، وهرب سلطان التوارگ وأكثر التجار والعلماء إلى ولاته.

ولم يزل سني علي يوسع مملكته حتى وصل حكمه إلى بلاد التكرور غربا، وإلى ولاته شمالا. واحتل ولاته سنة 885هـ (1480م). بينما وصل حكام مالي الذين لم يبق لهم من امبراطوريتهم إلا رقعة ضيقة إلى حالة يرثى لها من الخيبة والفشل[355].

وبعد موت سني علي انقلب قائد من قواد جيشه يدعى محمد بن أبي بكر توری على ابنه داعو بن سني علي. وبعد معارك طاحنة استولى محمد بن أبي بكر على گاوه سنة 898هـ/ 1493م، وتلقب بالأسكيا محمد فأصبح أول ملوك السونگاي الأساكية.

وآلت تنبكتو بعد أربع وعشرين سنة من حكم سني علي في سنة 898هـ/ 1493م إلى الأسكيا محمد الذي اجتهد في إقامة ملة الإسلام[356] وإصلاح أمور السكان، وقرب

---

[354] ورد في تاريخ السودان للسعدي: "كي محمد نضه" وقال المختار بن حامدن: صوابه كي محمد كضه، ومعناه: الملك محمد الصغير.

[355] محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982، ص55.

[356] حج الأسكيا محمد في صفر سنة 920هـ 1514م، ومر في طريقه بمصر فالتقى الخليفة العباسي الذي فوض إليه حكم بلاد السونگاي، كما لقي في طريقه بمصر الإمام السيوطي وأخذ عنه، مثلما لقي فيها تلميذه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، شيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي، المشهور بقتله للساحر اليهودي الذي

العلماء وعظم القضاة، «فأصلح الله تعالى ملكه ونصره نصراً عزيزاً وفتح له فتحاً مبيناً، فملك من أرض كنت إلى البحر المالح (المحيط الأطلسي) في المغرب وأحوازهما، ومن حد أرض بندك إلى تغازة وأحوازهما، وطوّع الجميع بالسيف والقهر[357]».

وخلف الأسكيا محمد ابنه الأسكيا موسى، ثم خلفه الأسكيا محمد بنكن، ثم الأسكيا إسماعيل، ثم الأسكيا إسحاق الأول، ثم الأسكيا داود الذي حكم سنة 956هـ (1549م)، وزار ولاته في نهاية محرم 958هـ (1550م)، وحاربت سراياه بيضان البرابيش والرحامنة الذين كانوا يجوبون المنطقة آنذاك[358].

ومكث داود أربعا وثلاثين سنة في الحكم، وكان من أسعد ملوك السونگاي وأطولهم مدة، ومات في رجب سنة 991هـ (1583م).

وخلفه ابنه الأسكيا الحاج محمد الثاني، فمكث في السلطنة أربع سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام. ثم قام إليه أخوه محمد باني فعزله، وتولى مكانه في محرم سنة 995هـ (1586م)، وكانت أيامه أيام غلاء وقحط، ولم يدم ملكه إلا سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام، مات في جمادى الأولى عام 996هـ (1588م) في خضم فتن اندلعت بينه وبين بعض إخوته أضعفت من كيان دولتهم وأرهقتها.

حبس النار عن أهل توات بسحره، وأعلن بعدها أن الذمة برئت من اليهود، فثار الناس عليهم من كل جانب فقتلوا منهم خلقا، فكان ذلك بداية انتفاء اليهود من بلاد السونگاي وبلاد شنقيط بعد أن كانوا يمثلون سواد التجار بهما. وكان المغافرة المتاخمون للمنطقة أشد الناس عليهم، فكانوا لا يدعون يهوديا يمر في قوافل التجارة إلى ولاته أو تنبكتو إلا أخذوا عليه الأعشار الزائدة مبالغة في إذلاله وإهانته.المصدر نفسه، ص119.

[357] السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص54.

[358] وخلف الأسكيا محمد ابنه الأسكيا موسى الذي عزل أباه يوم عيد الأضحى سنة 935هـ 1528م لضعف بصره، وانتصب مكانه. ولم يلبث الأسكيا موسى إلا قليلا فقد قتل يوم الأربعاء 24 شعبان 937هـ 1531م، فخلفه محمد بن عمر كمزاغ، ويدعى الأسكيا محمد بنكن بن أخي الأسكيا محمد، وظل في الحكم إلى سنة 943هـ 1537م، ففي أول يوم من ذي القعدة سنة 943هـ 1537م قام عليه ابن عمه الأسكيا إسماعيل ابن الأسكيا محمد، فحكم سنتين وسبعة أشهر وأربع ليال، ومات يوم الثلاثاء 4شعبان 946هـ 1539م. وفي عهده مات والده الأسكيا محمد ليلة عيد الفطر 944هـ 1538م. وخلف الأسكيا إسحاق الأول أخاه إسماعيل، فحكم عشر سنين إلا أشهرا، وكان مرضيا صالحا مباركا، كثير الصدقات ملازما لصلاة الجماعة، وتوفي في أول سنة 956هـ 1549م، فخلفه أخوه الأسكيا داود.

ثم خلفه إسحاق الثاني الذي أزاحته الحملة العسكرية التي وجهها سلطان المغرب المنصور السعدي في جمادى الثانية من سنة 999هـ (1591م).

4- مملكة الدينانكوبيين:

ينحدر الدينانكوبيون من سلالة فلانية مختلطة بمسوفة تعرف بالفولبي، وكان أجدادهم من زعماء مملكة زاره[359] التي قامت بين ولاته وانيور خلال القرن السابع للهجرة (13م). وقد استطاعت زاره أن تشكل همزة وصل بين التجار القادمين من الشمال والتجار الذين يأتون من الجنوب، بعد أفول نجم كونبي صالح[360]، وازدهرت زاره التي كانت إمارة مسالمة طيلة فترة الهزات التي عصفت بمملكة مالي الواسعة التي كانت تبسط نفوذها على كل ممالك المنطقة. وعندما تفككت الامبراطورية المالية وظهرت مملكة السونغاي احتفظت زاره بمكانتها الاقتصادية، حتى وشى أحد التجار الزغرانيين (إيزگارن) بزعيم من زعماء زاره يدعى تنكضه (تنگلل)[361]، اغتصب ماله لدى الأسكيا الأول محمد بن أبي بكر بأنه يدعي النبوءة ويسعى في إيذاء المسلمين، فجهز الأسكيا محمد سنة 918هـ جيشا كبيرا وباغت به المملكة الصحراوية الصغيرة، «وقتل تنيضه (تنگلل) في زاره[362]». وكان كولي بن تنگلل غائبا في بعض جند زاره خلال غزو الأسكيا لوالده فبلغه الخبر فهرب بمن معه من الجند وهرب معه بعض قومه إلى اچيولوف بالسينغال، فسكنوا هناك بمنطقة ديني.

وقصد كولي أحد الأمراء الماندين، كان يرتبط بعلاقة وطيدة مع أبيه إبان ملكه في زاره، فأمده بجيش عرف باسم كولي يابه (نسبة إلى كولي)، فهاجم به كولي تنگلل بلاد فوته

---

[359] وتكتب أحيانا زارا، وأحيانا تكتب جارا أو اديارا.

[360] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص106.

[361] كتبها السعدي بالياء (تنيضه)، وقال المختار بن حامدن: صوابه بالكاف أي تنكضه. ويدل على أن أصله بالكاف تحرفه إلى تنگلل.

[362] السعدي، مرجع سبق ذكره، ص66.

من الغرب وسيطر عليها من دگانه غربا إلى بكل شرقا. وكانت فوته يومئذ محكومة من قبل إمارات متعاونة هي: لام (ملك) تورو في الغرب، وأرطو (ملك) وطابه في الوسط، وأرطو (ملك) جاووبه على الحدود الجنوبية لبيلگه (جنوبي ما يعرف اليوم بالبراكنة)، وفاربا (حاكم) آرام في كنكي (وتعرف اليوم بآفطوط، وفاربا جم في ما بين النهرين (من وندگ إلى دوي قرب بودور)، وفاربا واللدي في الجزء الشرقي من ميرفيل (ميناء الأفيال)، وفاربا جول في أجزاء من گنار[363]، فسيطر كولي تنگلل على هذه الإمارات الواحدة تلو الأخرى، وتم له حكم فوته سنة 918هـ (1512م). وهاجم كولي تنگلل القبائل الصناجية القريبة من الضفة، فشتتها وأرغمها على التراجع شمالا بعدما أفلح في دحر بيلگه وهزيمة لام تاگه.

ولما استتبت فوته للدينانكوبيين أقروا الأراضي الزراعية في يد من أذعن لهم، ونزعوها ممن حاربهم، وعينوا عليها مشرفين من قبلهم، وكانت الأراضي الزراعية قبلهم تحت سلطة لام تاگه، وقبل ذلك لام ترمس[364].

ومات كولي تنگلل 938هـ (1532م) عن مملكة مترامية الأطراف، توارثها بنوه من بعده واستمرت أكثرمن قرنين من الزمن، ثم دب فيها الوهن وتلاشت[365].

---

[363] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص108.

[364] المرجع نفسه، ص112.

[365] تلاشت مملكة الدينانكوبيين بعد صراعات دامية على العرش اندلعت حوالي سنة 1740م (52-1153هـ) بين صمبا گلاجيو جيگي وابن عمه الملك كنكو بوموسى أدت إلى لجوء صمبا گلاجيو جيگي إلى محاربي البيضان وقوله لهم: «إن نصرتموني على ابن عمي كنكو بوموسى وغلبته وانتزعت منه العرش فلكم في كل سنة صاع من الزرع على كل إنسان، فلما علم كنكو بوموسى بذلك أثبت لهم هذا الصاع على كل إنسان في فوته صغيرا وكبيرا، ذكرا وأنثى عند حصائد الحرائث النهرية، فكانوا يقتسمون البلاد على ثلاثة أثلاث: الوالو للترارزة، وتورو للبراكنة، وبوصيا وگنار لإيدوعيش» (بوبكر خالد باه نقلا عن الشيخ موسى كمرا في زهور البساتين). وأدى استمرار الحرب، وتحالف كل طرف من طرفي النزاع مع قوم من محاربي البيضان مقابل مغارم معلومة، وبيع الأسرى، وانتشار الفوضى إلى تردي البلاد وانهيار ملك الدينانكوبيين، الذين ستندثر دولتهم سنة 1779م (1193هـ) تاركة مكانها للدولة المامية.

الحملات السعدية على بلاد شنقيط

وجه العاهل الثاني في الدولة السعدية أحمد الأعرج (923هـ/ 946هـ- 1517م/ 1539م) حملة عسكرية إلى توات، ولكن ظروفا حالت دون متابعتها سيرها، فاكتفى السلطان بإرسال خطاب إلى الأسكيا إسحاق الأول يطلب منه فيها رفع اليد عن ملح تغازة لكونه يخص مملكته.

وحين تولى السلطان محمد الشيخ الملك خاطب الأسكيا إسحاق الأول في ذات الموضوع عام 951هـ/ 1544م، ولكن إسحاق لم يكتف بالرد بالتهديد، بل وجه ألفين من التوارگ إلى وادي درعة فأغاروا هناك على سوق عامرة هناك، ونهبوا ما وجدوه في طريقهم.

وجاء رد السلطان السعدي بعد ثلاثة عشر عاما بتوجيه حملة من ألفي رجل احتلت مدينة وادان الشنقيطية بآدرار والممالح التي من حولها، وسار بنفسه حتى وصل إلى تيشيت فاستولى عليها ومهد نواحيها، ولعب عرب بني حسان لاسيما الرحامنة دورا أساسيا في هذه الحملة التي أخضعت قبائل المنطقة، فكافأهم السلطان بنقلهم إلى إقليم تامسنا (بين مراكش والرباط)، «وعين في تيشيت واليا ووضع تحت تصرفه حامية للسهر على سلامة السكان وحمايتهم من هجمات الأعراب[366]». ووقعت في عهده بملحة تغازة مذبحة أدت إلى هرب التجار عنها، وتوقف نشاطها[367].

وأحس السلطان محمد الشيخ بالمرارة لمقاطعة تجار السونگاي لملحة تغازة، فعرض على الأسكيا تصريحا له ببيع الملح مقابل جزء من الخراج، فكان نصيب الأسكيا من هذا الخراج يحمل إليه كل سنة، ولكن لم تمض سنوات حتى عاود الأسكيا احتلال تغازة مستغلا انشغال المغرب في خلافاته الداخلية.

---

[366] مارمول، إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ج3، ص142.

[367] محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مرجع سبق ذكره، ص67.

وحكم المنصور السعدي سنة 986هـ/ 1578م فحاول أن ينهي قضية المالح بطريق المسالمة فوجه سنة 991هـ/ 1583م وفدا كبيرا إلى گاوه، وحمله أحسن الهدايا وأثمنها، وأمر قائده مؤمن بن موسى العمري المعقلي بأن يعرض على الأسكيا محمد الثاني فرض مثقال للحمل على من يحل ببلاده من القوافل، ولكن الأسكيا لم يرض بهذا العرض، واكتفى بإرسال هدية سنية للمنصور.

وفي سنة 992هـ/ 1584م وجه المنصور حملة عسكرية إلى منطقة معادن الملح، ووصلت هذه الحملة إلى وادان بآدرار، ولكنها فشلت، فقد تاه بعض مجموعاتها، وداهمها العطش، بينما عادت البقية إلى مراكش، أو تفرقت في الأنحاء.

وفي سنة 994هـ/ 1585م احتل السعديون تغازة لفترة قصيرة، فوجه الأسكيا رسائل إلى تنبكتو بالمناداة في التجار بألا يذهب أحد إلى تغازة، وأن من ذهب إليها فماله هدر. وأمر الأسكيا بحفر معدن بديل أطلق عليه اسم تغازة الغزلان.

وازدادت خلال هذه الفترة أهمية السودان عند المنصور، وذلك بسبب نجاحه في استدراج سلطان بورنو- كانم إدريس الثاني إلى مبايعته سنة 990هـ/ 1582م، فقد كان إدريس الثاني راغبا في شراء الأسلحة النارية من السعديين بعدما ماطله العثمانيون في بيعها، فاغتنم المنصور السعدي الفرصة، وقايض له العزم على بيعها بالاعتراف به كخليفة عام لجميع المسلمين، فبايعه بيعة رسمية قرئت في كافة مساجد بورنو.

كما ازدادت أهمية السودان عند المنصور بسبب نجاح حملته التي بعث بها نحو المناطق الغربية لبلاد شنقيط سنة 992هـ (1584م) فلم تلق حربا، وأذعن لها السكان سواء قبائل بني حسان الوافدة، أو قبائل صنهاجة أصحاب الأرض، بل أذعن لها كذلك أمراء گنار وأغرمان والزنوج الواقعين شمال ضفة نهر السينغال، ونظموا لها الاستقبالات في قصور الركيز، وتندگسمي، وتيگماطين التي كان رئيسها يومئذ الشريف إبراهيم فال بن ساعيد بن رضوان فال بن عفان بن إبراهيم بن الشريف محمد (فوديه) بوبزول (أو ابنه) جد فالات گنار، وغيرهم، وكان من أمراء الزنوج

ومشايخ أغرمان وبافور الذين استقبلوا الحملة المغربية مع الشريف إبراهم فال بن رضوان المذكور موسى چوپ، وغولي أخو يامر فال، وبين فال، وولوف علي[368]، لكن الجناح المراكشي من هذه الحملة تفرق فلم يعد منه إلى المغرب إلا قائده وبعض فصائله، وكانت هذه الحملة مؤلفة من جناحين: الأول مراكشي يتألف من العروسيين، وبعض التكنيين والدميسيين (أولاد بسباع)، ويقوده عبد المولى بن عيسى عامل تاكاوصت ووادي نول (الجنوب المغربي)، والثاني يقوده محمد بن سالم رئيس الشرطة الخليفية بفاس، ويتكون أساسا من الأندلسيين والشراگة، وهم عرب بادية تلمسان، فكانت هذه الحملة سببا في انتشار محلات العروسيين المشهورة بجبايتها المغارم في مناطق مختلفة من بلاد شنقيط فترة من الزمن، وفي توطن بعض المجموعات التكنية، والسباعية المبكر بأرض الگبلة.

وكتب الفشتالي المعاصر للمنصور يصف هذه الحملة: «لما تم لمولانا الإمام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين ـ أيده الله ـ ما أراد من فتح إقليمي توات وتيكورارين..، بادر بتجهيز العساكر إلى جهة الساحل.. وبعث عن مولاه القائد أبي عبد الله محمد بن سالم صاحب الشرطة بفاس. فعقد له عليهم وسرحه إلى السوس بالمال وخزائن العدة والبارود وأوعز إلى القائد أبي محمد عبد المولى بن عيسى بن بر الوالي كان على عمالة تكاوصت ووادي نول بالحركة معه بقومه وسائر عشائره من عبده النازلين معه وجعله إسوة مولاه ابن سالم في تدبير الحروب دون الخراج، فنهضوا من السوس من بعد استكمال الأهبة في شهور عام اثنين وتسعين [وتسعمائة] وخاضوا القفر مع الساحل إلى السودان فوصلوا إليها من بعد الجهد لتسعين مرحلة متصلة من ثغور ممالك العرب القبلية ولم يكن لأهل السودان من علم بالعساكر لوحشية القفر حتى نزلوا بساحتهم.. ولم يكن إلا أن بادر ملوكهم باللحاق إلى المعسكر والليذ بالطاعة.. ووصلوا إلى معسكر جنود الإمام أمير المؤمنين يقدمهم كبيرهم الموفى على الغاية في

[368] المختار بن حامدن، مرجع سبق ذكره، جزء الشرفاء، ص12، والفشتالي، مرجع سبق ذكره، ص72.

السن والهرم إبراهيم بن رضوان ويامرفال وموسى جوب وغولي أخو يامرفال وكلهم من ملوك السواحل ببلاد السودان وألقوا أنفسهم على القواد مستسلمين فتلقوهم بما يتلقى به أمثالهم من عظماء القوم وملوكهم وأكرموا موصلهم وخلعوا عليهم.. وارتحلت العساكر من بعد ذلك وسارت تحت رايات أمير المؤمنين تخترق ممالك السودان حتى انتهت لخليج النيل المنبعث من قاصية السودان [نهر السينغالِ] وكرعت خيل المنصور في مائة وخفقت راياتها على شطه.. وقفلت العساكر إلى المغرب ظافرة ظاهرة وكان الذي استجاب لهم ودان بالطاعة والانقياد من عرب الفلات فقط وأممهم الذين ينتجعون الكلأ في مجالات القفر الممتد من ثغور المغرب القبلية إلى ممالك السودان بالجنوب نيفاً وأربعين ألف خيمة كلها من أهل الوبر والكراع المربي على النمل كثرة والجراد انتشارا[369]».

وساعد المنصور كذلك ما قام به خلال سنة 988هـ/ 1580م والسنوات التي تليها من فتح المناطق الواقعة بين السوس وتيندوف وتمهيدها.

وفي جمادى الأولى 997هـ (مارس- إبريل 1589م) وصل إلى المغرب أحد إخوة الأسكيا إسحاق ثائرا عليه يدعى ولد كزنفيل هاربا من سجن الأسكيا، فطلب من المنصور أن يمده بما يحارب به الأسكيا إسحاق، فاغتنم المنصور الفرصة، فبعث إلى الأسكيا إسحاق رسالة يعلمه فيها بخبر الثائر ولد كزنفيل، ويعرض عليه مقايضة عدم تلبية رغبة هذا الثائر بمبايعة إسحاق للعرش المغربي، وتسليم معدن الملح لنظر الخلافة، لكن الأسكيا إسحاق استخف برسالة المنصور وأجابه بقبيح العبارة، وبعث إليه صحبة جوابه بنعلين من حديد إشارة إلى أنه سيضعهما في رجلي المنصور إذا ما غامر بمهاجمة السودان[370].

---

[369] المرجع نفسه، ص72.

[370] محمد الغربي، مرجع سبق ذكره، ص198.

وفي فاتح محرم 999هـ (10 نفمبر 1590م) ودعت مراكش حملتها المغربية الكبرى باتجاه السودان، وأمر عليها المنصور السعدي مولاه جؤذرا بعد أن رقاه من درجة كاهيه إلى درجة باشا، وأمده بالقائد الصحراوي أحمد بن الحداد المعقلي.

وفي 20 رجب 999هـ (13 مايو 1591م) دخل جؤذر گاوه منتصرا بفضل الأسلحة المغربية المتطورة.

وكان أول من أخبر المنصور بوصول الحملة إلى نهر النيجر هو عبد الله بن الشين المحمودي شيخ قبيلة البرابيش الحسانية الذي شكا إلى السلطان نهب إبله من قبل الباشا جؤذر شرقي أروان، فأصدر السلطان الفرح بهذا الوصول أمره بتعويض الشيخ البربوشي.

ودخل الباشا جؤذر بجيشه تنبكتو يوم 6شعبان 999هـ (30 مايو 1591م)، وبنى بها قصبته التي ضمنها دار الباشوية، فأرسل المنصور رسائل إلى كافة جهات أقاليمه يوم 7شعبان 999هـ (31 مايو 1591م) يخبرهم فيها بأن جيشه «أدخل ربقة طاعة هذه الإيالة من الشعوب الصحراوية، والقبائل الوبرية، من أعاريب الكراع، التي لم ترض بولاية ولاراع، جموعا كثيرة ينتهي التعداد بهم على حكم ما أدوه من الزكاة الشرعية، لستة وأربعين ألف خيمة. وهذه الجملة بالنسبة إلى ما وراءها من القبائل العربية الوحشية [قبائل البيضان الشنقيطية] بعض من كل وجزء من جل(...)، وانتهى الغوص والإبعاد، بما وجهناه من الأجناد، بعد ما يقرب من ثمانين مرحلة في المغاور الصعبة، إلى الحجاز إلى بلاد السودان(...) فخفقت الأولوية العلوية بالنصر والظفر[371]».

وضاق أهالي تنبكتو وعلماؤها بقساوة الحكم الباشوي الذي كان يتولاه الباشا محمود والقائد مصطفى الذي عينه الباشا محمود حاكما لتنبكتو، فكان من بين أعيانها من شجع على معاونة الأسكيا في حربه ضد الباشا محمود.

---

[371] المرجع نفسه، ص278.

وكان حاكم المدينة السابق يحي بن بـردم الـذي فـر إلى البـوادي قبيـل دخـول الجـيش المغربي تنبكتو قد هاجمها يوم21 ذي الحجة 999هـ (10 اكتوبر 1591م)، بينما كـان الباشا محمود والباشا جؤذر يطاردان الأسكيا محمد كاغ.

وفشل هجوم يحي بن بردم رغم دعم بعض قبائـل الأعـراب لـه، لأن القائـد مصـطفى حاكم تنبكتو من قبل الباشـا محمـود أمـر بـإطلاق النـار علـى المهـاجمين ممـا جعلـهم ينهزمون.

وخاف القائد مصطفى من مغبة تغير سكان تنبكتو عليه فكتـب لخليفـه أوسـنبا زعـيم اتوارگ إيماغوجن يطلب منه القدوم لدعمه، وأباح له نهب المدينة، فقاد أوسـنبا رجالـه في نهب دام يـومين كـاملين همـا يومـا 16 و17 محـرم عـام 1000هــ (3و4 نفمـبر 1591م).

واحتقن على إثر هذا النهب الوضـع، ودعـا العديـد مـن الأعيـان والتجـار وكـذلك العلماء، خاصة العائلة الصقلية الشريفة إلى إعلان الجهاد ضد السعديين، وثار سـكان تنبكتو في 22 محرم (التاسع من نفمبر)، وقتل ولد كزنفيل الذي كـان يقـود فرقـة مـن السونگاي الموالين للمغاربة، واستمرت الفتنـة إلى يـوم 4 صـفر (21 نفمـبر)، حيـث اشتبك السكان مع الرماة المغاربة حول القصبة الباشوية، ولم يحـل الظـلام حـتى مـات ستة وأربعون راميا مغربيا وأضعاف ذلك من السكان المحليين.

وعلم الباشا محمود وهو في مدينة كوكيا بمـا حـدث في تنبكتـو، وكـان منشـغلا بمحاربـة الأسكيا الجديد نوح بدندي، فلم يرجع حتى فل شوكة الأسكيا نوح، ومع رجوعـه جـاء الأمر من المنصور السعدي باستئصـال شـأفة الصـقليين مـن تنبكتـو، وقمـع العلمـاء المبارزين للمملكة، فتم القبض على عائلـة الصـقلي وعلـى رأسـها الشـريفان محمـد الشيخ وباب عمر سبطي الشريف أحمد الصقلي، وصدرت الأوامر مـن الحـاكم بقطـع أيديهما وأرجلهما بالفأس وتركهما على تلك الحالة حتى الموت.

وخاف العلماء من أن يصيبهم ما أصاب عائلـة الصـقلي الـتي كانـت إحـدى أعظـم عائلات تنبكتو، فوجهوا وفدا إلى السلطان يطلب العفو عن ما صدر منهم.

وجاءت عودة الباشا محمود إلى تنبكتو بعد غيبة طويلة تبدلت خلالها الأحوال وهدأت فيها الأوضاع، فبدأ بدار القاضي فسلم عليه حسب القواعد المتبعة، وأخبره بأنه على المدينة أن تجدد بيعتها للسلطان فوافق، وكلف الباشا محمود حبيبا بن محمود انبابو بتنظيم البيعة.

ونادى المنادي بعد صلاة الفجر بأن المنازل والمخازن ستفتش باستثناء دار القاضي وديار آل آقيت، ومن وجد عنده سلاح عوقب، فبادر التجار إلى نقل أموالهم، وحمل أهل الأسلحة أسلحتهم إلى ديار آل آوقيت، ثم نودي على الناس بالقدوم لبيعة السلطان في المسجد، وأن يصحبوا معهم المصاحف وصحيحي البخاري ومسلم.

وتم ترتيب البيعة على ثلاثة أيام: اليوم الأول، وكان يوم الإثنين 22 محرم 1002هـ (18 اكتوبر 1593م) لاستقبال بيعة التواتيين والفزانيين والورگليين ومن جانسهم، واليوم الثاني الموافق للثلاثاء 23 محرم (19 اكتوبر) لاستقبال بيعة الولاتيين (الحوض الشنقيطي) والوادانيين (آدرار الشنقيطي) ومن جانسهم، واليوم الثالث الموافق للأربعاء 24 محرم (20 اكتوبر) لاستقبال بيعة القاضي والعلماء ومن جانسهم[372].

وبايع الناس في اليومين الأولين، وفي اليوم الثالث عند حضور العلماء أغلقت أبواب المسجد، وظهر الرماة على الأسطح المجاورة، وفي أركان الأزقة المؤدية إلى المسجد شاهرين أسلحتهم، وقبض أعوان الباشا على الحاضرين، ودخل الناس في هرج مات خلاله أربعة عشر قتيلا، وتم نهب ديار العلماء، وأخذت الودائع التي كانت فيها، ثم أودعوا السجن فلبثوا فيه ستة أشهر، قبل أن يأتي الخبر من المنصور بتأمين القاضي والعلماء، وبعثهم إلى مراكش في سلاسلهم.

وتوجه أول فوج من العلماء إلى مراكش في القيود والسلاسل صحبة القائد أحمد بن يوسف العلجي والكاهية با حسن فريدو، ومعهم نساءهم وأولادهم وعدد من عبيدهم. وحملت بعض الدواب مئات من المخطوطات والتحف التي كانت تحتويها

---

[372] المرجع نفسه، ص223 وما بعدها.

خزائنهم. وذكر علامة تنبكتو الشهير أحمدو بابا التنبكتي الأقيتي الصنهاجي الذي كان في القافلة الأولى بأنه فقد ألفا وستمائة كتاب في هذه النكبة. واشمأز الناس في السودان، وفي المغرب كذلك، جراء ما لحق بالعلماء من الإهانة، فطلب المنصور من الباشا أن يبين أن ما فعله كان صدا للفساد ودرءا للفتنة، وأنه كان في مصلحة المغرب، فأجبر الباشا من بقي من العلماء والمتشبهين بهم على الشهادة بصحة ما كتب به، وهو: «ليعلم أمير المؤمنين السلطان ابن السلطان مولانا أبو العباس أحمد، الله ينصره ويخلد ملكه، أننا ما قبضنا هؤلاء الفقهاء: القاضي عمر وإخوانه وأتباعه، إلا بعد أن ظهر لنا ما في نفوسهم من عداوة السلطان وبغضه، وتحققنا أن قلوبهم مع الأسكيا، وهم على كيدهم يجمعون لهم الرجال لمحاربتنا، ومتفقون على الفساد بعد أن قتلوا من جيش السلطان ثلاثة وسبعين رجلا[373]». وذيل الباشا هذه الرسالة بشهادة أعيان تنبكتو وكبرائها، وشفعها برسالة ثانية شهد فيها أحد أمراء السونغاي السابقين ويدعى أشفغ بكر لنبارو بأنه رأى بأم عينيه رسالة وجهها القاضي عمر للأسكيا نوح يتعهد فيها بالعمل ضد المغاربة.

وكان علماء عائلة أقيت الصنهاجية (عائلة العلامة أحمدو بابا التنبكتي) من أكثر عائلات البلاد المرحلين إلى مراكش، فقد كان لهم القضاء والوجاهة والرئاسة بتنبكتو وسائر بلاد شنقيط وبلاد السودان دينا ودنيا، منذ هاجر إليها جدهم من مدينة وادان الشنقيطية. وكان عمر أحمدو بابا منهم حينما دخل المغاربة تنبكتو ستا وثلاثين سنة، وهو الذي أدخل على المنصور السعدي بعد إطلاق سراحهم يوم 21 رمضان 1004هـ (19 مايو 1596م) فأغلظ القول على المنصور[374].

---

[373] المرجع نفسه، ص330.

[374] الناصري، مرجع سبق ذكره، الجزء5، ص 130. وقيل إن أحمدو بابا سجن أربع سنوات، وقال السوسي: سجن سنة واحدة. وقد نقل الناصري المحاورة التي دارت بين أحمدو بابا والمنصور بقوله: "قال له الشيخ أحمدو بابا: أي حاجة لك في نهب متاعي، وتضييع كتبي، وتصفيدي من تنبكتو إلى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقي؟ فقال له المنصور: أردنا أن تجتمع الكلمة، وأنتم في بلادكم من أعيانها فإن أذعنتم أذعن غيركم، فقال الشيخ: فهلا جمعت الكلمة بترك تلمسان فإنهم أقرب إليك منا، فقال المنصور: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتركوا الترك ما تركوكم" فامتثلنا

ولما سرح العلماء منعوا من مغادرة مراكش، فهرع الناس إلى الشيخ أحمدو بابا التنبكتي للأخذ عنه، فكان يدرس في جامع الشرفاء بمراكش، وتتلمذ عليه طلبة اشتهر منهم الرگراگي مفتي فاس، والقاضي أبو القاسم بن أبي نعيم الغساني، وأبو العباس أحمد بن القاضي صاحب جذوة الاقتباس، وطبقت شهرة أحمدو بابا الذي أنافت مؤلفاته على الأربعين كل بلاد المغرب إلى الجزائر وعنابة وما وراءهما. وظل آل أقيت بالمغرب حتى أذن لهم السلطان زيدان بعد وفاة المنصور في الرجوع إلى بلادهم بعد أن مات منهم جماعة بمراكش، فعاد أحمدو بابا إلى تنبكتو في 10 ذي القعدة سنة 1016هـ (26 فبراير 1608م).

وبعد فراغ الباشا محمود من قضية علماء تنبكتو خرج باتجاه دندي ليستأصل الأسكيا نوحا، لكنه قتل في كمين نصب له. ولم يزل خلفاؤه من الباشوات يطاردون الأسكيا نوحا، ويضيقون عليه حتى حكم الباشا سليمان في أواخر شوال 1008هـ (مايو 1600م) فضبط الأقاليم السودانية، وأحل الأمن في ربوعها، ونشر قواته وحامياته بين دندي شرقا وبلاد المغافرة (الحوضية الشنقيطية) غربا، وبين هنبوري جنوبا وتغازة شمالا، وازدهرت التجارة وعم الرخاء[375]. أما الأسكيا نوح فإنه انقطع مع بضع مئات من السونگاي في الجبال والغابات والمستنقعات، يترصد الحاميات المنعزلة، والقوافل المارة يكمن بالنهار ويخرج بالليل، غير قادر على مجابهة المغاربة، بعد أن شتتوا القبائل التي كانت تسانده، وألجأوها إلى القفار والجبال.

وفي يوم الإثنين 16ربيع الأول 1012هـ (24 أغسطس 1603م) توفي المنصور الذهبي فأخفى الباشا موته عن الناس حتى جاء الخبر باعتلاء ابنه أبي فارس على العرش، فنادى بالخبرين معا. وعين السلطان الجديد باشا جديدا لتنبكتو هو الباشا محمود لنكو.

الحديث، فقال التنبكتي: ذاك زمان وبعده قال ابن عباس: "لا تتركوا الترك وإن تركوكم" ، فسكت المنصور وانفض المجلس".

[375] محمد الغربي، مرجع سبق ذكره، ص222.

وانغمس أبناء المنصور الذهبي في الصراع على السلطة، فأخذت دولتهم في التـردي إلى أن انقسمت إلى إيالات ودول.

وظهر أبناء سيدي أحمد بن موسى السملاليين مؤسسـو دولـة إيليـغ بالسـوس، فاتسـع نفوذهم الذي بـدأ مـع ثـورتهم سـنة 1018هـ/ 1609م حـتى وصـل سـلطانهم إلى السودان في عهد علي بن محمد بودميعـه حـوالي سـنة 1040هـ/ 1630م[376]، مؤديـا بذلك إلى انقطاع وصاية السعديين على تنبكتو.

وتضررت التجارة، وانطلقت أيدي المجموعات المسلحة الحسانية والصـنهاجية بالعبـث بكل قافلة أو قبيلة لم تدفع لها المغرم. وكـان العروسـيون الـذين قـدموا ضـمن الحملـة السعدية لسنة 992هـ/ 1584م قد اختاروا، لما تفرقت تلك الحملـة، البقـاء في أرض شنقيط، لما رأوا من سيبتها وتشتت أحوال قبائلها، وسرعة انقيادها بالمغـارم والجبايـات لمن يطرقها، فتفرقت محلات قوادهم بها يجبون المغارم، ويخفرون القوافـل، متجـافين عـن الاصطدام بالسعديين الذين تركوا حاميـة مسـلحة في تيشـيت لضـمان أمـن سـكان النواحي[377] التي تمر بها القوافل التي تربط بين المغـرب وبـلاد السـودان، فلمـا تهـاوت الدولة السـعدية تمكنـوا في الأرض، فكـانوا في اركيـز تامشـكط هـم الـذين أجـازوا لتجكانت النزول في تگبه وبناء المنازل بها مقابل رسم يؤدونه إليهم، وذلك إثـر تفـرق تجكانت عن تينيگي بعد حربهم المعروفة التي استمرت إلى صدر القـرن الحـادي عشـر الهجري (أواخر القرن 16م) ، فحاربهم تجكانت على ذلك الرسـم فانتصـروا علـيهم، ولم يزالوا بهم حتى غلبوهم على تلك النواحي، وأجلوهم عنها.

وكانوا في بلاد الساحل والگبلة أصحاب مغارم هناك، كان قائد محلتهم بالگبلة يـدعى سيدي أحمد العروسي، وكانت له خوارق يستميل بها قلوب الناس، فكـان يـأتي زاويـا الگبلة فيفعل فيها ما يشاء، ولا يقدر أحـد أن يتعـرض لـه بشـيء، حـتى طـرق سـاحة تشمشه (في آخـر عقـد مـن القـرن العاشـر للـهجرة/ القـرن 16م) وكـان يندگسـعد

---

[376] المختار السوسي، مرجع سبق ذكره، ص91 وما بعدها.

[377] مارمول، إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ج3، ص142.

التاشدبيتي (تـ 1002هـ/ 1593م) ذا وجاهة عند الناس فكـان يقـبض الزكـاة مـن أصحابه من صنهاجة، فلما قدم العروسي إلى المنطقة خاف يندگسـعد أن يفسـد عليـه أصحابه بما لديه من إغراءات. وكان أحمد بزيد اليعقوبي وابـن خالتـه بابحمـد الـديماني ساكنين في تاشدبيت حينئذ، فسافرا مع يندگسعد مـرة إلى تازيـازت فـألفوا العروسـي بها مجاورا لمحلات المغافرة، فاجتمع أمـر الوفـد والمغـافرة علـى أن يـأتوا إلى العروسـي فيناظروه. فلما انفصـلوا قـال لهـم أحمـد بزيـد: اجعلـوني عـريفكم حـتى نصـدر عـن العروسي، وقال لهم يندگسعد: أنا أتولى استخدامه للجن، فقال لهـم بـاب أحمـد: وأنـا أتولى حيله الظاهرة وكل ما يخطه القلم، وقال أحمد بزيد: وأنا أتولى حيله الباطنة، فلمـا وصلوا دخلوا على العروسي تخلف عنهم باب أحمد راعيـا لجمـالهم، وتقـدم إليـه أحمـد بزيد في وفده فقال له: أنا عريف أهل الگبلة كلهم، فقال له العروسي: أنا أغلبك فـإن معي محلة وقائدها، فقال أحمد بزيد: وأنا أيضا لي أربعة قواد ومحلة (وعـنى بـالقواد: أبـا يعدل وأبا الصالح وأحمد بن ديمان والحسن اندوبك رجـال مـن تشمشـه، وعـنى بالمحلـة أبناء أعمر أكداش الأربعة: أحمد بيت الـرئيس، ومحمـذن الضـعيف، وأشـفغ الحبيـب، وعبد الله الولي) فتقدم العروسـي إلى أحمـد بزيـد ضـاما يديـه، وفي إحـداهما تمـرة وفي الأخرى حممة، فقال له: ما الذي في يدي؟ فقـال: في هـذه تمـرة، وفي تلـك حممـة، فكـان كذلك، فأراد أن يبادل بين يديه فمنعه المغافرة، وكانوا شاهدين. ثم قدم لهـم ورقـة فيهـا جدول فجش المعروف لأهل أسرار الحروف، فقـال لهـم: مـا هـذا؟ فقـالوا: ابعثـوا إلى راعي الجمال فأرسلوا إلى بابحمد، فلما قدم رأى بالجـدول خلـلا، فأصـلحه، وبـين لهـم كيفية تعميره. ثم أخرج لهم العروسي تهليلا فيه بردة البوصيري، فسردها عليه باب أحمد وقال له: هذه لا يحاج بها عندنا إلا العجائز، فـأذعن العروسـي لهـم، وقـال لهـم: خـير الوفد راعي جمالهم، فأرسلها مثلا[378].

[378] والد بن خالنا، كرامات أولياء تشمشه، مخطوط، ص20.

ثم إن أحمد بن دامان لقي ابنه سيدي إبراهيم بن سيدي أحمد العروسي بعد ذلك بـأكثر من أربعين سنة يريد زوايا الگبلة، وكـان أولاد الزناگيـة المغفريـون منشـغلون بـالجمع للكتيبات من أولاد رزگ الذين هم خفراء زاوية الگبلة، فقال له أحمد بن دامـان: سـر بنا إلى حلة الكتيبات ونعود إلى الزوايا، نبدأ بالنعامه ونرجـع إلى بيضـها، فسـار معـه فانهزم الكتيبات في معركة انتيتام المشـهورة (1040هـ/ 1630م) ومـات للعروسـي فيها ولدان، ثم أراد بعد ذلك سيدي إبراهيم من أحمد بن دامان غزو الزوايا، فحال بينه أحمد بن دامان وبين ذلك، وحذره عاقبته، وقال له: إنما وجدتك تريد أن ترمـي فسـددت لك الرمية، فانكفأ العروسي عائدا بقصبته إلى التل[379].

وكان العروسيون في ولاته أصحاب المغرم على من بها من النواحي لعدة سـنوات، قـدم إليها منهم شنان بن إبراهيم العروسي، في محلته مع أخيه التونسي وأبيه إبـراهيم سـنة 1046هـ/ 1636م، فبنى قصبة على عينها التي تسمى عين النخلة، خارج القريـة مـن جهتها الشرقية، وكانت أكثر عيونها ماء، وجعـل عليهـا حائطـا يـدور بهـا وبالقصـبة، وجعل يأخذ العشر من أهـل ولاتـه علـى قـلال المـاء، وعلـى التـراب البيضـاء الـتي يفرشونها في بيوتهم، واسمها عندهم تراب مامه، وعلى الحطب الـذي يحتطبونـه للطـبخ والدفء، وعلى المواشي والتجارات، فلما نزل أولاد يونس من بني حسـان أرض ولاتـه احتالوا له بأن تفرقوا فـرقتين تظاهرتـا بالعـداوة بينـهما، ففـرت إحـداهما إلى شـنان العروسي، وكان في قرية تيزخت (قرية منقرضة) التي كانت على بعد ميلين من ولاتـه، وتظاهرت له باللجوء إليه، فأدخلـها معـه في قصـبته، ونظمهـا في عـداد جيشـه، فلمـا اطمأن إليها غزتهم الفرقة الثانية فأخذ شنان في قتالهـا، ثم لمـا حمـي الـوطيس انقلبـت فرقتهم الأولى التي بداخل القصبة على جنوده فانهزموا، وقتـل شـنان، قتلـه رجـل مـن أولاد الدليوي الرحموني، حلفاء أولاد يونس في ذلك العهـد، اسمـه شـله بـن اعلـي بـن

[379] ولم يزل العروسيون يطرقون بلاد الگبلة، -فقد ورد أن الزوايا نهبوا لهم خيلا في بداية حرب شربيه-، حتى كان عهد أمير الترارزة اعلي شنظورة فأجلاهم عنها.

اجبير، وتفرق أصحابه، وهدمت قصبته، في وقعة عرفت بوقعة "اكراع إدران"، وقعت سنة 1056هـ/ 1646م.

وفي نفس السنة أو السنة التي تليها قدم إلى ولاته محمد الشرقي العروسي[380] في محلة من قومه، ثم تركوها وانحدروا باتجاه تنبكتو فقتلوا في شهر ذي القعدة من سنة 1049هـ (1640م) الأسكيا علي المعزول. وبتنبكتو، كانت هناك محلة عمر بن إبراهيم العروسي الذي قتل سنة 1039هـ / 1029م في معركة دارت بينه وبين الباشا عبد القادر.

وكان هيبة بن إبراهيم العروسي هو دليل المولى إسماعيل في جولته في الصحراء سنة 1089هـ/ 79-1678م، التي كانت ترمي إلى ضمان ولاء أطراف البلاد الجنوبية بعد الاضطرابات التي شهدتها المنطقة خلال أواخر العهدين السعدي والسملالي، والتي استقبل فيها فضلا عن أعيان المنطقة قواد محلات العروسيين وزعماء قبائل بني حسان، وتزوج خلالها اخناثه بنت بكار بن اعلي بن عبد الل البركني، وعين خلالها شريفا خليفة عنه في الصحراء. وقد توفي هذا الشريف كما في حوليات ولاته سنة 1109هـ. (1697م)[381].

ثم لم تزل المطاحنات مع مختلف قبائل بني حسان الزاحفة وغيرها تأكل هؤلاء العروسيين حتى تلاشوا واضمحلوا.

---

[380] تتشابه أسماء هؤلاء القادة العروسيين مع أسماء قادة بني حسان في نفس الفترة كهيبه وشنان والتونسي ومحمد الشرقي، ويرجع ذلك إلى كون حلل المجموعتين تعايشتا فترة من الزمن في إيگيدي الشمالي ونواحيه قبل انتشارها في بلاد شنقيط. وعند التقصي وجدنا بعض هذه الأسماء يعود إلى مشايخ اشتهروا في جنوب المغرب خلال أو قبيل هذه الفترة ومن عادة هذه القبائل تسمية أبنائهم بأسماء المشايخ المشهورين تبركا بها، فهناك محمد الشرقي التادلي كان من أهل القرن العاشر هـ (16م)، وهناك التونسي بن الشيخ سيدي أحمد العروسي (دفين الساقية الحمراء، تـ 1002هـ 1593م)، والتونسي هنا نسبة إلى بئر قديمة كانت توجد بإيگيدي الشمالي تدعى تونس مكثت هذه القبائل بها زمانا قبل جوازها إلى بلاد شنقيط، وقد ذكرها الشيخ ماء العينين في بعض تآليفه، أوقفني عليها حفيده الأستاذ الطالب اخيار بن ماميه.

[381] حوليات ولاته، مخطوط، ص7. وحوادث السنين للمختار بن حامدن، مرقون ص11.

وليس بين هؤلاء العروسيين وقبيلة العروسيين المعروفة في البلاد اليوم من علاقة سوى التشابه في الاسم، إذ ينتسب العروسيون السابقون إلى عبد السلام بن مزوار (واسمه أحمد) بن علي بن محمد بن إدريس، عنده يلتقون مع أبناء عمهم الركيبات الذين هم أحفاد الشيخ عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن محمد بن حرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد بن علي بن محمد بن إدريس. سموا بالعروسيين لأن جدهم مزوارا، وكان يقيم بقلعة حجر النسر بالمغرب الأقصى، بعث ابنه عبد السلام مع وفود من قبائل الهبط المجاورة الذين جاءوه يلتمسون لديه أحد أفراد عائلته يقيم معهم، وكان عبد السلام عروسا في تلك الأيام فاشتهر أبناؤه بالعروسيين[382]، ثم تشكلت منهم قبيلة وافرة العدد، شاركت في الحملات السعدية في بلاد شنقيط خلال القرن العاشر للهجرة (16م). أما العروسيون المعروفون اليوم بشمال بلاد شنقيط فينتسبون إلى الشريف المراكشي الشيخ سيدي أحمد العروسي المتوفى سنة 1002هـ/ 1594م بالساقية الحمراء، وهو ينتسب إلى عمار بن موسى بن يحيى بن الحسن بن سعيد بن عبد القادر بن صالح بن أعمر بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الصادق بن عبد الكريم بن عبد الله بن علي بن إدريس. ونسبه الشيخ ماء العينين للحسين بن علي بن أبي طالب[383].

وبانقطاع الوصاية المغربية على تنبكتو تفرق جيش الرماة، وخرج أكثره على سلطة باشوات تنبكتو[384]، فعاد التوارگ إلى محاولة السيطرة على تنبكتو التي أصبحوا

---

[382] الطاهر بن عبد السلام اللهيوي، حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام، دار الثقافة، 1978، ص296 - 297.

[383] روي عن الشيخ ماء العينين أنه رأى نسب العروسيين في دليل بخط قديم عند أحد رجالات أهل الجنوب ويدعى إبراهيم بن الخليل بنيوك، ومفاده أنهم أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب، أسند ذلك الأستاذ الطالب اخيار مامينا آل الشيخ ماء العينين إلى جده الشيخ ماء العينين في كتابه "الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار" (منشورات مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2005)، وورد في كتاب تاريخ الشرفاء العروسيين، إصدارات مركز الشيخ سيدي أحمد العروسي، 2004، مداخلة محمد ماء العينين، ص39.

[384] وآلت مملحة تغازه في خضم هذه الأحداث قبل أن تتعطل سنة 1092هـ 1681م إلى سيطرة القبائل المتصارعة في الشرق الشنقيطي (البرابيش، كنته، التوارگ...).

يتحكمون في المناطق المحيطة بها، ثم حاصرها ابتيتي بن محمد المختار التارگي آمنوكال (رئيس) تادمكه حصارا شديدا سنة 1184هـ (1770م) فاصطلح معه باشا تنبكتو باحدو بن بوبكر الدرعي بوساطة من الشيخ سيدي المختار الكنتي، لكن الكاهية محمد أغار في مجموعة من الرماة على مخيم التوارگ الذي يضم الزعيم التارگي ابتيتي في هجوم مباغت مستهل جمادى الأولى 1184هـ (أواخر أغسطس 1770م) فقتله مع عدد من أصحابه، فعاد التوارگ إلى محاصرة تنبكتو، وفتح ذلك باب الصراع على مصراعيه بين التوارگ والرماة، فانكسرت بذلك شوكة الرماة، وتفرقوا في الأنحاء بحثا عن المغارم، فكانت لهم ببلاد شنقيط جبايات وحروب وفتن مع قبائل المنطقة ومع بني حسان الذين تصادف نزوحهم إلى بلاد شنقيط مع استقرار العروسيين فيها، قبل أن يتلاشوا مع الزمن.

نزوح بني حسان إلى بلاد شنقيط

1- من بلاد الحجاز إلى بلاد المغرب:

نقض المعز بن باديس الصنهاجي حاكم إفريقية طاعة العبيديين، ومحا اسم بني عبيد من منابره، وأرسل بالبيعة إلى الخليفة العباسي القائم أبي جعفر بن القادر سنة 437هـ/ 1045م، ومحا كل أثر للشيعة في إفريقية[385]. ووصل الخبر إلى الخليفة الفاطمي المستنصر العبيدي ووجوه دولته من الشيعة فارتبكوا، فأشار الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري على المستنصر باصطناع قبائل بني هلال وبني سليم وتوليتهم أعمال إفريقية، وتقليدهم أمرها، ودفعهم إلى حرب صنهاجة بها، فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز بن باديس وصنهاجة كانوا أولياء للدعوة العبيدية في إفريقية والمغرب، وارتفع عدوانهم وضررهم عن مصر التي هي ساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها.

وكانت قبائل بني سليم وبني هلال المضرية في الأصل أهل بادية ونجعة بأرض الحجاز ونجد: بنو سليم مما يلي المدينة المنورة في قفرها، وبنو هلال بناحية جبل غزوان بالطائف، وربما كانت هذه القبائل تصل في انتجاعها إلى أطراف العراق والشام.

---

[385] خلف المعز بن باديس الصنهاجي سنة 408هـ 17- 1018م أباه على ملك صنهاجة الذي أقطعهم الشيعة العبيديون إياه، بعد رحيلهم من إفريقية إلى مصر، فقلده الظاهر العبيدي على عادة أسلافه أمر إفريقية، وكانت نفس المعز بن باديس الصنهاجي مائلة إلى مذاهب أهل السنة، نافرة من مذهب العبيديين، وربما ظهرت عليه شواهد ذلك، ولكن الظاهر العبيدي كان يغضي عنه. ثم هلك الظاهر سنة 427هـ 1036م، وخلفه المنتصر بالله العبيدي، فأغضى عنه كذلك، وكان المعز بن باديس الصنهاجي يعتذر إليهما بالخوف من العامة في بلاده، واستمر مع ذلك على الدعوة للعبيديين، وتوجيه الهدية إليهم، وكان أثناء ذلك يكاتب وزيرهما وحاجبهما أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني ويستميله، ويعرض ببني عبيد وشيعتهم. فلما مات الجرجاني سنة 436هـ 1044م ولي الوزارة من بعده أبو الحسن بن علي اليازوري. فلما ولي خاطبه حكام الجهات، ولم يلقبوه بالولاية، فأنف من ذلك وعظم عليه، وحنق على اثنين من الحكام هما ثمال بن صالح صاحب حلب، والمعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية، فانحرفا عنه، وحلف المعز بن باديس لينقضن طاعة العبيديين وليمحون اسم بني عبيد من منابره ففعل.

وعندما ظهر القرامطة وتغلبوا على الشام، تحيز إليهم بنو سليم وبنو هلال، فصاروا جندا لهم بالبحرين وعمان، فلما هزم العزيز بن المعز العبيدي القرامطة، وانتزع منهم الشام، وردهم على أعقابهم إلى قرارهم بالبحرين، نقل أشياعهم من بني هلال وبني سليم فأنزلهم بصعيد مصر، فأقاموا هناك مدة، ثم كان لهم إضرار بالبلاد في العدوة الشرقية من نهر النيل[386]، فبعث المستنصر العبيدي وزيره اليازوري إلى أمراء هذه القبائل سنة 441هـ/ 1049م وأجزل لهم العطاء، وحرضهم على عبور النيل وقال لهم: قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون. وكتب اليازوري إلى المغرب: أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا[387].

فطمعت العرب إذ ذاك، وعبرت النيل إلى برقة منهم مجموعة، فاستباحوها، وافتتحوا أمصارها، ثم أرسلوا إلى بقيتهم بشرقي النيل يرغبونهم في البلاد، فأجازوا إليهم، فخربوا الحمراء، واجدابية، وأسمرا، وسرت، وتقارعوا على البلاد، فحصل لقبائل سيلم الشرق، ولقبائل هلال الغرب.

وانضم إلى بني هلال ببرقة فرع منهم، من بني عبد مناف بن هلال، كان قد وصل إلى برقة قبل ذلك بقليل، قادما من نجد على إثر مغاضبة وقعت بينه وبين الشريف بن هاشم صاحب الحجاز شكر بن أبي الفتوح، وذلك أن الشريف شكر أصهر إلى الحسن بن سرحان الهلالي في أخته الجازية فأنكحه إياها فولدت منه ولدا اسمه محمد، ثم وقعت بينهم وبين الشريف فتنة فأجمعوا الرحلة عن نجد إلى إفريقية، وتحيلوا على الشريف في استرجاع الجازية، فطلبت من زوجها أن يزيرها أبويها فأجابها إلى ذلك، وخرج بها إلى حللهم بالبادية، فارتحلوا به وبها، وكتموا قصدهم بالرحلة عنه، وموهوا عليه بأنهم يباكرون به للصيد والقنص، ويروحون به إلى بيوتهم بعد بنائها، فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ملكه، وصار إلى حيث لا يملك أمره عليهم، ففارقوه، فرجع إلى

---

[386] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، الجزء 6، ص27.

[387] المرجع نفسه، ص31.

ملكه بمكة، وواصل بنو عبد مناف بن هلال رحلتهم إلى ليبيا حيث انضموا إلى بني عمومتهم في زحفهم على بلاد المغرب.

كما انضم إليهم بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور من العدنانيين، فأصبحوا في عدادهم.

وانضم إليهم الخلط، الذين ينتسبون في جشم تخليطا، وهم من بني عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر العدناني. وانضم إليهم بنو المعقل الذين ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب[388].

وكانوا حين انضمامهم إلى بني هلال قبيلة قليلة العدد، اعترضهم بنو سليم أولا فأعجزوهم وتحيزوا إلى الهلاليين، إلى بطن زغبة منهم خاصة، وانتقلوا معه إلى المغرب الأقصى، وبقيت منهم جماعة قليلة اندرجت في جملة بني كعب بن سليم.

واجتاحت قبائل بني سليم وبني هلال ومن معهم من عرب المعقل إفريقية والمغرب، وانتشروا في هذه البلاد، واقتسموها، وضيقوا على المعز بن باديس، ثم على نسله من بعده، وعلى منازعيهم من بني خراسان في تونس وبني الرند في قفصة، فلم يزالوا كذلك حتى جاء المرابطون فمحوا جل ملكهم بالمغرب، لكن المرابطين، لم يبسطوا سلطانهم على إفريقية كما فعلوا مع المغرب والأندلس.

2- انحراف العرب عدا زغبة والمعقل عن الموحدين:

ثم حكم الموحدون فاجتهدوا في نظم إفريقية تحت رايتهم، فلما غلبوا سائر الدول ببلاد المغرب سنة 541هـ/ 1049م، وزحفوا إلى إفريقية انحرفت طائفة كبيرة من العرب الهلاليين عن طاعة الموحدين، وتعصبوا مع بقايا المقاومة الصنهاجية للموحدين، وكان

[388] هكذا ينسبهم أغلب المؤرخين، بينما ينسبهم ابن خلدون وبعض المؤرخين إلى قضاعة، أو بني الحارث بن كعب من عرب اليمن. ومن أشهر من نسبهم من الشناقطة إلى جعفر بن أبي طالب الشيخ سيدي المختار الكنتي ومحمد اليدالي الديماني، ونسبهم المختار بن حامدن في موسوعته إلى جعفر الطيار، وأورد ملخصا لطلعة المشتري للناصري المؤلفة في إثبات انتساب المعاقلة إلى الجعفرية.

أمير رياح فيهم محرز بن زناد فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف، وعليهم عبد الله بن عبد المؤمن، فثبتوا لهم ثلاثا، ثم غلبهم الموحدون وأسروا رجالهم، وسبوا نساءهم، وغنموا أموالهم، فاستكانوا للموحدين وبايعوهم، فأطلق عبد المؤمن أسراهم.

وشارك العرب الموحدين بعد ذلك في الجهاد بالأندلس، ولم يزالوا في سلك دولتهم إلى أن خرج أبناء غانية المسوفيين الصنهاجيين على الموحدين، وانضمت إليهم فلول اللمتونيين، وتحالف يحي ابن غانية مع قراقش الأرمني الحاكم في ليبيا، فاستمال كافة بني سليم، ومن جاورهم في مجالاتهم ببرقة من العرب، وانضم إليهم جشم ورياح وبعض الأثبج من بني هلال، وخالفتهم زغبة وعرب المعقل الذين معها فتحالفوا مع الموحدين، فكانت الدائرة على ابن غانية وحلفائه، فلما انتهت الحرب غزا المنصور الموحدي العرب الذين كانوا مع ابن غانية، واستباح حللهم وأحياءهم حتى أذعنوا لطاعته، ولاذوا بدعوته فنفاهم إلى المغرب الأقصى[389]، واشتهرت هاتان الناحيتان باسم الغرب والحوز، فكان لرياح بلاد الغرب ولجشم بلاد الحوز، وكان هذا سنة 584هـ/ 1188م[390].

3- الموحدون يكافئون زغبة وعرب المعقل:

أما قبائل زغبة وعرب المعقل الذين معهم فاكافأهم الموحدون على انحيازهم إليهم ضد ابن غانية فأصاروهم يدا واحدة مع بني بادين من زناتة في حماية المغرب الأوسط من ابن غانية وأتباعه، واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار، فيما ملك بنو بادين وزناتة عليهم التلول. ولما هجرت زناتة التلول إلى الأمصار دخل زغبة هذه التلول وتغلبوا فيها، ووضعوا الإتاوة على الكثير من أهلها من صنهاجة وسائر القبائل. ثم خلا القفر من ظعون زغبة وحاميتهم لانحرافهم نحو المدن، فطرقه عرب

[389] رياحا إلى بلاد الهبط ما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى آغاز مما يلي سواحل طنجة إلى سلا، وجشما إلى بلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش. ابن خلدون، ج6، مرجع سبق ذكره، ص46.

[390] الناصري، مرجع سبق ذكره، الجزء2، ص168.

المعقل، وكانوا في جوار بني عامر بن زغبة بنواحي ملوية، وحول رمال تافيلالت، وكانوا قليلي العدد فعفوا وكثروا، ونموا نموا لا كفاء له حتى غصت بهم قفار المغرب، وتغلبوا في فيافيه، وملكوا قصور زناتة التي كانت لهم بالقفار لما دخلت زناتة إلى الأمصار والمدن، ثم استولوا على قصور السوس غربا وتوات وبودة وتمنطيت ووواركلان وتاسابيت وتيكورارين شرقا وجميع ما بينها من القصور، وكل قصر من هذه القصور وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة وعيون وأنهار، وأكثر سكان هذه القصور من زناتة وأحلافهم، فغلبوا على تلك النواحي، وجعلوا أنفسهم خفراء لمن بها من قبائل زناتة وصنهاجة، ومن بقي من عرب زغبة بتلك القفار، وجعلوا عليهم غرامة يأخذونها من بكرات إبلهم[391] ومن غيرها. وانضم إلى قبائل المعقل أحياء من قبائل رياح والأثبج وفزارة وأشجع وغيرهم، ولم يكن هؤلاء المعقل يتعرضون لقوافل سجلماسة ولا قوافل بلاد شنقيط أو بلاد السودان بأذية ولا مكروه.

4- تفريعات قبائل المعقل ومواطنهم الجديدة:

والمعروف للمعقل -جد قبائل المعقل- من الولد اثنان: سجير ومحمد، فلسجير: عبيد الله وثعلب. فمن عبيد الله: بنو عبيد الله البطن الكبير الذي كان أيام مجاورتهم لبني عامر بن زغبة بين تلمسان ووجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر، وتنتهي رحلته في القفار إلى قصور توات وتمنيطت، وربما عاج ذات الشمال إلى تاسابيت وتيكورارين، وبينه وبين بني عامر فتن وحروب موصولة وكان له مع بني عبد الواد مثلها. ومن ثعلب: الثعالبة الذين كانوا بمتيجة من بسيط الجزائر، وكانوا هناك في إيالة ملكيش الصنهاجي، حتى غلب بنو مرين على المغرب الأوسط وأذهبوا ملك ملكيش، فاستبد الثعالبة بذلك البسيط وملكوه، ثم أكلتهم الدسائس والحروب أيام خروج أبي زيان وحصين على أبي حمو، ومغالبتهم لبني مرين. وأما محمد فله من الولد: منصور والمختار

[391] ابن خلدون، ج6، مرجع سبق ذكره، ص86.

وجلال وسالم (سلام) وعثمان. فبنو منصور منهم هم معظم قبائل المعقل، وجمهورهم ومواطنهم تخوم المغرب الأقصى، حيث تنتهي مواطن بني عبيد الله، من تاوريرت إلى بلاد درعة، فهم مستولون على ملوية كلها إلى سجلماسة، وعلى درعة وما يحاذيها من التل مثل: تازي وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا والمقدر، وبطونهم أربعة: أولاد حسين وأولاد أبي الحسين، وهما شقيقان، والعمارنة (أولاد عمران) والمنبات (أولاد منبا)، وهما شقيقان أيضا، وكانت لهم مع الدولة المرينية وفي عهدها وقعات وفتن أنقصت أعدادهم، وأذهبت قوتهم. وأما جلال وسالم (سلام) وعثمان فشكلت ذريتهم قبيلة الرگيطات، وكانوا بادية بني المختار ينتجعون معهم. وأما المختار فيعرف عقبه ببني المختار، وينقسم إلى فرعين: الشبانات، وبني حسان. فأما بنو حسان (حسان الأكبر) فهم قبائل منهم اعريب، وأولاد اسعيد، وبنو حسان (حسان الأصغر)[392] الذين جازوا إلى بلاد شنقيط، وهم ستة فروع: أولاد دليم، والرحامنة (أولاد عبد الرحمن)، والبرابيش (أولاد حمه)، وإجمان (أولاد أعمر (بضم الميم)[393])، وأولاد اعبيد الله (اليعقوبيون)، والودايا (أولاد أودي جد أولاد اعروگ، وأولاد رزگ، والمغافرة). وحسان الذي ينتسبون إليه إما أن يكون حسان بن زيان بن [أبي] الخليل بن عمر بن غفير بن حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن المختار بن محمد بن معقل الذي تحدث ابن خلدون عن بعض عقبه فهو الذي يصح أن يكون أبا لأودي (أحمد) والد مغفر، وإما أن يكون حسانا آخر ويكون ما بينه وبين حسان بن المختار بن محمد بن معقل أو حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن المختار بن محمد بن معقل من السلسلة ضائعا، وإما أن يكون حسان الذي ينتسبون إليه هو حسان بن المختار بن محمد بن معقل، كما هو في شجرة المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي، والشجرة التي نشر محمد المختار بن السعد في كتابه إمارة الترارزة، أو حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن المختار بن محمد بن معقل، كما هو في

[392] المرجع نفسه، ص87 وما بعدها.

[393] وقيل إن همزة أعمر هذا مختلسة أشبه ما تكون بالهمزة الوصلية.

كتاب التكملة لمحمد فال بن بابه العلوي، وكما هو منقول في موسوعة المختار بن حامدن، وهو الأشبه لأن موسى وحامد وسعيد مذكورون في أغلب شجرات بني حسان المتداولة، وإن سقط منها حسان الأعلى الموجود بين سعيد والمختار، ويكون ما بين حسان وبين أودي وعبد الرحمن وحمه وأعمر ودليم وعبد الل الذين يقال إنهم إخوته هو الضائع، لأن حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن المختار بن محمد بن معقل من أهل القرن الهجري الخامس (11م)، فلا يصح أن يكون أبا لأودي وإخوته، لأن هؤلاء كما يظهر من سلاسلهم الجينيالوجية كانوا أحياء أوائل القرن الهجري الثامن (14م). أما حسان بن المختار بن محمد بن معقل فزمانه سابق لمرافقة المعاقلة لبني هلال في زحفهم اتجاه المغرب الأقصى، ويفترض أنه عاش في عجز القرن الهجري الرابع (10م).

وكانت مواطن بني حسان بل بني المختار كلهم، ومن معهم من بني جلال وسالم (ومنهم سوى بني حسان: اعريب، وأولاد اسعيد، وأولاد برية، وأولاد جرار، والجياهنة، والركيبات، وغيرهم) بنواحي ملوية ودرعة حيث إخوانهم من بني منصور وبني عبيد الله، لكن مجالات ظعنهم تمتد إلى المحيط الأطلسي، وكان شيوخهم يعرجون على بلد نول قاعدة السوس، فينتجعون السوس الأقصى كله إلى مضارب الملثمين في البرزخ الفاصل بين بلاد السوس وبلاد شنقيط، فكانوا منذ بداية القرن السابع الهجري (13م) مشاركين في حماية الربع الحاجز بين بلاد المغرب وبلاد السودان، حيث التجأ إليهم في عهد السلطان الموحدي عبد الواحد الرشيد (631هـ/ 640هـ- 1232م/ 1242م) أحد أمراء الموحدين المطالبين بالعرش بعد هزيمته، قبل أن يتوغل باتجاه نهر صنهاجة (نهر السينغال) حاملا معه أمتعته وكتبه ومعه بعض أتباعه[394].

لكن انتجاع بني حسان بهذه المواطن الجنوبية القاصية ظل محدودا إلى أن استصرخهم علي بن يدر الزكندري من بني باديس الذي فر سنة 651هـ/ 1253م من حاشية

[394] محمد الغربي، مرجع سبق ذكره، ص44، والفشتالي في مناهل الصفا، مرجع سبق ذكره، ص55.

الملك الموحدي أبي حفص المرتضى، ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها، ثم حاصر تارودانت قاعدة السوس فاستولى عليها، وكان علي بن يدر يزعم أن نسبه في عرب الفتح، فارتحل إليه بنو المختار (بنو حسان والشبانات) بظعائنهم وحللهم، فكافح بهم علي بن يدر الجزوليين، وأمن بهم السوس، فعظم أمره واستفحل ملكه، فوجه إليه المرتضى عدة جيوش فكان يهزمها في كل مرة.

ثم ملك أبو دبوس الواثق بالله الموحدي بعد المرتضى، فنهض إلى علي بن يدر فحاصره ببعض حصونه قرب تارودانت، فلما اشتد عليه الحصار أذعن ورغب في معاودة الطاعة، فقبل أبو دبوس ذلك منه.

ولما استولى بنو مرين على مراكش سنة 668هـ/ 69-1270م أعاد علي بن يدر بسط سيطرته على السوس، واستولى على تارودانت وسائر معاقل تلك النواحي، وأخذ يسوم بني حسان والشبانات الهضيمة فزحفوا إليه وقتلوه. ثم توارث قطر السوس بعده جماعة من عشيرته واستمر ملكهم فيه إلى عهد السلطان المريني أبي الحسن فغلبهم عليه[395].

وحمد بنو حسان خلال هذه الفترة مواطن السوس لاتساعها وعدم المزاحم فيها، فاستقروا فيها وغلبوا جزولة على مجالاتها منها[396]، كما غلب الشبانات لمطة على ما لهم من المجالات هناك، وغلب المنبات على سجلماسة سنة 660هـ/ 1662م، وأخذ بنو حسان ينتجعون بقفار السوس، ويجوبون الفيافي منها صوب مجالات الملثمين من بلاد شنقيط، وربما أوغلوا فيها باتجاه الساقية الحمراء وجميع الصحراء الغربية.

وفي عهد السلطان المريني أبي يعقوب بن أبي يوسف اصطدم الأمير منصور سنة 686هـ ببني حسان وغيرهم من عرب المعقل بالسوس وصحراء درعة فأثخن فيهم، وألجأهم إلى الفيافي والقفار.

---

[395] الناصري، مرجع سبق ذكره، الجزء2، ص254.

[396] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، الجزء6، ص137.

5- بنو حسان يتغلغلون في بلاد شنقيط:

وبدا لبني حسان أن يستقروا على أبواب المدخل الشمالي الشرقي لبلاد شنقيط، فقد ضاقت بهم بلاد السوس بما وقع فيها من الحروب، أو اتصل بها من الأوبئة والمجاعات، خاصة حرب أبي عنان فارس بن أبي الحسن المريني (749هـ/ 759هـ- 1348/ 1358م) لبني عبد الواد بتلمسان، التي انتهت بهزيمة بني عبد الواد، وكان العرب قد داخلوهم وحالفوهم، وحربه لعبد الله السكسيوي صاحب الجبل المنسوب إليه بالسوس سنة 754هـ/ 1353م، التي ءالت بقائد جيشه الوزير فارس بن ميمون بن وردار إلى تدويخ جميع أقطار السوس وتمهيدها، وتعريض عرب المعقل في السوس للهضيمة.

غير أن الذي آلم الحسانيين وحملهم على التخلي عن السوس نهائيا هو ما لاقوا من السلب والغصب والهضيمة على يد قبيلة هنتاته، لاسيما في عهد رئيسهم عامر بن محمد الهنتاتي (763هـ/ 770هـ- 1361م/ 86-1369م) الذي بلغ الغاية في السطوة والاعتزاز على الدولة، والاستبداد بمراكش وأحوازها إلى بلاد السوس[397].

ولم يزل الأمر كذلك حتى ملك السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767هـ/ 774هـ- 1365م/ 1372م) فأعاد للملك المريني هيبته، ونهض إلى عامر سنة 770هـ/ 68-1369م فحاصره في حصنه بجبل هنتاته عاما كاملا، ثم تمكن منه فقبض عليه فقتله.

---

[397] مما جعل كلمة "هنتات" تصبح رديفة لكلمة غاصب في لغة بني حسان. وقد استبد عامر بن محمد الهنتاتي بسبب ضعف الملوك المرينيين الذين تولوا بعد أبي عنان حتى صاروا ألعوبة في أيدي الوزراء، فتمالأ عمر بن عبد الله اليابانى وزير السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن (763هـ 767هـ- 1361م، 1365م) مع عامر بن محمد الهنتاتي، على إقطاع إمارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم تحت نظر عامر الهنتاتي، فاستبد عامر في وزارته بمراكش بالسلطة والرياسة على ما هنالك من الأحوال.

ثم كانت لبني حسان واعريب منهم سنة 762هـ/ 1361م في إگيدي (الشمالي) مزاحمة لقبيلة ابدوكل اللمتونية ولبعض قبائل مسوفة على حماية الطرق المؤدية إلى بلاد السودان، وخفارة القوافل المتجهة إليها، وربما أغاروا على القوافل التي لا تلجأ إلى خفارتهم، مما أوهن طريق القوافل المتجهة من السوس إلى ولاته، لصالح الطريق المار بتوات عبر تمنطيت. وكانت لهم أيضا مزاحمة لقبائل گدالة الساحلية بالساقية الحمراء ووادي الذهب، حيث كانت حروب الرحامنة والشعانبة مع الگداليين سببا في تلاشي گدالة من البلاد.

وأقر ابدوكل بني حسان على خفارة القوافل في تلك المنطقة بعدما أصبحوا أصهارا لهم، حينما تزوج عثمان بن مغفر الذي كان أميرا من أهم أمراء بني حسان بمروشه بنت الاحمر الصنهاجي أحد زعماء قبيلة ابدوكل.

غير أن ابدوكل والودايا دخلوا في حرب طاحنة سرعان ما تحولت إلى حرب صنهاجية حسانية شاملة، وقودها الصراع بين صنهاجة وبني حسان على المغارم والخفارة، لاسيما خفارة السفن الأوروبية التي أخذت تفد إلى المنطقة مع حلول منتصف القرن التاسع للهجرة (15م). وستؤدي هذه الحرب الصنهاجية الحسانية إلى انتصار بني حسان وانتشارهم في كافة ربوع بلاد شنقيط.

الحرب الصنهاجية الحسانية وانتشار بني حسان على إثرها في البلاد

1- أسباب الحرب الصنهاجية الحسانية:

مع حلول منتصف القرن التاسع الهجري (15م) كان بنو حسان قد كثروا، وامتدوا من إگيدي (الشمالي) إلى المحيط الأطلسي، كما كان نفوذهم قد تعاظم، فشكل ذلك مقدمة لانتشارهم في كافة ربوع بلاد شنقيط.

وشارك بنو حسان قبائل المنطقة في خفارة القوافل، وشاهدوا السفن التجارية الأوروبية (البرتغالية) تفد إلى شواطئ آرگين سنة 847هـ/ 1443م، وشهدوا بناء البرتغاليين لقلعة تجارية بآرگين، وفتحهم لخط تجاري مع سكان الصحراء عبر وادان سنة 850هـ/ 1446م، فطمحوا إلى خفارة هذا الخط الجديد، لكن ابدوكل التي كانت تستفيد من القوافل المارة عبر أراضيها كانت قد تأثرت بتراجع التجارة الصحراوية لصالح التجارة الأطلسية فعملت على مزاحمة بني حسان على هذه الخفارة أيضا، فنشبت الحرب بين الطرفين بتازيازت قرب مرسى آرگين البرتغالي، ثم تمددت شرقا بعدما انتصر فيها بنو حسان انتصارا عظيما.

وتقول الرواية التي تتحدث عن أسباب هذه الحرب إن الشيخ التواتي سيدي علي بن سيدي يحي بن عثمان الفرد بن يهس بن دومان كان مستوطنا بتوات (بالجزائر الحالية)، وكان مسموع الكلمة عند زعماء العرب وكبار مشايخ البربر وصنهاجة، فانتقل إلى صحراء بلاد شنقيط بعيد سنة 796هـ/ 1393م، وتزوج في قبيلة ابدوكل اللمتونية من أهوا (حواء) بنت رئيس ابدوكل محمد بنءالم (ألما) بن كنت، فكان له من أهوا ابنه سيدي محمد الذي اشتهر بسيدي محمد الكنتي.

وقفل سيدي اعلي راجعا إلى توات فتوفي بها، بينما نشأ سيدي محمد الكنتي في أخواله ابدوكل، الذين كانوا سادة المنطقة الممتدة من إيگيدي شمال الصحراء إلى الساقية

الحمراء وتيرس، فتعلم القرءان وبعض العلوم الدينية، ورحل في طلب العلم، وتخرج على يد أحد كبار مشائخ الطريقة القادرية التواتيين[398]، ثم رجع إلى أخواله بالصحراء، فاستوطن هنالك معززا محترما، مقدما على اللمتونيين، محكما فيهم، وكان متزوجا في تجكانت تينيگي ببنت ءال محم (محمد) بن يهس (الحسن) بن أيشف (يوسف)، أم ابنه الشيخ سيدي أحمد البكاي (تـ920هـ/ 1514م) الذي تزوج هو الآخر قبل أن يرحل إلى ولاته في تجكانت من بنت يعقوب الرمظانية، وأنجب منها أولاده الثلاثة الذين تفرعت عنهم شجرة قبيلة كنته وهم: سيدي محمد الكنتي الصغير، والطالب بوبكر الحاج، وسيدي عمر الشيخ.

وكان تجكانت تينيگي أهل علم ودين، فكان لا يسمح لغزاة وخفراء ابدوكل بالتسلط على حريمهم، ويشاركهم في السعي إلى رد ما أخذه أخواله من القوافل المتجهة إليهم، إلى أن حدث أن ردوا يوما وساطته وطرحوا رحله أرضا فأغاظه ذلك فانحرف عنهم.

وورد عليه غزو من بني حسان، من أولاد الناصر، فطلبوا منه أن يدعو لهم بملك لمتونة، فقال لهم: «دعوت الله عليهم بإذهاب الدولة، وإيهان الصولة، فأجابني فيهم، فقالوا له: كيف لنا بجموعهم المتكاثرة؟ قال: إنما عليكم شن الغارات والإجهاز عليهم، ونهاهم عن استئصال شأفتهم إذا غلبوهم، وعن التعرض لزواياهم، فانقلبوا إلى ذويهم فأخبروهم الخبر[399]»، فقام أحد زعماء بني حسان يومئذ واسمه ببه يؤلب القبائل على ابدوكل، ويتجول في القبائل التي كانت تؤدي الغرامة لابدوكل ويحرضها على التحالف معه، ويجمع الأصحاب من القبائل الغارمة لبني حسان، وعنده صك من

---

[398] ورد في الرسالة الغلاوية للشيخ سيدي محمد الخليفة (مرجع سبق ذكره) أن هذا الشيخ هو أبو العباس السبتي، وهذا لا يصح لأن بين الرجلين نحو قرنين من الزمن، كما أن مختلف المراجع لا تتحدث عن شيخ آخر يحمل اسم أبي العباس السبتي في هذه الفترة، ودلت المقارنات والبحث الذي قمنا به على أن المراد ربما يكون أبا العباس الساوري (نسبة إلى ساورة إحدى قريات توات)، فقد كان في هذه الفترة شيخا مشهورا من شيوخ القادرية. ذكره السوسي في المعسول، فتصحفت الساوري إلى السبتي أو رآها من لم يسمع بأبي العباس الساوري فظنه أبا العباس السبتي ثم تواتر الخطأ من غير تمحيص.

[399] الشيخ سيدي محمد الكنتي، الرسالة الغلاوية، مرجع سبق ذكره، ص138.

الشيخ سيدي محمد الكنتي وفتوى من قاضي تينيگي القاضي يعقوب بن القاضي يحيى بن رمضان خال أبناء الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي بقتال ابدوكل على بغيهم، فاندلعت الحرب وابدوكل جماعتان متنازعتان فانتدب لقتال بني حسان من يليهم من أحياء ابدوكل، واشتغل من عداهم بأشغالهم استهانة بشأنهم، واستخفافا بصولتهم، فهزموا من يليهم لأول حملة، ثم ركبوا ظهورهم وظهور من وراءهم ممن اشتغل عنهم، ولم يستعد لحربهم، فهزموهم، مستفيدين من خيولهم الكثيرة في وقت كانت الخيول فيه نادرة لدى الصنهاجيين.

وتدل المقارنات التي قمنا بها على أن هذه المعركة وقعت بين 870هـ و875هـ (1465م و1470م).

واستمرت هذه الحرب التي عرفت في ذلك العهد باسم شربيه سجالا لسنوات عديدة، لكن بني حسان نجحوا بفضل تدخل جيش من التكارير من أعداء ابدوكل من حسم الحرب لصالحهم بعد إحدى وعشرين سنة من تاريخ اندلاعها[400].

ولم تتوقف هذه الحرب إلا بصلح تمكن الشريف المرابط أشفغ اللمتوني (جد أهل أحمد الهادي) وبعض قواد تندغه من عقده بين بني حسان وابدوكل ومن انخرط في الحرب إلى جانبهم من قبائل صنهاجة.

وحاولت بيلگه التي رأت أن هذا الصلح كان مجحفا بأبناء عمها أن تنجد ابدوكل لكن المرابط أشفغ تورع عن نقض الصلح الذي كان يقضي بوضع صنهاجة للسلاح ودفعها المغرم لبني حسان، وضيافة من يحل بساحة الصنهاجيين من بني حسان ثلاثة أيام، وحمله على دابة تبلغه مأمنه، ومنح بني حسان ثلث ما يمتح بالدلاء من الماء، والسماح لهم بمشاركة صنهاجة في المرعى، مقابل حماية كل قبيلة من بني حسان للقبيلة التي تؤدي لها المغرم من صنهاجة من كل من يروم الاعتداء عليها أيا كان.

[400] نقل توماس وايت كومب هذه المعلومة في بحثه المتعلق بكنته (مرجع سبق ذكره) عن المختار بن حامدن، ص24.

ولم يشارك أولاد عثمان بـن مغفـر بـن أودي في هـذه الحـرب، للخؤولـة الـتي لهـم في ابدوكل، فقد ولدت مروشه بنت الاحمر الزناگيه (الابدوكلية) لعثمان بـن مغفـر ابنيـه عمران (جد داودات والبراكنة والترارزة والخواوات) ويحي (جد أولاد يحي بن عثمـان) وتوالد أبناءهما الذين عرفوا بأولاد الزناگية، فلما نهـض بنـو حسـان لحـرب ابـدوكل بقوا هم وذراري إخـوتهم غـير الأشـقاء (أولاد العربيـة ضـرة مروشـه): أولاد امبـارك والطرشان وأولاد داود احمد في إيگيدي الشمالي، ولم يشاركوا في الحرب، بينما حـارب بقية بني حسان ابدوكل وتوغلوا بعد انتصارهم في البلاد شرقا وجنوبا عبر آدرار.

واشتهر منذ هذا التاريخ إطلاق اسم المغافرة علـى أبنـاء عثمـان بـن مغفـر بـن أودي الذين بقوا في إيگيدي الشمالي دون غيرهم من أبنـاء مغفـر الـذين توغلـوا مـع أبنـاء عمومتهم من بني أودي في بلاد شنقيط، وشملهم جميعا اسـم الودايـا لفتـرة مـن الـزمن ستتمحض زعامتهم خلالها لأولاد رزگ بعد سلسلة من الحروب.

2- نتائج الحرب: انتشار بني حسان في المجال الشنقيطي:

وبعد انتهاء هذه الحرب وطد بنو حسان تفوقهم علـى القبائـل الصـنهاجية في المنطقـة، وزادوا من تكريس سلطانهم مع الوقت مستفيدين من دعم الملـوك السـعديين الـذين شنوا خلال القرن العاشر للهجرة (16م) عدة حملات داخـل بـلاد شـنقيط، طمعـا في توطيد نفوذهم بالمنطقة، والاستفادة من ثرواتها وفي مقدمتها الملح، والذهب الذي يجلـب من السودان. وقد شارك عرب بني حسان في هذه الحملات، وأدت التقلبـات السياسـية والاجتماعية التي نجمت عن هذه التطورات إلى ترسيخ بني حسان لسلطانهم ونفـوذهم في بلاد شنقيط، فتقاسم بنو حسان السلطة على معظـم الأجـزاء الشـمالية والوسـطى لبلاد شنقيط، بحيث سيطر أولاد دليم الغربيون (لاسيما أولاد امعـرف) في هـذه الفتـرة على المنطقة الممتدة من وادي الذهب إلى شاطئ المحـيط الأطلسـي، إلى تـيرس، وسـيطر الودايـا (أولاد أودي وهـم: أولاد اعـروگ بـن أودي، وأولاد رزگ بـن أودي، وأولاد الناصر وأولاد اخليفة وأولاد ارميث أبنـاء مغفـر بـن أودي) علـى مـا وراء ذلـك مـن

الشاطئ باتجاه الجنوب، صاعدين إلى آدرار، وكذلك باتجاه الشمال والشمال الشرقي حيث إيگيدي الشمالي، واختص بنو حم (البرابيش)، وبقية بني عبد الرحمن (الرحامنة) ممن لم يرحل مع السلطان السعدي محمد الشيخ إلى تامسنا، وأولاد أعمر (بضم الميم) (إجمان) بما وراء ذلك من جهة الشرق، وبقلب الصحراء ما بين إيگيدي الشمالي وبلاد أزواد وگاوه، إلى نهر النيجر. وكان معهم في ذلك بعض اعريب (أبناء عم بني حسان) بينما سيكون بعض من اعريب مع أولاد دليم.

وكان البرابيش والرحامنة وأولاد أعمر (بضم الميم) هم السابقون إلى آدرار، ولكن الودايا (أولاد أودي) أجلوهم عنه بعد حروب متصلة على المغارم والإتاوات، وعلى خفارة سفن البرتغاليين الذين بنوا مركزا تجاريا لهم في وادان سنة 892هـ/ 1487م، فأزعج الودايا أولاد أعمر (إجمان) عن آدرار باتجاه الرگيبه وتگانت، ثم الحوض لاحقا، كما أزعجوا البرابيش عنه فانحدرت منهم مجموعة إلى أرض الگبلة، كما انحدرت إليها مجموعة من الرحامنة، بينما اتجهت غالبية البرابيش نحو الشرق، فتفرقوا ما بين توات والنيجر، وكان ذلك قبيل سنة 900 للهجرة (1494م) بقليل.

وبقيت من البرابيش بقية في الحوض مع الرحامنة، وقد خاضوا في سنة 958هـ / 1550م حربا مع سرايا الأسكيا داود حول ولاته.

ولما أحكم الودايا قبضتهم على آدرار، انحدر أغلب أولاد اعروگ بن أودي (خاصة أولاد يونس، وأولاد عگبه، وبعض أولاد داود اعروگ) باتجاه الرگيبه والحوض دافعين الرحامنة والبرابيش إلى مزيد من التوغل شرقا، وكان لهم ملك عظيم في تلك الناحية لاسيما أولاد عگبة منهم خاصة.

ودلف جمهور من أولاد داود اعروگ مباشرة إلى أزواد، وكذلك قسم من أولاد دليم (أولاد المولاة)، وبعض اعريب الذين كانوا بنواحي تيشيت، ثم تركوها إلى توات، التي غادروها بدورها سنة 869هـ/ 1464م بسبب مجاعة شديدة اجتاحت المنطقة، باتجاه بوجبيها (بوالانوار)، ورأس الماء، وأروان، وتنبكتو، ونواحيها، فكان لهم خلال تلك

الفترة نفوذ قوي في أطراف هذه المناطق وفي كل بلاد تمنطيط (جنوب الجزائر الحالية)[401].

وترك أولاد داود اعروگ ذرية منهم في تيكورارين. أما أولاد دليم فتركوا أزواد بعد حروب متقطعة دامت فترة من الزمن، وتوجهوا مغربين حيث أبناء عمومتهم (أولاد امعرف) فعمروا ما بين تيرس ووادي الذهب على طول امتداد شواطئ المحيط.

وانحدر بعض أولاد عگبة بن اعروگ بن أودي باتجاه الگبلة، ولم يكن لهم بها ملك، بل دخل عليهم أولاد رزگ فاضطروهم هم وبقية البرابيش إلى الانتقال عنها، فرحلوا نحو أبناء عمومتهم الذين انحدروا شرقا، حيث كان لأولاد رزگ بالگبلة أول ملك حساني مستقر، استمر حتى لحق بهم أولاد الزناگية (من أولاد عثمان بن مغفر بن أودي) فاستأصلوا شوكتهم، وشتتوا شملهم، وورثوا جباياتهم وملكوا الگبلة من بعدهم.

وكان أولاد الزناگية هم وسائر أولاد عثمان بن مغفر الذين بقوا بإيگيدي الشمالي ينتجعون بتيرس وتازيازت، وربما قادوا حملات أكثر توغلا في البلاد بحثا عن المغارم.

وسيترك أولاد عثمان بن مغفر إيگيدي الشمالي نهائيا، باتجاه تازيازت ونواحيها بين سنتي 989هـ/1581م و991هـ/ 1583م، فقد سجل وجودهم ضمن لوائح قبائل سوس لسنة 988هـ/ 80-1581م مع فصيل من أولاد أعمر بقي في بلاد المغرب مع من بقي بها من الودايا (أولاد أودي بن حسان)، كما لوحظ أنهم لم يعودوا موجودين بإگيدي (الشمالي) سنة 992هـ/ 1583م إبان انتداب سلطان المغرب المنصور الذهبي السعدي لقبائل العروسيين (الأوائل) وأولاد بسباع[402] التي خلفت أولاد عثمان بن مغفر على خفارة إگيدي (الشمالي) لتكون ضمن تشكيلة حملته التي ستتوغل حتى تيگماطين (أقصى الجنوب الغربي الشنقيطي) تمهيدا لغزو السودان.

---

[401] استقراء لكتابات المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، مرجع سبق ذكره، أجزاء مختلفة، ومراجع أخرى كالوزان، مرجع سبق ذكره، ومارمول، مرجع سبق ذكره، وكتابات المعاصرين كمحمد المختار بن السعد، مرجع سبق ذكره وبول مارتي مرجع سيأتي ذكره.

[402] مجلة الوثائق السياسية المغربية، ووثائق مغربية مختلفة.

ويظهر أن حملات المنصور السعدي لتمهيد المناطق الواقعة بين السوس وتيندوف، التي بدأت سنة 988هـ/ 1580م ودامت عدة سنوات هي السبب في ترك أولاد عثمان بن مغفر إگيدي (الشمالي) والتحاقهم بأبناء عمومتهم في آدرار وغربه (تازيازت ونواحيها)، حيث أصبحت لهم مغارم على القبائل في هذه المنطقة التي انتعشت بسبب وصول المستكشفين الأوروبيين إليها، وبنائهم فيها مرفأ تجاريا. وستمثل هذه المنطقة نقطة انطلاق أولاد عثمان بن مغفر نحو أنحاء البلاد المختلفة[403].

[403] وفي بداية القرن العاشر الهجري (16م) جاء زواج عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز بن هداج بن عمران بن عثمان ببنت أحد الأمراء العظام الذين دانت لهم الگبلة تدعى عيشه بنت گدول رئيس أولاد بو اعلي من أولاد رزگ، ليؤمن حملات المغافرة عموما وأولاد الزناگية خصوصا في منطقة الگبلة التي كانت قد خضعت تماما لنفوذ أولاد رزگ، وليساعدهم على تشتيت تحالف انيرزيگ. وقد ولدت عيشه لعزوز أولاده الثلاثة الذين اشتهروا بأولاد البوعلية، كما ولدت له زوجته الناصرية (العنترية) ولده دامان.

وكان داودات (أولاد داود بن عمران بن عثمان) أول من نازع أولاد رزگ من المغافرة في مغارمهم بأرض الگبلة، وواصلوا حربهم لهم بعد معركة انتيتام (1040هـ/ 1630م) التي كرست انتصار المغافرة النهائي على أولاد رزگ، فكانت لداودات بعدهم زعامة بالمنطقة، سرعان ما اضمحلت بعد الخسائر الجسيمة التي ألحقها بهم أولاد هداج بن عمران يوم أگيرت (1041هـ/ 1631م).

وآلت إلى أولاد بركني وأولاد تروز أرض الگبلة التي منحتهم فرصة بسط سيطرتهم على خفارة التجارة الساحلية مع الأوروبيين، حيث سيتمكن كل من الترارزة (في الجانب الغربي لبلاد الگبلة) والبراكنة (في جانب بلاد الگبلة الشرقي) لاحقا من إقامة إمارة خاصة به هناك. وآل آدرار إلى إخوتهم أولاد يحي بن عثمان، ولم يتمكنوا من السيطرة عليه وتأسيس إمارة خاصة بهم فيه، إلا بمساعدة البراكنة. بينما آلت تگانت إلى أبناء عمهم أولاد امبارك (من أولاد العربية) الذين سيطروا عليها لبعض الوقت، قبل أن يؤسسوا إمارة قوية ببلاد الحوض.

وصول المستكشفين الأوروبيين إلى بلاد شنقيط ووصفهم لها إبان الانتشار الحساني فيها

كانت المناطق الواقعة جنوب المغرب بحرا وبرا مجهولة لدى السكان الأوروبيين حتى مطلع القرن التاسع للهجرة (15م)، وكان رأس بوجدور (الجنوب المغربي) هو آخر نقطة تمكنت السفن الأوروبية خلال تلك الفترة من الوصول إليها جنوبا، حيث كانت تنتشر الأساطير القائلة بأن المحيط الأطلسي يبتلع كل سفينة تتجاوز هذا الرأس، إلى أن قام الأمير البرتغالي ليفانت دوم هانريك المشهور بهانري الملاح الذي كان مهتما باستكشاف ما وراء رأس بوجدور بتجهيز الحملات البحرية الواحدة تلو الأخرى وحثها على التوغل لاستكشاف ما وراء بوجدور ونواحيه، لعله ينفع الملة المسيحية أو يضاعف من ثروته الشخصية أو يزيد في نفوذ البرتغال. واستمرت هذه الحملات دون جدوى مدة اثنتي عشرة سنة. فلما كان سنة 1433م (أواخر 836 أو مطلع 837م) جهز لأحد خدامه يدعى جيل أناس سفينة بحرية استكشافية فتجاوز جيل أناس رأس بوجدور، وسار حتى وصل إلى قبالة جزر الكناري، ثم عاد دون أن يحمل معه أي جديد[404]، فحثه هانري الملاح على التوغل أكثر وجهز له سفينة أخرى في السنة الموالية، فتوغل قليلا وعاد معه ببعض نباتات المنطقة، فقام هانري الملاح بتجهيز سفينة جديدة أرسل على متنها خادمه ألفونسو گونساف وأرسل معه جيل أناس فتوغلا حتى قطعا 50 فرسخا[405] (200 كلم) جنوب رأس بوجدور وعادا سالمين، فقام هانري بتجهيز سفينة جديدة سنة 1436م (39-840هـ) وأمر ألفونسو گونساف بالعودة إلى المنطقة ومحاولة العثور على سكان هناك، والتحدث إليهم أو اختطاف بعضهم

[404] نص برتغالي يعود إلى القرن السادس عشر (م) مترجم إلى الفرنسية يتحدث عن مسار اكتشاف السواحل الشنقيطية ويحمل عنوان "كرونيك دلا ديكوفرت دلا گينى"، بحوزة الأستاذ محمذن بن باباه، ص98.

[405] طول الفرسخ المذكور هنا أربع كلمترات، فهو أقصر من الفرسخ العربي.

وجلبهم كعبيد إلى البرتغال، فقام ألفونسو بالتوغل 120 فرسخا (480كلم) جنوب رأس بوجدور، حيث اشتبك رجاله مع بعض البيضان قرب مصب نهر هناك، ثم تقدم 50 فرسخا (200 كلم) وعاد خاوي الوفاض. ثم اعتادت سفن هانري الملاح بعد ذلك على التوغل في ما بين 1436م (840هـ) و1440م (844هـ) جنوبا حتى هذه المناطق.

وفي سنة 1441م (845هـ) جهز هانري الملاح أسطولا من 21 سفينة أسند قيادته إلى عامله آنتاوو گونسالف وكلفه بالبحث عن جلد ودهن بعض الحيوانات البحرية الرائجة آنذاك. وبعدما أكمل هذا الأسطول مهمته قام آنتاوو گونسالف ورفاقه بالنزول إلى البر فوجدوا بيضانيا شبه عار يقود جملا وفي يده عصا فانقضوا عليه وأسروه، ثم وجدوا وهم قافلون إلى الشاطئ أمة سوداء فأسروها.

وأدركهم في محلهم هذا أحد غلمان هانري الملاح يدعى نينو اتريستاوو يقود سفينة مسلحة جهزها له هانري الملاح وكلفه بالتوغل أكثر، وبأسر من أمكن أسره من السكان بأي كيفية، فلما عرف بوجود بشر في هذه المنطقة قرر أن ينزل مساء إلى البر صحبة آنتاوو گونسالف في عشرين رجلا، بحثا عن بيضان يأسرونهم. ورأوا بعدما ساروا قليلا في ظلمة الليل مخيمين صغيرين متجاورين فقرروا مهاجمتهما بعدما انقسموا إلى ثلاث مجموعات أحاطت بالمخيمين، وأخذوا في الهجوم وهم يرددون بصوت عال كلمتي "البرتغال" و"سينت ياگو" (القديس ياگو)، وأذهلت المفاجأة بيضان المخيمين فتفرقوا مذعورين في كل اتجاه، ثم أخذوا في مقاومة الهجوم بما معهم من العصي لكن البرتغاليين تمكنوا من قتل أربعة منهم وأسر عشرة منهم ما بين رجل وامرأة وطفل، ومن بين الأسرى زعيم تظهر عليه علامات النبل[406].

وبعدما عادوا إلى سفنهم طلب نينو اتريستاوو من بدوي عربي أحضره معه في سفينته أن يترجم بينه وبين هؤلاء الأسرى لكن البدوي العربي عجز عن التفاهم معهم لأنهم

[406] يدعى هذا الشخص حسب النطق البرتغالي لاسمه بآداهي أو آداهو، وقد يكون المقصود عداهي.

لم يكونوا يتكلمون إلا اللغة الزناگية، وكان الأسير الـذي تبـدو عليـه علامـات النبـل يعرف اللغة البيضانية [الحسانية] فتمكن البدوي من التفاهم معه، فـأخبرهم بطبيعـة المنطقة وسـكانها. وقـام البرتغـاليون بـإنزال البـدوي العـربي مـع إحـدى الزناگيـات الأسيرات لتدعو أهلها إلى المجيء للتفاوض مـع البرتغـاليين بشـأن مقايضـة أسـراهم ببعض البضائع المحلية، وبعد يومين رجع البـدوي ومعـه مائـة وخمسـون رجـلا وخمسـة وثلاثون فارسا من البيضان ذوي الهيئات المتوحشة، وتوجس البرتغاليون خيفـة مـن أن يخدعهم البيضان ففروا بأسراهم تاركين المترجم البدوي مع البيضـان، فشـد البيضـان وثاقه بالحبال وذهبوا به معهم[407].

وعاد آنتاوو گونسالف ونينـو اتريسـتاوو إلى البرتغـال ومعهمـا أول دفعـة مـن أسـرى البيضان جلباها معهما كعبيد، وبحث هانري الملاح في جميع أرجـاء البرتغـال عـن مـن يفهم لغة عبيده الجدد (الزناگية) دون جدوى، فاكتفى بما حصل عليه من معلومات مـن الزعيم البيضاني الذي يفهم العربية. وقال هذا البيضاني لهـانري إنـه مسـتعد في حـال إعادته إلى بلاده أن يقايض نفسه بخمسة أو ستة مـن العبيـد، ونفـس الشـيء قالـه لـه شابان آخران من البيضان كانا ضمن النصيب الذي حصل عليـه هـانري المـلاح مـن هؤلاء الأسرى، فقرر هانري الاستجابة لهم وإعادتهم مع آنتاوو گونسـالف إلى بلادهـم لعله يحصل من خلال العبيد الذين سيقايضون بهم على معلومات جديدة عن المنطقة.

وأثـار اكتشـاف مزيـد مـن المنـاطق جنـوب رأس بوجـدور ومقـدم هـؤلاء البيضـان والمعلومات التي قدموها لهانري الملاح سعادة لينفانت دوم بيـدرو الوصـي علـى عـرش البرتغال آنذاك فقام بمنح هانري المـلاح حـق الاسـتئثار بمنـافع هـذه الأرض الجديـدة، وحظر الملاحة فيها على جميع السفن إلا بإذن من هانري الملاح.

وعاد آنتاوو گونسالف بالبيضان الثلاثة إلى حيث يوجد ذووهم، فأطلق سراح الـزعيم البيضاني على أن يذهب ويأتي بثمنه من العبيد ويخبر أهل البيضانيين الآخرين ليـأتوا

---

[407] المصدر نفسه، ص112.

لمقايضتهما، فذهب الزعيم ولم يرجع لكنه أعلم ذووي البيضانيين الآخرين فجاؤوا وقايضوهما بعشرة من العبيد ما بين ذكور وإناث، وأعطى البيضان آنتاوو گونسالف بعض بيض النعام وقليلا من مسحوق الذهب الذي أخبروه بأنه يجلب إلى منطقتهم من ونگارة ببلاد السودان، فسمى البرتغاليون هذه المنطقة بوادي الذهب، وعادوا بهذه الدفعة الجديدة من العبيد إلى البرتغال[408].

وفي سنة 1443م (847هـ) سلح هانري الملاح سفينة جديدة عين عليها نينو اتريستاوو وأمره بالتوغل أكثر لعله يكتشف منطقة جديدة، فسار حتى وصل إلى الرأس الأبيض (قرب انواذيبو)، ثم تجاوزه ب25 فرسخا (100كلم) فوصل إلى منطقة آرگين، ورأى هناك أكثر من خمسة وعشرين حوض صيد، في كل حوض ثلاثة أو أربعة أشخاص شبه عراة صدورهم في الحوض وأرجلهم في الماء ويستخدمون أرجلهم كمجاديف، فهاجمهم برجاله وتمكن من أسر أربعة عشر أو خمسة عشر بيضانيا، واكتشف جزيرة ثانية بالمنطقة ورجع، فكانت هذه ثالث دفعة من الأسرى تجلب من بلاد شنقيط إلى البرتغال وتباع هناك كعبيد.

وعم الفرح أرجاء البرتغال التي اعتبرت هانري الملاح بمثابة إسكندر جديد، وأصدر بابا الفاتكان أمرا يكرم هانري الملاح الذي كان يأمر بتعليم الدين المسيحي للعبيد (البيضان) الجدد[409].

وأصدر هانري الملاح موافقته على تشكيل أسطول جديد قوي من ست سفن يقوده القبطان لانزاروت ومعه خمسة قباطنة آخرون: جيل آناس أول من تجاوز رأس بوجدور، وأستفاوو ألفونسو، وريكاردو ألفارو، وجوواوو اداياس، وجوواوو برنارد، فسار هذا الأسطول حتى وصل إلى مشارف بلاد شنقيط، فخاطبهم لانزاروت قائلا: إننا جئنا لخدمة الرب وخدمة سيدنا لينفانت [هانري الملاح]، وسيكون بمثابة فضيحة ألا تعود كل هذه السفن محملة بالبيضان، لقد علم هانري من خلال البيضان الذين جلبهم

---

[408] المصدر نفسه، ص113.

[409] المصدر نفسه، ص117.

إليه نينو اتريستاوو أنه توجد أمامنا جزيرة[410] يوجد فيها مخيم يضم نحو مائتي شخص، وأقترح أن ننزل خمسة زوارق نركب على متن كل زورق ستة أشخاص ليستكشفوا لنا هذه الجزيرة، فسارت الزوارق طيلة الليل ولم تصل إلى الجزيرة المذكورة إلا مع حلول الفجر، فارتأى البرتغاليون الذين كانوا على متن الزوارق أن يهاجموا المخيم رغم أن لانزاروت لم يكلفهم بذلك خشية أن يفطن لهم البيضان فيلوذون بالفرار. وشن البرتغاليون هجومهم المباغت على المخيم وهم يصرخون بأسماء قديسيهم واسم دولتهم: "سينت ياگو، سينت جورج، البرتغال"، فلاذ سكان المخيم الذين ذعروا بالفرار، وقاوم بعضهم، بينما رمى بعضهم بنفسه في البحر، وكانت نتيجة المعركة أسر 165 بيضانيا ما بين رجل وامرأة وطفل[411].

وأخذ لانزاروت في استجواب البيضان الأسرى، وعرف من خلالهم أن عددا من الجزر القريبة منهم آهلة بالسكان، فقرر مهاجمة هذه الجزر وأسر من أمكن أسره منهم لجلبهم كعبيد إلى البرتغال. وعندما أصبح الصباح، وكان ذلك اليوم يوم جمعة، ركب لانزاروت ومعه ثلاثون برتغاليا في خمسة زوارق وأخذوا معهم أسيرين من البيضان ليدلاهم على جزيرة تيدرة التي أخبراهم بأنها قريبة من هناك، وبأنها تضم نحو مائة وخمسين شخصا، فلما وصلوا إليها وجدوها خالية، فقد رحل سكانها طلبا للأمان عندما علموا بمهاجمة النصارى البرتغاليين للبيضان في آرگين وذهابهم بمن قدروا على أسره منهم.

ودل أحد الأسيرين البيضانيين البرتغاليين على وجود مخيم آخر قرب الشاطئ، فنزل لانزاروت مع أربعة عشر برتغاليا إلى البر فوجدوا قافلة من البيضان تضم تسعة أشخاص متجهة إلى تيدرة فهاجموها وأسروا كل من كان فيها من الرجال والنساء باستثناء رجل واحد تمكن من الفرار، فلما وصلوا إلى المخيم الذي كانوا يقصدون وجدوا الرجل الذي فر سبقهم إليه وأنذر سكانه فاعتصموا بربوة قريبة يحيط بها الماء

[410] ذكر النص البرتغالي أن اسمها نار.

[411] المصدر نفسه، ص120.

من كل جانب لا يمكن الوصول إليها إلا سباحة، ووجدوا قرب المخيم سبع أو ثمان نساء مختفيات فأسروهن وذهبوا بالجميع إلى زوارقهم حيث باتوا تلك الليلة.

وفي صباح السبت عاد البرتغاليون إلى البر بحثا عن بيضان آخرين، وبينما هم يفتشون المنطقة إذ رأوا جمعا من البيضان فاتجهوا إليهم، فهرب الرجال وأدركوا والأطفال والنساء فأسروهم وكانوا ثمانية عشر نفسا.

ورأى أحد الزوارق البرتغالية كان يقوده جوواوو بيرنارد عددا من البيضان يركبون أحواضا خشبية صغيرة فهرع إليهم بمن معه من البرتغاليين وقتل بعضهم بينما ألقى بعضهم بنفسه في البحر واستسلم له الباقون، فأخذ منهم أربعة عشر طفلا هم كل من اتسع لهم زورقه وترك الآخرين، وبلغ بذلك مجموع ما أخذه البرتغاليون من الأسرى خلال هذين اليومين ثمانية وأربعين شخصا.

وبعد يوم من الراحة عاد البرتغاليون إلى تيدرة بحثا عن أشخاص يأسرونهم، وتوغل منهم عشرون في البر فوجدوا أولا بيضانيين فأسروهما، ثم صادفوا قافلة من خمسة عشر حمارا موقرة بالأسماك معها عشرة من البيضان فتمكنوا من أسرهم، وبينما هم كذلك إذ رآوا جمعا من رجال البيضان يتجه نحوهم فرجعوا إلى زوارقهم هاربين بأسراهم، وتمكنوا من الانطلاق بعناء قبل وصول جمع البيضان إليهم.

وعاد الأسطول النصراني إلى البرتغال ومعه نحو 230 أسيرا بيضانيا وصل نصيب الأمير هانري الملاح منهم إلى 46 عبدا، بينما باع القباطنة بقية البيضان في أسواق العبيد بالبرتغال. وأعرب هانري الملاح عن سعادته بهذه الحملة ورغبته في أن يرى هؤلاء البيضان القادمين من أرض بعيدة لا تؤمن بالمسيح يعتنقون النصرانية[412].

وفي سنة 1445م (849هـ) جهز هانري الملاح حملة جديدة بقيادة گونسالو ديسينترا وطلب منه أن يواصل رحلته حتى يصل إلى نهر السينغال الذي تحدث له عنه أسرى البيضان، ويستكشف أحوال الزنوج الذين ذكر له البيضان أنهم يعيشون وراءه، فسار

[412] المصدر نفسه، ص128.

بمن معه حتى وصلوا إلى آرگين، وأسروا خمسين بيضانيا بصعوبة بالغة، وتقدموا إلى خليج أطلقوا عليه اسم سينت آناس، وأسروا عنده خمسة وثلاثين من البيضان، ثم واصلوا 80 فرسخا (320 كلم) حتى شارفوا على مصب نهر السينغال ولم يتمكنوا من النزول بسبب العواصف فعادوا إلى تيدرة حيث تحاربوا مع خمسين بيضانيا اعتقلوا بضعة آحاد منهم. وفي ما بين آرگين ومصب النهر وجدوا جزيرة فيها سلاحف في شراك فعلموا أن البيضان سيعودون إليها فكمنوا لهم، لكن البيضان الذين أصبحوا يتسلحون احتياطا قاوموهم ببسالة، وقتلوا قائد الحملة گونسالو ديسينترا، وتمكن الباقون من الهرب في سفنهم.

وقال لانزاروت لهانري الملاح إن البيضان الذين قتلوا گونسالو ديسينترا يشكلون مصدر تهديد للسفن البرتغالية، ملتمسا منه إرساله في حملة مسلحة لاستئصال شأفتهم، فوافق الأمير وتم تسليح 26 سفينة أنيطت قيادتها بلانزاروت، وعندما وصلت هذه السفن إلى آرگين شرعت في مهاجمة البيضان الذين استبسلوا في المقاومة، فلم يتمكن البرتغاليون من أسر أكثر من أربعة أشخاص منهم، وعاد البرتغاليون إلى البحر بعدما داخلهم الرعب من البيضان، غير أنهم قرروا عدم العودة بوفاض خاو، وتربصوا بالبيضان حتى تمكنوا من مهاجمة بعضهم على حين غرة فقتلوا ثمانية منهم وأسروا سبعة وخمسين. وتقدموا إلى تيدرة فأسروا خمسة آخرين. ثم عادت هذه الحملة إلى البرتغال باستثناء ست سفن واصل بها لانزاروت جنوبا لاستكشاف منطقة نهر السينغال. وهناك أسر لانزاروت شابا هو أول زنجي يأسره البرتغاليون، وأسروا معه أخته الصغرى وعادوا بهما إلى البرتغال، فأمر الأمير هانري الملاح بالاهتمام بهذا الشاب وتعليمه دين النصرانية.

وفي سنة 1446م (850هـ) أرسل هانري الملاح مركبين يقود الأول آنتاوو گونسالف ويقود الثاني اديوگو ألفونسو، ومعهما مركب ثالث أرسله الأمير دوم بيدرو الوصي على العرش وعلى متنه گوم بير رئيس باخرة الملك، وكانت مهمتهم تتلخص في محاولة التفاهم مع البيضان وعقد سلام معهم، من أجل إرساء أساس للتبادل التجاري

مع المنطقة، وعندما وصلوا إلى آرگين تركوا برتغاليا يدعى جواوو فيرناندس، كان يعرف العربية والبربرية، وكان راغبا في البقاء مع البيضان ليجمع معلومات عن المنطقة يتحف بها هانري الملاح الذي كان يمنح مكافآت كبيرة لكل من ينجح في مثل هذه المهمات، وذهب البرتغاليون في مقابله بعجوز بيضاني عبر عن استعداده للذهاب إلى البرتغال، فاستقبله هانري وأهدى له جملة من الهدايا، وسرحه عائدا إلى بلاد شنقيط[413].

وعاد آنتاوو گونسالف واثنان من رفاقه بعد سبعة أشهر إلى الشواطئ الشنقيطية في ثلاث سفن فاستعادوا فرناندس. وتاجر آنتاوو گونسالف خلال هذه الرحلة مع البيضان حيث اشترى أول دفعة من العبيد من زعيم محارب من البيضان[414]. وأسرت هذه السفينة خلال عودتها بالرأس الأبيض (ناحية انواذيبو) ستين بيضانيا ما بين رجل وامرأة وطفل[415].

وتواصلت المحاولات البرتغالية لتنظيم تجارة مستقرة مع البيضان في آرگين طيلة سنوات عديدة، ثم تمكنوا في النهاية من تنظيم تجارة مسالمة مع السكان، قادتهم بعد ذلك إلى بناء ميناء آرگين الذي سيعرف بأگادير دومه سنة 1494م/ 899 - 900هـ، ثم إلى تأسيس مركز تجاري قرب وادان بآگويدير على بعد 21 كم من وادان، في وقت أخذت فيه سفن أوروبية أخرى في مقدمتها السفن الإسبانية تصل إلى البلاد وتمارس نفس أشكال القرصنة والاختطاف التي كان يمارسها البرتغاليون في أول عهدهم ضد البيضان، فكان البيضان يستنجدون بالبرتغاليين لصد هؤلاء القراصنة.

وقد ترك لنا بعض من زاروا بلاد شنقيط خلال هذه الفترة من المستكشفين البرتغاليين، ثم من غيرهم من الأوروبيين، معلومات مهمة تتحدث عن بعض مظاهر الحياة في بلاد شنقيط إبان الانتشار الحساني بها.

---

[413] المصدر نفسه، ص134.

[414] يدعى هذا البيضاني حسب النص آحود ميمان.

[415] المصدر نفسه، ص138.

1- وصف المستكشف فالانتيه فرناندس:

فممن وصف البلاد خلال هذه الفترة المستكشف البرتغالي فالانتيه فرناندس الذي كتب وصفا لبعض مناطق بلاد شنقيط (في ما بين 913هـ و914هـ/ 1506م و1507م) فذكر جزيرة آرگين، وقال: «إنه يوجد بها سبعين منزلا للبيضان تحيط بالقلعة التي يوجد بها حصن ملك البرتغال، حيث يتم التبادل التجاري بين البرتغاليين والبيضان الذين يبيعون لهم العبيد والصمغ وبيض النعام وجلود اللمط (الورگ) إضافة إلى الإبل والبقر والغنم.

وفي البر المقابل لجزيرة آرگين تمتد أرض الودايا (بني أدي) محاذية للشاطئ حتى نهر صنهاجة (نهر السينغال)، وسكان هذا الجانب من النهر (الجانب الشمالي) بيض، أما سكان الجانب الآخر فسود.

وتشمل أرض الودايا جبل بافور حيث توجد أربع مدن هي: وادان، وشنقيط، وتينيگي، وقرية تسمى فاره (لعلها فيرني القريبة من وادان). وهناك مدينة مهجورة -قرب وادان- تدعى بيرو (أو بيم ولعلها القصر الخالي) بها بقايا عمارات وقصور جرفتها السيول.

ووادان التي يبلغ سكانها 400 نسمة من أهم مدن الجبل، ولها مكانتها التاريخية كمحطة للقوافل التي تنقل الملح من كدية الجل (بدأ استغلال الملح فيها خلال القرن السادس للهجرة/ 12م من قبل مسوفة) إلى تيشيت التي تبعد عن وادان مسيرة سبعة أيام، ويباع فيها الملح بضعف ثمنه في وادان.

ويفد إلى تيشيت تجار ولاته التي تبعد عنه مسيرة ثمانية أيام. وولاته مدينة كبيرة تقع على حدود بلاد السودان وأهلها مسلمون. وبولاته ملكان أحدهما أبيض، والآخر أسود.. وفي هذه المدينة يقطن يهود أثرياء جدا.

ومن ولاته يحمل الملح إلى تنبكتو التي تفصلها عنه مسافة نصف شهر. وهي مدينة بالغة الأهمية، والتجارة فيها مزدهرة لأن الملح فيها يقايض بالذهب.

وتتاخم أرض الودايا من الشرق أرض البرابيش، وبين القبيلتين حروب متصلة.
وتحاد منطقة البرابيش منطقة الرحامنة، وتحد الأخيرة منطقة فسيحة الأرجاء تسمى منطقة أولاد أعمر، والحرب دائمة بين الرحامنة وأولاد أعمر.
ويفرض العرب (الحسانيون) سيطرتهم على قسمي البلاد الآخرين: أزناگه والزگرنيون (إيزگارن)، ويغتصبون منهم ممتلكاتهم كما لو كانت وديعة لديهم. وإذا نزلوا عليهم ضيوفا أكرموهم، ولا يلبس أزناگه إلا الجلود لأنهم إذا اقتنوا ثيابا من القماش تعرضوا لاغتصابها من طرف العرب.
ومن أزناگه قسم يسمى الشجمنيين (وهم صيادو الأسماك بالصنهاجية)، والعرب يضطهدونهم اضطهادا شديدا، ويأكلون ما يجدون لديهم، ويسخرون بعضهم في رعي جمالهم وعلاج عبيدهم حتى يعودوا إليهم، وإذا امتنعوا ضربوهم.
وأزناگه المقيمون في عمق البلاد وديعون، ومضيافون، ولا يحاربون إلا دفاعا عن النفس، وهم تجار نشيطون يجلبون الخيول من آسفي (بالمغرب) فيقايضونها في چلف (بالسنغال) بالعبيد الذين يبيعونهم للبرتغاليين في آرگين مقابل القمح والأقمشة.
ويدفع أزناگه إتاوات (مغارم) للودايا (أولاد أودي)، وهذه الإتاوات هي سبب الحروب المستمرة بين الودايا والبرابيش الذين يريدون أن يكون لهم حظ من هذه الإتاوات[416]».

2- وصف المستكشف باتشيكو بيريرا:

وكتب البرتغالي باتشيكو بيريرا (912هـ/ 914هـ- 1506م/ 1508م) يصف الاستقبال الصعب الذي خص به سكان وادان الموظفين البرتغاليين: «توجد مدينة تسمى أودم (وادان) آهلة بالأزنيك ذوي اللون الأسمر، وتأوي هذه المدينة 300 أسرة تقريبا، وسكانها مسلمون يتبعون الطائفة المحمدية ويدعون آزارزيگي (انيرزيگ). وفي

[416] قمنا بالتصرف في النص مع الالتزام بحرفيته، عن ترجمة المختار بن حامدن. وفالانتينه فيرناندس برتغالي ألماني الأصل كان يقيم في لشبونه. المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص84-92.

مدينة أودم (وادان) هذه تنشط تجارة الذهب المجلوب من غينيا عن طريق البر...، وسبق أن كان للملك الراحل دوم جوهام الثاني عامل من رجاله يسمى رودريگو رينل، واستقبل هذا الأخير من طرف هؤلاء الأزنيك السيئين استقبالا سيئا أجبره على العودة إلى البرتغال. ولم يتمكن من السفر إلا بعد عناء شديد، ومخاطرة بشخصه وتكاليف باهظة[417]».

3- وصف المستكشف كاداموستا:

وفي نفس التاريخ كتب كاداموستو البرتغالي (913هـ/ 1507م): «لا بد أيضا أن تعلموا بوجود مكان يسمى هودن (وادان) خلف الرأس الأبيض، داخل الأراضي على مسافة ستة أيام للجمال تقريبا. هذا المكان غير محصن لكنه وكر للعرب، ومحطة تؤمها القوافل القادمة من تومبوتو (تنبكتو) وغيرها من أرض الزنوج للوصول إلى هذا الطرف من بلاد البربر...، إنهم أناس سمر، ويرتدون نوعا من العباءات البيضاء محفوفة بالأحمر، ونساؤهم يلبسن نفس اللباس دون قمصان، ويضع الرجال قطعة قماش على طريقة الموريسكيين، وهم دائما حفاة، وفي هذه المناطق الرملية يوجد الكثير من السباع والفهود والنعام[418]».

4- وصف المستكشف اليون آفريكان:

كما كتب اليون آفريكان (حسن الوزان)[419] الذي زار المنطقة بين 926هـ/ 932هـ- 1520م/ 1525م أن «أولاد دليم يتمركزون في الصحراء الغربية، ويترددون على

---

[417] ايبير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص20-22. وما بين قوسين توضيح من طرفنا.

[418] المرجع نفسه، ص22 . وما بين قوسين توضيح من طرفنا.

[419] هو موريسيكي من أصل زناتي ولد في غرناطه حوالي 888هـ 1483م، وخدم في البلاط الوطاسي بالمغرب، وانتهى به الأمر أسيرا من طرف القراصنة الإيطاليين الذين أهدوه إلى البابا اليون العاشر، فأظهر اعتناق المسيحية وتسمى بجان ليون ليسلم من الأسر. راجع مقدمة طبعة دار الغرب الإسلامي المعتمدة في هذا الكتاب.

درعة للتبادل التجاري، وهم يمارسون السلب على نطاق واسع، وأن أعدادهم كثيرة بحيث يمكنهم حشد عشرة آلاف مقاتل منهم أربعمائة فارس[420]». وقال: «إن البرابيش يسكنون أيضا صحراء ليبيا (يقصد صحراء شنقيط) في قسمها الموالي لإقليم السوس وهم كثيرون وضعفاء، ولكن لديهم كثير من الإبل ويحكمون تيشيت.. وتقطن الأودية (الودايا) الصحاري الواقعة بين وادان وولاته ويبسطون نفوذهم على السودانيين، ولا يكاد يحصى عددهم ويقدر المقاتلون منهم بسبعين ألف رجل لكن ليس لهم إلا عدد قليل من الخيل.. ويسيطر الرحامنة على الصحراء المجاورة بأقا، وكذلك على تيشيت التي اعتادوا الذهاب إليها كل شتاء، وخيولهم أيضا قليلة.. وتسكن أحمر (أولاد أعمر) صحراء تگانوت (تگانت)، ويتلقون بعض الإعانات المالية من سكان قرية تگاووست (بالمغرب)، ويتنقلون في الصحراء إلى واد نون. ويبلغ عدد محاربيهم نحو ثمانية آلاف رجل[421]». ووصف ولاته بأنها «مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان، فليس بها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة وأخصاص متفرقة بين حدائق النخل.. ونمط معيشة أهل ولاته كنمط وعادات جيرانهم القاطنين بالصحراء[422]»، بينما وصف تيشيت بأنها «مدينة صغيرة بناها النوميديون في تخوم صحراء ليبيا (يقصد صحراء بلاد شنقيط)، سورها مبني بالآجر النيء.. ولا يحيط بها سوى بادية رملية، ولو أنه يوجد في الواقع قرب المدينة مسافة صغيرة صالحة للحرث مغروسة بالنخيل، وأخرى يزرع فيها شعير ودخن يسد بهما السكان المساكين رمقهم. ويؤدي هؤلاء القوم إتاوة كبيرة للأعراب المجاورين لهم بالصحراء، ويقومون برحلات تجارية إلى بلاد السودان وجزولة حاملين معهم سلعهم.. وهم قبيحو المنظر سود البشرة تقريبا، لا

---

[420] حسن الوزان، مرجع سبق ذكره، بتصرف، ص115. وقد أضفنا ما بين قوسين توضيحا للنص أو تصحيحا كما في مواقع انتشار الوداية فقد عد من مواقعهم مواقع الرحامنة وأولاد أعمر الذين اختلط عليه أمرهم، كما اختلط عليه أمر ذوي عبيد الله وذوي منصور.

[421] المرجع نفسه، ص115 - 116.

[422] المرجع نفسه، ص161 - 162.

ثقافة لهم، بل النساء هن اللاتي يتعلمن ويقمن بدور معلمات المدارس للبنات والبنين. وعندما يبلغ الصبيان الثانية عشرة من عمرهم يستخدمهم آباؤهم في ممتلكاتهم إما لاستخراج الماء من البئر للسقي، وإما لقلب الأرض، والنساء أكثر سمنا وبياضا من الرجال.. والفقر هنا من نصيب الجميع[423]».

ووصف اليون آفريكان وادان بأنها «قرية في صحراء نوميديا المتاخمة لليبيا (يقصد صحراء بلاد شنقيط)، يسكنها قوم خشنون فقراء، لا ينبت فيها غير قليل من التمر، ولا موارد للسكان الذين يعيشون فيها شبه عراة، ولا قدرة لهم على مغادرة قريتهم بسبب عداوة جيرانهم، وهم يتعاطون الصيد بواسطة مصايد، ويقنصون وحوش هذه المناطق كاللمت والنعام، وليس عندهم غير لحم هذه الحيوانات. وهم يملكون بعض الماعز التي يحتفظون بها من أجل لبنها، ولون بشرتهم أقرب إلى السواد منه إلى البياض[424]».

5- وثائق برتغالية أخرى تحدثت عن البلاد:

وفي سنوات 956هـ-960هـ (1549- 1552م) دلت وثائق تجارية برتغالية تعود لتلك الفترة على أن السكان كانوا يعانون باستمرار من اختطاف أبنائهم ونسائهم من طرف القراصنة الإسبان، وذكرت إحدى الوثائق أن شيخ انيرزيگ وعد البرتغاليين سنة 1549م (956هـ) بأن يجمع لهم الودايا ألف بقرة إذا حارب معهم ملك البرتغال القراصنة الإسبان[425]. وفي سنة 958هـ (1551م) ذكرت وثيقة أخرى أن انيرزيگ كانوا يسيرون القوافل من أگادير دومه (ميناء آرگين) باتجاه نهر السينغال، وأن اسم دومه يعود إلى ملك انيرزيگ في ذلك العهد، وأن هذا الملك حمى مجموعة من

---

[423] المرجع نفسه، ص115-116.

[424] المرجع نفسه، ص116.

[425] وثيقة برتغالية بحوزة يحيى بن البراء.

اليهود التجار قدموا من أگادير بالمغرب عبر البر ببضائع وأقمشة أجود من البضائع والأقمشة البرتغالية فباعوها بقلعة أگادير دومه[426].

6- وصف المستكشف مارمول:

وبعد هذا التاريخ بعقود كتب الإسباني مارمول كربخال[427] سنة 979هـ/ 1571م الذي رافق الشريف محمد السعدي إلى وادان يصف هذه المدينة: «وادان بلدة كبيرة ليس لها أسوار، تقع على حدود صنهاجة، سكانها فقراء لكنهم يتميزون بخشونتهم وعنفهم، لا يملكون ما يقتاتون به سوى قليل من التمر، يكادون يخرجون عراة من جراء الفاقة، ولا يبرحون بيوتهم إلا قليلا، نظرا لما بينهم وبين جيرانهم من عداوة وبغضاء، فيخشون أن يتعرضوا لبطشهم، وهم يتدربون على عمليات الصيد فيقنصون النعامة واللمط فيأكلون لحومهما، ويتعاطون تربية الماعز لأنهم يتغذون بألبانها، لونهم إلى السواد أقرب منه إلى السمرة، ولا محيد لهم عن الولاء لأعراب الأوداية (الودايا) المهيمنين على الصحراء، التي تشمل البلدة وتمتد إلى تخوم مملكة ولاتة، التي يخضع أميرها الزنجي نفسه إلى نفوذ هؤلاء الأعراب، فيدفع لهم إتاوة سنوية.. ويتوفر بعض سكان وادان على خيول قليلة تشرب لبن الإبل بدل الماء، وتتبع النوق كلما أحست بالعطش. وقد كنا في هذه البلدة مع الشريف محمد ملك سوس الذي كان يتأهب لشن هجوم مع الأعراب على الزنوج وغيرهم من أقوام الصحراء، وفي تلك الأثناء علمنا أن الملك البرتغالي خوان الثاني تعاقد مع حاكم البلدة ليشتركا في عملية

---

[426] وثيقة برتغالية بحوزة يحي بن البراء.

[427] ولد مارمول كربخال بغرناطة بإسبانيا في أوائل القرن السادس عشر للميلاد، وسار في جيش الامبراطور شرلكان الذي غزا تونس سنة 942هـ 1535م، ثم بقي في شمال إفريقيا لتنفيذ مهمة كلفه بها الامبراطور، وأقام بالمنطقة 22 سنة أسر خلالها من طرف السعديين بالمغرب ومكث في أسرهم سبع سنوات وثمانية أشهر يسير في ركابهم حيث ساروا.

التجارة بمدينة أرگوين (آرگين) الموجودة غربا على مسافة ستين فرسخا (نحو 332كلم) من وادان[428]».

ووصف مارمول قرية تيشيت التي قال بأنها «بناها البرابر في المنطقة التي يوجد فيها البرابيش والأوداية وصنهاجة.. لكنها خالية من أي رواج تجاري.. والأعراب وغيرهم من المستوطنين بهذه المنطقة يدينون بالولاء للملوك [السعديين] الشرفاء. وتحيط بتيست (تيشيت) مساحات رملية باستثناء بعض الواحات التي تنتج التمر والزيتون والذرة، وبذلك يقتات الأهالي، وتيست (تيشيت) هي كذلك مقر الوالي الذي عينه ملك مراكش، ووضع تحت تصرفه حامية للسهر على سلامة السكان وحمايتهم من هجمات الأعراب الذين كانوا من قبل يفرضون عليهم إتاوة هامة. أما في هذا العهد فإنهم أخذوا يمارسون التجارة مع أهل جزولة والأوداية.. والنساء يشتهرن هناك بحفظ القرآن، وبالإلمام بشؤون الدين، فيعلمن الأطفال الكتابة والقراءة، ويقمن بتلقينهم مبادئ دينهم، وعندما يبلغ الأولاد الذكور سن الرشد يتخلون عن الدراسة ويقبلون على التجارة أو على الأعمال اليدوية. وإلى جانب القيام بالتدريس تنكب النساء هناك على غزل الصوف والأوبار، لكن النساء الأخريات لا يشتغلن لذلك ترى الفقر يعم البيوت، ولا يتوفر القوت إلا للقليل من السكان، ولو كان بعضهم يملك قطيعا من الشياه أو الماعز، أما الفلاحون فإنهم يربطون الحصان مع الجمل لحرث الأرض لأنهم لا يملكون البقر، وأخيرا نقول إن بشرة الرجال سمراء وبشرة النساء بيضاء[429]».

---

[428] مارمول، مرجع سبق ذكره، ج3، ص142.

[429] المرجع نفسه، ص141 بتصرف يسير. وقد ظن مترجمو النص (محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر وأحمد التوفيق) أن الأمر يتعلق بمدينة على مقربة من وادي درعة فقالوا في الهامش: ربما يقصد بها قرية أسا. لأن مارمول كتبها بالسين وقال في بعض مواضع كتابه: «ونشير إلى أن منطقة نون توجد بين تيست والبحر»، وعلى هذا توكأ عدد من الباحثين لمخافة الوقوع في الخطأ الذي حدث للبعض مع رحلة المولى إسماعيل العلوي حيث اعتقد أنه وصل إلى تيشيت في حين أن المقصود في المراجع كان قرية مغربية تدعى تينيسيت. لكن نقل مارمول الحرفي لوصف اليون آفريكان لتيشيت يبين أنها هي المقصود عنده وإن كتبها بالسين في ذلك المحل، حيث يذكر محققو الكتابين أن مارمول كان ينقل حرفيا

ووصف مارمول ولاته بأنها «مملكة بربرية صحراوية تتاخم غينيا جنوبا، وتقابل صنهاجة شمالا.. وتتميز القبائل المتواجدة وسط المملكة بنوع من الخشونة الخلقية، وإن كانت لا تخلو من بعض الشيم الحسنة، ويتلثم رجال ونساء هذه القبائل، ولا يوجد من بينهم قضاة، وليس لهم شعراء وأدباء، وأغلبهم يعانون من شظف العيش.. ولا يوجد في مملكة ولاته إلا ثلاث قرى.. وفي عهد الملك سني عالي تحول محور المعاملات التجارية إلى گاوه وتنبكتو فأصبحت مملكة ولاته أكثر فقرا مما كانت عليه، ويتحدث شعوب ولاته بلغة الزكاي (السونگاي)، ولما استولى ملك تنبكتو على هذه الديار فر أميرها إلى أعماق الصحراء، ولكن سني عالي أمنه ورد إليه شؤون مملكته مقابل إتاوة سنوية[430]».

وتحدث مارمول عن عرب بني حسان قائلا: «يعيش [بنو] دليم في صحاري ليبيا (يقصد الصحراء الشنقيطية) مع الصنهاجيين الأفارقة، وحيث إنهم لايملكون شيئا خاصا بهم ولا يمكنهم الحصول على أي إتاوة من أحد، لذلك فإنهم يعيشون عيشة بائسة.. ويأتي هؤلاء الأعراب عادة إلى إقليم درعة ليبادلوا المواشي بالتمر مرتدين لباسا رديئا، ويبلغ عددهم خمسمائة فارس وتسعة آلاف وخمسمائة راجل. ويقيم البرابيش كذلك في صحاري ليبيا باتجاه السوس الأقصى الواقع في طرف مملكة مراكش، وهم عديدون ولكنهم فقراء، مع أنهم يملكون كمية وافرة من الإبل، وكانوا في القديم سادة مدينة نوميديا (تيشيت)، إلا أن ما كانوا يحصلون عليه منها لم يكن يكفي حتى لبيطرة خيولهم، وهذه المدينة الآن في ملك الشريف [السعدي]، وهم في فاقة شديدة رغم أن عددهم يفوق خمسين ألف محارب، من بينهم سبعمائة فارس. ويقطن الأوداية في الصحاري بين وادان وولاته، وهم سادة وادان، ولحد الآن فإن ملك ولاته يؤدي لهم [الإتاوة]. وكان الرحامنة يعيشون في صحراء أقا ولهم أراضي كثيرة، ويأتون في الشتاء إلى تيشيت، وكان عددهم قديما يفوق عشرة آلاف محارب من بينهم سبعمائة

فقرات كثيرة من كتاب اليون آفريكان، كما يبين مارمول نفسه في مكان آخر من كتابه (الصفحة 107 من الجزء الأول) عند حديثه عن تفريعات بني حسان أن المقصود عنده هنا تيشيت وليس غيرها، كما سيرد قريبا في النص أعلاه.

[430] المرجع نفسه، ص198 بتصرف يسير.

فـارس، لكـن الشـريف (محمـد الشـيخ) الـذي سـاعدوه في الاسـتيلاء علـى تيشـيت ونواحيها كافأهم بنقلهم مع كل من كانوا معهم وأسكنهم إقليم تامسنا (بين مـراكش وسلا) بمملكة فاس، حيث هلكوا جميعا في وقعة ضد أبي حسون الوطاسي..[431]».

وتحدث مارمول عن صنهاجة فقال «بأنهم أقدم سكان هذه البلاد وأكثرهم نبلا وشـرفا، وبعدما شيد البرتغاليون برج أرگوين (آرگين) أخذوا يزودون أهالي صنهاجة بـالحبوب، لكن هؤلاء الصحراويين شرعوا يأكلونها كما يأكل الناس الحمص، وينبت النخيـل في بعض الجهات الصـحراوية، ولكنـه نـادر، كمـا ينبـت فيهـا نـوع مـن الشـجر هزيـل الأغصـان والأوراق، وكـثير الشـبه بشـجر نجـده في إسـبانيا، ويسـميه الإسـبان تـين جهنم[432]».

[431] المرجع نفسه، ص107 بتصرف يسير.
[432] المرجع نفسه، ص180.

ملامح سكانية جديدة للبلاد

1- تلاشي الأجناس السكانية القديمة:

أدت فترة السيبة التي عاشتها البلاد، وكذلك الهجرات المتلاحقة التي شهدتها، خلال العصر الوسيط، إلى تلاشي العديد من القبائل القديمة أو تفرقها في الأنحاء، بعدما استنزفتها التحولات الاجتماعية القوية وأكلتها الحروب أو النزحات المتلاحقة إلى السينغال ومالي، فلم يعد بالبلاد أي أثر للأجناس السكانية القديمة التي سبقت مقدم الملثمين، باستثناء بقايا من أغرمان أو بافور أو إيزگارن اندمجت في التشكيلات الصنهاجية أو الحسانية التي أصبحت تتوزع البلاد. بينما انحصرت بقايا القبائل الزنجية السوننكية والفلانية والتكرورية على التخوم الجنوبية أو الجنوبية الشرقية للبلاد، وتلاشت قبائل السيرير من البلاد نهائيا، كما تلاشت جل المسميات القديمة التي كانت تعرف بها المجموعات السوننكية ككَنكَاره وونگاره والمالينكى[433]، وحلت محلها أسماء العائلات المتداولة اليوم. فمن بقية المجموعات السوننكية التي ما تزال موجودة حتى الآن بالبلاد عائلة سوماري الخارجة من غانه سنة 1240م (636هـ) في عهد سندياتا وهم من أقدم سرغلات گيدي ماغه، وعائلات كمرا، وكيتا، واديابيرا، وسيسى، وتانديا وهم من أهل غانه المعروفين بتنگاليمو، ويذكرون أن أصلهم من واگادو، وسوخنا وأصلهم من جافنه، وكيسيما وغيرهم[434].

أما القبائل الفلانية فتعود أصولها إلى أربعة: جلو، وباري، وسوه (صو)، وباه (به)، ولها تفريعات كثيرة من أمهاتها: ياللبه وهم أوروبه منهم الدينانكوبيون ولقبهم عموما به (باه)، ودابه ولقبهم في الغالب سوه (صو)، ويرلابه ولقبهم جلو غالبا، وهابوبه وأكثر ألقابهم باري، وفي كل قبيلة من قبائل الفلان يوجد بعض ألقاب الفلان الأخرى

[433] هذه المسميات عائدة إلى حرفة هذه المجموعات كما قال صاحب الفتاش، فالمالنكى هم الجنود، وونگاره هم التجار.

[434] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص34، والجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص121.

بسبب اختلاطهم بعضهم ببعض، «ومؤرخو الفلان يصيرون قبائل الفلان الأربع إلى قبيلتين فقط هما أوروبه (أوروربه) ولقبهم به وجلو منهم أصلا وفرعا، وجلو هو لقب أرطات (أمراء) جاوبه الأولين الذين هم يرلابه الذين كانوا أمراء الفلان كلهم، ووطابه ولقبهم سوه (صو) وباري منهم أصلا وفرعا[435]».

وتلاشى عدد كبير من قبائل وفروع صنهاجة نفسها، فلم يبق منها إلا قبائل محدودة مشهورة بالانتساب إلى الارستقراطية اللمتونية، أو قبيلة واحدة تمثل أرستقراطية مسوفة هي قبيلة مشظوف، أو بقايا متفرقة قليلة من قبيلة گدالة، ومنهم من عبر النهر فاندمج في التشكيلات الزنجية كما تبين أصداء الروايات التاريخية لقبائل الزنوج التي تعتبر أن أصل لقب انگيدى الزنجي قبيلة انگادس الصنهاجية، وأصل لقب گانديگا الزنجي قبيلة تاگه التي تنتسب إلى أنباط بيلگه الصنهاجيين، حسب الشيخ موسى كمرا الذي ذكر أيضا أن جاووبه يزعمون بأنهم من إيچكوچي، وأن تاگه يزعمون أنهم من أنباط بيلگه، وأن هندربه من تاگه، وأن رانگابه يزعمون أنهم ولادم عصبة واحدة من لمتونة، وأن بعض أوروربه يزعمون أنهم من التوابير[436]. ولا تزال الروايات تحتفظ بأصداء عن هجرة قبيلة إيدوالحاج والقبائل المسوفية المرتبطة بها ككولانه، وتفرله، وجخنبه، وتامگونه (تامگنيت)، الذين كانوا من سكان وادان قديما، ونزحوا إلى تيگماطين قبل أن يعبر أغلبهم النهر ويستقروا في السينغال، حيث تعرف اليوم هناك فروع من إيدوالحاج بسوگوفاره، ودرمنكور، وهم مؤسسو قرية غديل (جواليا) في كايور، ولقبهم هناك آمر، كما تعرف قبيلتا تامگونه هناك بگومبولا، وجخنبه بجخنبا، وكانتا قد نزحتا إلى كايور أيام الملك لات سوكابي (ق11هـ/ 17م). وحسب مذكرة مخصصة لتاريخ إيدوالحاج فإن أولاد محمد بن الحاج عثمان في السينغال هم الذين يعرفون بسوگوفارا، وأولاد إبراهيم بن الحاج عثمان يعرفون بجخنبه، وأولاد الصايم يعرفون بتورى درمنكور،

---

[435] موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص142.

[436] الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص173و 222.

وإيدياقب يعرفون بتانديا، وتفتله يعرفون بسادي، وتامگونه يعرفون بگومبولا[437]. وكان الزنوج جنوب النهر يقاسمون الجاليات البيضانية التي تندمج فيهم ألقابهم، فقد أطلقوا لقب افال على أولاد أحمد بن دامان وتندغة وإكمليلن، ولقب چنگ على أولاد ديمان، وچاخاتي على أولاد أبييري، وبابيه على تجكانت، وسيبى على الاغلال، وحيدرة على إيدوعلي وسائر الشرفاء.

والقبائل الصنهاجية التي جازت إلى السينغال أو مالي واندمجت في الزنوج أو تلاشت كثيرة منها أيدنان التي هاجرت إلى مالي، وإيدغمايه، وتاوداغست، وجاران، وباران، وإيدگتمضه، وإيداه مغر، وإيداوود[438]، وهرگه، وترگله، وأواش، وإيگروطن، وأهل بلحمر...إلخ.

وأدت التحولات الاجتماعية والسياسية العميقة التي رافقت انتشار بني حسان في بلاد شنقيط واختلاطهم بقبائل صنهاجة إلى صهر المجموعتين البشريتين في بوتقة واحدة أدت في النهاية إلى نشوء أمة مندمجة ذات طبيعة واحدة، ولغة واحدة، وعادات واحدة، تدعى اليوم بالبيضان، وتدعى بلادها بلاد البيضان.

وساعدت الحسانية (لهجة عربية هلالية) لغة بني حسان الوافدين، بسبب تفوقهم الحربي وانتمائهم للأصل العربي، في توطيد وتعميق الاندماج بين مختلف أعراق أمة كانت القبائل الصنهاجية فيها قد أخذت تقبل على تعلم العربية والعلوم الدينية، وتحرص على الاستظهار بانتسابها الحميري، بينما كانت مجموعاتها السكانية الأخرى

---

[437] يذكر الشيخ التراد بن سيري في مذكرته "إيدوالحاج الترارزة" شواهد على هجرة قديمة لإيدوالحاج إلى السينغال، وقد تحدث نقلا عن الرائد الفرنسي گادن عن المختار امبي الحاجي مؤسس قرية گدانياندول في كايور إبان حكم عماري انگور (1549م- 1593م)، ص22-23.

[438] حالفت بقية إداوود أولاد سيدي الفالي (أولاد ديمان)، وكان منهم مودي بارالذي زوجه الكوري بن سيدي الفالي بجاريته الغلاوية، وأصلها أن الكوري بينما هو يوما بإيسنغان (كايور) إذ مرت به جارية جميلة ومعها أمة، فسأل الأمة التي معها عن شأنها فقالت له إنها أمها، وإن أباها سيدي المختار الغلاوي المعروف بالمقدم، وإن زوجته العلوية غارت عليهما فنفتهما إلى إيسنغان. ففداها الكوري وقدم بها إلى أهله، وأرسل إلى المقدم الغلاوي بخبرها، فأعرض المقدم عنها، وقال له: شأنك بها، فكفلها الكوري على أنها إحدى إمائه. ثم زوجها لمودي بار الإداوودي فولدت له أولادا، ثم إن الكوري لم يزل يطالب بنيها بالرق حتى افتدوا منه بحرث "اعوينات إيشنكاط". ورقات والد في الأنساب، مصدر سبق ذكره، ص8.

تعمل على طمس هوياتها القديمة وانتحال الهوية العربية التي يحظى المنتمون إليها بتقدير السكان الأصليين. وهكذا شهدت البلاد موجة تعرب شاملة ظلت تترسخ طيلة العصور التي أعقبت مقدم بني حسان حتى أدت في النهاية إلى اندثار اللسان الصنهاجي إلا من جيوب قليلة في جنوب غرب بلاد شنقيط. وتقاسم البيضان نفس الهوية، فأصبحت كل قبيلة من قبائل البيضان سواء كانت صنهاجية أو حسانية، تحرص على الاستظهار بنسب عربي (حميري أو قرشي أو أنصاري) صحيح أو منتحل تحتفظ به وتدافع عنه، كما تقاسموا بقسميهم الصنهاجي والحساني نفس التراتبية الوظيفية الاجتماعية، ففي كل من القسمين وجد زوايا وعرب ولحمة.

والزوايا تطلق في عرف أهل هذا القطر على القبائل المشتغلة بالعلم، وربما أطلق عليهم لفظ الطلبة كذلك، كما أن العرب في عرف البيضان تعني القبائل التي تمتهن الغزو دون غيرها، بينما تعني لفظة اللحمة القبائل المشتغلة بالرعي والتنمية، وربما أطلق عليهم لفظ آزناگه، ولو لم يكونوا من أصول "أزناگية"، فلفظة أزناگه في عرف أهل هذا القطر ذات مدلولين؛ مدلول سلالي بمعنى صنهاجي، ومدلول وظيفي خاص باللحمة بمعنى غارم. كما أن للفظة العرب مدلولين: مدلولا سلاليا يخص المنحدرين من أصول عربية، وآخر وظيفيا يشمل كل القبائل المحاربة، وهكذا تعني التزاويت في عرفهم الاشتغال بالعلم بغض النظر عن الأصل. وكان من يتجه إلى الزوايا من القبائل التي اشتهرت بالغزو يسمى تائبا أو مهاجرا، ويصبح زاويا ولو كان حساني الأصل. كما أن كل من يتجه إلى السلاح ويحارب يسمى عربيا، ولو كان صنهاجي الأصل. أما المغارم فكل من انهزم وخضع لها حتى فقد عصبيته الأولى فهو أزناگي أو لحمي ولو كان من أصل حساني. والأصل في كلمة "اللحمي" لحمة الثوب، وذلك أن جباة المغارم من الحسانيين وغيرهم كانوا يسمون من يحالفهم ويدفع إليهم المغرم مقابل حمايته لهم بالصاحب أحيانا وباللحمي أحيانا معبرين عن كونه لحمة معه بما يجعل التعدي على "اللحمي" تعد على الملتحم به. وتقول الرواية الشفهية إن أبا بكر بن عامر هو السبب الأول في التقسيم الفئوي للمجتمع الشنقيطي، فقد قسم أهل

دولته إلى ثلاثة أقسام: قسم يتولى الجهاد، وقسم يتولى التعليم، وقسم يتولى التنمية، فلما جاء بنو حسان وظفوا المغارم على ذوى التنمية، وتركوا من أهل العلم من اشتهر بالصلاح أو انعزل عنهم في زاويته ولم يتعرض لهم، وقاتلوا ذوي الشوكة منهم فمن هزموه غرموه كما يفعلون باللحمة أو بمن استضعفوا من الزوايا، ومن أعجزهم من أهل الشوكة من الصنهاجيين كما وقع لهم مع إيدوعيش أولا ثم مع مشظوف ثانيا كان في مصاف أنظاره من عرب بني حسان، وإذا غلبت فئة من بني حسان فئة أخرى فرضت عليها من المغارم مثل ما تفرض على المغلوب من صنهاجة سواء بسواء، فلذلك يوجد من قبائل وعائلات اللحمة من أصله حساني.

وكانت في المجتمع الشنقيطي فئات أخرى أقل عددا من الفئات الثلاث السابقة، منها فئة "المعلمين" وهم الصناع، وهي عبارة عن عائلات موزعة بين عموم القبائل لاسيما الزاوية منها وتمتهن الصناعة التقليدية، وأصولها العرقية شتى، ومنها فئة إيگاون (المغنون) وأغلب ما يكونون مع العرب واشتغالهم بالغناء، وأصولهم العرقية شتى كذلك. والحراطين وهي كلمة أمازيغية (أهرضنن) كانت في الأصل تطلق على مجموعات إيزگارن الأمازيغية التي كانت تمتهن الزراعة، ولم يسبق عليها أي رق[439]. ثم توسع مفهوم الحرطاني مع تشكل المجتمع البيضاني إبان قدوم بني حسان ليدل على البيضان المنحدرين من أصول سودانية أو أي رقيق تحرر من الرق. قال المختار بن حامدن: «ومن طبقات المجتمع تكونت الأقسام الاجتماعية الآتي ذكرها: قسم ذوو شوكة وسلاح يسمون بالعرب، وهم بنو حسان المذكورون، ومن سار بسيرتهم من حمل السلاح وتعود الكفاح من أحفاد المرابطين وغيرهم، وقسم يقومون بالخطط الدينية من تعلم وتعليم وقضاء وهم الزوايا، وقسم غارمون يسمون باللحمة تشبيها بلحمة الثوب وهي ما ينسج عرضا وخلافها السدى وهو ما يمد طولا في النسج، وذلك لأنهم

[439] وقد تكلف البعض لكلمة "حرطاني" ذات الأصل الأمازيغي (أهرضنن) معنى حسانيا فجعلها محرفة عن "حر ثاني" أو "حر طاري".

كانوا يعطون الزكوات والإعانات للمجاهدين والمعلمين، فكأن الجهاد والتعليم إسداء، والإعانة لحمة له. ثم انسحب اللقب على الغارمين لذوي الشوكة. ويضاف إلى هذه الأقسام قسم يحترفون الموسيقي ويسمون الشعار أو إيگاون، وقسم يحترفون بالحدادة والنجارة وتحترف نساؤهم بالخزازة والصناعة وهم الصناع أو المعلمون، ثم العبيد والموالي العتقاء[440]».

2- السلالات الأساسية لقبائل البيضان وتفريعاتها:

تنقسم السلالات الأساسية لقبائل البيضان، التي تشكلت أو أعادت تشكلها مع مقدم بني حسان، من حيث الانتساب إلى أربع مجموعات رئيسية: قبائل تنتسب إلى قبائل صنهاجة الثلاث المشهورة (لمتونة ومسوفة وگدالة) ذات الأصل الحميري، وقبائل تستظهر بالنسب الشريف، أو تنتمي إلى النسب القرشي أو الأنصاري، وقبائل بني حسان الوافدة التي تنتسب إلى المحتد الجعفري الهاشمي.

أولا- القبائل المنتسبة إلى أصول صنهاجية:

فممن ينتسب إلى قبائل صنهاجة قبيلة تندغه المنتسبة إلى تاندغ، وهو لقب عمر بن تاشفين الورتاندغي اللمتوني، أخي يوسف بن تاشفين، تحور اسم تاندغ مع الزمن إلى تندغه، كما تحور اسم تلاگاگين (تچاگاگين) الورتاندغي إلى إيشوگانن (أحد بطون تندغه الحالية). كانت تندغه من قبائل الأنباط اللمتونية. ومن أشهر بطون تندغه اليوم: حلة أربعين جيد، وإيشوگانن وتندغه البيض، والركاكنه، وهؤلاء من تندغه عصبا وخؤولة، أما نسبهم فمدلشي. ترك المدلشيون، كما تقول الرواية الشفهية، ابنهم يحيى الخيلي لدى قبيلة تندغه في عملية تبادل للرهائن بين القبيلتين توطيدا للسلم الذي عقدتاه بعد حربهما المشهورة التى نشبت خلال القرن التاسع للهجرة (15م)، ثم

[440] ابن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء لقطات حية، مرقون، ص40.

إن المدلش أغارت على تندغه بينما كان يحيى الخيلي رهينة عندهم فغضب وقال: رگوني (حسانية بمعنى ازدروا بي) وقاده الغضب إلى البقاء في تندغه والتعصب معهم، ثم كانت قولته رگوني هي سبب تسمية ذريته بالركاكنه، ولا يخفى أن هذه الحكاية مصنوعة[441]. ويذكر ابن القوطية في كتابه تاريخ الأندلس قبيلة تدعى الركونيين، وقال إن العامة تسميها الركاكنه، ولكن لا يوجد ما يدل على أن هؤلاء الركاكنة هم أنفسهم أولئك.

ومن تندغه كذلك المثلوثه (إيچواچ (وهؤلاء يستظهرون بالنسب العلوي)، واندیجه گرار، وإيدگباله)، وإيدغماچك (بنو مالك)، فضلا عن إيدگفوديه المنتسبين إلى الشرفاء: أهل فوديه، وأهل أعمر أگدبيجه، وأهل محمذن عبدي، وأهل محمذن الصديق، وأهل أگد يحيى وغيرهم.

وانبثقت عن بيت تلاگاگين ذرية متفرقة، بعضها، من عقب الأمير أبي بكر بن عامر بن تلاگاگين، ويوجد اليوم في قبيلة لمتونة الحالية، وبعضها من عقب ابنه إبراهيم بن أبي بكر، ويوجد في قبيلة إيدوريش الحالية. وبعض عقب تلاگاگين في قبيلة إيدوالحاج، كما هو شأن إيدوبجه ولوتيدات الذين تنتمي إليهم قبيلة أهل سيدي محمود، وقبيلة إيدوعيش جدهم الأمير يحيى بن عامر بن تلاگاگين، وكانوا يعرفون حتى عهد قريب بالأنباط، وتطلق الأنباط اليوم على أحد فروع إيدوعيش نسبة إلى جدهم انبط، ويعرفون أيضا بأزناگه البيض (صنهاجة البيضاء).

ومن أمهات قبائل إيدوعيش المعروفة اليوم، فضلا عن الأنباط: أهل امحمد بن خونا (بيت الرئاسة)، وأولاد اعلي انتونفه، وتغده، وساره، وغيرهم. وينقسم إيدوعيش إلى

[441] هذه الحكاية مصنوعة لأن القواعد الحربية تمنع من وقوع مثل هذا الأمر، فالرهينة في مثل هذه الحال يكون أول مقتول انتقاما لعملية الغدر، كما أن مجرد كلمة رگوني الحسانية التي بنيت عليها هذه الحكاية تدل على أن القصة مصنوعة لأن الحسانية لن تصل إلى المنطقة إلا بعد حوالي نحو قرن من تاريخ هذه الحرب.

ثلاثة أقسام رئيسية: أبكاك في تگانت، واشراتيت في العصابه، ومهاجرين هـاجروا إلى أهل سيدي محمود أو الاغلال أو غيرهم من قبائل الزوايا[442].

ومن قبائل لمتونة الكبرى الموجودة اليوم قبيلة تجكانـت الـتي اشـتهرت قريتـهم تينيگـي بالعلم طيلة ثلاثة قرون، ثم خربـت في بدايـة القـرن الحـادي عشـر للـهجرة (ق17م) بسبب الحرب التي وقعت بين أهلها. وتقول الروايات إن سبب هذه الحرب أن فتى مـن أعزائهم اعترض يوما في الشارع في طريق السوق ومد رجليه وقال: لا يمر أحد إلا من تحتهما، فجاءت فتاة، يقال إنها لاله بنت سيدي محمد الصغير بن سيدي أحمـد البكـاي، فأرادت أن يرفع ساقيه حتى تمر فامتنع، وأمرها أن تمر من تحتهما، فطأطأت رأسها لتمر، فوضع ساقيه على عنقها، فوقع فوها علـى الأرض، وانكسـرت ثنيتاهـا، فحملتـهما إلى خالها أعمر أگوگ، فجاء مشتملا على سيفه، فضرب ساقي الفتى فقطعهما، فكان ذلـك داعيا إلى اشتعال الحرب بين أهل تينيگي، فلم تـزل كـذلك حـتى فـني أكثـر تجكانـت. وتفرقت بقيتهم بين تيندوف، والحوض، والرگيبه، وبلاد الگبلة وغيرها. فأمـا الگواليـل وشيعتهم فخرجوا إلى آفطوط العصابه، وخرج بعضهم إلي تيندوف، ومنهم مـن مضـى إلى أزواد، وهم الوسرة ومن معهم، ومنـهم مـن انتقـل إلى الگبلـة وهـم أولاد موسـاني وبعض الرماظين وبعض الزلامطة وأولاد الحاج المختار، ومنهم من جـاز إلى السـينغال واندمج فيهم فصـار يعـرف ببـابوات، وخـرج إيديشـف ومعظـم تجكانـت إلى اركيـز تامشكط فنزلوا قرية تگبه على محلات العروسـيين، فشـرطوا علـيهم مكسـا يأخذونـه منهم سنويا، ثم جاء العروسيون مرة يتقاضون مكسهم، فقال لتجكانت أحـد رؤسـائهم (سيدي المحجوب): أرى أن نعتذر للقوم بالعجز والتعب في البناء ونطلب منـهم مهلـة، ثم نرسل إلى إخواننا الگواليل، فإن جاءونا منعنا الإتـاوة، وحاربنـا القـوم وإلا أديناهـا إليهم، فوافقوه وأرسلوا إلى الگواليل فلحقوا بقـومهم، ثم إن خـيلا للعروسـيين جـاءت تريد الإتاوة فتفرق رجالها في بيوت تجكانت فلم تجد تجكانت سبيلا للتشاور في شـأنها،

[442] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص30 - 31.

فارتجل بعض حكمائهم قائلا؛ إن الضيوف كثروا فلتقم كل دار بضيفها، يريد لتقاتله، فالتحمت كل دار بضيفها فقتلته، فأورى ذلك نار الحرب بين تجكانت والعروسيين فكانت الغلبة لتجكانت[443].

وتفرعت عن قبيلة تجكانت قبيلة أهل الحاج هاجر جدهم الحاج المختار إلى آدرار فسكن في أولاد عطية (اعطية) الرزگانيين. ثم انتقل عنهم، وفروعهم الآن في آدرار والساحل وإينشيري والگبلة.

ومن قبائل لمتونة المنبثقة عنها كذلك قبيلة مسومه الزاوية، تنتسب إلى أمسم بن يهكر بن بنتان اللمتوني. منها أهل بابا عيسى، وأهل الحبيب، وأهل بابا المصطف، وأوليدات، وغيرهم. وقيل إن في مسومه فرعا من الشرفاء الأدارسة. ومن أبناء عم مسومه بعض المندرجين الآن في قبيلة أولاد موحمد بالحوض[444].

ومن قبائل لمتونة المنبثقة عنها كذلك تافلالت (بضم الفاء) الموجودون بالحوض الآن، ينتسبون إلى تفلل اللمتوني. وكان بعض عقبه في بلاد الگبلة لكن أغلبه جاز إلى بلاد السينغال.

ومنها قبيلة إيديلبه (أولاد التائب) تاب جدهم، حسب وثيقة عثر عليها المختار بن حامدن في ولاته، في إيديلبه وتزوج فيهم، وإيديلبه تكتل من قبائل شتى أساسه لمتوني وفيه كثير من تجكانت، كان في ولاته، ثم النعمه. فمن عقب التائب إيچيچبه وإيدويجه وانواسيغ وغيرهم.

أما إيچيچبه فتنقسم إلى قسمين: إيچيچبه الأولين، وإيچيچبه التاليين الذين قدموا على الأوائل فأكرموهم بالرئاسة، من بطونهم اليوم: أهل أشفغ ابريهم وإيداشفغه -أهل الشيخ القاضي- والزماريگ وإيدگتماظ، وإيدغهند أگنون وغيرهم. ومن إيچيجبه فروع أنصارية المحتد تنتمي إلى صعصعة الأنصاري.

---

[443] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء تجكانت، مصدر سبق ذكره، ص4.

[444] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص41.

واحتفظت باسم لمتونة حتى الآن إحدى قبائل الزوايا المشهورة في البلد، ومواطنها اليوم بالحوض والبراكنة، منها إيدگبامبره، وإيداشفاغه، وإيدابيان، وإيدارج الل، وغيرهم. ولمتونة التي بقيت باسم القبيلة الكبرى عائدة من المغرب بعد انهيار الدولة اليوسفية وينتسب أغلبها إلى يوسف بن تاشفين.

ومن القبائل الصنهاجية المشهورة قبيلة ابدوكل (إيدوكلن)، كانت قبيلة قوية فقهرها بنو حسان في الحرب الصنهاجية الحسانية فتفرقت أوزاعها في الأنحاء، فمن أوزاعها بقية ما زالت تحمل اسمها حتي اليوم، ومنها بقايا التأمت حول قبيلة تشمشه في حرب شربيه، وأخرى تفرقت في البلاد أو اندرجت في الزنوج.

وانبثقت عن مسوفة (إيمشظوفن) ثانية كبري القبائل المرابطية قبيلة مشظوف. وأمهات بطونها: النبيطات (الأنباط)، والحمنات، وأولاد بوهماد الدليمي نسبا النبيطي خؤولة، ولكل بطن من هذه البطون فروع كثيرة.

وقد اندرجت في مشظوف عدة عوائل منها ما هو حساني الأصل (ينحدر من أولاد دليم، وأولاد الناصر، وأولاد يحيي بن عثمان، وأولاد موحمد، وأولاد امبارك، وأولاد عگبة، وأولاد ملوك البركنيين، وغيرهم)، ومنها ما أصله من تنواجيو أو إيدوعلي أو الاغلال أو مسومه، ومنها ما أصله من الشرفاء (كالمزاوير وغيرهم)، ومنها ما هو أنصاري المحتد (كالتجار)[445]. وكانت مسوفة أصل «كل قرية بصحراء التكرور مثل أروان وبوجبيها وولاته وتيشيت ووادان وشنقيط وتجگجه وتگبه وتارني[446]».

---

[445] وكانت مشظوف ثاني قبيلة صنهاجية تنهض، وتعمل على استعادة مجدها القديم بالقوة بعد إيدوعيش، الذين كانوا معهم في تگانت، ثم استعصوا عليهم بزعامة أحمد محمود بن المختار بن الحيميد. وانتقلوا إلى الحوض منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (19م) فغلبوا من تبقى من أولاد امبارك على ملكهم، وعجزت قبائل بني حسان الأخرى الموجودة في الحوض عن مدافعتهم فقووا وكثروا، ولجأت إليهم القبائل، وتعصب معهم أولاد موحمد فأسسوا إمارة عظيمة ورثت ملك أولاد امبارك بالمنطقة، لكن الاستعمار داهمها وهي في طور الاستتباب.

[446] الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مرجع سبق ذكره، نقلا عن تأليف مفقود لصالح بن عبد الوهاب الناصري، ص47.

أما قبيلة گدالة ثالثة قبائل المرابطين الكبرى فأبادتها حربها مع الرحامنة مقدم بني حسان، ولم يبق منها إلا جزء يسير تفرق أغلب أوزاعه في مختلف القبائل، أو نزح إلى مالي والسينغال فذاب في السكان هناك.

ومن القبائل المنتسبة لأصول صنهاجية قبائل أخرى متعددة - يطول تتبعها - مشهورة الآن في البلد، بعضها صار من قبائل الزوايا، وبعضها أصبح من قبائل العرب، وبعضها الآخر استحال إلى قبائل اللحمة.

ثانيا - القبائل المنتسبة إلى الأشراف:

دفع سقوط الدولة المرابطية وقيام الموحدين مكانها، بالعديد من علماء وأشراف المغرب الأقصى الذين كانو يدا مع الدولة المرابطية إلى الفرار إلى الإيالة اللمتونية ببلاد شنقيط، فأصبحوا أجدادا لبعض قبائلها. وكان معظم هؤلاء الأشراف أدارسة (أبناء إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب) قد اختاروا الالتحاق بأبناء عمومتهم الذين دفع بهم موسى بن أبي العافية إلى التوغل نحو صحراء شنقيط هربا من القتل، حيث ولي موسى بن أبي العافية فاس من قبل قائد العبيديين مصالة بن حبوس، بعدما دخلها منتصرا على الأدارسة سنة 313هـ/ 925م، فجد موسى في مطاردة الأدارسة، وقتلهم أينما وجدهم، فاستأصلهم من فاس، وأصيلا، والبصرة (المغربية)، وحاصرهم بقلعة حجر النسر، ثم انتقل إلى تلمسان فطردهم منها، وتعقب آثارهم في كل مكان، فأوغلوا جنوبا ولاذوا بالصحراء، فتوجه منهم أربع رحائل إلى سجلماسة، وعشر رحائل إلى السوس الأقصى، وخمس رحائل إلى وادي درعة، وثماني رحائل إلى الساقية الحمراء، فكان هؤلاء أصل بعض قبائل الشرفاء الأدارسة الموجودين الآن في بلاد شنقيط[447].

[447] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص30.

ثم التحق بهم أبناء عمومتهم من أولياء الدولة المرابطية بالمغرب التي قضى عليها الموحدون، بعد سلسلة حروب متصلة دامت عدة سنوات، ولم تتوقف إلا باقتحام الموحدين لمراكش في أخريات شوال سنة 541هـ/ 1147م. وتنقسم هذه القبائل إلى أدارسة وعلويين. فالأدارسة منهم:

المنتسبون إلى عبد الله بن إدريس:

منهم شرفاء تيشيت نزح جدهم الشريف عبد المؤمن إلى تيشيت من أغمات بعد سقوط الدولة المرابطية. من بطونهم: أهل الشريف حمى الله، وأبناء الشريف أحمد، وأبناء محمدو بن الإمام، وأبناء بوبه الشريف، وأبناء الإمام، وكانوا أئمة تيشيت، وأبناء فاضل. ومازال أغلب بني عبد المؤمن في تيشيت، ومنهم أهل أبكر الشريف في أولاد أبييري، ومنهم عائلات من أهل الشريف حمى الله في مشظوف.

ومن المنتسبين إلى عبد الله بن إدريس أهل أحمد الشريف في إيدياقب من إيدولحاج (شرفاء إيدياقب)، وقيل: هؤلاء أبناء عمر بن إدريس، وأهل الشريف الأكحل في أولاد مالك من قبيلة الأغلال، وأهل سيدي الشريف (شرفاء ماسنه)، وأهل الحاج الغربي في مدينة بتلميت، وأهل الشريف الطاهر في قبيلة تجكانت، وأهل الطالب محمد في إيجيجبه، وفي إيدگجمله.

ومنهم: "الحركات"، جدهم الشريف حركات بن سيدي الناصر بن عبد الرحمن، وأشهر بيوتهم أهل هدار، الذين برزوا في حذق فنون الشعر الحساني وآدابه، واشتهروا بذلك، وأول من اشتهر منهم بذلك جدهم امحمد بن هدار.

المنتسبون إلى عمر بن إدريس:

ومن المنتسبين إلى عمر بن إدريس: أهل مولاي الزين (أبناء الشريف محمد بن أحمد التلمساني)، ومن فروعهم: أهل امحمد بن مولاي أحمد، وأهل عبد الرحمن القاسم،

وهما في شنقيط، وأهل سيدي جعفر (أهل ديـدي) في تجكانـت في كيفـه، وأهـل سـيدي عالي، وعائلات أخرى متفرقة في البلاد. ثم أهل الشريف حماه الله وغيرهم[448].

المنتسبون إلى القاسم بن إدريس:

ومن المنتسبين إلى القاسم بن إدريس: شرفاء الگلاگمـه، وقيـل ينتسـبون إلى أحمـد بـن إدريس، وقيل غيرهما من أبناء إدريـس، نـزح جـدهم يحـيى الگلگمـي مـن تـوات إلى تنبكتو، وكانوا قبيلة كبيرة، ثم تفرقوا في البلاد، فمنهم: أهل الطالب عبد الفتاح وكـانوا في النعمه، وأهل الطالب عثمان، وأهل الطالب مختار، وأهل أحمد هيبه، وأهـل ارج الله، وهؤلاء انقرض أكثرهم، وأهل الطالب الحسين، وأهل ارشق مـع أهـل الطالـب مختـار الگلگمي، وأهل الرسول في تجكانت بكيفه، وأهل الطالب سيدي أحمد وبنو عمهم من النوازير، (أو أهل ابات بالمجريه) وأهل يامر، وأهل بودبوس في النعمة، وأهـل إجمـان في أهل الطالب عبد الفتاح بالنعمـة، وأهـل سـيدي نحـام ويقـال إنهـم انقرضـوا، وأهـل المخيتير في أهل سيدي محمود وفي تجكانت، وأهـل بابانـا بـالترارزة، وأهـل أجـومم في إيجيجبـه، وأهـل أشـفغ القاضـي في أولاد أحمـد بـن يوسـف الحسـنيين وغيرهـم[449].

والگلاگمة هم أول من بنى مدينة النعمة الحاليـة (عاصـمة الحـوض الشـرقي)، كـانوا أسرا ثلاثا فرت من بطش سني علي مـن تنبكتـو سـنة 872هـ/ 1464م إلى ولاتـه، فقضوا فيها قريبا من عشرين سنة، ثم رحلوا عنها سـنة 891هـ/ 1486م إلى موضـع النعمة الحالي فبنوا به قصرا. وبعـد قرابـة قـرن مـن الـزمن تفرقـوا بسـبب الخلافـات الداخلية، فرحل بعضهم إلى مالي، وانتقل بعضهم إلى أرض تلمسي. ثم عاد إليهـا (أي النعمة) الطالب سيدي بن أحمد هيبه الگلگمي فأعاد بناءهـا، لكـن أحفـاده غادروهـا بعد وفاته فلم تزل يبابا حتى جاءها آل مولاي صالح الشرفاء سنة 1223هـ/ 1808م قادمين إليها من ولاته إثر الفتن الداخلية الـتي عصـفت بأهـالي ولاتـه، حينمـا انـدلع

[448] المرجع نفسه، ص67.
[449] المرجع نفسه، ص68.

الشر بين شرفائها يوم 26 رمضان 1222هـ/ 1807م، فأعادوا إعمار النعمة واستقروا بها، مستعينين في ذلك بأعمر بن هنون بن بهدل الامباركي.

ومن أشهر الگلاگمه اليوم أهل اچيه المختار، ثم أبناء عمهم أهل محمد بن اعبيدي، وأشهر أهل اچيه المختار أهل الشيخ محمد فاضل بن مامين ثم أبناء عمهم أهل سيدي هيبه، ومن أشهر أهل الشيخ محمد فاضل أهل الشيخ ماء العينين الذين حملوا أكبر ألوية الجهاد في بلاد شنقيط، وانتشروا مع أتباعهم من مراكش إلى آدرار، وأهل الشيخ سعد بوه بالنمجاط بالترارزة، وأهل الشيخ الحضرامي بالحوض، وأهل الشيخ محمد تقي الله بالحوض وبآدرار، وأهل الشيخ المصباح بخليج السينغال، وأهل الشيخ المحفوظ بكازمانس بالسينغال أيضا[450].

وممن ينتسب إلى القاسم بن إدريس كذلك: أولاد المولود، وأولاد بوخطار، وانگردة، في بطون أخرى من تاگنانت أو الگوانين، وعائلات متفرقة منهم في القبائل.

وممن ينتسب إلى القاسم عائلات من "إيگاون" منهم أهل آوليل وأهل انغيميش وأهل البيان المشهورون في منطقة الترازة، وأبناء عم أهل البيان أهل البيبون السوادين المعروفون في الترارزة أيضا.

المنتسبون إلى محمد بن إدريس:

ومن المنتسبين إلى محمد بن إدريس: أولاد الشريف بوبزول، وهم قبائل السماسيد (أبناء شمس الدين)، وإيكمليلن، وأولاد أشفغ حيب الل، وإيداشغره، وبطون أهل أعمر أگد بيجه وأهل أگد يحي، وأهل محمذن عبدي، وأهل محمذن الصديق، وأهل فوديه من تندغه، وفالات گنار. وينتسب إلى محمد بن إدريس كذلك من الشرفاء: العروسيون الأوائل وانقرضوا، وإيدگجمله، والركيبات. وينتسب إليه كذلك أولاد بسباع ودخلوا على فوجين فوجهم الأول وأغلبه من الدميسات جاء خلال الفترة

[450] نقلنا معظم هذه المعلومات عن الأستاذ حمداتي شبيهنا ماء العينين، لقاء خاص بالرباط 10 دجمبر 2003م. ثم عمقناها على الأستاذ الطالب اخيار مامينا آل الشيخ ماء العينين بانواكشوط، لقاء خاص، فبراير 2004م.

السعدية إلى بلاد شنقيط، وجاز بعضه نهر السينغال في وقت مبكر فـذابو في زنـوج مـا وراء النهر.

وجاء فوج أولاد بسباع الثاني بعد حرب السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي لهـم سنة 1197هـ/ 1783م، وكانوا بأحواز مراكش فـأجلاهم السـلطان إلى السـوس، ثم أوعز إلى قبائل السوس أن يجلوا من قدروا على إجلائه منهم إلى بلاد الصحراء.

وينتسب إلى محمد بن إدريس كذلك: أهل مولاي امشـيش في الأغـلال، وأهـل مـولاي ارشيد في كنته. وقيل إنهم من بني عبد الله بـن إدريـس. وأولاد سـيدي (سـيدي محمـد) الشريف (شرفاء امبود).

المنتسبون إلى علي بن إدريس:

ومن المنتسبين إلى علي بن إدريـس العروسـيون الحـاليون جـدهم الشـريف المراكشـي الشيخ سيدي أحمد العروسي (توفى سنة 1002هـ/ 1594م ودفن بالسـاقية الحمـراء) بن عمار بن موسى بن يحي بن الحسن بن سعيد بن عبد القادر بن صـالح بـن أعمـر بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الصادق بن عبد الكـريم بـن عبـد الله بـن علـي بـن إدريس. ونسبهم الشيخ ماء العينين للحسين بن علي بن أبي طالب[451].

المنتسبون إلى أحمد بن إدريس:

وممن ينتسب إلى أحمد بن إدريس: بطون من تاگنانـت والگـوانين. وقيـل في إيـدغبرهم من تاگنيت منتسبون إلى أحمد بن إدريس.

وتنتسب إلى أحمد بن إدريس كذلك تنواجيو وصميم إيداب الحسن، قدم جدهم سـيدي يحيي بن إدريس بن زكرياء بن منصور بن عبد المالك بن العافية بـن محمـد بـن أحمـد

[451] وقيل هم حسينيون، يروى ذلك عن الشيخ ماء العينين. الطالب اخيار ماميا آل الشيخ ماء العينين، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار، مرجع سبق ذكره. أو، كتاب تاريخ الشرفاء العروسيين، إصدارات مركز الشيخ سيدي أحمد العروسي، 2004، مداخلة محمد ماء العينين، ص39.

بن إدريس من أرض السوس (المغرب) في آواخر القرن التاسع الهجري (15م) بعدما رفض تولي الإمارة خلفا لعمه سيدي اعلي بن زكرياء الذي كان أميرا لتحالف من القبائل السوسية، قائلا إن الإمارة شجرة لا تغرس إلا بسفك الدماء. ورحل إلى وادان هو وأخوه سيدي اعلي فنزلها وهي تحت إمرة أولاد مزوك. وقال والد: «أبجس (جد إيداب الحسن) أبوه تنواجيو، واسم تنواجيو سيدي يحيى.. كان ساكنا بوادان ثم انتقل عنهم على مهر أبيض فجاء أرض مسومه، وثبت بها وعرف بين وجو ومعناه صاحب الفرس الأبيض فكان هذا أصل كلمة تنواجيو[452]».

المنتسبون إلى داود بن إدريس:

وممن ينتسب إلى داود بن إدريس إيدوبلال، وقيل بنسبتهم إلى أخيه القاسم بن إدريس. وينتسب إلى داود بن إدريس كذلك الشريف سيدي بالقاسم الذي نزل على ببها بن أحمد العاقل فأكرمه. وصار له عقب بالگبلة.

شرفاء أدارسة وعلويون آخرون:

ومن الشرفاء الأدارسة الذين جاءوا إلى بلاد شنقيط أيضا: أهل الشريف المكي في أغلال تامشكط، وأهل الشريف هاشم في الأغلال، وأهل الشريف المقدم، وأهل مولاي الحبيب في الأغلال كذلك، وأهل عبد الله بن حامد فيهم أيضا، وأهل أحمذن ال في أولاد ديمان، وقيل هم من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب، وأهل الشريف بوغبه في أهل الشيخ سعدبوه، وفي إيدولحاج، وأهل الحاج الغربي الذي شارك في شربيه أولا ثم اعتزلها، وأهل الفيلالي، وأهل بواحجار في الترارزة.

ومن الشرفاء الأدارسة كذلك: أهل أشفغ المختار الحسنيين خؤولة ووطنا، قدم أبوهم الشريف أشفغ المختار إلى أرض الگبلة، وكان عالما صالحا، ويقال إنه أول من أدخل

[452] والد بن خالنا، ورقات في الأنساب، مرجع سبق ذكره، ص14.

مختصر خليل إلى أرض الگبلة، فتزوج بنت أحمد بن أعمر بن آش الملقب أحمد الـرئيس فكانت له منها ذرية معروفة في عداد أولاد أعمر أگداش.

ومنهم أهل مولاي عبد الرحمن بن مولاي أحمد إدريس، وهم في ياداس مع من فيهم من الشرفاء كأبناء سيدي محمد بن الطالب اعبيدي الگلگمي الإدريسي، وأبناء الخليفة بـن عبد الله التواتي، وأبناء الكرزازي.

وجاء مع الشرفاء الأدارسة أو خلال مجيئهم من الشرفاء العلـويين مهـاجرون عديـدون كقبيلة إيداشفغه الشمشويه، وأبناء عمهم إيدوعلي، كان جدهم سـليمان بـن عبـد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط أو ابنـه قـد نـزل تلمسـان واسـتوطن بهـا، وكان له بها أولاد كثيرون، قبل أن يدخل بعض أولاده السوس الأقصى وبلاد لمطة (بـلاد الملثمين).

وينتسب في إيدوعلي إيچواچ تندغه، قيل بأن جدهم يحي بن انواشكوط العلـوي نـزح من شنقيط إلى أرض الگبلة، فسكن في تندغه (فرع المثلوثة)، وأنجب فيهم فصـار عقبـه يدعى إيچوآچي (ومعناها أبناء العلوي بالصنهاجية). كما ينتسـب فـيهم أهـل آبـيري، نزح جدهم سيدي أحمد بن عبد الله بن سيدي أحمد بن محمـد المختـار بـن سـيدي بـن يحي بن علي بن بلحمر (ابن الأحمر) الذي غلبت عليه نسبته آبـيري (نسـبة إلى آبـير) إلى بلاد الگبلة، فنزل على الكوري بن سيدي الفالي في حي من تشمشه، وكـان مدرسـا يدرس القرآن، ثم انتقل إلى تندغه فتعصب مع إيدغماچك (بني مالك).

مجموعات أخرى من الشرفاء:

ومن الشرفاء الداخلين إلى بلاد شنقيط سوى من تقدم: قبيلة تيمرگيـون وهـم بنـواحي بتلميت، وتاشدبيت (آل يندگسعد) سموا بذلك لأن جـدهم أحمـد انـدعمر خـرج مـن وادان بعد الظهر فوصل في "تاسدبيت" (وهي الروحة في المدة القصيرة بعـد الظهـر أو بعد العصر) واحدة إلى تيگماطين عاصمة گنار، فاشتهرت ذريتـه بهـذا الاسـم. هكـذا

يروى، وكانت قبيلتهم آنذاك تدعى إيدوأحمد[453]. ومنهم إيدگبهني من تشمشه، وأهل خونه فيهم، وأهل البخاري الشريف في أهل بارك الل، وأهل المرتجي في إجمان وتجكانت، وأهل مولاي الحسن بن مولاي عبد القادر بن إبراهيم، وأهل مولاي اسعيد بن مولاي عمار، وأهل السالك بن سيدي محمد بن مولاي الطايع.

ومنهم: أهل محمود بن الشريف مولاي اعلي بن مولاي هاشم بن مولاي الطايع في أهل أشفغ الخطاط، وأهل العربي في الاغلال، وأهل الهادي في الغظف، وأهل سيدي أحمد بوفارس في أولاد غيلان، والعكارمه في أولاد علوش، وبنو سيدي حمه بن الحاج وجمهور هؤلاء في ولاته والنعمة.

ومنهم: آل أشفغ الحمد التاگنيتيون، والتكارير المتعصبون مع أولاد بزيد والطلابين، وغيرهم من أهل الشاهد. ومنهم شرفاء إجمان، وشرفاء إيديلگ، وشرفاء أولاد موحمد. وإيدظهم في تنواجيو، وقيل هؤلاء حسينيون. ومنهم شرفاء كولانه المسوفيون (في إيدوالحاج) جدهم الشريف أحمد التلمساني. وإيدغزينبو أبناء زينب بنت علي بن أبي طالب، وفق ما هو في بعض الوثائق التاريخية.

ومنهم: أهل الشريف محمد الصعيدي في المدلش، وأهل حمدان في تاشدبيت، وأهل مولاي العباس (شرفاء تگنت)، والمزاوير في مشظوف (أبناء ميمون بن سيدي مزوار)، وأولاد سيدي الحاج، وأهل سيدي يعرف، وأهل امادي، وأهل ابا الشريف، وأهل محمد بن الشريف (شرفاء انواگور) وشرفاء الغزلان، وشرفاء آوليگ، وأهل أحمد الأسود، جاء جدهم مولاي أحمد الأسود بن محمد عبد الله أواسط القرن الثاني عشر للهجرة (18م) من تيندوف واستقر في الأغلال بتگانت ثم بالحوض، وأهل مولاي سيدي حمو بن الحاج بعضهم سليل الشريف المولى علي نزحوا من توات إلى الحوض الشرقي.

ومنهم: أهل الطالب أجود: أهل حمدي منهم في إيدولحاج، وأهل الأمين في أولاد ديمان، ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني بن موسى بن يحي الزاهد بن محمد بن داود

---

[453] عزيز بطران ووينفرد جونسون، آبير في تواريخ بعض مجموعات غرب الصحراء، مرجع سبق ذكره، نقلا عن كتاب مطرب العباد، ص4.

بن موسى بن عبد الله أبي المكارم بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، ثم موديات الذين قيل بشرفهم، منهم مودي مالك الذي سكن في أولاد ديمان، وتزوج بفاطمة بنت أبي ميجه بن يعقوبن الل بن ديمان، ومحم صار بن همر صار سكن في تشمشه أيضا، ومن ذريته أهل همر سين، ومنهم مودي همت وغيره من موديات الذين قيل إنهم أربع عشرة أو خمس عشرة أسرة.

شرفاء منتسبون للحسين بن علي:

وفي القادمين إلى بلاد شنقيط منتسبون إلى الحسين بن علي، منهم: أهل المبارك في تشمشه، وآل الحسن بن حمادي في الترارزة ينتسبون إلى الشرفاء الصقليين الأندلسيين، وأهل سيدي الشريف في البراكنة (أهل اليمافي وأهل الشريف)، وأحفاد الإمام الحضرمي، وهم متفرقون بين إيداب الحسن، وتاگنيت، والاغلال، وتنواجيو، ولمتونة، والسماسيد.

ومنهم: أهل مولاي إبراهيم (شرفاء تكنه، وءاغريجيت)، وهم متفرقون في البلاد، ومن فروعهم: أهل مولاي البخاري، وأهل مولاي الحسن، وأهل مولاي البشير، وأهل مولاي عمار، وأهل مولاي المهدي، وأهل مولاي إدريس.

شرفاء حفدة ملوك:

منهم من المنتسبين إلى عبد الله بن الحسن المثنى قبيلة إيدوداي الشمشوية، انضم جدهم يداج أگد برغه إلى أجداد تشمشه قادما إليهم من آدرار، وهو ينسب إلى آل صالح بن عبد الله بن يوسف بن موسى بن يوسف بن محمد الأخيضر بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، ملوك كونبي صالح الذين حكموها من أخر القرن الهجري الخامس (11م) إلى أوائل القرن الهجري السابع (13م)، ثم فروا منها لما تغلب عليها الصوصو إلى ولاته في عهد جده عبد الله بن عمر، فيداج بن برغه بن أذررنت تگچمت بن علي بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر

بن عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن صالح بن عبد الله بن يوسف بن موسى بن يوسف بن محمد الأخيضر.

ثم السماليل ملوك السوس أبناء سيدي اعلي بودميعه بن محمد بن محمد بن الشيخ سيدي أحمد بن موسى السملالي التازاروالتي الصالح الشهير بن عيسى بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن صالح بن طلحة بن أبي جمعة بن علي بن عيسى بن الفضل بن عبد الله بن كندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. كان جدهم سيدي اعلي بودميعه ثالث أمراء أسرة الشيخ أحمد بن موسى السملالي، تأمر حوالي 1020هـ/ 1611م، وظل أميرا لأكثر من 20 سنة حتى محا العلويون دولته[454].

وفي خضم حروب السملاليين ومنازعاتهم الطويلة مع العلويين فر حفيد سيدي اعلي بودميعه، واسمه الطالب إبراهيم بن سيدي أبي بكر بن سيدي اعلي، إلى بلاد شنقيط بعد موت والده سيدي أبي بكر التي كانت قبيل 1080هـ (1669م)، وأوغل باتجاه بلاد الگبلة، فجاء إلى إيديبسات شمال بتلميت وهو مستخف، فتزوج فيهم من امرأة تدعى أم اجحيفه بنت محمد بن ميشت البساتي، وأمضى معهم سنين قبل أن يعود راجعا إلى المغرب. وترك فيهم ابنيه بابه، وعبد الرحمن، فمن هذين الابنين تفرعت فروع السماليل الموجودة الآن ببلاد شنقيط، بعضها بالحوض، وبعضها بالساحل، وبعضها بالگبلة.

وتمثل هذه القبائل المذكورة هنا أغلب القبائل المنتسبة إلى الأشراف ممن جاز إلى بلاد شنقيط منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم.

---

[454] المختار السوسي، مرجع سبق ذكره، ص91 وما بعدها.

ثالثا- القبائل المنتسبة إلى أصول قرشية أو أنصارية:

ومن هذه القبائل قبيلة المدلش (مجلس العلم) التي قدم جدها مع أبي بكر بن عامر من أغمات، وتنتسب إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز. ويجتمع صميم المدلش في أك أحد أجداد المدلش، وأصله أكتوشني أي العالم، وأولاد أك المعروفون: أعمر جد المهاجرين، وهم الذين استضافوا تشمشه، وتگدي جد الركاكنه، وأحمد جد أهل أبكرش الل، وباذلي (أبو ذر) جد سائر بطونهم وهم إيدوعمر وإيدوجان وأهل أحمد بن محنض وأهل أشفغ منهنض وربما غيرهم[455].

ومنها قبيلة تركز، وينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري، جاء جدهم عبد الرحمن الركاز أيضا مع أبي بكر بن عامر، ثم استوطنوا الصحراء وجنوب المغرب، وانضم قسم منهم إلى جيش ابن غانية ونزحوا معه إلى آدرار خلال القرن السابع للهجرة (13م)، فتوطنوا هناك وغرسوا النخيل في آمدير وتزكين، ثم وقعت الحرب بينهم مع السماسيد الذين شاركوا خلال القرن الهجري التاسع (15م) في تأسيس مدينة شنقيط، وكان من رؤساء تركز في هذه الحرب يومئذن حبرز وبار وأولاد سيدي بوبكر، وفيها مات الشيگر من رؤساء أولاد اعلي آمغار.

ثم انتهت الحرب بخروجهم من آدرار وتفرقهم بعد ذلك، فذهبت منهم فرق من بطون شتى إلى المغرب فنزلوا في عين تركز، وغرسوا فيها النخيل، ونسلهم هنالك اليوم. وفرقة سارت إلى البراكنة وهم البراركة، وفرقة سارت إلى تاودني (صحراء مالي الحالية)، وهم أولاد سيدي أحمد وبعض أولاد عبد الرزاق الكبير، وبعض الغوارب، وهناك وقعت الحرب بينهم وبين أولاد بله.

ثم رجعت هذه الفرقة ونشبت بينها حرب مع الاغلال بعد ذلك، ثم استوطنت تگانت حيث هي اليوم .

---

[455] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء المدلش، مرقون، ص2- 7.

وسارت منهم طوائف إلى الگبلة وهم إيدغنيه وغيرهم، وبقيت منهم مجموعات في آدرار من مختلف بطونهم[456].

ومنها قبيلة المحاجيب، وينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري في بعض بطونهم، وسعيد بن العاص في بعضها، ومحمد بن الحنفية في بعضها الآخر، كانوا أول من نزل ولاته من البياضين، وصلوا إلى ولاته قادمين من توات التي وصلوا إليها سنة 675هـ/ 1276م.

ومنها قبيلة كنته. وينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري كذلك، تزوج جدهم الشيخ سيدي محمد الكنتي دفين فصك (تازيازت) في تجكانت تينيگي ببنت ءال محم (محمد) بن يهس (الحسن) بن أيشف (يوسف)، فولدت له ابنه الشيخ سيدي أحمد البكاي (تـ920هـ/ 1514م) الذي تزوج هو الآخر في تجكانت من بنت يعقوب الرمظانية، وأنجب منها أولاده الثلاثة الذين تفرعت عنهم شجرة كنته وهم: سيدي محمد الكنتي الصغير، والطالب بوبكر الحاج، وسيدي عمر الشيخ، قبل أن يرحل إلى ولاته. وترك سيدي محمد الكنتي الصغير سبعة أبناء نشأت منهم أفخاذ مختلفة من كنته الساحل والحوض، وأصبح نسل الطالب بوبكر الحاج يعرف بالهمال، بينما أعقب سيدي عمر الشيخ: أحمد الفيرم جد الرگاگدة، وسيدي المختار الشيخ جد أولاد المختار، وسيدي الوافي جد أولاد سيدي الوافي الذي ترك ابنه سيدي حيبلل. وظل الكنتيون سادة للأرض بعد مقدم بني حسان، وقد بلغوا من الصيت والرفعة والانتشار في الأرض وكثرة العظماء مبلغا كبيرا. وانتشر تأثيرهم الديني في عموم غرب إفريقيا. وكان لهم الدور الحاسم في الحرب الصنهاجية الحسانية المتقدمة التي حدثت في عهد جدهم الشيخ سيدي محمد الكنتي.

وأقدم وثيقة تاريخية في الأنساب موجودة في البلاد على الإطلاق وثيقة أحمد بن الحاج عبد الله الرگادي الكنتي (تـ حوالي 1130هـ، 1718م) في أمهات جده الشيخ سيدي

[456] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء تركز، مرقون، ص52.

أحمد البكاي (تـ920هـ، 1514م) بن الشيخ سيدي محمد الكنتي التي تقدم صورة مقطعية عن الاتنولوجيا البشرية للبلاد في عهد ما قبل بني حسان. وقد نقل هذه الوثيقة المهمة وفسرها استنادا إلى المختار بن حامدن[457] توماس وايت كومب وجاء فيها: «...أم سيدي أحمد البكاي هي [... مقطوع اسمها من الورقة]، واسم أبيها ال [آله] محمد بن الحسن ين يشف [أيشف] الجكاني، أمها مليم بنت محمد بن يرزج [يرزگ]، وأمها خديجة بنت محمد بن يبن [يبني] بن أحمد بن اكر [أو أگد]، أمها فاطمة بنت عمر بن محمد آمغار بن محمد بن محمد بن تكنوا [تگنوا]، وأمها [...] بنت عثمان بن علي هير بن يمج أيوري، وأمها تجمرمت بنت [...] بن محمد آلم من تمگنيت، وأمها تكورت بنت عمر [...] بن تنبلو، وأمها آش [بتشديد الشين] بنت يج أيوري، وأمها تـ[...] تولنكنت [تولنكنتي] أودلص يمدج أن تير (صح) [...]، جرو أم محمد بن عثمان بن محمد قطح بنت يجمر أگ بن محمد بن ترج [...] فاطم [فاطمه] بنت أمز [أمزا] بن أبرج اگتوليل، وأمها [...] ابن اهمطابل، وأم عثمان بن محمد يرزج [يرزگ] آش بنت اكر اغزينبو [أگد اغزينبو]، وأمها آش بنت هنط بن هنض من أولاد آيو [إيدوعلي]، وأم لمحمد بن الحسن بن يشف [أيشف] فظم [فظمه] بنت محمد يرزج [يرزگ] بن يعقوب، وأمها اهوا بنت الحسن بن اگويل، وأمها جنت بنت إمر آل أودض، وأمها مليم [...] ترگ [أو تزگ] من بافور، من ترگ [أو تزگ]، وأمها فاطمة بنت أيلوا بن تدرروا [...] أ [...] بش بنت ترزگ من أولاد شگ [أشفغ]، وأمها الزهراء بنت ورت [ورتي]، وأم الحسن بن يشف [أيشف] آش بنت اجمل، بن أحد [...] أغزينبو، وأمها آش بنت عثمان بن تگندا [...] أو ترگ، وأمها تامنت بنت فن [بتشديد النون] أخت يلجبل بنت [...] مر [...] رك من آيو، وأمها بنت فاطمة بنت هنط بن ترجت [أو ترگوت]، وأمها بنت عمر بن تتفلس من أولاد إيدغهم من تاده، من أمهاتها بنت همط فطل من أولاد [...] إدانگادس، وواحدة بنت ألوا أويان... [...]

[457] وضعنا توضيحات المختار بن حامدن بين معقوفتين.

أم سيدي محمد الكنتي أهوا [حواء] بنت محمد آلم بن كنت بن زم بن تملك بـن تنفئـت أن ببه [بكسر الباء] بن أشنت رئيس ابدوكل، وواحدة من أمهاته بنت يدهم بن متـان [...]، وواحدة بن [؟] آل أولم بن يبت بن جنب [بفتح الباء] بـن اكاگـادي مـن أصـل انگادس، وواحدة من أمهاته بنت يدهم من اكر اغزينبـو [...] آو منـهم وهـم اگزينبـو [إيدغزينبو]، وله أم في قبيلة...». ويظهر في الهامش: «أمه مـن تجكانـت إديشـف ألفـغ [الفقيه] بن اكريل بن علي بن جكان، فأخو اكريل رمظان ومسان»[458].

وممن ينتسب إلى عقبة بن نافع أيضا: الدراوات (أبناء الدرعاوي)، وأبناء محمد المسـلم، كما أفاد بذلك حفيده الشيخ محمد بـن أحمـد الصـغير في كتابـه إنـارة المبـهم، بقولـه: «اعلم أن مما بلغنا أن أبانا محمد المسلم، والشيخ سيدي محمد الكنتي جد كنته، والشـيخ يعقوب جد بني يعقوب القاطنين بوادان (إيدولحاج) ولد رجل واحد هو عقبة[459]».

ومن المنتسبين إلى قريش، ثم إلى أبي بكر الصـديق، قبيلـة أولاد ديمـان، وقبيلـة الاغـلال المنتسبة إلى محمد غلي بن إبراهيم بن عبيـد بـن أبي بكـر بـن جـابر بـن موسـى بـن الطاهر بن أبي النجيب السهروردي (عبد القاهر بن عبد الله بن محمد عبد الله حمويـه) بن سعد بن الحسن بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبـد الله بـن عبـد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصـديق. جـاء والـد محمـد غلـي إلى ولاتـه فتزوج فيها في المحاجيب فأنجب فيهم، ثم توجه بعـد ذلـك إلى مدينـة زارة صـحبة ابنـه محمد غلي فتزوج فيها أيضا، وآلت الأحوال بمحمد غلي إلى السكن بآدرار حيـث كـان أحد بناة مدينة شنقيط سنة 808هـ/ 1405م التي استقر بهـا وأنجـب بهـا ذريتـه الـتي أصبحت تعرف بالاغلال.

وفي سنة 1070هـ/ 1659م هاجر قسم من الاغـلال إبـان حـرب إيـدوعلي البـيض وإيدوعلي الكحل مـن شـنقيط باتجـاه بـلاد الركيبـه، مـن ضـمنه العالمـان الصـالحان الطالب مصطف بن الطالب عثمـان رئـيس أولاد أحمـد، والفقيـه الحـاج الأمـين بـن

[458] أحمد بن الحاج عبد الله، وثيقة تاريخية نقلا عن توماس وايت كومب، مرجع سبق ذكره، ص12.

[459] المختار بن حامدن، موسوعة موريتانيا، جزء شرفاء ولاته والنعمة وتيشيت، مرقون، ص18.

المختار رئيس أولاد موسى المشهور بالحاج الأمين التواتي، ثم انثالت عليهم جموع من المهاجرين من قبائل العرب والزوايا من أولاد امبارك، وأولاد موحمد، وإيدوعيش، ومشظوف، وأولاد نخلة، وأولاد طلحة، وأولاد بله، وعائلات من أولاد دليم، والترارزة، والبراكنة، وأولاد رزگ، وأولاد عگبة، وأولاد بوفايده، وأولاد داود اعروگ كما ذكر أحد سادة الاغلال الذي قال: «ذلك أنه دخل في قبيلتنا كثير من قبائل العرب من عرب الگبلة وعرب الساحل والحوض، وكثير من الزوايا وقبائل الصناع وإيگاون وغيرهم[460]»، فكانت للاغلال بهذا السبب دولة عظيمة، بلغت حدا كانت معه أحياء حلة واحدة من حللها هي حلة الطالب مصطفى تنتشر على مدى مسيرة يوم للراكب.

وبينما استقر أولاد أحمد وأولاد مالك الغلاويون في منطقة أفله وآوكار والرگيبه، انحاز بطن أولاد موسى إلى الحوض. وقد تولى الرئاسة العامة بعد الطالب مصطف ابنه عبد الرحمن الخليفة (ت1166هـ/ 1753م)، فابنه العالم المشهور جدو بن الخليفة (ت1210هـ/ 1795م)، ثم ابنه الفقيه أحمد طالب (ت1252هـ/ 1836م)، ثم ابنه عبد الرحمن الفقيه المتصوف المتوفى بالمدينة المنورة.

وضمت الاغلال عدة حلل ورئاسات، ومع كل حلة شيعتها من الزوايا والعرب واللحمة، فمنها حلة أهل جدو بن الخليفة (وكانت فيها الرئاسة العامة)، وحلة أهل الطالب جدو بن نختيرو بن الطالب مصطف، وحلة الطالب بن سيدي بوبكر بن الطالب جدو، وحلة أهل حنافي بن الشيخ بن الخليفة، وحلة أهل الحاج أحمدو من أولاد مالك، وغيرها. وكانت في أولاد موسى رئاسة عامة في حلة أهل الجيد[461].

وقد دخل الاغلال في حروب عديدة منها حرب الطالب مصطف مع الأيتام والرماة التي انتصر فيها عليهم. ومنها حربهم مع تجكانت الساحل ومتوليها من الاغلال أولاد موسى وأولاد سيدي بوبكر، وحربهم مع تجكانت سنة 1175هـ/ 1761م، وجل الاغلال في هذه الحرب من أولاد أحمد، ومن أشهر أيامها يوم تنكاره (1176هـ/

[460] فتاوى الگصري، سؤال لأحد سادة الاغلال، مخطوط، ص43.

[461] يحي بن احريمو، ورقات خاصة في التاريخ، ص4.

1762م). ووقعت بينهم مناوشات مع أولاد الناصر سنة 1272هـ/ 1856م. وفي سنة 1274هـ (1858م) وقعت معارك طاحنة بين الاغلال وأولاد امبارك انتصر فيها الاغلال انتصارا ساحقا. ثم اندلعت الحرب بين الاغلال ومشظوف، وانتهت هذه الحرب بانتصار مشظوف في يوم انبيز سنة 1278هـ (1862م) على الاغلال الذين أضر بهم العطش[462].

وممن ينتسب إلى قريش كذلك تمگله، ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب، ويعتقد أن توات هي مصدر هجرتهم إلى بلاد شنقيط، وكذلك قبيلتا إيديقب وأهل باركلل، كان جدهم ابهنض آم (أبو أحمد عامر) أحد مؤسسي حلف تشمشه، وانتسابهم إلى عبيد الله بن حسان، وقبيلة تكنه في بعض فروعها، وهي قبيلة كبيرة تمتد من بلاد شنقيط إلى واد نون بالمغرب، تكونت من تحالف واسع أساسه عرب بني حسان وعرب المعقل وفيها حضارمة وأشراف وصنهاجيون وزناتيون.

أما الأنصار فتنتسب إليهم قبائل كأهل أشفغ الخطاط، وانتماؤهم إلى أبي دجانة الأنصاري، وسائر بارتيل، وفرع التجار من مشظوف، وتاگاط، وبعض صميم إيديشلي[463]، وفي إيديشلي فروع لمتونية وفروع حسانية تنتسب إلى البراكنة وأولاد دليم وأولاد امبارك وأولاد الناصر وغيرهم، خالطوا إيديشلي قديما، واندمجوا فيها.

ومن القبائل التي تنتسب إلى الأنصار كذلك إيديبسات، وينتسبون إلى قيس بن سعد بن عبادة، وقيل إلى صعصعة الأنصاري، وبعض فروع إيچيچبه، وانتماؤهم إلى صعصعة الأنصاري، وبعض فروع إيدوالحاج، وفروعهم الأخرى ما بين الشرفاء ومسوفة (تفرله وتامگونه.

ومن المنتسبين إلى الأنصار كذلك أولاد تيدرارين، وأبناء عمهم ياداس، قدم أحد أجدادهم ويدعى حنين بن سرحان من ذرية أبي دجانة الأنصاري من وادان (بليبيا) إلى الساحل وهو شيخ ترك عياله هناك، فتزوج في قبيلة گندوز، وعقب فيهم ابنه

---

[462] المرجع نفسه، ص5.

[463] الخليل النحوي، مرجع سبق ذكره، وسيداتي بن بابه، تاريخ إيديشلي، مخطوط، ص4.

إبراهيم المدفون بلمسيد من أرض الساحل. وأولاد تيدرارين قبيلة كبيرة انتشرت من الساحل (الشمال الغربي الشنقيطي) إلى گليميم، وشغلت مختلف مناطق الساقية الحمراء ووادي الذهب، ثم دخلت حروبا متصلة مع انيرزيگ وقبائل بني حسان فأوهنها ذلك. ولها بقية تحمل اسمها في الوسط، والجنوب، والشرق الشنقيطي، كما دخلت منها فروع متعددة في قبائل أخرى، كإيدابلحسن، وكنته، وأولاد ديمان، وغيرهم[464]. أما ياداس فقد اتجهوا شرقا فكانوا بولاتة قبل مجيء أولاد يونس لها، وكانوا مع أولاد بوفايده يوم كساري (1124هـ/ 1712م)، ثم دخلوا أزواد، وفيهم الآن فروع حسانية، خاصة أولاد موحمد منهم، كما أن فيهم شرفاء گلگميين وتواتيين وأدارسة.

وممن ينتسب إلى الأنصار كذلك آل الحاج جاء جدهم إلى بني يعقوب مطلع القرن الحادي عشر، فولد له الحاج الذي شارك في شربيه، وولد للحاج في بني يعقوب ولدان هما المختار وأعمر ضغيش، كما ولد له ولدان آخران في باسين.

رابعا- القبائل المنتسبة إلى بني حسان:

ويتفرع الداخلون إلى بلاد شنقيط من بني حسان، ممن بقي لهم عقب أو ذكر إلى الرحامنة (أولاد عبد الرحمن)، والبرابيش (أولاد حمه)، وأولاد دليم، وأولاد أعمر، وأولاد اعبيد الل، وأولاد أودي (الودايا):

---

[464] عثر المؤرخ هارون بن الشيخ سيديا سنة 1335هـ 1917م، بتاوكارت، من أرض الساحل، بحوزة فرع أهل الطالب اعلي منهم، على عقد حماية كتبه لهم السلطان العلوي المولى إسماعيل جاء فيه: "يعرف منه بحول الله تعالى من يقف عليه من العرب والبربر وأهل الصحاري كلها [أنهم] لا يكلفون بتكليف، ولا يلزمون بمغرم ولا وظيف، حتى زكاتهم وأعشارهم يتولون صرفها على أيديهم، ولا سبب لأحد إليهم بسببها، فهم من جملة الزوايا المحروسين، المرابطين الموقرين بمسكنتهم واشتغالهم بما يعنيهم، وعدم دخولهم في [الأمور] التي لا تماثلهم، ولا تليق بمسكنتهم. ومن زاحمهم في شيء بعد هذا التوقير الذي عقدناه لهم، أو طالبهم بشيء، أو حام حول حماهم فالله ينتقم منه على يد عبده. والواقف عليه بعمل به. والسلام. وكتب في العاشر من شعبان المبارك سنة ست وعشرين ومائة وألف [للهجرة]".

وهذا العقد مكتوب على رقعة من جلد، وعليه طابع المولى إسماعيل، لفظة إسماعيل فيه مكتوبة بالذهب، مدور عليها بقوله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}. وعلى هذا العقد كذلك تصديقات بعض أبناء المولى إسماعيل عليه. المختار بن حامدن، جزء أولاد تيدرارين، مرقون، ص91.

1- أولاد عبد الرحمن (الرحامنة):

وكانوا وافرين ببلاد شنقيط إلا أن الملك السعدي محمد الشيخ الذي ساعدوه على مد نفوذه إلى عمق هذه البلاد، والاستيلاء على تيشيت ونواحيها كافأهم بتقريبهم منه، فنقلهم وأسكنهم إقليم تامسنا شمال مراكش، حيث هلك أغلبهم في وقعة ضد أبي حسون الوطاسي[465]، فلم يبق في بلاد شنقيط منهم بهذا السبب إلا قلة مزقتها الحروب مع أولاد أودي ثم مع أولاد أعمر (إجمان)، فانحدر قسم منها إلى الگبلة ودخل أكثرها في أزواد، فاندمج أغلبه في البرابيش.

2- أولاد حمه (البرابيش):

وهم خمسة: شبل، وعمران، وسعيد، وغنام، وعكرمة، إضافة إلى أولاد عبد الرحمن (أبناء رحمون بن رزگ بن أودي) الذين تعصبوا مع البرابيش، واندمجوا فيهم. وكان البرابيش أسياد آدرار لعدد من السنوات، حتى أزعجهم أولاد أودي عنه بعد حروب متصلة، مات فيها كثير من أولاد شبل البربوشيين، فخرجوا من آدرار باتجاه الشرق إلى نهر النيجر. ومنهم من وصل إلى أزواد عبر إيگيدي الشمالي دون المرور بآدرار، كما وقع لبطون أولاد سليمان، وأولاد أحمد، وأولاد إيعيش، والدلوات من الرحامنة. ثم أفنى الذين بقوا منهم بأرض الحوض أولاد يونس بن اعروگ بن أودي بعدما ظفروا بهم في يوم توگ سنة 1122هـ/ 1710م[466]، وتفرق أبناؤهم، وهم مائة طفل، اشتهروا بحشاشة البرابيش في القبائل، فدخل الحرش منهم في أولاد يونس، واشتهر منهم الطالب الأمين بن الطالب الحبيب شيخ أهل ولاته بالعلم والعمل، وكذلك أخواه وغيرهم.

---

[465] سبق تخريجه نقلا عن مارمول.

[466] تاريخ ابن اطوير الجنه، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، نشر جامعة محمد الخامس، الرباط 1995، ص51-52.

ومن هؤلاء البرابيش: أولاد كاني من الزخيمات، وآغزازير، والكنابشة، وبرابيش أولاد الناصر، وبرابيش أولاد علوش، وبعض عائلات الصناع[467].

وأشهر بطون البرابيش: أولاد عبد الرحمن، وأولاد سليمان، وإليهم صارت رئاستهم، وأولاد إخوتهم: أولاد أحمد وأولاد اسليمان والمعاتيگ، ويقال لهم: أولاد عامر، ومن قبائلهم أولاد عمران، والمحافيظ، ويقال لهم: عرب الگبلة، وكانت فيهم الرئاسة قديما، وأولاد إيعيش، وأولاد بوخصيب، وأولاد إدريس، وأولاد غنام، وأولاد عكرمه، ويقال لهؤلاء: بطن الجمل، وأولاد اسعيد، ومنهم أهل حمد، وأهل الحسن، ومن المحافيظ: العويسيات في آدرار وتگانت، وأهل بدله، ومنهم عائلة في الرگيبات.

ومن البرابيش كذلك: أولاد جلول، والخطورات، والنهارات، وأولاد النضير، والغميرات، وأولاد الشبيل، وأولاد عثمان، وغيرهم.

وتعتد في البرابيش قبائل وفروع مختلفة، كما دخل بعضهم في قبيلة مشظوف، التي انضوت تحتها قبائل كثيرة، إبان تغلبها في الحوض خلال القرن التاسع عشر.

3- أولاد دليم:

وهم قبيلتان: أولاد امعرف، وأولاد سنان، وهم الذين أوقعوا وقعة أم أعبانه بتيرس الزمور بالمغافرة سنة 1107هـ / 1695م.

فمن أشهر بطون أولاد سنان: أولاد المولاة (بنو سلطان بن سنان)، وبعض فروعهم الآن في الرگيبات، والبرابيش وغيرهم.

ومن أولاد امعرف: أولاد الشويخ، وأولاد الرميثية، فمن أولاد الشويخ:

أولاد اللب بن الشويخ المغفري، وقيل له المغفري لأن أمه المغفرية بنت الغويزي بن النبيگه، استوطنوا إينشيري.

[467] صالح بن عبد الوهاب الناصري، الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، مخطوط، نسخة المختار بن حامدن، ص31.

ومـن أولاد الشـويخ كـذلك: أولاد سـالم، والگـرع، وأولاد سـدوم، وبعضـهم مـع أولاد الرميثية، والوعران.

فأما أولاد الرميثية -وكانوا بتيرس ونواحي انواذيبو- فمنهم: لوديكات، وأولاد باعمر، وأولاد تگدي، والسراحنة، وأولاد الخليگة، وأولاد بو يعلي، وغيرهم[468].

4- أولاد أعمر:

وأعمر بضم الميم[469]، وقد بقي منهم كثير بالمغرب، وأما ببلاد شنقيط فكـانوا بـآدرار في الثلث الأخير من القرن التاسـع للـهجرة (15م)، ثم أزعجهـم أولاد أودي عنـه باتجـاه الرگيبه، فدلفوا من خلالها إلى الحوض، فغلب عليهم هناك اسم إجمـان، وانقسـموا إلى قسمين: عرب وزوايا، وأغلبهم الآن بالحوض الشرقي، وبعضهم بالعصـابه والتـرارزة. وقيل كانت إجمان قبيلة زاوية فانضم إليها أولاد أعمر فصاروا لا يعرفون إلا بها.

5- أولاد اعبيد الل:

وقيل اعبيد الل بن أعمر بن حسان، من عقبه اليعقوبيـون (إيـديقب وأهـل باركلـل) أبناء ابهنضام (ابهنض آم= أبو أحمد عامر) بن محمد بن يعقـوب أحـد أجـداد تشمشـه، وجمهورهم بالصحراء الغربية، والساحل، والترارزة، منهم العلامـة المختـار بـن أشـفغ موسى قاضي الأمير اعلي شنظورة الذي ناظر العروسيين وأفحمهم فانجلوا عن إگيدي دون قتال، فقال له اعلي شنظورة: إگيدي لك فاقسـمه، فقسـمه أشـفغ موسـى فـأعطى قسمه الشرقي للألفغيين، والذي يليه لأولاد ديمان، والذي يليـه لليعقـوبيين[470]، ومنـهم المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي ومولود بن أحمد الجواد، والشيخ محمد المامي، وشـهرتهم

---

[468] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص86، والجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص100، وجزء بني حسان، مرقون، ص170.

[469] وقيل إن همزة أعمر هذا مختلسة أشبه ما تكون بالهمزة الوصلية.

[470] اليعقوبي، ورقات في التاريخ، مخطوط، ص4.

تغني عن التعريف بهم، وشعراؤهم من أشهر شعراء القطر، منهم : مولود المتقدم، واحمد بن الطلبة، والمامون بن محمذن الصوفي.

6- أولاد أودي (الودايا):

وهم ثلاث مجموعات: أولاد اعروگ بن أودي، وأولاد رزگ بن أودي، وأولاد مغفر بن أودي (المغافرة).

أولا- أولاد اعروگ بن أودي:

فأما أولاد اعروگ بن أودي فأولاد يونس، وأولاد عگبه، وأولاد داود. فمن أولاد يونس بن اعروگ: أولاد رحمون، وأولاد ازعيم، وأولاد إيعيش، وأولاد الواعر، وأولاد بارحيل، وأولاد ديلوي، والحرش، والمصابيح، انقرض بعضهم، ودخل بعضهم في القبائل، لا سيما في أولاد موحمد (أبناء احمد بن داود بن عمران بن عثمان بن مغفر) وأولاد داود وأولاد امبارك وتاگاط وبارتيل، وقلوا وتفرقوا بعد أن ملأوا ولاته ونواحيها، وخربوا قرية تيزخت التي كانت على بعد ميلين منها، وقتلوا شنانا العروسي بها وشتتوا محلته، كما أفنوا قبل ذلك البرابيش في يوم توگ، وبددوا قوتهم بتلك الناحية..

ومن أولاد عگبة بن اعروگ: أولاد بوكار، وأولاد مزوك، وأولاد بيه، وأولاد ياسين، والجنابجة، والسكاكنة، والعبلات، والخليدات، والخواوصه. كانوا يستوطنون في جنوب الحوض الغربي وفي الليوانه (في مالي الحالية)، بينما كان أولاد يونس وأولاد داود اعروگ في الحوض الشرقي. وكان أولاد عگبة أعز العرب، طرقوا بلاد الگبلة قبل عهد أولاد رزگ، ثم جاء أولاد رزگ فانحرفوا عنهم نحو الشرق فملكوا ما بين العصابه وبلاد السودان شرقا مع من خالطهم من العرب، فكانوا أرفع من في تلك الناحية من العرب شأنا، لاسيما أولاد بوكار منهم، كان رئيسهم اعلي بن دهموش أعز أولاد عگبة، وأرفعهم ذكرا، وأشدهم أمرا ونهيا، وإليه تنسب الحلة المسماة كوراره التي استولى عليها أولاد امبارك، فصارت لأهل اللب من أولاد الغويزي من أولاد امبارك.

ولما حاقت الهزيمة بأولاد عگبة تفرقوا في القبائل فصار أولاد بوكار مع أولاد الغويزي، بينما انضم أولاد مزوك إلى آسكر أهل بهدل، ودخل بعضهم في مشظوف، ودخل بعضهم في تاگاط، وتنواجيو وغيرهم من الزوايا.

ومن أولاد داود بن اعروگ: أولاد زيد، وأولاد علوش، واجعافره، وأولاد اسعيد، واندمجوا أو أغلبهم في أولاد علوش، وأولاد امي، وقيل إن ترمز منهم، وهي قبيلة معظمها في أزواد.

فمن أولاد زيد: الجامات، والاكتاف، وأولاد الحسن، وأولاد إبراهيم.

ومن أولاد علوش: أولاد بوزيد، وأولاد بوعلي، والعثامنة، والگشارات، وأولاد موسى، وأولاد الحاج.

ومن الجعافرة: الهدادجة، والمناصير، والشباهين.

ولما تفرق أولاد علوش صاروا فرقتين: فرقة تيامنت فدخلت بلاد السودان، وفرقة تياسرت فجاورت أولاد بله حتى انتعشت، واستقل أهل بورده من أولاد بوعلي منهم فصاروا قبيلة بحالها. ثم قوي أولاد علوش وكثروا بعد يوم تگلط الذي أوقع فيه بهم أولاد زيد سنة 1073هـ/ 1662م.

ثانيا- أولاد رزگ بن أودي:

وأما أولاد رزگ بن أودي فبطونهم: أولاد بوعلي، وأولاد اخليفه، والكتيبات، وأولاد عايد، والعساكره، وأولاد عطية، وأولاد عبد الواحد، وأولاد رحمون، وباسين، كانوا من أقوى قبائل بني حسان وأوسعها ملكا، ثم تلاشوا بسبب حروبهم التي اندلعت مع المغافرة مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (17م)، فمن زوايا أولاد بوعلي اليوم بقية في إيكمليلن[471].

[471] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص13.

وأما أولاد عايد بن رزگ فمنهم: الزكاكنه، وأولاد عيسى في گرگول، وأولاد امحمد، وأهل أحمد في الترارزة. وفي أولاد عايد توجد اليوم بقية الكتيبات الذين فني أكثرهم يوم انتيتام.

وأما العساكره فتوجد بقيتهم اليوم بالبراكنة، وأما أولاد عبد الواحد فتفرقوا فكانت منهم طائفة في أولاد امبارك بالحوض، وبقيت منهم طائفة بالگبلة والساحل. وكانوا حتى عهد قريب قسمين: شرقيين ويعرفون بأهل الشوك، وغربيين ويعرفون بأهل الزبار.

وأما أولاد رحمون فبعض بقيتهم اليوم في البرابيش، وفي الزبيرات في سيلبابي، وفي تجكانت، وأولاد غيلان، وأولاد امبارك، والسواعيد، والصويلات، وأولاد امحمد بن أحمد وأغلب هؤلاء جازوا إلى السينغال.

ومن أولاد رزگ أولاد بيجه بن شمه (إيدكشمه) من أولاد سيدي اشواص الذين كانوا من أمراء أولاد رزگ وعظمائهم في المنطقة، ثم آوت بقية منهم منها أولاد بيجه بن شمه (إيدكشمه) إلى "ازريبت امرابط مكه" إبان الفوضى التي دبت في صفوف أولاد رزگ بعد هزيمتهم في انتيتام. وتزوج امرابط مكه من مريم بنت بيجه التي ولدت له ابنه محنض إنلل وأخويه عثمان والماحي، فكان ذلك سببا في تعصب إيدكشمه مع أولاد أبييري الذين أصبح إيدكشمه من أخوالهم وأصهارهم[472].

ولأولاد رزگ بقايا أخرى متفرقة في القبائل.

ثالثا- أولاد مغفر بن أودي:

وأما المغافرة (أولاد مغفر بن أودي)، فهم ملوك البلاد وورثتها بعد أولاد اعروگ وأولاد رزگ، وفروعهم: أولاد اخليفة بن مغفر، وانقرضوا بعد أن شاركوا في حرب شرببه، وأولاد الناصر بن مغفر، وأولاد ارميث بن مغفر، وأولاد عثمان بن مغفر.

---

[472] المختار بن حامدن، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص62. ومحمد بن أبي مدين، المنيحة، مرجع سبق ذكره، ص58. ويحي بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، نشر معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ص60-63 و90-92.

1- أولاد الناصر بن مغفر:

فأما أولاد الناصر بن مغفر، فمنهم عنتر بن ناصر جد العناترة، وعيسى بن ناصر جد العياسات، وتحت هذين الفرعين بطون مختلفة منها: أولاد اشبيشب، وآفاشيل، وأولاد كروم بن بو اخروفه، وأولاد اعبيد بن عيسى، وأولاد حرمة الل، وأولاد اسعيد، وأولاد حله، وأولاد رحمون، وأولاد معتوگ، وأولاد عبد الكريم، والبرارشه، والغرابه، والكمامره، والعياسات، وغيرهم. وجمهورهم بالحوض. حمل بعضهم شعار الزوايا، وبقي بعضهم على شعار العرب المحاربين، وجمع بعضهم بين الوصفين، واشتهر ممن انخرط منهم في سلك الزوايا باسم انتابه المستوطنة بالترارزة، اشتق اسمها من كلمة التوبة.

2- أولاد ارميث بن مغفر:

وأما أولاد ارميث بن مغفر فأغلبهم بالمغرب جنوب مراكش، ومنهم: أهل دداش، وكانوا مستوطنين بالحوض فانقرضوا وتفرقوا في القبائل، وأولاد امبارك بن عيسى بن سعيد بن مسعود بن ارميث، سكنوا في الاغلال، والبيدات، وأغلبهم بالترارزة وبعضهم جاز إلى السينغال، والرحاحلة وموطنهم بالترارزة[473] قدموا إلى هذه البلاد نصرة للأمير التروزي اعلي شنظورة (تـ 1139هـ/ 1727م) بأمر من السلطان العلوي المولى إسماعيل فاستطاع بفضلهم أن يخلص منطقة ملكه من أولاد دليم والبراكنة وبقايا أولارزگ.

ويقال إن محلة اعلي شنظورة كانت تضم كذلك الزبيرات والعيايطة وإن أصولهم حسانية لكنهم تعصبوا مع إيدوعيش ثم مع أولاد امبارك وأهل سيدي محمود لاحقا، هكذا قال المختار بن حامدن[474].

---

[473] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص68. والمختار بن حامدن، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص138.

[474] أخبرني المؤرخ محمد بن مولود بن داداه به نقلا عن المختار بن حامدن، لقاء خاص، عين السلامه، مايو2005.

3- أولاد عثمان بن مغفر:

وأما أولاد عثمان بن مغفر فأربعة: اعلي الأطرش، واحمد، وأمهما عربية فلذلك يقال لذريتهما: أولاد العربية. ويحي، وعمران وأمهما صنهاجية تدعى مروشه بنت الاحمر فلذلك يقال لذريتهما أولاد الزناگية.

أولا- أولاد العربية:

فأما اعلي الأطرش بن عثمان بن مغفر فيعرف عقبه بالطرشان، وهم الآن بآدرار مع أبناء عمومتهم أولاد يحي بن عثمان، وأما احمد بن عثمان بن مغفر فولد داود بن احمد، وامبارك بن احمد.

فمن داود بن احمد بن عثمان بن مغفر أربعة: اعلي بن داود، ومن عقبه: أولاد بو فايدة، وأولاد منصور، ومن عقبهما جمهور قبيلة التناگيد القاطنة الآن بالحوض. واسليمان بن داود، ومن عقبه: أولاد نخله. واحمد بن داود، ومن عقبه: أولاد بله. وطلحة بن داود.

ومن امبارك بن احمد بن عثمان بن مغفر: أولاد امبارك. وهم أولاد الفحفاح بن امبارك، وأولاد إخوته: الغصاص[475] وسلمون وأعمر، وكانوا يعرفون بأولاد امبارك الصغار، وكانوا يعتدون في أولاد الفحفاح ثم انقرضوا. فمن أولاد الفحفاح: أولاد الغويزي بن الفحفاح، وأولاد أعمر (بضم الميم) بن الفحفاح، وعلى هذين البطنين يطلق اسم أولاد الفحفاح عرفا، ثم أولاد الذيب بن الفحفاح.

وكانت لأولاد امبارك جبايات ومغارم بنواحي آدرار، وبالگبلة، ثم تلاشوا منها بعد هزيمتهم على يد أولاد الزناكية يوم أگيرت (1041هـ/ 1631م) الذي قتل فيه

---

[475] كتبت في نسخ الحسوة البيسانية المتداولة بالقاف، وضبطها المؤرخ محمد بن مولود بن داداه بالغين.

أوديكه الاگرع بن الغويزي أحد رؤسائهم، قتله الگيرع بن العفني بن أحمد بن عبد الجبار بن ملوك بن بركني، كان أوديكه الأگرع يجوب الگبلة بمحلته فجاء إلى تشمشه فقال لهم: من أنتم؟ قالوا له: نحن المعتقون [معتقو أولاد رزگ]، فقال لهم: لا معتق اليوم، ثم طلب منهم المغرم فأعطوه حلة، وترك عندهم رمحه دليلا على أنهم غفره. ثم أتاهم أحمد بن دامان فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن المعتقون، فقال لهم: كل من أعتقه أولاد رزگ فنحن نعتقه، ولكن ارحلوا نحو الساحل لئلا يمر بكم أوديكة الاگرع فيسومكم بما لا تقبلون، ولم يكن يعلم بمروره بهم، ولا أخبروه بما أعطوه، فرحلوا نحو الساحل، ثم إن أوديكة جاء إلى بني يعقوب عند تنجو قرب النمجاط، ومعه كثير من الزرع واللباس والتبغ، مما جمع من الزوايا وغيرهم، فتقدم له أحمد دوله الإدودامي بعدم قبول المغرم، وأبى أوديكه إلا المغرم أو الغارة، فسرى تلك الليلة أشفغ المصطفى بن أبي عبد الله، وحوم الل اليعقوبي يجمعان أطراف أحياء بني يعقوب، فبينما هما كذلك إذ جاء النذير إلى أوديكه أن أولاد الزناگيه قد ضيقوا على قومه، فترك ما جمع عند الفقيه حبيب الله اليعقوبي وركب حينئذ إلى قومه، فوقع يوم أگيرت، شمال صنگرافه فقتل أوديكة فيه، فأرسل الفقيه حبيب الله متاع أوديكه إلى أهله، وكانوا عند انساغيار قريبا من تلماس، فلما نعي أوديكه إلى زوجته گرطوفه طلعت على تيشطايه (من شجر الإهليلج) هناك فناحت عليه نياحة شديدة، فصارت تلك التيشطاية تعرف منذ ذلك العهد بتيشطاية گرطوفه[476].

ثم استقروا بتگانت مدة من الزمن، وبعد ذلك انتقلوا إلى الحوض حيث استفحل ملكهم هناك.

فممن اشتهر من أولاد امبارك، ثم من أولاد الغويزي: النبيگه بن الغويزي، ويقال له بوگرن، وعمران بن الغويزي، ومومن بن الغويزي، ورئاستهم في أولاد النبيگه.

[476] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص83-84.

ومن أولاد النبيگه كذلك: أوديكه بن النبيگه وأولاده، كان في أهل اللب بن بوسيف بن أوديكه منهم الرئاسة، وهم الذين ورثوا ملك أولاد عگبة من أولاد داود اعروگ، وملكوا كرارة ابن دهموش، وتغلبوا على ما كان بيده وأيدي أولاد بوكار وغيرهم، من أولاد عگبة من السلطان[477].

ومنهم: أولاد عمران بن النبيگه، وأولاد سدوم بن النبيگه، ويقال لهم البراكنة، لأن أمهم بركنية، منهم الظريب بن عمران بن النبيگه، كان بطلا شجاعا، قتل يوم غزو المغافرة لأولاد دليم، المعروف بيوم شار سنة 1108هـ/ 96 - 1697م، وهو يوم رد به المغافرة على أولاد دليم الذين أوقعوا بهم في وقعة أم أعبانه سنة 1107هـ/ 95 - 1696م، ولم يمت يوم شار من المغافرة غير الظريب هذا فسموه لذلك لعاگ شار، أي مشؤوم شار.

ومن أولاد النبيگه كذلك: أولاد أعمر، وأولاد الكيحل، وأمهما نبطية (من إيدوعيش) فلذلك يقال لهم الأنباط.

واشتهر من أولاد الفحفاح: أولاد اعبيد (العبيدات)، وأولاد گيسوم، وأولاد أوديكه، وأولاد أحمد، وأولاد النمداي، وأولاد بنيوگ أولاد أعمر (بضم الميم) بن الذيب بن أعمر (بضم الميم) بن الفحفاح، وبيت العدد فيهم بيت أهل محمد الزناگي بن بنيوگ بن أعمر بن الذيب بن أعمر بن الفحفاح، منه بنوه: هنون العبيدي، وحمه، وبهدل، وممه، وأعمر الشماته، وبنعيش، ويقال لأولادهم سوى هنون العبيدي: فونتي. ومن أولاد هنون: أولاد العاليه، وأولاد عيشه، وهي عيشه بنت امحمد بن خونه الزناگية (الصنهاجية)، واللب بن هنون، ولا شقيق له، وديده ولا شقيق له، وأمه بوفايدية.

ومن محمد الزناگي أيضا: بنوه بوسيف، ودخنان، وبهدل، وارشيد، ويقال لهم أولاد بنت الغصاص، واللب، وسدوم، وبهدي، ويقال لهم أولاد أم النون. ويقال لأولاد بنت الغصاص وأولاد أم النون جميعا فات انغلي.

---

[477] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص62.

ثانيا- أولاد الزناگية:

وأما يحي بن عثمان فتعرف ذريته بأولاد يحي بن عثمان، وهم: أولاد غيلان بن يحي بن عثمان، منهم: أولاد سله، والطرش، ونغموشه، والذهيرات، والغرابه، وآگمتار وغيرهم. فمن الطرش: أولاد سلمون، والمشاهير، والشوامات، والصيايده، وغيرهم، ومن نغموشه: العيايشه، والسمامنه، والهمامنه، والملالكه، والحياينه، وغيرهم. ومن آگمتار بن غيلان بن يحي بن عثمان: آگشار بن آكمتار، واسم أولاد إخوته اگميترات، ومن آگشار بن آگمتار: عمني بن آگشار، واسم أولاد إخوته: أولاد آگشار، انسلخ أولاد غيلان من يحي بن عثمان، وأولاد آگمتار من غيلان، وأولاد آگشار من آگمتار، وأولاد عمني من آگشار. ويطلق على أولاد عمني وأولاد آگشار جميعا أولاد الجعفرية، وفي أولاد عمني اسم أولاد يحي بن عثمان، وإمارتهم، وهي بآدرار.

ومن أولاد يحي بن عثمان: أولاد بولحيه، والعويسيات، ومعظمهم بآدرار، وبعض أولاد بولحيه بالعصابه وتگانت[478].

وأما عمران بن عثمان بن مغفر (من أولاد الزناگية) فترك: داود بن عمران، وهداج بن عمران، فترك داود بن عمران: داودات، كانت لهم قوة وجباية ببلاد الگبلة، سبقوا إلى ذلك أبناء عمهم أولاد هداج بن عثمان بن مغفر (البراكنة والترارزة والخواوات)، ثم قلوا في الگبلة، ونزحوا شرقا قبل أن يتفرقوا ويتلاشوا، بعد أن كانوا عصب أولاد الزناگية يوم أگيرت (1041هـ/ 1631م) قرب صنگرافة، إلا أولاد امحمد بن داود بن عمران منهم فظهروا بالحوض باسم أولاد بوحمد في عهد أولاد داود اعروگ.

ومن أشهر بطون أولاد بوحمد: أولاد الأگعس، وأولاد علول، وأولاد الذيب، والزماريگ، ولماليش.

وترك هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر: اخواو، وبركني، وتروز.

---

[478] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص34.

فمن اخواو بن هداج: الخواوات، وبطونهم: أولاد احميد، وأولاد إبـراهيم، وأولاد عـزوز، وأولاد بوبكر، كانوا من فرسان العرب في شربيه، وأسر الزوايـا منـهم عـددا فـأطلقهم ناصر الدين وقال: سـيخرج مـن أصـلابهم الصـالحون. وفـيهم الآن قلـة لتفـرقهم في القبائل، خاصة تندغه وغيرهم من الزوايا، وفي أولاد بنيوگ منهم عائلات.

ومن بركني بن هداج: ملوك (عبد الملك) بن بركني وإخوته، فمـن ملـوك بـن بـركني: كروم (عبد الكريم) بن ملوك، وعبـد الجبـار بـن ملـوك، كـان في بيتـهم اسـم الودايـا (الأودايا)، ثم كان فيهم بعد تفـرق أولاد أودي اسـم المغـافرة، دون أولاد ارميـث، وأولاد الناصر، وأولاد امبارك، وأولاد داود بن عمران، وغيرهم، ومعهم الترارزة في ذلك. وكان البراكنة رؤساء المغافرة كما كانوا رؤساء بني أودي.

فمن كروم بن ملوك: عبد الل بن كروم وأولاده، وهم تسعة: احمـد، واعلـي، والمختـار، وبكار، وإبراهيم (ابريهمات)، واحميد، أمهم: أم العز بنت الغويزي مـن أولاد امبـارك، ويقال لهم أولاد أم العز، ومنصور، واكريشات، وويـس، أبنـاء أمهـات شـتى. وبيتـهم في أولاد احمد بن عبد الل، ومنه: أولاد نغماش بن احمـد، وعلـى أيـديهم نشـأت إمـارة البراكنة، وأولاد السيد بن احمد، وإليهم انتقلت هذه الإمارة مع بدايـة القـرن الثالـث عشر الهجري (19م)، وأولاد ابيش بن احمد، وأولاد الناگظ بن احمد، وأولاد اعليوهـا بن احمد.

ومن أولاد ملوك بن بركني أولاد ملوك الذين بالحوض، ثم بمشظوف.

ومن أولاد اعلي بن عبد الل: بيض، وكحل، وتيـاب. وكانـت لهـم مشـاركة في رئاسـة البراكنة، منهم: بكار بن اعلي بن عبد الل، كان يضرب به المثل في الشـجاعة والقـوة، وجهارة الصوت حتى لقب ببكار الغول، كان هو ونغماش رئيسـي البراكنـة في حـرب شربيه، وابنته اخناثه بنت بكار تزوجها المولى إسماعيل، زوجها له أبوها بكار (الغـول) بن اعلي بن عبد الل البركني مجيئه إلى الصحراء سنة 1089هـ/ 1678م، وكان المولى إسماعيل يعد المغافرة من أخوالـه، لأن أمـه كانـت مـن أولاد العربيـة (أولاد امبـارك)، كانت مع أولاد جرار (أبناء عم بني حسان) بالسوس فجـاءوا بهـا إلى المـولى الشـريف

حينما كان معتقلا في سجن آل بودميعة السملاليين بـإيليغ، وسمح لـه الأمـير بودميعـة بالاقتران بها فولدت له المولى إسماعيل. وقد ولدت اخناثه بنت بكار للمـولى إسماعيـل: ابنه المولى عبد الله جد الملوك العلويين الحاليين في المغرب.

ومنهم (أي أولاد اعلي بن عبد الل): اعلي بن امحيمد بن اعلي بن عبد الل، وفد على المولى إسماعيل فخاطبه المولى إسماعيل بـالطعن في انتسـاب المغـافرة إلى جعفـر بـن أبي طالب، تبعا لما ذكر ابن خلدون، فرد عليه اعلي بن امحيمد بـالطعن في انتسـاب المـولى إسماعيل إلى علي بن أبي طالب جزاء وفاقا، فغضب المـولى إسماعيـل مـن ذلـك غضـبا شديدا، فتدخلت اخناثه بما أرضى السلطان عنه[479].

ومن أولاد منصور بن عبد الل: أولاد سـدوم، وأولاد بنيـوگ، وأولاد عمـران، وغيرهـم، كان فيهم العدد، فتفرق أكثرهم في القبائل، لاسيما تاگنيت.

ومن كروم بن ملوك أيضا: اليتامى، وهم أولاد يحـيى بـن كـروم، وكانـت فـيهم رئاسـة اليتامى، وأولاد حومه، وهو أحمد بن كروم، وأهل الگاوصي، أولاد الگاوصي بـن كـروم، وأهل الشين آگرار بن كروم، وأهل آميگاي بن كروم، وقد انقرض أكثرهم أو تفـرق في القبائل لاسيما تاگاط.

ومن عبد الجبار بن ملوك: أحمد بن عبد الجبار بـن ملـوك بـن بـركني، ويعـرف أولاده بأولاد أحمد، وربما قيل لهم أولاد بوزكري أو أولاد أحمد إگيدي.

ومن عبد الجبار أيضا: محمد، منه: ابنه أحمد بن محمد بن عبد الجبار الملقب أبييري جـد قبيلة أولاد أبييري الشهيرة، إحدى أكـبر قبائـل الزوايـا في بـلاد الگبلـة، تـاب جـدهم أبييري في تندغه ثم سكن مع المدلش، وتـرك بنتـا وخمسـة أبنـاء هـم: أعمـر بوگطايـه وفاطمة، وأمهما من أولاد امبارك، تزوج بها أبييري قبل مغـادرة المغـافرة (أولاد عثمـان بن مغفـر) لإگيـدي (الشـمالي) في صـدر القـرن العاشـر الهجـرى (16م)، وأعدجـه، وإميجن، وأمهما تندغية، وامرابط مكه وموسى، وأمهما بنـت عبـد الـرحمن الگلگمـي،

[479] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص54.

وعقب هؤلاء هو الذي يشكل مع ذراري أعمامهم: بسرين، وأدهس، وقاري، وأبهم، وغيرهم قبيلة أولاد أبييري المعروفة، وأخو هؤلاء عبد الله بن محمد بن عبد الجبار الملقب أجم، وتعرف ذريته بإجمان.

ومن بركني كذلك ابنه عبد الل، وابنه داود، ويقال لذريته داودات، ويعرفون بعرب آمور، وفيهم قلة اليوم.

ومن بركني أيضا ابنه عمران من بقيته بوزكري بن عداد بن عمران الذي لجأ إلى إيديشلي بعد قتله لأحد أقاربه، وأصبح له عقب هناك من ابنه تناك، وأم تناك قراريش بنت حيب الله من أولاد ساسي.

ومن تروز بن هداج: اعلي بن تروز، وموسى بن تروز.

فمن اعلي بن تروز: أولاد عبد النبي، وأولاد أحمد الصغير، فمن أولاد عبد النبي: أولاد عمران، وانقرضوا بعد شربه، وأولاد بزيد والطلابين، ومن أولاد أحمد الصغير: أولاد بنيوگ، ومن بقيتهم من اندرج في تحالف الطلابين، وأولاد آگشار، والگباعات، وهؤلاء يعرفون بعزونه نسبة إلى جدتهم.

ومن موسى بن تروز: امحمد بن موسى بن تروز ومسعود بن موسى بن تروز، فمن امحمد بن موسى بن تروز قبيلة موسات، وكانت فيهم كثرة وسطوة، حتى أوهنتهم حربهم مع أولاد بنيوگ من عزونه، ثم أوقع بهم الأمير التروزي اعلي الكوري (المتوفي 1200هـ/ 1786م)، بعد ذلك، فلم يبق منهم إلا آحاد تفرقوا في القبائل.

ومن مسعود بن موسى بن تروز بوعلبه بن مسعود، وعزوز بن مسعود، فمن بو علبه بن مسعود: قبيلة لعلب، وتعرف بآسار الترارزة (أي درعة الواقي)، من أشهر فروعهم: أولاد امحمد، والغوافيف، وأهل ويس، والكحل، والگنيديه، وغيرهم.

ومن عزوز بن مسعود أربعة: امحمد، وسدوم بله، وأحمد، ودامان، امحمد جد الگوانيط، تحالفوا مع إيدوعيش، وسدوم بله جد أولاد سدوم بله، وأحمد جد أولاد أحمد بن عزوز، ويدعى أولاد أحمد بن عزوز وأولاد سدوم بله وأولاد امحمد بأولاد البوعليه نسبة إلى

أمهم عيشه بنت گدول بن موسى البوعلي، ودامـان وأمـه عنتريـة (ناصـرية)، وأبنـاؤه: أحمد، وعتام، وساسي، وعبله، وآگمتار، وزنون، وامحمد[480].

فأما أحمد فأبناءه هم المشهورون بأولاد أحمد بن دامان، وأما أولاد ساسـي، وأولاد زنـون، وأهل عتام، فهم المشهورون بأولاد دامان، واشتهر أولاد عبله بأهل عبلـه، وأولاد آگمتـار بأهل آگمتار، وأولاد امحمد بامحيمدات، وتعصب امحيمدات وأهل عبلـه وأهـل آگمتـار مع أولاد أحمد بن دامان.

وكانت في أبناء أحمد بن دامان لاسيما ابنه هدي بن أحمد بن دامان قيادة جبهة التـرارزة في حرب شربيه إبان دولة الإمام ناصر الدين، ثم إمارة الترارزة بعد زوال هـذه الدولـة سنة 1088هـ/ 1677م.

[480] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص67.

التاريخ الحديث

دولة الإمام ناصر الدين
(1076هـ - 1088هـ /1665 - 1677م)

1ـ تشمشه من عهد أولاد رزگ إلى عهد المغافرة:

دامت المناوشات بين المغافرة وأولاد رزگ قبل معركة انتيتام الفاصلة عشرين سنة دون حسم، وكانت آخر معركة تقع بينهم قبل يوم انتيتام معركة النيش التي وقعت عام 1039هـ/ 1629م، ثم حدث أن اندلعت الحرب بين جناحي أولاد رزگ القويين أولاد بوعلي والكتيبات، وذلك أن أولاد بوعلي ومن معهم كانوا عند تيلماس (جنوب شرق انواكشوط)، وكان الكتيبات ومن معهم عند تينياشل (جنوب شرق تيلماس)، فغزا أولاد بوعلي بمن معهم من أولاد رزگ إحدى مناطق الشرق فغنموا أموالا جزيلة، ومروا في طريق عودتهم بالكتيبات عند تنياشل، فكانوا كلما مرت كتيبة من الغانمين سقت وسيقتها من تنياشل ثم اجتازت نحو أهلها بتيلماس، ثم تأتي أخرى فتسقي وسيقتها كذلك، وهكذا بحيث لا يلحق بعضهم بعضا، إلى أن مرت آخر كتيبة من أولاد بوعلي، وفيها ثلاثون رجلا منهم امهينين بن عيسى من رؤسائهم، فتعرض لهم الكتيبات فقتلوا الرجال ونهبوا الوسائق، فغضب أولاد بوعلي من ذلك غضبا شديدا، حتى ألجأهم الغضب إلى أن قرروا ممالأة المغافرة عليهم، فأرسل محمد بن عيسى أخو امهنين للمغافرة يحثهم على غزو الكتيبات، وبعث إليهم بهدايا جزيلة من الزرع الخالص، واللباس الحسن، والتبغ الجيد، فلما أتتهم الهدايا نهضوا واستنهضوا سيدي إبراهيم العروسي الذي كان يريد تشمشه بمحلته فنهض معهم نحو الكتيبات وشيعتهم من أولاد رزگ، فرحل الكتيبات ومن معهم عنهم داوين خائفين، فادارکوا جميعا عند انتيتام (7كلم شمال شرق الركيز جنوب الترارزة) فكانت الوقعة المشهورة التي انهار

بسببها ملك أولاد رزگ سنة 1040هـ/ 1630م، وأصبح المغافرة سادة الگبلة، فآل إليهم أكثر المغارم التي كانت لأولاد رزگ وحلفائهم بالمنطقة[481].

وعادت تشمشه للاجتماع، وكانت قد تفرقت قبيل معركة انتيتام خوفا من المغافرة لأن تشمشه كانوا حلفاء لأولاد رزگ، فلما انتهت الحرب، هم المغافرة بتغريمهم، «فقدم إليهم أحمد وعتام وساسي فالتمسوا منهم المغرم فأبوا، فقالوا: لا بد أن تعطوا لكل واحد منا جملا غرامة، وعتام هو المجد في ذلك ثم انصرفوا عنهم. ثم إن المختار بن عبد الل بن كروم المغفري أهدى لسيدي الفالي بن محنض بن ديمان جملا جيدا، ومر في طريقه تلك بأحمد بن دامان فأخبره بهديته لسيدي الفالي، فجاء أحمد بن دامان إلى إخوته وقال لهم: إن أولاد عبد الل يهدون للزوايا الذين تريدون أن تغرموهم، ويوقرونهم ويعظمونهم، والله لئن سبقوكم بالهدية ليسبقنكم بالدرجة أبدا، فليهد كل واحد منكم لهم بجمل، فعند ذلك أهدى كل واحد من أولاد دامان جملا لسيدي الفالي[482]». كما أهدى ابنه اعلي بن المختار بن عبد الل بن كروم جملا لبابحمد بن يعقوب إنلل بن ديمان، ثم لم يزل بنوه يعطون هذا الجمل لبني بابحمد مدة 112 عاما[483]. وخصص أحمد بن دامان جزءا من آمكبل (خراج) مرسى انجيل (اجريده) لبابحمد بعدما قام بالترجمة بينه وبين الأوروبيين. وكان بابحمد قد تعلم لغتهم حينما كان مع أخواله الهواكير بتازيازت. ولم يزل أولاد بابحمد يتوارثون هذا الخراج حتى انقطع المرسى المذكور. وكان آخر من أخذه من أولاد بابحمد العباس بن الكوري بن قطرب الديماني[484].

---

[481] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص65-66.

[482] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص97-98.

[483] سيدي أحمد بن أسمه، ذات ألواح ودسر، مخطوط، ص42.

[484] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وهبت على تشمشه رياح الأمن في ظل المغافرة، بعدما أهدى لهم سادة التـرارزة: أحمـد بن دامان وإخوته، وسادة البراكنة: المختار واعلي ابنا عبد الل، وبكار الغول الذي اتخـذ من أحمد بن محنض بن ديمان "مرابطا" له[485].

2- بدء أمر الإمام ناصر الدين:

ومضت خمس وثلاثون سنة على تشمشه في حال هنيئة، فبينما هم كذلك إذا قـام فـيهم أوبك (أبو بكر) الشهير بناصر الدين بن أبهم بن يعقوب بن أگدام بـن يعقـوب بـن ابهنض يحي بن مهنض أمغر المولود سنة 1055هـ/ 1645م[486]، أحـد فتيـان تشمشـه البارزين، أمه هينيا بنت أشفغ أوبك بن أشفغ مگـر التـامگلاوي، وزوجـه حنـه بنـت أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، فأخبر أنه «ورد بئر إين شبئر التي أصبحت تعرف بعـد ذلك ببئر ناصر الدين، في اليوم الموفي عشرين مـن رمضـان [الموافـق لــ: 1075هــ/ 1665م] ليسقي بقره، فلم يصدر من البئر إلا بعد هدء من الليل، فوجـد النـاس قـد صلوا العشاء والتراويح، فلم يـزل يصـلي حـتى قـارب الفجـر، فبينمـا هـو يرقبـه، إذا كوشف بأهل الجنة وأهل النار، وأحوال الناس في البرزخ، وفي عرصات القيامة[487]».

ثم جعل يخبر قومه ببعض أحوال الناس، وبما في ضمائرهم، فاختبروا هذه الملكة الخارقـة التي ظهرت على يديه، فوافق ما يقوله لهم ما في نفوسهم، فبهرهم بذلك، وأقبـل عليـه

---

[485] والد بن خالنا، كرامات أولياء تشمشه، مصدر سبق ذكره، ص12.

[486] ترجح عندنا بالاستقراء، ومقارنة تواريخ الحوادث ووفيات الأشخاص الذين سبقوا أو عاصروا هذه الأحداث، أن دعوة الإمام ناصر الدين لم تبدأ 1055م، 1645م، وأن بيعته تمت سنة 1078هـ1668م. أما 1055هـ 1645م فكانت تاريخ مولد ناصر الدين – بعد أربع سنوات من وفاة أحمد بزيد (1051هـ 1641م)- لأمه هينيا المولودة قبل 1047هـ1637م، وأما وفاته فكانت في جمادى 1084هـ أغسطس 1673م، كما أكد شامبونو في وثائقه التي قال فيها إن كان شابا دون الثلاثين.

[487] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص125.

بدويهم وحضريهم، يسألونه عن أمر دينـهم ودنيـاهم، فـأخبر رجـالا بعلامـات قـرب آجالهم، ورجالا بما فاتهم من الصلوات والصيام، وما عليهم من التبعات[488].

[488] المرجع نفسه، ص 126. وصدق أمر ناصر الدين عند ذويه ما تناقلوه من أن أشفغ أوبك بن أشفك مگر، وهو أبو هينيا أم ناصر الدين، وكان صالحا، كان يغمز في بطنها وهي صغيرة، ويقول: كم في بطن هذه البجيراء. انظر، أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مصدر سبق ذكره، ص 49. ومن أن أحمد بزيد اليعقوبي، وكان من الصالحين المشهورين، كان يخصف نعلا، فسمع بزواج أبوي ناصر الدين ففزع وارتاع مما سمع، حتى ألقى نعله، وقال: سيبدو من هذا الزواج العجب. المصدر نفسه، ص 49. واليدالي، أمر الولي ناصر الدين، محمذن بن باباه، ص123. فمما نقل محمد اليدالي في كتابه أمر الولي ناصر الدين من قصصه في هذا الصدد قوله لأحمد بن الحسن اندوبك بن أبي موسى بن أشفغ ابياي بن مهنض أمغر: «إذا هطل عليك مطر بقرب إدوفال (شمال شرق دگانه بالسينغال الحالي) فإن فيه أجلك» فكان كذلك. وقوله لخالنا بن الغالي بن المختار أگد عثمان الأبهمي: «إذا مات أبو الفالي الكوري، فقد حان أجلك» فكان كذلك. وسأله أبناء محنض أگد عبد الله الإيجيجبي عن آخرهم موتا، فقال لهم: «إنهم لن يتوارثوا» ، فقتلوا خمستهم في آن واحد في إحدى معارك شربيه.

وسأله معدر بن أحمد شلل اليداجي عن وقت موته، فقال له: «يوم تحمل على عنقك ولدا أحب إليك من ولدك أحمد، تطوف به في الناس تبحث له عن ما تطعمه به»، فاستبعد الناس ذلك لكون معدر من أكثر الناس مالا إذ ذاك، ولكون ابنه أحمد أحب ولده إليه، فاتفق أن معدرا ولد له بعد ذلك ولد أحبه حبا شديدا، ثم إن الزوايا هزموا وقتل رجالهم، ونهبت أموالهم، فوقع ما أخبر به ناصر الدين، فقال معدر: «هذا هو اليوم الذي أخبرت فيه بدنو أجلي»، ومات. وسأله باب أحمد بن سيدي يوبل بن محنض بن ديمان عن موته، فقال له: «متى اجتمعت تشمشه عند انبراگه {جنوب المذرذرة} فقد دنا أجلك»، فلم تجتمع تشمشه قط في ذلك الموضع إلا عند قدوم العباس الآگشاري إلى إگيدي، بعد انتهاء شربيه، فإنهم اجتمعوا فيه خوفا من العباس المذكور.

وسألته خالته حنانن بنت أشفغ أوبك هل قال إن المغافرة تقتل ابنها محنض؟ فقال: «نعم تقتله عاجلا»، فقتل في القضاة الذين قتلوا في محلة أولاد الحاج (إيدوالحاج). وقال: «إن من دفن مع سيدي الفالي (دفين احسي السعادة) لا يعذب في القبر، ولا يؤاخذ بذنوبهم يوم القيامة، وإن من دفن مع أبيه محنض بن ديمان (دفين رأس الكلب) لا يعذب في القبر ولكنه يؤاخذ بذنوبه في الآخرة». وقال: «كنت أصلي خلف رجال فلا أصلي خلفهم أبدا بعد رؤياي التي رأيت». وقال: «سبحان الله، ما أكثر ما أراني الله من دماء المسلمين وأموالهم في ميزان الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد الحسني»، وكان من أقطاب البلاد وعلمائها، ثم قال: «يبقى له خير كثير، لأنها غارة موسر»، فلما قال ناصر الدين ذلك نقم عليه عبد الله بن محنض بن ديمان في أناس، لبلوغ الحاج عبد الله الحسني الغاية في العلم والعمل والفضل، إلى أن أفتى الحاج عبد الله الحسني بعد ذلك بالحرب في قضية شربيه ضد أوبك وصحبه.

وكان رجل من أولاد أبييري يدعى المختار بن أعمر في تجكانت، أيام حربهم للعروسيين، مع عالمهم الصالح المحجوب الجكني اليوسفي (تـ1102هـ 1690م)، فاتفق أن ركب معه ذات يوم من أيام تلك الحرب قاصدين قصر تگبه، فسأله ما أول علامات الساعة؟ فقال له: خروج فتى يلتمس إحياء الدين فتقتله المغافرة هو وأصحابه، فقال له: من أي الناس هو؟ فقال: هو من عرب النقاب، فقال له: وأين عرب النقاب؟ فأومأ بيده إلى جهة الگبلة، مشيرا بها إلى جهة المغرب، وذكر له أن في أنفه ميلا، وذكر له علامة في أسنانه. فلما ظهر ناصر الدين قصده زائر مع ركب من إيجيجبه، فأتوا عسكر

وكثر التفاف الزاوية حول ناصر الدين، وازدحم عليه الناس عربا وعجما، فجعل يعظهم، ويحثهم على التوبة والتعبد، فتابوا وخشعوا، وأحبه الناس حبا شديدا، ولازموه حتى صار الرجل منهم يدع أهله وولده وماله رغبة فيه، فلا يفارقه إلا حين يقوم لقضاء حاجته. وألزم ناصر الدين الناس بالتعلم والعمل، وكان يقول لهم: من ركب منكم فرسه، فليجعل لوحه بينه وبين سرجه، فإن الجهل هو أقبح ما يأتي به المرء الآخرة[489]، وكان يأمر كل من يأتيه بحلق رأسه، فقد كان انتشار اللمم من العوائد المستحكمة في هذه البلاد في ذلك العهد، إلى درجة أن كثيرا من الرجال كانوا لا يحلقون رؤوسهم من حين بلوغهم إلى حين مماتهم. فمكث الناس هكذا ثلاث سنوات، سموها سنوات التوبة.

3- من التوبة إلى الدولة:

ثم رأى أعيان التائبين من الزوايا ووجوههم أن يبايعوه، لما شاهدوا من اجتماع الناس عليه، ورغبتهم فيه، وحنت نفوسهم إلى إحياء دولة المرابطين من جديد، فنادوا في

الزوايا ليلا، فلم يلبثوا حتى جاءهم رجل فقال: أين المختار بن أعمر؟ فأفزعه ذلك إذ لا معرفة بينه وبين ذلك الرجل، ولا بينه وبين أحد من العسكر، فقيل له: ها هو هنا، فقال له: أجب إمامنا ناصر الدين، فسار معه حتى دنا من مجلسه، فمنعه زحام الناس من الوصول إليه، فمكث هناك ما شاء الله، وحتى طال به الوقوف دون أن يعبأ به أحد، فرجع إلى أصحابه فبات معهم.

فلما كان من الغد بكرة أتاه رسول ناصر الدين أيضا فقال له: أجب ناصر الدين، فسار معه حتى غشيا جنابه، ومعه بعض خواصه، وهم راغبون في محادثته، فانشغلوا عنه مليا، ثم أقبل على محمد بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، فقال له: سل المختار بن أعمر عن ما قال له المحجوب؟ فسأله، فقال له: جرى بيني وبين المحجوب أمور كثيرة، حضرت معه الحروب، وتعاطينا الديات، ولم أتذكر هذا الذي تقصدون، فذكروني، فانصرفوا عنه، وتحادثوا مليا حتى ظن أنهم نسوه، ثم أقبل ناصر الدين على القاضي عثمان فقال له: سله عن ما قال له المحجوب؟ فسأله القاضي عثمان وألح عليه، وهو يقول: لم أتذكر ما تقصدون، ذكروني به، فقال ناصر الدين: سله عن ما قال له المحجوب قبل وصولهم قصر تگبه، فتذكر القصة كلها، فعلم أنه هو الفتى الذي أخبره به المحجوب، فالتمس الأمارتين اللتين ذكر له في وجهه فإذا التي في أنفه، وقال لهم: ما تسألون عنه لست بأعلم منكم به فتبسموا.

ثم قال في نفسه: ليت شعري ما عرب النقاب الذي ذكرهم لي المحجوب؟ فقال ناصر الدين: لا يصلي باللثام إلا المرابطون أو اللمتونيون – شك الراوي-، مشيرا إلى أن عرب النقاب هم لمتونة، لأن شعارهم التلثم والتنقب، وكان رهط ناصر الدين قبل قيام تشمشه من لمتونة.

[489] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص123-128.

القبائل بالتقدم لبيعته، فبايعه الناس حوالي سنة 1078هـ/ 1668م، واشرأبت إليه الأعناق من كل جانب، ولم يعترض أحد على بيعته، لا من الزوايا، ولا من بني حسان، ولا من الأغرمانيين وغيرهم من سودان المنطقة المجاورين له، فأخذ في تنظيم الوزارة وتعيين الأعوان، وتجييش الجيوش، وتلقب بالإمام، بعد أن كان يتلقب خلال سنوات التوبة الثلاث السابقة بالسيد، وسيتلقب بعد ذلك بمشيع الدين، ثم بناصر الدين، لقب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين[490].

واختار ناصر الدين ابن خالته ابيهيم بن يعقوب بن أحمد، من بني أشفغ أوبك بن مهنض أمغر (بطن منقرض) لوزارته، وسماه القاضي عثمان، وعين محمد بن حبيب الله الألفغي (الإيداشفغي) قاضي المجلس، الذي يقضي في مجلس الأمير، على غرار قاضي مجلس المرابطين إبراهيم الأموي، كما استقضى قضاة آخرين منهم الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي الديماني، والحبيب بن الحسين اليدن يعقوبي، واتخذ من العلماء مجلسا للشورى، وعين عمالا لجباية الزكاة.

واتخذ من محم بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي مرافقه الأيسر، ومن عمه الماحي بن سيدي الفالي مرافقه الأيمن، ومن المختار بن أوبك -ابن أخت الماحي امنيانه بنت سيدي الفالي- حامي ظهره[491].

---

[490] اتخذ يوسف بن تاشفين لقب ناصر الدين تم بعد معركة الزلاقة الشهيرة (479هـ، 1086م)، كما ورد في رسالته التالية التي بعث إلى كافة الامصار الخاضعة له: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم تسليمًا: مِن أمير المُسْلِمِين وناصر الدِّين يوسف بن تاشفين إلى الأشياخ والأعيان والكافة أهل (...) أدام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمَّا بعد, حمداً لله أهل الحمد والشكر، وميسر اليسر وواهب النصر، والصلاة على مُحَمَّد المبعوث بنور الفرقان والذكر، وأنا كتبناه إليكم من حضرتنا العلية بمراكش - حرسها الله -، وأنَّه لَّما مَنّ الله علينا بالفتح الجسيم, وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة, وهدانا وهداكم إلى شريعة مُحَمَّد المصطفى نبينا الكريم صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ رأينا أن نُخصِّص أنفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر أمراء القبائل، وهو أمير المُسْلِمِين وناصر الدِّين، فمن خطب الخطبة العلية السامية فليخطبها بهذا الاسم إن شاء الله تعالى والله وليُّ العدل بمنِّه وكرمه والسلام».

[491] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص 129. وأضاف: «وكان يسر للماحي ما لا يسر لصاحبيه، ويسر للثلاثة ما لا يسر لغيرهم، فاتفق أن مات الثلاثة معه يوم ترتلاس، فلم يطلع على شيء مما كان يسر به إليهم».

وبايع جل زوايا المنطقة ناصر الدين، كما بايعه أولاد رزگ وأغرمان وبافور وأهل گنار وبعض المغافرة. وعارض بعض الزوايا دولته، وأفتى بعدم شرعيتها، فنبذ المغافرة بيعته ورحلوا إلى تيرس[492].

وكان تمركز ناصر الدين وجهاز دولته في مربع يمتد من الطويلة (40 كلم شمال انواكشوط) إلى تيگماطين جنوبا (140 كلم جنوب انواكشوط) ، في نحو 120 كلمتر شرقا.

4- مرحلة الحرب:

ووجه ناصر الدين اهتمامه اتجاه الجنوب، لاسيما شمامه (الوالو) وفوته (فوتا تورو) واچيولوف وإيسنغان (كايور)، فجعل يرسل إلى هذه المناطق الرسائل، ويبعث إليهم الرسل، داعيا وثنيهم إلى الإسلام، ومسلميهم إلى التوبة، وتحكيم الشرع، ووقف استرقاق الأحرار والحيلولة دون بيعهم للأوروبيين.

وكان الفرنسيون متمركزين بسينت الويس (اندر) منذ 1048هـ/ 1638م، وكانوا يشترون العبيد من مختلف المناطق المجاورة، فكانوا يشترون من الوالو نحو مائة عبد بمحطة تكشكمبه (محطة تجارية على النهر لقبيلة إيدوالحاج) وحدها في كل موسم، فكتب ناصر الدين إلى ملك الوالو افارا كومبا يحثه على طرد الفرنسيين، ويحذره منهم، قائلا إنهم لا يريدون إلا احتلال البلاد، ويتسترون بالتجارة ليتعرفوا على المنطقة[493].

ولما لم يستجب ملوك الوالو وكايور وفوته واچيولوف لناصر الدين قرر غزوهم، فبدأ بفوته ففتحها أواخر سنة 1083هـ/ مطلع 1673م، على يد النحوي أگد عبد الله

---

[492] محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، تحقيق مريم بنت ءاده ، مرقون، ص27.

[493] راجع ، بوبكر باري، لوروايوم دي والو، مطبعة كرتالا، 1985، ص121.

أگد المختار (النحوي بن عبد الله بن المختار) الإيچيچي، فاستعمله ناصر الدين عليها مكان ساتيگي (سيراتيگي)[494].

ثم اتجه إلى اچيولوف، ففتحها على يد الفالي بن أبي يعدل الألفغي (الإيداشفغي)، واستعمل عليها سرانكو، أحد أفراد الأسرة المالكة، مكان ملكها بوربا، وكان سرانكو ممن ناصر جيش الزوايا، وانخرط في حركة التائبين.

ثم توجه إلى كايور ففتحه، وفتح ريوا، واستعمل عليها أحد وجهائها يدعى حبيب الله صل.

ثم توجه إلى الوالو (شمامه الجنوبية) ففتحها على يد الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي، وكان قوم من إيدوالحاج جاءوا إلى ناصر الدين أثناء رحلته المذكورة، فشاوروه في غزو شمامه (الوالو)، فقال لهم: أمهلونا حتى نقرب منكم لنعينكم، فلما قربوا منهم بعث إليهم ناصر الدين بعسكر عظيم بقيادة الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي، وأمدهم إيدوالحاج بستين رجلا، وكانوا بأوجفت انبج بين اللوگه والنهر، في المكان المعروف الآن ببو حجرت النخل (السينغال الحالي)، فراحوا معهم بعد الظهر، وباتوا عند أباخ، أحد روافد نهر السينغال (5كلم من مدينة الگوارب) ، فذهب رجل من أهل شمامه (الوالو) إلى ملكهم ابراك افارا (افارا كومبا) فأخبره بأنه رأى جيشا من البيضان، فأرسل الملك إلى أحد أعيان دولته، كان يلي أمر البيضان، فكذب له الخبر.

«فلما أصبحوا وساروا إليه، وأحس بحركتهم ظنهم قطعان وحش فقال: ما أكثر وحش شمامه اليوم، ثم تبين له الأمر فعرض رجاله لقتال الزوايا، فلما أحس بالهزيمة فر هاربا على فرسه، فرآه النجيب بن عبد الله الإيدولحاجي، وكان على جمل عليه طبل يهدي به الجيش، فصاح النجيب بالخيل، فعلموا أنه رأى الملك هاربا، فتبعه بعض الفرسان فأدركوه وقتلوه[495]».

---

[494] محمد المختار بن السعد، حرب شربيه، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي،1994، ص122.

[495] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص137.

واستعمل ناصر الدين على الوالو القاضي عثمان، فأراد القاضي عثمان أن يستعمل عليها رجلا من كبار گنار، فأبى أهل گنار، وقالوا هؤلاء أقاربنا ولا نحب أن نتأمر عليهم، ولكن نأخذ لكم منهم رجلا هو أعدلهم، فاستعمل القاضي عثمان ذلك الرجل، وكان يدعى بيريم كودي فتسمى بآنتاي سار[496]، وكان خال أولاد القاضي همر (عمر) فال، رؤساء گنار، وأخا لابچنگار (لينگار) ملكة الوالو (زوجة افارا كومبا المقتول[497])، فقال له ناصر الدين: استعملته وهو قاتلك[498].

5- اصطدام الدولة بالمغافرة:

وحدث أن بعث ناصر الدين كما هي عادته عماله لجباية الزكاة، فبعث سيدي الحسن بن القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب العلوي مغربا، لجمع الزكاة، فجمعها إبلا وغنما، حتى أتى قبيلة تاشدبيت، إحدى قبائل زوايا الغرب، فأعطاه حليفها ببه بن آصور الصگاعي زكاة إبله، ومنعه زكاة أنواد منها تحت يده، لكنها ليست في ملكه، فقال له سيدي الحسن: والله لا أترك منها عقالا. فقام عريف تاشدبيت - يقال إنه خليد بن المختار بن يندگسعد- دون ببه، ورحل به، أو أرسله إلى هدي بن أحمد بن دامان، فدخل في جواره، فجاءه سيدي الحسن هناك، فاستفتى هدي الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد الحسني عن شرعية أخذ ناصر الدين للزكاة من الناس، وكان الحاج عبد الله من أوجه الناس وأعلمهم وأفضلهم في تلك الناحية، فأجابه بأنه ليس بشرع، فأمر هدي عزونه بالإغارة على ما بيد سيدي الحسن من الزكاة، فأغاروا عليه، فأرسل سيدي الحسن إلى الزوايا بأن يغزوا المغافرة لأنهم غدروا وحاربوا، فقال الزوايا: لا

---

[496] المراجع الفرنسية تذكره باسم يريم كودي، واليدالي يسميه آنتاي سار. وأوضح بوبكر باري في كتابه تاريخ الوالو بأنه انتقل من هذا الاسم إلى ذلك لما تخلى عن الوثنية وانخرط في دين التوبنانيين (التائبين) وفقا للعادة التي كانت تقضي بأن من يسلم يغير اسمه، باري ص119.

[497] يذكر لاكوربا بأنه التقى ابنتي الملك افارا كومبا بمحطة بيع العبيد بتكشكمبه سنة 1685م (1096هـ)، باري، ص118.

[498] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص138.

نغزوهم حتى نتثبت ونستيقن من الخبر، فبعثوا أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، ومحمذن بن باب أحمد بن يعقوب إنلل الديمانيين في ركب إلى الترارزة، وكان الترارزة أصهارا لأشفغ الأمين بن سيدي الفالي، فلما جاؤوهم أجابوهم أولا إلى مسالمتهم، واصطلحوا على أن لا يتدخل الزوايا في شأن من شؤون المغافرة، ولا يتعرض المغافرة للزوايا في سياسة دولتهم. ثم قدم محمود بن عبله التروزي إلى قومه، وكان من فتيان المغافرة، فأثار مخاوفهم من تعرض الزوايا لأصحابهم (زناگتهم) المساكنين للزوايا، فلم يستتب الصلح، وانتهت بذلك الهدنة التي دامت زهاء سبع سنوات (من 1078هـ إلى 1084هـ/1668م إلى 1673م) بين الطرفين. وعاد وفد الزوايا إلى ناصر الدين ومن معه من الزوايا بالخبر.

وائتمر الزوايا بينهم، وتشاوروا في ما يفعلونه إزاء المغافرة، فكان أول من تكلم منهم الفالي بن أبي الفالي الحسني فقال: أيها الناس، جمعوا على هذا الإمام العادل من الجنود ما يوجب عليكم القتال، فأخذوا في تعبئة الناس، وتجييش الجيش، حتى بلغ أفراده اثني عشر ألفا، ليس في الگبلة قبيلة إلا وفي الجيش منها جماعات أو آحاد، وكان فيهم بعض أولاد رزگ وأفراد من قبائل مناطق البلاد الأخرى. وكان من لم ينضم إلى الجيش من أولاد رزگ وأغرمان وبافور يمدون الزوايا بالخيل والسلاح والميرة.

6- اندلاع شربيه:

واعتبر الزوايا أن المغافرة إنما يريدون أن يعيدوا حرب شربيه الأولى بين بني حسان وصنهاجة جذعة، فكانوا متحمسين للثأرمنهم، وكان الانخراط في الدعوة والانتساب إلى جيش ناصر الدين لذلك يتم بالتعبير عن العزم على الثأر لشربيه، بواسطة النطق بلفظ شربيه أثناء "التبربير"[499]. واشتهر التائبون المنخرطون في جيش الزوايا لذلك بـ"التشربيب" حتى عرفوا في بعض التواريخ المحلية باسم "الشرابيب".

[499] "التبربير" عادة اجتماعية محلية، يتم بواسطة طأطأة الرأس وهزه بقوة وبصورة متلاحقة مع إرخاء الشدقين والتصويت بهما بما يشبه البربرة. يفعل الرجل هذا خلال الغناء عند سماع ما يطربه أو لإظهار الحماس والنشاط أو إبداء الموافقة

وقدم فرسان من المغافرة فوجدوا أحمد بن المصطفى بـن الفـالي حـول عسـكر الزوايـا، ففقأوا عينه، فقأها همد بن فاجه الگباعي، فلما رأى الناس ذلـك بكـوا، وكثـر البكـاء على عينه، فقال ناصر الدين: يبكي على عينه اليوم من لا يبكي على موته غدا، فكـان كذلك، فإنه مات يوم تن يجمار، فلم يبك عليه أحد لانشغال الزوايا بهزيمتهم عنه[500].

وبعث ناصر الدين ردا على غارة المغافرة، بعثين من "الشرابيب": بعثـا غـرب بقيـادة القاضي عثمان، وبعثا شرق بقيادة محنض بن چبه البارتيلي، فلقـي هـذا البعـث الـذي شرق غزوا من المغافرة بانتجي (شمال بتلميت)، فاقتتلوا، فقتل عبد الـرحمن بـن محمـد بن معتوگ العمراني، قتله المغافرة.

وجرح في هذه اليوم الذي يعرف بيوم انتجي الأمـير محـنض بـن چبـه البـارتيلي، فقـاد الجيش بعده المصطفى بن اخطيره الحسني، فعاد غانما ظافرا. ولم يلق الجيش الذي غـرب بقيادة القاضي عثمان حربا.

وكان في الجيش اثنان من أولاد ديمان هما الفالي بن سيدي بوبكر ومحـنض بـن اعديجـه بن سيدي الفالي فحرمهما ناصر الدين من الغنيمة.

وهاجم غزو من عزونه -استجابة لأمر هدي- سـرحا للزوايـا، فغنمـوا إبلـه، وقتلـوا رجلين من إيـدوجان (بطـن مـن المـدلش)، فتـبعهم ناصـر الـدين في خيـل فاسـتنقذ الغنيمة، وقتل خـلال هـذا اليـوم الـذي عـرف بيـوم جيـوه، نسـبة إلى مرسـى للسـفن الأوروبية (32 كلم) جنوب انواكشوط، ثلاثة وثلاثون رجلا من عزونه.

وظنوا أنهم قتلوا كنان بن عبله، فقال لهم ناصر الدين: ما قتلتموه، فبان أنهم لم يقتلوه.

والرضى، وهو يدخل ضمن بعض الرقصات الحربية، فهو للرجال كالزغردة عند النساء. وقد تحرف لفظ شربه بفتح الشين والبائين لغلبة اللغة الصنهاجية على الزوايا يومئذ إلى ضم الشين وأولى البائين حتى أهمل بعض المؤرخين أصله الحساني، وجعله من أصوات الحرب بالصنهاجية، لعدم اطلاعه على أخبار شربه الأولى التي وقعت حوالي 870هـ (1465م).

[500] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص140.

ورد المغافرة على يوم جيوه بيوم الخواره (132 كلم جنوب انواكشوط)، قتل فيه رجال من أعيان الزوايا منهم الفالي بن بارك الل بن يعقوب إنلل الديماني، قتله گاليت بن مهنض تاكشي، وجرح فيه محنض الغالي اليعقوبي المشهور بالوادافي، وكاد أن يقتل لولا برام بن عبله الذي استنقذه من المغافرة، ومن عليه.

7- الإمام ناصر الدين يحث الفرنسيين على الحياد:

وعلم ناصر الدين بعد رجوعه إلى الگبلة أن دمشينه، مدير الشركة التجارية الفرنسية المقيمة بقلعة اندر (سينت الويس) أخذ يحرض الزنوج ضد البيضان وحركتهم "التوبنانية" (حركة التوبة) التي انتشرت في المناطق المفتوحة من قبل جيوش ناصر الدين، بسبب ما ألحقته هذه الحركة من أضرار بتجارتهم، لاسيما تجارة العبيد، فبعث ناصر الدين أخاه منير الدين (واسمه المختار) إلى دمشينه ليؤكد له استعداده للاحتفاظ بنفس العلاقات التي كان الملوك الذين حل محلهم يقيمون معه، وبنفس شروط التبادل التجاري المتعارفة، ويرجو منه عدم التدخل، حيث أنه لم يأت إلا للتجارة فقط، وعليه ألا يتدخل سواء إلى جانب "التوبنان" (التائبين) أو إلى جانب معارضيهم[501].

ورد دمشينه على منير الدين بأنه لا ينوي احتلال البلاد، وأنه بدوره راغب في استمرار العلاقات الودية معهم، وأفاض في نفس الوقت في الحديث عن عاهل فرنسا وما له من القوة والسطوة لإرهاب ملك "التوبنان" (ملك التائبين) الإمام ناصر الدين الذي أصبح يثير مخاوفه بصورة جدية، حيث وجد دمشينه نفسه فجأة مرغما على التعامل مع امبراطورية ترفع شعار الإسلام المحافظ الذي يرفض تجارتهم الأساسية (تجارة العبيد) بينما كان يتعامل مع مجموعة من الممالك الصغيرة المشتتة والمتصارعة التي يجدون في صراعها وقودا لتجارتهم.

[501] محمد المختار بن السعد، حرب شربيه، مرجع سبق ذكره، ص 126-138.

8- مقتل الإمام ناصر الدين:

وبينما كان منير الدين باندر يقوم بسفارته هذه، دارت معركة جديدة في جمادى 1084هـ/ أغسطس 1673م بين "الشرابيب" والمغافرة بترتلاس، وقتل فيها ناصر الدين[502]، وقتل معه مرافقوه الثلاثة، وأربعة من كبار مقربيه، وخمسة وعشرون آخرون من جيش حركة التوبة. فممن قتل من الزوايا مع ناصر الدين أخوه حمين، وابل بن الماحي بن المختار أگد عثمان، وحبيب بن أشفغ أوبك، وماهي بن سيدي الفالي، ومحنض بن أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، والمصطفى بن متيلي بن سيدي الفالي، والمختار بن أبوبك بن محمد بن يعقوب بن أحمذنلل الإيداشفغي، وأجود بن يعقوب بن أشفغ أوبك بن أشفغ مگر، وصمبه بن ورزك مولى إبراهيم بن الكوري بن سيدي الفالي، ورجلان من إيدغزينبو، وقتل من المغافرة أكثر من مائة منهم الفارس محمود بن عبله، وانهزموا إلى تانفالت، وهي إحدى الروابي المشهورة شمال شرقي تيلماس (نحو بضع وأربعين كلم جنوب شرقي انواكشوط)[503]. وأبلت في ذلك اليوم كتيبة إيچكوچي بلاء حسنا، لاسيما فارسها سيدي بن بوسيدي بن محنض بن أبي يدوك الذي اشتهر باسم "فارس الزريگه"، وهي فرسه.

وعظمت مصيبة الزوايا بمقتل ناصر الدين، وعلم به منير الدين وهو في اندر، أخبره بمقتله مدير الشركة الفرنسية دمشينه، الذي هم أن يقتله[504]، خشية أن يخلف أخاه ناصر الدين، ثم بدا له ألا يخفر ذمة رسول جاءه في سفارة.

---

[502] يقال إن الزوايا لما نزلوا بترتلاس جعل ناصر الدين يتردد على الموضع الذي قتل فيه، ويرقص فرسه، ويقول: «إذا مضت سبعة أيام تأتيكم المغافرة في هذا الموضع، وتقتل منكم في تلك الغداة سبعة مع ثامنهم»، وقال لهم في العشية التي سبقت وقعة ترتلاس وهو يحلف: «ليسلكن غدا تلك الفرجة منهزمين» يريد المغافرة، وقال: «أما أنا وأصحابي فنتغدى غدا غداء لم نذق قط أحلى منه، وأما القاضي عثمان وأصحابه فإنهم يتبعون المنهزمين، ويقتلون منهم كيف ما شاءوا، ولا يرجعون إلا بعد العشاء». وأخبر القاضي عثمان بأنه يسمع غدا ما يسوءه، فوقعت الوقعة، وقتل ناصر الدين. محمذن بن محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص140.

[503] أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مصدر سبق ذكره، ص 84.

[504] محمد المختار بن السعد، حرب شربيه، مرجع سبق ذكره، ص 127.

ولما شاع مقتل ناصر الدين، اضطرب الناس في شأن الحرب، وعاد العلماء الذين كانوا يرون عدم دعم ناصر الدين، إلى دعوة الزوايا لوقف الحرب محتجين بظهور صواب رأيهم، وكان ممن يرى خلاف رأي ناصر الدين الحاج عبد الله الحسني، والطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت1107هـ/ 1695م)، وتلميذه محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي (ت1098هـ/ 1687م) الذي كتب بعد انتهاء شربيه: «ظهر في الرابع والثمانين وألف [للهجرة] رجل من طلبة البادية، قريب من منتهى الإسلام بالمغرب الأقصى، يسمى أوبك الإمام، فادعى أنه يتلاقى مع الخضر عليه السلام، وأنه يأمره بأشياء، وينهاه عن أخرى، وأظهر أمره في الناس، وأشاعه، وكثر قاصدوه لما يخبرهم به من المغيبات، وأن فلانا عمره كذا، وموته بمحل كذا، بسبب كذا، وأنه شقي أو سعيد، وأنه يسلم في الآخرة من هول الصراط، ويقع في هول الميزان، وأنه يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله، وادعى أنه سيملك الأرض، ويقال بمسمع منه أنه المهدي المنتظر ولا ينكر، بل ربما أشار إلى أنه هو، ويخبر الناس بقدر مكثهم في النار، فيزعم أن مكث هذا شهر، وهذا أكثر، وهذا دونه، وربما أخبر أحدهم بما يزعم أنه حدث به نفسه ويوافقه، ويفرق بين الأزواج، ويقول: كوشفت بأنكما غير متزوجين، إلى غير ذلك. فلم يزل أمره إلى أن بويع له ممن كان هناك من الزاوية، وهو خلق كثير ألوفا، وقام يحارب العرب من المغافرة، فوقع بينهما حروب هلكت فيها الناس والمواشي، وقتل ذلك الرجل، فتلاشى أمر أصحابه حتى هلك جلهم، وخلت البلاد، وسفكت الدماء، وضاع العيال، وانطلقت أيدي العرب بالفساد فإنا لله وإنا إليه راجعون[505]».

وكان شيخه الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي قد أنكر أمر ناصر الدين في بداية ظهوره، متخوفا عليه مما آل إليه الأمر، وشنعه ليرجع الناس عنه[506].

وروى أصحاب ناصر الدين عنه أنه قال لهم: «أيها الناس، إنكم تقتلون وتموتون، ويذهب ما بأيديكم من الأموال، وينهبه العدو، ولا يبقى إلا النساء والصبيان، فمن

---

[505] المرجع نفسه، ص 183- 184.

[506] المرجع نفسه، ص99.

كان منكم، إذا كان ذلك، من يجعل يسبني، فهو كمن أصابه عطش شديد وسف الملح[507]».

9- مبايعة أشفغ الأمين بن سيدي الفالي إماما للزوايا:

وأصر سواد الزوايا على مواصلة الحرب، وبايعوا أشفغ الأمين بن سيدي الفالي، والد زوجة ناصر الدين، وأحد رؤوس تشمشه ووجهائها، فكثر عليه الأجناد، وعظمت رئاسته، واستقبل المغافرة بما لا قبل لهم به، فجاؤوه، وكان زوجا لابنتهم فاطمه بنت اعلي بن أحمد بن دامان، وسالموه، وأخبروه بقبولهم رئاسته، فأجابهم إلى السلم.

10- خلع الإمام أشفغ الأمين ومبايعة القاضي عثمان:

فلما فعل ذلك هاج التائبون في وجهه، وأبوا إلا الحرب، فقال لهم: إنه لا فائدة من حرب المغافرة، وأنهم أقدر على الحرب منهم، فلم يسمعوا له، وخلعوه وبايعوا ابن خالة ناصر الدين القاضي عثمان (ابيهيم بن يعقوب) فانشق أشفغ الأمين بمن أطاعه من الجيش، وكان نحو الثلث، ووادع المغافرة، فكان ذلك أكبر انشقاق حدث في صفوف الزوايا الذين كان فيهم رجال من أعيان تشمشه لم يروا محاربة المغافرة ابتداء، كالفالي بن بابحمد الديماني، أو فارقوها بعد أن أبلوا فيها بلاء حسنا كبارك الل بن بزيد اليعقوبي[508].

ومر القاضي عبد الله (قاضي شنقيط) بالإمام القاضي عثمان بمعسكر الزوايا وهم يتأهبون لقتال المغافرة، فخاض معه في شأنهم، وقد ركب القاضي عثمان فرسه، فقال له قاضي شنقيط: كفوا عن هؤلاء، وأقسم إنهم لمسلمون، قائلا: والله إن هدي ونغماش لمسلمان، ثم تحاورا ساعة وافترقا دون أن يتفقا.

---

[507] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص135.

[508] محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، مصدر سبق ذكره، ص94.

ثم غزا الإمام القاضي عثمان، في ثمانمائة رجل من الزوايا، جمعا من المغافرة معهم أربعمائة من الإبل لموسات فانجلوا عن الإبل، فغنمها الزوايا، ثم تبعتهم المغافرة فتلاحقوا عند تيلماس، وتقاتلوا قتالا شديدا، لكن الزوايا تمكنوا من العودة بسلامة، وقتل خلق كثير من الفريقين. ولم يحضر القاضي عثمان والقضاة الذين معه القتال لاشتغالهم بقراءة الحديث.

ثم خرج سيدي الحسن في أعيان من جيش الزوايا معهم القضاة سنة 1085هـ/ 1674م، إلى أولاد اخليفة وأولاد رزگ، ومن في جوارهم من القبائل لجباية الزكاة، فتمالأ أوديكه بن بو أيوب الخليفي مع رئيسي ارغيوات وباران، ويريم كودي ابراك والو عليهم، وأبى اعبيد الل اشباري رئيس اشبارات، واخطيره البافوري، أحد رؤساء بافور، عن المشاركة في الممالأة، فأرسل أوديكه بن أبي أيوب بعدما تظاهر للقضاة بالسمع والطاعة، سيدي أحمد التفاريتي والفالي البافوري إلى المغافرة، ليعلماهم بمكان جيش سيدي الحسن ويحرضاهم عليهم، فأبى البراكنة، وجاء الترارزة ومعهم أولاد غيلان، وأمدهم سودان الوالو وأولاد اخليفه، وقام سيدي أحمد التفارتي إلى جيش القضاة وهم يصلون بمحلة إيدوالحاج، فجمع أسلحتهم، وقد وضعوها عند ظهورهم فخبأها، فقدم عدوهم فقتلهم إلا قليلا منهم. فممن قتل الماحي بن الحسن اندوبك وسيدي الحسن بن القاضي عبد الله الشنقيطي قتله عيسى بن كمبه الخليفي ومحنض اندوله صنو القاضي المختار بن أشفغ موسى ابن خالة ناصر الدين ومحنض بن سيدي أحمد الهكاري. وأصبح ذلك اليوم يعرف بيوم "اعليب القظيه" (كثيب القضاة) نحو 20 كلم شمال مدينة الگوارب.

وسمع الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي وكان في إيدوفال، شمال شرق دگانه (السينغال الحالي) في جيش من الزوايا بالخبر، فكر بخيله على أولاد اخليفه وبافور والرغيوات، فأثخن فيهم، وقتل أربعين من أولاد اخليفه، وكثيرا من بافور والرغيوات، وقبض على أوديكه بن بوأيوب فأراد أن يقتله، فاستنقذه منه محمد بن أحمد مولود

الحاجي[509]، ووقعت هذه المعركة بالصاگي (25 كلم شمال الگوارب) غير بعيد من موقع اعليب القظيه السابق.

11- مقتل الإمام القاضي عثمان:

وسمع الإمام القاضي عثمان بالأمر، وبما كان من غدر ابراك والو (يريم كودي) الذي اتصل به المدير الفرنسي دمشينه في مايو 1674م (1085هـ)، ولامه على اعتناق مذهب "التوبنان" (مذهب التائبين) وحرضه على التخلي عن الحركة البيضانية التي جردته من كل صفات الملك، ودعاه إلى الثأر لصهره الملك الذي قتله جيش ناصر الدين، ووعده بالمساعدة، فقرر الإمام القاضي عثمان غزو يريم كودي، وعبر إليه فوجده ببلدة انتشينو (18 كلم شمال شرق الگوارب) قد تأهب لقتاله، فاقتتل الفريقان، فقتل الإمام القاضي عثمان وكثير ممن معه، وانهزم التائبون انهزاما شنيعا بعد ما ظنوا أن السودان سحروهم، فممن قتل مع القاضي عثمان في هذه الوقعة المژضف بن سيدي الفالي، وابناه محمد ومولود، وآمنا بن أشفغ المختار بن شيخ التلاميذ اليدهنضي، وابهنضام بن محنض بن أشفغ أوبك، وابن عمه عينات بن حيبلل، وحابيد بن مودي أوبك، وأحمد بن محم سعيد، ويا مختار، وسيدي بويه بن محنض بن الحسن اندوبك.

وكان السودان قد تلقوا من مدير الشركة الفرنسية دمشينه أسلحة نارية جديدة بإمكان طلقاتها أن تصيب المرء دون أن تقترب منه، فلما قصفتهم رصاصات هذه الأسلحة ظنوها من أعمال السحر. ولم يكن قد وصل إلى الزوايا في ذلك العصر من الأسلحة النارية إلا أنواع بدائية محدودة الفعالية، لا تصيب المقاتل إلا إذا أفرغت في جسده إفراغا[510]. وقد استخدمت ثلاث من هذه البنادق في حرب شربيه، إحداها كانت في

[509] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص 172

[510] انظر في وصف مثل هذه الأسلحة، تاريخ سانتاكروز- أكادير، وثيقة برتغالية من القرن 16، تعريب أحمد صابر، نشر جامعة ابن زهر، أكادير، 1994.

جيش المغافرة عند محمود بن عبله الدامانى، والثانية كانت عند اليعقوبي الوادانى، والثالثة كانت عند سيدي الحسن العلوي، وهما من أصحاب ناصر الدين.
وكان المدير الفرنسي قد قرر مساعدة يريم كودي على حرب القاضي عثمان بعدما قتل "التوبنان" (التائبون) ثلاثة فرنسيين وعطلوا التبادل في محطة تكشكمبه سنة 1085هـ (1674م)، ثم دخل دمشينه نفسه الحرب «فنهب بقايا الجيش "التوبنانى" المنهزم، كما نهب عدة قرى فوتية في يوليو 1674م (1085هـ) وأسر خلال نهبه لها اثني عشر "توبنانيا" (تائبا) وأرسلهم كعبيد إلى أمريكا[511]».

12- انقسام التائبين واستتباب للبيعة للمبارك بن حبيب الله بن سيدي الفالي:
ولما قتل الإمام القاضي عثمان بايعت حاميات الجيش ببلاد السودان وأولاد رزگ القريبون منها الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي، بينما بايع التائبون ببلاد الگبلة الذين بلغهم مقتل القاضي عثمان، المبارك بن حبيب الله بن سيدي الفالي، فلما قدم الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي بالجيش اختلف الفريقان فعزم إبراهيم بن الكوري بن سيدي الفالي على أخيه الفالي أن يخلع نفسه ويترك الأمر للمبارك، ففعل فخلص الأمر للمبارك. والتحق الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي بمن أطاعه من الجيش بأشفغ الأمين بن سيدي الفالي الذي هادن المغافرة.
وقرر التائبون أن يعينوا ولي عهد للإمام المبارك حتى لا يتكرر مثل هذا الخلاف، فعينوا منير الدين أخا ناصر الدين وليا لعهده. وغزا الإمام المبارك المغافرة في أربعمائة من قومه، وهم منهم كحلقة في فلاة، فانتصر التائبون على المغافرة، ثم بعث المغافرة نذيرا إلى أهليهم فأمدوهم، فأحاطوا بالزوايا، وكادوا يقضون عليهم، لكنهم نجوا منهم، ووقعت هذه الوقعة بالعرش بين المذرذرة والنمجاط.

[511] باري، مرجع سبق ذكره، 126 - 128.

وأخذ كثير من التائبين لما رأوا ما آل إليه أمر الزوايا من مقتل للإمام القاضي عثمان وانشقاق للفالي بن الكوري بن سيدي الفالي في الخروج على الإمام المبارك، وخرج عليه أيضا أولاد رزگ، وغيرهم من القبائل[512].

13- مقتل الإمام المبارك بن حبيب الله بن سيدي الفالي:

وجاء المغافرة بقضهم وقضيضهم إلى تن يجمار (104 كلم جنوب انواكشوط في آفطوط الساحلي) فحاصروا عسكر التائبين، ثم قاتلوهم حتى غلبوهم، وقتلوا الإمام المبارك قتله رجل من أولاد دامان، وقتلوا خلقا من جيش الزوايا منهم متيلي بن سيدي الفالي، وابناه القاضي والهادي، وأحمد سنبيرو بن سيدي الفالي، وأحمد والأمين وعبد الله أبناء المژدف بن سيدي الفالي، ومحنض بن اعديجه بن سيدي الفالي، والمختار بن ماهي بن سيدي الفالي، وأغلگورئذ بن أبا الصالح، ومحنض والأمين ابنا أشفغ ابل، وأحمد بن خالنا، ومحمد بن محنض بن الحسن اندوبك، وابنا عمه، وابنا أجود، وبنو حيبلل الثلاثة احمدان وحامنا وجوطين التامگلاويون، وعبد الله النجمري، ويفلج بن محم صار، وإميجن بن المصطفى، والمحجوب بن يعقوب إنلل بن أشفغ أوبك، وأخوه شيخنا، وجدهما أشفغ أوبك، وأبناء محنض أگذ عبد الله الخمسة، وقتل الكريم بن بوميجه في الليلة التي تلي ذلك قتله عتام اليتيمي ثائرا لاثني عشر من رهطه قتلوا في تن يجمار[513]. وكان ذلك في أواخر 1085هـ/ 1674-1675م.

14- التحاق منير الدين بإيچيچبه ومبايعته هناك:

ولما هزم الزوايا في بلاد الترارزة وأيقنوا بتلاشي أمرهم، قاموا بدفن طبلهم بعدما خبأوا فيه ما معهم من الحلي بانيفرار، وذهب ولي العهد منير الدين المختار بن أبهم (أخو ناصر الدين) مع نحو مائة فارس في بقية من قومه وعناصر من حركة التوبة من

[512] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص 174.

[513] . أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مصدر سبق ذكره، ص 109.

بينهم هينيا أمه، قاصدا إيچيچبه، وذهب أشفغ الأمين بالذراري والنساء فأمنهم له المغافرة، وتفرقوا في المنطقة لطلب المعيشة. ولما قدم منير الدين على إيچيچبه وجد التائبين قد بايعوا القائد الإيچيچبي النحوي أگد عبد الله، فاستظهر منير الدين بولاية عهده، فآل إليه الأمر بعد المشاجرة. وكانت للإمام منير الدين فتوحات لاسيما في السودان الذين أخذوا في الخروج على الحركة بتشجيع من الفرنسيين.

ثم غزا المختار أگد عبد الله أرضا بعيدة بالسودان في جيش عظيم، ولم يبق في العسكر إلا الإمام منير الدين والقائد النحوي في نفر يسير، فركب اعلي البوعلي الرزگاني إلى المغافرة، وكانوا أخواله، فأراد أن يكسب مودتهم فأعلمهم بالأمر، فغزت المغافرة العسكر، فلما أحدقوا به أشار النحوي إلى الإمام منير الدين بأن يركبا خيلهما ويتعرضا للمختار، فاستنكف الإمام منير الدين عن الهرب وأبدى له الرغبة في الموت واللحاق بمن قتلوا قبله، فرغب النحوي كذلك في الموت، فقاتلا بمن معهما حتى قتلا[514]. وذلك هو يوم بكل (18 كلم شرقي منگل). وقتل فيه حبيب أخو الطالب أجود بن مودي أوبك، والفالي بن بل في قوم.

15- مبايعة المختار أگد عبد الله واتساع التحالف ضد حركة التائبين:

ثم قدم المختار فبويع، فاستأنف حربه مع السودان، فكانت له هنالك انتصارات، كما نجح في الانتصار على المغافرة، وقتل ما ينيف على مائة من سادتهم في أكثر من معركة، لكن السودانيين الذين تحالفوا مع بكار الغول أقوى القواد المغافرة في أيامه، ومع حليفه بوسيف بن محمد الزناگي المباركي تمكنوا من زعزعة حكم "التوبنان" (التائبين) في السودان، خاصة في فوته التي أخذ ساتيگي يحاول استعادة الملك بها بدعم من الفرنسيين، وفي الوالو الذي تخلى ملكه يريم كودي عن حركة التوبة وتحالف مع الطرف الآخر.

[514] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص177.

وشرع السودانيون المناوئون للتائبين في الاشتباك مع أنصار حركة التوبة في فوته واچيولوف وكايور، بينما تتالت الحملات العسكرية الفرنسية على فرق الزوايا البيضانية التي تعمل على مد جيش التائبين بالتموين الضروري، وكان من أكبر تلك الحملات حملتهم على قافلة من 500 رجل يحملون الزرع على أعداد كبيرة من المواشي، متجهة من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى[515].

وانتقل يريم كودى الذي تمكن من تطهير الوالو من التوبنان (التائبين) إلى فوته لمساعدة ملكها على العودة إلى عرشه. وكانوا يبيعون كل من يقع في الأسر من البيضان حيث يتم نقلهم كعبيد إلى أمريكا.

وقد برر مدير الشركة التجارية الفرنسية الجديد الذي خلف دمشينه المتوفى في اكتوبر 1674م (1085هـ) إثر مرض ألم به حملات الشركة الفرنسية ضد حركة ناصر الدين -كما هو في وثيقة شامبونو- بقوله: «إنهم يزدروننا كثيرا بسبب الاختلاف بين ديننا وشعوذتهم، ويوهمون شعوبهم بأننا لا نشتري العبيد إلا لنأكلهم. ومنذ أصبحوا سادة في البلاد فإن عبدا واحدا لم يدخل إلى سفننا[516]».

وفي الفترة ما بين مايو وأغسطس 1675م (1086هـ) قام التائبون باحتجاز فرنسي كان يحاول الاتجار كرهينة، احتجاجا على عدم دفع الشركة الفرنسية للضرائب العرفية المعهودة لهم، ثم أطلقوا سراحه بناء على وعود من الشركة، ولما لم تتحقق هذه الوعود عاد التائبون إلى مهاجمة سفينة تجارية فرنسية يوم 14 أغسطس (1675م/ 1086هـ) بمنطقة گورگول ونهبها، وقتل كل من كان فيها، عدا ثلاثة سينغاليين فروا سباحة، والتحقوا بمدير الشركة الفرنسية.

وخلال نفس السنة (1675م/ 1086هـ) رأى شامبونو عدة قرى ومدن تم حرقها وتخريبها من طرف التحالف المناوئ للتائبين، وشاهد شامبونو يريم كودي يأسر عددا كبيرا من التائبين في قرية افاناي ويبيعهم للفرنسيين.

---

[515] محمد المختار بن السعد، حرب شربيه، مرجع سبق ذكره، ص132

[516] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص35.

وفي نهاية 1675م وبداية 1676م (1086هـ) كانت حملة قواد المغافرة (بكار الغول وهدي وبوسيف) وابراك والو وساتيگي فوته ضد التائبين على أشدها، فكانوا يطاردون ويحرقون وينهبون ويحطمون كل شيء للتوبنان (التائبين). وفي يناير 1676م (1086هـ) مات يريم كودى مقتولا على يد سيرانكو التوبناني نائب إمام اچيولوف فخلفه افارا ابندا نجل افارا كومبا الذي قتله الزوايا في عهد ناصر الدين. وكان افارا ابندا حنقا على البيضان فكان يتتبع آثارهم ويأسر من تمكن من أسره منهم ويبيعهم كعبيد للفرنسيين[517]. وكانت سنة 1676م (1087هـ) سنة مجاعة كبيرة في المنطقة.

وفي يناير 1677م (1087هـ) استعاد ساتيگي الملك في فوته، وتزايد الضغط على الإمام المختار أگد عبد الله في منطقتي البراكنة وگورگول، فوجه اهتمامه نحو الأيتام وأولاد امبارك وكانوا في جبهة واحدة، فغزاهم وغزوه.

ثم غزا الإمام المختار المغافرة في يوم عرف بـ"يوم آمدر" (شمال مگطع لحجار)سنة 1088هـ (1677م)، وكان قد غزاهم قبل ذلك غزوة ناجحة، فجاءوه في هذا اليوم من كل وجه، وتقاتلوا من الظلام إلى الظلام، فكانت الغلبة للمغافرة[518].

16- مقتل الإمام المختار في يوم تن يفظاظ:

وضاقت على التائبين الأرض بما رحبت، فراحوا في الليل إلى تن يفظاظ القريبة من آمدر، وقد أثخنتهم جراحاتهم، وتشاوروا في أن يفر الخيالة في جنح الليل، ويتركوا الرجال يتحصنون بالجبال والأودية والشعاب، فبكى إميجن أگد عبد الله، فقال له أخوه الإمام المختار: ما يبكيك؟ فقال له: يبكيني أن الأئمة قبلك ناصر الدين والقاضي عثمان والمبارك والنحوي ومنير الدين كل واحد منهم قتل قبل أصحابه، وأنت تريد أن تهرب على الخيل، وتترك أصحابك للقتل، فقال له: صدقت يا أخي، فباتوا هناك،

---

[517] باري، مرجع سبق ذكره، ص 132.

[518] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص183.

ثم صبحهم المغافرة وأحاطوا بهم وقتلوهم عن آخرهم، إلا الإمام المختار أگد عبد الله سقطت به فرسه فدق عنقه وعنقها فمات.

17- انتهاء حرب شربيه:

ولم يبق في هذا اليوم الذي كان آخر أيام حرب شربيه بالغ من قبيلة الإمام المختار أگد الله إلا قتل، وركب المغافرة إلى عسكر الزوايا فنهبوه، وبقيت الذرية والنساء سبايا، وتفرقوا في البلاد، أو عبروا النهر جنوبا بحثا عن الأمان، ومنهم من التحق بمناصري الحركة في اچيولوف، وكايور، وفوته فانخرط في مجموعات التائبين التي كانت ما تزال تصارع الأطراف المناوئة لها هناك، ثم أصبح جزءا من نواة إحدى الدول الإمامية التي قامت جنوب نهر السينغال[519].

[519] وطويت صفحة دولة الإمام ناصر الدين وحركته شمال النهر، وعاد الوئام، بعدما خيم السلم، إلى علاقات الزاويا والمغافرة. واستوصى المغافرة بالزوايا بعدما وضعت الحرب أوزارها خيرا، وأجمعوا على ألا يعاملوهم إلا بما كانوا يعاملونهم به قبل الحرب، وأجمعت تشمشه التي جددت تحالفها بأگننت على ألا تحمل سلاحا، ولا تناوئ أحدا بعد حرب شربيه. وتعايش المغافرة والزوايا في وئام كأن لم يكن بينهم شيء، فكان سيدي عبد الله بن رازگه بن أخ سيدي الحسن قاضي الزوايا المحرض على حرب هدي، صديق الأمير اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان، ورفيقه إلى الملوك العلويين، وراثي أخيه الأمير أعمر آگجيل من قبله، وكان ابن خالة الإمام ناصر الدين المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي قاضي اعلي شنظورة ومستشاره الذي ولاه قسمة إگيدي. ودفن الترارزة أميرهم عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره مع ناصر الدين بترتلاس، كما دفنوا أميرهم أعمر بن المختار، والد الأمير محمد الحبيب مع أحمد بن العاقل الديماني بانبنه بوصية من الأمير، فحمل إليه من مسيرة نصف يوم. وكان الزوايا سندا للإمارات الحسانية التي سيطرت على بلادهم بعد انهيار دولة الإمام ناصر الدين، فكانوا هم أهل الفتوى والقضاء والإمامة بهذه الإمارات.

الدول الإمامية جنوب نهر السينغال
ودور حركة الإمام ناصر الدين في قيامها

تفرق أنصار حركة الإمام ناصر الدين بعد هزيمتهم في شربه في البلاد، ومنهم من التحق بمناصري الحركة جنوب النهر في اچيولوف، وكايور، وفوته، فانخرط في جيوشهم التي سرعان ما تحولت إلى ميليشيات متفرقة، تناوش التحالف المناوئ للتائبين. وكان من بين من التحق بمناصري الحركة جنوب النهر تنغوس خالة الإمام ناصر الدين في جماعة، ومحنض بن چبه البارتيلي، قائد معركة انتجي، ومحنض بن الشيخ التندغي في مجموعة من تشمشه وغيرهم.

وكان التحالف المناوئ كلما قبض على مجموعة من التائبين البيضان أو الزنوج نقلهم إلى جزيرة گوري (قرب داكار) التي احتلها الفرنسيون سنة 1677م (1088هـ) وباعهم هناك، حيث أكد الفرنسي باربو أنه اشترى بنفسه في كايور مرابطا جيء به يباع كعبد سنة 1681م (1092هـ) وأن العبد بيع في هذه السنة بربع مكيال من الحبوب[520].

ودفع هذا الوضع بفلول التائبين البيضان والزنوج إلى التواري عن الأنظار أو الهجرة باتجاه فوتا چالون أو بوندو، حيث شكل هؤلاء المهاجرون نواة حركة التوبة التي ستهيئ لقيام الدولة الإمامية في هذين البلدين.

وبعدما ترسخت حركة التوبة في فوتا چالون وبوندو، وأصبح التائبون المؤمنون بمنهج الإمام ناصر الدين قوة معتبرة هناك، أخذوا يمدون إخوانهم في فوتا تورو الذين لم يرضوا عن اتفاقيات ساتيگي -العائد إلى العرش بدعم من أعداء التوبنان (التائبين)- مع المغافرة ولا مع الفرنسيين، فأخذت فلول التائبين تعمل على تكريس النقمة ضد ساتيگي ونظام حكمه.

---

[520] باري، مرجع سبق ذكره، ص 135.

وكان ساتيگي العائد إلى الحكم بمساعدة المغافرة قد فرض إتاوات جديدة على مواطنيه يدفعونها للمغافرة عرفت بـ"مد الحرمه"، كما وقع اتفاقيات جديدة مع ممثلي التجارة الاستعمارية في سينت الويس (باندر) قضت بتصدير المزيد من العبيد، وبفتح المنطقة أمام التجارة الفرنسية[521].

وتمكن سليمان بال الفوتي الذي درس في بلاد الگبلة وآفطوط على أبناء ضحايا حركة الإمام ناصر الدين وأدرك بعض أعضائها، قبل أن يلتحق بالحركة الإمامية في فوتا چالون أن يبعث مذهب التوبة في الفوتا تورو. واستطاع خلفه عبد القادر كن الذي درس هو الآخر بمنطقة الگبلة على أولاد ديمان أن يطيح بالملك الدينانكوبي ويقيم في فوتا تورو إمامة إسلامية تستلهم منهج حركة الإمام ناصر الدين.

1- الدولة الإمامية بفوتا چالون:

لجأت أعداد كبيرة من التوبنان (التائبين) من فلول أنصار حركة الإمام ناصر الدين إلى فوتا چالون حيث وجدوا الأمن والأمان بين السكان الذين كان أغلبهم وثنيين في ذلك العهد في تلك المنطقة، وكان أغلب من التحقوا بفوتا چالون قادمين من فوتا تورو، وفيهم بعض أهل الوالو وبعض البيضان، وانضم إليهم أقوام من ماسنه وبوندو، وتوزعوا في تلك الأرض، بعضهم يقوم على الماشية، وبعضهم يشتغل بالتعليم ويصاحب الطلاب، وكانوا في أول أمرهم حذرين يستخفون بممارسة شعائرهم الدينية، ويدعون إلى الإسلام سرا قبائل الچالونكوبي وبولى المتواجدة حولهم.

ولما كثرت أعدادهم وشعروا بالقوة أخذوا يعلمون القرآن ويؤدون الصلاة علانية، فجعل بعض أهل القرى يضايقونهم، ويعكرون عليهم صفو حياتهم، فتشاور عشرة منهم في قرية فاگمبا بعد أن قرأوا القرآن وفسروه وختموه، واتفقوا على أن يقترعوا، فاختاروا شجرة يرمونها، على أن يجاهدوا أعداءهم إذا أصابوها كلهم، وإن أخطأوها

[521] دعود بن عبد الله، الإسلام والمجتمع في إفريقيا الغربية خلال القرنين 17و18م، حوليات كلية الآداب، ع2، 1990.

أو أخطأها بعضهم تريثوا في إعلان الجهاد. ورموا الشجرة فأصابوها جميعا فاعتبروا ذلك إذنا لهم بالقتال[522].

وبدأوا جهادهم عام 1105هـ/ 1694م، وأسفر هذا الجهاد عن إقامة نظام إسلامي بانتخاب ألفا كاراموكو إبراهيم بن نوح عام 1140هـ (1728م)، فقام بتنظيم الدولة وتعيين بقية الأئمة العشرة كل على بلدته، وبنى كل واحد منهم مسجدا في قريته وجعل يعلم الناس وينشر الإسلام. وجاهد كاراموكو مدة عشرين سنة غزا خلالها تسع عشرة غزوة، وبينما كان في غزوته التاسعة عشرة أصيب في عقله سنة 1180هـ/ 1766م.

وعزل الأئمة التسعة كاراموكو بعد مرضه ونصبوا بعده إبراهيم بن مالك المشهور بإبراهيم سورى، فحكم إحدى عشرة سنة، وتلقب بالمامي (الإمام)، وجاهد المناطق من حوله فوسع دولته حتى وصلت إلى نهر گامبيا جنوبا ومملكة كارته شمالا. وفي سنته الحادية عشرة عزله الأئمة لا لشيء سوى أن أولاد كاراموكو كبروا وقد رأوا أن يعيدوا إليهم رئاسة أبيهم. ولما عزلوه عينوا مكانه المامي ألفا صالح كاراموكو فحكم خمس سنوات. ثم عجز خلال سنته الخامسة عن رد الغزو الذي اجتاح فوتا چالون، واحتل تنبو وحرق جامعها ومخطوطاتها، ثم توجه إلى قرية فاگمبا منشأ الحركة فاحتلها، وانسحب المامي ألفا صالح إلى قرى أخرى من بلاده، فعزلوه وأعادو المامي ألفا إبراهيم سورى فنظم المقاومة، وهزم الغزاة وقتل زعيمهم[523].

وبعد وفاة المامي ألفا إبراهيم سورى انقسم أهل فوتا چالون بشأن خلافته فانحاز بعضهم إلى ابنه سعد بينما ساند بعضهم المامي السابق ألفا صالح، وكان هذا الخلاف سببا في تصدع الدولة. وبعد خمس سنوات من موت المامي إبراهيم قتل أنصار ألفا صالح المامي سعدا وأرادوا المامي صالح على تولي السلطة لكنه رفضها واعتزل الفتنة، فعينوا أخاه المامي با دمبا، وكان عادلا شجاعا مجاهدا تولى سنة 1213هـ/ 98 -

[522] موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص119.

[523] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص144.

1799م، وحكم ست عشرة سنة. ثم استجمع أنصار إبراهيم سوري قوتهم فانقضوا عليه وقتلوه، ونصبوا مكانه المامي عبد القادر بن إبراهيم سورى. وظل الحزبان حزب ألفايا الداعم لآل ألفا كاراموكو وحزب السوريا الداعم لآل إبراهيم سورى يتصارعان على السلطة، وظهر في فوتا چالون حزب ثالث يقوده رجل يدعى ممدو چاه كان يدرس في أرض البيضان ورجع فأسس محظرة كبيرة وتلقب بحب الرسول، فتوسع الصراع الذي انخرطت فيه الطوائف الثلاث[524]. وبعد تلاشي طائفة ممدو چاه انحصر الصراع بين حزبي السوريا وألفايا، وظل كذلك لفترة طويلة تناوب على العرش فيها عدد من الأئمة الضعاف، ثم استتب الأمر نسبيا لألفايا في ظرف أصبحت فيه الدولة الإمامية هدفا من أهداف القوة الاستعمارية الأوروبية التي أخذت تمد نفوذها باتجاه المنطقة.

2- الدولة الإمامية ببوندو:

ينحدر مالك سي بن داود سي مؤسس دولة بوندو الإسلامية من أسرة بيضانية تنتمي إلى شمس الدين الگلگمي (أحد أحفاد محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي) المعروف في بلاد فوته بچم سي، كانت قد نزحت من الضفة اليمنى إلى الضفة اليسرى للنهر، وأقامت بقرية سيوما حيث ولد مالك سي حوالي 1050هـ/ 1640م ونشأ، فلما حفظ القرءان، انتقل إلى محظرة ابيري[525]، فتعلم على إمامها القاضي همر فال (عمر فال) الذي تلقى العلم بمحاظر أولاد ديمان قرب المذرذره، قبل قيام حركة الإمام ناصر الدين، وأسس محظرة بإقليم تورو ثم نقلها إلى وسط كايور (12 كلم شمال تيواون)، واستمر فيها من عام 1027هـ/ 1618م إلى 1042هـ/ 1633م[526]، وهو الذي استعمل القاضي عثمان إبان حرب شربه خال أولاده يريم

[524] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب نهر السينغال، جامعة انواكشوط، مرقون، 1987، ص55.
[525] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص130 و143.
[526] المرجع نفسه، ص134-135.

كودي على الوالو[527]، وبعد إكمال مالك سي لتعليمه وعودته إلى قريته تزوج بـامرأتين فوتيتين ولدت له إحداهما ابنه وخليفته بوبو مالـك، بينمـا أنجبـت لـه الأخـرى ابنيـه التوماني ومودي.

وأظهر مالك سي النسك والتعبد فأقبل عليه الناس واعتقدوه، فأثار عليه ذلك الحسـاد فانتقل عن سيوما إلى قرية شرق بودور تدعى داتال. وفي داتال ذاعت شهرة مالك سي، ثم انتقل من داتال إلى بودور بعدما أوغر عليه الحسدة صدور الناس هنـاك، ثم غادرهـا بعد فترة وجيزة حاجا[528].

وعند عودته من الحج عام 1107هـ (1695م) نـزل الحـاج مالـك سـي بـين مملكـتي كارته وگدياگه بأرض خصبة مر بها خلال سفره فأعجبته، وكانت تقطنها قبيلتا فـادوبي وقيروبي، فنزل على حي من أحيائها تحكمه امرأة تدعى كمبه، وكان لهذه المرأة بئر قليلـة المياه فاستأذنها في إصلاحها لزيادة مائها، فقالت له إن ذلك يتطلب جلـب الأخشـاب من الغابة، والجن تمنع الناس من ذلك، فاستعمل الحاج مالـك سـي رقـاه لطـرد الجـن وجلب الأخشاب وقام بإصلاح البئر ففاض ماؤها وأصبحت تـدعى منـذ ذلـك اليـوم ببوندو كمبه ومالك، ومعنى بوندو في اللغة البولارية عين الماء.

وكسب الحاج مالك سي بانتصاره على الجن ولاء القبيلـتين، فأخـذ ينشـر الإسـلام في صفوفهما، ولحق به أهله وكـثير مـن قومـه وفلـول مـن التوبنـان (التـائبين) البيضـان والزنوج الفارين من حملة التطهير التي يقوم بها ساتيگي ضدهم في فوتا تورو.

---

[527] راجع الفصل الذي سبق.

[528] كانت محطته الأولى گدياگه، وهي مملكة سوننكية صغيرة كانت توجد آنذاك في منطقة باكل الحالية، فحل بها ضيفا على ملكها الملقب تونگا، ونشأت بينهما علاقات طيبة. ومن گدياگه رحل مالك سي إلى مملكة كارته البمبارية فاستقبله ملكها في كانگي واستضافه في قصره، ثم واصل من كانگي رحلته إلى الحج، وفي مكة المكرمة عقد الحاج مالك سي العزم بعد عودته على نشر الإسلام في جيوب الكفر ببلاده، وفي طريق عودته التقى قبيل وصوله برجل يدعى سونديانا أعجب به وأرسل معه ثلاثة رجال أقاموا معه وكانوا عونا له. وكانت عودة الحاج مالك سي من رحلته سنة 1107هـ (1696م). انظر، بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص144. وأحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص47.

وعندما أصبح الحاج مالك سي زعيم بوندو ذهب إلى تابو عاصمة گدياگه ليقدم الولاء لملكها الملقب بالتونگا الذي قبل بإقامة النازحين إلى الحاج مالك سي من فوتا تورو في الأراضي الملحقة ببوندو، واتفقا على أن يعود الحاج مالك سي إلى بوندو ثم ينطلق كل منها في اتجاه الآخر في الصباح، وحيث يلتقيان يصبح هو الحد الذي فصل بين سلطتيهما، ويقال بأن الحاج مالك سي لم ينتظر الصباح بل أدلج فكانت رقعة بلاده أوسع. ويقع الحد الفاصل بين السلطتين الآن خمسة كيلومترات جنوب باكل السينغالية الحالية[529].

وشرع الحاج مالك سي الذي أصبح زعيما وإماما معترفا به في تأسيس دولته، فأخذ ينشئ القرى ويبني المساجد، ويوزع النازحين إليه من فوتا تورو عليها، ويختار من بينهم مجالسا من الأعيان يترأسهم إمام القرية الذي يعين على أساس سنه وعلمه.

وكان الحاج مالك سي على تواصل مع فلول حركة ناصر الدين التي لجأت إلى فوتا چالون ، وأرسل إليهم ابنه الأكبر بوبو لتعلم العلم على أيديهم.

وقاد إسقاط تونگا (ملك) گدياگه بسبب حركة داخلية في مملكته، وعدم اعتراف حكام گدياگه الجدد بحدود دولة الحاج مالك سي التي اتفق عليها مع التونگا إلى اندلاع الحرب بين الطرفين مما أدى إلى سقوط الحاج مالك سي قتيلا بعد ثلاث عشرة سنة من الحكم.

وعلم بوبو مالك سي بمقتل والده وهو بفوتا چالون فنفر بجيش من التائبين (التوبنان) وطلبة العلم زوده به إمام فوتا چالون إبراهيم سورى، وهزم أهل گدياگه وضمها إلى دولة أبيه التي قام بتوطيد أركانها. ودام حكم بوبو مالك سي سبع عشرة سنة.

وبعد وفاة بوبو مالك عانت الدولة من فترة اضطراب، ثم حكمها ابنه مكا بوبو مالك سنة 1143هـ (1731م) فأعاد لها قوتها وهيبتها وتلقب بالمامي (الإمام)، ومنع الإتاوات التي كان أهل بوندو يدفعونها للملوك الدينانكوبيين.

---

[529] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص46.

ولما توفي المامي مكا بوبو سنة 1177هـ (1764م) تنازع على الخلافة ابناه غير الشقيقين حمادي گايا وحمادي عيساتا، فاستبد حمادي گايا، ثم ابنه موسى گايا فحفيده سيگا گايا بالعرش. وفي عهد هذا الأخير اعترفت بوندو بسلطة المامي عبد القادر كن الفوتي إمام فوتا تورو[530].

وفي سنة 1210هـ/ 1796م قام المامي عبد القادر بعزل المامي سيگا گايا إثر اتهامه له بالتواطئ مع أهل مملكة كارته البمباريين الوثنيين ضد أهل گدياگه المسلمين، وتسبب هذا الإجراء في سخط حمادي عيساتا الذي كان يطالب بالعرش، وكان على صلة وثيقة بالمامي عبد القادر كن لأن المامي عبد القادر أسند السلطة - بعد خلع سيگا گايا- إلى ابن أخيه حمادي باتا بدلا منه، فاستنجد حمادي عيساتا ببمباره وتمكن من الاستيلاء على عرش بوندو، وكان ضمن الحلف الذي أسقط المامي عبد القادر كن.

وظل أحفاد المامي حمادي عيساتا بعده يتوارثون عرش بوندو حتى دخولها تحت الحماية الفرنسية عام 1274هـ (1858م).

3- الدولة الإمامية بفوتا تورو:

أخذ التوبنان (التائبون) البيضان والزنوج الذين استقروا بفوتا چالون وبوندو يمدون إخوانهم من الفوتيين الذين لم يرضوا عن اتفاقيات ساتيگي -العائد إلى العرش بدعم من أعداء التوبنان- مع المغافرة والفرنسيين، فأخذت فلول التائبين تعمل على تكريس النقمة ضد ساتيگي ونظام حكمه في فوتا تورو، ومواصلة نشر الإسلام في البلاد. ولم تمض فترة طويلة حتى دب الوهن في الدولة الفوتاتورية، وقادت الصراعات الدامية على العرش الدينانكوبي التي اندلعت حوالي 1153هـ (1740م) بين صمبا گلاچيو چيگي وابن عمه الملك كنكو بوموسى إلى لجوء صمبا گلاجيو جيگي إلى محاربي

[530] المرجع نفسه، ص50.

البيضان وقوله لهم: «إن نصرتموني على ابن عمي كنكو بوموسى وغلبته وانتزعت منه العرش فلكم في كل سنة صاع من الزرع على كل إنسان، فلما علم كنكو بوموسى بذلك أثبت لهم هذا الصاع على كل إنسان في فوته صغيرا وكبيرا، ذكرا وأنثى عند حصائد الحرائث النهرية، فكان البيضان يقتسمون البلاد على ثلاثة أثلاث: الوالو للترارزة، وتورو للبراكنة، وبوصيا وگنار لإيدوعيش[531]». وأدى استمرار الحرب، وتحالف كل طرف من طرفي النزاع مع قوم من محاربي البيضان مقابل مغارم معلومة، وبيع الأسرى، وانتشار الفوضى إلى تردي البلاد، وانتشار المجاعات، واستفحال تجارة العبيد، كما أدى إلى تزايد الوعي الديني والرجوع إلى الإسلام الذي ينشره أنصار التائبين وطلبة العلم إلى تردي سلطان الدينانكوبيين في فوتا تورو.

واتفقت مجموعة جمعتها الغربة من طلبة محظرة أهل همر فال (عمر فال) بابيري (قرب تيواون السينغالية) على قيادة حملات التوعية في قراهم، ومجابهة الاضطهاد، ودعوة الأمراء الدينانكوبيين إلى الشرع، أو تقويض حكمهم. وكان من ضمن هذه المجموعة سليمان بال قائد الثورة الإمامية بفوتا تورو.

وسليمان بال بيضاني الأصل، فهو بن راسين بن صمبه بن بكار بن إبراهيم بن بكار حفيد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيي الگلگمي[532]، من قبيلة بكارنابه (نسبة إلى جده بكار بن إبراهيم بن بكار) التي تعصبت مع قبيلة وطابه الفلانية، ثم تحول بعض بطونها إلى قبيلة أورولبه. كان ذوو سليمان بال بمنطقة لحسي من بلاد شنقيط، ثم نزحوا إلى بودي السينغالية. وهناك ولد سليمان بال ونشأ، ثم سافر في طلب العلم إلى بلاد شنقيط حيث تزوج بامرأة بيضانية بمحظرة الشيخ الفاضل بن

[531] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، ص147، نقلا عن الشيخ موسى كمرا في زهور البساتين.
[532] المرجع نفسه، ص140.

الطالب بمال (البراكنة) ولدت له بنتين[533]. وزار سليمان بال فوتا چالون فاطلع على أحوال دولتها الإمامية، وأصبح له بعد عودته تلامذة معتبرون فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى التوبة واعتناق الإسلام، ويحارب بيع العبيد المسلمين[534]، وكان يعظ سلاطين فوتا تورو، ويحاول أن يفسد عليهم قوادهم وعساكرهم ليضعفهم، ثم نشبت الحرب بينه وبينهم.

وسبب الحرب أن أرملة لها يتامى ذهبت إلى خجار لتمير عائلتها في فترة قل فيها الزرع في تورو، فلما عادت بأحمالها استولى رجال ساتيگي (السلطان) على زرعها، فاستغاثت المرأة بسليمان بال فأرسل إلى ساتيگي بأن يرد إليها متاعها فأبى، فأرسل إليه ثانيا وثالثا، فقال ساتيگي: إن هذا الطالب لسمين جدا يريدنا أن نقيء ما أكلنا، وأمر رجاله بإحضاره حيا أو ميتا، فبعث سليمان بال أحد تلامذته إلى قبيلة جاووبه التي يعود أصلها إلى قبيلة ابدوكل الصنهاجية[535] مستجيرا بها، وكان فرسانها أبطالا فأجابوه، وخرج ساتيگي على رأس جيشه لقتالهم فالتقى الجمعان عند كول گيجي بين بودي ودوتل فكان النصر حليفهم، ورجع ساتيگي مفلولا. ثم استنجد بحليفه وصاحب مغرمه أمير الترارزة اعلي الكوري فهاجم اعلي الكوري سليمان بال ومن معه من جاووبه فهزمهم وطردهم من تورو ولاو فلجأوا إلى بوصيا وگنار حيث سكنوا في كوبيللو وجال وغيرها من قرى المنطقة.

---

[533] المرجع نفسه. وأضاف أن «ابنتيه هما رحمة وفاطمة (رقية)، التحقت الأولى بأبيها في فوته وينتسب إليها اليوم العديد من فروع باللبه في فوته، وبقيت فاطمة في الصحراء، وولدت هناك الشيخ محمد فاضل أحد أقطاب الطريقة القادرية ببلاد شنقيط، وتزوج هذا الأخير بالنمجاط بنت أليمان بوبكر كن زعيم إقليم دمات في غرب بلاد فوته». ص142.

[534] فمن ذلك أنه رأى يوما قوما يحملون رجلا في سفينة متجهة إلى اندر ليبيعوه والرجل يقرأ القرآن، فعرف أنه مسلم فسأله عن شأنه فقال له إنه جاء إلى نواحي باكل ليتعلم العلم فأخذه أهل هذه السفينة ليبيعوه للنصارى، فقال سليمان بال للقوم: خلوا سبيله فإنه مسلم فأبوا وقالوا إنما ملكناه بمالنا، فقام إليهم تلميذ لسليمان بال قوي البنية يدعى عالي ميرم فصارعهم فغلبهم وأطلق سراح التلميذ فمضى لسبيله. بوبكر خالد با، مرجع سبق ذكره، ص146.

[535] الشيخ موسى كمرا، المجموع التفيس، مصدر سبق ذكره، ص141.

ولما استقر سليمان بال في كوبيللو كان من عادتـه أن يتجـول في القـرى يعـظ النـاس ويحضهم على الخروج من ربقة الدينانكوبيين، فبينما هو يوما في حقـول دانـيم إذ وجـد بعض البيضان المحاربين الذين قدموا إلى المنطقة ليجمعوا المغـارم علـى الزنـوج، وقـد استقلوا صاع الذهب الذي يكال به المغرم واستصغروه وأصروا على استبداله، فنهاهم سليمان بال فأبوا وأغلظوا عليه القول وهددوه بالقتل فأخذ سليمان بـال المكيـال مـن الكيال فضرب به رأسه فنثر دماغه.

واعتبرت القبائل الفوتية هـذه الحادثـة مـن أروع بطـولات سـليمان بـال فـزادت مـن التفافهم من حوله، وتغنوا بها في أغنيتهم الشهيرة: "بـالو سـليمان بـال... إلى آخرهـا" وترجمتها: «ما أعظم سليمان بال، فلنقدم له الأجر والشـكر، مـا أعظـم سـليمان بـال الداعي إلى حكم الله، الذي أزال البدعة في البلاد وأقام منار الـدين الإسـلامي، وكسـر كيل الذهب المقوم بالصاع المفروض على كل فرد[536]».

ونشبت الحرب إثر هذه الحادثة بين هؤلاء البيضان وسليمان بال ومعه طلبتـه وجاووبـه وبعض بطون بوصيا فانجلى البيضان منهزمين. وقام سليمان بال يعبـئ النـاس ويقـول لهم: ها قد فتحت لكم الباب فاجتهدوا ينصـركم الله، فبينمـا هـم كـذلك إذ هـاجمهم البيضان في سيلن رو فهزموهم ودمروا قريتهم سـيلن، ونهبـوا مـا حـولهم مـن القـرى وشتتوا أهلها، فجعل سليمان بال يؤلب عليهم وعلى حلفـائهم الـدينانكوبيين قبائـل بوصيابه ويرلابه ولاو وگنار.

ونظم سليمان بال أتباعه وخاض بهم حروبا مختلفة ضد الدينانكوبيين وحلفائهم مـن محاربي البيضان، وكان ورعا زاهدا، شجاعا مقداما، وكان يقول لقومه: إذا مت فـانظروا إماما عادلا زاهدا لا يجمع الدنيا لنفسه ولا لعقبه[537].

وتوفي سليمان بال وهو عائد بجيشه من أعالي گورگول خلال بعض معاركه مع الايتـام وأولاد عبد الل البركنيين سنة 1190هـ/ 1776م[538].

---

[536] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص151.

[537] المرجع نفسه، ص149.

وكان سليمان بال قد رشح قبل وفاته أربعة من العلماء الأخيار لاختيار الإمام من بينهم، هم: عبد القادر بن ألفا حمدي كن من قرية آبي، وتفسيرو بوگل من قرية جابا، وتشيرنو عبد الكريم جاوند من قرية سينوبال، وتفسيرو أحمد حمات البومبي من كانل، وكان كل من هؤلاء الأربعة معروفا بالعلم والفضل وكثرة الأتباع، فاختار الفوتيون عبد القادر بن ألفا حمدي كن الذي اشتهر بالمامي عبد القادر كن، لتمام علمه، وفتوته، وحيائه، وتواضعه[539]. وعبد القادر كن هو أحد أحفاد آيل كن، وهو قائد من أصل عربي قدم أبوه أو جده من دمشق، ثم استقر في الفلان، وأسس آيل كن تندگسمي في عهد أمير بيلگه أبي بكر بن عامر بن بادي بن البشاره بن عتبة بن الخظير بن يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين، وكانا رفيقين في الكفاح ضد غانه[540].

وكان عبد القادر كن قد درس هو الآخر –كسلفه سليمان بال- في محظرة أهل همر فال بابيري، كما درس على البيضان لدى قبيلة أولاد ديمان، حيث قرأ على العالمة خديجة بنت محمد العاقل مع زميليه العالمين المختار بن بونه الجكني وأخيها أحمد بن محمد العاقل[541]، وسكن ببوندو فترة من الزمن، ثم عاد إلى بلاده فسكن قرية آبى فقصده الطلاب من مختلف النواحي، وظل هناك حتى جاءه أصحاب سليمان بال

---

[538] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص70.

[539] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص163.

[540] راجع فصل الأجناس السكانية القديمة بالبلاد من هذا الكتاب.

[541] ابن أحمد يوره، كتاب الآبار، مرجع سبق ذكره، ص28 حيث يقول متحدثا عن جده أحمد بن محمد العاقل: «أخذ العلم الظاهر عن أخته خديجة بنت محمد العاقل، وكانت دولته حينئذ العلامة المختار بن بونه صاحب طرة ألفية ابن مالك وغيرها من التصانيف، والأمير الصالح المامي عبد القادر الفوتي، قرأوا ثلاثتهم عليها»، والمختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، ص78، ونفى موسى كمرا المسألة التي تتواتر عليها الروايات الشفهية لأهل العاقل، ويدل عليها الصك الذي كتب المامي عبد القادر للنابغة الغلاوي ووصفه فيه بأنه شيخه، فقد كان النابغة تلميذا معروفا لأحمد بن محمد العاقل. كما ينفي بعض الباحثين تتلمذ ولد بونه على خديجة محتجا بأنه ألف كتابه في المنطق المدعو تحفة المحقق قبل ولادتها. ولخديجة المذكورة شرح على عقيدة السنوسي المسماة بأم البراهين، وشرح على السلم في المنطق يدل على نباهتها في المعقول.

يختبرونه، ففضلوه على أقرانه، ودعوه ليبايعوه إماما لفوتا تورو، فامتنع أولا ثم أذعن لهم بعدما حاكموه إلى العلماء فحكموا عليه بقبول الإمامة[542].

وقال لهم المامي عبد القادر بعد تنصيبه: «فليتعاهد العلماء على ألا يروني في معصية إلا نهوني عنها، فتعاهدوا على ذلك، فقال: فليتعاهد النقباء والأمراء على أن العلماء إن اتفقوا على شيء وجب عليهم امتثاله، ففعلوا[543]»، فآخى بين القبائل ونصب الأئمة في القرى، واكتتب الجيوش، واشتغل بتوطيد النواحي الشرقية، ومحاربة الدينانكوبيين الذين تمكن من تحرير فوتا تورو من قبضتهم، كما اصطدم بمحاربي الأيتام وأولاد نغماش وإيدوعيش وأولاد الناصر، ثم تحالف مع أمير البراكنة، واعترف به إمام بوندو، وبوربا اجيولوف. وبعدما وطد المناطق الشرقية أخذ في محاربة الوالو مستغلا انشغال حليفهم القوي اعلي الكوري أمير الترارزة في صراعه مع البراكنة، وكتب إلى هذا الأخير يختبر نواياه: «بعد البسملة والحمدلة.. من أمير المؤمنين لبلاد فوته عبد القادر الفوتي إلى أمير الترارزة اعلي الكوري. موجب هذه البراوة أن تبعث إلينا خمس جياد لمساعدتنا على الجهاد الذي ننوي القيام به، ورحمة الله على من اتبع الهدى، والضرر لمن رأى الحق ونأى وأعرض عنه، ونسأل الله الرحمة والغفران، وعلى أنبيائه الصلاة والسلام[544]». فرد أمير الترارزة على المامي عبد القادر بإرسال صرة من البارود إليه[545].

وكان الأمير اعلي الكوري قد قاد حملات ضد الوالو وكايور جعلته يكسب مناطق نفوذ ومغارم في المنطقة ضاق بها المامي عبد القادر ذرعا، فتسبب ذلك في اقتناعه بالتحالف مع البراكنة ضده، ومهاجمته في يوم المرفگ سنة 1200هـ/ 1786م حيث قتل أمير

---

[542] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص162.

[543] المرجع نفسه، 162.

[544] المرجع نفسه، ص168.

[545] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص74.

الترارزة في وقعة انگيرين، وفي هذه المعركة أبلت هالايبه بلاء مشهودا[546]. وتمكن المامي عبد القادر من هزيمة براك (ملك) الوالو، فخضع لوصايته.

وكان المامي عبد القادر قد وقع 1197هـ (1783م) مع الفرنسيين المتمركزين بانـدر (سينت الويس) معاهدة تجارية تعهدوا فيها بوقف شراء العبيد لكنها بقيت حبرا على ورق، فلما مد المامي نفوذه إلى الوالو أصبح على احتكـاك مباشـر بالفرنسـيين فكتـب سنة 1203هـ (1789م) إلى واليهم ابلانشـو يحـذره مـن اسـترقاق رعايـاه مضـيفا: «نحن نحذركم بأن كـل أولئـك الـذين سـيأتون إلينـا مـن أجـل ممارسـة تجـارة الـرق سيقتلون، ما لم تعيدوا إلينا أبناءنا الذين في أيديكم {أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيـه ميتا فكرهتموه}. نحن لا نريدكم أبدا أن تشتروا المسلمين لا من قريـب ولا مـن بعيـد، ونجدد لكم القول بأنه إذا كان هدفكم هو شراء المسلمين فعليكم أن تبقـوا في بلادكـم، ولا تعـودوا إلى بلادنـا، ولـيعلم كـل الـذين يـأتون إلى بلـدنا لهـذا الغـرض بـأنهم سيقتلون[547]».

وكان المامي عبد القادر كارها للنصارى حريصا على المسلمين، ملازما لأوامر الشـرع، معظما للعلمـاء، كتـب لشـيخه الشـنقيطي العـالم النابغـة الغـلاوي (تـ1245هـ/ 1830م) صكا يأمر فيه كافة قواد بلاده ووزراءها بالإحسان إليه، والقيام بنوائبه، وعدم التعرض له إلا بخير، جاء فيه: «من أميـر المؤمنيـن الشيـخ عبـد القـادر كـن إلى مـن سيقـف على هذا الصك مـن قـاض ومفـت ووزيـر ورئـيس قريـة.. موجبـه إلـيكم إعلامكم بأن حامل هذا الكتاب وهو سيدي محمد الغلاوي شيخنا، فكـل مـن مـر بـه

---

[546] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص174. قال الشيخ موسى كمرا بأن المختار بن بونه الجكني قال بهذه المناسبة قصيدته المشهورة التي يمدح بها المامي عبد القادر ومطلعها:

حمدت الله خالقنا على ما قد اولانا من النعم الجسام.

وللعلامة حرمة بن عبد الجليل العلوي شعر يمدح به المامي عبد القادر جاء فيه:

قد فقتَ كل ملوكِ الأرض قاطبَـةً وفقتَ في العلم والعرفان كل ولي

ما سار سيْرَكَ في شأو العلا أحَـدٌ إلا سميكَ عبدُ القادر الجيَـلي.

[547] المرجع نفسه، ص179.

منكم فليحسن إليه وإلى عياله من فراش وضيافة وترحيب، حتى يجاوز البحر، ومن نزلوا عليه من أهل البحر، وأرادوا الجواز من عنده فلا يأخذ منه ولا من رفقته فتيلا ولا قطميرا. ومن امتثل لما أمر به فجزانا وجزاه الله أحسن جزائه، ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه.. إلحاق من أمير المؤمنين إلى رئيس كل موضع أن ينوب عن النابغة وعن قومه في كل ما نابهم من خصام من سود أو بيض[548]».

وفي سنة1210هـ (1796م) توجه المامي عبد القادر بجيش كبير إلى كايور، لكنه انهزم بسبب تواطئ ابراك (ملك) والو المتظاهر بالطاعة للمامي عبد القادر مع دمل (ملك) كايور، وقام دمل كايور بأسر المامي عبد القادر.

وفتح أسر المامي عبد القادر الباب أمام معارضته الداخلية فبايعت إماما آخر في مكانه هو حمادي الأمين بال، لكن هذا الإمام انسحب بعد عودة المامي عبد القادر من أسره الذي دام عدة أشهر. وتفاقمت هذه المعارضة ووجدت حلفاء لها في الشرق بسبب عزل المامي عبد القادر لمامي بوندو حمادي سيگا گايا إثر اتهامه له بالتواطئ مع أهل كارته البمباريين الوثنيين ضد أهل گدياگه المسلمين. وحاول الوالي الفرنسي ابلانشو أن يستفيد من الوضعية السيئة التي يوجد فيها المامي عبد القادر فعرض عليه في 20 رمضان 1215هـ (4 فبراير 1801م) اتفاقية جديدة تسمح لفرنسا بالتخلص من وصاية الدولة المامية والاتجار بكل حرية في المنطقة، فرفض المامي عبد القادر هذه الاتفاقية، وعلى إثر ذلك أعلن ابلانشو الحرب على الدولة المامية بفوته، وانطلقت من اندر (سينت الويس) يوم 8 جمادى الثانية 1219هـ (13 سبتمبر 1804م) حملة عسكرية فرنسية قامت بتدمير 13 قرية، وقتل 200 شخص واسترقاق 600 عبد، ثم انطلقت حملة ثانية في ربيع الثاني 1220هـ (يوليو 1805م) عاثت في الأرض

[548] وثيقة مخطوطة ص3. ونقاط التتابع في النص تحل محل ما حذف وهو من قرية كذا إلى قرية كذا في أعلى النص، والتوقيع في أسفله.

فسادا، لكنها ردت على أعقابها عند قرية فناي بعد إصابة قائدها بجروح قاتلة، وأدى فشل هذه الحملة إلى انسحاب الفرنسيين من بودور[549].

وبفضل وساطة من الأمير سيدي اعلي بن المختار بن آغريشي (سيدي اعلي الأول) بين الفرنسيين والدولة المامية، تم في 16 ربيع الأول 1221هـ (4 يونيو 1806م) توقيع اتفاقية بين الوالي ابلانشو والمامي عبد القادر، وقعها الأمير البركني سيدي اعلي نيابة عنه بحضور ممثله أحمد سي[550].

ولم يشهد المامي عبد القادر سريان مفعول هذه الاتفاقية فقد تمكنت معارضته الداخلية من عزله[551] بعدما نظم ضده قواد جيشه انقلابا وهو غائب في إحدى حملاته العسكرية، فالتجأ إلى زعيم خاسو (بمنطقة خاي الواقعة في غرب مالي الحالية)، وتحالف المنقلبون على المامي عبد القادر مع زعيم بوندو المامي حمادي عيساتا وزعيم مملكة كارتة البمبارية موديبو، فخاف زعيم خاسو على مملكته من عواقب هذا التحالف فطرد المامي عبد القادر من بلاده، فالتجأ إلى الترارزة أعدائه بالأمس، فآووه. وكانت إقامته في الترارزة بعيدا عن مملكته السابقة سجنا بالنسبة له فلم يطل مكثه بها وقرر الذهاب إلى فوته، التي ما إن وصل إليها حتى علم به أعداؤه وحلفاؤهم من البمبارين فبادروا إليه وحاصروه ومعه قلة من أنصاره، فلما رأى القتل قد استحر في أصحابه ترجل عن فرسه وأحرم بالصلاة، فتقدم نحوه زعيم مملكة بوندو المامي حمادي عيساتا وقتله بيده[552].

---

[549] أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب النهر، مرجع سبق ذكره، ص76.

[550] المرجع نفسه، ص77.

[551] المرجع نفسه، ص77.

[552] وقد دون النابغة الغلاوي هذه النهاية المؤلمة لهذا الأمير الفوتي في منظومته التاريخية الوعظية المشهورة بأم الطريد قائلا:

«ولعبت بالمامي عبد القـــادر وغادرته بين كل غَـــادر
وجيشتْ له من البنابـــــر ما هد ما بناه من منـــابر
ومزقت ما عنده من خزئـــهْ وصيرتْ دولتَه للخزَئـــهْ
وفاتَ "فوتَه" عدلُ ذاك الصالـح وأصبحوا من بعدُ قومَ صالـح

وتعاقب أكثر من ثلاثين إماما على السلطة بعد المامي عبد القادر فيما بين 1221هـ و1270هـ (1806م و1854م) في جو تطبعه الدسائس وعدم الاستقرار، ثم قام الوالي الفرنسي باندر (سينت الويس) فيديرب أثناء عمله على إخضاع أجزاء من السينغال بالقوة سنة 1270هـ/ 1854م بفرض الوصاية الفرنسية على الأئمة الفوتيين، وأخذ يتدخل في شؤونهم، فأخذت الدولة المامية منذ ذلك التاريخ في التقلص إلى أن أصبح أئمتها مجرد سادة محليين مع الزمن[553].

لذاك لم يصلح لهم إمـــــامُ عوض كما قد قاله الأعْـلامُ».

[553] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، مرجع سبق ذكره، ص198 - 229.

نشأة النظام السياسي الأميري ببلاد شنقيط

انتشرت قبائل بني حسان المحاربة في كل ربوع بلاد شنقيط، وأكملت سيطرتها عليها خلال القرن الحادي عشر للهجرة (17م) وكونت كل طائفة حسانية إمارة في الناحية التي استولت عليها.

ومثلت هذه الإمارات التي واكب ظهورها نمو التجارة الأطلسية أول شكل من أشكال الحكم المنظم والمستقر في هذه البلاد خلال فترة السيبة منذ فشل دولة الإمام ناصر الدين، رغم كون بعض هذه الإمارات لم يستطع أن يستكمل شروط النظام الأميري، فبقي سلطانه أشبه برئاسة قبلية موسعة. وسمح هذا الاستقرار النسبي بخلق وضع أخذت فيه بوادر النهضة الثقافية للبيضان الشناقطة تتبلور. ومع وجود حدود تقريبية لكل مجال أميري فإن واقع المجتمع البدوي يجعل حدود الإمارات الجغرافية والبشرية مرنة وغير ثابتة، حيث ترتبط هذه الحدود بالمجموعات القبلية أكثر من ارتباطها بالأرض.

ولم تكن لهذه الإمارات نظم محددة لاختيار الأمير، والغالب فيها أن تكون وراثية، وتتألف حاشية الأمير من مستشارين من أعيان قبيلته وأبرز مقاتليها، ومن خدمه الخاصين به. وكان لكل أمير طبل رسمي هو رمز سلطانه، يقوم عليه خدم موكلون به، وينقرونه بطرق معينة في المناسبات المختلفة كالحرب، والأمن، والرحيل، والنزول. ويعتبر هذا الطبل مقدسا، فلو استولى عليه الأعداء أو عبثوا به دل ذلك على انهزام أصحابه، «وكان السلاح حتى آخر القرن الحادي عشر الهجري (17م) منحصرا في السيوف والرماح والخناجر، فلم يكن في حرب شربيه غير ثلاثة مدافع، وانقضت دولة أولاد زيد [من أولاد داود اعروگ] دون أن يظهر فيها مدفع واحد[554]». وكانت حياة

[554] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص95.

الإمارات، والرئاسات القبلية المحاربة التابعة لها أو الخارجة عن مجال سيطرتها، مليئة بالغارات والنهب والسلب والحروب المتواصلة.

والإمارات التي تمكنت تأسست في هذه البلاد، واشتهرت بمستوى -ولو نسبي- من التنظيم السياسي يميزها عن الرئاسة القبلية هي: إمارات الترارزة، والبراكنة، وأولاد يحي بن عثمان، وأولاد امبارك، والبرابيش الحسانية، فضلا عن إمارتي إيدوعيش ومشظوف الصنهاجيتين.

واشتهرت في هذه البلاد كذلك رئاسات حسانية أخرى، لم ترق من حيث التنظيم السياسي إلى مستوى الإمارات المذكورة كرئاسات أولاد دليم، وأولاد اعروگ، وأولاد رزگ، وأولاد داود امحمد، وأولاد الناصر، وغيرها.

إمارة الترارزة

تقع إمارة الترارزة في الزاوية الجنوبية الغربية من بلاد شنقيط بمنطقة تعرف بمنطقة الگبلة، وهي تسمى إمارة الترارزة نسبة إلى تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر جد مجموعة الترارزة الحسانية التي أصبحت أبرز قوة في هذا الإقليم منذ معركة "انتيتام"(1040هـ/ 1630م).

ويمكن تقريب حدود هذه الإمارة من جهة الشرق (جهة جارتها إمارة البراكنة) بخط يبدأ من "بودور" على ضفة نهر السينغال مارا على الشرق من "اللگات" باتجاه "الواسطه" و"اتويرسات"، فاصلا بين "أگان" و"آوكار" حتى ينتهي عند "تمسميت" التي تعتبر نقطة تماس بالنسبة للإمارات الأربع (إمارة الترارزة وإمارة البراكنة وإمارة إيدوعيش وإمارة أولاد يحي بن عثمان). أما الحدود الشمالية للإمارة فتمر شمال آوكار وآمكرز، وتنتهي غربا في خليج آرگين، وتشكل اعراگيب الجحفة الواقعة على الشمال من أگجوجت الفاصل الطبيعي بين الترارزة وآدرار[555]، وتطل إمارة الترارزة من الغرب على المحيط الأطلسي. وحيث إنها تسيطر على أكثر من 500 كلم من الشواطئ الأطلسية فقد أطلق أيضا على الترارزة اسم عرب الژبار، وهي الكثبان الرملية الكبيرة التي تحجز بين الشاطئ وآفطوط الساحلي.

وتضم هذه الإمارة كغيرها من الإمارات الأخرى – مجموعات قبلية متباينة من العرب (بمعناها الوظيفي) إلى الزوايا إلى اللحمة[556].

وأشهر قبائل الإمارة: قبائل الترارزة، وهي: أولاد أحمد بن دامان البيت الأميري، وأبناء عمومتهم أولاد دامان، وأولاد البوعليه، وموسات، وهؤلاء يعرفون بالترارزة البيض، ولعلب ويعرفون بالترارزة الحمر، وعزونه ويعرفون بالترارزة الكحل، وتعتد في

---

[555] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني تاريخ موريتانيا فصول ومساهمات، مرجع سبق ذكره، ص116.

[556] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص 136.

الترارزة الكحل بعض قبائل صنهاجة القديمة كانيرزيگ وتغرچنت، كما تعتد فيها قبائل أولاد رزگ المضمحلة كأولاد بوعلي و أولاد اخليفه والكتيبات.

ومن قبائل الترارزة كذلك قبيلة أولاد بسباع وقبيلتا الرحاحله والبيدات المنتسبتان إلى ارميث بن حسان، وقسم من أولاد أمبارك وأولاد اللب والگرع ومجموعة أولاد الرگيگ الذين هم تحالف تنحدر بعض الأسر الصميمة فيهم من أولاد يحيى بن عثمان، وكانوا يشغلون وظائف تنظيمية في جهاز السلطة الأميري[557].

أما قبائل الزوايا، و هم أكثر قبائل الإمارة من الناحية العددية فأهمهم قبائل تشمشه، وتندغه، والمدلش، وأولاد أبييري، وإيدوالحاج، وإيداب الحسن، وإكمليلن، وتاشدبيت، وتاگنيت، وإيدوعلي الگبلة، وتجكانت الگبلة، وعائلات من كنته.. إلخ.

1- إمارة أحمد بن دامان:

وأول أمراء الترارزة ببلاد الگبلة أحمد بن دامان بن عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز أحد قواد المغافرة المشهورين الذين وصلوا إلى منطقة الگبلة في السنوات الأخيرة من القرن العاشر للهجرة (15م). تمتع بعلاقات حسنة مع الزوايا، ووجد سيدي إبراهيم بن سيدي أحمد العروسي سنة 1039هـ/ 1629م يريد غزو تشمشه أو تغريمهم فاستدرجه لمآزرته في حرب أولاد رزگ قائلا له: «سر بنا إلى الكتيبات نبدأ بالنعامة ونرجع إلى بيضها»، فلما انهزم أولاد رزگ في معركة "انتيتام" (1040هـ/1630م) صرفه عن الإغارة على تشمشه، ولما اعترض عليه سيدي إبراهيم قال له: «إنما وجدتك تريد أن ترمي فسددت لك الرمية[558]».

وقاد أحمد بن دامان الترارزة في معركة "انتيتام" (1040هـ/ 1630م) التي حشد لها المغافرة كل قواتهم، ومعهم أولاد بوعلي الرزگيين وسيدي إبراهيم العروسي ومحلته،

---

[557] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص121.

[558] محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص36.

وخلق من أصحاب المغافرة وغيرهم، ودامت هذه المعركة أربعين يوما، وانهزم فيها أولاد رزگ هزيمة نكراء خولت المغافرة وراثة سلطانهم بالمنطقة[559].

وأجرى الأوروبيون بعدما استتب الأمر للمغافرة اتصالات مع أحمد بن دامان، وفاوضوه على خفارة بضائعهم، وكانوا يبيعون القماش، والعسل، والخل، وأدوات الزينة، والأسلحة، ويشترون الذهب، والعبيد، وريش النعام. وأبرم الهولنديون معه معاهدة تجارية سنة 1633م/ 1043هـ[560].

وكان الأوروبيون في ذلك العهد قد أخذوا في التزاحم على البلاد التي كان البرتغاليون هم أول من وصل إليها ومارس فيها التجارة الأطلسية، قبل أن يسيطر الإسبان على هذه التجارة بعد توحيد العرشين البرتغالي والإسباني سنة 1580م/ 988هـ مدة بقية القرن العاشر الهجري (ق16م)، بسبب انشغال القوى الأوروبية المختلفة الأخرى بالتهافت على خيرات أمريكا المكتشفة سنة 1492م/ 897هـ.

وبحلول القرن السابع عشر ميلادي (11هـ) تقاسمت القوى الأوروبية القارة الأمريكية فزاد هذا الوضع من إقبال التجار الأوروبيين على شراء العبيد، قبل أن ينتبه الأوروبيون إلى وجود مادة العلك (الصمغ العربي) بكميات كبيرة في بلاد شنقيط، ويتنافسوا في شرائه[561]. وكان العلك في تلك الفترة يمثل مادة حيوية بالنسبة لمختلف الدول الأوروبية[562].

---

[559] راجع الفصول السابقة من هذا الكتاب.

[560] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص112. وأضاف أن اتفاقية أحمد بن دامان وقعت مع هولندي يدعى أليدريك، وأن هذا الشخص يمكن أن يكون هو القبطان (ربان السفينة) ليدكيك (ليدير كيرك) المذكور في كتاب "إيليغ" للسوسي.

[561] تروي الرواية الشفهية المتداولة أن مبتدأ تجارة العلك في بلاد شنقيط أن الأمين بن النجيب الحاجي سافر إلى المغرب، وبينما كان عند جبل طارق مع بعض الإنگليز تناولوا طعاما فأصيبوا بالتسمم باستثناء الأمين، وعند استفساره عن السبب الذي جعله يسلم من التسمم أخرج لهم علكات كان يصطحبها معه، وأخبرهم أنه استعمل بعضها، فعرف الإنگليز العلك -الذي تعرف عليه الأوروبيون في القرن الرابع عشر للميلاد، وأصبح مادة تجارية مهمة لدخولها في العديد من الصناعات- وعرضوا عليه رغبتهم في الحصول عليه فكتب لهم رسالة إلى أخيه أشفغ أوبك بن النجيب

وفي سنة 1626م/ 35-1036هـ أنشأت مؤسسة نورماندي الفرنسية مركزا تجاريا بگت اندر سمي سينت الويس من أجل استغلال المنتجات التجارية للسينغال والبيضان.

وفي سنة 1633م/ 42-1043هـ احتل الهولنديون آرگين بعدما أقصوا البرتغاليين والإسبان عنه، وبدأت شركة الهند الغربية النيرلاندية يوم 5 فبراير من نفس السنة في تحصين قلعته وإصلاحها من الداخل، وتطوير تجارة العلك بها. وأولت الشركة اهتماما كبيرا بالقائد الحساني أحمد بن دامان كأحد أبرز الزعماء الجدد في المنطقة، بعد أن كان اهتمام الأوروبيين فيها قبل ذلك منصبا على الزوايا.

وبعد ثلاث سنوات من التبادل الهولندي البيضاني توفي أحمد بن دامان سنة 1045هـ/ 1636م[563]، ودفن بـ"غرد" (كثيب) هناك أصبح يعرف بغرد أحمد بن دامان (7كلم جنوب تيفريت) إحدى روابي الأشواف المشهورة[564]، مخلفا خمسة أبناء هم: عبد الل (سمي عمه عبد الل المشهور بعبلل) واحمد واعلي وإبراهيم وهدي[565].

بأرض الگبلة من بلاد شنقيط، فوافوه، وبدأوا في شراء العلك من بيضان المنطقة تحت إشراف أشفغ أوبك انطلاقا من محطة تكشكمبه على نهر السينغال، فكان ذلك مبتدأ هذه التجارة التي استمرت قرونا مع الأوروبيين.

[562] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة ، مرجع سبق ذكره، ص390.

[563] مات في عهد أحمد بن دامان: أحمد أگذ المختار الألفغي (جد أولاد حبيني) توفى بعيد انتهاء معركة "انتيتام" (1040هـ 1630م)، وبابحمد بن يعقبنلل بن ديمان مترجم ومستشار أحمد بن دامان.

[564] روابي الأشواف: تسمى بالحسانية زيرات الأشواف وهي إحدى عشرة زيرة متراصة من الغرب إلى الشرق- مع انحراف يسير أحيانا- كان المسافر إذا طلع على إحداها عاين التي تليها، أولها: زيرة إيبنبي في تنسويلم (2 كلم شمال الرابع والعشرين إحدى ضواحي انواكشوط)، والثانية: غرد أحمد بن دامان (7 كلم جنوب تيفريت)، والثالثة زيرة تانفالت (18 كلم جنوب الكلم 35 على طريق الأمل)، وهي التي وصلت إليها مطاردات شربه يوم "ترتلاس"... راجع لبقيتها، أحمد سالم بن باگا، إمارة الترارزة.

[565] قال أحمد سالم بن باگا: فأما عبد الل فهو جد أهل الخليفة بن أعمر كمبه، وأهل الميساوي الذين في أولاد ساسي، وأهل أحمد بن سيدي المعروفين بأهل خوباه، وهي كنية احمد بن أحمد بن سيدي، وفي ذرية عبد الل هذا قلة، وتعرف هذه البيوت الثلاثة بأهل بوبكر بن عبدالل. وأما احمد بن أحمد بن دامان فتعرف ذريته بأهل احمد بن أحمد، وفيهم قلة أيضا، ومنهم أهل إبراهيم فال وأهل العبار. وأما اعلي بن أحمد بن دامان فمنه أهل المختار الكوري، ومن أهل المختار الكوري أهل إبراهيم، وأخوه ولد زايد ابنا هيبه وانقرضوا، وفي أهل المختار الكوري قلة أيضا. وأما إبراهيم بن أحمد بن

2- إمارة هدي بن أحمد بن دامان:

وبعد أحمد بن دامان تولى ابنه هدي، وأمه بنت سدوم بن الذيب الامباركية الإمارة. وكان هدي أميرا عظيما، قاد قومه الترارزة في حرب شربه، وفي حروب المغافرة التي وقعت في عهده كيوم "أگيرت" (شمال مگطع الحجار) سنة 1041هـ/ 1631م لأولاد الزناگية على أولاد العربية، ويوم "آفكام" (موضع بالبراكنة) أواخر 1083هـ/ 1673م لأولاد الزناگية كذلك على أولاد العربية.

ووطد هدي وقنن صلات الأوروبيين مع بيضان المنطقة، ونجح في إقناع الهولنديين ببناء ميناء قريب من مناطق نفوذه المباشر فبنوا له بالجريده (30 كلمترا شمال انواكشوط) الميناء الذي سموه باسمه، فكان يطلق عليه "بورتو د هادي" التي تحرفت إلى "بورتانديك"، وقد سماه البيضان في فترة من الفترات بمرسى جور، ثم بمرسى انچيل بعد ذلك.

وشعر الفرنسيون بعدما أسسوا محطات للتبادل مع البيضان عند مصب نهر السينغال، بأن الهولنديين الذين يتبادلون مع بيضان السواحل الأطلسية بمينائي هدي وآرگين يضايقونهم في مادة العلك (الصمغ)، حيث أخذوا في رفع سعر العلك لاستقطاب باعة البيضان، لكن المنافسة ءالت بالفرنسيين الذين لم يتحملوا المستوى الذي وصلت إليه الأسعار إلى القيام بغزو قلعة ءارگين سنة 1677م/1088هـ، غير أنهم أخفقوا في ذلك.

وفي يوم 28 أغسطس 1678م (10 رجب 1089هـ) أعاد الفرنسيون غزو آرگين وتمكنوا من احتلال قلعته. وفي اليوم الموالي أبرم الفرنسي ديكاس اتفاقية سلام مع والي القلعة الهولندي درلنكور مكنت الأخير من العودة بأمان إلى هولندا، كما تمكن من كان في جواره من البيضان من الانسحاب بسلام من القلعة. غير أن ديكاس لم يحترم كل ما جاء في الاتفاقية فقام بنهب ما في القلعة، واستولى على مدافعها ثم أمر

دامان فهو جد أهل التونسي، وفيهم السيادة والحلم. وأما هدي بن أحمد بن دامان ففي عقبه الرئاسة والعدد. ص 37 - 38.

بهدمها[566]. وقام ديكاس بأسر من وجد من البيضان في القلعة أو حولها، وكانوا نحوا من مائتين، ثم أرسلهم بعدما صفدهم في الأغلال كعبيد إلى أمريكا. وتم نقل هؤلاء البيضان على متن سفينة تابعة لشركة السينغال باتجاه سينت دومينگ. وفي الطريق تمكن عدد من البيضان من كسر قيودهم، ومن جمع عدد من الفؤوس والقضبان، ثم انقضوا بها قبيل الفجر على طاقم السفينة الذي كان نصفه نائما، وكان مكونا من عشرة أشخاص. وتمكن البيضان المهاجمون من قتل أربعة أو خمسة من الطاقم لكن بقية الطاقم استطاعوا أن يلحقوا بقائد السفينة ابيير گييو في قمرته، (غرفة قيادة السفينة) ويتحصنوا بها قبل أن يشرعوا في إطلاق وابل من النيران مات بسببه كثير من رجال ونساء البيضان، ولما أيقن باقي البيضان بفشل انتفاضتهم ألقى نحو أربعين منهم بأنفسهم في الماء ليموتوا غرقا[567]. وقد أثار تصرف ديكاس هذا عداوة الترارزة وبيضان سواحل الأطلسي وزاد من تعلقهم بالهولنديين المسالمين الذين حولوا التجارة من ميناء آرگين إلى ميناء هدي. وتوفى الأمير هدي بن أحمد بن دامان سنة 1095هـ/ 1684م[568] عن خمسة أبناء هم: السيد، وأحمد ديه، والشرقي، وأعمر آگجيل، واعلي شنظوره لأمهم الدبيه بنت نغماش البركنية.

3- إمارة السيد بن هدي بن أحمد بن دامان:

وتولى السيد بعد أبيه هدي بن أحمد بن دامان[569]، في ظرف ما زال التوتر فيه يخيم على علاقة الفرنسيين التجارية مع الإمارة بسبب تصرف ديكاس، في حين ركز الفرنسيون

---

[566] راجع محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره،ص 392.

[567] المرجع نفسه، ص392 - 393.

[568] مات في عهد الأمير هدي: لمرابط أحمد بزيد اليعقوبي توفى 1051هـ 1641م، والأمير البركني بكار (الغول) بن اعلي بن عبد الل، وأوديكه بن أبي أيوب الخليفي ماتا سنة 1092هـ 1681م.

[569] لم يذكر أحمد سالم بن باگا في تاريخه ولا محمد فال بن بابا في التكملة إمارة السيد هذا، وذكره المختار بن حامدن، كما ذكرته الوثائق الأوروبية، منها اتفاقية تجارية وقعها مع الهولنديين عام 1685، وقد كتب في أسفلها اسمه بالحروف العربية هكذا "السيد بن هدي أمير المسلمين".

على التبادل مع الزوايا فقاموا بتوقيع اتفاقية تجارية مع إيدوالحاج الذين يملكون محطة تكشكمبه سنة 1686م (1097هـ)، وقعها الشمس المختار بن الأمين الحاجي[570]، فقام الأمير السيد بمنح البروسيين (إحدى دول الاتحاد الألماني الحالي) الذين تخلى لهم الهولنديون عن حقوقهم في آرگين حق التبادل بهذا الميناء بموجب اتفاقية وقعها السيد مع البروسي كورنليس ريز يوم 20 دجمبر 1687م (15 صفر 1099هـ)[571]، وتوفي الأمير السيد بن هدي بن أحمد بن دامان لثلاث سنوات من إمارته سنة 1100هـ/1689م.

4- إمارة أعمر آگجيل بن هدي بن أحمد بن دامان:

وبعد وفاة الأمير السيد تولى أخوه الأمير أعمر آكجيل بن هدي بن أحمد بن دامان. وكان مشهورا بالعدل وحسن السياسة. وقعت في عهده وقعة "تجال"[572] سنة 1100هـ/ 1689م لأولاد يحي بن عثمان ومعهم أولاد الزناگية على إيديشلي.

ووقع الأمير أعمر آگجيل معاهدة جديدة مع البروسيين (الألمان) سنة 1689م/ 1101هـ حضرها صمبه بن دله بن آگمتار ومحمد (التونسي) بن إبراهيم بن أحمد بن دامان[573].

---

[570] ورد في مذكرة "إيدوالحاج الترارزة" (مرجع سبق ذكره) أن الذي وقع هذه الاتفاقية هو باب الشمس بن المختار المتوفى 1769م، وهذا غير ممكن بالنظر إلى عمره. والمختار بن الأمين هو خليفة عمه أشفغ أوبك بن النجيب الذي هو أول من نظم بيع العلك للإنگليز بمحطة تكشكمبه، بل أول من نظم هذه التجارة مع الأوربيين في البلاد على الإطلاق حسب ما ترويه التقاليد الشفهية، والمختار هو أول من تلقب بالشمس (أو الشمش كما تكتب في بعض الوثائق) حسب بعض الروايات، وهو لقب يقوم مقام الرئيس أو الزعيم أصبح علما على رؤساء إيدوالحاج دون أن يعرف بالضبط هل هو مشتق من البروز للشمس، أو من اسم شمس الدين أحد أجداد هذه الأسرة، أو من عبارة صنهاجية مندثرة، وهو الأرجح عندي لوجود شمش في تقاليد بعض المجتمعات البربرية القديمة بمعنى الرئيس، وربما كانت تعني تحديدا رئيس تشمشه أي القبيلة المكونة من خمسة فروع كما هو حال إيدوالحاج.

[571] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص124.

[572] يكتبها البعض بفتح اللام، وقد حرر المؤرخ أحمد سالم بن باگا ضبطها بسكون اللام في تاريخه استنادا إلى عدد من العارفين بالمنطقة.

ووقعت في عهد أعمر آگجيل كذلك وقعة "أم اعبانه" في رمضان أو شوال سنة 1107هـ (إبريل أو مايو 1696م) بجبل يقع شرقي إيجل، وهي وقعة عظيمة دارت بين أولاد دليم والمغافرة، وكان النصر فيها حليف أولاد دليم الذين قتلوا أعدادا كبيرة من المغافرة، ووقعة "شار" في السنة التي تليها 1108هـ/ 1697م، وهي وقعة انتقامية انهزم فيها أولاد دليم، ولم يمت فيها من المغافرة إلا رجل واحد، فسماه المغافرة "لعاگ شار"[574].

ووقع الأمير اعمر آگجيل اتفاقية جديدة مع البروسيين يوم 24 يوليو 1698م (16 محرم 1110هـ) حلت محل اتفاقيتهم الأولى معه.

وفي مطلع 1703م (رمضان 1114هـ) وجه أعمر آگجيل الذي ضاق ذرعا بتعامل ممثل بروسيا في آرگين مع سفن القراصنة على حساب الإمارة بعثة إلى أمستردام بقيادة أحد أقاربه يدعى أحمد منصور إبراهيم، لمعرفة ما إذا كان البروسيون مازالوا راغبين في مواصلة الاتجار مع الترارزة. وقام أعمر آگجيل باحتلال قلعة آرگين في انتظار رد ملك بروسيا على تهديده بإلغاء اتفاقية التبادل مع البروسيين إذا لم ينشطوا على السواحل والاتفاق مع غيرهم من التجار الأوربيين الراغبين في التعامل معهم[575].

وقتل أعمر آگجيل في نفس الشهر (رمضان 1114هـ/ يناير 1703م) قتله أولاد دليم بمعطن آگليل (شمال انواكشوط) فكانت إمارته ستة عشر عاما[576].

---

[573] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص113.

[574] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص39.

[575] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص483.

[576] ومات في أول عهده محمد بن أبي بكر بن الهاشم الي توفى أواخر 1098هـ 1687م صاحب الفتوى الشهيرة في أمر شربه، ومات شيخه الطالب محمد بن المختار بن الأعمش سنة 1107هـ 1696م. ومات قاضي شنقيط الذي هاجر إلى أرض الگبلة عبد الله بن محم بن حبيب سنة 1103هـ 1692م. ومات أشفغ الأمين بن سيدي الفالي خليفة ناصر الدين -الذي خلعه الزوايا- سنة 1101هـ 98-1690م. وفي بعض المصادر أنه توفى 1077هـ. وهو غلط لأنه خلف ناصر الدين المتوفى في جمادى 1084هـ.

5- إمارة اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان:

وتولى بعد أعمر آگجيل اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان، وكان أميرا عظيما تأمر في فترة حرجة بالنسبة للترارزة الذين عانوا من غطرسة البراكنة تجاههم وتجاه أتباعهم لاسيما بعد يوم "تجالْ"، كما عانى الترارزة من مزاحمة أولاد دليم (قاتلي سلفه أعمر آگجيل) لهم في ءارگين والمناطق المحيطة به، ومن تصاعد قوة أولاد رزگ الذين أخذوا يستعيدون قدرا من نفوذهم في المنطقة، فعمل على ترتيب أوضاع إمارته ودخل في حروب متعددة مع أعدائه.

وكان الأمير اعلي شنظوره قائدا محنكا يتمتع بمهارة سياسية كبيرة، ويتوفر على خبرة قتالية عالية. وقد ساعدته المداخيل التي وفرتها له خفارة السفن الأوروبية على توطيد سلطانه، واستفاد من التنافس التجاري الذي احتدم مجددا في عهده بين الأوروبيين بعدما استعاد الهولنديون نشاطاتهم التجارية بقلعة آرگين في 31 يوليو 1711م (15 جمادى الثانية 1123هـ) بإذن من ملك بروسيا فريدريك گييوم الأول قبل أن يتخلى لهم عن جميع مراكز بروسيا التجارية في عموم غرب إفريقيا، بموجب الاتفاقية الموقعة بين الهولنديين والبروسيين في 18 دجمبر 1717م (15 محرم 1130هـ). كما وقع اعلي شنظوره مع الفرنسي آندري ابري يوم 29 يوليو 1717م (20 شعبان 1129هـ) اتفاقية تمنح فرنسا حق التبادل الاستئثاري على الساحل الممتد من تانيت شمالا (50 كلم شمال انواكشوط) إلى مصب نهر السينغال جنوبا مقابل عدم بيع أي نوع من الأسلحة ولوازم القتال لأعدائه البراكنة وأولاد دليم وأولاد يحي بن عثمان، فضلا عن منح الأمير اعلي شنظوره ضريبة عرفية معتبرة[577].

[577] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارازة، مرجع سبق ذكره، ص344 و393. ويقال إن شمش إيدوالحاج هو الذي قام بدور الترجمة بينهما.

وتسمى الضريبة العرفية التي يتلقاها الأمير وبعض أقاربه وأعوانه مقابل خفارته للسفن التجارية بالحسانية "ءامكبل"[578].

وقد بذل مدير شركة السينغال الفرنسية آندري ابري جهده للقضاء على الوجود الأوروبي المنافس لفرنسا في آرگين وبورتانديك، كما بذل جهده لإقناع قائد قلعة ءارگين الهولندي جان بوت بمغادرة آرگين بصورة سلمية، وزين لاعلي شنظوره الاستيلاء على آرگين وطرد الهولنديين منه، غير أنه أدرك في نهاية المطاف أن اعلي

---

[578] ولم تكن هذه الضريبة العرفية هي الضريبة الوحيدة التي استفاد منها أمراء وقادة بني حسان وذووهم في المنطقة، فقد كانت هناك ضريبة "الغفر" أو "المزراگة" (الرمح) كان القادة يأخذونها على القبائل، فكان القائد الحساني إذا سبق غيره من القواد إلى قبيلة فأعطته "الغفر" ترك عندها رمحه أو بعض حليته دليلا على أن هذه القبيلة أمست في خفارته فإذا رأى ذلك الغفر غيره من قواد بني حسان تركوا تلك القبيلة وتجاوزوها إلى غيرها.

وهناك ضريبة "حرمة الزربية" وهي تشبه في دلالتها الغفر حيث تتولى القبيلة جمع هذه الضريبة على أعضائها ثم تدفعها للأمير أو القائد التي هي في حماه مقابل إجارته لها.

ومن الحرمة "حرمة التجارة" وهي ضريبة تدفعها القبيلة أو القافلة للأمير أو القائد الذي تعبر أو تنتجع بأرضه مقابل تأمينها خلال مدة عبورها أو انتجاعها بمنطقة نفوذه.

ومنها" حرمة اجدر " (الجذع) وهي غرامة يدفعها الأصحاب وهم أزناگة بمعناها الوظيفي لا السلالي للقائد الذي هزمهم أو استسلموا له أو ورثهم أو فداهم أو اشتراهم من قائد آخر، وغالبا ما تتمثل هذه الغرامة في لبن ناقة على كل خيمة (أسرة من أهل الإبل، ولبن بقرة على كل خيمة من أهل البقر، وشاة تذبح و"افليج" من الصوف على كل خيمة من أهل الغنم سنويا، وإن كان للأسرة أبناء متعددون فإنهم لا يدفعون أكثر من هذا الرسم إلا إذا تزوجوا واستقلوا بأنفسهم فيصبح عليهم حينئذ ما كان على ذويهم بصورة تلقائية، ومتى مات أحد أصحاب بني حسان آل إليهم ماله إذا لم يكن له وارث من أهله، وإذا أملق السيد الحساني وكان صاحبه من أزناگه مليا فبإمكانه أن يفتدي منه بماله، وربما فداه أحد المشائخ الدينيين أو الزعماء القبليين. ومن لم يكن له مال من هؤلاء الأتباع وكان له عمل ككراء الدواب أو غير ذلك فعليه وظيفة معلومة يؤديها إلى أسياده سنويا.

وعلى ذوي الحراثة يوم حصادهم وظيفة يدفعها المزارعون لمن هم تحت حمايته تسمى "ماته" ومتوسطها (25كلغ) للحرث، ويسمى هذا النوع من الضرائب آباخ. وهناك ضريبة "تغْنَه" في انوامغار و"التيجكريت" في سواحل الشاطئ الأخرى، وهي في الأصل من اختصاص الأمير وتتمثل في سمكة عن كل فرد كل يوم إلى غير ذلك من الضرائب على الصيادين، وقد ألغى الاستعمار كل هذه الضرائب العرفية بالتفاهم مع الأمراء، فألغى الضرائب العرفية على الصيادين على أربع مراحل أولاها سنة 1917م (1335هـ) وآخرها سنة 1947م (1366هـ) أما ضريبة آباخ فقد ألغاها المستعمر في البراكنة سنة 1905م (1323هـ) بينما استمر العمل بها في الترارزة إلى سنة 1939م (1358هـ) حيث افتدتها السلطات الفرنسية كما افتدت سائر الأغفار والمغارم بأموال معلومة وأبطلتها. المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، ومحمد المختار بن السعد، الإمارات والمجال الأميري، ص 54 - 59.

شنظوره غير جاد في تنفيذ وعوده بطـرد الهولنـديين مـن آرگـين «لكـون ذلـك الـزعيم البيضاني لا يريد أن يفوت على نفسه فرصة التبادل مع الأجانب مـا دام يحصـل علـى مبالغ طائلة من وراء ذلك»[579].

وقامت شركة السينغال الفرنسية بإشعار مجلس البحرية الفرنسي بما جرى، كما زودتـه بنسخة من اتفاقية آندري ابري مع اعلي شنظوره لحمل المجلـس علـى التـدخل بـالقوة لحسم الصراع لصالح الفرنسيين، وإنهاء وجود مـن سـواهم مـن الأوروبـيين بسـواحل البيضان، وطالب ابري وزير البحرية وإدارة الشركة باتخاذ إجراءات ملموسـة لحراسـة مدخل بورتانديك بإرسال سفينة مسلحة بأربعين مـدفعا ثقـيلا وعلـى متنـها ثلاثمائـة جندي للمرابطة على سواحل البيضان طيلة موسـم التبـادل الممتـد علـى مـدى خمسـة أشهر من السنة.

ومع أن المجلس البحري الفرنسي تبنى في نفمبر 1717م (ذي الحجة 1129هـ) دعـوة شركة السينغال للتدخل بالقوة العسكرية لحماية تجارة العلك، وأبرم اتفاقية بين الملك والشركة تقضي بحماية الدولة الفرنسية لبورتانديك مقابل قرض من الشركة للملـك يمكن من تسليح سفينتين ملكيتين ترابطان في بورتانديك طيلـة موسـم تجـارة العلـك، فإن جملة من المصاعب حالـت دون تنفيـذ هـذه الاتفاقيـة. وتكـررت المحاولـة سـنوات 1718م و1719م و1720م (30-1132هـ) دون نجاح كبير.

ولما غادر الأمير اعلي شنظوره أثناء هـذه الفتـرة بـلاد التـرارزة باتجـاه المغـرب صـحبة صديقه سيدي عبد الله بـن محمـد بـن القاضـي المشـهور بـابن رازگـه في ربيـع الأول 1132هـ (يناير 1720م) وخلف أخاه الشرقي بـن هـدي بـن أحمـد بـن دامـان زاد ابري من عزمه على القيام باحتلال ءارگين بالقوة معللا موقفه بتخوفه مـن أن يسـتولي سلطان المغرب على قلعة ءارگين ويتخذ منها مركزا لاستراحة بحريته، وتذرع ابري بأن المولى إسماعيل توجه بطلب بهذا الخصوص إلى الأمير اعلي شنظوره.

---

[579] محمد المختار بن السعد، إمارة التراررة، مرجع سبق ذكره، ص 394.

وكان الأمير اعلي شنظوره قد التقى المولى إسماعيل بمكناسة، وطلب منه تزويده بمحلة (جيش) تساعده على مواجهة الأخطار المحدقة به. وانتدب المولى إسماعيل عرب بني حسان الموجودين بجنوب المغرب لنجدة الأمير اعلي شنظوره فسارت معه مجموعات من قبائل الرحاحلة والبيدات والعيايطة والزبيرات.

وعاد اعلي شنظوره إلى بلاده أواخر عام 1133هـ (20-1721م)، ثم أخذ في ترتيب أحوال إمارته وينظم صفوف جنده، ويطهر بلاده من مختلف المجموعات الحربية التي كانت تتجول في أرجائها بحثا عن المغارم، فتمكن من إجلاء محلات الرماة المغاربة والعروسيين (الأوائل) عن إگيدي دون قتال بعدما أقنعهم القاضي المختار بن أشفغ موسى اليعقوبي الشمشوي (ابن خالة ناصر الدين) الذي اتخذه اعلي شنظوره قاضي إمارته[580] بذلك. ثم شرع في محاربة البراكنة يوم 29 جمادى الأولى 1133هـ/ 28 مارس 1721م، وتمكن بعد سلسلة من المعارك من إجلائهم إلى تزاگرت بآنفطوط، وقاد عدة حملات ضد أولاد دليم. ولما أظهرت بعض المجموعات العربية في محلته نوعا من السطوة والتفرد حاربهم فأوقع بالرحاحلة عند"امليزمات الرحاحلة"، ودفع بالعيايطة والزبيرات إلى الهجرة فانضموا إلى تحالف إيدوعيش[581].

ونظم الأمير اعلي شنظوره مجال إمارته التي هاجر عنها معظم أغرمان وبافور وحراطين زناته باتجاه السينغال، وأعاد تقسيمها بين قبائل المنطقة، فقسم إگيدي بين تشمشه وفق اقتراح من المختار بن أشفغ موسى الذي اختار لليعقوبيين جوار المحصر (محل إقامة الأمير).

وقسم اعلي شنظوره بلاده إلى ثلاث مناطق: منطقة الوسط والشرق المصاقبة للبراكنة، وأسند حمايتها إلى الترارزة البيض (أولاد دامان وأولاد البوعليه وموسات)، ومنطقة الجنوب المتاخمة للسودان وأسند حمايتها إلى عزونة وأولاد بنيوگ التي أصبحت تعرف

---

[580] اليعقوبي، مصدر سبق ذكره، ص4.

[581] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة مرجع سبق ذكره، ص 394.

بالترارزة الكحل، ومنطقة الشمال المتصلة بأرض أولاد دليم وأسند حمايتها إلى الترارزة الحمر (العلب).

وفي جنوب نهر السينغال كانت لاعلي شنظوره حملات في الوالو الذي اتهم الفرنسيون ملكه بالتواطئ مع اعلي شنظوره، في ربيع 1717م (1129هـ) على نهب سفينة فرنسية، وبالتخطيط للاستيلاء على قلعة اندر (سينت الويس) في دجمبر 1722م (ربيع الأول 1135هـ). وذكر الفرنسيون أن اعلي شنظوره تزوج مع أخت الملك يريم امبانييك، وأن هذا الأخير قدم له هدايا لحمله على الالتزام بالاستيلاء على قلعة اندر[582].

وكان ملك فوته بوبكر سيره قد أرسل ابنه المختار گاكو –بإيعاز من آندري بري- إلى المولى إسماعيل (سنة 1720م/ 1132هـ) لحثه على عدم دعم اعلي شنظوره بدعوى أن أمير الترارزة يريد من خلال هذا الدعم أن يقضي على ما تبقى من جيش الرماة المغاربة الذي تم إنفاذه إلى تنبكتو إبان الحملة السعدية. وكان آندري بري وملك فوته يخشيان من تنامي قوة الترارزة. وتشير المصادر الفرنسية إلى أن اعلي شنظوره عبر بمحلته في مايو 1721م (رجب 1133هـ) إلى فوته وأطاح ببكر سيره ونصب مكانه بوبو موسى ملكا على فوته، ردا على ما فعل، رغم أن بوبكر سيره كان قد وصل إلى الحكم سنة 1718م بفضل دعم اعلي شنظوره وأولاد اعلي البركنيين له[583].

وبينما كان اعلي شنظوره منشغلا بترتيب أحوال إمارته كان آندري ابري يخطط للاستيلاء على آرگين وبورتانديك لمنع الهولنديين من التبادل مع البيضان، واقتنع بعدما فشلت محاولاته التي استمرت من 1717م إلى 1720م (29-1133هـ) بضرورة تجهيز حملة عسكرية قوية قادرة على صد السفن الهولندية المنافسة لشركته التي أتيح لها أن تنظم أولى حملاتها العسكرية الناجحة على آرگين بقيادة ابييري دوسالفير يوم 26 فبراير 1721م (29 ربيع الثاني 1133هـ)، وصدرت خلال هذه الحملة

---

[582] پول مارتي، إمارة الترارزة، نشر أرنست لورو 1919م، ص92-98.

[583] المرجع نفسه والصفحات نفسها.

الأوامر إلى دوسالفير باحتلال الموقع، واسترقاق كل من يقع في الأسر من البيضان المقيمين في آرگين.

ثم نظم الفرنسيون أربع حملات هجومية أخرى بين 1721م و1725م (1133هـ/1138هـ) أهمها حملة لاريگوديير التي ضمت 5 سفن حربية قادمة من فرنسا وثلاث سفن تابعة للشركة السينغالية، وحملة دوسالفير الثانية سنة 1724م (36 - 1137هـ) التي نجحت في الاستيلاء على آرگين وطرد الهولنديين منه.

وتبادل الفرنسيون والهولنديون خلال هذه الفترة 16 مذكرة حاول كل طرف أن يسوغ من خلالها وجوده في سواحل بلاد البيضان[584].

ومع مطلع 1726م (1138م) جنحت فرنسا وهولندا إلى التفاوض بشأن الميناءين (ميناء هدي وميناء آرگين)، وآل بهما الأمر يوم 13 يناير 1727م (20 جمادى الأولى 1139هـ) إلى توقيع اتفاقية لاهاي القاضية بتخلي هولندا عن دعاويها في المنطقة مقابل تعويض مالي قدره 130 ألف افلورينه هولندي.

وبعد توقيع هذا الاتفاق بنحو أربعة أشهر توفي اعلي شنظوره يوم عيد الفطر 1139هـ/22 مايو 1727م) بونون (3 كلم شرقي بابابي) بينما كان منهمكا في حروبه مع البراكنة[585].

6- إمارة أعمر بن اعلي شنظوره:

وخلف اعلي شنظوره ابنه الأمير أعمر، وأمه عيشة بنت التونسي بن عتام الدامانية. وقد كان سائسا عادلا مكرما للزوايا، وكان يميل إلى الإنگليز الذين حلوا محل

---

[584] محمد المختار بن السعد، إمارة التراررة، مرجع سبق ذكره، ص 397.

[585] قال محمد فال بن بابا في التكملة: وتولى بعد اعلي شنظوره أخوه الشرقي (محمد فال بن بابا العلوي، التكملة في تاريخ إمارتي التراررة والبراكنة، تحقيق أحمدو (جمال) نشر بيت الحكمة، تونس 1986). وهكذا قال المؤرخ هارون بن الشيخ سيديا، والعلامة محمد بن أبي مدين في حاشيته على كتاب التكملة لمحمد فال بن بابا. أما المختار بن حامدن والفرنسيون فيتفقون على أن اعلي شنظوره خلفه ابنه أعمر. وبلغ الأمير أعمر عند الزوايا مبلغا عظيما لعدالته حتى أطلق عليه المؤرخ والد لقب أمير المؤمنين.

الهولنديين في الصراع مع الفرنسيين على تجارة العلك، وكانوا أكثر سخاء في تعاملهم مع البيضان من الفرنسيين. واتخذت السفن الإنكليزية من مرسى بورتانديك مركزا لمبادلاتها التجارية.

ومع حلول 1730م (1142هـ) كانت السفن الإنكليزية قد تكاثرت على شواطئ البيضان. وقد حاولت سفن شركة الهند الفرنسية مرارا محاصرتها والقبض عليها لكنها عجزت عن ذلك لأن السفن الإنكليزية كانت أسرع وأقل حمولة.

وحاول الفرنسيون الذين كانوا في حرب مع ملك الوالو حمل أعمر بن اعلي شنظوره على الإغارة على الوالو ونهبها في 9 نفمبر 1730م (28 ربيع الثاني 1143هـ) لكن أعمر لم يستجب لهم، وتحالف مع ملك فوته للإطاحة بملك كايور وتنصيب ملك آخر محله، وطلب من ملك الوالو أن يأذن لهما في المرور عبر أراضيه[586].

وفي سنة 1731م (43-1144هـ) دعمت شركة الهند الفرنسية وحداتها القتالية بسفينتين جديدتين رابطت إحداهما قبالة ميناء بورتانديك بغية منع الإنكليز من الوصول إليه، بينما أرسلت بريطانيا فرقاطة (سفينة حربية) لدعم قوة تجارها. وتواطأ البيضان مع الإنكليز فأخبروهم بمغادرة السفينة الحربية الفرنسية إلى اندر لإحضار الماء فاحتل الإنكليز بورتانديك، وشرعوا في التبادل مع الترارزة تحت إشراف الأمير أعمر بن اعلي شنظوره[587]. واحتدم التنافس بين الطرفين إلى درجة أن الفرنسيين الذين ضاقوا ذرعا بميلان البيضان إلى الإنكليز شددوا في سنة 1735م (47-1148هـ) حراسة منافذ بورتانديك للحيلولة دون رسو السفن الإنكليزية فيه، لكن السفن الإنكليزية واجهت الإجراء الفرنسي بمهاجمة السفن الفرنسية التي حاولت منعها من الرسو يوم 6 مايو 1735م (13 ذي الحجة 1147هـ) وأجبرتها على الانسحاب.

---

[586] محمد المختار بن السعد، تاريخ إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص382.

[587] المرجع نفسه، ص 399.

وطالبت شركة الهند الفرنسية سلطاتها بالتدخل لدى السلطات الإنكليزية، لكن الإنكليز ردوا بتعزيز قواتهم العسكرية في بورتانديك، فهدد الفرنسيون بالرد على القوة بالقوة.

وردا على هذه التصرفات قام ملك فرنسا بتفويض الأمر إلى وزير بحريته لدراسة الموضوع مع شركة الهند الفرنسية واتخاذ ما يراه مناسبا.

وفي 13 فبراير 1737م (13 شوال 1149هـ) أرسلت فرنسا سفينة حربية جديدة تقل 450 شخصا، من بينهم 12 ضابطا و60 وحدة مدفعية، فانضمت إلى سفينتين تابعتين لشركة الهند الفرنسية، لكنها لم تصل إلى مرسى جيوه المعروف ببورتانديك الصغير (42 كلم جنوب انواكشوط) إلا في 7 مارس (5 ذي القعدة)، ووجدت أن السفن الإنكليزية قد اشترت إنتاج دجمبر من العلك وغادرت.

وفي مايو 1737م (محرم 1150هـ) كان الإنكليز موجودين بقوة في بورتانديك، حيث كانت أربع من سفنهم التجارية تقوم بالتبادل مع بيضان الترارزة تحت حراسة ثلاث سفن حربية إنكليزية[588] على متنها 177 مدفعا ثقيلا و820 رجلا.

وفي سنة 1738م (50-1151هـ) أوعز الفرنسيون إلى مدير شركة الهند الفرنسية بالسينغال ابيير دافيد بأن يحرس منافذ بورتانديك، ويقوم بعملية استعراض للقوة البحرية الفرنسية على ساحل المركز لعل ذلك يجعل «أعمر [بن اعلي شنظوره] واترارزته يعيدون النظر في مواقفهم[589]». بينما بعثت إنكلترا مع سفينة إنكليزية رست يوم 17 فبراير 1738م (27 شوال1150هـ) برسالة إلى البيضان تخبرهم فيها بأن ملك فرنسا سيرسل هذا العام سفينتين حربيتين لمنع تبادل البيضان مع الإنكليز في بورتانديك، وأن ملك إنكلترا سيرسل بالمقابل 5 سفن حربية و6 سفن تجارية.

---

[588] بادلت اثنتان من هذه السفن 40 طنا من العلك خلال 5 أيام. انظر محمد المختار بن السعد، ص399، هامش 141.

[589] المرجع نفسه، ص401.

وتقابلت الحملتان الفرنسية والإنكليزية وجها لوجه أمام بورتانديك، واحتج الفرنسيون على الإنكليز قائلين إن اتفاقياتهم مع أمراء البيضان السابقة تخولهم حق الاستئثار بالميناء، ورد الإنكليز بأنهم مصممون على التبادل مع الترارزة قائلين إنه ليس للفرنسيين من الحقوق في بورتانديك أكثر مما للإنكليز.

وقرر الفرنسيون يوم 12 إبريل 1738م (22 ذي الحجة1150هـ) عدم مبادرة الإنكليز المتفوقين عليهم عسكريا بالهجوم مكتفين بمهاجمة البيضان إذا جاءوا بعلكهم إلى الشاطئ لمنعهم من التبادل مع الإنكليز. وفي اليوم الموالي هاجمت السفن الحربية الفرنسية البيضان المتمركزين على الشاطئ فقتلت عددا من جمالهم وقوضت مخيماتهم.

وأعرب الإنكليز عن استيائهم من هذا التصرف العدواني، وهدد قائدهم بالرد على عدوان الفرنسيين وحماية البيضان. ورست سفن الإنكليز على بعد 6 كيلومترات من المرسى، وقاموا بالتبادل على مدى أربعين يوما مع الترارزة على طول الشاطئ جنوبا حتى مدخل بورتانديك الصغير (جيوه).

وبعد انتهاء التبادل مع الإنكليز بيوم واحد انتقم البيضان من هجوم 13 إبريل (23 ذي الحجة) الفرنسي عليهم، حيث تسللت منهم مجموعة ليلة 23 من مايو 1738م (3 صفر 1151هـ) سباحة إلى قارب إحدى السفن الفرنسية فذبحت البحارين الذين كانوا على متنه وذهبت بالقارب.

وكتب المجلس الفرنسي الأعلى للسينغال يوم 30 يونيو (12 ربيع الأول) رسالة إلى شركة الهند الفرنسية يعرب فيها عن مناهضته لسياسة سوء معاملة الشركة للبيضان، خاصة هجوم 13 إبريل (23 ذي الحجة) على بيضان الشاطئ قائلا إن رد فعل البيضان يوم 23 مايو (3 صفر) لن يكون إجراءهم الانتقامي الأخير.

وعمل الفرنسيون بعد هذه الأزمة على حل المشكلة مع الإنكليز بالوسائل الديبلوماسية، فرفعوا عريضة تظلم إلى السلطات الإنكليزية يوم 25 يوليو 1738م (8 ربيع الثاني 1151هـ) محتجين باتفاقية لاهاي1727م (1140هـ) بينهم وبين هولندا التي خولتهم ملكية مينائي آرگين وبورتانديك.

وفي يوم 25 مايو 1740م (29 صفر 1153هـ) وقع مدير شركة الهند الفرنسية ابيير دافيد ومدير المؤسسات الإنكليزية في غامبيا ش. أورفير اتفاقية تضع حدا للتنافس بين الطرفين، وتقضي بتوفير 360 ألف رطل من العلك سنويا للشركة الإنكليزية في غامبيا مقابل 300 عبد توفرها هذه الأخيرة للشركة الفرنسية في السينغال.

وشرعت فرنسا في بناء قلعة بودور على ضفة نهر السينغال لتدعيم نفوذها في المنطقة، ولفتح محطة مباشرة للتبادل بينها وبين البراكنة في وقت تزايدت فيه المخاوف الفرنسية من تصاعد النفوذ التروزي في الوالو، حيث تحدثت وثيقة فرنسية صادرة في 1742/8/1م (1155/5/29هـ) قائلة: «إن هذه الأمة [الترارزة] أصبحت قوية بالفعل ونخشى أن تسود بلاد ابراك [والو] كما سادت بلاد فوته التي خربتها تماما لأن ذلك من شأنه لا محالة أن يلحق ضررا كبيرا بتجارتنا[590]».

وكان نفوذ الترارزة في الوالو يتزايد باستمرار. ولما اندلع صراع بين ملك الوالو انجاك أرام بوكار وأحد أتباعه استنجد هذا الأخير بالترارزة في أغسطس 1742م (جمادى الثانية 1155هـ) فأنجدوه.

ولأن علاقات البراكنة بالترارزة كانت سيئة تطبعها المناوشات المتكررة فقد عارض الأمير أعمر إقامة محطة بودور المقامة من قبل الفرنسيين لأن من شأنها أن تمنح لأعدائه البراكنة -الذين شهدت سنة 1743م (1156هـ) أوج حروبه معهم- من الإمكانات والحظوة ما يجعلهم يتفوقون عليه.

وقد أرسل الأمير أعمر مبعوثا بهذا الشأن إلى مدير شركة الهند الفرنسية بانـدر لحمله على التخلي عن بناء هذه المحطة.

---

[590] المرجع نفسه، ص379.

ولما لم يستجب مدير الشركة ابيير دافيد لطلبه قام أنصار الأمير أعمر القريبون من النهر بالتحرش بالفرنسيين وممتلكاتهم كما قاموا بمهاجمتهم يوم 22 مارس 1745م (18 صفر 1158هـ) عند آوليگ.

ورغم هذا الهجوم، وما قام به المختار بن آغريشي البركني وابراك والو وخفراء مرسى تكشكمبه من تحريض للفرنسيين للانتقام من الترارزة، فقد حاول ابيير دافيد طمأنة الأمير أعمر بن اعلي شنظوره وكسب وده واصفا إياه بزعيم كل المسلمين وملك الترارزة[591]. وكانت الترارزة في عهد الأمير أعمر أقوى من البراكنة، بل تمكن أعمر من أن يهزم بـ500 رجل من الترارزة تحالف البراكنة والوالو ضده.

وفي سنة 1168هـ/ 54-1755م استنجد ملك كايور بسيدي المختار بن الشرقي بن هدي بن أحمد بن دامان ضد ملك اچيولوف برام بمبا الذي خلعه من العرش، وكان سيدي المختار مشهورا بالقوة والشجاعة فكثر عليهما جيش اچيولوف، فأراد ملك كايور أن ينهزموا، فقال له سيدي المختار: انهزم أنت إن شئت أما نحن فلا ننهزم في مثل هذا الموقف، وحمل على ملك اچيولوف فهزمه. وكان ذلك سبب مغرم أهل الشرقي بن هدي في كايور الذي بلغ من الكثرة أنهم كانوا يقسمون الذهب والفضة والجوهر بالمد[592].

وفشل الصلح الفرنسي الإنگليزي بسبب تعاظم أهمية العلك في أوروبا، فهاجمت السفن الإنگليزية السفن الفرنسية على ساحل بورتانديك سنة 1753م (67-1168هـ)، وأسروا عدة أشخاص بعد تبادل لإطلاق النار، ثم أخذوا في التفاوض مع الترارزة من أجل التمركز في آرگين. وفي سنة 1756م (69-1170هـ) بدأت المواجهة الشاملة بين الإنگليز والفرنسيين للسيطرة على المنطقة. وتوفي الأمير أعمر

---

[591] المرجع نفسه، ص 346- 347.

[592] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص15.

ليلة السبت 6 جمادى الآخرة عام 1170هـ (25 فبراير 1757م) بعد 31 عاما من الحكم[593].

وفي عهده عبر برثام الأغرماني النهر وهاجم الترارزة على حين غرة فقتل عددا منهم. كما وقعت في عهده وقعة "البطحه" بين الترارزة وأولاد غيلان في 4 ربيع الأول سنة 1165هـ (21 يناير 1752م).

وخلف الأمير أعمر ابنين حديثي السن أمهما فاطمه الطفيله بنت الشرقي بن هدي بن أحمد بن دامان.

7- إمارة المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

ولما توفي الأمير أعمر بن اعلي شنظوره قالت زوجته فاطمه الطفيله لأخيها سيدي المختار بن الشرقي: احفظ لي إمارة ابني[594]. وكان سيدي المختار بطلا مشهورا، وهو صاحب فزعت تكمله التي هي أصل المثل الحساني: "أصل ماهي فزعت تكمله"[595] فكان له ردءا وعضدا.

---

[593] ومات في عهده الصالح المشهور أشفغ الحمد التاگنيتي توفي 1144هـ (1731م) ودفن بزار بين ءاوكار ولعگل (شمال غرب بتلميت 55كلم)، وابن رازگه العلوي توفي في نفس السنة، كما توفي في عهده أشفغ مينحن قاضي تشمشه سنة 1151هـ (1738م) ودفن بتنفنجه، ومحمد اليدالي الديماني سنة 1166هـ (1753م). ومات قبل الأمير أعمر بليال هدي بن السيد، ومات الجيد بن الأمجد العتامي بعده بأيام ماتوا ثلاثتهم في 20 يوما.

[594] محمد فال بن بابا العلوي، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص 46. وأضاف محمد المختار بن السعد: «وسيكون لهذه القولة الشهيرة صداها فيما بعد، إذ ستتعبأ ذرية الشرقي بن هدى إلى جانب أهل أعمر بن اعلي شنظوره في صراعهم على الإمارة ضد أبناء عمهم من أهل الشرقي بن اعلي شنظوره طيلة الثلث الأول من القرن 19». ، موريتانيا في العهد الحساني، ص28.

[595] وسبب المثل أن سيدي المختار سافر إلى قرية انگيگس جنوب الضفة لجباية المغارم التي لأهل الشرقي بن هدي على أهل تلك الناحية، فلما عاد إلى موطنه بأوجبر (شمال غرب المذرذرة) لم ير الرجال في الحي، فسأل إحدى الإماء عنهم. فقالت له: إنهم ذهبوا في طلب إبل نهبها جيش من أهل التل. فركب فرسه فورا، وكان ذلك ضحى، وجعل أثر النهب عن يساره إلى جهة المحيط. فلما قطع مسافة يعلم أن النهب لم يقطعها بعد انحرف مغربا يلتمس الأثر أو العين حتى بلغ المحيط ولم يجد شيئا، فعلم أن النهب بقي وراءه، فعمد إلى تكمله، وهي غيضة مليئة باليتوع (أفرنان) بالقسم الجنوبي لآگنيتير، فكمن فيها وجعل يترصده هناك. فلما كان وقت السحر أغفى إغفاءة فأحست الفرس بجلبة النهب، فأخذت

وأول حادث وقع في عهده يوم چفچف لعشر بقين من رمضان سنة 1170هـ (7 يونيو 1757م) هزم فيه البراكنة هزيمة ساحقة، وسبب چفچف أن البراكنة أغاروا على محصر الترارزة عند تنضله فنهبوا السرح، فتبعهم الأمير المختار وأخوه اعلي الكوري بمن معهما فأدركوهم عند چفچف فاستردوا منهم النهب بعد قتال شديد سمع منه صوت البارود بتنضله[596].

وتمكن الأمير المختار من إجلاء أولاد أحمد البركنيين من مناطق من آوكار من بلاد الترارزة لم يصل إليها نفوذ الإمارة قبله[597].

وفي سنة 1758م (1171هـ) تمكن الإنگليز من إقصاء الفرنسيين نهائيا من المنطقة بعدما قاموا باحتلال المناطق السينغالية التي كانت خاضعة لفرنسا.

وفي سنة 1763م (1177هـ) وقعت فرنسا وإنگلترا اتفاقية في باريس تهدف إلى إنهاء التوتر الذي استمر 7 سنوات في المنطقة. وتعترف هذه الاتفاقية بحقوق فرنسا

تنبش عند رأس فارسها - فعل جياد الخيل إذا أحست حربا - فانتبه سيدي المختار، وعرف أنها أحست بالقوم، فقام وأذن، وكان الفجر قد انصدع، فلما سمع المغيرون الأذان ظنوه حيا فمالوا إليه، فلما دنوا منه رماهم بالرصاص، فتراشقوا ساعة فقتل منهم رجالا، فأسلموا النهب منهزمين. فاستاقه هو راجعا. ولما سمع الطلب الذاهب في أثر النهب صوت البارود قال أبوه: كأن هذا صوت مدفع سيدي المختار. فقال له بعضهم: ما تزال تذكر سيدي المختار، أليست هذه تكمله، وسيدي المختار الآن في انگيگس يأكل الثريد؟ فلم يلبثوا أن التقوا به عائدا يسوق النهب، فصارت فزعته (وهي خروجه في الطلب) مضرب المثل.

[596] هارون بن الشيخ سيديا، إمارة الترارزة، مخطوط ،ص7. وأضاف: «فضرب به المثل». وأوضح محمد فال بن بابا في التكملة ذلك فقال: «وقع في ذلك العام چفچف الذي صار هو الغاية عند الناس في الشدة، ويقولون اخبيط چفچف، أي قصف چفچف». وچفچف موضع في آوكيره. أما تنضله فمن برويت (جنوب غرب ولاية الترارزة). ويقال إن الأمير المختار لما سألته أمه فيم كان يفكر أثناء المعركة؟ قال لها: "رِيْ انگليسيس" أي أعلام الإنگليز (أعلام سفنهم) موضحا أن الصراع هو صراع على خفارة السفن الأوروبية.

[597] من هذه المواضع: واد احنينه، وزار، وانيگراره، ومالياه التي يذكرها زفان المختاربن أعمر بقوله:

واد احنينه ما كان دار إخشوها عرب الزبار
أگلعت كيف أگلعت زار وانيگراره ومالـيلـه
والعربي يلكان شـــار خير إواس ذي الحيلـه

والمعنى: أن واد احنينه لم يكن منزلا من منازل عرب الزبار (وهم الترارزة) لكنك انتزعته كما انتزعت زار وانيگراره ومالياه، والعربي (المحارب) إذا حارب عليه أن يفعل مثل ما فعلت.

على السواحل البيضانية، لكن هذه الاتفاقية لم تطبق، وبقي آرگين وبورتانديك خاضعين لإنگلترا[598].

ووفد الأمير المختار بن أعمر على المولى سيدي محمد بن المولى عبد الله بن المولى إسماعيل فأعطاه السروال الأبيض الذي أصبح شعارا لأمراء الترارزة، كما أعطاه طبلا من النحاس ليكون طبل الإمارة[599]، وجوادا مدبجا نصفه أبيض ونصفه أحمر، عليه سرج مغشى بالخرز الثمين[600].

وتوفي المختار عام 1185هـ/1771م عن عدة أبناء أمهم منينه البركنية.

8- إمارة اعلي الكوري بن أعمر بن اعلي شنظوره:

وتولى بعد المختار أخوه اعلي الكوري، ووقعت بعد توليه "حواطة"، وهي مجاعة شديدة وقعت عام 1185هـ/1772م، ودامت ثلاثة أعوام، وفي أول أعوامها ولد الشيخ محنض بابه بن اعبيد الديماني. وقد ألجأت هذه المجاعة عددا من القبائل إلى الهجرة إلى السينغال. كما وقعت في عهده حروب شديدة بينه وبين البراكنة، منها يوم "اكراع ولد العيمار"، ويوم "المرفگ" سنة 1190هـ/ 1776م.

وفي جنوب النهر كرست الحرب الأهلية في الوالو (1766-1786م/ 1179-1200هـ)، والاحتلال الإنگليزي لاندر (1758-1783م/ 1171-1197هـ)،

---

[598] ومع أن العلك أصبح أهم سلعة تستورد في هذه الفترة إلا أن ذلك لم ينقص من أهمية استيراد العبيد الذين كانوا يصدرون أساسا إلى أمريكا، حيث يروي كتاب الجذور الذي صدر في السبعينات في أمريكا وحقق أكبر المبيعات في عهده، وحول إلى فلم تلفزيوني شهير أن أحد مرابطي قبيلة كنته الشنقيطية يدعى عمر هاجر إلى گامبيا وولد له هناك ابن لقب بالكنتي تم اختطافه وبيعه كعبد، ونقل إلى أمريكا التي وصل إليها يوم 5 يوليو 1767م (8 صفر 1181هـ)، بعدما عانى من مرض ألم به خلال الرحلة، وبعد تمرد قام به هو ورفاقه قتلوا خلاله بعض البحارة بينما قتل من العبيد أربعون. وكان هذا الكنتي الذي بيع في ميناء آنابوليس بولاية ميريلاند من نصيب سيد إقطاعي في فرجينيا. وقد تمكن حفيد الكنتي هذا أليكس هيلي من إعادة تاريخ أجداده وكتابة على شكل كتاب حمل اسم الجذور.

[599] احمد بن أحمد يوره، كتاب الآبار، مرجع سبق ذكره، ص 13.

[600] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص113. وقال: إن هذا الخرز بقي لفترة متداولا عند الترارزة، وكانوا يسمونه "حب السرز" (حب السرج).

نهائيا هيمنة التراررزة السياسية على مملكة الوالو. وقد كان للحرب الأهلية من جهة وتجارة العبيد الأطلسية من جهة أخرى أثر مباشر في انصياع الوالو التام للتراررزة، وتحملهم المغارم الثقيلة لهم صونا للأنفس والأموال من النهب.

وتشير المصادر إلى أن الوالي الإنكليزي أوهارا مد يد العون لاعلي الكوري في سنة 1775م (1189هـ) لاجتياح مملكة الوالو. ويضيف أوهارا في رسالة صادرة في 18 أغسطس 1775م (21 جمادى الثانية 1189هـ) أن التراررزة اجتاحوا لتوهم كل الأمم السودانية بمنطقة مصب النهر وأصبحوا أسياد ضفتي نهر السينغال، وأجبروا الإنكليز على التخلي عن قلعة بودور[601].

وخلال تواجد الإنكليز بالمنطقة قاموا بتدمير قلعتي آرگين وبورتانديك لإرغام البيضان على استخدام مرفإ واحد فقط هو مرفأ الصحراء بتكشكمبه الذي جعلوا منه مركز نشاطاتهم التجارية بالسينغال، وأقاموا مراقبة بحرية تضم عددا من القوارب الحربية مكلفة بقصف كافة السفن التي تقترب من الشاطئ مهما كانت جنسيتها.

وفي سنة 1783م (1197هـ) استغلت فرنسا اتفاقية فرساي التي أعادت توزيع المستعمرات الأوروبية لترث حقوق الإنكليز في مستعمرات السينغال والشاطئ الأطلسي من الرأس الأبيض إلى النهر مقابل منحهم مستعمرات أخرى، لكن الاتفاقية أقرت للإنكليز حق الاتجار في المنطقة الممتدة من بورتانديك إلى رأس تيمريس[602].

---

[601] محمد المختار بن السعد، إمارة التراررزة، مرجع سبق ذكره،ص 379.

[602] المرجع نفسه، ص403. غير أن الإنكليز سيستحوذون من جديد على السينغال وتوابعه أثناء الحروب النابليونية (1792- 1815م) ليقصى منه الفرنسيون قرابة عقد من الزمن (1809-1817م). وسيستعيد الفرنسيون سينت الويس (اندر) وتوابعها ابتداء من 17 يناير 1817م (29 صفر 1232هـ) بموجب اتفاقية افيينا 9 يونيو 1815م (فاتح رجب 1230هـ).

وفي سنة 1198هـ/ 1784م وقعت وقعة "دامان" بين أولاد أحمد بن دامان وأولاد دامان[603]، وسببها أن أهل عتام نهبوا بقر أولاد أحمد الصغير، فتبعهم أولاد أحمد بن دامان فلحقوا بهم بتنيدر، ورماهم محمد بن اعلي موتاه فأصاب أحمد بن محمد آجمار في رأسه، فترضاهم أولاد أحمد بن دامان بكثير من الخيل والأموال، فهدأت الأوضاع وارتحلوا منتجعين: أولاد أحمد بن دامان وعيالهم هم الغربيون، وعن شرقهم بنو عمهم: أهل عبله، وأهل عتام، وأولاد ساسي، وأولاد زنون. ثم نزل الغربيون الطويلة، ونزل الشرقيون انتفاشيت. فبينما هم كذلك إذ نغل جرح أحمد بن محمد آجمار وأشرف على الهلاك، فأتى محمد بن السيد وهو من كبار أولاد دامان وذوي الرأي فيهم شبانهم فوجدهم في ساحة الحي يلعبون، فقال: ألعبا وقد أشرف أحمد على الهلاك؟ فقاموا مسرعين فهجموا تلك الليلة على محلة أولاد أحمد بن دامان، بعدما مضى أكثر الليل فقتلوا مدبر أمرهم اعلي بن سيدي المختار بن الشرقى- ابن خال الأمير اعلي الكوري- وابنه والمختار بن الجرموني، واعلي بن المختار بن اعلي شنظوره في نفر سبعة أوثمانية ورجعوا إلى أهلهم. وكان الأمير حينئذ في محلة أولاد أحمد الصغير في الگبلة فلم يرعه إلا نجيبه الأبيض أسود من العرق يركضه ترجمانه ووزيره عبد الوهاب السباعي. فلما أناخ، قال له: أحي اعلي بن سيدي المختار؟[604] فقال: لا، وذلك لعلمه أن نجيبه لا يركب إلا لأمر مهم[605].

---

[603] قال أحمد سالم بن باگا: كانت الوقعة بين أولاد أحمد بن دامان وأهل عبله وحلفائهم من جهة وأهل عتام وأولاد ساسي وأولاد زنون وحلفائهم من جهة أخرى. أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص208.

[604] في رواية محمد فال بن بابا أن اعلي الكوري لما رأى البريد قادما إليه قال له: لعل اعلي بن هدي مات، لو لم يمت لم تأت. واعلي بن هدي هو اعلي بن سيدي المختار، بن الشرقي بن هدى.

[605] تروي الرواية الشفهية أن اعلي الكوري ذهب إلى رجل من أهل گنار يدعى اندري الصغير فآجره بسبع إماء - حسب محمد فال بن بابا - وشيء من الأنعام والحرث - حسب أحمد سالم بن باگا- على ألا يبرح أولاد دامان من مكانهم حيث يدركهم، فقال له: المحل الذي يلحقهم الحجاب لا يبرحون منه حتى تأتيهم. فصار أولاد دامان كلما رحلوا تاهوا، فلم ينتبهوا إلا وقد عادوا إلى المحل الذي ارتحلوا منه، وهو دامان حيث أدركهم أولاد أحمد بن دامان.

وركب اعلي الكوري وترجمانه ولم يخاطب أحدا من أهل محلته وسلكا آفطوط الغربي، فقال له ترجمانه: إنك لم تكلم أحدا! فقال له الأمير: يتبعنا من هو منا.

ثم حانت الصلاة فنزلا وصليا فلما نهضا نظر الترجمان فلم ينظر إلى جهة إلا رأى الفرسان قادمين منها.

وأحس أهل عتام ومن معهم بدامان جنوب شرق أگجوجت (إينشري) بأن أولاد أحمد بن دامان مدركوهم لا محالة فخندقوا حولهم خندقا ثم ملأوه بالخشب وتحصنوا بداخله، فلما تراءى الجمعان قام سيدي أحمد بن محمد شنوف بن بوبكر سيره فلبس كساء وهجم عليهم فخرق الحصن وماتت فرسه- واسمها البكماء- وسلم هو[606]، ثم هجم بعده صاحب الراية محمد بابانا بن أعمر بوشارب (من آل اعلي شنظوره) فقتل، ثم تتابع الفرسان بالهجوم والتحم الفريقان، ومات من الطرفين خلق أكثره من أولاد دامان، فلما أدبر النهار وهدأت المعركة انسحب أولاد دامان فنزلوا بالمدنه، وبقي أولاد أحمد بن دامان يداوون جرحاهم ويدفنون موتاهم، فلما كان الصباح تبعوهم فوجدوهم قد قوضوا أثاثهم، ومضوا مرتحلين إلى تگانت. ونزل أهل عتام ومن معهم بإيدوعيش يتحينون الفرصة للثأر من أولاد أحمد بن دامان، فلما عرفوا أنهم قد اطمأنوا لجلائهم عن أرضهم خرج منهم غزو من تگانت للثأر من يوم "دامان"، فكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى وافوا محصر أولاد أحمد بن دامان بجانب انبنه الغربي (65 كلم شمال غرب المذرذرة) وهم غافلون، فما راعهم إلا حوافر الخيل بين بيوتهم ففروا منها، ولم يقتل منهم إلا رجلان أحدهما أحمد بوگن بن ابريك الرغيوى ([607])، ولم يدخل أهل عتام الخيام، ولا أخذوا المتاع، ولكنهم استاقوا الإبل وكسروا طبل النحاس الذي أهداه المولى سيدي محمد بن المولى عبد الله للأمير المختار بن أعمر بن اعلي

[606] ذكر المختار بن حامدن أنه لما قفز إلى أولاد دامان أجاره إخوته لأم، وفي أحمد سالم بن باگا أن الأمر يتعلق بسيدي أحمد نفسه.

[607] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 211.

شنظوره[608]. وفي 2مايو 1785م (22 جمادى الآخرة 1199هـ) وقع الفرنسيون مع شمش إيدوالحاج اتفاقية جديدة تقضي بقيام إيدوالحاج بما في وسعهم لتقويض التبادل مع الإنگليز وعرقلة تجارتهم ببور تانديك[609]. وفي 26 مايو 1785م (17 رجب 1199هـ) أبرم اعلي الكوري اتفاقية تجارية جديدة مع الفرنسيين[610].

وفي نفس السنة قتل الأمير اعلي الكوري ابراك (ملك) والو المناوئ له، وعين مكانه أحد حلفائه، وكان يجبي مغرما سنويا على الوالو مقداره مائة ثور[611].

وتوفى الأمير اعلي الكوري قتيلا سنة 1200هـ/ 1786م في وقعة "انگيرين" بينه وبين البراكنة وجيش المامي عبد القادر الذي استنجد به البراكنة جنوب شرق الركيز[612]، قتله بنيوگ بن بدميجات بن عمران بن منصور البركني. وكان اعلي الكوري قد قاد حملات عسكرية متعددة جعلته يكسب مناطق نفوذ ومغارم في المنطقة (لاسيما في كايور والوالو)، تسببت في اقتناع المامي عبد القادر الفوتي بالتحالف مع البراكنة ضده.

9- إمارة امحمد الجواد بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

وتولى بعد اعلي الكوري ابن أخيه امحمد المشهور بامحمد الجواد. بلغ من جوده أنه كان يقول: "هاك يل ذاك ظل"، أي: خذ يا من ذاك ظله. ومكث في الإمارة ثماني سنوات حيث توفي سنة 1208هـ/ 1793م[613].

---

[608] قيل إنه لما انكسر سمعت له زلزلة أجفلت الإبل التي كانت تشرب من بواطريفية. وبين انبنبه وبو طريفية نحو ستين كلمترا.

[609] الشيخ التراد بن السري، إيدوالحاج الترارزة، مرجع سبق ذكره، 69.

[610] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص113.

[611] خديجة بنت الحسن، تحقيق منظومة ابن احجاب في تاريخ إمارة الترارزة، منشورات بيت الحكمة، تونس 1991، ص107.

[612] قيل إنه هزم ذلك اليوم ألفا وحده ثم كمن له واحد من جيش المامي عبد القادر فقتله.

[613] محمد فال بن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص49.

10– إمارة عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

وتولى بعد الأمير امحمد الجواد أخوه عاليت، توفي سنة 1209هـ/ 1794م فكانت مدة إمارته عاما واحدا، وأمه هو وأخوه الأمير امحمد الجواد فاطمه بنت الجرموني[614].

11- إمارة أعمر بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره:

ثم تولى بعد الأمير عاليت أخوه أعمر بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره المشهور بأعمر ابن كمبه وكمبه اسم أمه، وهي سودانية من نبلاء فوتة. وتميز عهده بهدوء نسبي داخلي وخارجي.

ولما قرر أمير البراكنة امحمد بن المختار بن آغريشي غزو الفرنسيين الذين دخل في خلاف معهم حول التبادل التجاري، وبعث إلى الأمير أعمر ابن كمبه للاشتراك معه في غزوهم أرسل الأمير أعمر -الذي لم ينس دور البراكنة في قتل عمه اعلي الكوري- إلى الفرنسيين يعلمهم بنية امحمد بن المختار بن آغريشي، مما دفع الفرنسيين سنة (1214هـ- 1799م) إلى معاقبة امحمد بن المختار بن آغريشي، ومكافأة أعمر ابن كمبه[615]. وتوفي الأمير أعمر ابن كمبه سنة 1215هـ/ 1800م.

12- إمارة أعمر بن المختار بن الشرقي بن اعلي شنظوره:

ولما توفى الأمير أعمر ابن كمبه نظر أولاد أحمد بن دامان وأعيان الترارزة في من يؤمرون بعده، فامحمد بن اعلي الكوري الذي هو أولى الناس بها ما يزال صغيرا، وليس في غيره من أهل أعمر بن اعلي كبير يتولى الإمارة بدلا منه، فاجتمع رأيهم على

---

[614] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[615] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص146، ومنظومة ابن احجاب، تحقيق خديجة بنت الحسن، مرجع سبق ذكره، هامش البيتين: 25و26.

تأمير أعمر بن المختار بن الشرقي[616] المشهور بأعمر بوكعبه. وكان بطلا شجاعا دربه اعلي الكوري على الحروب[617]. وانحرف بابه بن اعلي بن أعمر بن الشرقي بن اعلي شنظوره عن بيعة الأمير أعمر بن المختار بن الشرقي وشايعه قوم من أصحابه، وأخواله أهل عبله، لأن جده لأمه صمبه فال كان من شيوخ أهل عبله، فصارت له محلة خاصة به، ولم يحارب الأمير أعمر بن المختار بن الشرقي.

وكانت السنوات الأولى من إمارة أعمر بن المختار بن الشرقي هادئة نسبيا، لكن الناس أصيبوا فيها بوباء الحصبة (بوحيمرون) عام 1216هـ/1801م الذي أهلك خلقا كثيرا في الگبلة. ومال أعمر إلى الإنگليز في صراعهم التجاري المحتدم مع الفرنسيين على المنطقة. ودخل في حرب مع الوالو أجبرت سكان هذا الإقليم على القبول بمواصلة دفع الغرامة التي كانوا يدفعونها منذ عهد اعلي الكوري.

ومع حلول عام (1220هـ/1805م) دخل أعمر في صراع مع البراكنة فوقعت بينهما وقعة "ديه"، (قرب الكصيبه بمنطقة بودور)[618] عام 1220هـ/1805م. ووقعت في عهده وقعة "انتمركاي" (الأولى) (40 كلم شمال شرق المذرذرة) عام 1223هـ/1808

---

[616] روى أحمد سالم بن باگا: «أن أولاد أحمد بن دامان ومن معهم من الترارزة لما اجتمعوا لاختيار أمير قال قائل منهم: أمروا أعمر بن المختار بن الشرقي، فإنه خليق بالإمارة، وكان أعمر حاضرا، فقال حبيب بن بوشكراد، وكان أحد سادات أهل عبله: لا يكون ذلك أبدا، كيف نؤمره وهو من أهل بوكعبه، وأمه من أهل آگمتار، يريد حبيب أن أهل بوكعبه، وهم أهل الشرقي بن اعلي شنظوره لم يكونوا قبلئذ من بيت الإمارة كأهل أعمر بن اعلي شنظوره، وأن أهل آگمتار أبعد من بيت الإمارة من غيرهم من إخوتهم من أولاد أحمد بن دامان. ثم إن المجلس انفض من غير أن يجمع على أمير، فلما كان وهن من الليل ذهب أعمر بن المختار إلى حبيب بن بوشكراد فأهدى إليه فرسا جوادا، وناقتين حلوبتين، وعبدا يرعاهما، ومدفعا من طراز جيد، وحلة جديدة ثم رجع إلى أهله من غير أن يتحادثا في شيء. فلما كان من الغد، واجتمع الناس قال لهم حبيب بن بوشكراد: أيها الناس، أمروا أعمر بن المختار، فإنه من أهل اعلي شنظوره، وأمه من أهل أحمد گينيه، ويحفظ القرءان العظيم، وأهل أحمد گينيه بيت شرف في أهل آگمتار، فقال له الملأ: ما هذا بكلامك أمس يا حبيب! فقال لهم حبيب: كذلك ليست هذه حلتي بالأمس، وما هذا بمدفعي بالأمس، يريد أن الرأي يتغير كما يتغير الملبوس والمركوب». أحمد سالم بن باگا ص 232 - 233.

[617] محمد فال بن بابا، مرجع سبق ذكره، ص50.

[618] و"ديه" محطة تجارية تقع بضع كلمترات شرقي الكصيبه بمنطقة بودور (الضفة اليمنى لبودور) وتعرف عند الفرنسيين بـ"لوكوك".

م لأولاد دامان على المثلوثة وهم أولاد البوعلية وموسات وأهل عبله، مات فيها السناد بن اعلي بن احميده رئيس أولاد البوعليه[619]، ثم وقعة "أغبسيت" (بلعگل جنوب غرب بتلميت) عام 1224هـ/ 1809م بين أولاد أحمد بن دامان وأولاد دامان[620].

وفي هذه السنة (1224هـ/ 1809م) أعاد الإنگليز (أثناء الحروب النابليونية) احتلال السينغال وتوابعه وزادوا من توطيد علاقتهم بالأمير أعمر بن المختار.

---

[619] أضاف محمد بن أبي مدين عند ذكر السناد في كتاب التكملة: «قلت السناد هو ابن اعلي بن احميده رئيس أولاد البوعليه في زمنه، وهو من الخراوات أبناء إبراهيم بن بله بن عزوز، وزوجة السناد اسمها أم الطريد بنت لمشيش البركنية، وهي التي استضافها النابغة الغلاوي في حياة السناد، فأكرمته، ورآها في نعمة عجيبة، ثم رآها بعد موت السناد فلم يعرفها لتغير حالها وعرفته فقالت له: الدنيا ليست بشيء، فأنشأ ارتجالا:

قالت لنا أم الطريد الدنيا لم تك شيئا كلها لاثنيا

وجعل هذا البيت أول منظومته التاريخية الوعظية الشهيرة»، ابن بابا، ص50.

[620] روى أحمد سالم بن باگا: «حدثني غير واحد ممن يوثق به أن أولاد دامان كانوا إبان [بدء] الوقعة أكثر عددا من أولاد أحمد بن دامان، وكانوا قد أصروا على عدم الفرار، وكان فيهم شباب لدات يعرفون بإمركي (ومعناها بالصنهاجية الحوائل لقوتهم، لأن الحوائل أقوى من الحلائب). وكان في مقدمة أولاد دامان في هذا اليوم الأفجح بن سيره بن الكوري من أولاد ساسي، وكان مشهورا بالشجاعة والرماية.

وكان أولاد أحمد بن دامان يمدون قومهم، فكان كلما جاءهم مدد يقول لهم الأفجح لا تبالوا بهؤلاء فإني لست أخافهم عليكم. ولم يزالوا كذلك حتى جاء أولاد أحمد بن دامان مدد في مقدمته انجاك ابن اعلي بن هدي وزميله ولد اخناثه علما ابن المختار الكوري، فلما رأى الأفجح هذا المدد قال لقومه: هؤلاء هم الذين أخاف عليكم منهم، ثم رمى الأفجح انجاك برصاصة أصابته في أحد مقاتله، فصوب انجاك مدفعه إلى الأفجح فجعل يثب يمنة ويسرة، فقال له: لست راميك حتى تسكن، فسكن الأفجح مرة من غير قصد منه، فرماه انجاك برصاصة قطعت جنبه. فقال له الأفجح: إنك لم تضرني. فقال له انجاك: إذن احلل حزامك، فحل حزامه فسقط جنبه وماتا معا.

ولما انقشعت المعركة لقي احمد بن السيد بن بكار- من رؤساء أولاد دامان- بعض العائدين من المعركة، فقال لهم: من قتلتم منهم؟ قالوا: أحمد بن سيدي محمد بن بوبكر سيره، فقال: قتلتم أجودهم. قال: ومن؟ قالوا: قتلنا انجاك، قال: قتلتم سيدهم. قال: ومن؟ قالوا: قتلنا احمد بن عاليت. قال: قتلتم جمالهم. قال: ومن أيضا؟ قالوا: قتلنا ولد اخناثة. قال: قتلتم حسانيهم. قال: ومن قتلوا منكم؟ قالوا: قتلوا الأفجح. فقال: ليتهم أقالونا فيحيوه لنا ونحيي لهم كل من قتلنا منهم»، أحمد سالم بن باگا (ص238-239). وسبب أغبسيت كما قال محمذن بن باباه: «أن أبناء دامان أخذوا وسيقة من إبل الرحاحلة، فأدركهم طلب أولاد أحمد بن دامان، فبعثوا رجلا من الزوايا شافعا وله كساء نصفه أحمر ونصفه أبيض. وقالوا له إن تركوها لك فأشر إلينا بنصف كسائك الأبيض، وإن أبوا فأشر إلينا بالنصف الأحمر. فلما أشار إليهم بالأحمر نزلوا عن خيولهم وقالوا لها: "يالخيل دونك تورجه، ويتورجه دونك الخيل" فأرسلوه مثلا واقتتلوا». محمذن بن باباه، مرجع سبق ذكره، ص51-52.

وفي السنة التي تليها (1225هـ/1810م) غزا أولاد أحمد بن دامان أولاد دامان عند انبيم وهو بحيرة صغيرة جنوب نهر ابچك (نهر السينغال) فتحاربا من الضحى إلى منتصف الليل، ومات في هذه الغزوة كثير من أولاد دامان منهم الحيدب بن محمد آجمار أحد رؤسائهم[621].

وبلغ امحمد بن اعلي الكوري أشده فأراد من أعمر بن المختار بن الشرقي بن اعلي شنظوره أن يرد إليه الإمارة، إذ هي في الأصل في بيت أهل أعمر بن اعلي شنظوره فأبى أعمر بن المختار، فانحرف عنه امحمد بن اعلي الكوري وبدأ في تجييش الناس ضده.

وفي 17 يناير 1817م/ 29 صفر 1232 هـ) استعاد الفرنسيون اندر وتوابعها بموجب اتفاقية افيينا (9 يونيو 1815م/ 1رجب 1230هـ)، لكن الإنگليز احتفظوا بحقهم في التبادل مع البيضان على السواحل الأطلسية الذي كانت تنص عليه سابقا اتفاقية 1783م (1197هـ).

وفي نفس السنة وقع شر ابنه، وسببه أن أهل عتام كانوا يحصلون على غرامة من بعض تغرچنت، وكان أهل عتام في الجانب الشرقي من بلاد التـرارزة وتغرچنت في الجانب الغربي منها، وكانت منازل أولاد أحمد بن دامان بين الطرفين، فحدث أن سيدي بن محمد شنوف التونسي استمال تغرچنت من أصحاب أهل عتام فتحملوا له غرامة، فلامه أعمر بن المختار، فغضب وغضب أهل عتام، فأخذوا حلائبه وأهانوا رعاتها، فحلف ليقتلن واحدا منهم قبل انسلاخ الشهر. فخرج محمد فال بن عمير ابن أخت سيدي بن محمد شنوف في نفر من قومه يلتمسون أحدا من أهل عتام فلم يجدوا إلا

---

[621] قال أحمد سالم بن باگا: «وكان من أمر انبيم كما حدثني به غير واحد ممن يوثق به: أنه لما قتل قوم أولاد أحمد بن دامان المذكورون يوم "أغبسيت" حزن عليهم أولاد أحمد بن دامان حزنا شديدا، فهجروا جميع الملاهي، وأخذوا في الاستعداد لغزو أولاد دامان. فلما استعدوا لذلك أرسلوا إليهم يعلمونهم، فالتقى الطرفان عند انبيم، فكانت هذه الوقعة، وقد قتل فيها الحيدب، وغاص في النهر فتنازع نفر من أولاد أحمد بن دامان في من قتله؟ فقال لهم أحمد بن بوزفره: أنا قتلته، وأعطاهم علامة على ذلك فوجدوها صحيحة». أحمد سالم بن باگا ، بتصرف، 240 - 241.

ابنه بن اعلي حسان وجدوه مريضا في آخر يوم من أيام الشهر ومعه أمه، فأرادوا قتله، فقالت لهم أمه: إنه مشرف فدعوه حتى يموت بنفسه، فقالوا إذا يحنث سيدي، فقتلوه، فنشبت الحرب بين أهل عتام وأهل التونسي.

واستشار الأمير أعمر بن المختار بن الشرقي أبناءه: أيسلم أهل التونسي، أم يقاتل عنهم؟ فقال له ابنه اعلي خملش: إذا أسلمتهم فعلى من تكون أميرا؟ بل قاتل معهم، فإن الرئيس لا يعتزل. فحمد له ذلك[622].

ومات في هذه السنة بابه بن اعلي بن أعمر بن الشرقي بن اعلي شنظوره، وكان إبان موته في جمع من الترارزة متهيئين لحرب الأمير أعمر بن المختار، فلما مات حلفوا عند جنازته لا يتركون ما كانوا عليه في حياته[623].

وفي السنة الموالية (1233هـ/1818م) وقع يوم "ءابوط" لأولاد دامان على أولاد أحمد بن دامان، غزوهم فانهزموا في وجههم، فقال لهم امحمد شين بن اعلي بن سيدي المختار بن الشرقي بن هدي بن أحمد بن دامان: سيروا على مهلكم فلن يصلوا إليكم وأنا حي، فجعل يرد المغيرين ويناوشهم، فلم يصلوا إليهم حتى ارتفعت الشمس، فلما

---

[622] هكذا روى المختار بن حامدن، وقال أحمد سالم بن باگا: «مر نفر من أهل عتام بحلائب سيدي بن محمد شنوف بن بوبكر سيره، وفرس له، فقطعوا ضروع الحلائب، وجدعوا الفرس. فلما علم سيدي بن امحمد شنوف بن بوبكر سيره بذلك، حلف ألا تغرب الشمس حتى يقتل واحدا من أهل عتام. فاتفق أن صادف ولد عمير ابنه بن اعلي الحسافي يتداوى عند بعض الأطباء فهم بقتله. فقال الطبيب: لا تقتله فإنه قد أشرف على الهلاك، وإنه ميت عن قريب. فقال له ولد عمير: إن لم أقتله يحنث سيدي فقتله» (أحمد سالم بن باگا، ص 244،243).

وكتب محمد بن أبي مدين على حاشية التكملة: «ابنه بن اعلي حسان بن سدوم بن أحمد بن عتام قتله محمد فال بن عمير بأمر خاله سيدي بن محمد شنوف بن بوبكر سيره دون إذن من الأمير أعمر بن المختار، فلما علم بقتله استشار بنيه فقال له أكبرهم اعلي خملش: لا شك أن أبناء دامان مظلومون، لكن الرئيس لا يعتزل الحرب، ولا حاجة لأحد في اترارزة ليست فيهم هذه الخيام».

[623] أضاف ابن بابا في التكملة: «وهو وإن كان أعمر هو الأمير فهو أمير ثان سار بجيشه إلى البراكنة مجتمعين عند لعروگ- موضع قريب من الركبة- فمكث في قتالهم سبعة أيام».

رأوا أعراف خيل أولاد دامان عرفوا أن احمد شين قتل، فقام مقامه عثمان بن إبـراهيم اخليل، فلم يزل يدفع عن الظعائن إلى الليل، فارتفع صيته من ذلك اليوم[624].

ووقعت انتمركاي (الثانية) في نفس السنة بين الطرفين، ومـع أولاد دامـان احمـد بـن اعلي الكوري وشيعته، فقتل من أولاد أحمد بن دامـان رجـال منـهم سـيدي بـن محمـد شنوف مثير حرب ابنه، وقتل كثير من أولاد دامان[625].

وسار بعد هذه الوقعة أولاد دامان واحمد بن اعلي الكوري وشـيعته إلى إيـدوعيش. ثم إنهم أغاروا ومعهم رجال من إيدوعيش –وكانت إيدوعيش قد أصهرت إلى احمد بـن اعلي الكوري- على أولاد أحمد بن دامان، فوقـع يـوم "أفچـار" (8كلـم جنـوب غـرب المذرذرة) فانهزموا، ومات ثلاثة من أبناء احمد شين هم حفيداه: اعلي وبوشهاب، وابن أخيه المختار واسمه محمد، أدركه شيعة أعمر بن المختار حيا، فقال لهم: «تطـأ هنـا خيـل عمي محمد بن احمد شين»، فجاء آخر ذلك العام جيش محمد بن احمد شين ومن معه من أولاد دامان واحمد بن اعلي الكوري وشيعته، فنهبوا محلة أعمـر بـن المختـار عنـد أباخ (5 كلم شمال مدينة الگوارب الحالية)، وقطعت أذن زوجـه أم راص بنـت احمـد بن السيد بن أعمر أگجيل[626].

ولم يقع قتال في هذا اليوم لأن أولاد أحمد بن دامان الذين فاجأهم الغـزو عـبروا النـهر منهزمين، فغنم إيدوعيش الأثاث بعد أن أناخوا ركابهم وسط المحلة[627].

ودخل الفرنسيون بعد استرجاعهم لانـدر وتوابعهـا في منافسـة حاميـة الـوطيس مـع الإنگليز للسيطرة على التجارة مع البيضان، حيث جاءت عودة الفرنسيين إلى انـدر في 1817م (1232هـ) في ظروف دولية ومحلية معقدة، فقد ألزمهم الإنگليز بإنهـاء تجـارة

---

[624] ابن أحمد يوره، مرجع سبق ذكره، ص51-52. وفي نسخته المطبوعة أنه احمد شين بن أعمر بن سيدي أحمد بن أحمد بن دامان، وهو تصحيف.

[625] ذكر أحمد سالم بن باگا وابن احجاب أنه مات من أولاد دامان نحو مائة، وهذا رقم كثيرا ما تكرر في حروبهم فدل على أنه للمبالغة.

[626] ابن بابا، مرجع سبق ذكره، ص54. وقد جعل الوقعة هو وابن احجاب سنة 1232هـ (1817م).

[627] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 245.

الرقيق كشرط لتسليمهم اندر، كما أن ثورة العبيد في سينت دومينگ 1804م (1218هـ) قوضت مستعمرات الرقيق الزراعية الفرنسية.

وكان نفوذ الترارزة في الحوض الأسفل لنهر السينغال قد توطد كثيرا، كما أصبحت تجارة العلك النشاط الاقتصادي الأساس الوحيد المتبقي للأوروبيين في المنطقة، فقررت فرنسا إقامة مستعمرة زراعية لها بالسينغال.

ووضع الوالي الكولونيل اشمالتز تصوره لمشروع المستعمرة الزراعية في منطقة النهر، وأحاله إلى البارون بورتال وزير البحرية والمستعمرات ليصادق عليه رسميا في 1818م (1233هـ)[628].

وعمل الوالي اشمالتز الذي تعين عليه أن يجابه الترارزة، الذين باتوا يعتبرون الضفة اليسرى للنهر جزءا من أراضيهم، على كسب مختلف الفرقاء الذين من شأنهم إضعاف نفوذ الترارزة، فوقع اتفاقيات مع كل من المامي يوسف إمام فوته، وأحمدو بن سيدي اعلي أمير البراكنة، وأعمر فاتيم أميرسو ملك الوالو، ومحمذن أغربط شمش (رئيس) إيدوالحاج[629]، وامحمد بن اعلي الكوري المطالب بعرش الترارزة. وشجع ملك الوالو على توقيع اتفاق مع ابن اعلي الكوري ينص على محاربة الوالو إلى جانب ابن اعلي الكوري من أجل استعادة عرش أهل أعمر بن اعلي شنظوره مقابل تخلي ابن اعلي الكوري عن أي غرامات للترارزة في الوالو.

---

[628] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص129.

[629] أول خفير للسفن من إيدوالحاج أشفغ اوبك بن النجيب، ثم خلفه ابن أخيه المختار بن الأمين بن النجيب، ثم خلفه ابنه بابه الشمش بن المختار الذي توفي سنة 1769م (1182هـ)، فابنه محمد بن بابه الشمش (ت1799م، 1213هـ)، فأخوه المختار بن بابه الشمش (ت1809م، 1224هـ)، فأخوه الفاضل بن بابه الشمش، فأخوه حبيب الله بن بابه الشمش، فابن أخيه المختار بن الفاضل (ت1819م، 1234هـ)، فابن عمه محمذن أغربط (ت1828م، 1243هـ)، فابنه المختار (ت1830م، 1245هـ)، فابنه محمذن أغربط (ت1834م، 1250هـ)، فأخوه عبد الله بن المختار (ت1841م، 1257هـ)، فأخوه أحمد مولود (ت1856م، 1272هـ)، فابن أخيه محمذن فال بن عبد الله (ت1873م، 1290هـ)، فابن عمه محمذن أغربط بن أحمد مولود (ت1903م، 1320هـ). وقد وقع شمش محمذن أغربط هذه الاتفاقية مع اشمالتز يوم 30 يونيو 1819م (7 رمضان 1234هـ)، وتقضي بمساعدة فرنسا في مشروعها الزراعي بالمنطقة مقابل ضرائب عرفية محددة. انظر، الشيخ التراد بن السري، إيدوالحاج الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص77 و88.

ولما علم الترارزة بذلك ردوا بإعلان الحرب على الوالو. وهاجموا قرية انتيكار يوم 21 سبتمبر 1819م (1 ذي الحجة 1234هـ) فقتلوا عشرين شخصا، وكسروا رجل ابراك (ملك) والو وجرحوا وزيره[630]. ووقع ما كان يخشاه ويتمناه في نفس الوقت اشمالتز، كما كتب به في رسالة له إلى وزير البحرية: «لا أعرف ما إذا كان بوسعهم [أي الترارزة]... وهم في الوضع الذي هم فيه الإقدام على أعمال عدائية، لكنه سيكون من السهل في هذه الحالة القضاء عليهم، أو طردهم من البلد [الضفة اليسرى للنهر]، وهو ما سيكون أمرا عظيم الفائدة»[631].

وكان رد اشمالتز على تصرف إمارة الترارزة يتمثل في مساندة الوالو وولد اعلي الكوري ضد الأمير أعمر بن المختار. وعمل الفرنسيون في نفس الوقت على استمالة من قدروا على استمالته من زعماء قبائل الإمارة، قبل أن يعملوا على إيجاد صيغة تفاهم تخفف وطأة الصراع بينهم وبين الأمير أعمر الذي كان الإنكليز بدورهم يغدقون عليه الهبات وينوعون له الحوافز.

وفي 7 يونيو 1821م (20 رمضان 1236هـ) وقع الأمير أعمر بن المختار بتشجيع من محمد فال بن عمير بن سيدي المختار بن الشرقي وآخرين اتفاقا مع الفرنسيين يتعهد فيه الأمير بالمتاجرة معهم مقابل اعترافهم بسيادته على مملكة الوالوا الزنجية.

غير أن الأمير أعمر علم بوجود اتفاق سري مع محمد فال بن عمير «يمنحه امتيازات مشابهة لامتيازات أمير الترارزة مقابل منعه نقل العلك إلى ميناء بورتانديك الإنكليزي، كما يحصل بموجبه على4500 فرنك فرنسي كهدية»، فثار معتبرا هذا الاتفاق إهانة له.

وأعلم الوالي روجي وزيره بالأمر تحسبا للتطورات الممكنة قائلا: «إن الملك [أعمر بن المختار] ينظر إلى هذه الإجراءات باعتبارها إهانة له، وقد أعلن لي عن استعداده للتخلي عن ضرائبه العرفية الجديدة إذا ما تم إلغاء تلك التي تقدم للأمراء الآخرين.

---

[630] خديجة بنت الحسن، تحقيق منظومة ابن احجاب في تاريخ إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، 108.

[631] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وقد قال لي إن محمد فال [بن عمير] سيقتل إذا لم تقضوا على تلك الضرائب، وسندخل معا في حرب[632]».

وفي سنة 1237هـ/ 21-1822م خول الأمير الإنكليز حق إقامة موسم تجاري عند الجريده (مرسى انچيل)، فتسابق إليه التجار، فحاول منافسه محمد فال بن عمير ردهم، فترصد له إبراهيم والد بن الأمير أعمر فقتله هو ورديفه امحمد بن أعمر ابن كمبه عند بورتانديك، وقتل معهما ابن بديرات الدامانى، ودامانيا آخر([633])، وذلك في مارس 1822م (جمادى الثانية).

وبلغ نبأ مقتل محمد فال ذويه، فأرسلوا أمة إلى أبيه عمير لتعلمه، وكان عمير وقت وصول النبأ مع قرينه الأمير أعمر بن المختار يلعبان "اسرند"[634] فأعلمته. فقال له: «أشهدك أني مهدر دم ابني محمد فال لئلا يتيتم صبيان أولاد أحمد بن دامان وتتأيم نساؤهم[635]».

وكان عمير مخلصا في قوله هذا لحلمه، فلم يلبث أن جاءه وهو في بيته أحد حلفائهم فأثار حفيظته، وقال له: إن الناس يقولون إنك إنما أهدرت دم ابنك محمد فال جبنا من الأمير أعمر بن المختار وأولاده[636]، فنهض ونهض معه قومه: أهل الشرقي بن هدي،

---

[632] المرجع نفسه، ص130.

[633] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص116.

[634] "اسرند" أو "اصرند" لعبة شعبية تقليدية معروفة. وجاء في رواية أحمد سالم بن باگا "أم ادبار"، وهو غلط.

[635] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 248. وأضاف: «ويروون أنه لما قتل ابن عمير وبلغ الخبر أهل بيتهم أرسلوا أمة إلى أبيه عمير وأمروها أن تسر إليه بذلك فوجدته مع قرينه وجليسه عادة الأمير أعمر بن المختار يلعبان البعر [والعيدان، وهي اللعبة المعروفة باسرند] فناجت عمير بالخبر وانصرفت. فسأله أعمر عما قالت له الأمة؟ -وكان بينهما عهد ألا يكتم أحدهما عن صاحبه شيئا- فقال له: أخبرتني أن محمد فال قتل إبراهيم والد. فظهر الغضب في وجه أعمر وتذمر. فقال له عمير: هون عليك يا أعمر فليس الأمر كما حدثتك بل هو بالعكس فالقاتل إبراهيم والد والمقتول محمد فال، وإنما قلت لك أولا ما قلت لتجد في نفسك ما يجده من قتل له ولد سيد، وإني مشهدك أني مهدر دم محمد فال...» أحمد سالم بن باگا،ص248.

[636] أضاف أحمد سالم بن باگا: «ويقال إنه لما قال له هذا الكلام أراه قصبة في يده فيها بعض دقيق التبغ الذي يستخدم للشم (السعوط) وقال له: أرأيت هذا الشم إني حالف لك أنه لا ينفد حتى آخذ بثأر محمد فال». أحمد سالم بن باگا، ص 248-248.

وأهل التونسي، الفخذان المعروفان بخندوسة[637] فبايعوا امحمد بن اعلي الكوري على حرب الأمير أعمر بن المختار، وبايعه معهم كذلك أهل أحمد ديه بن هدي بن أحمد بن دامان[638]. وبقي مع أعمر بن المختار قومه من أهل الشرقي بن اعلي شنظوره كأهل امحمد بابانا، كما بقي معه أهل أعمر آگجيل (بن هدي)، وأولاد السيد (بن هدي)، وأهل امحمد بن أحمد، والدخن[639]. وانضم إلى كل فريق شيعته وحلفاؤه من سائر الترارزة.

ووقع بين الطرفين يوم "غسرم" (70كلم جنوب شرق انواكشوط) قتل فيه إبراهيم والد بن الأمير أعمر بن المختار قاتل محمد فال بن عمير، تبارز هو وإبراهيم اخليل أخو محمد فال فقتله إبراهيم اخليل، ثم مات هو أيضا جراء جراحات به[640].

---

[637] خندوسه: تحالف بين فخذي أهل الشرقي بن هدي وأهل التونسي. قال أحمد سالم بن باگا: «وخندوسة في الأصل لقب فاطمه بنت أحمد بن سيدي، وأهل أحمد بن سيدي يعرفون بأهل خوباه، وهم من ذرية عبد الل بن أحمد بن دامان، ومعنى لفظة خندوسة الاختلاط. وقد لقبت فاطمه هذه بهذا اللقب لأنها زوجت بنتيها أم المومنين واخديجه بنتي عثمان بن إبراهيم اخليل لربيبيها سيدي وسيدي أحمد ابني امحمد شين الأولى للأول والثانية للثاني، وزوجت ابنها ابي (بتفخيم الباء) بن اعلي خملش بربيبتها فاطمه بنت عثمان بن إبراهيم اخليل وهي أخت ابنتيها المتقدمتين لأب، وأم فاطمه هذه عتامية، فبسبب هذا الاختلاط الذي ارتأته فاطمه بنت أحمد بن سيدي ونفذته لقبت بهذا اللقب، ثم صار هذا اللقب علما على البيتين: بيت أهل الشرقي بن هدي الذي منه سيدي وسيدي أحمد ابني امحمد شين، وبيت أهل التونسي الذي منه بنات عثمان بن إبراهيم خليل الثلاث، وهن بنتاها زوجتا ربيبيها وربيبتها زوجة ابنها ابي بن اعلي خملش». أحمد سالم بن باگا، ص 138.

[638] هكذا ذكر أحمد سالم بن باگا، وأهل أحمدديه وأهل أعمر آكجيل يمثلون في الأصل تحالفا يعرف باسم اللغيطه.

[639] قال أحمد سالم بن باگا: «وسبب تسميتهم بالدخن أنهم كانوا ذات سنة ينتجعون المراعي في النواحي الشمالية، ثم لما أجدبت الأرض قفلوا إلى القبلة فوصلوا إليها مغبرة ألوانهم وثيابهم من الرحيل وتعاقب السوافي فلقبوا بالدخن، والدخن علم على بطون شتى هم أهل أحمد بن سيدي المعروفون بأهل خوباه، وأهل الخليل، وأهل المختار الكوري: بيتان من أهل عبد الل بن أحمد دامان وبيت من أهل اعلي بن أحمد بن دامان».

[640] روى ابن بابا في التكملة (ص56) وأحمد سالم بن باگا في تاريخه (ص 254): «أن إبراهيم اخليل لما قتل أخوه محمد فال قال له أهله: عيب الدار أعل ال أبگ فيها (عيب الدار على من بقي فيها) فقال لهم: گولوه ال هدي (قولوها لهدي)، وهو أخوهما، يريد أنه ما كان ليعيش بعد أخيه محمد فال».

وانهزم أصحاب الأمير أعمر لما قتل ابراهيم والد، فلما رأى الأمير قومه منهزمين، وكان خلف الصفوف يراقب المعركة، قال لحراسه لعل إبراهيم والد قتل؟ فقالوا له: نعم. فقال لهم: خلوا سبيلي. ففعلوا، فحمل على أعدائه ومعه أصحابه فهزمهم.

ثم وقع بينهم يوم "تيورورت" (56 كلم جنوب انواكشوط) في نفس السنة، وفيه هزم الأمير أعمر بن المختار وقتل ابنه اعلي خملش وابن بنته واسمه الرگعه بن سيدي بن محمد شنوف[641]. ثم يوم "اكراع ابريهمات"، ودارت فيه الدائرة أولا على شيعة الأمير أعمر فقالت زوجته أم راص لحراسه: أرسلوا الكهل فقد هزمنا، فأرسلوه فقاتل حتى هزم عدوه. ومات في هذا اليوم كثير من أولاد بنيوگ المناصرين لعمير، منهم رئيسهم صمبه بن الحسين. وبعد يوم "اكراع ابريهمات" أصبح النصر في المعارك حليف احمد ابن اعلي الكوري وعمير ومن معهما، وضاقت أرض الترارزة على الأمير أعمر بن المختار مع مرور الأيام حتى اضطر إلى الجلاء هو ومحلته باتجاه الشمال، فبينما هو سائر قد بلغ به السير تفلي إذ جاءه الخبر بمقتل احمد بن اعلي الكوري ففرح بذلك فرحا عظيما ورجع. وكان ذلك سنة 1243هـ/1827م.

وكان سبب قتل احمد بن اعلي الكوري أنه مر، ومعه جيشه، بأولاد آگشار بن أحمد الصغير عند حي الشرفاء (أهل سيدي يعرف) بالگصعة (بين الظهر وبرويت)، فلما رأى أولاد بنيوگ الذين في جيش احمد بن اعلي الكوري أولاد آگشار ثارت حفائظهم للعداوة القديمة التي بينهم فحملوا عليهم ففر أولاد آگشار، واختبأ رجل منهم يدعى ابن أعمر بن آيه في شجرة من الأراك، فبينما هو كذلك إذ مر به احمد بن اعلي الكوري يريد أن يرد أولاد بنيوگ عن أولاد آگشار فرماه فقتله، ثم عمد إلى يده التي فيها خاتمه فقطعها، وركض بها إلى الأمير أعمر بن المختار فوافاه بتفلي ضحى

[641] أضاف محمد بن أبي مدين في حاشيته على التكملة: «فمر أحد بأم راص [زوجة الأمير أعمر وهي أم الأول وجدة الثاني] وهما بين يديها وهي تقول: اللهم هذا ولا قارب إفكو»: السفينة التي اتجه إليها ابن عمير فقتل عندها.

فألقاها بين يديه[642]، وكان عمير قد مات قبل هذا التاريخ بفترة وجيزة فاستقام الأمر للأمير أعمر بعد هذا.

وكانت سنوات الحرب المذكورة بين الطرفين (1822م-1827م/ 1237هـ-1243هـ) قد أثرت على التجارة مع الأوروبيين، كما قوضت الاستقرار في المنطقة. وانقسم الفرنسيون بين رأي مؤيد لدعم الأمير أعمر بن المختار على أعدائه ومقايضة هذا الدعم باتفاقيات جديدة للاستفادة من مزية وجود زعيم واحد قوي للترارزة عبر عنه الوالي البارون روجي في رسالته الموجهة إلى وزيره في إبريل 1822م (رجب 1237هـ) بقوله: «إنه لسؤال كبير أن نعرف ما إذا كانت سياسة [مستعمرتنا في] السينغال تقتضي شق صفوف الترارزة أو توحيدها تحت قيادة زعيم قوي. و[أنا] أميل شخصيا إلى هذا الرأي الأخير لأنه من الأفضل أن نتعامل مع زعيم واحد لديه ما يخشى فقدانه بدلا من التعامل مع عدة زعماء يبحثون عن ما يغنمونه(...) والدليل على ذلك موجود على مستوى البيضان أنفسهم، فأمير البراكنة قد قضى على الأوليغارشيا في المناطق التابعة له، وعلاقتنا معه أسهل بكثير، وأكثر اطمئنانا وثقة...[643]»، ورأي مطالب بتأجيج الحرب ضد الترارزة عن طريق تجنيد أهل والو وأنصار ابن اعلي الكوري، والعمل على كسب إيدوعيش والبراكنة وتعبئتهم ضد الأمير أعمر ضمن إجراءات أخرى كان يطالب بها بعض الإداريين الفرنسيين ولوبي التجارة النافذ[644] تهدف إلى وقف مسلسل الاتفاقيات التي تبرم مع الترارزة عن طريق تنازلات يصفونها بأنها مهينة وباهظة، ولا يمكن التنبؤ بعواقبها.

---

[642] زاد ابن أبي مدين: «فألفاه يصلي الضحى خارج محلته فنفض الغمد – وكان قد خبأ يد ابن اعلي الكوري فيه- فسقطت اليد فعرفها أعمر فسجد شكرا لله». ابن بابا، ص 56.

[643] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص 131.

[644] من ضمن هذه الإجراءات كما ذكر أرنست بروني: اعتراض قوافل الزرع التموينية وهدم قرى گنار، ومعاملة زوايا الترارزة بما يعامل به أبناء حسان أثناء الحرب... إلخ.

ورغم أن فرنسا باركت جهود البارون روجي المنصبة على تسوية الخلافات مع الأمير أعمر ومضاعفة الامتيازات له مقابل تخليه عن الإنكليز، كما تجسد ذلك في اتفاقيات 17 يوليو (20 ذي القعدة) و19 أغسطس (23 ذي الحجة) 1824م (1239هـ) و 5 يناير 1825م (15 جمادى الأولى 1240هـ) و4 فبراير 1826م (26 جمادى الثانية 1241هـ) فإنها لم تتخل كليا عن الرأي الآخر إلا في سنة 1828م (43-1244هـ) بعد ما كان حليفاها المحليان الرئيسيان ضد الأمير أعمر بن المختار: احمد بن اعلي الكوري وابراك (ملك) والو يريم امبانييك قد ماتا.

ولم يلبث الأمير أعمر بن المختار بعد احمد بن اعلي الكوري ويريم امبانييك إلا قليلا فقد مات بدوره مطلع 1829م/ 1244هـ.

13- إمارة محمد الحبيب بن أعمر بن المختار بن الشرقي:

وخلف أعمر بن المختار على رأس الإمارة ابنه محمد الحبيب، وكان من أعظم أمراء الترارزة وأشدهم حنكة، وكان من أهل الخير يبجل العلماء ويعف عن أموال الناس[645]، وتمكن بفضل مهارته السياسية أن يوطد سلطته في الداخل ويفرض نفوذه على جيرانه من الوالو والبراكنة، بل ويمده إلى داخل كايور واچيولوف، كما استطاع أن يستفيد من التنافس الإنكليزي الفرنسي على التجارة مع الترارزة، فلكي يستأصل الخلافات الداخلية في أولاد أحمد بن دامان تزوج بامبيريكه بنت عمير بن سيدي المختار بن الشرقي لرأب الصدع الذي أحدثه اغتيال أخيها محمد فال بن عمير، كما تزوج فاطمه بنت احمد بن سيدي أحمد رئيس أولاد دامان ليعيد إلى القبيلتين تعاضدهما الذي قضت عليه الحروب التي تلت جرح أحمد بن محمد آجمار في عهد اعلي الكوري، بينما صالح المختار بن احمد بن اعلي الكوري على أن يتخلى نهائيا عن المطالبة بعرش الترارزة ويعترف بإمارة محمد الحبيب منهيا بذلك صراعا دام نحو

[645] انظر ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص 57

عقدين من الزمن بين فرعي السلطة الأميرية (أهل أعمر بن اعلي وأهل الشرقي بن اعلي).

ووضع الأمير محمد الحبيب حدا للصراع مع الفرنسيين بتوقيعه معهم اتفاقية بتاريخ 25 مارس 1829م (19 رمضان 1244هـ) قاد مفاوضاتها أخوه أحمد ابن الليگاط[646]، وقد مكنت الترارزة من الحصول على مكاسب جديدة من الفرنسيين، والتأكيد على استمرار العمل باتفاقية 1821م (1236هـ) المعترفة بحقوق الترارزة في الوالو.

وتقديرا لمحمد الحبيب تم التوقيع في 23 إبريل 1829م (19 شوال 1244هـ) على اتفاقية إضافية مع هدي بن عمير أخي ووارث محمد فال بن عمير الذي تزوج محمد الحبيب أخته امبيريكه، تم من خلالها استئناف دفع الفرنسيين للضريبة العرفية التي كانت تدفع لمحمد فال بن عمير اعترافا بدوره في منع فتح ميناء بورتانديك الإنگليزي وتطوير التجارة الفرنسية باندر[647].

وقد حدث توتر مفاجئ دفع الفرنسيين إلى فرض حصار جديد على ميناء بورتانديك الإنگليزي، وخيمت أجواء الحرب على الفريقين (الفرنسي والتروزي) بعد مقتل أحد تجار اندر المولدين (من أسرة مختلطة فرنسية سينغالية) يدعى جاك ماليفوا، ولم تنقشع هذه الأجواء إلا بتوقيع محمد الحبيب لاتفاقية سلام مع الوالي الفرنسي كيرنل تقضي بنفي المتهمين بقتل ماليفوا من الترارزة. غير أن الفرنسيين قاموا بعد ذلك باعتقال المختار بن امحمد بن اعلي الكوري الذي سافر إلى اندر للتفاوض بخصوص ضرائبه العرفية المعلقة منذ مقتل ماليفوا، وحاكموه ثم أعدموه في 19 دجمبر 1832م (26 رجب 1248هـ)، فرد الأمير محمد الحبيب على هذا الإعدام بإعلان القطيعة مع الفرنسيين، وأوعز إلى أنصاره بشن الغارات على المصالح الفرنسية، وبحرمان

---

[646] الليگاط اسم زوج حاضنته فنسب إليه.

[647] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص105.

الفرنسيين من التموينات التي كانوا يحصلون عليها من الوالو[648]، وتزامن ذلك مع احتدام الصراعات من جديد على عرش الوالو بين افارا ابندا وخارفي أكزاري، حيث لجأ المتصارعون إلى طلب تدخل الترارزة، وكان محمد الحبيب قد مد في مايو 1831م (ذي القعدة 1246هـ) يد العون لخارفي مما مكنه من طرد افارا بندا وأنصاره إلى كايور، ثم اقتضت المصلحة إعادة افارا ابندا والتخلي عن خارفي من قبل الترارزة.

ودخلت الوالو في تحالفات وانقسامات شارك فيها الفرنسيون المتربصون بالمنطقة. وانتهز محمد الحبيب هذه الفرصة ليتفق مع زعماء الوالو على التحالف ضد الفرنسيين لحملهم على التعامل معهم تعاملا أفضل. واقترح بعض النافذين من الوالو على الأمير محمد الحبيب التزوج بالأميرة چنبت وصية عرش الوالو، فتم زفها إليه يوم 8 يونيو 1833م (19 محرم 1249هـ)، وزاد هذا الزواج من حنق الفرنسيين على الترارزة حيث اعتبره الوالي سين جرمين «حدثا ستكون له نتائج بالغة الخطورة... لأنه سيمكن يوما ما من تتويج أحد ملوك البيضان ملكا شرعيا لهذا البلد... ومن تخريب القاعدة الأهم التي ترتكز عليها المستعمرة والمتمثلة في حياد الضفة اليسرى أثناء النزاعات المتكررة مع البيضان»[649]. وأطاح الوالي الفرنسي في 19 يوليو 1833م (1 ربيع الأول 1249هـ) بالملك افارا ابندا متهما إياه بالتواطؤ مع البيضان، وأرجع مكانه خارفي الذي كان منفيا باندر.

وأمام عجزه عن فسخ زواج محمد الحبيب بچنبت أعلن الوالي الحرب على الطرفين الترارزة والوالو يوم 25 يوليو 1833م (7 ربيع الأول 1249هـ) فأحرق القرى الموجودة على الضفة اليسرى، وشل التبادل في المنطقة مما تسبب في تذمر التجار الفرنسيين، وأرسلت فرنسا قوى عسكرية بقيادة النقيب كيرنيل لحسم الموقف لصالحها. ولم تدفع سياسة سين جرمين إلا إلى مزيد من تردي الأوضاع.

---

[648] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص134.

[649] المرجع نفسه، ص138.

وعينت فرنسا واليا جديدا هو بيجول سنة 1834م (1249هـ) فقام بتجميد الحملة العسكرية ضد الوالو والترارزة معتبرا أن سياسة سلفه لم تجر إلا الخراب والدمار في الوالو، داعيا إلى استبدال الحملة العسكرية بحصار اقتصادي وعسكري ضد الطرف الأقوى الترارزة. ووقع بيجول في 30 أغسطس 1835م (5 جمادى الأولى 1251هـ) اتفاقا جديدا مع أحمد ابن الليگاط والوزير المختار بن سيدي باسم الأمير قبل من خلاله محمد الحبيب التنازل عن عرش الوالو. وأعلن عن عفو عام وعن تبادل للأسرى الذين كان الطرفان يبيعانهم كعبيد، كما تم تأكيد العمل باتفاقيتي 7 يونيو 1821م (6 رمضان 1236هـ) و15 أغسطس 1829م (15 صفر 1245هـ).

لكن محمد الحبيب لم يتخل عن الوالو الذي فتح له مصراعيه وهاجم انطلاقا منه كلا من اچيولوف وكايور[650].

ومن جانبه فرض بيجول حصارا على ضفتي النهر للحيلولة دون تموين الترارزة منها، وبعث بسفينة حربية إلى بورتانديك بقيادة دونوا فوجد سفينتين إنگليزيتين تقومان بالتبادل مع البيضان فاستولى على إحداهما وأجبر الأخرى على الفرار، وشتت بطلقات من المدفعية مخيم البيضان الملتئم حول خيمة نصب عليها العلم الإنگليزي. وقد احتج الوالي الإنگليزي في غامبيا بشدة على هذه الإجراءات معتبرا إياها خرقا سافرا استند إلى تأويل خاطئ للمادة 11 من اتفاقية 1783م (1197هـ) الموقعة بين البلدين[651].

ولم يكتف الوالي الفرنسي بيجول بما قام به، بل طلب من وزير البحرية والمستعمرات أن يأذن له في فرض حصار بحري على ساحل بورتانديك بوصفه الوسيلة الوحيدة لحرمان الترارزة من التزود بالأسلحة والذخيرة وحملهم على التنازل. وأعطى الوزير موافقته المتحفظة جدا على فرض ذلك الحصار في رسالته المؤرخة بـ 12 دجمبر 1834م (11 شعبان 1250هـ) موصيا بإشعار الإنگليز بما يتخذه الفرنسيون من

---

[650] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص108.

[651] محمد المختار بن السعد، تاريخ إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص404.

خطوات، كما عمل من جهة أخرى على إقناع زميله وزير الخارجية بفكرة فرض الحصار على السواحل التروزية. وبعد أخذ ورد قبل وزير الخارجية على مضض بالفكرة، وتم اتخاذ إجراءات حصار خليج بورتانديك من قبل الفرنسيين في يناير 1835م (رمضان 1250هـ). وفي 15 فبراير 1835م (17شوال 1250هـ) كانت السفن الحربية الفرنسية تحاصر فعلا مداخل بورتانديك.

واحتج الإنكليز من خلال مذكرة سلمها وزير خارجيتهم اللورد بالميرستون لسفير فرنسا في بلاده ينتقد فيها لجوء الفرنسيين إلى مثل هذه الإجراءات الظالمة والعنيفة التي تمنع الإنكليز من الاستفادة من حقوقهم التجارية ببورتانديك منددا في الوقت نفسه بما يمارسه الفرنسيون من ضغوط مستمرة على الترارزة لمنعهم من مبادلة العلك على المحيط مستشهدا في هذا الصدد بالاتفاقيتين الموقعتين في 2 مايو و20 يوليو 1785م (22 جمادى الثانية و13 رمضان 1199هـ) في عهد الوالي ريبانتينيي بين مدير شركة العلك دوران وشمش إيدوالحاج واعلي الكوري، اللتين قدمت فرنسا من خلالهما مكافآت مغرية للترارزة، كما جدد احتجاج بلاده على تفسير الوالي لاتفاقية 1783م (1197هـ)، وجدد طلب التجار الإنكليز المتضررين للتعويض، وأكد أن قرار حصار بورتانديك لا يستند إلى أي أساس شرعي جدي.

ولما تسلم وزير الخارجية الفرنسي الحريص على التهدئة مع الإنكليز المذكرة أحالها إلى زميله وزير البحرية والمستعمرات يوم 23 مايو 1835م (25 محرم 1251هـ) معربا عن رغبته في رفع الحصار عن بورتانديك استجابة للطلب الإنكليزي.

ورد وزير البحرية والمستعمرات الأميرال ديبيري على المذكرة الإنكليزية محملا مسؤولية الحصار للإنكليز الذين وفروا سنة 1834م (1250هـ) الأسلحة والذخيرة للترارزة مما غير موقفهم تماما من تجنب الحرب مع الفرنسيين، مؤكدا على أن الحصار كان ضروريا جدا لتحقيق السلام مع الترارزة.

وتوصل الإنكليز والفرنسيون بعد ذلك في 4 يوليو 1835م (7 ربيع الأول 1251هـ) إلى صيغة تفاهم تصون الصداقة القائمة بينهما، وتقضي برفع الفرنسيين

الحصار عن بورتانديك مقابل قبول الإنگليز بتفتيش سفنهم للتأكد من خلوها من السلاح حتى يتحقق السلام في الترارزة، وطالب الإنگليز الفرنسيين بالبرهنة على صدق نواياهم لأن «سلوك السلطات الفرنسية في السينغال يحمل كثيرا على الاعتقاد بأنهم يسعون إلى القضاء على التجارة الإنگليزية لضمان احتكار فرنسا لتجارة العلك[652]». وكانت تخوفات الإنگليز في محلها، فالفرنسيون كانوا يهدفون من وراء الحصار إلى تحجيم الضرر اللاحق بهم جراء استقطاب الإنگليز لعلك الترارزة، كما سبق لوزير البحرية الفرنسي أن اعترف به في مذكرة بعث بها إلى نظيره في الخارجية بقوله: «لقد فهمت الحكومة تلك الحقيقة مما حملها على استخدام حقها في حظر بورتانديك على الإنگليز بإعلان حصار يتخذ من حالة الحرب مع الترارزة ذريعة، بيد أنه يجب الاعتراف بأن إجراء كهذا، ولو كان مشروعا، فقد خلق وضعية منافية للوحدة الوثيقة القائمة بين الحكومتين في أوروبا[653]». وأكد الوالي الفرنسي في السنغال هذا الموقف رغم تنفيذه أوامر وزيره برفع الحصار عن بورتانديك في 14 أغسطس 1835م (19 ربيع الثاني 1251هـ) بقوله: «إن إعادة العلاقات التجارية بين الإنگليز والترارزة يعني إطالة أمد الحرب وتخريب تجارة الفرنسيين[654]». وفي 30 أغسطس 1835م (5 جمادى الأولى 1251هـ) تمكن افرانسوا بيلگرينيه الذي كانت تربطه بالترارزة علاقات تجارية وسياسية حسنة من إقناع الأمير محمد الحبيب بتوقيع اتفاقية تنهي الحرب التي أججها زواجه بچنبت بإعلانه عن تنازله عن عرش الوالو، غير أن هذه الاتفاقية لم تمنع محمد الحبيب من مواصلة التدخل في شؤون الوالو، كما زادت من توتر العلاقات بين الفرنسيين والإنگليز الذين ضاقوا ذرعا بتعليق الوالي الفرنسي على قراره المقتضي رفع الحصار عن بورتانديك بأنه يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ الإجراءات الكفيلة بصد الترارزة عن الشاطئ.

---

[652] المرجع نفسه، ص406.

[653] المرجع نفسه، ص407.

[654] المرجع نفسه، ص408.

وتوتر الوضع بين الدولتين لدرجة أن سفنهما الحربية تقابلتا على سواحل بورتانديك. وفي سنة 1836م (1252هـ) وصل الوالي الإنكليزي راندال إلى بورتانديك، وأبرم اتفاقية جديدة مع الترارزة تمنح إنكلترا بموجبها للترارزة ضريبة عرفية مقدارها 480 بيصة من النيلة مقابل السماح للإنكليز بالرسو في جيوه الأقرب لمناطق إنتاج العلك من بورتانديك بنحو مائة كلمتر.

ثم حلت الجهود الديبلوماسية بين فرنسا وإنكلترا محل الصدام، وقبلت الدولتان بتحكيم ملك بروسيا بينهما، فحكم في 14 نوفمبر 1842م على فرنسا بتعويض السفن الإنكليزية الثلاث المتضررة من حصار (1834-1835م/ 1249هـ_1251هـ) عن خسائرها مبلغ 41770 أفرنك فرنسي[655].

وظل التوتر والصراع يخيمان على العلاقات الفرنسية التروزية بسبب حملات الترارزة المتلاحقة في الوالو وكايور واچيولوف، والتي تكثفت اعتبارا من 1840م (1256هـ)، وقتل خلالها الفارس المغوار أبي بن اعلي خملش (قتل سنة 1840م 1256هـ[656])، فقد كان لمحمد الحبيب في 1842م (1257هـ) مغرم سنوي على ملك اچيولوف قدره 200 ثور، كما كانت لأسرة أخيه بوحبيني مغارم على تلك المملكة قدرت في 22 اكتوبر 1842م بمائة بيصة (17 رمضان 1258هـ).

وعندما سعى الفرنسيون إلى إنشاء مركز تجاري في ميرينانگيم سنة 1842م (57-1258هـ) لاستقطاب تجارة الممالك السينغالية الأربع (اچيولوف، كايور، فوته، الوالو) واستغلال علك بونون للتخفيف من وطأة الاعتماد الفرنسي على علك البيضان نقل محمد الحبيب حيا تروزيا إلى عين المكان لاعتراض القوافل المتجهة إلى ذلك المركز، وفرض غرامات باهظة على من يجني علك اچيولوف من رعاياه. وحظرت چمبت على رعاياها الاتجار مع ذلك المركز عملا بأوامر محمد الحبيب.

---

[655] المرجع نفسه، ص410.

[656] أحمد سالم بن باگا، مرجع سبق ذكره، ص289.

ثم جرت المفاوضات بين الفرنسيين والترارزة لتخفيف حدة التوتر، وتوجت هذه المفاوضات بتوقيع اتفاقية 13 أغسطس 1842م (6 رجب 1258هـ) مع سيدي أحمد بن محمد شين بن الشرقي بن هدي بن أحمد بن دامان بخصوص سبل جباية مغارم أسرته على أهل كايور ، ثم 22 أكتوبر 1842م (17 رمضان 1258هـ) مع المختار بن سيدي بن عبد الوهاب السباعي وزير الأمير محمد الحبيب بشأن مغارم الترارزة على أهل اچيولوف، وكيفية حفظ الأمن فيها. وأدت هذه الاتفاقية إلى رفع الحصار عن مركز ميرينانگيم والحد من حملات الترارزة في اچيولوف مقابل التزام فرنسا بدفع ضرائب عرفية للأمير ولوزيره سنويا، كما نصت الاتفاقية على أن تدفع فرنسا للإمارة قيمة المغارم التي للترارزة على أهل كايور، ثم تتولى هي جبايتها منهم بعد ذلك.

وتزايد شعور الفرنسيين بأنهم لن يستطيعوا جر الترارزة إلى التنازل عن جنوب النهر لتمكينهم من تحقيق مطامحهم ما دام تبادلهم مع الإنگليز قائما، فألحوا على إعادة طرح فكرة مبادلة موقع بورتانديك الإنگليزي بموقع ألبريدة الفرنسي على الساحل الغامبي الذي تسعى إنگلترا جاهدة للحصول عليه. وكانت هذه الفكرة طرحت لأول مرة في المفاوضات الفرنسية الإنگليزية سنة 1832م (47-4812هـ)، ثم أعيد طرحها سنة 1843م (1259هـ)، وكتب بشأنها والي السينغال سنة 1844م (1260هـ) إلى وزير البحرية والمستعمرات إن «محطة بورتانديك وحدها يمكن أن تمنح البيضان وسيلة لتأخير مفعول مخططاتنا، وعليه فإنه ينبغي لأكثر من سبب أن نحصل من إنگلترا على تنازل عن حقها في التبادل في هذا المركز الذي تمنحها إياه الاتفاقيات وتعويضها عنه بمركزنا الهزيل بألبريدة مصدر الشكاوى والاحتجاجات الإنگليزية المستمرة[657]».

وفي سنة 1263هـ 1847م نازع أحمد بن الليگاط أخاه الأصغر محمد الحبيب على الإمارة فانقسمت جماعة الترارزة عليهما، ونجم عن ذلك أيام منها يوم "شبك" (80

[657] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص134.

كلم شمال شرق المذرذرة). ثم آل الأمر بأحمد بن الليگاط إلى أن لجأ إلى أرض البراكنة، وكون مع سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي تحالفا ضد الأميرين أمير البراكنة محمد الراجل وأمير الترارزة محمد الحبيب. وتعاطف جناح أولاد السيد البركنيين مع سيدي اعلي وابن الليكاط مما أقلق محمد الراجل على مستقبل سلطته، فطلب الدعم من محمد الحبيب الذي كان يهدد بغزو أخيه بعدما اتخذ من أرض البراكنة نقطة انطلاق يغير منها على القبائل المساندة للأمير محمد الحبيب. وتحرك محمد الحبيب على رأس جيش جرار لوضع تهديده موضع التنفيذ، لكن الوالي الفرنسي ديشاتو تحرك على الفور عبر النهر لمد يد العون للبراكنة إذا لم يعدل محمد الحبيب عن موقفه. وتقابل الرجلان عند محطة گايه التروزية الواقعة على مشارف أرض البراكنة في الخامس من مايو 1848م (فاتح جمادى الثانية 1264هـ)، وفشلت مفاوضاتهما بسبب إصرار الأمير محمد الحبيب على تنفيذ مشروعه. ولم تكن البراكنة آنذاك قادرة على صد جيش محمد الحبيب القوي فتدخل ديشاتو بثلاث سفن حربية لنقل الذراري والأموال إلى الضفة اليسرى للنهر، ولتغطية انسحاب جيش أولاد السيد وحليفيهما سيدي اعلي وأحمد بن الليگاط نحو گورگل.

ولم يتراجع محمد الحبيب عن غزو البراكنة إلا بعد أن أخبروه بأن ابن الليگاط قد ارتحل إلى إدوعيش.

وأصدر الوالي الفرنسي تعميما (أمرا إداريا) يدعو الترارزة والبراكنة إلى احترام الكيانات السياسية القائمة، ويعتبر أي غزو يقوم به طرف ضد الآخر نيلا خطيرا من مصالح الجميع. وقال الوالي في تقرير آخر له: «لم يكن لدي من هدف سوى المحافظة على المنافسة الضرورية لتجارتنا بين أمة البراكنة وأمة الترارزة، فوجودهما معا ليس مفيدا لمصالحنا فحسب بل إنه ضروري[658]».

[658] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص363.

وبعد أشهر ظهر أحمد بن الليكاط مجددا في البراكنة، فهدد محمد الحبيب بغزو البراكنة مرة أخرى للقضاء على تمرد أخيه ودعم حليفه الجديد احمد بن محمد بن سيدي (ابن أخي الأمير البركني المختار بن سيدي) ضد الأمير محمد الراجل، فتوعد الوالي الفرنسي الجديد بودينه باتخاذ إجراءات انتقامية ضد محمد الحبيب إذا ما نفذ غزوه للبراكنة، ثم تراجع ملتزما الحياد بين التارزة والبراكنة، بسبب ضغط التجار الفرنسيين من جهة، وشعوره بالعجز عن تنفيذ تهديده من جهة أخرى. وتعززت قناعة بودينه بسلامة موقف الحياد بعد التقائه بمحمد الحبيب عند محطة ديه البركنية، وبعد التحريات التي قام بها على مستوى أولاد السيد، حيث أعرب بودينه لوزير البحرية والمستعمرات عن تأكده من سلامة موقف محمد الحبيب. وقد استاءت وزارة البحرية والمستعمرات من موقف الوالي ونددت به معتبرة أنه ترك محمد الحبيب يتصرف كما يحلو له على الساحة البركنية.

وكان محمد الحبيب قد تمكن في هذا الخضم من لعب دور حيوي في إيصال محمد الراجل (1844م/ 1851م_ 1260هـ/ 1267هـ) إلى السلطة ثم الإطاحة به وإحلال احمد بن سيدي (1851م/ 1858م) محله، وصراعات هذا الأخير مع سيدي اعلي بن أحمدو (1858م/1893م- 1275هـ/ 1311هـ).

وهكذا استطاع محمد الحبيب، كما كتب فيديرب «بذكائه أن يقسم البراكنة إلى حزبين ساندهما تباعا ليبطل كل منهما مفعول الآخر، كما أصبح سيد السينغامبيا[659]»، فكان محمد الحبيب يعتبر نفسه مالكا للوالو، وقد كتب إلى الوالي الفرنسي في اندر في إبريل 1848م (جمادى الأولى 1264هـ) رسالة يخبره فيها بأن «الدخله المبني فيها [مقر الفرنسيين باندر] ملك لهم كملك عبيدهم وبقرهم وإبلهم وخيلهم[660]»، وفي كايور كان وزير الملك سنة 1850م (1266هـ) أحد رجالات محمد الحبيب. وقد أكد فيديرب هذه الحقيقة في 1852م (1268هـ) بقوله: «إن وزير دامل (ملك) كايور

[659] المرجع نفسه، 369.

[660] المرجع نفسه، ص48.

البالغ النفوذ اليوم هو زاو بيضاني، وإن الترارزة أصبحوا يقولون ويفعلون ما يحلو لهم في كايور بوصفهم أسياد ذلك البلد[661]».

وكان أحمد ابن الليگاط قد شعر بأنه لا بقاء له في البراكنة، فالتحق بقومه من خندوسة الذين يقال إنهم ربما كانوا قد حرضوه على مناوأة محمد الحبيب[662]، والمشهور أنهم وجدوا على محمد الحبيب فهاجروا إلى أولاد يحي بن عثمان بآدرار سنة 1848م/ 1264هـ وعلى رأسهم سيدي أحمد بن احمد شين بن الشرقي بن هدي وسيدي أحمد بن عثمان بن إبراهيم اخليل، وابن أخي محمد الحبيب سيدي أحمد بن اعلي خملش بن أعمر بن المختار[663]. وعمل المنشقون من الترارزة (أحمد ابن الليگاط وخندوسة) بدعم من أمير آدرار أحمد ابن عيده على شن الغارات على الترارزة، غير أن غاراتهم ظلت محدودة التأثير باستثناء غارة "الملحس" التي قادها أمير آدرار ابن عيده بنفسه على محصر محمد الحبيب حينما كان بآوكار في غير منعة من قومه سنة 1265هـ/ 1849م فظفر وانتصر. وقد سمي غزو ابن عيده هذا غزو "المنكاسه" لأنه نهب كل شيء.

وأراد الأمير محمد الحبيب أن ينتقم من هذا الغزو، فقاد في السنة الموالية (1266هـ/ 1850م) حملته المشهورة بالصولة ضد آدرار في ثمانمائة مقاتل، وكان أحمد بن الليگاط قد اغتيل في نفس السنة بتشله (تيرس) على يد رجال من لعلب المشايعين للأمير. وركب محمد الحبيب صائلا باتجاه آدرار من تيلماس شمال إگيدي، وأقسم ليصلين أربع ركعات في ظل "أماسين" (دار إمارة أولاد يحي بن عثمان في أطار).

ولما علم به أهل آدرار بعثوا طليعة تسد الطريق التي يدخل منها القادم من جهة الگبلة في وجههم، فلما رأى جيش الترارزة الطليعة رجع على أعقابه، ثم كر سالكا طريقا غير الطريق الأول فاقتحم عليهم من حيث لم يحتسبوا فانهزموا في وجهه، فدخل أطار وحرق بعض نخل أهل عيده في آمدير، وأقام أياما بمقر ابن عيده الرسمي في كنوال،

---

[661] المرجع نفسه، ص375.

[662] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص134.

[663] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص295.

ثم نهب الأموال واستاق الأنعام وقفل راجعا بعد أن صلى في ظل "أماسين". ولم يلق مقاومة من أولاد يحي بن عثمان الذين تحصنوا في جبالهم[664].

وتبع سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل محمد الحبيب ليستنقذ حلائب أهل أحمد بن عيده وكان قد تزوج بفاطمه بنت أحمد ابن عيده، فأمر محمد الحبيب أصحابه أن يتخلوا له عنها لمكان صهارته.

وبعد هذه الحملة جنح ابن عيده وزعماء خندوسة للسلم، واتصلوا بالشيخ سيديا الكبير للتوسط فيهم لدى محمد الحبيب، وكان الشيخ سيديا أحد أعظم القادة الدينيين الذين عرفتهم المنطقة، فسعى في هذا الصلح بعدما جعل ابن عيده وزعماء خندوسة الذين وفدوا إليه أمرهم بيده، وكتب إلى محمد الحبيب: «أما بعد فاعلم أعلمنا الله وإياك الخير، ووقانا وإياك المكروه والضير، أن الأعيان والرؤوس من طائفة خندوسة قد نزلوا علينا، واجتمعوا بما عندهم لدينا، فلما مضت لهم عندنا أيام، وتحاورنا معهم في عدة مجالس بالكلام، نظرنا في حقائق نياتهم، وبحثنا عن صفاء طوياتهم، فإذا هي في جهتك وجانبك حسنة، مستقيمة جيدة مستحسنة, وإذا أهلها قد جاءوا متنصلين، منفصلين عما كانوا به إلى قصدهم متوصلين، ورافضين معرضين عما كانوا به معارضين، قد تركوا العناد، واستعملوا السداد. فلما تبين لنا ذلك، واطلعنا على جميع ما هنالك، استخرنا الله تعالى واستشرناه في السعي بينك وبينهم بالإصلاح المرجو من الله تعالى أن يكون سببا للنجاح والفلاح...[665]».

---

[664] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص370.

[665] كانت هذه الرسالة واحدة من الرسائل العديدة التي تبادل الشيخ سيديا مع الأمير محمد الحبيب الذي ظل يشك في نوايا خندوسة تجاهه، فجدد إليه الشيخ سيديا الكتابة يحثه على مصالحتهم: «الحمد لله وحده، وصلى الله على من النبي بعده، هذا وإنه من عبد ربه الغني به سيدي بن المختار بن الهيبه إلى سيد أقرانه، ومقدم أهل زمانه، محمد الحبيب بن أعمر بن المختار حفظه الله ورعاه، وحمد مسعانا ومسعاه، ونضر أيامه، ونص أعلامه، وجعله من الأمراء العادلين، والسلاطين المطيعين، وعباد الله الصالحين، المهتمين بإصلاح ذات بين المسلمين، وبالحرص على ما يصلح دينهم ودنياهم، ويجبر كسرهم ويديم جبرهم أجمعين، بالسلام التام، الطيب العام، والتحية البالغة والإكرام، أما بعد: فإننا نريد منك ونأمرك أن تقوم على ساق الجد والاجتهاد، وتشمر عن ساعد بذل الوسع والاستعداد، في إصلاح ذات بين المسلمين، وإطفاء نار الحرب الموقدة بين أهل هذه الأرضين، واجعل ذلك قربة تتقرب بها لمولاك الذي أنعم عليك، وأحسن إليك، فاستخلفك

وآل الأمر إلى قبول محمد الحبيب في النهاية، سنة 1270هـ/ 1853م بعد طول تردد شفاعة الشيخ سيديا مخاطبا إياه بقوله: «إني قد أمنتهم، ولكنهم قاتلي لا محالة، وكأني بك إذا سمعت ذلك تقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، إنهم قتلوا أميرا عادلا[666]».

وخلال هذه الفترة تجلت بشكل واضح النزعة الفرنسية الهادفة إلى إرساء سياسة استعمارية جديدة في المنطقة ترتكز على ترسيخ الهيمنة الاستعمارية جنوب نهر السينغال عن طريق القضاء على سلطان الترارزة جنوب النهر من جهة، وتغيير شروط التبادل التجاري مع البيضان (إلغاء المواسم والمحطات التقليدية والضرائب العرفية) من جهة ثانية. وتجسدت هذه النزعة في التوجيهات الرسمية التي بعث بها

وأولاك ما أولاك، ونحن نعينك، إن شاء الله، ونقوي ظهرك، ونشد بجند الدعاء وعضد الهمة أزرك. فإذا توجهت لما نريده منك ونأمرك به، وتعلقت همتك كل التعلق بسببه، فاقدم بنفسك إلينا مع حاملي الكتاب، حتى تتيخ راحلتك بالباب، أو تكون بمحل لا يشق وصوله علينا، ولا يتوجه التعب في مسافته إلينا، فحينئذ نلتقي معك، ونشتغل كلنا بما يصلح بينك وبين أبناء عمك، الذين هم عندنا قد حسبناهم وأمسكناهم عن الجهة التي كانوا ذاهبين إليها، رجاء أن يمر الله علينا بالإصلاح بينك وبينهم، وقد احتاج إلى ذلك جميع زوايا أرضكم، كما احتاج إليه الجانبان منكم، فتعين عليك الإقبال عليه، والتوجه إليه، فافعله واجتهد، وتوكل على الله فيه واعتمد، وأخلص عملك لله، وأخرج من قلبك ما سوى الله، تظفر برضى الله ونصرة الله لنصرك دين الله. قال تعالى: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}. واعلم أن أبناء عمك قد أخذوا من عندنا الورد، وأبرموا معنا العهد أن لا يخالفوننا في ورد ولا صدر، ولا يتعقبوا ما حكمنا عليهم به، ولو كان فيه الضرر، وذلك يحقق عندك، أنهم إذا صفا ما بينك وبينهم لا يحيدون بعد ذلك على السمع والطاعة لك، في اليسر والعسر والمنشط والمكره أبدا سرمدا، لكوننا نلزمهم ذلك، ونحكم عليهم بما هنالك.

واعلم أيضا أن ابن عيده جعل أمره بأيدينا وبأيدي أبناء عمك هؤلاء، فكل ما فعلناه أو فعلوه فيه فهو ماض عنده فقد كتب إلينا بذلك غير ما مرة، وأخبرنا القوم به كرة بعد كرة، وعندهم أنا لو بعثنا إليه لبادر بالقدوم إلينا وما تأخر، ثم إذا فرغنا من الإصلاح بينك وبين أبناء عمك ومن انتصر لهم، نقبل إن شاء الله على الإصلاح بينك وبين ابن سيدي، وعلى الإصلاح بين ابن سيدي وبين ابن أحمدو، ونجتهد في ذلك حتى لا يبقى بين الجميع إلا الصداقة الصحيحة، والأخوة الصريحة، وحتى ينزل كل أحد منزلته، ويعطى كل ذي حق حقه وقسمته. واعلم أيضا أن ابن سيدي من أحب تلامذتنا إلينا، وأحظاهم لدينا، يسرنا ما يسره، ويؤذينا ما يؤذيه، ولا تطيب نفوسنا بإسلامه لظالميه وأعاديه، وقد تواترت الأخبار شرقا وغربا من أهل الخبرة والبصيرة والفطنة أنه لا يصح للتقديم أحد من قومه غيره، فإذا علمت ذلك كله، أصلح الله أمورنا وأمورك وأمور المسلمين، فلا تتعرض له إلا بخير، ونحن أيضا نحكم عليه بأنه لا يسعى إلا في محابك ومراضيك، فاتق الله فيه، وارع فيه انتسابه إلينا، وتعلقه بنا، إذ صار بذلك من خواص إخوتك، وصنوان نبعتك، والسلام».

[666] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص 305.

وزير البحرية والمستعمرات جان تيودور ديكوس في رسالتين صادرتين في 4 و5 يناير 1853م (23 و24 ربيع الأول 1269هـ) إلى الوالي ابروتي قبل أن يأخذ فيديرب الذي عين واليا للسينغال في 8 نفمبر 1854م (17 صفر 1271هـ) كردة فعل على تعثر ابروتي في تطبيق السياسة الفرنسية الجديدة في المنطقة على عاتقه مهمة تجسيد هذه السياسة كما تصورها في رسالته المؤرخة في 19 يناير 1855م (30 ربيع الثاني 1271هـ).

وساعد عزوف الإنكليز عن المبادلات التجارية مع الترارزة على نجاح الجهود الفرنسية، حيث دفعت طفرة تجارة الفستق بغامبيا وإلغاء تجارة العبيد سنة (1848م/ 1264هـ) الإنكليز إلى وقف تسديد الضرائب العرفية بميناء جيوه التروزي ابتداء من 1848م (1264هـ)، مما دفع الترارزة إلى إرسال وفد إلى مركز باترس الإنكليزي بغامبيا في مارس 1850م (ربيع الثاني 1266هـ) لتشجيع التجار الإنكليز على مضاعفة مبادلاتهم مع الترارزة، مقابل خفض الضرائب العرفية.

وخلق الزهد الإنكليزي في تجارة العلك أرضية ملائمة لكل من فرنسا وإنكلترا لمبادلة حق الإنكليز في ساحل الترارزة بحق فرنسا في ساحل ألبريدة الغامبي، فأعيد طرح فكرة هذه المقايضة من جديد في مفاوضات 1852م (1268هـ) بعدما عبر وزير البحرية والمستعمرات الفرنسية جان تيودور ديكوس عن أهمية بورتانديك بالنسبة للفرنسيين بقوله: «إن القضاء على بورتانديك أهم بالنسبة للسينغال من كتيبة مشاة، فهو سبب خفي ولكن حقيقي للضعف السياسي والعسكري. إنه باب مفتوح باستمرار على عالم ينبغي أن نتمتع باحتكار التجارة فيه[667]». ثم طرحت مرة أخرى في مفاوضات 1854م (1270هـ)، وفشلت هذه المفاوضات بسبب الإصرار على حرية الملاحة المتبادلة في نهري غامبيا والسينغال.

[667] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص412.

وعندما طالب فيديرب في رسالته التي تضمنت برنامجه الاستعماري سنة 1855م (1271هـ) بإعلان الحصار على ساحل بورتانديك تأهبا للحرب مع الترارزة رد عليه الوزير باللجوء إلى ذلك الإجراء عند الضرورة القصوى فقط.

وفي مايو 1856م (رمضان 1272هـ) ألمح الوزير لفيديرب بأن هناك مفاوضات جديدة مع إنگلترا من شأنها أن تسفر قريبا عن حل أفضل من الحصار. وفي 7 مارس 1857م (10 رجب 1273هـ) تم التوقيع على اتفاقية تنص على تخلي الإنگليز عن مركز بورتانديك التروزي للفرنسيين مقابل تخلي فرنسا عن مركز ألبريده الغامبي للإنگليز.

وباختفاء الإنگليز من السواحل التروزية أصبحت الساحة شاغرة لفرنسا لتنفيذ سياستها التوسعية الجديدة.

وقد كان فيديرب واثقا منذ البداية من أن هذه السياسة الجديدة ستضعه في مواجهة مفتوحة مع الترارزة، إذ يقول في رسالته: «... إن البيضان لا يريدون تغيير أي شيء مما كان قائما، وبعبارة أخرى فهم يريدون أن نسدد لهم مبلغا معينا عن كل سفينة حسب حمولتها سواء كان بها علك أم لا (...). وقد ظل محمد الحبيب يؤكد على الدوام، ولحد الساعة، أن أي شيء لن يتغير بالنسبة للضرائب العرفية ولمحطات التبادل ما دام حيا...[668]».

أما بخصوص موقف الترارزة من أطماع الفرنسيين في الوالو وتعلق الترارزة بهذا البلد، فقد قال فيديرب: «إن قضية الوالو هي القضية الأكثر خطورة، فمن يطالب الترارزة بالتخلي عن هذا البلد كمن يطالب فرنسا بإخلاء اللورين والألزاس، بيد أنني أعتقد أن ذلك ضروري وممكن..[669]».

وبعد أن عرض فيديرب بالتفصيل في هذه الرسالة برنامج عمله على وزيره، خلص إلى القول: «أعتقد أنه في حالة استحالة التفاهم مع زعماء البلاد كما هو شأننا الآن،

---

[668] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، ص136.

[669] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

لكون أولئك الذين يتمتعون بسلطة فعلية حقا- مثل أمير التـرارزة- تعمـيهم الأبهـة والكبرياء، ولكون الآخرين لا يملكون أية سلطة...، أعتقد أنه ليس أمامنـا سـوى طريـق واحد هو أن نعمل ما نريد عمله وأن نحارب من يعارضونه...[670]».

ونفذ فيديرب رؤيته المتمثلة في اللجوء إلى القـوة لحسـم الموقـف، فبـادر الفرنسـيون في دجمـبر 1854م (ربيـع الأول 1271هــ) إلى مهاجمـة عزونـه المتمركـزين في الضـفة اليسرى للنهر، فقتلوا منهم ستين رجلا، ثم هـاجموا تندغـه في فبرايـر 1855م (جمـادى الأولى 1271هـ)[671]، قبل أن يبدأ فيديرب، في منتصف مارس (أواخر جمـادى الثانيـة) من نفس السنة في شن حملة على البيضان في الوالو وعلى التحالف المحلي الذي نظمه اعلي بن محمد الحبيب لمقاومة الغزو الفرنسـي للوالـو، كمـا أغـار فيـديرب في إبريـل 1855م (رجب 1271هـ) على التراررة قرب الركيز.

وفي 21 إبريل 1855م (4 شعبان 1271هـ) شن محمد الحبيب هجوما جريئـا علـى اندر، وصل إلى مشارف القلعة الفرنسية الحصـينة شـارك فيـه ألفـا مقاتـل أرغمتـهم المدفعية الثقيلة على التراجع.

ومات من التراررة على مشارف اندر ثلاثون شخصا منهم المبارك بن احميدها، واحمد بن أحمد بن سيدي[672].

ولدعم موقفـه العسـكري، بـادر الأمـير محمـد الحبيـب إلى نقـل الحـرب إلى الصـعيد الاقتصادي بمنعه رعاياه من بيع العلك للفرنسيين لحملهم على التنازل، وبـث العيـون لمنع أي مبادلة للعلك مع الفرنسيين.

ورد فيديرب على هذا الحصار الاقتصادي بحصـار اقتصـادي آخـر تمثـل في حظـر بيـع الأقمشة والزرع والذخيرة للتراررة.

---

[670] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[671] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص117.

[672] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ولمواجهة صمود الترارزة وأنصارهم من أهل الوالو، عبأ فيديرب قوة من 1100 جندي، وأحرق 40 قرية في الوالو، وواصل شن الحرب طوال صيف 1855م (1271هـ)، وأغار على "حلة" محمد الحبيب عند بوطريفيه.

ولجأ العديد من سكان الوالو -بمن فيهم أسرة تييديك المالكة وحاشيتها- إلى الترارزة وظلوا يقاتلون إلى جانبهم ويرفضون الانصياع لتهديدات فيديرب وإغراءاته.

ولإبعاد خطر الترارزة عن مستعمرة الوالو الجديدة، عمل فيديرب على إجلاء المجموعات البيضانية إلى الضفة اليمنى، وكتب في منشورين وزعهما في كل من الترارزة والوالو بتاريخ 8 نوفمبر 1855م (27 صفر 1272هـ): «ألم ير محمد الحبيب أن الله أجرى البحر وجعله حاجزا وفصلا وحدا بين البيضان والسودان، فلا بد من احترام حدود الله...[673]».

وأرفق فيديرب هذا التعميم بشروط للصلح مع الترارزة تتلخص في الاعتراف بكون الفرنسيين هم وحدهم حماة والو، وإلزام كل قافلة تروزية تصل إلى الوالو للتجارة فيها أو في كايور بالمرور بنقاط محددة سلفا ووفق شروط معينة، وعدم السماح لأي تروزي مسلح بعبور النهر ولا لأي حي بيضاني بالإقامة على الضفة اليسرى، وتولى والي السينغال ضمان أمن القوافل التجارية التروزية العابرة إلى الوالو أو كايور. وإذا رغبت الترارزة في المتاجرة مع الفرنسيين فإن تلك التجارة ستكون حرة تماما من أية محطة معينة أو إتاوات أو تحديد للموسم التجاري.

ورد محمد الحبيب على هذه الشروط بشروط أكثر صرامة، حيث اشترط زيادة الإتاوات الممنوحة للترازة والبراكنة والوالو، وتحطيم كافة القلاع والمراكز الفرنسية على النهر باستثناء اندر، ومنع السفن والقوارب العسكرية الفرنسية من الملاحة في النهر، ودفع إتاوات جديدة مقابل تزود الفرنسيين بالمياه والأخشاب من اندر وضواحيها، وترحيل فيديرب إلى فرنسا مذموما كشرط مسبق لأية مفاوضات.

---

[673] المرجع نفسه، ص137.

وتبادل الرجلان عددا من الرسائل، بصورة مباشرة وغير مباشرة، عزف كل منهما فيها على وتيرته الخاصة به[674]. وأعلن فيديرب خلال هذا (في دجمبر 1855م (ربيع الثاني 1272هـ)) أن الوالو أصبحت منطقة فرنسية.

ولعب الشيخ سيديا، بوجه خاص، دورا كبيرا في إصلاح ذات بين المغافرة وتوحيد كلمة الإمارات الشنقيطية للتصدي للخطر الفرنسي. وفي هذا الإطار تدخل مساعيه التي توجت باجتماع تندوجه (يناير 1856م/ جمادى الأولى 1272هـ) الذي ضم أمراء الترارزة والبراكنة وآدرار وممثلا عن أمير تگانت. كما تندرج فيه أيضا محاولات الشيخ سيديا تصنيع البارود محليا، وطلب الأسلحة من الملك المغربي المولى عبد الرحمن.

وحاول محمد الحبيب استغلال التنافس الإنگليزي- الفرنسي أثناء هذا الصراع دون جدوى، بينما نجح في تجنيد عدد كبير من زنوج الضفة اليسرى ضد الفرنسيين.

وءاوى أهل كايور والوالو لاجئي الترارزة (1856م/ 1272هـ) ورفضوا تسليمهم لفيديرب رغم تجريده لحملة تأديبية ضدهم أحرقت ونهبت حوالي 50 من قراهم.

وقد أدت سياسة التخريب التي مارسها الفرنسيون على أصعدة مختلفة داخلية وخارجية (إغراء الكثير من سكان الضفة اليسرى بالمال والسلاح بما في ذلك منحهم كامل غنائم ما يقومون به من غارات على الضفة اليمنى بمفردهم، ونصف غنائم الغارات المشتركة مع الجيش الفرنسي...)، وما أصاب قاعدة الترارزة الاقتصادية من انهيار جراء سياسة النهب الواسعة النطاق، وما عرفته الجبهة الداخلية من تصدع بسبب توقف التبادل التجاري وانتشار المجاعة فضلا عن دور الخلافات والثارات القبلية إلى جنوح بعض الزوايا وبعض بني حسان إلى المتاجرة مع فرنسا في يناير 1857م (جمادى الأولى 1273هـ)، فمنع الأمير الطرق على الممتارين، واشتد الغلاء

[674] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

حتى بيعت البقرة بكسوة عادية[675]. وعبر محمد الحبيب في ربيع 1274هـ/ 1857م النهر وأغار على نواحي لامصار، لكنه تلقى مقاومة من جيش السودان المدعوم من فرنسا.

وأدى تردي الوضع إلى قبول الإمارة في إبريل سنة 1858م (شعبان 1274هـ) بالدخول في مفاوضات مع الفرنسيين انتهت بتقديم تنازلات متبادلة وتوقيع صلح جديد بين الترارزة وفيديرب في 20 مايو 1858م (6 شوال 1274هـ)[676] نصت

---

[675] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص117. وقال أحمد سالم بن باگا: «لما اشتد الحصار على الترارزة ومنع النصارى كل ما يلبس حتى لبس الناس الجلود ومنعوا الميرة حتى صار الناس ينقعون العلك في الماء فيقتاتون به، وعظم الخطب واشتدت المجاعة، لجأ إلى محنض بابه بن اعبيد قومه من أولاد يعقنبلل فعزم على أن يرافقهم إلى مرسى إيدوالحاج بتكشكمبه وكان إيدوالحاج أخوال محنض بابه بن اعبيد في أمس الحاجة إلى من يجلب العلك إلى مرساهم، لعلهم يحصلون من وراء ذلك على بعض القوت، فأمرهم أن يتجهزوا وركب معهم. وكان محمد الحبيب قد بث العيون على الطرق لمنع الناس من جلب العلك إلى مراسي النصارى، فبينما العير تسير إذ أبصروا راكبا يقصدهم، وكان ذاك الراكب يدعى أحمد ذوته من أهل أعمر آكجيل بن هدي بن أحمد بن دامان، فلما كان من محنض بابه بحيث يسمع كلامه، قال له محنض بابه: ما تريد مني؟ وكان محنض بابه عظيم الهيئة مهابا، فرجع عنه أحمد ذوته إلى محمد لحبيب، وقال له إنه لم يجرؤ على رد عير محنض بابه، فقدمت العير على المرسى وباعت علكها وآبت بما تحتاج إليه من ثياب وميرة. فقال محنض بابه في ذلك:

جزى الله يعقوب بن ديمان إنهم ... لقاح فلا غرم عليهم ولا حجر
هم نصروا الأنصار إذ هاب نصرهم ... ذوو العلك خيرا يستدام له الأجر»

انظر، أحمد سالم بن باگا، ص334. وقد أثارت هذه الحادثة مشاعرة بين زعدر بن سيدي بن حرم بن المختار بن المعزوز بن أشفغ الأمين، ومحمذن بن محنض بابه بن اعبيد، فمن ذلك قول زعدر رادا على البيتين المذكورين:

إذا لم يكن شيء يعاب به النفر ... سوى طاعة الرحمن أو من له الأمر
فلسنا نبالي أن يزكي نفسه ... مزك يناوينا ومفخره التجر

فرد محمذن بن محنض بابه على زعدر بقوله:

على غير شيء طالما ذمنا النفر ... وذلك وزر لا يقاومه وزر
ولكننا صنا عن الهجو ألسنا ... معودة ألا يقال بها هجر

أما محنض بابه فلم يرد على زعدر.

[676] «وأثرت الحرب بين محمد الحبيب وفيديرب على وضع أولاد أحمد [البركنيين] الذين رأوا بكار بن اسويد أحمد زعيم إيدوعيش يوقع اتفاقية مع فرنسا في 1857م (1273هـ)، وتحالفوا مع أولاد دامان الذين كانوا بدورهم على وشك توقيع اتفاق مع الفرنسيين، فتخلى أولاد أحمد عن احمد بن سيدي ورحلوا نحو الشرق. وبما أن أولاد أحمد كانوا يشكلون قوة الأمير الرئيسية فقد لجأ إلى محمد الحبيب لإرجاعهم إلى الطاعة. وفاجأ أولاد أحمد الفريقين بغارة قتلوا

أهم بنوده على إلغاء ضرائب السلطة الأميرية العرفية (آمكبل) وإبدالها ببيصة عن كل 500 كلغ (وهو ما يعادل نسبة 3%) مما تتم مبادلته من العلك في المنطقة، وإلغاء محطات التبادل القديمة وتحديد دگانه واندر كمحطتين وحيدتين للتبادل مع سكان منطقة الترارزة، وإنهاء الوجود السياسي والعسكري التروزي جنوب النهر، ومنع اجتياز النهر على من يحمل منهم سلاحا، وتنازل الترارزة عن مطالبهم في البلدان الولفية المجاورة -ولاسيما الوالو- والاعتراف بسيادة الفرنسيين عليها...

وبذلك أخضع فيديرب الضفة اليسرى لاستعماره المباشر.

وقد زادت هذه الاتفاقية، التي كانت قد وقعت بنفس المضمون مع إيدوعيش قبل الترارزة في 1857م (1273هـ) ثم مع البراكنة بعدهم في 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ) من تبعية أمراء الجنوب الغربي الموريتاني لاندر، التي أصبح دورها مؤثرا في تداول السلطة الأميرية[677].

وكما تنبأ به محمد الحبيب خطط ابنا أحمد بن الليگاط، وابنا بوحبيني بن أعمر بن المختار، وسيدي أحمد بن اعلي خملش، وابن أخيه أحمد بن ابي بن اعلي خملش -على خلاف في مشاركته في القتل[678]- وأحمد بن امحمد شين، وابن أخيه المبارك بن سيدي

خلالها المختار بن أعمر رئيس طائفة من أولاد السيد والعديد من مقاتلي امحمد بن سيدي، وأسروا مجموعة من الترارزة مثلوا بها وأرسلوها إلى محمد الحبيب. وآذنت تلك الغارة بتصدع جبهتي البراكنة والترارزة مما عجل بتوقيع اتفاقيات الصلح مع فرنسا: الترارزة في 20 مايو 1858م (6 شوال 1274هـ)، والبراكنة في 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ)». بول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص69-70.

[677] المرجع نفسه، ص139.

[678] قال أحمد سالم بن باگا: «اختلف في مشاركة أحمد بن ابي (بتفخيم الباء) بن اعلي خملش في القتل، فالذي عند أولاد أحمد بن دامان - برواية الخلف عن السلف- أنه شارك فيه، وشفع فيه خاله سيدي أحمد بن عثمان بن إبراهيم اخليل عند سيدي بن محمد الحبيب، فشفعه فيه بشرط أن يخرج عن العرب إلى الزوايا، فذهب إلى الشيخ سيديا. والذي كتب إلي به السيد الفاضل بن السادة الفضلاء إسماعيل بن بابا بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا يخالف هذا ونصه: «أحمد بن اعلي خملش لم يكن من الجماعة التي اتفقت على غدر محمد الحبيب، ولم يحضر شيئا من ذلك الأمر، وكان منه براء، وكان وقت الفعلة في بيت خاص حديث عهد بعرس، فأتته خالته مريم (براء مرققة) بنت إبراهيم اخليل بجواد مسرج وعزمت عليه أن يركب حينا إلى أهل العاقل أو أهل حمدي حتى تبين أعقاب الأمر، فركب وفعل ما قالت، وسار ليلا فلم يهتد إلى الذين كان يريد، فرجع إلى المحل الذي كان فيه ضحى. فأمرت خالته زوجها محمد مولود بن بوبكر

أحمد بن امحمد شين للثأر من محمد الحبيب، وبيتوا قتله هو وابنيه سيدي واعلـي، وعينـو لذلك ليلة 15 سبتمبر1860م (29 صفر 1277هـ). فلما كانت الليلة التي عينوها ركب سيدي بن محمد الحبيب إلى بعض الأحياء لحاجة له، وركب معه سيدي أحمـد بـن إبراهيم اخليل يريد قتله إذا نام[679]، فقدر أن غشيهم مطـر حبسـهم عـن السـير فلـم يزالوا ينتظرون انقطاعـه حـتى سمعـوا أصـوات المـدافع في جهـة المحصـر (محلـة محمـد الحبيب)، وكان المحصر بالدواره (جنوب تاركّة)، فجاء الخبر إلى سيدي، ففهم أن سـيدي أحمد بن إبراهيم اخليل رافقه ليقتله، فدعاه وتنحى به عن النفر الذي معهما، وقال له: إن محمد الحبيب قد قتل، فما الرأي؟ فقال له الرأي أن تقتلني. وذلك أنه فهم أن سـيدي علم كنه الأمر، فقال له سيدي إنما أريد نصحك لا غير. فقال: إذا كان ذلك، فـالرأي أن تقتل القتلة ولا يؤويهم أحد إلا كنت عليه حربا.

وأما اعلي بن محمد الحبيب فكان في تلك الليلـة في حـي خارجـا عـن المحصـر، وكـان حديث عهد بعرس فنام في بيته، فجاءه أحمد بن امحمد شين بعدما علم بمـا بيتـه النفـر، فبات يحرسه لمودة كانت بينهما. فلما أصبح وعلم بالخبر ركب إلى المحصر، فوجد سيدي قد جهز الجيش لتعقب القتلة، وكانوا قد فروا باتجاه آفطوط الساحلي فـأدركوهم عنـد تندرشين (15 كلم جنوب شرق انواكشوط) فتقاتلوا حتى لم يبق منـهم بحلـول الـزوال إلا سيدي أحمد بن اعلي خملش، وكان بطلا فلم يقدروا عليه إلا بعـد العصـر بعـد مـا

سيره أن يسير معه إلى الشيخ سيديا ففعل، وعدم حضوره للأمر هو السبب الذي منع الشيخ سيديا من دفعه هو والمختار بن إنلل، وإبراهيم بن محمد العبد إلى إبراهيم بن حيده كبير رسل سيدي بن محمد الحبيب لما جاؤوا في طلبهم، فقال لهم: هؤلاء برءاء من الأمر، فلا أسلمهم إلى أحد، ودفع إليهم عبد أهل اعلي خملش الذي أقر بقتل محمد الحبيب مباشرة، فذهبوا به إلى سيدي، فقطعه عضوا عضوا. هكذا سمعنا أحمد بن اعلي خملش يحكي مرات كثيرة، ومحله من الصدق والدين معروف عند العامة والخاصة. وقد جرت بين الشيخ سيديا وإبراهيم بن حيده في الأمر مراجعة وحكاية شهيرة». انتهى ما كتب به إلي إسماعيل بن الشيخ سيديا. والله أعلم بحقيقة الأحوال والصادق من الأقوال». أحمد سالم بن باگا، ص304.

[679] المصدر نفسه، ص301.

نفذت ذخيرته ثم قتلوه[680]. ولم يبق من قتلة الأمير محمد الحبيب إلا المبارك بن سيدي أحمد بن امحمد شين الذي عميت أخباره حينئذ.

وخلف محمد الحبيب تسعة أبناء، هم: سيدي، وهو أكبرهم، أمه امبيريكه بنت عمير، واعلي وأمه چنبت ملكة الوالو، وأحمد سالم، وإبراهيم السالم، وأعمر سالم، والمختار السالم، والافجح، ولبات، ومحمد الحبيب، ولد بعد موت أبيه فسمي باسمه، وهؤلاء أمهم فاطمه بنت محمد بن امحمد بن سيدي أحمد رئيس أولاد ساسي.

14- إمارة سيدي بن محمد الحبيب:

وتولى سيدي الإمارة بعد أبيه محمد الحبيب، وكان أميرا عادلا، اعتمد في الحكم على أخواله خندوسة، وقرب سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل، بعدما استنقذه من القتل في أعقاب اغتيال أبيه محمد الحبيب فظل مستشارا له حتى قتلا معا. وكانت اخديجه بنت سيدي أحمد بن ابراهيم خليل زوجة له. كما قرب سيدي أخاه اعلي أكثر من إخوته الآخرين أبناء فاطمه. وواصل الأمير سيدي اتجاه أبيه في مقاومة نفوذ الفرنسيين في المنطقة رغم أن ميزان القوى رجح لصالحهم منذ اتفاقية 1858م (1274هـ).

وتميز عهد سيدي عموما بالاستقرار الداخلي وبالسلم الخارجي مع جيرانه، فلم يحارب في فترة حكمه[681].

---

[680] المصدر نفسه، ص302.

[681] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص118. وقال أحمد سالم بن باگا: «لم ينقل من الوقعات في عهده إلا وقعة "أمگجار"، وكان من خبرها أن ولد مگيه أغار على أحياء من أهل القبلة عند لوتد، وهو موضع سمي بذلك لأن به ريعة كأنهم يشبهونها بالوتد، وهو عن غرب المذرذرة يميل إلى الشمال قليلا بينهما 20 كلم، فنهب أموالا، فاستنفر سيدي في طلبه جيشا أمر عليه ابن حبيني فأدركه بالبراويات، وهي رمال ووهاد بين تارگة وءاماليل. فقتل ابن مگيه وأصحابه اثنين من الطلب، ورجع الجيش صفر الأيدي، فاستنفر سيدي جيشا جرارا من عند احسي سيدي، وهو قريب من لوتد، فلم يزل هذا الجيش سائرا وعلى رأسه الأمير سيدي حتى دخلوا محلة أولاد احي بن عثمان بأمگجار وانتصروا في هذه الوقعة، وغزي (غزو) تيكرارين، وهو جيش غزا به سيدي قاصدا أولاد احي بن عثمان في آدرار، فلما بلغوه لم يبرز إليهم أحد، وصاروا يطوفون حول حائط آدرار، فلأجل ذلك سمي الجيش"غزي كوراره"، وهو

ووقع سوء تفاهم بينه وبين أمير البراكنة سيدي اعلي بن أحمدو فدخل أرضه بالسلاح، ولكن بدفع من فيديرب وبوساطة من شمش إيدوالحاج محمذن فال بن عبد الله بن المختار عاد السلام بين الطرفين في سبتمبر 1864م (ربيع الثاني 1281هـ).

وانعقد أمر إخوته لأبيه أبناء فاطمه مع الترجمان اخيارهم بن المختار بن سيدي وبتأييد من أخوالهم أولاد دامان على اغتيال الأمير سيدي ومستشاره سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل سنة 1288هـ/ 1871م[682] فهجم عليه أخوه أحمد سالم وزفانه يوسف بن اگليب فأجهضاه ولم يمت حتى ضحى الغد. وهجم همر فال بن بوزفره وابن اعلي بن التونسي على سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل فقتلاه[683]. وكان الأمير سيدي ومستشاره ليلتها في حي من أولاد أحمد بن دامان أغلبه من خندوسة، ومعهم آل محمد بن سيدي المختار بن الشرقي العزوفي عند بوركبه، وهو بئر جنوب شرق اخروفة (14 كلم جنوب غرب المذرذرة).

15- إمارة أحمد سالم بن محمد الحبيب:

وبعد مقتل سيدي بن محمد الحبيب أعلن قاتله أحمد سالم بن محمد الحبيب كبير أولاد فاطمه نفسه أميرا في الحال[684]، وخاض اعلي الذي جند جيشا من الترارزة

الدوران. وبعد هاتين الغزوتين لم يغز أولاد احي بن عثمان الترارزة». وقال غيره: معنى غزي كورارة غزي المحصر فكورارة والمحصر بمعنى واحد. ولم يذكر هاتان الحادثتان أي مرجع متداول غيره. انظر أحمد سالم بن باگا، ص310.

[682] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص139.

[683] أحمد سالم بن باگا، مصدر سبق ذكره، ص351.

[684] قال أحمد سالم بن باگا: «لما فرغوا من دفن سيدي ارتحلوا يريدون أولاد السيد عند احسي إبراهيم شمال غرب المنرذرة، ثم أجمعوا أمرهم على إرسال أحمد بن احمد شين إلى اعلي ليبايعوه أميرا لأخذ ثأر سيدي من أولاد فاطمه، فلما أتاه امتنع من حرب إخوته التي دعته إليها الجماعة. ثم إن أولاد محمد الحبيب غزوا بمن معهم من الترارزة يريدون الطائفة المذكورة التي كانت تريد أن تؤمر اعلي، فخافوا وذهب محمد بابه بن سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل ومحمد مولود بن محمد بن سيدي ومالكيف بن سيدي أحمد بن احمد شين وسيدي أحمد بن اعلي بن محمد وسيدي أحمد بن بكار إلى أهل الشيخ سيديا ليأمنوا على أنفسهم، ثم ذهب إلى اعلي محمد امبارك بن اعلي بن محمد في طائفة، ثم ذهب إليه أيضا النفر المذكور آنفا: محمد بابه ومالكيف ومن معهما وتلاحق الجميع وراء البحر باندراكور، وهي قرية چنبت أم اعلي بن محمد

الكحل وأخواله من الوالو سلسلة من المعارك ضد أخيه أحمد سالم وشيعته من أولاد أحمد بن دامان وأولاد دامان أهمها معركة "اجله" شمال المذرذرة (سنة 1288هـ/ 1871م)، انهزم فيها أحمد سالم، ثم معركة "ملزم ازريبه" سنة 1871م، كان مع أولاد فاطمه فيها أولاد دامان، وأولاد الفاغي، وإيدوعيش الذين استنجد بهم أحمد سالم بعد وقعة "اجله"، فانهزم أولاد فاطمه كذلك، ثم وقعة "أيشايه" (في ربيع الأول 1290هـ/ مايو 1873م) غرب بوركبه، وفي هذه المعركة قتل أحمد سالم وعدد من رجاله، وانهزم قومه وحلفاؤه إيدوعيش هزيمة قوية[685].

لحبيب. ثم أتاهم هناك المختار السالم بن محمد الحبيب واخيارهم بن المختار بن سيدي بن عبد الوهاب وافدين من عند أولاد فاطمه، واعدين اعلي بالإمارة ولم يأمنهما اعلي، بل علم ما يريدان، فقال لمحمد امبارك بن اعلي بن محمد: اشغل عني اخيارهم حتى ألتقي بأمير اندرأنا والمختار السالم، وذلك أن اعلي يعرف أن اخيارهم رجل حصيف، فشغل محمد امبارك اخيارهم كما قال له اعلي، وبادر اعلي بلقاء أمير اندر مع المختار السالم قبل أن يلحق بهما اخيارهم، فلما التقوا طلب المختار السالم من أمير اندر أن يكتب إمارة الترارزة لاعلي، وأحس اخيارهم بالخطة فجاء مسرعا لكن السيف كان قد سبق العذل فوجد الإمارة قد كتبت لاعلي بطلب من المختار السالم، ثم ألبست الجماعة السروال الأبيض -الذي كان من خصائص الأمير- لاعلي. وأول ما سعى فيه اعلي بعد تنصيبه، أن طلب من أمير اندر أن يمنع المختار السالم من تجاوز نهر ابجك (نهر السينغال) فأمسك في اندكوك (ريشاتول) بأمر من الوالي في اندر». أحمد سالم بن باگا، ص345.

[685] قال أحمد سالم بن باگا في شأن وقعة أيشايه: «غزا أولاد محمد الحبيب (أولاد فاطمه ومن معهم) اعلي بجيش كبير فيه أولاد دامان، وفيه رجال من إيدوعيش، منهم المختار بن اسويد أحمد، وابابه (بباءين مفخمتين مشددتين) بين بنيوگ، ومحلة اعلي حينئذ عند (أغورط)، وهو بئر في الجنوب الغربي من المذرذرة بينهما 8 كلم تقريبا. فلما علم اعلي بالجيش خندق، فلما أحس الجيش بذلك تجنبوهم، ثم نزلوا أيشايه، فراح اعلي بمن معه وسار حتى نزل بوركبه، شرقي أيشايه فعرس به، وركب مائتا فارس من جيش اعلي تلك الليلة إلى جيش أولاد محمد الحبيب فوجدوهم مخندقين، فحملوا عليهم، واقتحموا الخنادق وهزموهم، فلما سمع اعلي صوت البارود قد شرق ارتحل فأتوا جيش أولاد فاطمه من أمامه، فلما حملت عليهم خيل اعلي انهزموا إلى جهة المشرق من حيث أتوا فصادفوا اعلي في فئة من جيشه فكانت تأتيهم الخيل من خلفهم ومن أمامهم، فانهزموا وقتل أحمد سالم بن محمد الحبيب تلك الليلة.. وكانت هذه الوقعة سنة1290هـ. وصفة قتل أحمد سالم بن محمد لحبيب إنه لما وقعت الهزيمة تحصن بشجرة فعرفه إبراهيم بن بيرم فدخل عليه، وكان أحمد سالم شديدا فنادى أبن بيرم على أصحابه أن هذا أحمد سالم، فحمل عليه أحمد بن الكوري، وهو مولى لاخديجه بنت سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل فقتله في حين إنه يعتلج مع ابن بيرم هذا أيضا مولى». أحمد سالم بن باگا، ص369 - 370.

16- إمارة اعلي بن محمد الحبيب:

وبمقتل أحمد سالم بن محمد الحبيب استتب الأمر لاعلي بعد أن عقد صلحا مع بقية إخوته من أولاد فاطمه، وكان قوي السلطان منصور الراية، استمر حكمه بلا منازع من 1873م إلى 1886م (1290/ 1303هـ)، وإن ظل يتعرض بين الحين والآخر للشقاق والمواجهة من طرف إخوته وشيعتهم كما هو الحال في معركة "إيدماتن" سنة 1296م/ 1879م التي مات فيها خلق من الطرفين[686].

ولما لم يبق من أبناء محمد الحبيب من زوجه فاطمه إلا أعمر سالم أتى أخاه اعلي فاصطلح معه وأخلص كل منهما للآخر[687].

وكانت لاعلى بن محمد الحبيب تقاليد في الحرب مشهورة، منها أنه كان لا يطارد، ولا يصول، ولا يأبى الصلح، ولا يقاتل حتى ينذر عدوه، وكان يضرب مغرما على من أحدث شجارا أو فتنة، ويأخذ على يد الظالم ويعاقبه، فقل الظلم في عهده.

وعرفت العلاقات التروزية الفرنسية في عهد الأمير اعلي انتعاشا، فقد كان على صلات مع الفرنسيين ومع أخواله الوالو قبل توليه الإمارة، وقد ساهمت الاتفاقيات

---

[686] نقل أحمد سالم بن باگا: «لما كانت وقعة "أيشايه" التي مات فيها أحمد سالم بن محمد الحبيب طلب أولاد محمد الحبيب من أخيهم اعلي السلم، فأجابهم إليه ولم يزالوا في سلم حتى قتل أولاد السيد إبراهيم اش وابن أخيه سيدي يعرف بن المختار اش، وهما من أهل أعمر آگجيل لما بين هذين الحيين حينئذ من العداوة، فخرج أولاد محمد الحبيب على اعلي لأن القتيلين من شيعتهم، ثم جنحوا أيضا إلى السلم معه فجنح لها فلم يزالوا في سلم حتى لطم محمد فال بن سيدي عمه أعمر سالم جراء كلام، فآل الأمر إلى أن ارتحل أولاد محمد الحبيب إلى الناحية الشرقية من بلاد التوارزة، وخرج معهم إبراهيم بن سيدي بن محمد الحبيب وكان ابن خالتهم، ومعهم أيضا سيدي محمد بن سيدي أحمد بن إبراهيم اخليل وهو ابن أختهم عيشه فأتوا أخوالهم من أولاد دامان فغزوا محلة اعلي وكان مرتحلا من آگنيتير يريد إگيدي وانولان حيث يقضي زمن الصيف عادة فادراكوا عند أيدماتن واقتتلوا فظهرت شجاعة اعلي وأصحابه يومئذ فهزموا أعداءهم، ومن مشاهير القتلى في هذه الوقعة: الافجح بن محمد الحبيب». أحمد سالم بن باگا بتصرف، ص371.

[687] نقل أحمد سالم بن باگا كيفية مقتل أولاد فاطمه من أبناء محمد الحبيب فقال: «ولم يبق أحد من أولاد محمد الحبيب (من أولاد فاطمه) إلا أعمر سالم بقي فردا، أما أحمد سالم فقتل أميرا في المعركة بأيشايه، وقتل المختار السالم عند بظي، وهو بئر جنوب التاگلالت، أتاه رهط من أولاد البوعليه من شيعة اعلي متنكرين في هيئة رفقة من الزوايا، عندهم حمر وعليها ظروف، وكانت مدافعهم في تلك الظروف، فقتلوه غيلة، وقتل الافجح بأيدماتن، وقتل بعده لبات في وقعة "أدنش"، وقتل لعلب شيعة اعلي كذلك إبراهيم السالم». أحمد سالم بن باگا، ص377.

التي وقعها مع الوالي برير دي ليل في 24 أغسطس 1877م (14 شعبان 1294هـ) و2 إبريل 1879م (10 ربيع الثاني 1296هـ) في توطيد الروابط بين مستعمرة السينغال وإمارة الترارزة، فقد نصت الاتفاقية الأولى على حماية الفرنسيين وممتلكاتهم في الترارزة وحماية الترارزة وممتلكاتهم في المنطقة الفرنسية، ونصت الثانية على إغلاق محطتي دگانه واندر، وجعل التبادل حرا، ولم تعد النسب الممنوحة للأمير وشمش إيدوالحاج تتناسب طرديا مع كميات العلك المبادلة، وإنما أصبحت خراجا سنويا تدفعه السلطات الفرنسية للأمير أو لشمش إيدوالحاج (1200 بيصة 200 منها لشمش إيدوالحاج بموجب اتفاقية 22 مايو 1880م/ 12 جمادى الثانية 1297هـ)[688].

وتوطدت مع الوقت علاقات إمارة الترارزة مع الفرنسيين، وإن لم تسلم هذه العلاقات من بعض التوتر أحيانا.

كما عرفت علاقات الأمير اعلي مع أمير آدرار أحمد بن احمد ابن عيده بعض التوتر، ثم تصالحا سنة 1302هـ/ 1884م[689].

وفي سنة 1303هـ/1886م اغتيل اعلي على يد أبناء أخيه سيدي بقيادة أحمد بن سيدي بن محمد الحبيب الملقب بولد الديد، بالتواطؤ مع الترجمان اخيارهم، فقد وجد أولاد سيدي على اعلي لمسالمته لأعمر سالم، وأغراهم قوم من أولاد أحمد بن دامان بقتله، فاغتالوه وقتلوا معه زوجه المگبولة بنت اعثيمين اللبية، وابنه محمد، وكان صبيا، ولم يقتل قبلهما في حروب أولاد أحمد بن دامان صبي ولا امرأة. وكان عدد قتلة اعلي ثلاثين رجلا[690].

---

[688] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص133.

[689] احتضنت قبيلة أولاد بسباع هذا الصلح عند الغوج (جنوب تيرس) في شتاء 1302هـ 1884م، وحضره أعيان قبائل الإمارتين، وسمى أهل الساحل هذا العام بـ"عام الحصره". تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص50.

[690] أحمد سالم بن باگا الذي سمى من مشاهيرهم: أحمد بن سيدي بن محمد الحبيب المشهور بأحمد ولد الديد، وأخوه بابا بن سيدي، ومحمد بونه والمختار ابنا اعليه، واعلي بن أحمد ديه، وابنه أحمد يوره، وأحمد محمود بن إبراهيم اخليل، وسيدي

وكان اعلي أميرا غنيا محظوظا اجتمع له ملك الضفتين، كما كان شجاعا بطلا مقداما لم ينهزم قط، ولإدراك قتلته لقوته وشجاعته لم يتمكنوا من قتله دون أن يقتلوا معه زوجته وابنه.

17- إمارة محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب:

وكان محمد فال أكبر أبناء سيدي بن محمد الحبيب غائبا إبان مقتل اعلي، وبلغه الخبر فعاد على الفور، وأعلن نفسه أميرا. غير أنه لم يحصل على إجماع التراررزة، إذ لجأ أحمد سالم بن اعلي الملقب بياده إلى اندر لطلب الدعم من الفرنسيين، وأخذ يجمع الأموال ويحشد الأنصار، ويعلن ترشحه للإمارة، بينما أعلن أعمر سالم بن محمد الحبيب من جانبه حقه في خلافة أخيه اعلي وحصل على دعم أخواله أولاد دامان.

ودارت بين أعمر سالم وابن أخيه محمد فال معارك دامت ثلاثة أشهر منها يوم "ابدكوت"، قتل فيها من جانب أولاد سيدي جماعة من بينها ولد الديد (أحمد بن سيدي) وأحمد بن بوزفره وغيرهما، وقتل من جانب أعمر سالم الأخوان أعمر والمختار ابنا اعلي الكوري وغيرهما[691]، ويوم "مشرع ابيليل"، ويوم "انبطان"، كلها في 1304هـ/ 1886م، وكان النصر فيها سجالا بين الطرفين، ثم ذهب محمد فال بن سيدي مطلع 1787م (1304هـ) دون علم طائفته، فأتى أعمر سالم فجأة وخلع له سروال الإمارة الأبيض، وقام أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب (بياده) في نفس اليوم باغتيال محمد فال ثأرا لمقتل أبيه اعلي[692].

ميله بن محمد مولود بن احمد بن سيدي محمد بن بوبكر سيره، والمختار بن احمد بن أحمد بن سيدي، وامبارك بن أوليده من أهل عبله، ومولیان هما: محمذن مولود بن اعبيد بن ميلود، ومحمد بن لحريطيني. أحمد سالم بن باگا، ص376-377.

[691] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص118. وقال: «قال أبوهما عند رؤيته إياهما بعد أن أصيبا: هذا أشرف ما يحدث لأولاد العرب».

[692] محمد المختار بن السعد، إمارة التراررزة، مرجع سبق ذكره، ص357.

18- إمارة أعمر سالم بن محمد الحبيب:

وبعد مقتل محمد فال استتب الأمر لأعمر سالم في ما بين 1887م-1893م (1304/ 1311هـ)، وكانت أيامه أيام رخاء وعافية حتى ثار عليه أحمد سالم بن اعلي سنة 1308هـ/ 90-1891م، بعد أن كان كل أبناء سيدي قد ماتوا[693].

وكان لتنامي استياء أولاد أحمد بن دامان من الحظوة التي تمتع بها أولاد دامان في ظل أعمر سالم (وكانوا أخواله وأصهاره)، ونقمة الفرنسيين من عدم تعاونه معهم في مطاردة ثوار كايور بقيادة لات ديور اللاجئين عند بكار بن اسويد أحمد الدور الأساس في خروج أحمد سالم على عمه وإعلان نفسه أميرا للترارزة ابتداء من 1891م (1308هـ). ولعب المترجم اخيارهم دورا في تمكين أحمد سالم من اعتراف الفرنسيين به، وذلك أن أحمد سالم بن اعلي وصل إلى اندر في بداية 1891م (أواسط 1308هـ) وطلب الاعتراف من الوالي الفرنسي، وبادر الأمير أعمر سالم بفعل الشيء ذاته خشية أن تعترف فرنسا بمنافسه، وانتقل الوالي إلى لساطور (ريشاتول) لحل القضية، وضرب للطرفين موعدا، لكن أعمر سالم لم يأت بسبب خدعة دبرها له الترجمان اخيارهم، فأعلن الوالي على الملأ بعد أن طال انتظاره لأعمر سالم، وبعد أن اطلع على تقارير لفقها اخيارهم ضد أعمر سالم، أنه لم يعد يعترف بأعمر سالم أميرا، وأن حمايته ومدده قد آلا إلى أحمد سالم بن اعلي[694].

ووقع أحمد سالم مع الفرنسيين معاهدة حماية في 8 أكتوبر 1891م (5 ربيع الأول 1309هـ) نصت على طلب الأمير أحمد سالم وضع الترارزة تحت الحماية الفرنسية مقابل دعم الفرنسيين له في حالة الاعتداء عليه، وعدم الاعتراف بأي أمير يغتاله ليحل محله، ومنح الفرنسيون أحمد سالم ألفي بيصة من النيلة سنويا، كما أشرفوا على إبرام اتفاقية 25 مايو 1892م (28 شوال 1309هـ) بينه وبين يمار امبودج ملك الوالو الذي حارب إلى جانبه لانتزاع الإمارة من عمه أعمر سالم.

---

[693] مات ولد الديد وبابه أخوا محمد فال في المعارك الأخيرة التي دارت بسبب النزاع على الإمارة.

[694] محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة، مرجع سبق ذكره، ص357.

ولم يبخل الفرنسيون بدعمهم المادي والمعنوي لأحمد سالم بن اعلي إما بشكل مباشر أو بواسطة حليفيهما يمر امبودج ملك الوالو وسيدي اعلي بن أحمدو أمير البراكنة.
وضعف جانب أعمر سالم بعد أن تخلى عنه معظم طائفته من أولاد أحمد بن دامان، ولم يعد يعتمد إلا على أولاد دامان ولعلب. واستمرت المناوشات بين الطرفين (يوم "الحيمر"، ويوم "تنضلها"، ويوم "الگانه"، ويوم "انتيشيليت" (في 1310هـ/ 1892م)، ويوم "وازان"، ويوم "تغطفت" (في 1311هـ/ 1893م) الذي قتل فيه أعمر سالم سنة 1311هـ/1893م قتله سيدي المختار بن الژريگه عند خليج جيوه فانفرد أحمد سالم بالإمارة.

19- إمارة أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب:
وعرفت إمارة الترارزة في أول عهد أحمد سالم بن اعلي الذي بدأ سنة 1311هـ/ 1893م فترة استقرار دامت عدة سنوات، لم يتخللها من الأحداث البارزة سوى حرب أولاد أبييري وإيچيچبه التي اندلعت في نفمبر 1895م (جمادى الأولى 1313هـ) إثر تنازع جرى بينهما على ملكية ثلاث آبار في آمشتيل حيث تتداخل أراضي القبيلتين هي بوطلحاية واحسي العافية وأغدكل. ومن أبرز أيام هذه الحرب يوم "أودن" الذي وقع سنة 1314هـ/ 1897م، وذهب بعده أولاد أبييري، تحسبا لهجوم مضاد يشنه إيچيچبه بمؤازرة أنصارهم من أولاد السيد البركنيين، إلى أولاد أحمد بن دمان رؤساء الترارزة طلبا لمؤازرتهم، وطال مكثهم مع محصر الترارزة حتى نهض الأمير أحمد سالم في جيش جرار قاصدا البراكنة حيث إيچيچبه وسندهم من أولاد السيد، وكان أحمد سالم راغبا في نصرة بابا بن الشيخ سيديا وأولاد أبييري من جهة، محجما من جهة أخرى عن غزو أصهاره البراكنة فقد كان متزوجا بفاطمه بنت سيدي اعلي، أخت أمير البراكنة أحمدو بن سيدي اعلي، فسار بالجيش حتى وصل إلى اللگات (بالجانب الشرقي من شمامة الترارزة)، ثم أرسل رسولا إلى أمير البراكنة أحمدو بن سيدي اعلي يحثه هو وإيچيچبه على الصلح والإتيان للتفاوض بشأنه، فأتاه الأمير

أحمدو في وفد من كبراء البراكنة وبعض قادة إيچيچبه، وتصالح الجمعان صلحا انتهت بموجبه الحرب بين الطرفين سنة 1899م (1317هـ). وقد سمي هذا الغزو الذي قاده أحمد سالم بن اعلي بعد هذا الصلح بـ"غزي اجبار"[695].

---

[695] وتقول الرواية الشفهية إن الشاعر المعروف سيدي محمد بن سيديا بن الطالب الأبييري وجه بهذه المناسبة شعرا لأحمدو بن سيدي اعلي ليثنيه عن المجيء، ومما قال سيدي محمد:

گولْ الْ شِيخْ امحاصر جِگَـاتْ ... وأهل المْرصَ واثْوَيكِـرْنَاتْ
وأهل الوادْ ءُ حكمْ اكْدَيـــاتْ ... أرْدِبائه عني نبغِـــــــيهْ
أخيارْ أولاد العربيـــــاتْ ... نَجْعْ أولاد امحمدْ بريـــــهْ
أعني عاجبْنِ فاللي فَـــاتْ ... واللي مَزَالْ إعِسْ اعليـــهْ
لاَجَ شِيخْ أحمد بنْ دَمَـــانْ ... منْ ساحلْ جامعْ كلْ ازمَـانْ
من تروزْ إگودُ باعْنَـــانْ ... يحْذرْ منْ شِ شينْ إواسِـيهْ
شَيْنْ اعليهْ إلكان اليَـــانْ ... ذاكْ المحال ءُ شينْ اعليـــهْ
لج گاعْ أخبَارُ سلطـــانْ ... ينگَاذْ الخلقْ إرَاع فيـــهْ
واعدْ سلطانْ افظهرْ الشـــرْ ... أسغرْ من جامعْ محصَـــرْ
من لعدُ والخلق امگـــزرْ ... يتناعت واگول أراعيـــهْ
جانَ ينگَاذْ أللهْ أكبَـــرْ ... مشيَنْ عندِ ذاكْ إواسيـــهْ
خايِفْ منْ حادثْ مولْ اعْكـرْ ... مالُ قدرَ فل ناشِيـــهْ
وال مرسول إج باكـــلامْ ... من عندُ خايف من تگـدامْ
الامرْ اعليهْ إعتَتْ فاخيَـــامْ ... بَرْكني واجبْ لينْ إجيـــهْ
والل يحصَرْ وافوتْ عـــامْ ... حاصرْهُمْ غلظُ لا يرخـيهْ
ءُ يعرفْ عن ذَ مزَالْ إفـوتْ ... واتعُودْ أولادْ آدمْ تحكيـــهْ
يعرف عَنْ فرظ اعليهْ إمُـوتْ ... والرگ ماءِ فرظ اعليـــهْ

ولم يقع الصلح النهائي بين أولاد أبييري وإيچيچبه إلا عام 1330هـ (1912م) بإشراف الإدارة الفرنسية، وبموجب هذا الصلح أصبحت الآبار محل التنازع تستغل من طرف القبيلتين بالتساوي.

وقد قيل في يوم "أودن" المذكور، وما رافقه من أيام حرب أولاد أبييري وإيچيچبه شعر حساني جيد محفوظ، أشهره ما دار بين البو بن امينْ الإيچيچي وسيدي محمد بن الطالب الأبييري. ومما ذكر فيه من هذا الشعر دور الأمير أحمد سالم بن اعلي (بياده) ما قاله البو بن امين:

أحمدْ عندُ جيش إجـرٌ ... بيه امْطوع كل امديـــنَ
واخوالفْ زينات إسـرٌ ء عندْ لمراكِيبْ الزيـــنَ
يغير النفعُ والضـــرٌ ... من تلقاء خالقيـــــنَ

فقال الأمير:

وخرج سيدي بن محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب على الأمير أحمد سالم بن اعلي، ومعه في ذلك أخوه أحمد (ابن الديد) بن سيدي، ولقي سيدي بن محمد فال بن سيدي الدعم من الوزير اخيارهم الذي انضم إليه بعدما أقاله أحمد سالم، كما لقي الدعم من أولاد دامان ومن عدد من أولاد أحمد بن دامان، فلبس السروال الأبيض وأعلن نفسه أميرا للترارزة سنة 1319هـ/ 1901م[696]، وشن الحرب على أحمد سالم.

وبعد سلسلة من المعارك الدامية (المصران[697]، اتويدرمي العريه[698]، انبيگده[699]، جيگينه[700]، سهوة الماء[701]، اخريبگه[702]) لجأ أحمد سالم خلالها مرتين إلى دگانة بالضفة اليسرى لجمع العدة والعدد، تهادن الفريقان بحضور الفرنسيين الذين قرروا التدخل بصورة مباشرة في أرض البيضان، وبدأوا تدخلهم في بلاد الترارزة بإنزال أول فرقة عسكرية في مايو 1902م/ محرم- صفر 1320هـ بمنطقة سهوة الماء الواقعة شمال بحيرة الركيز، كما أخذوا في محاولة كسب قبائل المنطقة. وقرر الفريقان الهجوم على مركز انواكشوط الذي أسسه الفرنسيون مع مركز اخروفه مطلع 1903م (شوال 1320هـ) في نفمبر من نفس السنة (شعبان 1321هـ) لكن الفرنسيين علموا بالخطة ففشلت.

لحلگْ لي للي ما وحدْ لين اعمل مسكين اعليـنَ
عنّ سابگ توحيدُ بعدْ يعرف گط أن عربيـــنَ
بعد أعيَ ينفع بينَ حد واعي زاد إظرٌ بيـــنَ

[696] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص121.

[697] قتل فيه سيدي جو أخو الأمير أحمد سالم.

[698] قتل فيه من جانب أولاد سيدي نصيرهم ابن همد فال العبلي، ومن جانب أحمد سالم عدد من أولاد بنيوگ، وغيرهم.

[699] قتل فيه من جانب أولاد سيدي محمد لوليد بن امبارك الدامافي من رؤسائهم.

[700] قتل فيه من جانب أولاد سيدي نصيرهم تيدشه العبلي، ومن جانب أحمد سالم بوبكر بن المختار بن آغنيب، ومحمد بن صمبه فال ورجال من أولاد البوعليه.

[701] مات فيه اعلي بن أحمد ديه، وسيدي بن سيدي يعرف.

[702] وتسمى أيضا الشويطره لسرعة ما جرى فيها، وقعت سنة 1320هـ 1902م، مات فيها خلق من الطرفين.

وأراد القائد الاستعماري الفرنسي كـبلاني (اگزافيـي كوبـولاني) الـذي عينتـه فرنسـا لاحتلال بلاد البيضان أن يتقرب من سيدي الذي كان حليفا لبابا بـن الشـيخ سـيديا فاسـتجاب سـيدي لكـبلاني، وأعلـن يـوم 13 مـارس 1904م (25 ذي الحجـة 1321هـ) اتفاقه مع الفرنسيين[703]، ثم سافر إلى اندر للتفاوض معهم لكنه لم يـتمكن من إملاء شروطه، فقد كان الفرنسيون يخططـون لاحـتلال الـبلاد، ولم تعـد الاتفاقيـات السابقة مناسبة لهم، فعاد سيدي إلى التفاوض مع أحمد سالم –الذي كان نازلا عند أولاد بسـباع[704] في نهايـة 1904م (شـوال 1322هـ)، وتصـالحا في ينـاير 1905م (ذي القعدة 1322هـ)، وهاجما معا مركز اخروفه الفرنسي.

غير أن هذا التحالف لم يعمر طويلا، بل سرعان ما عبث بـه الفرنسـيون، وكسـبوا إلى جانبهم الأمير أحمد سالم بن اعلي الذي أعلن قبوله بالوضع الفرنسـي الجديـد في 13 إبريل 1905م (8 صفر 1323هـ)، قبل أن يغتاله أحمد ابن الديد بعد ذلـك بخمسـة أيام في 18 إبريل 1905م (13 صفر 1323هـ) ببئر انواكل (شمـال بتلميـت) ثـأرا لقتله أباه محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب سنة 1887م-1304هـ.

وتأمر بعد أحمد سالم بن اعلي كل من أحمد سالم بن إبراهيم السالم بـن محمـد الحبيـب، وأحمد ابن الديد بن محمد فال بن سيدي في عهد أحكـم فيـه الاسـتعمار قبضـته علـى بلاد الترارزة.

---

[703] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص138.

[704] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص123.

إمارة البراكنة

تقع إمارة البراكنة في مجال جغرافي محاذ لإمارة الترارزة من جهة الشرق. وتعود تسمية البراكنة إلى المجال البشري والجغرافي الذي بسطت ذرية بركني بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر سيطرتها عليه. وتضم البراكنة كحال الترارزة مجموعات قبلية مختلفة الأصول والمكانة، فمن أشهر قبائل الزوايا في البراكنة قبائل إيچيچبه وتاگاط وإيدگچمله والدراوات وأولاد أبييري البراكنة. أما عرب الإمارة فيتألفون من ثلاث مجموعات هي: أولاد عبد الل بن كروم (عبد الكريم) بن ملوك (عبد الملك) بن بركني وهم خمسة: امحمد ومنصور وبكار والمختار واعلي، واليتامى وهم أولاد إخوة عبد الل: يحيى وأحمد (حومه) والگاوصي والشين آكرار وأميكاي، وأولاد أحمد بن عبد الجبار بن ملوك بن بركني. كان البراكنة أقوى قبائل المغافرة التي وصلت إلى المنطقة، وكانوا إذا اجتمعت حلل المغافرة يكونون هم الرؤساء، لكن صراعاتهم الداخلية أضعفت من قوتهم وأغرت بهم أبناء عمومتهم الترارزة الذين عانوا لفترة من تفوقهم السياسي والحربي. بدأ الصراع في البراكنة أولا بين أولاد كروم وأولاد عبد الجبار ابني ملوك بن بركني، ثم انتقل إلى حفدتهما فخاض أولاد اعلي بن عبد الل بن كروم الذين تمركزوا على روافد گورگول المجاورة لقرية مونگل الحالية، حيث كونوا رئاسة خاصة بهم هناك حربا ضروسا ضد أبناء عمهم اليتامى، لم تترك من اليتامى إلا عائلات[705]، وانتشرت التوبة بين أولاد اعلي. وتعزز الانشقاق بين الحفدة بالصراع الذي اندلع بين أولاد نغماش وأولاد السيد ابني امحمد بن عبد الل.

[705] سبب هذه الحرب أن بكار ونغماش ابني أعمر غرظو بن امحيمد نازعا ابن عمهما هيبه بن اعلي بن امحيمد، فقتلاه في يوم "گيمي" بإعانة من أخوالهما اليتامى، فلم تزل العداوة والمناوشات تقع بين الطرفين حتى تمكن اعلي بن هيبه من الانتصار على اليتامى وأبناء أعمر غرظو يوم "چگچگل"، ويوم "الگليته"، ويوم "فرع الطلحايه" ويوم "علب الكصره"، فكان ذلك سبب انقراض شأن أهل أعمر غرظو وأخوالهم اليتامى.

ويتألف أولاد نغماش اصطلاحا من ذرية نغماش بن احمد بن عبد الل بن كروم وذراري إخوته ابيش والناگظ واعليوها وذراري أعمامه المختار وبكار وويس واحميد واكريشات. وقد تاب أغلب أولاد الناگظ وأولاد ابيش وبعض أولاد نغماش، وكانت مواطنهم بين أگان وگيمي وجلوار[706]. أما أولاد السيد فتطلق اصطلاحا على ذرية السيد بن احمد بن عبد الل بن كروم وذرية عمه منصور[707]. وفي هذين الفرعين (أولاد نغماش وأولاد السيد) تركزت إمارة أولاد احمد بن عبد الل التي اشتهرت باسم إمارة البراكنة.

1- إمارة احمد بن عبد الل بن كروم:

كان احمد بن عبد الل بن كروم أمير البراكنة إبان مقدم المغافرة إلى بلاد الگبلة، وقائدهم في معركة "انتيتام" ضد أولاد رزگ (1040هـ/ 1630م)، ومات احمد قبل شربيه.

2- إمارة نغماش بن احمد بن عبد الل:

وخلف نغماش أباه احمد على إمارة البراكنة، وقاد جبهة البراكنة في حرب شربيه التي وقعت في عهده، ومعه في قيادة الحرب ابن عمه بكار الغول بن اعلي بن عبد الل (ت1092هـ، 1681م) والد الأميرة اخناثة التي تزوجها المولى إسماعيل وأنجبت له ابنه المولى عبد الله جد الملوك العلويين الحاليين بالمغرب. وتوفي نغماش سنة 1092هـ/ 1681م، ودفن قرب مال[708].

---

[706] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص143.

[707] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[708] ذكر موقع قبره پول مارتي، إمارة البراكنة، نشر أرنست لورو، 1921م، ص20.

3- إمارة هيبه بن نغماش:

وتولى بعد نغماش ابنه هيبه، وفي عهده وقعت وقعة "تجالْ" سنة 1100هـ/ 1689م التي انتصر فيها البراكنة وأولاد يحيى بن عثمان على إيديشلي. وتوفي هيبه سنة 1112هـ/ 1700م.

4- إمارة امحمد بن هيبه بن نغماش:

وتولى بعد هيبه ابنه امحمد، وفي عهده دخل البراكنة في حروب طاحنة مع اعلي شنظورة الذي اضطر امحمد بن هيبه إلى الجلاء عن أرضه ومصالحته، قبل أن تندلع الحرب بينهما من جديد وتستمر حتى وفاة الأميرين اعلي شنظورة عام 1139هـ/ 1727م وامحمد بن هيبه في العام الذي يليه (1140هـ/ 1728م).

5- إمارة أحمد بن هيبه:

وحل أحمد بن هيبه أخيه امحمد بعد وفاته. وأحمد هو الذي زار العلامة محمد اليدالي الديماني بلاده، وكان لأحمد بن هيبه مداحون يمجدونه على عادة رؤساء بني حسان، فسمع محمد اليدالي ما يقولون فيه فحذا حذوه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[709]، ونسج على منواله قصيدته الشهيرة التي مطلعها «صلاة ربي مع السلام»، فبلغ ذلك الأمير فغضب منه وأحضره فسأله عما بلغه، فقال له: جعلته في من هو خير منك, فسكت[710].

وفي عهد الأمير أحمد بن هيبه ساند البراكنة عثمان بن الفظيل، وكانوا أخواله في حربه ضد ابن عمه عبد الرحمن بن حمو حوالي 45- 1146هـ (32-1733م) التي قادت إلى تأسيس إمارة أولاد يحيى بن عثمان في آدرار. كما ساندوا أولاد امبارك ضد

---

[709] كان من ذلك:

خبط نخبطه لاه ننصحه وانصيب انفعه يوم القيام

[710] الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص223.

إيدوعيش في وقعة "آكرراي" سنة 1172هـ (58-1759م). وفي عهده حارب أمير الترارزة المختار بن أعمر أولاد أحمد وكانوا حلفاء لأولاد رزگ ومعهم في أرض الترارزة، وأجلاهم إلى أرض البراكنة. وتوفي أحمد سنة 1175هـ/ 1761م.

6- إمارة امحمد بن أحمد بن هيبه:

وتولى إمارة البراكنة بعد أحمد ابنه امحمد، وفي أول عهده وقعت وقعة "آنتر" سنة 1176هـ بين البراكنة وأولاد يحي بن عثمان وأولاد منصور، ووقعة "فري" المشهورة بيوم "السليطينيه"، أغار فيها الزنوج على البراكنة، فهزمهم البراكنة هزيمة قوية، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة[711].

وفي سنة 1192هـ/ 1778م قاد الأمير امحمد المغافرة في حصار احنيكات بغداده ضد إيدوعيش الذي دام ستة أشهر، ولم ينفض حتى بذلت له إيدوعيش عطاء كبيرا مقابل انسحاب البراكنة من الحصار فانسحبوا[712].

وتوفي امحمد حوالي 1194هـ/ 1780م[713].

7- إمارة اعلي بن أحمد بن هيبه:

وتأمر بعد امحمد أخوه اعلي بن أحمد بن هيبه، وكان يعرف باعلي بوشبكه، ولم تقع في عهد أحداث تذكر.

---

[711] ذكرعباس صو في "تاريخ الفوتيين" أن البراكنة قتلوا سليمان بال أحد أمراء فوته، فغزاهم المامي عبد القادرعند فري بمحاذاة نهر السينغال. راجع، سيدي أحمد بن أحمد سالم، تحقيق تاريخ ابن طوير الجنه، مرجع سبق ذكره، ص79، الهامش 231.

[712] لم يذكر المؤرخ هارون بن الشيخ سيديا هذا الأمير.

[713] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، إمارة البراكنة، ص21.

8- إمارة احمياده بن اعلي بن أحمد بن هيبه:

ثم تولى احمياده بن اعلي بن أحمد بن هيبه، وقد امتاز عهده بالصراع مع أولاد أحمد من جهة، والشقاق بين أولاد نغماش وأولاد السيد من جهة أخرى، فقد اندلعت الحرب بين الطرفين عندما أجار المختار بن آغريشي السفن الفرنسية عند بطحاء ديه قرب بودور[714]، فحاربه لذلك احمياده. ولما أوقع احمياده بأولاد أحمد عند ثماراط، وقتل صهرا لبني عمه أولاد المختار بن نغماش مالؤوا أولاد أحمد على قتله، فقتله بابه بن اكنيت من أولاد أحمد سنة 1230هـ/ 1815م[715]. وبموت احمياده انقسمت الرئاسة بين أهل احمياده وأهل آغريشي الذين آلت إليهم الإمارة، مع بقاء نسبة من السلطة لأهل احمياده.

9- إمارة المختار بن آغريشي:

وكانت إجارة المختار بن آغريشي للسفن الفرنسية قد جاءت إثر تأسيس الفرنسيين لمركز بودور سنة 1745م (1158هـ)، وقيام مدير شركة الهند الفرنسية بيير دافيد بتوقيع اتفاقية مع المختار بن أغريشي تمنحه الشركة الفرنسية بموجبها ضريبة عرفية، قدرها 48 بيصة من النيلة سنويا مقابل رعاية التبادل، فقد كان المختار بن آغريشي هو سيد الأرض التي شيدت عليها القلعة، كما كان ذووه (أولاد السيد) هم المتحكمين في تلك المنطقة، إلى حد أن الفرنسيين وأهل والو وفوته كانوا يعتبرون المختار بن آغريشي ممثل البراكنة الوحيد.

وعمل بيير دافيد على توطيد العلاقة بين هذه الأطراف وتقوية مكانة حليفه البركني خدمة لمصالح شركته في المنطقة.

ويبدو أن آثار عوامل التبادل مع الأوروبيين قد تضافرت مع العوامل الداخلية للإمارة، خاصة صراع العصبيات البركنية فيما بينها، الذي استفحل بعيد توقيع هذه الاتفاقية،

---

[714] محمد فال بن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص31.

[715] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص107.

فضلا عن دخول الإمارة في حروب شبه مستمرة مع الجيران (التارزة، آدرار، تگانت...)؛ أنهكت سلطة أولاد نغماش من جهة وساعدت على توطيد سلطة أولاد السيد السياسية شيئا فشيئا من جهة أخرى, فبدأت سلطتهم كأمراء تتكرس في عهد المختار بن آغريشي وإن استمرت سلطة أولاد نغماش في إطار أضيق من إطار الإمارة، فخلف المختار الشيخ بن احمياده أباه احمياده، وخلف المختار الشيخ بعد موته سنة 1251هـ/ 1835م أخوه هيبه، وخلف هيبه ابنه المختار، وفي عهده دخلت فرنسا فهاجر إلى المغرب حيث قتله أحد أولاد منصور سنة 1325هـ/ 1907م[716].

وقد توفي أمير أولاد السيد المختار بن آغريشي في يوليو سنة 1766م (صفر 1180هـ).

10- إمارة محمد بن المختار بن آغريشي:

وحل محل المختار ابنه محمد لكن سلطته لم تترسخ إلا بعد موت احمياده، وإن كان انقسام محصر الإمارة قد حدث منذ وفاة المختار بن آغريشي (في يوليو سنة 1766م/ صفر 1180هـ).

وتذكر المصادر الأوربية أن محمد بن المختار بن آغريشى كان قد أصبح سيد البراكنة الأول في سنة 1779م (1193هـ)، فكان الإنگليز الذين احتلوا المحطات التجارية الفرنسية في ما بين سنة 1758م (1171هـ) و1783م (1197هـ)، يدفعون له الضرائب العرفية كأمير للبراكنة، ويؤدون له تحية الشرف (خمس طلقات مدفعية مقابل سبع لأمير التارزة اعلي الكوري) حين يأتي إلى محطة بودور[717]. ووقع معه الفرنسيون في 10 مايو سنة 1785م (2 رمضان 1171هـ) اتفاقية تجارية اعترفت فيها فرنسا بمحمد بن المختار بن آغريشي كسلطان للبراكنة مقابل حظر تبادل البراكنة مع

[716] المرجع نفسه، ص108.

[717] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد السابق، مرجع سبق ذكره، ص146.

الإنگليز. وقد تعهد الأمير محمد بن المختار في المادة الثالثة من هذه الاتفاقية باعتراض القوافل المتجهة إلى محطة بورتانديك الإنگليزية.
وتحالف محمد مع الدولة المامية الناشئة في فوتا تورو، فشنا حربا على الترارزة كانت السبب في وفاة الأمير اعلي الكوري سنة 1200هـ/ 1786م.
وفي 29 مارس سنة 1793م (16 شعبان 1207هـ) أصدر الفرنسيون قرارا يحظر التبادل مع الأمير محمد بن المختار احتجاجا على سوء معاملته لرعايا فرنسا الذين كانوا يريدون أن يشتروا علك إمارته، ما لم يعتذر ويقدم رهائن للفرنسيين يضمنون معاملته لهم معاملة جيدة مستقبلا. لكن هذا القرار لم يطبق إلا سنة 1799م (1213هـ) بعدما أرسل أمير الترارزة أعمر بن كمبه إلى الوالي الفرنسي يعلمه بأن الأمير محمد بن المختار أرسل إليه يحثه على الانضمام إليه لمحاربة الفرنسيين[718]. ولم يعمر محمد بعد ذلك طويلا بل توفي سنة 1215هـ/ 1800م.

11- إمارة سيدي اعلي بن المختار بن آغريشي:
وتولى بعد محمد أخوه سيدي اعلي (سيدي اعلي الأول)، وكانت علاقاته بالفرنسيين جيدة، كما كان يرتبط بعلاقات وثيقة مع جيرانه الجنوبيين من أهل فوته، مما مكنه من التوسط بين الفرنسيين والدولة المامية، فقادت جهوده إلى توقيع اتفاقية 4 يونيو 1806م (16 ربيع الأول 1221هـ) بين الوالي الفرنسي ابلانشو والمامي عبد القادر[719]. وقد ثمن له الفرنسيون ذلك الدور فمنحوه هدية استثنائية.
ومع حلول عام (1220هـ/1805م) دخل سيدي اعلي في صراع مع الترارزة فوقعت بينهما وقعة "ديه" (قرب الكصيبه) عام 1220هـ/1805م.
وكان الأمير سيدي اعلي يتلقى الضرائب العرفية التي كانت مقررة لأبيه من قبله من طرف الإنگليز الذين عادوا لاحتلال السينغال وتوابعه سنة 1224هـ/ 1809م

[718] پول مارتي، إمارة البراكنة، مرجع سبق ذكره، ص22.
[719] المرجع نفسه، ص27.

وطرف الفرنسيين معا. ويبدو أن علاقاته مع الفرنسيين كانت أوثق من علاقاته مع الإنگليز الذين وقع معهم اتفاقية تجارية في 7 يونيو 1810م (4 جمادى الأولى 1225هـ)، كما يتبين من الرسالة التي وجهها إلى الوالي الفرنسي اشمالتز في 1817م (1232هـ) يهنئه فيها على عودة الفرنسيين إلى اندر (سينت الويس)[720]، ويطلب منه دفع الضريبة العرفية التي وعدوه بدفعها إذا استعادوا حكم السينغال إلى حامل الرسالة.

وفي سنة 1818م (1233هـ) توفي الأمير سيدي اعلي.

12- إمارة أحمدو بن سيدي اعلي:

وخلف الأمير سيدي اعلي ابنه أحمدو (أحمدو الأول) الذي حرص على استمرار علاقات إمارته الوثيقة مع الفرنسيين، وتجسد ذلك في اتفاقية 20 مايو 1819م (25 رجب 1234هـ) الموقعة بينه وبين اشمالتز التي أكدت صيانة العهد السابق بين الطرفين: (تأمين تجارة العلك وتسديد الضرائب العرفية، وصفاء الود والتعاون، والحياد في حروب الفرنسيين مع الأطراف الأخرى في المنطقة...) كما أقرت مبدأ التعاون على إقامة منشآت زراعية على أرض البراكنة في إطار مشروع الاستعمار الزراعي المزمع تنفيذه من قبل الفرنسيين في المنطقة.

وسيتنكر الأمير أحمدو لهذه الالتزامات بعد أشهر من توقيع الاتفاقية نتيجة لعدم رضاه عن تحويل وجهة المستعمرة الزراعية عن الأراضي المحاذية لإمارته، ومخافة الوقوع في العزلة إذا لم ينضم للتحالف التروزي- الفوتي المناهض للمشروع الفرنسي ومتبنيه من أهل والو، فضلا عن قلقه من أن يؤدي إنشاء اشمالتز لمحطة "باكل" التجارية التي تستهدف الاتجار مع إيدوعيش إلى تقويض أوإضعاف المحطات البركنية.

[720] محمد المختار بن السعد، مرجع سبق ذكره، ص147.

وعندما توقفت المناوشات بين الفرنسيين ومختلف الأطراف، أبرمت فرنسا اتفاقيات جديدة مع كل من الفوتيين والترارزة والبراكنة. وقد أبرم اتفاقية البراكنة مع الأمير أحمدو خلف اشمالتز لكوبي في 25 يونيو 1821م (24 رمضان 1236هـ), وقد اعترفت له هذه الاتفاقية بضرائبه العرفية، ومنحته ضرائب جديدة مقابل حياده في النزاعات الفرنسية مع الجيران. ونصت الاتفاقية على أن الضرائب العرفية مرهونة بالتبادل، وتدفع عند نهاية كل موسم باندر، كما نصت على تعاون الطرفين في مجال الزراعة.

وفي هذه الفترة (في أغسطس 1824م/ ذي الحجة 1239هـ)، عبر إلى البراكنة المستكشف الفرنسي ريني كايي المشهور لدى البيضان بولد كيجه. دخل إلى الإمارة قادما من بودور صحبة رجال الأمير أحمدو مدعيا الإسلام ومتنكرا في هيئة شاب مصري، فأقام في محظرة محمد بن سيدي المختار الإيچيچي تسعة أشهر، قبل أن يغادر البراكنة في مايو 1825م (رمضان 1240هـ) عائدا إلى بلاده ومتخليا عن حلمه باجتيازه الصحراء عبر ولاته وتنبكتو انطلاقا من البراكنة[721].

ولم ينعم الأمير أحمدو بالأمن من قبل أبناء عمه أولاد نغماش الذين ضاقوا بسلب أولاد السيد لإمارتهم واستئثارهم بالضرائب العرفية دونهم، فاندلعت الحرب بينه وبين أولاد احمياده المطالبين بعرشهم، ومعهم ذووهم أولاد نغماش، ومعظم البراكنة، وحلفاؤهم أبكاك (إيدوعيش). وكان مع أحمدو قومه أولاد السيد، وأولاد أحمد، والشراتيت، وأهل أحمد بن امبرح (أحمد بن امحمد بن بكار بن موسى بن اعلي الناصري). وانتهت تلك الحرب، التي كان من أبرز أيامها يوم "جگه"، بمقتل المختار الشيخ بن احمياده في معركة "بچنگل" يوم 10 رجب 1251هـ (فاتح نفمبر 1835م). كان الشراتيت وأولاد أحمد وأهل أحمد بن امبرح في هذا اليوم مع أحمدو،

[721] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص47.

بينما كان مع المختار الشيخ البراكنة إلا أولاد أحمد، وأبكاك إلا الگوانيط، وأولاد عائد, ومات في هذه المعركة 40 من أولاد أحمد و100 من أولاد عائد[722].

وانشق عن الأمير أحمدو أبناء عمه أولاد سيدي محمد بن المختار بن آغريشى المعروفون بأهل سيدي بسبب استئثاره دونهم بالضرائب العرفية. بدأوا انشقاقهم عنه بالاغارة عليه ونهب 200 رأس من أبقاره، ثم التحقوا بأولاد نغماش، وانضم إليهم قسم من البراكنة وأبكاك. وتبعهم الأمير أحمدو ومن معه، والتقى الجمعان عند "يوگه"، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس، خسر فيها التحالف المناهض لأحمدو 98 رجلا، بينما خسر الأمير أحمدو الذي انتصر في هذه المعركة، رغم قلة أفراد جيشه، 54 رجلا.

وانسحب أولاد سيدي المنهزمون إلى تگانت واستقروا بها إلى أن نجحت وساطة الشيخ سيديا الكبير في تسوية الخلاف بينهم وبين الأمير بعد جهد جهيد عبر عنه في رسالته التي وجهها إلى أحمدو، وجاء فيها: «... وأعلم أني لما جاءني ابن عمك أحمد بن اعلي وأبلغني أنك بعثت إلي بكلام محصله طلب القيام معك على ساق الجد والاجتهاد، والتهيؤ والاستعداد، فيما يصلح بينك وبين أبناء عمك أهل سيدي، وياتيك بهم للالتقاء بهم من قطرهم البعيد، أعملت الهمة في إحضارهم لدي، وصرفت الرغبة إلى الله تعالى في جمعهم علي، فجاء الله تعالى بهم إلي من غير مراسلة، ولا سابق مواصلة، قاصدين للزيارة ومنتهزين فرصة السبق رغبة في حيازة العمارة، فكلمتهم في السير إليكم والقدوم عليكم لأجل الملاقاة وطلبا للمصافاة، فإذا هو أبعد عندهم من السماء، وأعدم في قلوبهم من هباء الهواء. فمازلت أتلطف لهم وأتوكف من جاء بهم وأرسلهم،

[722] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص108. وابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص32. وأضاف: «انهزم جيش المختار الشيخ ونهبت أمواله، وماتت معه مائة من أولاد عائد، ومات مع أحمدو أربعون من أولاد أحمد، فأتى أحمدو النساء وكساهن وأحسن إليهن، وقال لهن: إن كان سبب ما وقع بكن المختار الشيخ فأسأل الله أن يريحكن منه، وإن كان أنا فأسأل الله أن يريحكن مني، فمات المختار الشيخ بعد أسبوع. وكان أولاد أحمد قد قتلوا قبيل الوقعة رجلا من أولاد السيد ورحلوا باتجاه أولاد نغماش، فسار أحمدو في إثرهم فأتاهم ليلا وأعطاهم ما يدون به القتيل وأفراسا، فرجعوا معه, فسلب من يومئذ ملك أبناء نغماش»، ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص32-33.

وأريهم عدم الرضى عليهم حتى هداهم الله للسمع والطاعة، والتزامها لنا أبدا على حسب الاستطاعة، فوجهناهم إليكم، ومعهم من ترونه من الوافدين عليكم. ولسنا نوصيكم على إجادة ما تصنعون معهم ولا مع غيرهم من الوافدين، وأهل الحوائج الراغبين، لعلمنا أنكم من أبناء الأكارم، وأرباب المكارم، ولا تحتاجون إلى تعليم ذلك، ولا إلى التنبيه على ما هنالك، مع أنا نؤكد عليكم في الأمر بإكرام أولاد سيدي، وإجزال الحظ لهم، والإقبال عليهم بأنواع التحف، وإرضائهم في جميع ما يرضيهم من أنواع الطرف، ولو علقوا رضاهم باستخراج الكبريت الأحمر، والدفين الأكبر، لأنهم خير لكم مما طلعت عليه الشمس من صفراء الدنيا وبيضائها، وزخرفها وزهرائها، "إذ المرء كثير بأخيه" ويد الله مع الجماعة والاجتماع رحمة والفرقة عذاب، قال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وأعلم أني لا أرضى منك أن يرجع هؤلاء الوافدون عليك وهم غير راضين، وأني محذرك مما يوقعك في المواقع الرذيلة، ويحيد بك عن مكارم الأخلاق الجميلة. ومن مكارم الأخلاق أن تعفو عن من ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك...[723]».

وسيلقى أحمدو، بعد رأب صدع أهل سيدي بيسير، مصرعه عام 1256هـ/ 1841م على يد زوجته ليلى بنت الرسول الإعيشية، التي سمته خطأ وكانت تريد ضرتها (مولاة للأمير)، وابن ضرتها سيدي اعلي الذي لم يتجاوز عمره آنذاك ثماني سنوات. وضعت السم في شراب فشربه الأمير وأخوه محمد ووزيره فماتوا جميعا[724].

13- إمارة المختار بن سيدي:

وآلت خلافة الأمير أحمدو إلى ابن عمه المختار بن محمد بن سيدي محمد (سيدي) بن المختار بن آغريشي المعروف بالمختار بن سيدي، الذي تحالف مع أولاد أحمد وأولاد نغماش الأعداء التقليديين لأولاد السيد، سعيا منه إلى ضمان الحفاظ على منصبه

[723] محمد المختار بن السعد، مرجع سبق ذكره، ص147-148.

[724] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص109.

الجديد أو وفاء للتحالف السابق بينهم وبين ذويه الأقربين (أهل سيدي) إثر انشقاقهم عن أحمدو بن سيدي اعلي، فقام معظم أولاد السيد المتخوفون من عواقب هذا التحالف بقيادة ببكر بن خدش (بكسر الخاء والدال المشددة) بن إبراهيم بن سيدي احمد بن السيد، وبدعم من الوزير انچاك مختار الذي قام الأمير المختار بن سيدي بخلعه بإعلان معارضتهم للأمير الجديد وعينوا ابن عمه محمد الراجل بن المختار بن سيدي محمد (سيدي) بن المختار بن آغريشي أميرا عليهم.

واندلعت الحرب بين الطائفتين فرجحت كفة محمد الراجل بعد معركة جرت في 7 فبراير 1844م (18 محرم 1260هـ) رغم الدعم الذي قدمه جيش من فوته بقيادة المامي مادو بيران وان للمختار بن سيدي.

ودفعت هذه الهزيمة معظم أنصار المختار بن سيدي للتخلي عنه، لاسيما أولاد نغماش منهم، فاضطره ذلك إلى اللجوء إلى الضفة اليسرى لتنظيم صفوف رجاله، وإعداد العدة لنزال جديد.

غير أن أهل فوته رفضوا دعمه بعد خلعهم لخليفه السابق المامي بيران وان. وأمام عجزه عن تكوين قوة قادرة على مقارعة منافسه، أخذ يغير على القوافل المتجهة إلى محطة ديه (محطة البراكنة) لحرمان خصمه من عائدات تجارة العلك.

وأدت تلك الاضطرابات وما نجم عنها من شل لتجارة العلك في محطة كانت توصف بأنها «آمنة وموثوق بها» إلى تدخل الفرنسيين لإقصاء الطرف الأقل موالاة لهم (المختار بن سيدي) فتوجه الوالي بويي ياميز صحبة عمدة اندر آلين، وكان من أصدقاء الأمير المختار بن سيدي يوم 19 مايو 1844م (فاتح جمادى الأولى 1260هـ) إلى محطة البراكنة، واستدرجا المختار ووزيره عبد الله انجاي واختطفاهما إلى اندر. وقام الفرنسيون بنفي الأمير المختطف ومن معه إلى مستعمرتهم الجديدة الگابون[725]، واعترفوا بابن عمه ومنافسه محمد الراجل أميرا للبراكنة.

[725] يضيف پول مارتي في إمارة البراكنة (ص54-57) والنحوي في المنارة والرباط (ص321) أن الأمير وجماعته حاولوا الهروب من معتقلهم في المنفى يوم 13 سبتمبر 1844م (30 شعبان 1260هـ)، ومعهم ثلاثة من حراسهم

14- إمارة محمد الراجل بن المختار بن سيدي:

وانفرد الأمير محمد الراجل بالإمارة التي أصبح لبوبكر بن خدش فيها نفوذ قوي، حتى لجأ أحمد بن الليگاط التروزي إلى البراكنة، وتحالف مع سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي سنة 1848م (1264هـ)، وأخذ جناح أولاد السيد المناهض لمحمد الراجل يتعاطف مع سيدي اعلي وحليفه ابن الليگاط، فأقلق ذلك الأمير محمد الراجل فلجأ إلى طلب الدعم من أمير الترارزة محمد الحبيب الذي كان يستعد لملاحقة أخيه داخل البراكنة.

ولم يرق تصرف الأمير البركني لحلفائه الفرنسيين القلقين من تنامي نفوذ الأمير التروزي محمد الحبيب في المنطقة.

وازدادت الأمور تعقيدا بالنسبة لمحمد الراجل ابتداء من 1849م (1265هـ) عندما طالب ابن عمه امحمد بن محمد بن سيدي بعرش الإمارة مدعوما من طرف جناح من أولاد السيد وأولاد نغماش وأولاد أحمد والوزير المعزول انجاك مختار الذي «كانت تصرفاته تذكر، مع وجود الفارق، بتصرفات الوزير اخيارهم في الترارزة[726]».

وأدت الصراعات بين ابني العم إلى مزيد من اضطراب الأوضاع في البراكنة وتعطل التبادل ثلاث مرات في محطة ديه خلال موسم 1849م (1265هـ)، مما اضطر الفرنسيين إلى إرسال مدير الشؤون الخارجية بالمستعمرة الرائد كاي إلى عين المكان للتوسط بين الطرفين.

العسكريين نجحوا في استقطابهم، ولكن الجماعة وجدت نفسها محاصرة في منطقة وثنية معادية فاضطرت إلى العودة إلى المعتقل. وهناك نشط الأمير كداعية إلى دين الإسلام في القرية. ويبدو أن الأمير استطاع أن يوصل معلومات عن ظروف اعتقاله إلى فرنسا دون علم السلطات الاستعمارية في غرب إفريقيا، فكتب شلشير نائب كاتب الدولة للمستعمرات رسالة موجهة إلى الحاكم الفرنسي في غرب إفريقيا يذكره فيها بأن المختار سجين سياسي، وأن اعتقاله انتهاك لحقوق الإنسان، وأشاد بعظمته وأمر بإطلاق سراحه وإعادته إلى بلده. لكن الرسالة لم تثمر ويبدو أن الأمير وأعوانه توفوا في منفاهم بالگابون.

[726] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص150.

وقد تمكن كاي من تسوية الخلاف بين الأمير محمد الراجل واحمد بن محمد بن سيدي بتنازل الأول للثاني عن ثلث عائداته الضريبية من تجارة العلك (=500 بيصة)، لكن استياء أمير الترارزة القوي محمد الحبيب من إيواء البراكنة لأخيه أحمد ابن الليگاط جعله يغزو البراكنة لإخراج ابن الليگاط من أرضهم، معلنا تخليه عن الأمير محمد الراجل ودعمه لابن سيدي. ولولا نجدة السفن الفرنسية وتغطيتهم انسحاب البراكنة لما نجا محمد الراجل وشيعته من عقاب محمد الحبيب المحقق.

ولم يكن الفرنسيون، رغم مساندتهم في ذلك الظرف لمحمد الراجل، يأمنونه على سيدي اعلي ابن حليفهم السابق أحمدو بن سيدي اعلي، فاصطحبه ديشاتو معه إلى اندر لتأمينه.

ونجح التحالف البركني المناهض لمحمد الراجل (أولاد أحمد، وأولاد نغماش، وبعض أولاد السيد)، وبدعم قوي من أمير الترارزة، في خلع محمد الراجل وتنصيب احمد بن سيدي أميرا للبراكنة سنة 1267هـ/ 1851م

15- إمارة احمد بن سيدي:

واضطر الفرنسيون إلى الاعتراف بالأمير الجديد احمد بن محمد بن سيدي، لكنهم حرضوا سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي على منافسته، فقام سيدي اعلي وعضده النافذ بوبكر بن خدش بقيادة جناح أولاد السيد وأولاد نغماش المناهض للأمير احمد الذي اتخذ من المختار بن أعمر بن إبراهيم بن المخيطير بن سدوم بن السيد وزيرا له. ولقيت هذه الطائفة دعما معلنا من قبل الفرنسيين الطامحين لاحتلال بودور وتغيير شروط التبادل على الضفة اليمنى للنهر.

وجرت بين الطرفين البركنيين معارك دامية من أشهرها أيام "انفني العرش" جرح فيه الوزير المختار بن أعمر، و"الفرع"، و"آنگتتان"، وانهزم جناح سيدي اعلي في مختلف هذه المواجهات ونهبت أمواله في الأخيرة منها، واضطر إلى العبور بعدها إلى الضفة اليسرى.

وأعطى اندلاع حرب احتلال "الوالو" وتغيير شروط التبادل على الضفة اليمنى بين أمير الترارزة محمد الحبيب والوالي الفرنسي فيديرب، ووقوف الأمير احمد بن سيدي إلى جانب محمد الحبيب؛ دفعا جديدا لتدخل الفرنسيين في الصراع البركني على السلطة، فألقوا بكل ثقلهم إلى جانب سيدي اعلي في حربه لانتزاع عرش الإمارة من احمد بن سيدي. وفي هذا السياق جاءت رسالة فيديرب في 15 نوفمبر 1855م (5 ربيع الأول 1272هـ)، المناشدة للمجموعة البركنية بالإطاحة بابن سيدي وتنصيب سيدي اعلي مكانه. وكتب فيدرب في هذا اليوم: «أتمنى بأن يتغلب سيدي اعلي على احمد [بن] سيدي مولى محمد الحبيب الذي يخرب البراكنة أرض الترارزة، فالفرنسيون والبراكنة كانوا دائما أصدقاء ضد الترارزة.. وابن أحمدو الأول [سيدي اعلي] ينبغي أن يكون صديقا للفرنسيين كما كان والده، وأن يفهم جميع البراكنة بأنه ينبغي عليهم أن يتحدوا لتكوين أمة قوية ومتماسكة لا تظل تحت رحمة الترارزة، وعلى سيدي اعلي أن يقوم بدحر محمد الحبيب[727]».

ومثلت معركة "الركبة" التي دارت في فبراير 1856م (جمادى 1272هـ) المرحلة الثانية من دعم الفرنسيين لسيدي اعلي، حيث زحف الفرنسيون وسيدي اعلي وحلفاؤهم من الزنوج على معسكر احمد بن سيدي المعزز معنويا بوجود الشيخ سيديا الكبير وتلامذته في عين المكان. وقد انهزم الزاحفون شر هزيمة في هذه المعركة.

ودبر الفرنسيون محاولة اختطاف فاشلة للأمير احمد بن سيدي قرب بودور في مارس 1857م (رجب 1273هـ)، في وقت بدأت فيه جبهة الأمير الداخلية تتصدع، حيث أثرت الحرب التي دارت بين فيديرب وأمير الترارزة محمد الحبيب على تماسك جناح احمد بن سيدي ، فتخلى عنه أولاد أحمد، وتحالفوا مع أولاد دامان، وكانوا على وشك توقيع اتفاق مع الفرنسيين الذين نجحوا في توقيع اتفاقية تجارية مع إيدوعيش (في 1857م/ 1273هـ). وبما أن أولاد أحمد كانوا يشكلون قوة الأمير الرئيسية فقد لجأ

[727] الإرشيف الوطني السينغالي، الملحق رقم 8، نقلا عن، محمد عبد الله بن محمدا، الضرائب العرفية ودورها في أزمة إمارة البراكنة خلال النصف الأول من القرن 19م، مرقون.

احمد إلى محمد الحبيب لإرجاعهم إلى الطاعة، وفاجأ أولاد أحمد جند الطرفين بغارة قتلوا خلالها المختار بن أعمر رئيس طائفة من أولاد السيد والعديد من مقاتلي احمد بن سيدي، وأسروا مجموعة من الترارزة مثلوا بها وأرسلوها إلى محمد الحبيب. وآذنت هذه الغارة بتفاقم الوضع في كل من البراكنة والترارزة مما عجل بتوقيع اتفاقيات الصلح مع فرنسا: الترارزة في 20 مايو 1858م (6 شوال 1274هـ)، والبراكنة في 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ) [728].

وكان احمد بن سيدي يعي جيدا دور الفرنسيين في الصراع على السلطة في إمارته، وتفضيلهم لسيدي اعلي عليه، إذ يقول في رسالة له إلى فيديرب بتاريخ 10 فبراير 1858م (25 جمادى الثانية 1274هـ) في ظرف جنح فيه الطرفان (الفرنسي والبيضاني) إلى السلم ما نصه: «...ولتعلم أنك لم تحترم علاقتك بنا، ونحن على علم بارتباطاتكم بعدونا سيدي اعلي، وليكن في علمكم أن ذلك لن يضرنا. فجماعة أولاد عبد الل عموما معنا (سواء من أولاد السيد أو أولاد نغماش) ومن يتبعهم من الموالين ولن يضرنا إلا ما كتب الله لنا. فإذا كنت تريد صداقتنا وودنا فاقطع كل صلة مع أعدائنا ولترسل لنا المعونات التي قطعت عنا منذ زمن...[729]».

وإذا كان الفرنسيون قد اعترفوا ضمنيا باحمد بن سيدي كأمير للبراكنة بتوقيعهم معه اتفاقية 12 يونيو 1858م (29 شوال 1274هـ) المنهية لحالة الحرب، فقد حرصوا على إعلان هدنة بينه وبين سيدي اعلي الذي وقعوا معه نسخة من الاتفاقية ذاتها. أما سيدي اعلي فأظهر القبول بسلطة الأمير احمد بن سيدي، وتوجه إليه، بعد مقام يسير في آدرار والترارزة، فصالحه أمام ملإ من قومه في دجمبر 1858م (جمادى الأولى 1275هـ) بناء على نصيحة من فيديرب. وبعد أيام من ذلك التصالح قتله غيلة

---

[728] پول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص69-70.

[729] الإرشيف الوطني السينغالي، الملحق رقم 8، نقلا عن، محمد عبد الله بن محمدا، الضرائب العرفية ودورها في أزمة إمارة البراكنة خلال النصف الأول من القرن 19م.

(1858م/ 1275هـ) واستولى على منصبه الأميري وتزوج زوجته گرمي بنت الأمين البركنية[730].

16- إمارة سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي:

واستتب الأمر لسيدي اعلي (سيدي اعلي الثاني) وامتاز عهده الطويل (1858م-1893م/ 1275هـ- 1311هـ) بالاستفادة المستمرة من علاقاته المتميزة مع الفرنسيين، وباستمرار العداء التقليدي بينه -ومعه قومه أولاد السيد وحلفاؤه أولاد اعلي بن عبد الل- وبين أولاد نغماش المتحالفين مع أولاد أحمد، وتشابك هذا العداء مع الصراع التقليدي بين الشراتيت وأبكاك طبقا لتحالف ثلاثي الأقطاب بات معروفا (أولاد السيد وأولاد اعلي والشراتيت ضد أولاد نغماش وأولاد أحمد وأبكاك). فجرت بين الطرفين أيام منها يوم "المريبز" سنة (1280هـ/ 1863م)، ويوم "گيمي" سنة 1290هـ/ 1873م، ويوم "الخليفي" في نفس السنة، ويوم "الخيرفيه" سنة 1294هـ/ 1877م، وكان يوما عظيما انهزم فيه أولاد نغماش وأولاد أحمد وانتهب متاعهم[731].

ومنها يوم "فيدفد"[732] حاصر فيه أولاد نغماش وأولاد أحمد سيدي اعلي شهرا، ومعهم بكار بن اسويد أحمد في جيش من إيدوعيش، حتى جاء امحمد بن هيبه رئيس أولاد اعلي بن عبد الل وحليف سيدي اعلي إلى بكار فأعطاه ألفا على أن ينسحب، فانسحب وبقي أولاد نغماش وأولاد أحمد وحدهم فهزمهم سيدي اعلي ونهب أموالهم[733].

---

[730] المرجع نفسه، ص152.

[731] ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص35-36. وأضاف: «ولم ينج [للمنهزمين] إلا فرس تحت راكبه، ومات من أولاد أحمد ثمانون وخمسة عشر من باسين».

[732] موضع قرب ألاگ.

[733] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص109. وابن بابا، مرجع سبق ذكره، ص35.

وعرف عهد الأمير سيدي اعلي توترا في العلاقات بينه وبين أمير الترارزة سيدي بن محمد الحبيب، الذي دعم محمد الحبيب بن المختار بن سيدي في مطالبته بعرش البراكنة، وحاول إقناع والي اندر الفرنسي فيديرب في نفمبر 1862م (جمادى الأولى 1279هـ) بالاعتراف بمحمد الحبيب بن المختار بن سيدي وخلع سيدي اعلي دون جدوى.

وهدد أمير الترارزة سيدي سنة 1864م (1280هـ) بغزو سيدي اعلي انتقاما من سرقة أحد أعوانه فرسا له، ثم نفذ تهديده بإرسال حملة إلى البراكنة وصلت إلى نواحي دبانكو (بوغي)، مما اضطر الوالي الفرنسي إلى التدخل لصالح سيدي اعلي، وحمل المتنازعين على حل خلافاتهما بالطرق السلمية. فأبرمت بإشرافه اتفاقية في 30 يونيو 1864م (25 محرم 1281هـ) التي التزم سيدي اعلي بموجبها بتعويض 250 بيصة من النيلة أو قيمتها بقرا أو خيلا لأمير الترازرة، والتنازل له عن ربع عائداته الضريبية المستحقة على محطة بودور الواقعة على التخوم بين الإمارتين. وبالمقابل منح أمير الترارزة أمير البراكنة الأمان واعترف به وحده أميرا للبراكنة، وأعطى الحرية لقوافل العلك في التوجه إلى محطتي بودور ودگانه، وضمن سلامتها[734].

وهكذا استتب الأمر لسيدي اعلي وعرفت إمارته لبعض الوقت استقرارا نسبيا، مع أنه شارك إلى جانب إيدوعيش وأولاد دامان المعضدين لأولاد فاطمه في بعض حروبهم ضد أخيهم اعلي بن محمد الحبيب.

وتعرض سيدي اعلي للتهديد بالغزو من قبل أمير الترارزة اعلي بن محمد الحبيب انتقاما من غارات سلب قام بها قومه ضد بعض قبائل الترارزة إذا لم يعوض سيدي اعلي تلك المنهوبات. وتدخلت من جديد السلطات الفرنسية لصالح البراكنة، ونجحت في تسوية النزاع بموجب اتفاق أبرم بين الطرفين في 5 يونيو 1879م (14

[734] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص153.

جمادى الثانية 1296هـ) التزم بموجبه سيدي اعلي بدفع تعويض قدره 10 أفراس لاعلي.

واستفاد الأمير سيدي اعلي كثيرا من عائدات التجارة النهرية، وأبرم سلسلة من الاتفاقيات مع الفرنسيين كان آخرها اتفاقية 12 دجمبر 1891م (10 جمادى الأولى 1309هـ)، التي اعترفت مادتها الأولى بابنه أحمدو كخلف له وحيد على رأس الإمارة بعد وفاته، في حين طالب سيدي اعلي في مادتها الثانية بوضع إمارته بسكانها وممتلكاتهم ومجالات تحركهم تحت الحماية الفرنسية.

وتدخل سيدي اعلي في نفس السنة بإيعاز من الفرنسيين، في الصراع على السلطة بين أعمر سالم بن محمد الحبيب التروزي وابن أخيه احمد سالم بن اعلي لصالح هذا الأخير.

وجاءت مصاهرة أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب لسيدي اعلي لتعطي لتحالفهما السياسي سندا اجتماعيا. وتوفي سيدي اعلي سنة 1311هـ/1893م[735].

17- إمارة أحمدو بن سيدي اعلي:

وبعد وفاة سيدي اعلي خلفه ابنه أحمدو (أحمدو الثاني) دون عناء، غير أنه واجه في بداية حكمه مجموعة من التحديات الداخلية والخارجية من أهمها الحرب بين إيجيجبه وأولاد أبييري التي اندلعت في نفمبر 1895م (جمادى الأولى 1313هـ)، ومحاولة الفرنسيين الفاشلة استخدامه لإقناع بكار بن اسويد أحمد بطرد زعماء الضفة اليسرى المناهضين للاحتلال الفرنسي اللاجئين إليه (على بوري انجاي ملك اجيولوف، ولات اديور ملك كايور، وعبدول بوبكر أحد زعماء فوته)، وما تلا ذلك من توتر في العلاقات بين الطرفين تمثل في حجب الفرنسيين لضرائب أحمدو العرفية وإغلاق الأمير لمحطات التبادل البركنية.

---

[735] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وشكل مشروع كبلاني لإخضاع المنطقة للاستعمار الفرنسي المباشر نقطة الخلاف الجوهري مع الأمير أحمدو بن سيدي اعلي الذي اضطره إخضاع البراكنة للاحتلال في 1903م (1320هـ) إلى الهجرة إلى تگانت قبل أن يلتحق بالشيخ ماء العينين سنة 1324هـ/ 1906م ويشارك في الجهاد ضد المستعمر. ولم يزل مع أهل الشيخ ماء العينين إلى أن توفي في "تگ الريح" بإقليم طاطا سنة 1932م (50 - 1351هـ).

إمارة أولاد يحي بن عثمان

قامت إمارة أولاد يحي بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان بآدرار، وآدرار أرض جبلية تتخللها السهول تأخذ شكل جسم له ظهر (الظهر) وبطن (الباطن)، وله امتداد على شكل عنق، وينتهي بمؤخرة (سهوه) تمتد نحو الشمال الشرقي[736]، وتقع بلاد البراكنة والترارزة إلى الجنوب والجنوب الغربي من بلاد آدرار، وتحدها المريه وتگانت من الشرق والجنوب الشرقي، وتيرس الزمور وتيرس الغربية من الشمال، بينما يحدها الساحل المطل على المحيط الأطلسي من الغرب. وكان نفوذ إمارة أولاد يحي بن عثمان أحيانا يتسع متجاوزا مقطير أو تيرس شمالا وغربا ليشمل مناطق بعيدة عن آدرار.

وتعرف إمارة أولاد يحي بن عثمان كذلك بإمارة آدرار، ويحي بن عثمان الذي تنسب الإمارة إلى أولاده هو الجد الجامع لمختلف المجموعات الحسانية في الإمارة، لاسيما المجموعتان الأساسيتان فيها: أولاد الجعفرية، ويتألفون من أولاد عمني الذين انحصرت فيهم السلطة الأميرية، وأولاد آگشار، وآگميترات، وأولاد غيلان المؤلفون أساسا - بصميمهم وغيره- من بطون الطرش، وأولاد سله، والغرابه، والذهيرات، ونغموشه[737].

وتعتبر المجموعة الغيلانية، أبلغ المجموعات الحسانية تأثيرا على السلطة الأميرية وسبل انتقالها داخل البيت الأميري؛ وخاصة ثالوث الطرش ونغموشه وأولاد سله.

وتنضاف إلى هاتين المجموعتين الكبيرتين قبائل محاربة أخرى كالعويسيات وآمگاريج والطرشان وأولاد بولحية، فضلا عن عبيد أهل عثمان الذين لا يستمدون وحدتهم القبلية من آصرة نسبية موحدة بل من الوظيفة الإدارية والعسكرية التي يشغلون في إطار السلطة الأميرية، بوصفهم مستشارين، ووزراء، ومؤتمني أسرار، وحرسا خاصا لأمراء أهل عثمان.

---

[736] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص6.

[737] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص154.

ومن أهم قبائل الإمارة المحاربة قبيلة إيدشلي التي كانت صاحبة السلطان في آدرار قبل مقدم بني حسان.

أما أهم القبائل الزاوية ذات الدور الديني والاقتصادي في هذه الإمارة فإيدوعلي، والاغلال، وإيدوالحاج، والسماسيد، وكنته، وأهل الشيخ محمد فاضل...إلخ[738].

كان أولاد يحي بن عثمان يتمركزون في منطقة ارگيطه بين آدرار وتگانت، حيث اشتركوا في وقعة "تجالْ" (1100هـ/ 1689م) إلى جانب أولاد الزناگية ضد إيديشلي. وكانت رئاستهم في أولاد عمني بن آگشار بن آگمتار بن غيلان بن يحي بن عثمان، ثم أورث عمني الرئاسة لابنه گراف الذي بدأت روابط أولاد يحي بن عثمان بآدرار تزداد في عهده، ثم في عهد ابنه حمو بن گراف الذي عاش في ملتقى القرنين 17-18م (11هـ_12هـ)، وساعد إيديشلي الباطن الذين حالفوه وزوجوه إحدى بناتهم على محاربة إخوتهم إيديشلي الظهر، وعلى إبعاد بقايا أولاد امبارك من آدرار.

وورث عبد الرحمن بن حمو أباه فكان سلطانا مستبدا فلم يلبث أن ثار عليه ابن عمه عثمان بن الفظيل بن شنان بن بوبه بن عمني حوالي 1145-1146هـ/ 32-1733م فاندلعت بينهما حروب طاحنة قادت في حدود 1158هـ/ 1745م إلى انتصار عثمان بن الفظيل نهائيا على عبد الرحمن بن حمو. وقد وقف إلى جانب عبد الرحمن في هذه الحروب ذووه وأخواله إيديشلي وأبناء عمومته الطرشان وما سيعرف لاحقا بأولاد غيلان تگل (سفح جبلي يقع شمال غرب أطار) (أولاد سله والذهيرات ونغموشه)، بينما انضم إلى عثمان بعض أولاد الجعفرية، (لاسيما آگميترات)، والحياينه وقسم من أولاد غيلان.

وتشير الروايات إلى أن عبد الرحمن انتصر في البداية على أعدائه، لكن عثمان استنجد بأخواله أهل هيبه أمراء البراكنة (فأمه بنت هيبه بن نغماش البركنية) فأنجدوه بجيش مكنه من التغلب على عبد الرحمن، وتأسيس إمارة أولاد يحي بن عثمان.

---

[738] المرجع نفسه، ص155.

1- إمارة عثمان بن الفظيل:

استطاع عثمان أن يستميل عددا من أنصار عبد الرحمن من أولاد الجعفرية، وأولاد غيلان، بعد هزيمة عبد الرحمن في معركة "انزيدان"، ثم أوقع بالبقية الباقية من شيعة عبد الرحمن عند تنمدان، وانسحب الغرابه من شيعة عبد الرحمن إلى إيدوعيش، وأهل حمو إلى بلاد الترارزة فمكثوا بها مدة من الزمن[739].

ثم حاصر عثمان جيش عبد الرحمن بتگل (غرب أطار)، مدة ثلاثة أشهر ثم هزمه، فلجأ أولاد غيلان الذين رفضوا طاعة عثمان إلى إيدوعيش والبراكنة والترارزة[740].

وواصل عثمان مطاردة إيديشلي وحلفائهم من الطرشان وغيرهم، فأخرجهم من الباطن، وجد في إثرهم حتى ألحقهم بالأطراف الشمالية الشرقية من منطقة الظهر، حيث جرت بينه وبينهم عدة وقعات: (الفشاره، تنجوكر، وتنتشل) انتصر فيها عليهم، وأرغمهم بعدها على الاستسلام، وعلى دفع تعويض مقابل السماح لهم بالعودة إلى مواطنهم الأصلية بباطن آدرار[741].

---

[739] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص147.

[740] يقول هوگي إن أولاد غيلان عادوا إلى آدرار سنة 1764م (1177هـ). ابيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص35.

[741] يروي الحضرامي بن الفروي: «أن عثمان طلب المدد من البراكنة، واستؤنف القتال بضراوة. وكان أولاد غيلان تگل مع إيديشلي، واستمرت المعركة ستة أشهر في الموضع المسمى تگل. فحاصرهم عثمان حتى نفدت المؤن، فانسحب أولاد غيلان ليلا، تاركين النساء والأطفال، واتجهوا نحو إيدوعيش. وبقي إيديشلي في ساحة المعركة. وكانوا يعرفون أنهم غير قادرين على الصمود في وجه الأعداء المعززين وحدهم، فهربوا إلى الشمال الشرقي. وعرض مبعوث من السماسيد، هو الطيب بن بتاج، خدماته على عثمان، وطلب منه الأمان لمن بقي من أعدائه وقال له: إذا كنت ترغب في حكم هذه الأرض وأهلها، فلا فائدة من إبادتهم لأنك ستحكم أرضا بلا سكان ولن تكسب شيئا، وسيتحتم عليك العمل بمفردك. امنح السلام لهؤلاء الناس واتركهم يعيشون في ظل رئاستك، فقبل عثمان، وذهب الطيب إلى إيديشلي وقال لهم: إنكم سائرون في طريق الهلاك فلماذا تستمرون في ذلك؟ أنتم تقاتلون من أجل أرضكم: فما النتيجة إذا هلكتم جميعا؟ من الأفضل أن تتجاوزوا الماضي على مرارته، فالعاقل من يعرف كيف يضمن المستقبل. اطلبوا السلم من السلطان، وتعاهدوا معه على استرجاع ما بقي من مالكم في سلام. وقبل إديشلي الاقتراح فتم الاتفاق الذي استرجع بمقتضاه إديشلي أرضهم مقابل تعويض الأمير عمن مات من ذويه في الحرب، طبقا لرغبته». ابيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص33.

ومن إديشلي من لم يقبلوا بسلطان عثمان فتفرقوا في تجكانت، ومشظوف، وإيدوعيش، وإيدوعلي، وغيرهم.
وواصل إيديشلي الذين عادوا واسترجعوا أموالهم جباية المغارم على المجموعات التي كانت تخضع لهم في السابق[742]. أما عبد الرحمن فتوفي هاربا بسبب العطش[743]. واستمر حكم عثمان إلى ما بعد 1764م (1177هـ) تاريخ عودة أولاد غيلان تگل إلى آدرار، ثم توفي والإمارة ما تزال منحصرة في آدرار الغربي، عن نحو ثمانين سنة. وقبره في تگانت بموضع من أفام لوديات يدعى الگفله.

2- إمارة الاگرع بن الفظيل:

ولما توفي عثمان بن الفظيل كان ابنه سيدي أحمد ما يزال صبيا، فخلفه أخوه الاگرع بن الفظيل، وتزوج زوجته. وواجه الاگرع عصيانا جديدا من إيديشلي لكنه تمكن من التغلب عليه. ولما راهق سيدي أحمد بن عثمان بن الفظيل أراد أن يسترجع إمارة أبيه، فسانده ابن عمه الفظيل بن صمبه[744]، ورجال من قومه، ورؤساء أولاد غيلان المعروفون بامحمدات (امحمد بن مكناس جد أهل الديك الذي سيصبح زعيما للطرش، وامحمد بن امحيمد جد أهل امحيمد رئيس نغموشه، وامحمد بن المحمود جد أهل بوبوط رئيس أولاد سله). وشن بعض رجالهم غارة على الترارزة فأعطوا لسيدي أحمد بدلا من الاگرع الفرس الذي يمثل عادة نصيب الأمير من الغنيمة، وبنت له أمه (زوجة عمه الاگرع) خيمة اعترافا له بأحقيته بالإمارة، فغضب الاگرع وهب خارجا بعد أن قلب قصعة من اللبن برجله، فقالت له زوجته: «إنك لن تستطيع إعادة هذا اللبن إلى

---

[742] المرجع نفسه، ص34.

[743] وقيل بأنه لم يمت بسبب العطش أثناء هروبه وإنما قتله الجدري بعدما وضعت الحرب أوزارها . بونت، ص35.

[744] كان صمبه أخا لعثمان، وكانت أمه زنجية. وكان قد اختلف مع باقي إخوته، ومنهم الأگرع، فهاجر إلى الترارزة، وأقام عند أولاد بنيوگ. فوقف عثمان وحده إلى جانب صمبه في الحصول على حقوقه، فلهذا وقف ابنه الفظيل إلى جانب سيدي أحمد ضد عمهما الاگرع.

القصعة» تريد أنه لن يستطيع استعادة الإمارة. واندلعت الحرب بين الاگرع وشيعته وفي مقدمتهم الطرش بزعامة أعمر اغدش جد أهل اخطيره، وسيدي أحمد وشيعته يتقدمهم أولاد غيلان، فوقعت بينهما وقعة "إيتلاتن"، انهزم فيها الاگرع وجرح فيها أعمر اغدش، ثم وقعة "تيدناتن" قتل فيها الاگرع[745].

3- إمارة سيدي أحمد بن عثمان بن الفظيل:

وتوطدت إمارة سيدي أحمد بعد هذه المعارك (حوالي 1199هـ/ 1785م)، وطالت مدته التي شهدت ما عرف بإصلاح امحمدات (امحمد بن مكناس، وامحمد بن امحيمد، وامحمد بن امحمود) القاضي بأن تكون أملاك إمارة أهل عثمان خارجة عن ملك الأمير الشخصي الذي يتقاسمه ورثته، بل تظل ملكا للإمارة يتصرف فيها الأمير الحاكم[746]. وبأنه يحق للأمير أن يزيد في المغرم أوالحرمة أوالغفر إذا رأى ذلك مفيدا.

واستمر حكم سيدي أحمد أكثر من أربعين سنة، وخاض في عهده وعهد عمه أولاد يحيى بن عثمان عدة معارك ضد أولاد دليم، كما شاركوا في حصار احنيكات بغداده سنة 1192هـ/ 1778م ضد إيدوعيش. ومات سيدي أحمد في سنة 1826م (1241هـ) أو بعدها بقليل، عن عدد من الأبناء من أم بركنية، وابن آخر أمه من العويسيات اسمه أحمد وشهرته ابن عيده[747]، كان في حياة أبيه يعد نفسه لخلافته بتكوين "حلة" خاصة

---

[745] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص147.

[746] والسبب في هذا الإصلاح هو النزاع الذي نشب بعد مقتل الاگرع بين طائفة سيدي أحمد وطائفة الاگرع، حول أملاك الإمارة التي كانت تحت يده، فورثته اعتبروها تركة يجب أن تؤول إليها، بينما اعتبرت طائفة سيدي أحمد أنها أملاك عامة للإمارة لا يجوز إدخالها في أموال التركة.

[747] عيده اسم مرضعته، وكانت من التوابير. وقد توفيت أمه وهو صغير. ويروى أن زوجة أبيه نادته يوما بابن عيده على وجه السخرية، فجمع أهل "الحلة" وطلب، أو أوجب، ألا يدعى مستقبلا إلا بهذا اللقب.

به، وإظهار الشجاعة في الحروب، وتوزيع العطايا على زعماء المجموعات النافذة في الإمارة[748].

4- إمارة أحمد بن سيدي أحمد بن عثمان (أحمد ابن عيده):

وأوصى سيدي أحمد قبل وفاته لابنه البكر المختار (النان) بالإمارة. غير أن أخاه أحمد ابن عيده رفض الاعتراف بسلطة أخيه وانشق عنه، ونجح في الاستئثار بالسلطة دونه. وبينما دعمت الجعفرية والمحمدات المختار، اعتمد ابن عيده على أخواله العويسيات وحلفائهم من أولاد غيلان الظهر (أولاد سلمون، وأهل مانة الل، وأهل تگدي)[749] وإيديشلي[750].

---

[748] فمن ذلك «أنه شارك وهو ما يزال يافعا في غارة يقودها أخوه المختارلاسترجاع إبل نهبها أهل الشمال، وبعدما نشبت المعركة ظهر لفرسان آدرار أن عدوهم قد ضيق عليهم فأمر المختار أصحابه بالانسحاب، لكن أحمد ابن عيده لم يقتنع بالأمر، فانسل وتبع النهب بمفرده، وتمكن من استرجاع الإبل بعد قتل عدد من النهبة. وعند اقتسام الغنيمة أصر ابن عيده على أن يكون له سهمان على غرار أخيه قائد المجموعة، قائلا: إنه هو الذي استرجع الإبل، وإنه سيقاتلهم إذا رفضوا ذلك، فأذعنوا له ففرق سهميه على زعماء قومه الحاضرين. ومنه: ما قام به في "غزي" (غزو) تيراكلين، حيث طلب من أبيه إعداد غزو لمحاربة أولاد دليم، فجهز له مائة محارب ومائة جمل ومائة بندقية عند شار. فهاجم أحمد ابن عيده بهذا الجيش أولاد دليم واستاق إبلهم، فطاردوه فأدركوه عند تيراكلين، وهي بئر في تيرس الزمور، شمال آدرار. وكان أحمد ابن عيده قد احتاط لجيشه فسبق إلى البئر، وتزود منها بما يكفيه لعودته، فجاء أولاد دليم وهم عطاش، فأذن لهم أحمد بالشرب من البئر، ثم ألقى فيها جملا واشتبكوا، فأفلت منهم، فلم يجدوا من الماء ما يكفيهم للحاق به. وعاد أحمد إلى "الحلة" ومعه كل الإبل التي غنم من العدو. وقد ظل أحمد ابن عيده يعارض ما كان يقوم به أبوه من تفضيل لأبنائه الآخرين، حتى انتهى الأمر بالأب إلى الإقرار بسيادة ابنه ومنحه حق إقامة "حلة" منفصلة عرفت "بالحلة الكحله". وكان في تكوين حلة منفصلة إشارة إلى طموح ابن عيده إلى السلطة وعجز والده عن كبح جماحه. وكان أحمد ابن عيده قد ألف من حوله عصبة قوية قادرة على دعم مواقفه». ابيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص45-46. وفي سيدي أحمد هذا قال الشاعر الحساني:

لاج سيدي أحمد لادرار لمبارك شور حارك
ويل ماجاه ألا البار من هو لمبارك.

[749] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص159.

[750] ابيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص47.

وسرعان ما اندلعت الحرب بين الطائفتين: مع المختار أبناء عمه أهل أحمد بن الفظيل، وجمهور الجعفرية، وانضم إليه أهل كركوب بن صمبه بن الفظيل العمني، كان كركوب زوجا لأخت ابن عيده، فركب ولده سيدي أحمد بن كركوب إلى بعض أژناگه لجباية مغارم له لديهم، وكان في الجهة التي خرج إليها لصوص يقطعون الطريق، قد أرسل ابن عيده مجموعة من المقاتلين لتعقبهم والقضاء عليهم، وعندما واجه المقاتلون اللصوص هرب اللصوص فصادفوا سيدي أحمد بن كركوب فلجأوا إليه طالبين منه التدخل لدى خاله الأمير، لكن المقاتلين هاجموهم فجأة وقتلوهم جميعا، وقتلوا معهم سيدي أحمد بن كركوب فاعتقد كركوب أن ابنه قتل بمكيدة من الأمير ابن عيده، فانضم إلى المناوئين له.

وانضم امحمد بن المعيوف بدوره إلى المختار بعدما لجأ إليه رجال من أخواله من الجعفرية ممن كان في صف المختار وأهل أحمد بن الفظيل فأصر الأمير على تسلمهم، ورفض امحمد خفر جواره وتسليمهم إليه، وتطور الأمر إلى أن وقعت بينهم مناوشات عند النجام. ومات كركوب وامحمد بن المعيوف بعد ذلك بفترة وجيزة بالبراكنة حيث كانا لاجئين.

وجرت بين ابن عيده والمناوئين له معارك منها معركة "تيديرز" التي شارك فيها سيدي بن امحمد بن المعيوف (بعد موت أبيه امحمد) وجرح فيها الأمير اثني عشر جرحا، وماتت فرسه "الحرانه"، أصابها بوبكر بن اكليب الآگشاري، وأصاب الأمير لكنه لم يمت. ثم أنجد أولاد غيلان الأمير، ونفروا لقتال المختار فوقعت معركة "الطينطان"، ثم معركة "انجيلان" التي قتل فيها من جانب المختار صاحب رايته بكار الشين العمني، والمختار بن امديلش الآگشاري، وامحمد بن كاره السلي. وانهزم المختار وانسحب إلى الترارزة فآووه، ولم يزل هناك حتى انطلق مع أميرهم محمد الحبيب دليلا في صولته الشهيرة[751].

[751] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص147.

وحاول المناوئون لابن عيده تنصيب أخيه سيدي بن سيدي أحمد بن عثمان أميرا، لكن محمد بن أحمد ابن عيده نجح في إفشال هذا الأمر، وتمكن من التوسط بين أبيه وأولاد آگشار، فقد كان سيدي بن محمد بن المعيوف صديقا له، فعاد بفضل وساطته جل أولاد آگشار إلى آدرار، ورفض الحزام بن المعيوف وبعض قومه هذه الوساطة، وانتقلوا إلى الترارزة حيث أقاموا فترة من الزمن.

وعمد ابن عيده إلى إعادة تنظيم مجموعات الإمارة وتقريب الأسر الجعفرية التي قبلت بزعامته، وإضعاف غيرهم من الجعفرية المناوئين له ولآبائه تقليديا، الذين ظاهروا عبد الرحمن على جده عثمان، والاگرع على أبيه سيدي أحمد، والمختار عليه هو، وحمل الجعفرية المناوئة له على القبول بزعامة أسرها الملتفة حوله. واعتمد على أولاد سلمون العائدين لتوهم من منفاهم بتگانت بفضل جهود صديقه سيدي أحمد بن مگيه ، وعلى أهل مانة الل المنفصلين عن الطرش في الباطن، والمتمركزين في الظهر بزعامة مانة الل وابنه العيدود. كما عزز أهل تگدي النغموشيون في الظهر تحالف مجموعات الظهر الغيلانية التي لعبت دورا مهما في توطيد سلطة ابن عيده. وهكذا شكل العويسيات، وأولاد سلمون، وأهل مانة الل، وأهل تگدي، نواة التحالف الأميري الذي حل محل تحالف امحمدات[752].

وأدى وجود هذه المجموعات المرتبطة بالسلطة الأميرية في منطقة الظهر إلى مد سلطة الإمارة تدريجيا نحو تلك المنطقة التي تحتضن مدينتي شنقيط ووادان المهمتين، بعد أن كانت محصورة منذ نشأتها في منطقة الباطن، خاصة بين أطار وأوجفت.

ولم يعتمد أحمد فقط على هذه المجموعات وحدها، بل اعتمد كذلك على بعض طوائف إيديشلي الذين قامت سلطة أهل عثمان أصلا على حسابهم، فاعتمد على أهل الشيخ بن بكار، وكانوا قد تمركزوا في هضاب إيبي التي تمثل ثغور الإمارة الجنوبية الغربية، كما اعتمد على أولاد انتاده في الباطن.

[752] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص160.

وعرفت إمارة أولاد يحي بن عثمان في عهد الأمير ابـن عيـده حروبـا طويلـة مـع أولاد دليم من أشهرها يوم "إنال"، ويوم "أيرني"، وهو يوم "غزي (غزو) العيـل"، ويـوم "غـزي الميه" (غزو المائة)، وهم مائـة غـاز انتخبـهم الأمـير: ثلاثـة وثلاثـون منـهم مـن أولاد الجعفرية، ومثلهم من أولاد غيلان، ومثلهم من العويسيات، والأمير نفسه تمام المائة، قتل في هذا اليوم من أولاد دلـيم الرسـول بـن أيـده قتلـه بـوبكر بـن اكليـب الآگشـاري، والريگط بن الدليمي، قتله اهبيطات بن الصديق السلموني[753].

وجرت بين أولاد يحي بن عثمان والترارزة غـارات متكـررة بسـبب إيـواء كـل طـرف لمناوئي الطرف الآخـر، لكـن هـذه الغـارات كانـت محـدودة التـأثير، باسـتثناء غـارة "الملحس" التي قادها أمير آدرار ابن عيده بنفسه على محصر محمد الحبيب، حينمـا كـان بآوكار في غير منعة من قومه، سنة 1265هـ/ 1849م، فظفر وانتصر. وقـد سمـي غـزو ابن عيده في هذه الغارة بغزو "المنكاسه" لأنه نهب كـل شـيء. وجـاء رد محمـد الحبيـب على هذه الغارة في السنة الموالية (1266هـ/ 1850م)[754] من خلال حملته علـى آدرار المعروفة بالصولة. ثم وقع الفشل في قوم أحمد ابن عيده، فكاتب الشيخ سـيديا ليتوسـط له في العافية بينه وبين الترارزة[755].

---

[753] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص148.

[754] لما تأخر رد الأمير محمد الحبيب على غارة الملحس أثار ذلك سخرية أهل آدرار الذين قال شاعرهم:

محمد الحبيب السلطان	ما بان ان لاه يمـــتان
شتين فالخـــط أفگان	ما ج فيه ألا ج فالصيف
هو گاع أظر بوجعران	باخبار يســتن الخريف

[755] قال عبد الودود بن انتهاه السمسدي في كتابه "نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار": «لما وقع الفشل في قوم أحمد ابن عيده ، وعلم من نفسه العجز عن حرب الترارزة، ولم تظهر له فيها فائدة، أرسل من يثق فيه في السر إلى السالك بن أحمدناه بأن يكاتب الشيخ سيديا في العافية بينه مع محمد الحبيب.. لأن الشيخ جل أهل آدرار تلامذته وأهل هديته فلا تهمة للمذكورين في كونه واسطة في العافية لأهل آدرار، وقد كتب السالك للشيخ سيديا رسالة لم ير مثلها.. وهي طويلة، ومحل الحاجة منها: "وبعد فإن أحمد ابن عيده مريدكم زعما، وخديمكم على أنفه رغما، يلتمس الذب عن بابه، والالتفات إلى جنابه، وطرد من يحوم حول رحابه». ابن انتهاه، نزهة الأخبار، مخطوط، ص34- 35.

ولم تمنع هذه المعارك المختلفة التجارة من الازدهار في آدرار في هذه الفترة، فكانت شنقيط ووادان محطتين تجارتين مهمتين، لاسيما بالنسبة للقوافل المتجهة إلى تيشيت وولاته وتنبكتو، بينما كانت أطار محطة مهمة تمر بها القوافل التي تسير التجارات بين المغرب واندر (سينت الويس) بالسينغال.

وفي سنة 1860م (1276هـ) كلف فيديرب النقيب فينسان باستطلاع التخوم الواقعة شمال السينغال من أرض البيضان. ورافق فينسان في هذه الرحلة المترجم السينغالي المختار بن عبد الله الشيخ المشهور بابن المقداد[756]، وثلاثة حرسيين. وتمكن فينسان من الوصول إلى تيرس، عن طريق الشاطئ، ثم حاول الوصول إلى آدرار، فاستقبله أحمد ابن عيده في "حلته"، وأذن له بالتنقل في البلد، لكن معارضة زوايا آدرار لفينسان منعته من مغادرة "الحلة". وتحاشى الأمير الرد على اقتراح فينسان توقيع معاهدة تجارية بين الفرنسيين وإمارة آدرار. وعادت بعثة فينسان دون أن تتمكن من دخول أطار أو شنقيط[757].

وفي سنة 1277هـ/ 1861م توفي أحمد ابن عيده، ودفن عند كدية أمات الرگيبات في شار، بعد خمسة وثلاثين عاما من الحكم.

---

[756] هو المختار بن عبد الله الشيخ سك، سينغالي أخذ علوم العربية والشريعة عن أولاد ديمان كما أخذها عنهم والده قبله. لقبه والده بابن المقداد، وهو اسم رجل من أهل فاس قدم إلى المنطقة يحمل خزانة من الكتب مهداة من محمد بن عبد الرحمن حفيد المولى إسماعيل إلى قوم من أولاد ديمان، وكان عالما صالحا فتيامن عبد الله الشيخ باسمه وأطلقه على ابنه المختار. عمل المختار في اندر مترجما للفرنسيين إلى أن توفي سنة 1882م (1299هـ)، فقام الوالي بتعيين ابنه الأكبر عبد الله سك خلفا له، ولما اغتيل عبد الله من قبل أمير باوول سنة 1887م قام الوالي الفرنسي بتعيين أخيه دودو سك المشهور بمحمدن بن ابن المقداد المولود 1867م (1283هـ) في مكانه. وقد اكتسبت أسرة ابن ابن المقداد لاسيما محمدن شهرة واسعة لدى البياضين نظرا لإتقانهم للغة ولتقاليد ومعارف البيضان بما في ذلك قرض الشعر العربي الفصيح والملحون ومعرفة "أژوان"، ولإنفاقهم بسخاء –خاصة محمدن بن ابن المقداد- على كل من يحل بساحتهم من البياضين. وقد توفي محمدن بن ابن المقداد سنة 1943م (1362هـ). محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني (نصوص فرنسية غير منشورة)، المطبعة الجديدة، 2000م، انواكشوط، ص101-123.

[757] ايبير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص91.

وفتحت وفاته الباب أمام سلسلة من الصراعات والحروب الدامية بين أبنائه من أجل السيطرة على السلطة، فقد ترك أحمد من زوجاته المتعددة ستة أبناء هم: احمد وسيدي أحمد أمهما بركنية، وعثمان ومحمد وأمهما اعويسيه، والشنظوره والمختار وأم كل منهما إيديشلاوية. ولكل مجموعة من هؤلاء الأبناء سندها القبلي القوي، وحلفها السياسي النافذ مما زاد من تأجيج الصراع على السلطة بينهم.

5- إمارة احمد بن أحمد ابن عيده:

وتولى احمد بن أحمد بن عيده بعد وفاة أبيه، بوصية منه، لكنه اغتيل من يومه أو غده[758]، أطلق عليه ببه بن سيدي أحمد العويسي النار بأمر من أخويه عثمان ومحمد وشيعتهما: أخوالهما العويسيات، وأصهارهما أولاد سلمون[759]، وحلفائهما الحياينة، وأهل تگدي. ولم تقبل شيعة الأمير احمد المؤلفة من الطرش وأولاد سله وبقية نغموشه وقسم من الجعفرية بهذا الاغتيال، فاندلعت المواجهات بين الطرفين، واضطرب آدرار، ولجأت أرملة الأمير احمد اخديجه ابي بنت اسويد أحمد بابنها أحمد بن احمد إلى أخيها أمير تگانت بكار بن اسويد أحمد، بينما لجأ سيدي أحمد شقيق الأمير المقتول إلى البراكنة، قبل أن يموت في ظروف غامضة.

وكانت شيعة الأمير المقتول احمد أقوى من شيعة عثمان وشقيقه محمد فأوقعت بحلتهما في يوم "آرواكيم"، وضيقت عليهما حتى تركا آدرار، إلى الترارزة، ثم إلى أولاد دليم، بعد أن رفض الترارزة إيواءهما. ولحق بهما من استطاع أن يلحق بهما من

---

[758] نقل ابيير بونت فيما يتعلق بكيفية مقتل احمد بن أحمد ابن عيده: «قرر عثمان ومحمد قتل أخيهما احمد، فأقدم ببه بن سيدي أحمد بن محمود العويسي بأمر منهما على مهاجمته ليلة وفاة الأمير أحمد ابن عيده، وأطلق عليه رصاصات جرحته ولم تقتله، فأرادت زوجته اخديجه ابي (بتشديد الباء المكسورة) التوجه به إلى تگانت لاجئة إلى أخيها بكار بن اسويد أحمد أمير تگانت، فتعقبهما أخوه عثمان وجماعة من أنصاره، وباشر الأمير احمد اثنان من أولاد غيلان هما اميد بن العويسي والحضرامي بن مگيه، فقتلاه وهو على جمله. فدفن إلى جنب أبيه بمقبرة أهل عثمان، ونجت زوجته وابنها أحمد بن احمد». ابيير بونت، بتصرف، مرجع سبق ذكره، ص54.

[759] فقد كانا متزوجين من ابنتي الحضرامي بن مگيه السلموني.

شيعتهما مشكلين ما عرف بـ"المحصر الاژرگ" (أي المحصر المتعدد الأجناس والقبائل). وضيقت شيعة الأمير امحمد مع ذلك على من بقي في آدرار من شيعتهما كالعويسيات الذين هلك بعضهم واضطر أغلبهم إلى ترك آدرار[760] بسبب ذلك، وبسبب الحرب التي جرت بينهم مع أولاد اللب[761].

وظهر في هذه الفترة الشيخ سيدي امحمد بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي جاء من منطقة أزواد سنة 1856م (1272هـ) في وفادة إلى قبيلة الركيبات بالصحراء، ثم طاب له المقام هناك فبنى دارا ببئر أم اگرين واتخذها موطنا له، وامتد نفوذه ونفوذ مريديه إلى آدرار، وحاولوا بالتحالف مع أنصاره من مشظوف وأولاد غيلان بسط سيطرتهم على أهل الساحل، مما دفع مناوئيهم إلى التوحد تحت قيادة اعلي الملقب اغموگ بن محمد بن اعلي اللبي ومجابهتهم، فوقعت "الذريره" (الأولى)[762] سنة 1278هـ/ 1861هـ[763].

وآوى إبراهيم اخليل بن اعثيمين رئيس أولاد باعمر الدليمي عثمان ومن معه، وأهدى له عثمان أفراسا من أفراس الإمارة المعروفة بـ"الگشريات"[764]. ثم أخذ عثمان، بدعم من عدد من قبائل "التل" (الشمال) يقاتل أهل آدرار، فجدت بينه وبينهم معارك

---

[760] ايبير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص56.

[761] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية محاولة لتأسيس ومقاربة المكتوب والمروي، مخطوط، ص30.

[762] تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية، 2004، ص37. والمراد بـ"الذريره" تشتت الناس وتفرقهم بسبب انتشار الحرب والمجاعة.

[763] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص28.

[764] عند بعض القبائل الشنقيطية المحاربة سلالات عريقة من الخيل معروفة بأسمائها، فخيل إدوعيش العريقة تسمى الحمامات، ولها خيل أخرى تعرف بالغزالات، وتسمى خيل أهل عثمان بن الفظيل الگشريات، وتسمى خيل الترارزة: بينطات واكبيشات والسبعيات. واكريكبات خيل أولاد بوهد، ، وخيل العبلات من مشظوف تسمى اجديات، وخيل لحمنات تسمى الجريبات ومن فروعها الحوات وأمات الظفيرات والمعنگات، وخيل أولاد بالسباع تسمى الزريگات. والعتاق من الخيل الشنقيطية غالية الثمن وخاصة خيل تگانت وأدرار. ولما أخذ الفرنسيون ثلاثة خيول من خيل أمير إدوعيش بكار بن اسويد أحمد عند استشهاده في أبريل 1905م تم تقويم الواحدة منها بستين ناقة معها فصلانها. راجع، المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، هامش المحقق، ص62.

منها: يوم "اعراگيب الجحفة"، ويوم "الظايه الخظره"، ويوم "لگـلات"، ويـوم "آجليـف"، ويوم "اكشضه"، ويوم "اتويشضه"، ويوم "انتوطفين" أغلبها عام 1279هـ/ 1862م[765]. وقد سمي هذا العام عام "لميظي"، باسم معركة خاطفة جرت بـين مشـظوف آدرار وأولاد دليم، مات فيها احمادْ بن اعثيمين الدليمي أخو إبراهيم اخليـل، وأسـر حرمـة الـل، ثم تمكن من الفرار[766].

6- إمارة عثمان بن أحمد ابن عيده:

وعندما لم يتمكن خصوم عثمان من القضاء عليه، وخافوا من أن ينتصر عليهم بمن معه من قبائل "التل" تظاهروا بقبول سلطته، ودعوه للصـلح، فأجـابهم، لكنـه مـا لبـث أن اغتيل على يد أحمد بن الديه واعليه بن سيدي بن الديك الطرشيين (مـن الصـيايده) سنة 1280هـ/ 1863م، وهو في حلته قرب آمدير[767].

7- إمارة محمد بن أحمد ابن عيده:

وفي هذه الأثناء كان نفوذ الشيخ سيدي احمد الكنتي يتصاعد كزعيم ديـني قـوي طـامح إلى تأسيس إمارة إسلامية في منطقة الشمال[768]، فزاره محمد بن أحمد ابن عيده في مقـره ببئر أم اگرين، واعترف بإمامته[769] فعاضده الشيخ سيدي احمد الكنتي[770]، وكانـت لـه أيام ضد أولاد غيلان منها يوم "الطواژ" ويوم "ترون".

---

[765] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص148-149.

[766] تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص38. وشرح ما حدث قائلا: «وأسر حرمة الل فأراد مشظوف قتله بعد أن جردوه فنزع سكين أحدهم، ووثب على فرس لهم، فناشها ربها، فطعنه الدليمي في ذراعه فسقط جريحا، ونجا حرمة الل بالفرس».

[767] المرجع نفسه، ص149. ومحمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحسافي، مرجع سبق ذكره، ص162.

[768] انتقل الشيخ سيدي احمد الكنتي من منطقة أزواد موطن آبائه سنة 1856م (1272هـ) في وفادة إلى قبيلة الرگيبات بالصحراء، ثم طاب له المقام هناك فبنى دارا ببئر أم اگرين واتخذها موطنا له.

[769] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص58.

[770] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص149.

ودخل كل من الشيخ سيدي احمد ومحمد بن أحمد ابن عيده آدرار ظافرين، فاعترف خصوم محمد بإمارته، كما اعترف كثير من الناس بإمامة الشيخ سيدي احمد الكنتي، الذي انضوت تحت لوائه قبائل كثيرة، وعارضته أخرى. وخاض الشيخ سيدي احمد الكنتي معارك ضد بعض مناوئيه، فأوقع بأولاد بسباع في معركة "اگلييات الفهوده" (وتدعى أيضا معركة "الخشيب") سنة 1281هـ/ 1864م، ثم حشدوا له في تحالف واسع من أهل الساحل (أولاد بسباع، الرگيبات، أولاد دليم، أولاد اللب، الگرع، العروسيين) عند تورين بـ"گور اگنيفيده" سنة 1281هـ/ 1865م، فقتلوه ونهبوا محلته[771].

وانتهز رئيس أولاد اللب اعلي الملقب اغموگ بن محمد بن اعلي بن أحمد، بعد قتل الشيخ سيدي احمد، فرصة انتجاع أهل آدرار بتيرس فقاد أهل الساحل (أولاد اللب، وأولاد دليم، وأولاد بسباع، وبعض تكنه، والرگيبات) نحو آدرار[772]، بعدما أوقعوا بشيعة سيدي احمد الكنتي عند "تنواكه" سنة 1282هـ/ 1866م فقتلوا منها أكثر من مائة، وشتتوها، فاجتاحوا آدرار فوقعت "الذريره" (الثانية)[773]، واشتد الخوف، وانتشر الجوع، وخرج الناس على وجوههم هاربين[774]. وفي هذا الخضم قتل محمد بن أحمد ابن

---

[771] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص35. وأضاف بأن الذي قتله الحريطاني بن محمد بن اعلي زعيم أهل سيدي عبد الل السباعي.

[772] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص35.

[773] تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص40. واپيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص58.

[774] وفي هذه "الذريره" نسج أحمد بن ابده البارتيلي مقطوعته الشهيرة التي يعتبر فيها بحال البخاي بن اهبال الذي عشق زوجة بنت الديك، أحد أولاد غيلان ففداها منه بمال، فبينما هو ينتظر انقضاء عدتها وقعت "الذريره" فخرجت المرأة مع نساء هاربات على أقدامهن ، فأضر بهن الجوع فوجدن بقرا للبخاري فذبحت منه تبيعة، فوافاها البخاري فعنفها وهددها وطالبها بقضاء تبيعته، فقال ابن ابده:

«أبدت لنا نوافذ الأقدار ... معتبرا لأهل الاعتبار
انظر إلى معشوقة البخاري ... وعزها الآئل للصغار
كانت لنجل الديك عرسا وهو لا ... يبغي بها من النساء بدلا
ففرق البخار بالفداء ... بينهما للاعج الأهواء

عيده الذي انضم إليه عمه المختار (النان) سنة 1866م (1283هـ)، قتله احمد بن اخطيره وسالم بن ابيهنات الغيلانيان عند اگليب المشلية بلجام آدرار، فانقسمت شيعته، فترأس عمه المختار (النان) منها "حلة" جمعت أولاد محمد بن عثمان، وبعض أولاد الجعفرية، والحياينة، وأولاد سلمون، بينما عارض الطرش من أولاد غيلان، وبعض الجعفرية، وعبيد أهل عثمان زعامة المختار (النان)، وأقاموا "حلة" مستقلة دعت إلى بقاء السلطة في أبناء أحمد ابن عيده.

واجتاحت آدرار بسبب هذه الحوادث فوضى عارمة، لم يوقفها إلا هجوم أمير تگانت بكار بن اسويد أحمد المفاجئ على "حلة" المختار يوم "إيبي" (سنة 1288هـ/ 1871م)، الذي أدى إلى قتل المختار، وتشتيت شيعته. وكان بكار في هذا الهجوم مصحوبا بابن أخته أحمد بن احمد بن أحمد ابن عيده، وعمه الشنظوره بن أحمد ابن عيده الذي خلف أخاه الأمير احمد على زوجته اخديجه ابي بنت اسويد أحمد، فتسمى الشنظوره يومها أميرا، لكن الإمارة آلت في النهاية (سنة 1289هـ/ 1872م)[775] إلى ابن أخيه أحمد بن احمد ابن عيده، بترشيح من مجموعتي أهل مگيه وأهل تگدي[776]، ومباركة من خاله بكار بن اسويد أحمد، وتم خلع الشنظوره[777].

وكرعا كأس الصبا زمانا ... وكان من أمرهما ما كانا(...)

ولم تزل في تيلك الحال إلى ... نعوذ بالله من انواع البلا

أن ذبحت بنت لبون من بقر ... عاشقها الذي بها قد اشتهر

فرام أن تقضيه في الحين ... بعد كلام غير مستلين

بل هم أن يوجعها بضربها ... على خدود كان مفتونا بها

نفس الأريب انتبهي واعتبري ... وجددي العبرة أيضا وانظري...إلخ».

[775] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص273.

[776] بدأ التصالح بين مختلف الفصائل التي رضيت بإمارة أحمد بن احمد بن أحمد ابن عيده بمصالحة أحمد بن احمد بن أحمد ابن عيده لإبراهيم بن مگيه زعيم المجموعة الغيلانية القاتلة لأبيه الأمير احمد.

[777] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص36. وقال: «فلما علم الشنظوره بنبإ خلعه وإمارة ابن أخيه، فوجئ بابن أخيه راكبا على جواد فهرب في وجهه، فطارده حتى أدخله القصبة التي هي دار بوتاج التي في أطار، ولم يخرج منها حتى مات غما». وابيير بونت، مرجع سبق ذكره، ص 59. وأضاف: «وقع له – أي الشنظوره- ما وقع للاگرع بن الفظيل وابن أخيه سيدي أحمد، فقد دخل أحمد بن احمد خيمة عمه وزوج أمه

8- إمارة أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده:

واجتمع أهل آدرار على أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده المرشح للإمارة من قبل أولاد غيلان (لاسيما مجموعتي أهل مگيه وأهل تگدي)، وكان أهلا لذلك دينا وعدالة وعقلا وسياسة[778]، فكان لا يتهاون في رد المظالم وتأديب الظالمين، فازدهرت بلاده، وبلغ الأمن والاطمئنان غايتهما في عهده[779].

غير أن الحال فسد بينه وبين أولاد الجعفرية، بعد عامين من إمارته (سنة 1290هـ/ 1873م)، فتنصيب أحمد بن امحمد جاء في وقت كانت فيه الجعفرية المنتظمة حول أهل سيدي أحمد بن البرناوي العمناوي ترغب في تنصيب المختار بن امحمد بن سيدي أحمد بن عثمان، كما أن تقريب الأمير أحمد بن امحمد للمجموعة الغيلانية المؤثرة بزعامة وزيره الجديد إبراهيم بن مگيه لم يرق للجعفرية، فدبرت عملية اغتيال فاشلة للأمير حينما كان في واحة كنوال بآدرار بينما كانت "حلته" توجد بتيرس[780]. ورد الأمير على هذه المحاولة بيوم "اعيون البگر" الذي قتل فيه المختار بن محمد بن سيدي أحمد بن عثمان وفرسه، قتلهما إبراهيم بن مگيه، كما قتل فيه أبناء سيدي أحمد بن الفظيل الخمسة، وابنا البرناوي وغيرهم[781].

وتعقب الأمير أحمد بن امحمد ابن عمه أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده الذي كان مع أخواله أهل البرناوي المماليين للمختار بن محمد بن سيدي أحمد بن عثمان

الشنظوره فأخذ البندقية والخيل، وخرج دون أن يستطيع الشنظوره أن يتعرض له، ومات الشنظوره بعد ذلك فجأة». بونت، ص59.

[778] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص150.

[779] وقد تغنى الشعراء بمآثره هذه، ومن أشهر ما قيل فيه قول ابن المبارك ابن اليمين:

من عافيت أحمد لحمد ول أحمد ما يگبظ لغيار

حد الحد ألا يعطي حد ألحد اتل ماه لخبار...إلخ.

[780] ايير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص61. وأضاف: «إن نجاة الأمير من هذه المؤامرة كان بفضل تدخل من بعض الجعفرية الموالين للسماسيد الذين حالوا دون حرق واحة كنوال».

[781] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص150.

ليقتله، فلجأ إلى الحزام بن المعيوف فأجاره، فلم يقبل الأمير إجارته، فهاجر الحزام بمن معه من أولاد آگشار وأهل البرناوي وأحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده، ورجال من الجعفرية إلى الترارزة. ثم أخذوا يغيرون على آدرار، فوقعت بينهم وبين الأمير أحمد بن احمد وشيعته مناوشات منها يوم "تگفه"، ويوم "تنديجمار" جرح فيه إبراهيم بن مگيه، وقتل فيه رجال من أولاد آگشار، ويوم "تندوجه" سنة 1876م (1293هـ).

وانتقل الحزام بعد هذه المناوشات إلى أولاد دليم، بينما عاد عدد ممن كان معه، من بينهم أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده إلى آدرار بعد مفاوضات مع الأمير[782].

واتصلت المناوشات بين الحزام وأولاد دليم من جهة وأمير آدرار من جهة أخرى، فجرى بينهم يوم "السفيرات" (موضع بتيرس على ساحل المحيط) سنة 1292هـ/ 1875م، ويوم "آغوييت" (جنوب وادي الذهب) سنة 1294هـ 1877م، قتل فيه إبراهيم اخليل رئيس أولاد باعمر وثلاثة من قومه، قتلهم سيدي أحمد بوريشه بن تگدي، وإبراهيم بن مگيه، ومحمد الأمين بن سيدي موسى، وكانت تحتهم أفراس الإمارة، التي أهدى عثمان ابن أحمد ابن عيده لإبراهيم اخليل فاستعادوها، ففرح الأمير بعودتها[783].

وعظمت سطوة أحمد بن احمد إلى درجة أن سلطان المغرب بعث إليه سنة 1297هـ/ 1880م بوفد محمل بالهدايا النفيسة، وطلب منه الاعتراف بسلطته[784].

وفي سنة 1297هـ/ 1880م نشبت الحرب بين نغموشه (من أولاد غيلان) وأهل مانة الل من أولاد سلمون (من أولاد غيلان أيضا)، فكانت وقعة "اتخابيطه" عند مقطير أول

---

[782] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص62. وقيل إن أحمد بن سيدي أحمد عاد إلى آدرار واصطلح مع ابن عمه، بعدما جاء إلى الشيخ ماء العينين، فحثه على الرجوع وعلى عدم منازعة أحمد بن احمد لما اشتهر عنه من العدل وحسن السياسة والأخذ على أيدي الظلمة.

[783] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص153. وقال بونت: «وبقيت من هذه الأفراس واحدة ردها ابن إبراهيم اخليل وخليفته اعلي سالم في السنة الموالية لأحمد بن احمد لما أجابه إلى السلم». بونت، ص69.

[784] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص69.

وقعاتها، قتل فيها من نغموشه لوداعه بن بودرباله، ومن أهل مانة الل سالم بـن سـيدي المختار.

ثم قتل أهل مانة الل سيدي أحمـد بوريشـه بـن تگـدي سـنة 1300هـ/ 1883م[785]، وهاجروا إلى إيدوعيش، وأخذوا يشنون الغارات على آدرار فحاربهم الأمـير أحمـد بـن امحمد وإبراهيم بن مگيه، فجرت بينهم وقعات منها: السريز، وتنوجير، واگرارة أطاف، واحفر كرمط، وتيجرت...إلخ، مات فيها عدد من أهل مانة الل. وأغـار أهـل مانـة الـل على حلة الأمير عند الرغيويه، فقتلوا عـددا مـن الرجـال، ثم تبعتـهم نغموشـه ومعهـا الأمير فقتلوا عددا منهم[786].

وأضعفت هذه المعارك أهل مانة الل الذين عادوا إلى آدرار، بعـد مكاتبـة مـن الأمـير، وانتهت بذلك تدخلات الأمير الدامية في القضايا الخاصة بأولاد غيلان.

وفي الثالث من نفمبر 1884م (15 محرم 1302هـ) حـل الإسـباني إيميليـو بـونيللي بالداخله لإقامة مركز تجاري، وربط علاقات تجارية مع بيضان المنطقة. وفي شـهر دجمـبر من نفس السنة أعلمت إسبانيا بقية الدول الأوروبيـة بأنهـا أصـبحت تعتـبر سـواحل وادي الذهب محمية إسبانية. وفي يناير 1885م (ربيع الأول 1302هـ) شرع الإسـبان في تشييد هذا المركز التجاري، وبينما كـانوا يواصـلون بنـاءه إذ هاجمتـهم مجموعـة مـن البيضان أغلبها من أولاد با أعمر مـن أولاد دلـيم، وفيهـا عناصـر مـن قبائـل مختلفـة

---

[785] أصبح لسيدي أحمد بوريشه بن تگدي حظوة لدى الأمير منذ استرجاعه لخيل الإمارة من أولاد دليم في معركة "آغوييت"، فأثار ذلك ضده عدة مؤامرات لاسيما من طرف سيدي حرمه بن اخطيره وإبراهيم بن مگيه الذي كان يرغب في صيانة هيمنة أولاد سلمون على ظهر آدرار، وفي المحافظة على نفوذه لدى الأمير، فأشعلا نزاعا بين أهل تگدي وأهل مانة الل إثر شجار دام بين شبان من الطرفين كانوا يلعبون، وتباطأت إجراءات تسليم الدية حتى قتل سبط للعيدود بن مانة الل -وكان العيدود من زعمائهم- في غارة، فاتهم العيدود أهل تگدي بقتله مكرا، فحاول سيدي أحمد بوريشه إقناع العيدود بقبول الديه، فأمرت ابنة العيدود (والدة المقتول) شخصا بأن يربط حوار إحدى النوق في الخلاء ويحضر أمه فيعقلها قرب بيت العيدود، فحنت الناقة طوال الليل. وفي الصباح شكا العيدود لابنته من حنين الناقة، فقالت له: إن كل دابة تشكو فقدان صغارها إلا أنت. فانفعل، وخرج مسرعا وقلب قدح لبن كان في طريقه، وجمع أبناءه الثلاثة وأخاه وأمرهم بقتل سيدي أحمد بوريشه. بونت، ص71.

[786] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، 152.

كالعروسيين وأولاد تيدرارين، ومجموعة من مريدي الشيخ ماء العينين، فقتلوا عددا من الإسبانيين، وأسروا عددا، ودمروا وزشات البناء، واستولوا على البضائع التي كانت في الباخرة "إينيس" التي كانت راسية بالمنطقة، فقال الأمير أحمد بن احمد بن أحمد ابن عيده إن الإسبانيين معاهدون له، وأنهم خرجوا بإذن منه، وجاء إلى الشيخ ماء العينين يريد تسلم الأموال التي نهبت منهم وديات قتلاهم، فأقنعه الشيخ ماء العينين بالعدول عن ذلك فعاد إلى آدرار[787].

وفي 1886م (1303هـ) توجهت إلى إقليم وادي الذهب بعثة إسبانية جديدة برئاسة خوليو سيرفيرا، وبعثت هذه البعثة برسالة إلى أمير آدرار تطلب فيها تأمينها والسماح لها بالسفر إليه. وتمكنت هذه البعثة رغم المضايقات الكثيرة التي تعرضت لها في الطريق من الوصول إلى مخيم الأمير بناحية كدية الجل، وأبرمت معه اتفاقية بتاريخ 12 يوليو 1886م (10 شوال 1303هـ) تعترف بالحماية الإسبانية، لكن هذه الاتفاقية لم تدخل حيز التطبيق[788].

وفي سنة 1307هـ/ 1889م قتل محمد السالك بن الفروي (من إيديشلي)، قتله الطفيل بن السالك بن حمدات (من إيديشلي كذلك)، ثأرا لأبيه الذي قتله محمد السالك في حرب بين أهل أعمر بن حومه وأولاد هنون، فاتهم إبراهيم بن مگيه، وكان صديقا لمحمد السالك به الشيخ بن النويصري قائلا للأمير: إن الطفيل لا يجرؤ على قتل محمد السالك إلا بمشورة الشيخ بن النويصري[789]، فشجع ذلك أخا المقتول سيدي

---

[787] الطالب اخيار بن الشيخ ماميا، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، مرجع سبق ذكره، ص19-20-89. وأضاف أن أمير آدرار جاء إلى الشيخ ماء العينين ومعه فتوى من بعض الزوايا فبين له الشيخ ماء العينين وجه الحكم الشرعي، وأن ذلك هو السبب في تأليف الشيخ ماء العينين لكتابه "هداية من حارا في أمر النصارى".

[788] المرجع نفسه. ص21-22.

[789] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص53-55. ويشرح بونت الظروف المكتنفة لهذا الاغتيال فيقول: «عند وصول أحمد بن احمد إلى الإمارة، كان الصراع قائما بين طرفين من إيديشلي هما أولاد هنون بزعامة الشيخ بن النويصري، والتحق بهم كل من الحيصر وأولاد ساسي (وهما فرعان من الظهر)، بينما التحق أهل الشيخ بن بكار من الظهر، وأولاد انتاه من الباطن بالطرف الثاني: أهل أعمر بن حومه،

أحمد بن الفروي، وكان حاضرا، على قتل الشيخ بن النويصري الذي جاء إلى خيمة الأمير لما علم بمقتل محمد السالك في انتظار ما سيسفر عنه الأمر، فقام إليه وقتله، والأمير والناس ينظرون.

وأظهر أولاد هنون الصبر حينها، لكنهم عزموا على الثأر من إبراهيم بن مگيه لدم الشيخ بن النويصري[790]، فلما قحطت الأرض، وخرج الناس إلى جهة تگانت وباطنها طلبا للنجعة، ورحلت حلة أحمد بن احمد حتى نزلت التاخصه، ذهب سالم بن بوشامه في نفر من قومه إلى حلة بكار ليشاوروه حول قتل إبراهيم، فقد كانوا يدركون أنه لا يمكنهم قتل إبراهيم ما دام الأمير حيا، وكانوا يخافون إذا قتلوا الأمير من خاله بكار بن اسويد أحمد[791]، فلما قالوا له: لا نقدر على قتل إبراهيم بسبب ابن أختك،

وكان أولاد انتاده في نزاع مع أولاد هنون حول ملكية واحة تيزنت. وقتل رجلان من أهل أعمر بن حومه في بداية عهد أحمد بن احمد فاضطرم النزاع، وتدخلت الإمارة، وهاجر أولاد هنون والمحيصر إلى تگانت، ثم شنوا عدة غارات ضد خصومهم من أهل أعمر بن حومه. وخلال إحدى هذه الغارات قتل محمد السالك بن الفروي وهو تحت لواء الشيخ بن النويصري رجلا من أسرة أهل حمدات. وبعد سنوات من الغربة عاد أولاد هنون وحلفاؤهم إلى آدرار إثر غارة فاشلة ضد واحة تيزنت، انتهت بمصالحتهم للأمير، وخصومهم من إيديشلي. ثم إن الأمير أراد الإغارة على الترارزة إثر غارة شنها الحزام بن المعيوف من الترارزة على آدرار، فطلب الأمير من إبراهيم بن مگيه رجالا من أولاد غيلان، وطلب من الشيخ بن النويصري رجالا من إيديشلي، فقال الشيخ: إن واجب إيديشلي هو الدفاع عن آدرار وليس التدخل في الخارج، فأشار إبراهيم بن مگيه على الأمير بأن يوجه طلبه إلى محمد السالك بن الفروي، أحد أصحاب الشيخ بن النويصري المشهورين، فجاءه بثلاثة عشر رجلا من إيديشلي. ونجحت الغارة، وعاد محمد السالك وإبراهيم بن مگيه محملين بالغنائم، فسر الأمير بذلك. وغار الشيخ بن النويصري من حظوة محمد السالك الجديدة لدى الأمير، فجمع قومه وأخبرهم بأنه لم يعد مسؤولا عن محمد السالك. يومئ بذلك لأهل حمدات الذين كانوا يرغبون في قتله ثأرا لقتيلهم الذي قتله محمد السالك سابقا. وفي اليوم الموالي قتل محمد السالك بينما كان نائما في دار لرجل من السماسيد». (بونت، مرجع سبق ذكره، ص74-75).

[790] وبهذه المناسبة قالت إحدى نساء إيديشلي تحرض على الثأر للشيخ بن النويصري:

واف عند الشيخ اصبر فالضعيف أفالقاوي
وايديشلاوي ما نذكر عاگب ذ الموت احراوي
عن بعد اتل ينذكر في الدهر إيديشلاوي.

انظر/ أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص39.

[791] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص65.

فقال لهم: "إن حلت بينكم وبين ابن أختي فاقتلوني قبله[792]. فرجعوا وتربصوا بالأمير وإبراهيم بن مگيه، والمتولي كبر ذلك سالم بن بوشامه الذي حلف لا أكل تمرا حتى يقتل أحمد بن احمد، واحمد بن گلاي، وأحمد بن سيدي المختار، ثلاثتهم من أولاد هنون، وأعمر بن محمد فو من أولاد ساسي، ثم هجموا على الأمير منصرفه من صلاة العشاء، هو وإبراهيم بن مگيه وسيدي محمود بن اهميمد، فقتل سالم بن بوشامه الأمير، ولم يمت إلا بعد وقت من إصابته، وقتل احمد بن گلاي إبراهيم بن مگيه، وقتل أحمد بن سيدي المختار سيدي محمود بن اهميمد، وذلك في 13 رجب سنة 1308هـ (22 فبراير 1891م)[793].

9- إمارة أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده:

ولما أصيب أحمد بن احمد بن أحمد ابن عيده، وعرف أنه ميت استخلف ابن عمه أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده، وقال له: «لا تهدر دمي، ولا تعف عن بكار بن اسويد أحمد، فإنه مالأ إيديشلي على قتلي[794]»، فوعده بذلك[795]. فلما بويع لأحمد بن سيدي أحمد واستتب له الأمر، نفر من فوره إلى إيدوعيش، وكان قد حلف أمام كبراء "الحلة" أثناء بيعته على الأخذ بثأر الأمير المقتول، واجتمعت عليه للأخذ بهذا الثأر مختلف طوائف أبناء يحي بن عثمان، وانضم إليه الحزام بن المعيوف، فوقعت بين الأمير الجديد وبين إيدوعيش أيام منها: يوم "آرزاگ" سنة 1308هـ/ 1891م قتل فيه احمد

---

[792] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص75.

[793] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص153.

[794] المرجع نفسه، ص153. وحسب ابيير بونت فإن السبب في ممالأة بكار لإيديشلي أنه كان يريد الأخذ بثأر ابنه المختار الذي قتله إبراهيم بن مگيه سنة 1890م (1306هـ)، وكان لابد له لكي يشفي غيظه من إبراهيم أن يسمح بقتل الأمير الذي لا يفارقه. بونت، مرجع سبق ذكره، ص75.

[795] قيل إن أحمد بن احمد استدعى أحمد بن سيدي أحمد وقال له: أريد منك ثلاثة أمور: الأول ألا تترك دمي يبرد، والثاني ألا تحمل ضغينة لأهلك (إيديشلي)، والثالث ألا تبعد أولاد غيلان عن سياسة إمارتك. فقال له: مت أنت بسرعة ولا تهتم بشيء. بونت، ص76.

بن بكار بن اسويد أحمد، ويوم "الطرطيگه" 1308هـ/ 1891م، وكـان يومـا مشـهودا لأهل آدرار[796] على إيدوعيش[797]. وفي هذه الوقعة كان مع الأمير أحمد بن سـيدي أحمـد اثنا عشر رجلا من إيديشلي، فلما بلغ "تنتشل" تمالأ مع أولاد غـيلان علـيهم فقتلـوهم ثأرا لدم أحمد بن احمد وإبراهيم بن مگيه.

وغزت إيدوعيش أولاد يحي بن عثمان فجرى بينهم يوم "امرايـر حمـدون" (1309هــ/ 1891م)، انتصر فيه أولاد يحي بن عثمان على إيـدوعيش[798]. ثم جـاء يـوم "انتـاكش"

---

[796] قال فيه الحزام بن المعيوف "طلعة" مشهورة يعرض فيه بفرسان إيدوعيش ممن كان ينوي نهب خيل أهل آدرار:

آنَ گالولِي عن عثمـــــانْ — امحولِ يسبـتْ هـــوْلِ
بافرصْ عند احيَ من عثمــانْ — وامحولِ بكار ابحـــولِ
واكتنْ يامسْ رينَ فرســـانْ — حظرُ للفـتـــــنَ گالولِ
عن ما حانَ لِفرصْ عثمـــان — ألا حانَ بكار الحـــولِ

وقد رد شاعر إيدوعيش على هذه "الطلعة" بعد انتصارهم على أهل آدرار يوم فرع الكتان.

[797] قال ابن انتهاه: «وكان غزوه لأهل تگانت من أعظم الأمور عند عامة الناس، لكون أهل آدرار في أسر إيدوعيش وقبضتهم منذ أحمد بن احمد بن أحمد بن عيده، فهم لهم كالعمال في الأرض، فلما غزاهم أحمد وظفر بهم بالطرطيگه التي ما وراءها وراء عندهم لأنها من الأمكنة الصعبة، فجندل أبطالهم، وهزم خيلهم ورجالهم، وساق إبلهم، ومكث معهم في الحرب ثلاثة أيام، وهم معه في أشد ما يكون.. ورجع أحمد بن سيدي أحمد ومن معه في غاية الفخر لكونهم ارتقوا مكانا صعبا لم يخطر لأحد ببال من قبلهم. وفي ذلك قال محمد عبد الرحمن بن المبارك الگنافي:

الاماره لاحمد كيفن جات — اسمعها مـــا ظل أولا بات
رباها تربيت الامنات — ادخلت كفالت حد اصديگ
حنكها بادموع الحرات — أرظعها بارفـــود ابخاويگ
أصرطها ريگ أثلت كصرات — بامخل الاطفال ابگر سيگ
وانخلع منها الامارات — ألا فيهم وحد گالت گيگ
أذاك الريگ أل صرطها فات — جعلت بيه العربان ادگيگ
وسات عادتها وأبات — تصرط ش ماه ذاك الريگ».

راجع، ابن انتهاه، مرجع سبق ذكره، ص 56-57.

[798] قال بابا بن الشيخ سيديا: «يقال إن جيش إيدوعيش فيه ألفان وسبعمائة، ومعهم عالي بر السوداني الذي كان سلطانا لاچيولوف [ناهض الفرنسيين، فاضطر إلى ترك أرضه، فلجأ إلى إيدوعيش في عهد بكار بن اسويد أحمد]، وأن أهل آدرار في ذلك اليوم لا يتجاوزون سبعمائة، وكانت الدائرة فيه على إيدوعيش، وكان الحادث عظيما». بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق، إزيد بيه بن أحمد محمود، الطبعة الثانية، 1994، انواكشوط، ص125.، ص155.

(1309هـ/ 1891م)، وكان شديدا على الطرفين، بعدما دخلت كنته الحرب إلى جانب أهل آدرار[799]. وبعد ذلك وقعت وقعة "آنكش" (قرب قصر البركه) بين إيدوعيش وكنته وأولاد يحي بن عثمان قتل فيها سبعة من أهل امحمد شين[800]. ثم يوم "فرع الكتان" (الفريع) سنة 1310هـ/ 1892م انتصر فيه إيدوعيش[801] على أولاد يحي بن عثمان وكنته[802]، وكان مع هؤلاء أولاد اللب الذين فقدوا في هذا اليوم اثنين من أبطالهم هما سيدي امحمد بن محمد بن عثمان، وبلاه بن البيظ، وجرح فارسهم الشهير الأديب محمد بن أحمد مرحبه[803]. وفي هذا اليوم حالف إيديشلي إيدوعيش، انتقاما من الأمير على غدره برجالهم.

وكان يوم "فرع الكتان" آخر أيام الحرب بين الطرفين، فإيدوعيش اكتفوا بهذا الانتصار الحاسم، وأحمد بن سيدي أحمد انشغل بمعالجة التطورات التي حصلت في آدرار بعد انشقاق إيديشلي.

وخلال هذه الفترة كلف وزير المستعمرات الفرنسية (سنة 1891م/ 1308هـ) الإداري السينغالي فابير بالاتصال بأمير آدرار وتوقيع معاهدة سلام معه، فأقامت البعثة 47 يوما في مخيم الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل بتويزكت (190 كلم شمال انواكشوط) الذي كان يتولى الوساطة بين الفرنسيين وأمير آدرار، لكن فابير لم يتمكن من لقاء أمير آدرار الذي كان منشغلا بالحرب مع أمير تگانت، واقتصر الأمر على

---

[799] في تاريخ تجگجه: «وقعة "انتاكش" بين كنته وأولاد يحي بن عثمان من جانب، وإيدوعيش وأولاد طلحه من جانب آخر، قتل فيها من الأولين أربعون». عن المختار بن حامدن، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص278.

[800] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص278.

[801] لما انتصر إيدوعيش يوم "فرع الكتان" ردا على ماتقدم من قول الحزام يوم الطرطيگه:

گولِ الْ لَحزامْ ءُ لا فخـــرَ	عني ريتْ البيهْ امْحَـــولِ
ريتُ هو يومْ الحصْـــــرَ	ماش بَارُزَالْ امْجَـــولِ
ريتْ العودْ افبَلْ المهْـــــرَ	واسيْسَاحْ افبلْ الحـــوْلِ

[802] قتل فيه من أبطال أولاد يحي بن عثمان أعمر بن كركوب وغيره. المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص154، وص278.

[803] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص43.

تبادل للرسائل بين الطرفين دون تحقيق أي نتيجة تذكر[804]. وبعد ذلك بأشهر تمكن مبعوث الفرنسيين المترجم السينغالي دودو سك المشهور بمحمدن بن ابن المقداد من الوصول إلى آدرار وتوقيع اتفاقية مع أمير آدرار يوم 8 أغسطس 1892م (15 محرم 1310هـ) تلتزم فرنسا بموجبها، بعدم التدخل في شؤون آدرار الداخلية، وبفرض احترام القوافل القادمة من آدرار إلى اندر، وبمساعدة الأمير في نزاعه مع أعدائه، وبأن تدفع له فرنسا 500 "بيصه" من "النيله" سنويا، مقابل تعهد الأمير بعدم توقيع أية اتفاقية مع أي قوة أجنبية أخرى[805].

وفي سنة 1314هـ/ 1896م فسد الحال بين الأمير أحمد بن سيدي أحمد وأولاد سلمون الذين هجموا على الأمير وحاصروه بدعم من أهل سيدي محمود، وقتلوا رجلا من أخواله يدعى امحمد بن محمد سالم بن البرناوي ونهبوا المال، ثم هاجروا باتجاه تگانت.

واشتبك الفريقان في يومين هما: يوم "آزويگه"، التقى فيه الحزام في عصابة مع محمد بن فيدار في جماعة[806] فقتل الحزام، وأخوه امحمد، وأحمد بن كركوب وغيرهم، ويوم "تيدناتن"، قتل فيه الحضرامي بن محمد الأمين بن سالم بن المحمود، وابن صيگه وابن التونسي، ثلاثتهم من أولاد سله من أولاد غيلان، وقتل فيه أربعة من إيديشلي[807].

وحاول الأمير أن يفرض مغرما على بعض الملالكه فاستعظم أولاد غيلان ذلك، وكانوا متغيظين على الأمير لتسببه في جلاء أولاد سلمون عن آدرار[808]، فحاصروه في داره، ثم أفرجوا عنه وارتحلوا قاصدين اللحاق بقومهم (أولاد سلمون)، وذلك سنة 1315هـ/ 1897م، فنفر الأمير لقتالهم، بعدما عبأ إيديشلي الذين سبق أن شجع عودتهم من

---

[804] إيبير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص91.

[805] المرجع نفسه، ص91-92.

[806] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص68.

[807] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص155.

[808] عبد الودود بن انتهاه، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مرجع سبق ذكره، ص67.

تكّانت ضد أولاد غيلان، فوقعت بينهم وقعة "تاوجافت"، التي قتل فيها عدد من الطرفين. ثم أغار أولاد غيلان على حلة الأمير فقتلوا ثلاثة من إيديشلي.
ورحل الأمير إلى الساحل، ثم أخذ في تعبئة أولاد دليم (أعداء أولاد غيلان تقليديا) وغيرهم من قبائل الساحل ضد أولاد غيلان الذين هاجموا آدرار بمعية إيدوعيش[809] إبان غيبته ونهبوا أموالا كثيرة، وجاء الأمير أحمد بن سيدي أحمد ومعه أولاد دليم فاشتد الأمر، ثم صالح الأمير أولاد غيلان وترضاهم، فعادوا إلى آدرار 1316هـ/ 1898م.
لكن الصلح بين الطرفين كان هشا، فقد عزم الأمير من جديد على تغريم الملالكه، بينما أغار أولاد آگشار على مخيم للذهيرات الغيلانيين عند التوامه للأخذ بثأر الحزام. والتهبت المشاعر من جديد، واشتد الضغط على الأمير[810]. وفي هذه الظروف انهدمت عليه داره في كنوال سنة 1316هـ/ 1898م فمات.

10- إمارة المختار بن أحمد ابن عيده:

واندلعت في أعقاب وفاة أحمد بن سيدي أحمد أزمة خلافة أوصلت إلى السلطة المختار بن أحمد ابن عيده[811]، مرشح الجعفرية على حساب مرشح أولاد غيلان محمد بن سيدي بن عثمان. وكان المختار رجلا متسامحا، فشهد آدرار في عهده أوضاعا متردية مشحونة بالفوضى والنهب، فلم يتمكن من السيطرة على الوضع، رغم أنه استوزر ابنه أحمد، فقبائل الساحل أخذت تحقق بفضل تسلحها بالأسلحة النارية المتطورة المعروفة بـ"الوروار" تفوقا عسكريا على قبائل آدرار، لاسيما الركّيبات وأولاد بسباع الذين اضطر ضغطهم على الإمارة الأمير وابنه إلى مطالبة الشيخ ماء العينين

---

[809] إيبير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص81.

[810] المرجع نفسه، ص82. ويفصل بابا بن الشيخ سيديا هذا الحدث بقوله: «ثم فسد ما بين أولاد غيلان من أهل آدرار وبين أميرهم أحمد بن سيدي أحمد، فراسلوا إيدوعيش فقدم عليهم عثمان بن بكار بن اسويد أحمد في جيش من إيدوعيش، وصاروا معهم يدا على بقية أهل آدرار فانتصروا عليهم، وحصروا أحمد في داره في أطار». بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص87.

[811] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص163.

بالمساعدة في تهدئة الأوضاع المضطربة في المنطقة، وحثه على بذل جهده في إقناع ابن هيبه العمني بالصلح مع الأمير وشيعته من أهل عثمان، وعدم التحالف مع أولاد بسباع[812].

وفي سنة 1899م وصل محمدن بن ابن المقداد مجددا إلى آدرار، ونجح في إبرام اتفاق مماثل لاتفاقه السابق مع الأمير أحمد بن سيدي أحمد مع المختار يرفع عدد "البيصات" التي تمنح للأمير إلى 800 "بيصة"، وبقيت هذه المعاهدة بدورها حبرا على ورق.

وفي مارس 1899م (شوال 1316هـ) قررت فرنسا إيفاد بعثة استكشافية إلى عمق البلاد، وتم تكليف عالم آثار فرنسي يدعى بول بلانشي بقيادة البعثة التي تضم فرنسيين آخرين أحدهما جيولوجي، والآخر عسكري، كما تضم المترجم محمدن بن ابن المقداد، وثلاثين مجندا إفريقيا، وتتوفر على 85 جملا من بينها 67 محملة بالبضائع والمؤن. وقد انطلقت هذه البعثة من اندر في إبريل 1900م (ذي الحجة 1317هـ) ووصلت إلى تويزكت مقر مخيم الشيخ سعد بوه، الذي انطلقت منه باتجاه أطار الذي استقبلهم سكانه بالشتائم والتهديد، مطالبين الأمير بعدم السماح للنصارى بدخول المدينة، لكن أحمد بن المختار تولى استضافة البعثة نيابة عن والده الذي كان يوجد حينها خارج أطار، وتعهد بحمايتها. وبعث ابلانشي محمدن بن ابن المقداد إلى الأمير لإقناعه بالمجيء إلى أطار، أو السماح للبعثة بالانتقال إليه لتوقيع اتفاقية تجارية جديدة مع فرنسا. وبينما كان محمدن بن ابن المقداد يفاوض الأمير خارج أطار، تمت مهاجمة البعثة من قبل السكان، ووقعت اشتباكات متقطعة بين الطرفين يومي 9 و10 يونيو 1900م (11 و12 صفر 1318هـ) أسفرت عن قتل عشرة أشخاص من البعثة، ونهب القافلة، وأسر الفرنسيين الثلاثة، بينما لاذ بقية أفراد البعثة بالفرار عائدين إلى اندر.

---

[812] الطالب اخيار بن الشيخ ماميا آل الشيخ ماء العينين، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، 2005، ص505 - 506.

وأوفد الوالي الفرنسي على وجه السرعة رسلا إلى كل من الشيخ سعد بوه والمختار ابن عيده لضمان سلامة الفرنسيين. وطالب سكان آدرار الغاضبون من دخول النصارى إلى بلادهم بإرسال هؤلاء الفرنسيين إلى الشيخ ماء العينين في السمارة، لكن الشيخ سعد بوه نجح أخيرا في استخلاصهم مقابل فدية مالية بعدما قضوا سبعة وسبعين يوما في الأسر[813]. واضطر المختار إلى التنازل عن الإمارة بعدما اتهم من قبل أولاد غيلان وبعض الزوايا بأنه شجع دخول الفرنسيين إلى آدرار[814]، فرحل إلى الشيخ سعد بوه، ثم التحق بكبلاني في بتلميت[815].

11- إمارة أحمد بن المختار بن عيده:

وتسلم أحمد بن المختار الإمارة، لكنه في الواقع لم يحصل على مساندة خارج الجعفرية وشيعتها. وازدادت الاضطرابات في عهده، حيث غزا الركيبات آدرار سنة 1319هـ (1901م)، ودارت معارك بين أولاد عمني وأولاد بسباع، منها يوم لمونك انتصر فيه أولاد عمني، ويوم النعاجية سنة 1319هـ (1901م)، ويوم تابرنكوت، ويوم بوخزامه سنة 1321هـ (1903م)، ومات في هذا اليوم الأخير الذي انتصر فيه أولاد بسباع بفضل "الوروار" الأمير أحمد بن المختار.

12- إمارة سيدي أحمد بن أحمد بن سيدي أحمد:

وبعد مقتل أحمد بن المختار دخلت الإمارة في فوضى جديدة انتهت بقبول أولاد غيلان تنصيب سيدي أحمد بن أحمد بن سيدي أحمد. كان سيدي أحمد صغيرا عندما توفي أبوه، فأرسلته أمه إلى الشيخ ماء العينين خوفا عليه من القتل، فتربى على يديه، فلما جاءه أولاد غيلان ليتصالحوا مع الركيبات بعد سنوات من الحرب، نصحهم الشيخ ماء

---

[813] محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص169-228.

[814] ابيير بونت، إمارة آدرار، مرجع سبق ذكره، ص92.

[815] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

العينين بتأمير سيدي أحمد، فقبلوا بذلك[816]، فعاد سيدي أحمد مع أولاد غـيلان إلى آدرار وتقلد الإمارة. وجاء تنصيب الأمير الجديـد في وقـت بـدأ فيـه الفرنسـيون بـالتخطيط لاحتلال تگانت.

وكان سكان آدرار يشعرون بأن احـتلال تگانـت سـيقود إلى احـتلال آدرار، فبـدأوا في تنظيم المقاومة. وقاد ذلك إلى تسلل مجموعة من مجاهدي آدرار بقيادة سيدي بـن مـولاي الزين إلى تجگجه، واغتيالها للمفوض العـام لفرنسـا في موريتانيـا اگزافيـي كوبـولاني. وشحذ هذا الاغتيال همم المجاهدين، وفي طليعتهم الأمير سيدي أحمد الذي أمده الشـيخ ماء العينين بعدد كبير من المجاهدين على رأسهم ابنه الشيخ حسنا، كما أمـدهم ملـك المغرب السلطان عبد العزيز بمولاي إدريس بن مولاي عبد الرحمن بن مولاي سـليمان (أحد أبناء عمومته من شرفاء تافلالت) لقيادة المقاومة.

ودخلت فرنسـا أطـار يـوم 9 ينـاير 1909م (16 ذي الحجـة 1326هــ)، وأكملـت احتلال آدرار في نفس السنة، لكن ذلك لم يمنع الأمير سيدي أحمد من مواصـلة المقاومـة لفترة طويلة، حتى استشهد في مواجهة مع الفرنسيين بنواحي وديان الخـروب (بـتيرس) سنة 1932م (1350هـ).

[816] المرجع نفسه، ص94.

إمارة إيدوعيش

تحولت الأسر الأميرية للمرابطين، بعد تفكك دولتهم، إلى رئاسات قبلية متفرقة. واستطاعت ذراري هذه الأسر (لاسيما ذرية الأمير يحي بن عمر اللمتوني وذرية أخيه الأمير أبي بكر بن عمر، وذرية الأمير يوسف بن تاشفين) أن تحتفظ بنوع من الزعامة المتوارثة بين قبائل لمتونة الصنهاجية حتى مقدم بني حسان[817].

ولما جاء بنو حسان ودخلوا في حروب طاحنة مع قبائل صنهاجة اضمحل (أو ضعف) معظم هذه الرئاسات. وتمكن أوديكه بن آكر بن بگه (شهرته آكر أن بگه) بن أنمر بن عثمان (أحد أحفاد يحي بن عمر اللمتوني وأحد رؤساء الأنباط) في بحر القرن العاشر الهجري (16م) من إخفاء ابنه بنيوگ لدى أسرة من إيدوعلي بشنقيط خوفا عليه من القتل، فكان أبناء هذه الأسرة يدعونه "خونه" (أخونا) فاشتهر بهذا اللقب[818]. وأظهر خونه لما كبر والتحق بقومه من الشجاعة وحسن التدبير وبعد النظر ما أهله لقيادتهم.

1- إمارة امحمد بن خونه:

وورث امحمد بن خونه رئاسة أبيه. وتمكن من إعادة لم شمل صنهاجة الذين شتتتهم الحرب حول ذويه إيدويدر (نسبة إلى يدر أن بگه[819]). وترجمت إيدويدر بالحسانية إلى إيدوعيش، ثم أصبحت علما على هذا التكتل الناهض.

وتحالف امحمد بن خونه مع أولاد امبارك، وزوج ابنتيه العاليه ثم عيشه لهنون العبيدي بن محمد الزناگي أحد رؤساء أولاد امبارك[820]، فاستطاع من خلال ذلك أن يوطد

---

[817] يوجد صدى لهذه الأسر الثلاث في ذراري هذه القبيلة.

[818] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص183.

[819] أي يدر بن بگه، ومعنى يدر يعيش.

السلطة التي ورث عن أبيه، وأن يضع الأسس الأولى لإمارة إيدوعيش[821] التي اشتهرت كذلك بإمارة تگانت. «ومعنى تگانت الغابة، وهي حلقة كآدرار، يحفها من الجانبين جبل عظيم، كجبل آدرار، يسمى سن تگانت، وأولها من جهة آدرار [من الناحية الشمالية الغربية] العاتگ، وهي كثبان عظام متصلة بجبال أكثرها سود، وبعضها زرق. وتنتهي تگانت من جهة [الشرق وشمال الشرق] في أدافر، وهو أرض كثيرة الرمال، قليلة المياه، ومن جهة الجنوب والجنوب [الغربي] في العصابه والركيبه، ومن جهة [الجنوب] الشرقي في آوكار، [وهي] أرض واسعة واقعة بين تگانت وتيشيت وارگيبه والحوض فغربيها [الشمالي] مما يلي تگانت، [وجنوبيها الشرقي] مما يلي الحوض، وجنوبيها [الغربي] مما يلي الركيبه، وشرقيها الشمالي مما يلي تيشيت[822]». ويستوطن تگانت إلى جانب إيدوعيش إيدوعلي وكنته، وهما قبيلتان مشهورتان من قبائل الزوايا. كما نشأت بتگانت قبيلة أهل سيدي محمود الزاوية التي ستكون لاحقا بالركيبه رئاسة خاصة بها[823].

---

[820] ولدت العالية بنت احمد بن خونه لهنون العبيدي أربعة أولاد هم: بوسيف وهو وعمو وسيدي أحمد، ويطلق على هؤلاء وذراريهم أولاد العاليه. وولدت له أختها عيشه ثلاثة أولاد هم: عثمان وأحمد وبكار، ويطلق على هؤلاء وذراريهم أولاد عيشه.

[821] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص183.

[822] أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سبق ذكره، ص443، 454، بتصرف. وما بين المعقوفتين تصويبات حررناها بالتدارس مع الباحث يحيى بن احريمو، فالنص الأصلي للوسيط (بتصرف) كان كالتالي: «ومعنى تگانت الغابة، وهي حلقة كآدرار، يحفها من الجانبين جبل عظيم، كجبل آدرار، يسمى سن تگانت، وأولها من جهة آدرار غربا العاتگ، وهي كثبان عظام متصلة بجبال أكثرها سود، وبعضها زرق. وتنتهي تگانت من جهة الشمال في أدافر، وهو أرض كثيرة الرمال، قليلة المياه، ومن جهة الجنوب والجنوب الشرقي في العصابه والركيبه، ومن جهة الشمال الشرقي في آوكار، وهي أرض واسعة واقعة بين تگانت وتيشيت وارگيبه والحوض فغربيها الجنوبي مما يلي تگانت، وغربيها الشمالي مما يلي الحوض، وجنوبها الشرقي مما يلي الركيبه، وشرقيها الشمالي مما يلي تيشيت». وهذه الجهات هنا معربة من الحسانية وفق جهات أهل المناطق الشرقية، بينما اعتمد مؤلف الوسيط أثناء تعريبها جهات أهل المنطقة الجنوبية، نبه على ذلك الباحث محمد بن مولود بن داداه.

[823] خرج المرابط سيدي محمود بن الطالب المختار الحاجي من وادان إلى بلاد الركيبه في ثمانينات القرن الثاني عشر للهجرة بسبب صراع وقع على الإمامة في وادان. وأخذ عن العالمين الطالب جدو بن ختيرو بن الطالب مصطف الغلاوي (ت1184هـ 1770م) والشيخ سيدي الأمين بن حبيب الجكني (ت1180هـ 1766م) الذي زوجه ابنته.

وكانت أرض تگانت تضم إبان قيام إمارة إيدوعيش قبائل حسانية منها أولاد امبـارك، وجلوا عن تگانت بعد يـوم "آكـرراي" والأيـام الـتي تلتـه (1172هـ- 1173هـ/ 1758م- 1760م) باتجاه الرگيبه والعصابه والحوض حيث كان نفوذهم قد امتـد إلى هناك منذ فترة، وأولاد الناصر والتحقوا بالحوض بدورهم، وأولاد طلحة، والعويسـيات، وبعض أولاد بولحيه، والزبيرات والگوانيط، وغيرهم. كما آوت تگانت قبيلـة مشـظوف التي قاومت بني حسان إلى جانب إيدوعيش، قبل أن تـدخل مـع إيـدوعيش في شـقاق، وترحل إلى الحوض حيث ستقيم هناك إمارة خاصة بها.

واشتهر المرابط سيدي محمود بالصلاح فأقبل عليه الناس وانخرط في سلكه كثير من أهل المنطقة من إيدوعيش ومشظوف وأولاد امبارك وأولاد الناصر وأولاد داود وإيرالن، وعائلات من تجكانت ومسومه وتاگاط وتندغه وغيرهم.

وقد هاجرت بهجرة المرابط سيدي محمود إلى الرگيبه فصائل من إيدوالحاج من إيدوبجه ولوتيدات وإيدياقب وأولاد الحاج وغيرهم. ولما توفي المرابط سيدي محمود سنة 1200هـ (1786م) خلفه ابناه محمد الراظي وعبد الله، وكان عبد الله عالما فاهما حازما أخذ عن المختار بن بونه وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم وغيرهما، وسعى إلى توطيد الرئاسة التي أسس والده والتخلص من كنته الذين ناصروا إيدوالحاج في حربهم مع إيدوعلي، ثم فسد الود بعد ذلك بينهم وبين إيدوالحاج، ولم يزل يعد العدة لحرب كنته حتى توفي محمد بن احمد شين أمير تگانت الذي كان يحول دون نشوب الحرب بين الطرفين، فقد انقسمت بموته سنة 1236هـ (1820م) إيدوعيش، وناصر بعض أبناء محمد بن احمد شين عبد الله فاندلعت الحرب بينه وبين كنته. ولما وضعت هذه الحرب التي دامت سنوات أزوارها أصبح عبد الله بن سيدي محمود أحد الرؤساء الكبار في المنطقة، واجتمع عليه خلق كثير زيادة على ما اجتمع عليهم في عهد والده، وأقبل على إحياء الأرض وحفر الآبار وبناء السدود. وتوفي عبد الله سنة 1255هـ (1839م) فترأس ابنه محمد المختار وتوفي سنة 1261هـ (1845م)، ثم ترأس أخوه محمد محمود واشتهر بالسياسة والحزم والشجاعة فعمل على توسيع رئاسة أهل سيدي محمود، وفي أيامه تجدد القتال بين كنته وأهل سيدي محمود، فكان من أيام الحرب بين الطرفين يوم "اگطيع نخل الرشيد" سنة 1270هـ (1854م)، كما شارك في الحروب الدائرة في المنطقة، وكان يتحالف مع الشراتيت تارة ومع مشظوف تارة، ومع الأغلال أحيانا بحسب الحال. وفي سنة 1297هـ (1880م) هاجم "حلة" بكار بن اسويد أحمد واستولى على أفراس من خيله، فدخل في حرب مع إيدوعيش وواجههم بمشظوف سنة 1299هـ (1882م)، وكان مع إيدوعيش أولاد الناصر والاغلال فوقعت وقعة "أگمون"، وكان النصر فيها حليفه. ثم اغار عليه إيدوعيش ومعهم كنته يوم أدروم فهزموه، وقتلوا كثيرا ممن معه، وجرح المصطفى بن عبد الله بن سيدي محمود في هذا اليوم، وتوفي بعد ذلك جراء جراحاته. ثم اصطلح محمد محمود مع إيدوعيش . وتوفي سنة 1300هـ (1883م)، وبموته انقسمت حلته بين أبنائه. نقلا عن يحي بن احريمو، ورقات في تاريخ أهل سيدي محمود.

وتقطن بتگانت كذلك مجموعات من قبائل الرعيان، وأهل الفلالي، وإيديبسات، وتجكانت، ولادم، وإيديشلي.

ولما توفي امحمد بن خونه أصبحت إيدوعيش تضم ثلاث "حلل" رئيسية: "حلة" أهل أعمر بن امحمد بن خونه، وفي هذه الحلة بقي اسم إمارة إيدوعيش، ومع أهل أعمر أولاد اعلي انتونفه (تغده والسواكر...إلخ)، والأنباط وغيرهم من إيدوعيش، وساندهم أولاد طلحة والزبيرات من بني حسان. و"حلة" أهل اسويد بن امحمد بن خونه، وكانوا بتيشيت ونواحيها، ويساندهم العويسيات من بني حسان، وحلة أهل اعلي بن امحمد بن خونه، وكانت بين حلة أهل اسويد وحلة أهل أعمر، وساندتهم مشظوف، وانقسم باقي أبناء امحمد بن خونه بين "حلل" إخوتهم الثلاثة المذكورين.

2- إمارة أعمر بن امحمد بن خونه:

تأمر أعمر بن امحمد بن خونه الذي ولد سنة 1080هـ (1669م)[824] بعد وفاة أبيه امحمد خونه، وكان شجاعا بعيد النظر، قاد إيدوعيش في يوم "كساري" الذي وقع في شوال 1124هـ (نفمبر 1712م) بين أولاد امبارك يعضدهم أولاد الناصر وإيدوعيش ضد أولاد بوفايده وشيعتهم، ومثل هذا اليوم بداية اعتراف بني حسان بقوة إيدوعيش ومهاراتهم القتالية.

وفي عهد أعمر قتل رجل من أزناگه (صنهاجة) يدعى ببش رجلا من أولاد امبارك، فاشترط أولاد امبارك على رئيسه أعمر دفع دية مغلظة: مائة من كل صنف (خيلا وإبلا وغنما...إلخ) لتفادي الحرب، وكانت عند رجل من إيدوعيش يدعى بلاَّدي فرس عتيقة تدعى أنخيم، فأخفاها تفاديا لدفعها في دية ببش، ثم قبل بتسليمها لأعمر مكرها قائلا: لا يقدر الجبناء على منع شيء، فأثارت قولته حفيظة اعلي بابي بن أعمر فركبها

[824] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء إيدوعيش، مرقون، ص9.

وقال: والله لا يأخذها إلا من قتلني، وثار بأزناگـه علـى أولاد امبـارك، فاشـتبكا. وأدى هذا الحادث إلى تصدع التحالف بين أولاد امبارك وإيدوعيش.
ومات أعمر بن امحمد بن خونه حـوالي 1145هــ/ 1732م عـن ولـدين همـا بكـار واعلي بابي.

3- إمارة اعلي بن امحمد بن خونه:

وخلف اعلي بن امحمد بن خونه أخاه أعمر لكن ابن أخيه بكار بن أعمر بـن امحمـد بن خونه لم يلبث أن أطاح به، وحل محله، وقد توفي اعلي هـذا سـنة 1170هــ/ 56-1757م.

4- إمارة بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه:

وتولى بكار إمارة إيدوعيش بعد عمه، وكان بطلا سائسا مقداما، تمكن هو وأخوه اعلـي بابي من مد نفوذهما جنوبا باتجاه نهر السينغال، حيـث سـتعرف منطقـة باكـل (بكـار) باسمه، ومنطقة سيلي بابي (ول اعلي بابي)باسم ابن أخيه عثمان بن اعلي بابي[825].

[825] أصل كلمة سيلي بابي احسي ولد اعلي بابي (واسمه عثمان)، وأصل كلمة باكل بكار. أما بكار فتأمر، وأما اعلي بابي فهو الذي جاء بشاعر أولاد امبارك الشهير سدوم بن انجرتو إلى تگانت، وهو سدوم بن أعمر بن الطالب بن حسون من قبيلة الحساسنة. قال المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي: «كانت أم اعلي بابي بن أعمر من أهل بهدل من أولاد امبارك، وكان متزوجا فيهم، فنشب خلاف بين سدوم بن انجرتو وأهل آگمتار (بعض شعراء أولاد امبارك)، فقال اعلي بابي لسدوم: تعال معي إلى تگانت، ولك ما تحب، الإمارة هناك لأخي، وكل ما ألتزم لك به من شروطك فسيتحمله هو، فشرط سدوم شروطه –حسب أعراف ذلك الزمن- وهي: "الگبظ"، وهو نصيب من كل شيء (إبلا أو بقرا أو غنما أو مدا عند الحصاد أو الجذاذ..إلخ) سنويا لآل سدوم، و"سگو الروايه"، وهو سقي راوية آل سدوم إذا وردت على البئر أولا وبلا عوض، و"جمل العگده"، وهو جمل يدفع عن كل امرأة تتزوج من إيدوعيش ، و"وحشية الرحيل"، وهي كل وحش صيد يصاد أثناء الرحيل، فقد جرت العادة أن يحمل إلى خيمة الشعراء (المغنين) فيأخذون منه نصيبا ثم يرسلون الباقي إلى الذي قام باصطياده، وأما ما يصيده المرء في غير زمن الرحيل فهو له، لكن لآل سدوم منه الورك، ولهم الظهر من كل ذبيحة، ومن شروطه ألا يطول به الرحيل. وشرطت زوجته ميماها –كما تقتضيه الأعراف لمثلها-: "لگمات ميماها"، وهي سبع لقمات من طعام "ونگاله" -وهو الطعام الذي تعده جماعة النساء بالمناوبة بينهن- ترسل إلى ميماها، و"سلاخ ميماها" ومعناها أن السلاخ الذي يسلخ لها لا يذهب بشيء من لحمها، بل أجرته على إيدوعيش، وألا يحل أحد لها سقاء،

وفي عهده فسد الود بين إيدوعيش وأولاد امبارك فحدثت بينهم وقعات منها: يوم "درگل" سنة 1152هـ/ 1739م، قتل فيه أعمر بن سدوم بن احمد بن خونه، ويوم "انكَدَي" لأولاد الناصر -الذين دعموا إيدوعيش- على أولاد امبارك سنة 1159هـ/ 1746م. وفي سنة 1172هـ (58-1759م) قتل أولاد امبارك خيار إهيت بن اسويد بن احمد بن خونه، فثارت إيدوعيش وعزمت على التخلص من أولاد امبارك، فاندلعت بينهم في نفس السنة أيام أولها يوم "آكرراي"، كان مع أولاد امبارك في هذا اليوم اليتامى من البراكنة انتهت بتخلي أولاد امبارك عن تگانت بعدما قتلوا – ومعهم البراكنة- الشنظوره بن بكار بن أعمر بن احمد بن خونه سنة 1173هـ (59-1760م).

وفي سنة 1175هـ/ 1761م توفي الأمير بكار بن أعمر بن احمد بن خونه[826]، وله من الأولاد: احمد شين، وأحمد ديه، وسيدي أحمد، ومحمد، وآگجيل[827].

5- إمارة احمد شين بن بكار:

وخلف بكار ابنه احمد شين، وكان أميرا عظيما، عرف بقوة الشكيمة وحسن التدبير، رفض وصاية بني حسان على إيدوعيش، وواصل الحرب ضد أولاد امبارك، فوقع بينهم

فقبل اعلي بابي، وكان رجلا سخيا شهما مقداما، كل هذه الشروط، فلما وصلوا إلى تگانت أخبر اعلي بابي أخاه الأمير بكار بالأمر فعرضه بكار على جماعة إيدوعيش فقبلوا بهذه الشروط، فكان سدوم بن انچرتو لا يمدح أحدا إلا افتتح مدحه بمدح اعلي بابي. وأول ما قاله سدوم في تگانت "اتهيدينت أغوراس" يمدح بها الأمير بكار بن أعمر». المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007. ومدح سدوم من إيدوعيش بكارا هذا وابنه أحمد ديه، وأخاه أعمر آگجيل بن بكار، والأمير احمد شين بن بكار، وسيدي أحمد بن بكار، ومحمد بن بكار، وبكارا بن احمد شين، واسويدانه بن محمد بن بكار، واعلي بابي بن أعمر بن احمد بن خونا، وابنه عثمان بن اعلي بابي، وأخاه الرسول بن اعلي بابي، واعلي انبگه بن اسويد بن احمد بن خونه، وابنه الرسول بن اعلي انبگه، وبكار (التيشيتي) بن اعلي بن احمد بن خونه، وابنه الرسول بن التيشيتي، وإبراهيم بن أعمر بن سدوم بن احمد بن خونه، وأخاه بكارا الصغير، وبكارا بن اللب بن خنوف. ديوان سدوم بن انچرتو، طبع، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص23-24.

[826] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 184.

[827] المؤرخ، محمد بن إبراهيم بن الدي، مرجع سبق ذكره، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

يوم "آرزاك" سنة 1191هـ/ 1777م، قتل فيه من أولاد امبارك عثمان بن بوسيف بن دخنان، فتألب المغافرة (أولاد امبارك وأولاد الناصر وأولاد علوش وأولاد غيلان وأولاد طلحة وأولاد دامان والبراكنة وغيرهم) على إيدوعيش، وحاصروهم بين احنيكات بغداده سنة 1192هـ/ 1778م ستة أشهر «حتى أكلت الإبل شملتها من شدة الجدب[828]»، فأعطت إيدوعيش أربعين فرسا لأولاد عبد الل (أمراء البراكنة وشيوخ المغافرة) على أن ينسحبوا فانسحبوا وتفكك الحصار، وتفرق المغافرة افتراقا لم يجتمعوا بعده أبدا[829]. ثم أخذ إيدوعيش يغزون كل قبيلة من المغافرة من القبائل

[828] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص125.

[829] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لما طال الحصار، وبرح المرض بالحيوان، وإيدوعلي يمدون إيدوعيش بالميرة، كل خيمة من إيدوعلي تتكفل بثلاثين أسرة من إيدوعيش، ويقولون لاحمد شين إنه لا مناص له عن النصر لكي تطمئن تگانت، والأمير احمد شين لا يبرح خيمته إلا إلى الصلاة، وحوله الصناع عاكفون على صناعة الرصاص، قالت ميماها لسدوم بن انچرتو وقد برح الجوع بالناس: انظر هل يستطيع هؤلاء القوم أن ينهوا هذا الحصار، فذهب سدوم إلى رجال إيدوعيش فجعل يتصل بكل واحد منهم فيقول له: أعطوا لأولاد حسان ما يريدون من المغرم، فيردون عليه: مثلك لا يقول هذا، حتى جاء إلى إبراهيم بن أعمر بن سدوم صاحب فرس "أم ارثم" (سيطلق سدوم اسمها على التهيدينه التي سينشئ يعد رفع الحصار) فوجده يتغنى بأبيات الحارث بن عباد:

يا بني تغلب قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثلـــــه في الخوالي
قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني ليـــس قولي يراد لكن فعالي...

فقال له: أعطوا لأولاد حسان ما يريدون من المغرم، فقال له: لعلك جعتَ؟ فلما جن الليل أرسل إليه ذودا من الإبل، ثم ذهب إلى احمد شين فكلمه في شأن الحصار، فقال له: سأجيبك بعد صلاة الظهر، فلما قضيت صلاة الظهر قال الأمير لقومه إن الذخيرة قد جهزت وإن الحصار قد طال، فقال القوم: نخوض الحرب ولا رأي إلا الحرب، فقال لهم احمد شين: عندي رأي آخر، وهو أن أرسل إلى أمير البراكنة احمد بن أحمد بن هيبه أني أداريه بعدد من الخيل مقابل هدنة سنة، فوافقت الجماعة على رأيه، فأرسل أخاه سيدي أحمد بن بكار إلى ابن هيبه فاتفق معه على أربعين فرسا، فقال احمد شين لقومه: نكروا حصان "البيظ" واجعلوه من بين هذه الأفراس، ومروا بها من حيث يراكم أولاد امبارك، وكان هذا الحصان لأولاد امبارك فغنمه أحمد ديه بن بكار بن أعمر بن احمد بن خونه في إحدى وقعاتهم ضد أولاد امبارك بعدما قتل صاحبه الگصاص الامباركي، فلما رأت أولاد امبارك الأفراس سيقت إلى البراكنة، وعلموا أن "البيظ" كان من جملتها، غضبوا وقالوا: كيف يمنح البراكنة الهدنة لإيدوعيش دوننا ونحن أصحاب "الشر" والسبب في الحصار؟ ففسد الود بينهم وبين البراكنة، واختل الوئام، وتنازعوا، فأصبح البراكنة مرتحلين، وفشل الحصار». ثم أنشأ سدوم اتهيدينته "أم ارثم" التي مطلعها:

«وكتن حنط اعلين حسان».

القريبة منهم على حدة (أولاد الناصر، أولاد طلحة، أولاد علوش، أولاد يحيى بن عثمان...إلخ) وينتصرون عليها. كما واصلوا حربهم مع أولاد امبارك فجرت بينهم أيام كثيرة (زادت على التسعين)، اضطرت أولاد امبارك إلى ترك تگانت لإيدوعيش، فكان من هذه الأيام يوم "ليلة البهرَه" سنة 1192هـ/ 1778م، ويوم "تاوجافت" (شمال الرشيد) صبيحة "ليلة البهرَه"، ويوم "انواجه" سنة 1194هـ/ 1780م، ويوم "تغاده" سنة 1195هـ/ 1781م، ويوم "آوليليگ" سنة 1200هـ/ 1786م[830]. وكان امحمد شين قد تمكن من استقطاب أولاد طلحة والتحالف معهم، فشاركوا في هذا اليوم إلى جانب إيدوعيش.

وأعجز الأمير امحمد شين أولاد امبارك فصرفوا النظر نهائيا عن التوطن بتگانت فتمكن من توطيد سلطانه بها، ومد هيمنته باتجاه الرگيبه والعصابه.

وفكر امحمد شين فيما يتعزز به، فابتدع نظاما جديدا رفع فيه المغرم عن الزوايا، كما خفف فيه مغارم اللحمة، ورفع فيه عن من حارب من اللحمة المغرم، فتوافدت القبائل والجماعات من شتى الجهات على الإمارة طلبا للعافية، ونشأ حول الأمير حزام قبلي مختلف الأصول عرف بسارة امحمد شين[831].

وفي سنة 1202هـ/ 1788م توفي الأمير امحمد شين في گرو، ودفن عند الطلحاية المعروفة الآن بـ"طلحايت امحمد شين"، عن أبنائه بكار، والعويسي، ومحمد، والمختار،

ويقول فيها:

«هذا كامل بامر السبحان	فرگ اعلين غير اتنـــــدم
اللحمي راح امن الحيوان	اعربيه من الكصرات انذم
الاول فيه اسبگن غيلان	حككناه إيـــل عاد اعثم
ألاول گرن امعاه اميدان	امن اگتم دجبر الاصـــــم
إيل اظهر ماي فحنان	كله اطبول ال لوخر تريتم....».

المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[830] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 186.

[831] المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007. وسينضم معظم سارة لاحقا إلى أهل سيدي محمود.

وسيدي الأمين، واعلي، وبوسيف، وانقسمت إيدوعيش بعد وفاته إلى طائفتين عظيمتين، لكل منهما أميرها: طائفة بكار بن احمد شين، وتسمى بخواگه (سميت بهذا الاسم لكثرة جيشها)، وطائفة عمه سيدي أحمد بن بكار وأخيه محمد، وتسمى مكزوزه (سميت بهذا الاسم لدقة تنظيم جيشها وفعاليته).

ووقع بين طائفة بكار وطائفة أعمامه يوم "غب" في جمادي الأخيرة سنة 1207هـ (يناير 1793م). قتل فيه سيدي أحمد بن بكار، قتله سنبله، أحد آغواليس (من أولاد اعلي انتونفه)[832]، فخلف سيدي أحمد أخوه احمد بن بكار الملقب بـ "ابا" (عالم إيدوعيش) على زعامة مكزوزة، واستمر القتال فوقعت بين الطائفتين أيام منها يوم "اگليبات المصدار"، ويوم "تنبوزكري"، كلاهما سنة 1208هـ/1793م. وفي هذا اليوم الأخير قتل بكار بن احمد شين، قتله سيدي أحمد بن اعلي بابي.

وتولى محمد بن احمد شين رئاسة بخواكه بعد قتل أخيه بكار، فأوقع بمكزوزه في يوم "اگليتت الشبار" سنة 1208هـ/ 1793م، الذي قتل فيه سدوم بن المشيخ التونفي، وأعمر بن سيدي اعلي الطلحاوي، وأفلح محمد بهذا الانتصار في تشتيت مكزوزه، وإعادة توحيد إمارة إيدوعيش تحت رايته، بعدما تخلى زعيم مكزوزه احمد بن بكار عن القتال.

6- إمارة محمد بن احمد شين:

وخلصت الإمارة لمحمد بن احمد شين، وتوسعت في عهده حتى شملت، فضلا عن تگانت، الرگيبه وأجزاء من آفطوط والعصابه. وكان الأمير محمد بن احمد شين «من

[832] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «كان الرسول بن بكار (التيشيتي) بن اعلي بن احمد مساندا لأبناء احمد شين في نزاعهم مع أعمامهم على الإمارة، فلما أصيب سيدي أحمد بن بكار أجهز عليه الرسول، وكانوا يرون الإجهاز على من أشفى على الموت عيبا، فخلف سيدي أحمد بن بكار أخوه محمد بن بكار على رئاسة مكزوزه، وحلف ليصين الرسول، وليجهزن عليه». المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

أفضل شيوخ العرب وأعدلهم، وأعظمهم ملكا، وأشدهم صولة[833]»، وطد ملك أبيه وثبت أركانه، وحارب المغافرة وكانت له معهم أيام كثيرة، لاسيما مع أولاد امبارك وأولاد الناصر، فمن أيامه معهم: يوم "البيجوج" سنة 1209هـ/ 1794م ضد أولاد الناصر وأولاد امبارك. ويوم "تنتينه" سنة 1211هـ/ 1796م ضد أولاد امبارك، قتل فيه من إيدوعيش عثمان ولد اعلي بابي، والفيخار بن اعلي بن أحمد بن حمو بن مقطير، وأخوه بوبكر. ومن أولاد امبارك امحمد دبو بن عثمان (من أولاد عيشه). وقتل قبيل الوقعة هيبه بن سيدي أحمد بن هنون العبيدي، قتله اعلي سانگلي أحد أهل خنوف، من الأنباط. وفي هذا اليوم نذرت أخت الأمير اخديجه بنت امحمد شين نفسها لعبد الله بن سيدي محمود، إن سلم إخوتها، فسلموا يومئذ، فتزوجها عبد الله[834].

وفي سنة 1214هـ (1799-1800م) أوقع جيش الأمير محمد بن امحمد شين بأهل اسويد وأولاد الناصر الذين قتل من كبارهم في هذا اليوم المحجوب بن حبيب الله بن المهدي رئيس أولاد يحيى بن معتوگ[835]، وإبراهيم فال بن محمد بن بكار رئيس أولاد اشبيشب، قتله محمد بن بكار بن أعمر المشهور بعالم إيدوعيش[836]، فكافأه الأمير محمد.

وفي سنة 1219هـ/ 1804م قتل أولاد الغويزي امحمد خونه بن بكار الملقب بالتيشيتي بن اعلي بن امحمد بن خونه، فأوقع بهم الأمير محمد في يوم "تيمزورن" (ويدعى أيضا يوم "سنگطره")، ثم وقع بينهما يوم "گنبل" سنة 1220هـ/ 1805م.

وفي هذه السنة قتل أهل أعمر بن سدوم بن امحمد من خونه عثمان بن آگجيل بن بكار بن أعمر المشهور بـ"عثمان حتى"[837]، وسبب قتله له أنه «كان مسافرا ومعه

---

[833] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص126.

[834] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص187.

[835] يعرفون بإيحم معتوگ. المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[836] سيتوب محمد هذا في تجكانت لاحقا.

[837] كان عثمان هذا "زين حتى" (جميلا للغاية)، و"ارجيل حتى" (شجاعا للغاية)، و"معلوم حتى" (سخيا للغاية)، به ضرب المثل الحساني: "غايت ول آگجيل" (حاجة قصد بها ابن آگجيل) يضرب في الحاجة المؤكد تحققها. المصدر نفسه.

زوجته، ولحمي يخدمه، فرأى غنما فقال للحمي: إن كانت هذه الغنم لإيدوعيش فاذبح لنا منها شاة، ففعل، فذهب صاحب الغنم -ويدعى ابن الاغظف- إلى إبراهيم بن أعمر بن سدوم بن احمد بن خونه فقال له: إن عثمان اغتصب مني شاة، فسار إبراهيم إلى عثمان فقتله، ثم لجأ إلى أهل اسويد بن احمد بن خونه، ورئيسهم يومئذ الرسول بن اعلي انبگه، مع أنه كان عصبا مع أهل أعمر بن احمد بن خونه، فقد كان أهل سدوم بن احمد بن خونه ممن انحاز إلى حلة أهل أعمر بن احمد بن خونه بدل حلة اسويد بن احمد بن خونه الذي هو شقيق سدوم. فلما علم الأمير محمد بن احمد شين بالأمر أرسل إلى الرسول بن اعلي انبگه يسأله تسليم إبراهيم إليه، فأراد الرسول بن اعلي انبگه أن يجيبه إلى ذلك، فقالت له زوجته بنت اللواص: ابن عمك يلتجئ إليك تسلمه؟ فقال لها: هو أقرب إلي نسبا، لكنه عصبا مع أهل أعمر، وإنما جاءني بجناية، فقالت له: إذا سلمته فاخلع سروالك (كناية عن تخليه عن شأن الرجال والرؤساء)، وقال له المحمود لل رئيس العويسيات، وكان حاضرا: ما قالت لك المرأة صحيح، فقال: سأفعل ما قلتما، وإن كنت أراه خطأ[838]»، فرفض تسليمه وارتحل بقومه وحلفائه إلى أولاد الناصر وأولاد امبارك فساندوهم، فسموا بالمثاليث، ثم نشبت الحرب بينهم وبين الأمير محمد الذي سانده أعمامه وبقية مكزوزة ثأرا لمقتل عثمان[839]، فجرت بين الطرفين أيام منها: يوم "العجينگي" سنة 1220هـ/ 1805م، ويوم "تكدمت" سنة 1221هـ/ 1806م قتل فيه من جانب الأمير: ديه بن سيدي أحمد بن بكار، وديه بن آگجيل، واعلي سانگلي، ومن جانب المثاليث: اعلي بن هنون بن اسويد، والرسول بن اعلي انبگه، وكانا يعرفان بفارسي إيدوعيش[840]، وقتل مع الرسول بنوه: بنيوگ،

---

[838] المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[839] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لما قتل عثمان وأحضر ابنه إلى الأمير محمد بن احمد شين أمر بحمله إلى عمه محمد بن بكار، وأوصى الصبي بأن يبكي ولا يسكت، فإذا سأله محمد بن بكار عما يريد قال له: أريد أبي، فلما جاء الصبي إلى محمد بن بكار وأجلسه في حجره بكى، فبذل له كل شيء مما يبذل لمثله فلم يقبل، فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أبي، ففهم محمد الأمر، وقال لهم: قولوا لمحمد بن احمد شين بأنا معه فليمض للأخذ بثأر عثمان». المصدر نفسه.

[840] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص188.

وخيار، وبابا، وسليمه، والحضرامي. وقتل سيدي بن مهني (بضم الميم) وأولاده السبعة، وإبراهيم بن أعمر بن سدوم وإخوته. وقتل محمد بن خيار من أهل أمحِي (من السواكر)، والمحمود لل رئيس لعويسيات، وبوسيف بن هنون بن بوسيف من أولاد امبارك (من فاته)[841]، ويوم "صفية انيوكشه" في 22 رجب 1221هـ (5 اكتوبر 1806م) على المثاليث، قتل فيه منهم السيد بن اعلي انبگه بن اسويد (من أهل اسويد). وقتل من أولاد امبارك البانون بن أحمد بن سيدي أحمد بن ممو بن هنون العبيدي، وهنون بن أعمر بن عثمان الراجل بن هنون العبيدي، وعثمان بن احميتي بن التادلاوي (من أولاد العاليه)، وعثمان بن هنون بن بكار بن هنون العبيدي (من أولاد عيشه). وقتل من إيدوعيش أحمد بن باريك (من تغده)، وابناه عثمان وسيدي أحمد، ويوم "تيكره" في نفس السنة أغار فيه أهل اعلي بن امحمد بن خونه على أولاد الغويزي فقتلوا عددا منهم ونهبوا الإبل، وذلك ردا على قتل أولاد الغويزي لامحمد خونا التيشيتي، ويوم "تيط" سنة 1222هـ/ 1807م، قتل فيه من أولاد امبارك الجيد من الجوده الغويزي رئيس أهل سيدي اعلي بن أوديكه، ويوم "غدار مانتو" على رأس سنة 1223هـ/ 1808م أغارت فيه إيدوعيش بقيادة عثمان بن امحمد شين على أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل، فقتل عثمان بن امحمد قائد الغارة، كما قتل سبعة من أولاد امبارك.

ثم انضم أهل اعلي بن امحمد بن خونه إلى المثاليث فوقع حصار "تيشيت انگونه" سنة 1223هـ/ 1808م من طرف إيدوعيش على المثاليث، ودام أكثر من شهرين[842].

وفي سنة 1224هـ/ 1809م وقع يوم "اللفيعيه" قتل فيه من المثاليث ابيبكر بن أحمد درجه بن هنون بن بهدل، وأعمر بن أحمد بن بورايه بن بهدل (بطلا آسكر)، والرسول

---

[841] المرجع نفسه، ص187.

[842] تيشيت انگونه موضع باللبه من أرض تگانت، حاصر فيه الأمير محمد بن امحمد شين المثاليث، شهرين أو ثلاثة.

بن التيشيتي[843]. وقتل من جانب الأمير محمد بن احمد شين: ديه بن بكار بن احمد شين، وعثمان الملقب "عَير تگانت"، وهو ابن أعمر بن سيدي اعلي الطلحاوي.

ثم وقع يوم "الخندرية" سنة 1225هـ/ 1810م ضد أولاد امبارك، قتل منهم اعلي بلمختار بن سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف (من فاته). ثم يوم "أرقان" سنة 1228هـ/ 1813م ضد أولاد امبارك أيضا، قتل منهم اسويدانه بن عثمان (من أولاد بنت الگصاص).

وفي سنة 1233هـ/ 1818م وقع يوم "أباخ" ضد الترازة. صال فيه الأمير محمد بن احمد شين منتصرا لقومه وصهرهم احمد بن اعلي الكوري التروزي بعد يوم "أفچار"[844]، فجاء بإيدوعيش «مرتحلا بما خف من بيوته إلى تنتمغزين [قرب بتلميت]، وترك أكثر الأموال والأثقال عند گيمي [قرب مگطع الحجار]، ثم ساق الجيش من تنتمغزين فأوقع بالترارزة وقعة "أباخ"[845]» (5 كلم شمال مدينة الگوارب الحالية)، ونهب محلة أميرهم أعمر بن المختار[846].

وفي هذه السنة أسس الفرنسيون مركز باكل على ضفة النهر بگيدي ماغه، وسيصبح هذا المركز اعتبارا من 1821م/ 1236هـ مركز التبادل الرئيسي مع إيدوعيش.

---

[843] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «قاتل الرسول بن التيشيتي هو محمد بن بكار، قتله، وأجهز عليه قبل أن يموت، برا بقسمه الذي أقسمه عندما قتل أخوه سيدي أحمد، وأجهز عليه الرسول». مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[844] أغار في هذا اليوم أولاد دامان واحمد بن اعلي الكوري وشيعته ومعهم رجال من إيدوعيش –وكانت إيدوعيش قد أصهرت إلى احمد بن اعلي الكوري- على أولاد أحمد بن دامان، فانهزموا، ومات ثلاثة من أبناء احمد شين هم حفيداه: اعلي، وبوشهاب، وابن أخيه المختار واسمه محمد، أدركه شيعة أعمر بن المختار حيا، فقال لهم: تطأ هنا خيل عمي محمد بن احمد شين، فجاء آخر ذلك العام محمد بن احمد شين صائلا.

[845] بابا بن الشيخ سيديا، مرجع سبق ذكره، ص126.

[846] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لم يصل أحد من أمراء إيدوعيش قبل محمد بن احمد شين، وفي ذلك يقول الجيش بن سدوم بن انجرتو للأمير محمد بعد وقعة "أباخ" في اتهيدينت "الله إيزيدك فالعاطيك":

«إيعيش الحگت فاتشابيك زعمَ غير اعل الاجبال
صَـــوع لجيوش عبرَ ذيك أخبر الصوله عند محال
وانت صلت.....».

محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

وفي سنة 1234هـ/ 1819م وقع يوم "التويشطيه" ضد أولاد السيد (البراكنة)، قتل فيه من إيدوعيش الحاكوك بن بكار بن امحمد بن خونه[847].

وكان محمد بن امحمد شين يهدف من وراء الحروب الكثيرة التي خاض ضد جيرانه الشرقيين إلى إبعاد أولاد امبارك وأولاد الناصر وحلفائهم نهائيا عن التدخل في إمارته، بينما يعود السبب في وقعاته ضد كل من الترارزة والبراكنة إلى تدخله لدعم أولاد نغماش المناوئين لإمارة أولاد السيد في البراكنة، وامحمد بن اعلي الكوري المناوئ لإمارة أعمر بن المختار في الترارزة. واستفحل ملك محمد بن امحمد شين حتى كان ينتجع في تيرس مخترقا آدرار ونواحيه لا يقدر أحد على التعرض له[848].

وبسط الأمير محمد الأمن في البلاد ونشر فيها العدل، واعتمد على علامة دهره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، فاطمأن الناس وأمنوا، «ولم يعطوا ذراعا من الخنط في المداراة لأحد من أهل تگانت[849]» في حياته. وكان من حسن سياسته يؤدب من اغتصب دابة، أو ظلم أحدا، ويعطي الجوائز لمن قتل سبعا، وكان يشق الطرقات في الجبال، ويسد الكهوف، ويغلق الشقوق مخافة أن يسقط فيها إنسان أو حيوان.

---

[847] المصدر نفسه، ص188.

[848] يقول الأمير محمد في ذلك مفتخرا بأنه يتنقل من دار ملكه إلى ما وراء حوزته الترابية، وينتجع هنا وهناك لا يستطيع أحد أن يلحق به أذى:

«نجع لعنايه والتشـــطاط — سوحـــل ابمبروم الليه
أكال ساحل عگلت الانباط — أكال تـــل المداحيه
أگلب ميجك واگليب الغين — كالهم نجع اخلاص الدين
وآجوير وعگـــلت تورين — كالهم بين أهـــل النيه
أكال وحدو نعـم أماسين — وآفتاســـه والعرگيه
نجع رفعت مسلـم مظلوم — شام مـن درگل وادروم
بصماميط وتنيـــموم — ولاعربيـــات الارويه
أصد راحل باشناه اليوم — لارض گلمسي والليه».

[849] بابا بن الشيخ سيديا، مرجع سبق ذكره، ص136.

وتنامى في عهد محمد بن احمد شين النفوذ الروحي الذي تمتع به المرابط سيدي محمود الحاجي الواداني وابنه عبد الله من بعده بين صفوف إيدوعيش حتى أصبح عنصر استقطاب مواز للسلطة الأميرية، لجأت إليه مجموعات عريضة من هذه القبيلة إبان وبعد صراع مكزوزه وبخواگه، فكان الأمير محمد يتوجس خيفة من هذه القوة الصاعدة «ويقول: هم خراب إيدوعيش. وربما أمر جيشا معه بنهب غنم بعض المهاجرين من قبيلته إلى أهل سيدي محمود إذا رآها سمانا تنفيرا لأمثاله عن الهجرة إليهم، ثم قضى له غنمه سرا[850]».

وتوفي الأمير محمد بن احمد شين يوم الثلاثاء التاسع من ربيع الأول سنة 1236هـ (15 دجمبر 1820م) انفجرت عليه شحنة من البارود كانت بالقرب منه فقتلته. ودفن عند اصبيبيره (بلجام تگانت). وله من الولد: اسويد أحمد، وسليمان، وعبد الله، وعبد الرحمن.

7- إمارة اسويد أحمد بن محمد بن احمد شين:

ولما مات محمد انفتح على إيدوعيش وسائر الإمارة باب الفتنة الذي كان مقفلا به، فأعلن ابنه اسويد أحمد نفسه خليفة له، ونازعه على الإمارة عمه المختار وإخوته. وانقسمت إيدوعيش بينهما، فانحازت طائفة الأعمام إلى الرگيبه حيث أسست رئاسة خاصة بها هناك[851]، واشتهرت هذه الطائفة باسم الشراتيت، بينما بقيت طائفة الأمير

---

[850] المرجع نفسه، ص140.

[851] تأمر المختار على هذه الطائفة التي عرفت بالشراتيت حتى توفي سنة 1242هـ 1826م، فخلفه أخوه اعلي، ثم تأمر بعده عثمان بن المختار بن احمد شين، فأخوه أحمد، فبكار بن محمد بن المختار، فالرسول بن اعلي بن احمد شين، فالمختار بن أحمد بن المختار بن احمد شين، وفي عهده قدم الاستعمار فهاجر إلى المغرب حيث توفي بمراكش معمرا سنة 1328هـ 1910م.

اسويد أحمد بن محمد بن احمد شين التي اشتهرت باسم أبكاك بتگانت[852]. وانضم أولاد الناصر وأولاد طلحة وكنته إلى اسويد أحمد[853]، بينما انضم أهل سيدي محمود والمهاجرون إليهم إلى أعمامه، فقد «كان آل سيدي محمود [عبد الله بن سيدي محمود وإخوته] وشيعتهم وكنته قبل موت الأمير محمد بن احمد شين متعادين. وكان ميل إخوة محمد إلى آل سيدي محمود، وميل ابنه اسويد أحمد إلى كنته. وكان محمد يمنع وقوع الحرب ما دام حيا، فبموته ظهر ما كان مستورا.. فانضم كل من طائفتي الزوايا إلى أوليائه من طائفتي إيدوعيش[854]».

ووقعت بين المجموعتين حروب منها يوم "انوَدَر" في أواسط ذي الحجة 1236هـ/ أواسط سبتمبر 1821م، قتل فيه من جانب الشراتيت التنواجيوي بن اعلي بابي. ومن جانب أبكاك سيدي أحمد بن المختار بن سيدي الأمين الكنتي رئيس أولاد البح، وأحمد بن احمد بن الطالب سيدي أحمد الكنتي رئيس أولاد سيدي حبيبل. ويوم "چوك بص" أول ربيع الثاني 1237هـ (26 دجمبر 1821م) لأهل سيدي محمود والشراتيت على أولاد سيدي الوافي (كنته)، قتل فيه محم بن الجيد الكنتي وغيره. ويوم "شگار" في تاسع شعبان سنة 1237هـ (فاتح مايو 1822م)، قتل فيه من جانب الشراتيت قوم منهم أحمد عاتي بن أحمد ديدي العجيلي، ومن جانب أبكاك المختار بن محمد بن اعليوه البوجودي (من أولاد طلحة)، وعبد الر حمن بن امينوه الكنتي رئيس أولاد سيدي الوافي، وأخوه المختار، وعمهما احمد بن سيدي الأمين، وأحمد بن احمد

---

[852] قال بابا بن الشيخ سيديا إن كل طائفة هي التي أطلقت على الطائفة الأخرى اسمها تنابزا بالألقاب وأضاف: «يعير أبكاك الشراتيت بالظلم والسيبة فيشبهونهم بالسباع المعروفة باشراتيت، ويعير الشراتيت أبكاك بأن الحرب ألجاتهم إلى أكل نوع رديء من العلك». إمارتا إيدوعيش ومشظوف، ص145.

[853] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «لما اختلف اسويد أحمد مع أعمامه جاء إلى رئيس أولاد سيدي حيبلل الكنتيين أحمد بن احمد، فقام أحمد بالدعوة لاسويد أحمد في كنته وإيدوعيش وأولاد الناصر وكانوا أخوال اسويد أحمد، أمه منينه بنت خبز الناصرية، وغيرهم، وظل يآزره حتى استتب له الأمر». المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

[854] المصدر نفسه، ص145 - 146.

بن محمد بن بابا رئيس أولاد بوسيف البيض، في عدد من كنته. ويوم "اعليب الرال" في أواسط ربيع الثاني 1238هـ (أواخر دجمبر 1822م) قتل فيه أبكاك، ومعهم نفر من كنته وأهل سيدي محمود وأولاد الناصر، رجالا من الشراتيت، ويوم "أدروم" في ثاني صفر سنة 1239هـ (7 اكتوبر 1823م)، قتل فيه عثمان بن بيات بن اعلي بابي، وعبد الله بن أحمد بن يغلى التونفي، وجرح الأمير اسويد أحمد جرحه اعميرين بن هنون بن أحمد بن شبلي الناصري بينما كان نائما. ويوم "بوعنز" في جمادي الثانية سنة 1239هـ (فبراير 1824م)، قتل فيه من الشراتيت سبعة من أهل باريك (رؤساء العجيلات)، وأربعة من أهل هنون بن احليس (رؤساء انـدايات) منهم عثمان بن أنيس بن الأعمش بن المگاري ، وقتل اعلي فال بن سيدي أحمد بن اعلي بابي. ويوم "لگران" سنة 1241هـ/ 1825م، قتل فيه عثمان بن اعلي بابي.

ثم فسد الحال بين الأمير اسويد أحمد وبين كنته وأولاد الناصر فرحل إلى عمه المختار أمير الشراتيت، واتفق معه ومع عبد الله بن سيدي محمود على حرب القبيلتين[855]، فوقع يوم "الجنكرونيه" (وهو يوم "الحصيره") في محرم 1241هـ (أغسطس 1825م). قتل فيه حمادي بن سيدي احمد بن الشيخ سيدي المختار، قتله المختار بن اباه، وأخوه سيدي أحمد التونفيان، الملقبان بعدلي إيدوعيش.

ثم عاد الشراتيت وأبكاك إلى الصراع بينهما فوقع يوم "گصاص" في 16 رجب سنة 1241هـ (23 فبراير 1826م) بين الشراتيت وأهل سيدي محمود وأولاد الناصر في جهة، وأبكاك" من جهة أخرى، قتل فيه المختار بن اعلي بن احمد شين، وبوسيف بن احمد شين فارس الشراتيت وأخوه سيدي الأمين، وقتل من أولاد الناصر فال بن أحمد بن امبرح، وسيدي بن الحبيب بن احمد بن بكار، وعمار بن اعلي بن بوزومه. ويوم "تاغطافت" بين أبكاك والشراتيت في أول صفر سنة 1242هـ (4 سبتمبر 1826م)

[855] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص191 - 192.

دارت فيه الدائرة على الأمير اسويد أحمد. وهاجر الزبيرات على إثـر هـذه الوقعـة إلى أهل سيدي محمود.

وخلال هذه «الحروب صار كثير من إيدوعيش شيعة لأهل سيدي محمود، وقطـع النظـر عن آل احمد شين، بحيث صار جيشا.. لآل سيدي محمود يحارب من حاربوا ويسالم مـن سالموا.. فصارت إيدوعيش بذلك ثلاث طوائف أكثرها شيعة آل سيدي محمود[856]».

وفي آخر جمادى الأولى سنة 1242هـ (أواخر دجمبر 1826م) تـوفي رئـيس الشـراتيت المختار بن احمد شين، فخلفه أخوه اعلي، لكن أغلب الشراتيت مالوا عنه إلى اسـويد أحمد، فقوي سلطانه. وكان اسويد أحمد أسدا باسلا بصيرا بالحروب، «جرح مـرة بضـعة عشر جرحا فأصبح مرتحلا محمولا على الأيدي صائلا على أعدائه[857]».

وحارب اسويد أحمد عمه اعلي بن احمد شين الذي تحـالف مـع كنتـه وأولاد الناصـر، فهجم اسويد أحمد على أولاد الناصر عند "عريظْ" فوقعـت وقعـة "امصـيگيله"، سميـت بذلك لصقالة طرفيها (إيدوعيش، وأولاد الناصر) من الأنصار.

ثم هجم على كنته عند "المخيشبه"، قرب "تنعمني"[858] فهزمهم[859]. ثم أوقع أولاد الناصـر وكنته باسويد أحمد عند الزرافيه (موضع بأفله).

وعلى رأس عام 1244هـ (منتصف يوليو 1828م) أغار اسويد أحمد على اعلـي بـن احمد شين فنهب أمواله وردم طبله. فحشد اعلي أولاد الناصر بقيادة بكار بن أحمد بـن امبرح، وكنته بقيادة سيدي الأمين بـن امينـوه (واعتـزل أولاد سـيدي حيبلـل مـن كنتـه

---

[856] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، 146 - 147.

[857] المرجع نفسه، ص151. وفي ذلك يقول زفانه الجيش بن سدوم في اتهيدينة "جواب":

ريت راجل في الليل إبات صاهر فيه أثنعشر ثقلَ

أيصبح متنوت بالرحلات أسك بيه گلت غفلَ.

[858] قال المختار بن حامدن: «والمخيشبات أربع: هذه، والتي بقرب قصر البركه، والتي بقرب الخط الذي بساحله البوسيفيه، والرابعة في السهوة شرقي الحوض». الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص263.

[859] المرجع نفسه، ص192.

الحرب) فوقع يوم "اچاگلي" (ويقال له أيضا يوم "البطحه") في جمادي الأولى 1245هـ (نفمبر 1829م) قتل فيه من جانب اعلي ابنه بكار.
وفي نفس السنة وقع يوم "جگه" ضد الأمير البركني أحمد الأول ابن سيدي اعلي.
وفي ليلة الجمعة 8 جمادي الأولى 1245هـ (5 نفمبر1829م) قتل اسويد أحمد غدرا، قتله مولى لعمه اعلي بن احمد شين يدعى "دمبه"، أطلق عليه النار بأمر من سيده ، على حين غفلة من الناس[860]، ودفن عند "انوار" من "أفام لوديات" (شمال غرب الرشيد). وفي هذه السنة تصالح أهل سيدي محمود وكنته[861].

8- إمارة سليمان بن محمد بن احمد شين:

وتولى بعد اسويد أحمد أخوه سليمان، فانحاز عنه كثير من الشراتيت برئاسة عثمان بن المختار بن احمد شين، فوقع بين الطرفين يوم "النوداش" (ويقال له أيضا يوم "الركيز") سنة 1246هـ/ 1830م، قتل فيه عثمان بن المختار بن احمد شين.
ثم قتل سليمان، قتله ابن أخيه محمد بن اسويد أحمد أثناء اللعب على الخيل[862].

---

[860] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص150. وولد لاسويد أحمد محمد، ومنينه (أم أهل اسويد أحمد بن بوسيف)، وبكار، واخديجه ابي (أم أحمد بن احمد بن أحمد ابن عيده)، والمختار، وعالي مات صغيرا ولم يعقب.

[861] ابن اطوير الجنه، مرجع سبق ذكره، ص101.

[862] قال محمد بن إبراهيم بن الدي: «ترك اسويد أحمد أربعة من الولد، هم: محمد، وبكار، والمختار، وعالي، وكانوا صغارا، وخلفه أخوه سليمان فتزوج بأمهم افيطمات بنت محمد بن بكار، وأخذ يعلم ابن اسويد أحمد الأكبر محمد الفروسية. وذات ليلة أراد محمد أن يوزع العشاء –على عادته- فقال له العبيد: أخذه بكار، فقال لهم: هاتوا اللبن، فقالوا له: أخذه بكار، فقال لهم: أعطوني اللبن الذي يحلب للخيل، فقالوا له أخذه بكار أيضا، فاستدعاه ولامه، فقال له بكار: ما كنت أظنك تتأثر من فقد شيء، كيف تتأثر لفقد لبن نويقات، ولا تتأثر لفقد ملك أبينا الذي غصبه سليمان، فانحرف محمد إلى خيمته فلم يخرج منها من الغد، فسألت عنه أمه افيطمات فقيل لها: إنه شكى الحمى، فذهبت إليه، فقص عليها القصة، فقالت له: صدق بكار، فسكت. فلما أراد أن يذهب إلى سليمان ليتدرب على الفروسية، أمر أخويه بكار والمختار بالذهاب إلى أعمر بن أواه رئيس أولاد طلحة، وجعل الرصاص في مدفعه، وعادتهم في مثل هذا التدريب الذي يعرف بـ"التغاميس" أن تكون المدافع خاوية ليتسنى لكل من الطرفين أن يصوب نحو الآخر دون أن يلحق به أذى، فلما جال محمد وسليمان جولة أو جولتين أطلق عليه محمد الرصاص فقتله، ثم كان أول من جاءه خاله هنون بن محمد بن

وانقسمت الإمارة وحلفاؤها إلى قسمين: أولاد اعلي انتونفه وأهل اسويد وأولاد طلحة مع أبناء اسويد أحمد، والگوانيط وكنته وأولاد الناصر مع عم أبيهم عبد الله بن احمد شين، واندلعت الحرب بين الطرفين، فوقع بينهما يوم "اتويمرات" في أول ربيع الأول 1247هـ (9 أغسطس 1831م)، قتل فيه اعلي بن احمد شين، ويوم "مونگل" سنة 1248هـ/ 1832م، قتل فيه من جانب عبد الله اعليلوات بن أعمر بن اعلي بوزومه، وسيدي بن الحبيب في سبعة من أولاد الناصر يسمون "إيمجلان" أي الثيران، لجلادتهم، كانوا يساندون عبد الله.

وفي سنة 1251هـ (فاتح نفمبر 1835م) وقع يوم "العياط"، قتل فيه من جانب عبد الله: احمد بن سيدي أحمد بن اعلي بن آبوجر رئيس إيبيلن، وعثمان بن الرسول بن احمد شين. وقتل من جانب محمد بن اسويد أحمد: اعلي الاعيور من الگوانيط، وصمبه دام بن الأعمش بن المگاري التونفي. ثم إن الشراتيت دعموا أهل اسويد أحمد فضاق الخناق على عبد الله، لكن محمد بن اسويد أحمد قتل فجأة على يد أحد حراسه ليلة الجمعة 27 رمضان سنة 1252هـ (5 يناير 1837م)، قتله مولى لأولاد الناصر كان يحرسه، فخلص الأمر لعبد الله.

9- إمارة عبد الله بن احمد شين:

ولم يدن الشراتيت لعبد الله فتحارب معهم، فوقع بينه وبينهم يوم "الفج" سنة 1256هـ/ 1840م، كان معهم فيه أولاد الناصر وقتل فيه من جانب عبد الله آبي بن

بكار، فقال له: ماذا حدث؟ فقال: قتلت سليمان، فقال له خاله: أتيت أمرا سيئا، فقالت له أمه –أخت هنون- افيطمات: أتيت أحسن الأشياء، ثم قال له خاله: اذهب إلى أولاد اعلي انتونفه قبل أن يسبقك إليهم عمك عبد الله بن محمد بن احمد شين، فذهب إليهم، فدخل على الشين بن المختار بن سيدي أحمد، وكان من سادات إيدوعيش، فقال له: ما وراءك؟ قال: قتلت سليمان، فصمت، فقالت له زوجة الشين: لا شلت يمينك، فقال الشين لزوجته مري الخدم فليغنين إظهارا للابتهاج بما حدث، ثم ذهب محمد إلى أولاد طلحة، فلما رآه أعمر، وكان قد فهم الأمر حين أتاه بكار والمختار، قال له: هل سددت رميتك؟ وقالت زوجة أعمر: لو قدرت لحملتك، فكان محمد يقول بعد ذلك: ما وجدت أسرع إلى دعمي مثل النساء. محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

محمد بن بكار بن أعمر. ويوم "ادبلگي" في أول رمضان سنة 1256هـ (27 اكتوبر 1840م) انهزم فيه أبكاك، وقتل منهم أحمد بن احمد بن عمار بن أبوهم بن شبلي، بارزه ابوكه بن الشعري الناصري فلقيا حتفهما معا، وسيدي محمود واحمد ابنا أحمد، والشيخ بن اعميره بن اعلي بابي، وجرح في هذا اليوم بكار بن اسويد أحمد وقتلت فرسه (ادفينيجه). ثم يوم "أم الحنوك"، قتل فيه من أبكاك لمطوره رئيس العويسيات، وسيدي أحمد بن امعيمرات (من تاجونت)[863].

10- إمارة بكار بن اسويد أحمد:

وفي هذه السنة (1256هـ/ 1840م) انشق بكار بن اسويد أحمد على عبد الله، وسانده جمهور أبكاك وأهل سيدي محمود وتجكانت، ومع عبد الله كنته وأولاد الناصر وبعض أولاد امبارك، وأهل الرسول بن اعلي انبگه في بعض أهل اسويد، وأهل اعلي بن احمد، وبعض شيعتهم، والشراتيت، فوقع بين الفريقين يوم "توروگلين"، ويوم "أوسار"، قتل فيه من الشراتيت فارسهم بوسيف بن اعلي بن احمد شين، قتله بكار بن هنون الكوري بن بنيوگ بن بوسيف بن احمد بن خونا. وقتل من أبكاك الحاج بن أحمد بن يغلى بن گلاي بن شبلي، وبيه بن اعلاتي بن البمباري من الأنباط، واحمد واعلي ابنا أرجم، وعدد من أهل اسويد. وجرح الشنظوره وهنون ابنا محمد بن بكار بن أعمر وقتل فرساهما.

ثم تنازل عبد الله، وذهب إلى أهل الازرگ من كنته -حيث سيتوفى سنة 1258هـ/ 1842م- فاستبد بكار بأمر أبكاك «بل ربما شيخه عامة إيدوعيش.. وهو أهل لها لعقله وسياسته وكرمه وعزمه وحزمه وشجاعته ورمايته[864]».

---

[863] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، 194.

[864] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص152.

وملأ صيت بكار البلاد، فقد كان ملكا مظفرا، حكم أكثر من ستين سنة، وكان معروفا بالصبر، والجلد، وحسن السياسة، والذب عن الزوايا[865]، والوقوف مع المظلومين، وقوة الشكيمة، والصبر على الحروب، فامتلأت الإمارات الأخرى من هيبته[866].

وامتاز عهد بكار بالاستفادة من التجارة الفرنسية في حوض السينغال الأعلى، لاسيما من عائدات التبادل في محطتي "باكل" و"ماتم" الخاضعتين لإيدوعيش منذ 1821م (1236هـ)[867]، حيث وقعت إيدوعيش اتفاقية تجارية جديدة مع افيديرب سنة 1857م (1273هـ)، تعترف بإمارة بكار وتمنحه 3% من قيمة العلك المجلوب إلى

---

[865] قال افرير جاه في تقريره المعنون بإقليم إيدوعيش: «كان بكار الأمير الأقوي من بين البيضان.. وكان إيدوعيش يحمون الزوايا ضد الأعداء والنهابين». افرير جاه، ص100.

[866] المرجع نفسه، وأضاف أميل هات في كتابه "إيتيت اكرونيك ديزيدوعيش": «بكار مثل عهده ذروة قوة الإمارة، وبلغ بقبيلته أقصى قوتها، واستمر ملكه قريبا من 70 سنة، ومن شبه المؤكد أنه كان - لولا الفرنسيين - سيعيد زعامة لمتونة على البلاد.. وبعد أن فرض احترامه زرع الرعب في قلوب الأعداء.. عاش مدة طويلة، نحو مائة سنة.. وكان يفتخر في آخر حياته بأنه تعامل مع كل الأحكام الفرنسية من الويس فيليب إلى الذين بعده، وأنه هزم كل القبائل حتى تنبكتو، وهزم فيديرب. لقد قاد وحده سياسته، وضمن لها استمرارا ووحدة ممتازين، وبقي الرئيس غير المنازع إلى يوم وفاته.. سيطر على كل موريتانيا الشرقية إلى الحوض.. ثم خاض الحرب ضد أولاد الجعفرية في آخر القرن التاسع عشر (م)، وكانت هذه فترة توسعه الكبرى.. أرغمه مقدم الفرنسيين وتوسعهم السريع إلى ترك كل مشاريعه لكي يتفرغ للمقاومة، ومات وسلاحه في يده.. لقد كان ذكاء هذا الرجل فوق العادة وكذلك كانت مهارته السياسية وقيمته العسكرية، لقد كان ملكا حقيقيا متفوقا في هذا الجزء من الصحراء على جميع أنظاره، وكانت شخصيته القوية قد طبعت كل تطورات الشرق الموريتاني». أميل هات، مرجع سبق ذكره، ص77، بتصرف. وقال افرير جاه في "إقليم إيدوعيش": «كان إيدوعيش [في عهد بكار] يسيطرون على الأقاليم التي تكون حاليا تگانت وگورگول وشرق البراكنة، ومن أدافر إلى أگان، وكان لإيدوعيش مغارم في رگ البراكنة وآدرار وتيشيت وغيرها». افرير جاه، ص98. وقال عنه سيدي بن الزين العلوي وعاصره: «ومن سيادته أنه إلى موته لم ينتفع بثلاثة أشياء: لم ينتفع بآمكبل، ولم ينتفع بمهر بنت له، ولم ينتفع بالذكر من نسل خيله، إنما يجعل الثلاثة للفقراء والمساكين. وقد بلغني والله تعالى أعلم أن أوقافه في سبيل الله قد بلغت مكة، وكان عابدا خائفا من ربه. يحكى عنه أنه تنعل بنعل جده محمد في مناقبه والناس مختلفة منها من يفضل بكار ومنها من يفضل محمد... وقد قيل في مدحه من شعر الحسانية في حياته وبعد موته ما لا يمكن ضبطه. ومن أحسن ذلك عندي ما قال شاعره:

أخيار عرب آمســـــاگَ واخيار عرب احسي أحمـــــدْ
واخيار مجموع أزنـــاگ بكار ول اسويد أحمـــــــد».

انظر، سيد بن الزين العلوي، كتاب النسب، مخطوط، ص16.

[867] محمد المختار بن السعد، موريتانيا في العهد الحساني، مرجع سبق ذكره، ص170.

المحطات التي تسيطر عليها إيدوعيش، بدل 1000 بيصة من النيلة كان إيدوعيش يتلقونها سابقا من الفرنسيين مقابل حماية التبادل في المواسم[868]. ورغم مواصلة الفرنسيين دفع هذه الإتاوة لبكار باستمرار، وتجديدهم للاتفاق معه سنة 1895م (1312هـ) فإن الفرنسيين لم يحصلوا أبدا على ما كانوا يطمحون إليه، وبدا ما يأخذه منهم كأنه مغرم[869].

وخاض بكار حروبا طويلة ضد الشراتيت، «فإذا كان صلح فبكار هو الرئيس المطلق، وإذا تحاربوا يهزمهم مرة ويهزمونه أخرى، وقد يستعين بكار بكنته، ويستعين أبناء عمه [الشراتيت] بأهل سيدي محمود، وأغلب حروبهم إنما هي مناوشات، فإذا كان زمن البلح يستبقون إلى وادي تيججگه [تجگجه]، فأيهما سبق إليه يرجع عنه الآخر[870]».

وتحارب الأمير مع أمراء البراكنة (أولاد السيد) في إطار تحالفه مع أولاد نغماش، ومع الترارزة في إطار تحالفه مع أحمد سالم بن محمد الحبيب ضد أخيه اعلي، وجرت له أيام مع مشظوف، وأهل سيدي محمود، وكنته، وأولاد يحي بن عثمان، وأولاد امبارك وغيرهم.

فمن أيام بكار بن اسويد أحمد المشهورة يوم "غب" سنة 1274هـ/ 1857م للشراتيت على أبكاك ومعهم جناح من الترارزة، ويوم "توروكيلين" بين "أبكاك" و"الشراتيت" الذين انضم إليهم أولاد الناصر، قتل فيه بطلهم الگنبر بن ابوكه من أهل الشعري، قتله محمد الشيخ بن اسويد أحمد بن احمد شين الملقب العويسي، ويوم "أجار تافراوكت"، كان مع أبكاك أولاد سيدي حيبلل من كنته، قتل فيه أمير بن الرسول بن احمد شين، ويوم "انبرواغ"، قتل فيه من أبكاك المختار بن الحجوري، ويوم "گيلالات"، قتل فيه من الشراتيت احمد بن جدو بن خيار بن الحاج احمد بن أبوهم

---

[868] أميل هات، اپتيت اكرونيك ديزيدوعيش، مرجع سبق ذكره، ص96.

[869] المرجع نفسه، ص95-97. وأضاف أن مبعوث افيديرب علي صال سنة 1860م (1276هـ) عومل في تگانت من طرف بكار كسجين، والضابط الفرنسي ماج الذي زار تگانت في مهمة استكشافية أواخر 1860م (1277م) لم يتمكن من زيارة الكصور بسبب عدم تجاوب بكار.

[870] أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص490.

بن شبلي التونفي، ويوم "تيشوطن"، قتل فيه من الشراتيت الهيبه بن سدوم بن أحمد بن التيشيتي، ويوم "مال" سنة 1280هـ/ 1863م قتل فيه من أبكاك محمد المختار الملقب "كَر" أكبر أبناء بكار بن اسويد أحمد.

وبعد هذا اليوم فسد الود بين أهل اعلي بن امحمد شين وإخوتهم أهل المختار، فنزع بكار طبل أهل اعلي وأعطاه لأهل المختار. فترأس المختار بن أحمد بن المختار بذلك الشراتيت[871].

وفي سنة 1283هـ/ 1866م وقع يوم "انيور" بين بكار وأولاد عيشه من أولاد امبارك بقيادة أميرهم أعمر بن عثمان.

وفي سنة 1288هـ/ 1871م وقع يوم "إيبي" هاجم فيه الأمير بكار بن اسويد أحمد الذي كان مصحوبا بابن أخته أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده، وعمه الشنظورة بن أحمد ابن عيده "حلة" المختار ابن عيده فشتتها وقتل المختار، فمثل ذلك بداية لسلسلة من التدخلات المستمرة لبكار في شؤون إمارة آدرار.

وفي سنة 1293هـ/ 1876م وقع يوم "أيرياره" بين إيدوعيش ومشظوف، وفي سنة 1297هـ (1880م) استولى محمد محمود بن عبد الله بن سيدي محمود على أفراس لبكار بن اسويد أحمد[872]، فوقع جراء ذلك يوم "أگمون" سنة 1299هـ/ 1882م، مع الأمير بكار إيدوعيش وكنته وأولاد الناصر، ومع محمد محمود بن عبد الله بن سيدي محمود رئيس أهل سيدي محمود أحمد محمود بن المختار بن المحيميد أمير مشظوف، فكان النصر حليف مشظوف وأهل سيدي محمود، ثم تفرقوا، وارتحل مشظوف راجعين إلى بلادهم حزما من أميرهم، وتفرق بعض جيش أهل سيدي محمود، فعلم إيدوعيش وحلفاؤهم بذلك فساروا إليهم وأوقعوا بهم في يوم "المدروم"[873].

---

[871] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص195.

[872] المرجع نفسه، ص274.

[873] المرجع نفسه، ص275. و بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص154.

واندلعت الحرب بين بكار وأولاد يحي بن عثمان فجرت بين الطرفين أيام شهيرة منها يوم "آرزاگ" سنة 1308هـ/ 1891م، ويوم "الطرطيگه" 1308هـ/ 1891م، ويوم "امراير حمدون" (1309هـ/ 1891م)، ويوم "انتاكش" 1309هـ/ 1891م، ويوم "آنكش" (قرب قصر البركه) بين إيدوعيش وكنته وأولاد يحي بن عثمان قتل فيه سبعة من أهل امحمد شين[874]، ويوم "فرع الكتان" (1310هـ/ 1892م) الذي تحالف فيه كنته مع أولاد يحي بن عثمان[875].

وفي مطلع 1894م (أواخر جمادى الثانية 1311هـ) بعثت الإدارة الفرنسية بانـدر (سينت الويس) محمدن بن ابن المقداد إلى أمير الشراتيت المختار بن أحمد بن المختار،

---

[874] هم: محمد بن سيدي أحمد لبات، وعثمان بن أحمد بن المختار بن امحمد شين، وإبراهيم بن اعلي بن امحمد شين، وابناه بوسيف وعثمان، وإبراهيم بن سيدي بن اعلي، وسابع. المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، ص278.

[875] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص154. وقال ابن الأمين الشنقيطي: «كانت كنته متحالفة مع أبكاك، وكان الشراتيت يغيرون أحيانا على كنته للخصوصية التي بين الشراتيت وإيدوالحاج من جهة، وكنته وأبكاك من جهة أخرى، وربما تقابلت الفئتان، فتقاتلت كنته مع إيدوالحاج والشراتيت مع أبكاك.. ثم إنه وقعت موجدة بين بكار وابنه إبراهيم المعروف بإبراهيم بن إبراهيم، أضيف إلى نفسه لأنه لما تكدر من أبيه أقسم ألا يضيفه أحد إليه إلا قتله، فأضيف إلى نفسه، فرحل إبراهيم عن أبيه ونزل مع الشراتيت وأهل سيدي محمود، ثم إنه ذهب في فرسان واستاق إبلا لكنته، فتبعه فرسان منهم فأتوه من الأمام، فقالوا له: أنت غالط أو متعمد؟ فقال لهم: بل متعمد. فقالوا له: إن كنت تريد بالإبل أباك فاذهب بها إليه، وإن كنت تريد أن تسوقها إلى أعدائنا فإن ذلك لا يكون. فقال: إنه سيكون. فقتلوه وردوا إبلهم، فعلم أبوه بذلك، فقال: هذا ظالم يستحق القتل.

ثم إن كنته قتلوا أيضا اثنين من أبناء بكار، فغضب لذلك، فعلم كنته أنهم لا يقدرون على حربه، وكان ذلك زمن قتل إيديشلي لأمير آدرار أحمد بن امحمد ابن عيده (سنة 1308هـ 1891م)، فاحتمى ببكار قتلة ابن عيده فأجارهم، فرأت قبيلة كنته ذلك فرصة، فانضموا إلى أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده، واصطف بكار ومن معه من أبكاك مع الشراتيت لقتال كنته وأولاد يحي بن عثمان، فتلاقى الجيشان في تگانت، فتقابلت كنته مع الشراتيت، فهزمت الشراتيت، وتقابلت أبكاك مع أهل آدرار فهزمهم أبكاك. ثم إن بكار رجع إلى حرب الشراتيت، فصار يضارب هؤلاء من ناحية وهؤلاء من ناحية حتى غلب الجميع». (الوسيط بتصرف، ص494-495). وقال ابن انتهاه إن هذه الوقعة تسمى "ابلحنوك". (نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والآثار، ص57). وقال المؤرخ محمد بن إبراهيم بن الدي: «إن كنته جلوا عن تگانت بعد هذا اليوم تفاديا لحرب بكار، ما عدا أولاد سيدي حيبلل منهم، حلفاؤه قدما وأصهاره، فقد كانت أم الخيرات بنت امحمد بن أحمد بن امحمد زوجا له، وأم لثلاثة من أبنائه. وقد عاد بعض الكنتيين لاحقا إلى تگانت بعد ذلك». محمد بن إبراهيم بن الدي، مقابلة شفهية، انواكشوط، 10 اكتوبر 2007.

ليقترح عليه معاهدة تحالف، وذلك في وقت كان الأمير بكار يهدد فيه بقطع الطرق التجارية التي تربط بين الإمارة ومراكز التبادل الفرنسية، حيث كانت العلاقة بين بكار والفرنسيين في تلك الفترة سيئة.

وفي سنة 1896م (1313هـ) وقع أبكاك اتفاقية جديدة مع الفرنسيين، لكنها لم تؤد إلى إصلاح العلاقة المتوترة بين بكار والفرنسيين.

ولما فسد ما بين أولاد غيلان وأمير آدرار أحمد بن سيدي أحمد سنة 1315هـ/ 1897م لجأ أولاد غيلان إلى بكار فأمدهم بجيش يرأسه ابنه عثمان فكانت لهم وقعات مع الأمير وشيعته.

وامتد بالأمير بكار العمر حتى هاجمه الفرنسيون سنة 1323هـ/ 1905م فقاد لحربهم قبائل تگانت إلى أن استشهد في يوم "بوگادوم" (ويعرف أيضا بيوم "رأس الفيل") في فاتح إبريل 1905م (25 محرم 1323هـ) عن نحو أربع وتسعين سنة. ودفن عند "رأس الفيل" (50 كلم شرقي "كيفه").

وخلف بكارا ابنه عثمان في وقت أخذ فيه الاستعمار الفرنسي يتطلع إلى بسط سلطته على إمارة تگانت.

إمارة أولاد امبارك

يراد بأولاد امبارك أبناء امبارك بن امحمد بن عثمان بن مغفر، كانت لهم عند مقدمهم إلى بلاد شنقيط جبايات ومغارم بتيرس، ثم بآدرار والگبلة، قبل أن يستوطنوا منطقة تگانت في صدر القرن الحادي عشر للهجرة (17م)، ويفرضوا سيطرتهم على قبائلها.

وكان أولاد امبارك ينقسمون إلى مجموعتين هما أولاد الفحفاح (الفحفاح بن امبارك)، وأولاد امبارك الصغار (أولاد إخوة الفحفاح: الغصاص وسلمون وأعمر). وقد تلاشت هذه المجموعة الأخيرة وتفرقت في القبائل.

وانقسمت ذرية الفحفاح بدورها إلى مجموعتين هما مجموعة فرع أولاد الذيب بن الفحفاح، ومجموعة فرعي أولاد الغويزي بن الفحفاح وأولاد أعمُر (بضم الميم) بن الفحفاح (وهو أعمُر بن الذيب بن أعمُر (بضم الميم) بن الفحفاح)، وعلى هذه المجموعة كان يطلق اسم أولاد الفحفاح عرفا دون أولاد الذيب الذين تلاشوا في القبائل أو انقرضوا.

ثم تفرقت مجموعة أولاد الفحفاح (أولاد الغويزي وأولاد أعمُر)، فكان لفرع أولاد الغويزي الذي كان مستقلا عن فرع أولاد أعمُر مغارم بالگبلة، ثم انجلى عنها بعد هزيمته يوم "أگيرت" (شمال صنگرافه) سنة 1041هـ/ 1631م[876]، واستقر – بعد قضاء مدة يسيرة بآفطوط وتگانت- في العصابه والرگيبه وبعض أجزاء الحوض، حيث كون رئاستين هما: رئاسة أهل سيدي أحمد بن أوديكه (أوديكه الاگرع بن النبيگه بن الغويزي)، ورئاسة أهل سيدي اعلي بن أوديكه، وإمارة هي إمارة أهل بوسيف بن أوديكه.

أما أعمُر فمن ذريته أولاد اعبيد (العبيدات)، وأولاد گيسوم، وأولاد أوديكه، وأولاد أحمد، وأولاد النمداي، وأولاد بنيوگ، والعدد والرئاسة فيهم في فرع أولاد بنيوگ بن

[876] راجع فصل الحرب الصنهاجية الحسانية وانتشار بني حسان على إثرها في بلاد شنقيط.

أعمُر، كان ابنه محمد الزناگي بن بنيوگ رئيس عامة أولاد أعمُـر، مـن بنيـه: بوسـيف وبهدل ودخنان وارشيد، وتعرف ذريتهم بأولاد بنت الغصاص، واللب وسـدوم وبهـدي وتدعى ذريتهم بأولاد أم النون، وكانت لهم رئاسة خاصة بهم، ويـدعى أولاد الغصـاص وأولاد أم النون جميعا فاته انغلي، اشتهروا بفاته، وكونوا إمارة قوية بـالحوض، كانـت في بيت أهل بوسيف بن محمد الزناگي منهم. وكان معهم أولاد أحمد بن أعمُر بن الـذيب وأولاد اعبيـد (العبيـدات) بـن أعمُـر بـن الـذيب، فكـانوا يـدعون جميعـا بأهـل "الگاشوش"[877]، وكانت للعبيدات منهم رئاسة خاصة بهم.

ومن بني محمد الزناگي أيضا هنون العبيدي وحمه وبهدل وممه وأعمر الشـماته وبنعـيش أمهم اعبيدية[878]، ويطلق على سائر ذراريهم سوى ذرية هنون العبيـدي فـونتي وكانـت لهم رئاسة خاصة بهم تسلسلت في بيت أهل حمو الفونتي، وقامت لأهل بهدل بن محمـد الزناگي منهم سلطنة عظيمة بباغنه (باخونو)[879]. أما أبناء هنـون فبوسـيف وحمـو وممـو وسيدي أحمد، ويدعى هؤلاء وذراريهم بأولاد العاليه، نسبة إلى أمهم العاليه بنت احمـد بن خونه من إيدوعيش، وعثمان وأحمد وبكار، ويدعى هـؤلاء وذراريهـم بـأولاد عيشـه، وهي أخت العاليه، وفي أولاد العاليه وأولاد عيشـه إمـارة أهـل هنـون العبيـدي، وهـي الإمارة العامة لأولاد امبـارك، آلـت أولا إلى أولاد العاليـه ثم انتقلـت إلى أولاد عيشـه، وبقيت في أولاد العاليه رئاسة خاصة بهم. واللب، ولا شقيق له. وديـده ولا شـقيق لـه، أمه بوفايدية، كانت هي السبب في انخضاد شوكة ذويهـا أولاد بوفايـده، وإخـوتهم أولاد منصور في بلاد الحوض، وتمهيد الطريق أمام أولاد امبارك للنزوح إليه. وذلك أن قومهـا أولاد بوفايده قتلوا ابنها ديده بن هنون العبيدي فأفرطـت في النياحـة عليـه، وتحـريض

---

[877] الگاشوش: الصدر، وسموا به لأنهم كانوا هم الطائفة الغربية من طوائف أولاد امبارك الحوض، فكانوا على احتكاك دائم مع إيدوعيش خلال حروبهم الطويلة معهم، فسموا بالصدر لتصدرهم لهم، وذبهم عن حياضهم.

[878] اسمها فاطمه بنت احميد العبيدي، وبها سمي ابنها هنون بهنون العبيدي. انظر، صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص87.

[879] باغنه منطقة تقع جنوب الحوض، شرق منطقة كارته (دولة مالي الحالية) المصاقبة للحدود الموريتانية. تميزت بموقعها الزراعي والرعوي الجيد، وبموقعها الاستيراتيجي بالنسبة لخطوط التجارة.

زوجها على حربهم، وعمدت إلى قتل حوار فباتت أمه تحن حتى الصباح، فاستجاش هنون العبيدي رئيس عامة أولاد أعمر (بضم الميم)، وابن عمه اعلي بن المختار بن أوديكه رئيس أولاد الغويزي قبيلتي إيدوعيش ورئيسهم يومئذ أعمر بن احمد بن خونه، وأولاد الناصر ورأسهم بهدل بن هنون بن أعمر بن اشبيشب، وبهدل بن احمد بن حماد (بتفخيم الميم) من أولاد عبد الكريم، فساروا إلى "انول" (بتفخيم اللام)، المنهل المشهور بالحوض، ثم هموا بالرجوع لجهلهم ما وراء "انول" من الأرض، فأتاهم هرثوم الزيدي في قومه فقادهم دليلا إلى موضع "كساري" الذي به أولاد بوفايده وإخوتهم أولاد منصور، وشيعتهم ياداس، وطلبتهم إجمان وغيرهم، فدارت الدائرة على أولاد بوفايده ومن معهم سنة 1124هـ/ 1712م. وقيل إن ياداس كانت يومئذ ستمائة فارس، ودامت الحرب سبعة أيام، ولم ينهزم أولاد بوفائدة وشيعتهم، إلا حين أعان سودان ذلك البلد أعداءهم عليهم[880].

وتمكن أولاد امبارك بهذا الانتصار من بسط سيادتهم تدريجيا على بلاد الحوض التي استقروا فيها نهائيا بعد يوم "آكرراي" سنة 1172هـ (58-1759م) بينهم وبين إيدوعيش. ومع أن بلاد الحوض ضمت عددا من القبائل الحسانية الأخرى (أولاد الناصر، أولاد داود، أولاد موحمد، لوكارات... إلخ) فإن أيا منها لم يتمكن من مناهضة أولاد امبارك الذين انعقد لهم بهذه المنطقة ملك عظيم. وحرص أولاد امبارك على القيام بالعدل والشرع، مسندين الفتوى والقضاء إلى الزوايا (لاسيما قبيلتي تنواجيو والاغلال). وكانت المنطقة تضم قبائل زاوية كثيرة منها الگسيمه، وإيدوبلال، وتافلالت، وتجكانت، والوسرة، وإيديبسات، وغيرها. وشكل الزنوج: السوننكيون، الفلان وبمباره وغيرهم جزءا من النسيج الاجتماعي الذي بسط أولاد امبارك سيطرتهم عليه.

---

[880] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص24.

واشتهر عن أولاد امبارك حرصهم على تمثل القيم النبيلة (من فروسية، وشجاعة، وكرم، ونجدة، ونخوة) فقصدهم الشعراء والزفانون، وتباروا في مدحهم، ووصف أحوالهم، وبأسهم في حروبهم، وكرمهم، ونخوتهم، فازدهر الشعر الحساني في ظل دولتهم التي ظهر فيها أحد أعظم شعراء البيضان الحسانيين (سدوم بن انچرتو)، وولد "أژوان" (موسيقى) البيضان، أو نضج في أحضانهم، لاسيما بين أسرتي أهل آوليل وأهل آگمتار، قبل أن يتداوله الشعراء والمغنون في المناطق الأخرى.

وامتدت دولة أولاد امبارك من العصابه إلى باغنه: سلطان فرع أولاد الغويزي في العصابه وأجزاء من الحوض، وسلطان فرع أولاد أعمُر، في ما وراء ذلك من بلاد الحوض إلى باغنه. كانت إمارة أولاد أعمُر قبل نزوحهم إلى الحوض موحدة تحت إمرة بوسيف بن محمد الزناگي (أحد قواد المغافرة في حرب شربيه)، فلما مات خلفه أخوه هنون العبيدي بن محمد الزناگي، فلما مات هنون انقسمت الإمارة بين بنيه وبني أخويه بوسيف وبهدل، ورث بنوه عنه الإمارة العامة، وملكوا وسط الحوض، وملك بنو أخيه بوسيف بن محمد الزناگي الذين اشتهرت إمارتهم بفاتيه، وشكلت مع فرعي العبيدات وأولاد أحمد بن أعمُر ماعرف بأهل الگاشوش، الأراضي الواقعة في غرب وجنوب الحوض، وامتد سلطانهم إلى كينگي (في مالي الحالية)، بينما ملك بنو أخيه بهدل بن محمد الزناگي الذين عرفت إمارتهم بسلطنة باغنه، ومعهم فونتي، منطقة باغنه التي تقع إلى الجنوب من بلاد الحوض[881].

أ- فرع أولاد الغويزي:

كانت لهم إمارة في أهل بوسيف بن أوديكه (الاگرع) بن النبيگه بن الغويزي، استقرت في أجزاء من العصابه والرگيبه والحوض. وقد بدأت هذه الإمارة بـ:

[881] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص133.

1- إمارة اللب بن بوسيف بن أوديكه:

تغلب على أولاد عگبه وانتزع منهم ملكهم، فكان أول ملوك أولاد امبارك، بل المغافرة جميعا تملكا لـ"إسكران"، بعدما صارت إليه كورارة "محلة" ابن دهموش رئيس أولاد عگبه، وتغلب على ما كان بيده وأيدي أولاد بوكار وغيرهم من أولاد عگبه من المغارم في البيضان والسودان[882].

2- إمارة هنون الكوري بن اللب بن بوسيف:

وبعد وفاة اللب بن بوسيف تأمر ابنه هنون الكوري، وفي عهده وقع يوم "گيفه" بين فرعه أولاد أوديكه وبين سائر أولاد الغويزي الآخرين، قتل فيه محمد بن أحمد بن أحيمد بن سيدي اعلي بن أوديكه. وقتل الجرموفي بن اعكرتمه. ومات هنون الكوري مقتولا، قتله أولاد النبيگه الغويزيون سنة 1149هـ/ 1736م[883].

3- إمارة بوبكر بن هنون الكوري بن اللب بن بوسيف:

كان من خيار المغافرة، وقتله أولاد أعمُر في و قعة "چگم" في 26 صفر سنة 1161هـ (26 فبراير 1748م)[884]، فانتقلت الإمارة بعد وفاته من أهل هنون الكوري بن اللب بن بوسيف إلى أبناء عمهم أهل أحمد بن اللب بن بوسيف[885].

---

[882] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص26.

[883] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص138.

[884] وقعة "چگم" –ويطلق عليها أيضا حصار چگم- جاءت تتويجا لحرب اندلعت بين أولاد امبارك، حينما قتل عثمان الباشا بن هنون بن بهدل بن محمد الزناگي سيدي أحمد بن إبراهيم بن سيدي أحمد بن أوديكه.

[885] هو المقول فيه:

يالسايل عن أخيار العرب وازينهم دين وازينهم امليكه
بوبكر ول هنون ول اللب ول بوسيف ول أوديكه

4- إمارة سيدي أحمد بن احمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف:

وتأمر بعد بوبكر بن هنون الكوري ابن عمه سيدي أحمد بن احمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف، وكان من سادات المغافرة وفرسانهم وذوي العدل فيهم، توسع ملكه على حساب السودان.

وتوفي الأمير سيدي أحمد سنة 1190هـ/ 1776م، فتنازع على الإمارة بعده أخوه بوبكر بن احمد وابناه هنون وأحمد بوشارب[886].

5- إمارة هنون بن سيدي أحمد بن احمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف:

واستبد هنون بن سيدي أحمد بن احمد بن أحمد بن اللب بالإمارة بعدما تمكن هو وأخوه أحمد بوشارب من قتل عمهما بوبكر بن احمد سنة 1191هـ/ 1777م. لكن هنون قتل غدرا على يد خاله أحمد بن بوبكر بن هنون الكوري الذي قتل أيضا المختار بن احمد بن أحمد بن اللب عم الأمير هنون طمعا في الملك. ثم أحس بأنه فاشل في تحقيق مرغوبه، فهرب إلى "آسكر" أهل هنون بن بهدل في "باغنه"، فقتله هناك رجل من أهل سيدي اعلي يسمى چَله (بتفخيم اللام)[887].

6- إمارة أحمد بوشارب بن سيدي أحمد بن احمد بن اللب:

وتأمر بعد هنون أخوه أحمد بوشارب، ولم تطل مدته[888].

7- إمارة بوسيف بن سيدي أحمد بن احمد بن اللب:

وتولى الإمارة بعد الأخوين الشقيقين هنون وأحمد بوشارب أخوهما الأكبر بوسيف، وكان بعيدا من الملك لكونه ابن أمة، لكنه أظهر من مخايل الرئاسة والسياسة ما

---

[886] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص139.

[887] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص83.

[888] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص139.

تقاصر عنه إخوته، وطالت مدته، وتوطد سلطانه بعدما هزم إخوته احمد وأعمر والحبيب وابن أخيه سيدي أحمد بن أحمد بوشارب الذين نازعوه الإمارة، وقتل في حربه معهم أخوه أعمر وابن أخيه سيدي أحمد[889].

8- إمارة سيدي أحمد فال بن بوسيف بن سيدي أحمد:

وخلف بوسيف ابنه سيدي أحمد، وكان محمود السيرة، وطالت مدته كذلك لكنها لم تبلغ مدة أبيه. وقعت في عهده عند "غابو" (غابو الثاني) معركة بين أولاد الغويزي وبين "الگاشوش" ومعهم أهل بهدل، فكانت الدائرة فيها على أولاد الغويزي، كما وقع في عهده يوم "جكير" بين الطائفتين، كان النصر فيه لأولاد الغويزي[890].

9- إمارة الشيخ أحمد بن سيدي أحمد فال:

وتأمر بعد سيدي أحمد فال ابنه الشيخ أحمد. ونازعه عمه أعمر بن بوسيف، فنفاه إلى سيگو بلاد ماصه (منزا)[891].

10- إمارة الطالب جدو بن سيدي أحمد فال:

ثم تأمر بعد الشيخ أحمد أخوه الطالب جدو لكنه مات بعد ليال قلائل من حكمه، وانقرض عقب سيدي أحمد فال بموت الطالب جدو.

---

[889] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[890] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[891] حكمت أسرة أهل ماصه (منزا) البمبارية سيگو سنة 1176هـ 1763م بعدما تغلب والدها والو (انگولو جارا) الذي كان من طبقة العبيد على السلطة في سيگو، ثم خلفه ابنه ماصه (منزا) سنة 1203هـ 1787م، ثم تبعه ابنه دا (دعا) بن ماصه سنة 1221هـ 1806م، فأخوه شيفولو بن ماصه، فأخوهما كورانكيبي بن ماصه، فأخوهم ويتايونام بن ماصه، فأخوهم ماسال دمبا بن ماصه، فأخوهم توروكورواماري بن ماصه، فأخوهم عالي بن ماصه (عالي ويتاله) وأطاح به الحاج عمر الفوتي بعد سنتين أو ثلاث من توليه الحكم سنة 1277هـ 1861م.

11- إمارة أعمر بن بوسيف:

وتولى بعد الطالب جدو بن سيدي أحمد فال بن بوسيف عم أبيه أعمر بن بوسيف الذي رجع من منفاه بعد موت الشيخ أحمد، وكان محمود السيرة. قتله قوم من أهل سيدي محمود غدرا عند "آرويج كندور". وكان حيا حوالي سنة 1270هـ/ 1853م[892].

12- إمارة اعلي امحمد بن بوسيف:

وتأمر بعد أعمر أخوه اعلي امحمد، وكان يلقب بـ"ول اعويليه". مكث في الإمارة سبع سنين.

13- إمارة امحمد فال بن سيدي أحمد فال:

وتولى بعد اعلي امحمد ابن أخيه امحمد فال بن سيدي أحمد فال بن بوسيف، وطال حكمه، ونازعه بوسيف بن الفلالي بن بوسيف بن سيدي أحمد لكنه لم يتمكن من إزاحته، وأدت صراعاتهم الداخلية إلى تلاشي ملك أولاد الغويزي، وتقلصت إمارتهم حتى أصبحت مجرد رئاسة قبلية محدودة. ولما اقتحمت فرنسا منطقة خاي (مالي الحالية) سنة 1891م (1308هـ) أعفته[893].

ب- فرع أولاد أعمُر:

وهم الذين كان يطلق عليهم عرفا أولاد امبارك، وقد ظهرت فيهم ثلاث إمارات: إمارة أهل هنون العبيدي بن محمد الزناگي (الإمارة العامة) بوسط الحوض، وإمارة أهل هنون بن بهدل بن محمد الزناگي المشهورة بالسلطنة بباغنه، وإمارة فاته (إمارة أهل هنون بن بوسيف بن محمد الزناگي) بغرب وجنوب الحوض:

---

[892] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص139-140.

[893] المرجع نفسه، ص139.

أولا- إمارة أهل هنون العبيدي بن محمد الزناگي (الإمارة العامة):

1- إمارة بوسيف بن هنون العبيدي:

وهو من أولاد العالية بنت امحمد بن خونه. شارك في مد نفوذ أولاد امبارك ببلاد الحوض، وبوفاته انتقلت الإمارة من أولاد العاليه إلى أولاد أختها عيشه.

2- إمارة عثمان بن هنون العبيدي:

وتأمر بعد بوسيف بن هنون العبيدي أخوه لأبيه عثمان بن هنون العبيدي[894] وكان بطلا مقداما شجاعا، في عهده اختلف أولاد امبارك وإيدوعيش، فوقع بينهما يوم "درگل" سنة 1152هـ/ 1739م، قتل فيه أعمر بن سدوم بن امحمد بن خونه، ويوم "انكَدَي" سنة 1159هـ/ 1746م لأولاد الناصر وإيدوعيش على أولاد امبارك الذين قتل منهم محمد بن مو بن هنون العبيدي، وافريكيش بن يهدي بن دخنان، قتل الأول بنعيش بن أعمر بن موسى الناصري، وقتل الثاني اعلي بن ابريهمات بن الشويخ العياسي. وتوفي عثمان سنة 1162هـ/ 1749م.

3- إمارة بكار بن هنون العبيدي:

وخلف عثمان أخوه بكار بن هنون العبيدي، وفي عهده ضرب زلزال قوي منطقة الحوض وغيرها من مناطق بلاد شنقيط، صبيحة الأحد 27 محرم 1169هـ الموافق 1 نوفمبر 1755م، ذعر الناس لهوله[895].

---

[894] بقيت في أولاد العالية رئاسة خاصة بها سيأتي ذكرها لاحقا.

[895] حتى قال في هذا الزلزال سيدي أحمد بن سيدي محمد بن أيجل الزيدي في فشتاليته:

وفيه أراضينا جميعا تزلزلـــت وما أحد منا ارعوى بتبتـــل

انظر، المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص87.

وفي سنة 1172هـ (58-1759م) قتل أولاد امبارك خيار إهيت بن اسويد بن احمد بن خونه، فثارت إيدوعيش وعزمت على التخلص من أولاد امبارك، فوقع بينهما يوم "آكرراي" شارك فيه البراكنة إلى جانب أولاد امبارك، ثم لم تزل الحرب بينهما مشتعلة حتى تخلى أولاد امبارك عن تگانت لإيدوعيش نهائيا، بعد أكثر تسعين وقعة[896] أعظمها حصار "احنيكات بغداده" سنة 1192هـ/ 1778م الذي تألب فيه المغافرة مع أولاد امبارك، للقضاء على شوكة إيدوعيش، فحاصروهم ستة أشهر بالحنيكات قرب تجگجه «حتى أكلت الإبل شملها من شدة الجدب[897]»، ثم تمكن إيدوعيش من فك الحصار بعدما بذلوا أربعين فرسا لأولاد عبد الل على أن ينسحبوا فانسحبوا. وتوفي بكار بن هنون سنة 1195هـ/ 1781م.

4- إمارة عثمان بن بوسيف بن أحمد بن هنون العبيدي:

وتأمر بعد بكار عثمان بن بوسيف بن أحمد بن هنون العبيدي، وكان بطلا شجاعا مقداما، اشتهر بفارس "الحلة"، من أشهر الأيام التي وقعت في عهده يوم "آوليليگ" سنة 1200هـ/ 1786م بين أولاد امبارك وإيدوعيش، مات فيه أحمد ديه بن بكار بن أعمر. وتوفي الأمير عثمان في جمادى الأولى سنة 1206هـ (يناير 1792م)[898].

5- إمارة هنون بن بوسيف بن أحمد بن هنون:

وخلف هنون بن بوسيف بن أحمد بن هنون أخاه عثمان، وكان أميرا عظيما، فارسا بطلا مقداما، كريما، سخيا، مدحه سدوم بن انچرتو بـ"التهيدينه" المشهورة بتفرغ زينه[899].

---

[896] راجع فصل إمارة إيدوعيش من هذا الكتاب.

[897] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص125.

[898] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص129.

[899] مطلع هذه "التهيدينه" هو:

وفي عهده حدث الطاعون المشهور بـ"مقاطة" (الأولى)، وهو طاعون فتاك وصل إلى منطقة الحوض وما جاورها سنة 1207هـ/ 1793م قادما من أزواد، وكان شديدا لا يعيش صاحبه إلا قليلا، ففني بسببه خلق كثير. وقد امتد هذا الوباء حتى وصل إلى تگانت[900].

كما استمرت في عهده حروب أولاد امبارك مع إيدوعيش، فوقعت بينهما أيام منها يوم "البيجوج" سنة 1209هـ/ 1794م، كان مع أولاد امبارك فيه أولاد الناصر، ويوم "تتينه" سنة 1211هـ/ 1796م، قتل فيه من إيدوعيش عثمان ولد اعلي بابي، والفيخار بن اعلي بن أحمد بن حمو بن مقطير (التونفي)، وأخوه بوبكر. ومن أولاد امبارك امحمد دبو بن عثمان (من أولاد عيشه). وقتل قبيل الوقعة هيبه بن سيدي أحمد بن هنون العبيدي، قتله اعلي سانگلي أحد أهل خنوف، من الأنباط، وكان يوما شديدا على إيدوعيش.

وفي سنة 1215هـ/ 1800م أوقع هنون بن بوسيف بأولاد طلحه فقتل المختار بن اعليوه (من أولاد بوجوده)، ثم أوقع بهم ثانية عند "كدامه" سنة 1216هـ/ 1801م، ومات من أولاد امبارك في هذه الوقعة المختار بن أعمر بن بوجرانه.

وفي سنة 1219هـ/ 1804م عاد طاعون "مقاطة" إلى المنطقة، ودام فيها أكثر من سنة، وقتل في ولاته وبواديها وحدها خلقا كثيرا[901].

وفي سنة 1220هـ/ 1805م وقع يوم "العجينگي" بين أولاد امبارك وإيدوعيش، ثم يوم "تگدمت" سنة 1221هـ/ 1806م قتل فيه من أولاد امبارك بوسيف بن هنون بن بوسيف، ويوم "صفية انيوكشه" في 22 رجب 1221هـ (5 اكتوبر 1806م) قتل فيه منهم البانون بن أحمد بن سيدي أحمد بن ممو بن هنون العبيدي، وهنون بن أعمر

أفگراش انجوع انقيوان شيخ انزايله واحلله...إلخ.

[900] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص184.

[901] حوليات ولاته، مصدر سبق ذكره، ص13. والمختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص184.

بن عثمان الراجل بن هنون العبيدي، وعثمان بن احميتي بن التادلاوي (من أولاد العاليه)، وعثمان بن هنون بن بكار بن هنون العبيدي (من أولاد عيشه)، ويوم "تيط" سنة 1222هـ/ 1807م، قتل فيه من أولاد امبارك الجيد بن الجوده الغويزي رئيس أهل سيدي اعلي بن أوديكه.

وفي سنة 1232هـ/ 1817م وقع يوم "بنعوم" بين أولاد هنون العبيدي وأبناء أعمامهم فونتي، قتل فيه من أولاد العاليه المعلوم بن أعمر بن بوسيف بن هنون العبيدي، ومن أولاد عيشه المختار بن محمد بن أحمد بن هنون العبيدي.

وفي 6 رجب 1233هـ (12 مايو 1818م) وقعت وقعة "ولاته" بين أولاد العاليه وأولاد عيشه، قتل فيها من أولاد العاليه بوسيف بن عثمان بن اعلي سالم، ومن أولاد عيشه بوسيف بن هنون بن أحمد.

ثم وقع بين الفريقين يوم "وسط" (وهي بئر ببلاد باغنه) في جمادى الأولى سنة 1234هـ (مارس 1819م)، قتل فيه من أولاد العاليه المختار بن عثمان بن بوسيف، وكباد بن عثمان بن اعلي سالم، ومن أولاد عيشه محمد وسيدي بيبيه بن هنون بن أحمد.

وفي سنة 1240هـ/ 24-1825م وقعت وقعة "انترش" بين أهل هنون العبيدي وفاته وأولاد داود، وبين فونتي وإيدغموسه (أولاد موحمد) عند شكرطيل، قتل فيها عثمان الزايغ بن هنون النفاع، وهنون بن اعلي بن المختار بن سيدي أحمد[902].

وتوفي هنون بن بوسيف في ثاني ربيع الثاني سنة 1242هـ (ثاني نفمبر 1826م).

6- إمارة عثمان بن هنون بن بوسيف:

وخلف هنون ابنه عثمان الملقب ابحيْده. وفي عهده وقع يوم "غابو" (غابو الأول) ببادية "النواره" يوم 20 شعبان 1246هـ (3 فبراير 1831م) لأهل هنون العبيدي وفاته، على أهل بهدل وسائر فونتي والعبيدات، قتل فيه من فونتي دخنان بن سيدي إبرهيم،

[902] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص261.

ومن فاته عثمان بوركبه بن اعلي بابي من أولاد بنت الغصاص، وقطعت يد محمد بن سيدي أحمد بن الدليل.

وفي شوال سنة 1253هـ (يناير 1838م) وقع يوم "آجوير" ضد أولاد الناصر، مات فيه من أولاد امبارك: أعمر بن سيدي أحمد بن ممو (من أولاد العاليه)، وعثمان بن امحمد بوسيف، والعيمار بن محمد (الغصاصيان)، ولبات بن بوشنوفه، (من أولاد أم النون من فاته)، وهنون بوها رئيس العبيدات، واثنا عشر منهم، من بينهم هنون جام.

وفي سنة 1257هـ/ 1841م وقع يوم "مد الل" بين أولاد عيشه وشيعتهم من جهة، وأولاد العاليه وأهل بهدل وسائر فونتي وشيعتهم من جهة أخرى، وكان يوما مشهودا تضعضعت بسببه قوة أولاد امبارك ومات فيه خلق من سادتهم وفرسانهم، منهم سيدي أحمد بن المختار بن هنون طاعو رئيس أولاد العاليه، والمختار بن أعمر بن اعلي (خطري) رئيس أهل بهدل، وعثمان بن هنون الزايغ بن هنون النفاع من فونتي فارس أولاد امبارك قاطبة، وأخوه سيدي أحمد، وابن لعثمان الزايغ، واعلي بابي بن أحمد بن حمه من فونتي. وفي سنة 1266هـ/ 1850م وقع يوم "عيجون" انتصر فيه أهل "الگاشوش" ولوكارات على أولاد عيشه، وأولاد الناصر، وأولاد الغويزي، ومشظوف، وكنته[903]. وفي جمادى الأولى سنة 1267هـ (مارس 1851م) توفي الأمير عثمان[904].

7- إمارة محمد الشيخ بن عثمان بن هنون:

وتولى بعد الأمير عثمان ابنه محمد الشيخ، وكان يلقب بالأطرش، وقعت في عهده معركة بين أولاد موحمد وأهل هنون العبيدي قتل خلالها هنون بن بوسيف، وذلك 1268هـ/ 1852م، ومعركة "آگوينيت" في نفس السنة لمشظوف على أولاد عيشه[905]، ولم تطل مدته فتوفي سنة 1270هـ/ 1853م.

---

[903] المرجع نفسه، ص130- 131.

[904] حوليات ولاته، مصدر سبق ذكره، ص29.

[905] النافي بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرقون، ص111.

8- إمارة أعمر بن عثمان بن هنون:

وخلف محمد الشيخ أخوه أعمر بن عثمان بن هنون. وكان أميرا قويا، غنيا، له مغارم كثيرة على سودان وبيضان المنطقة، وله جبايات كبيرة على قوافل تيشيت وولاته والنعمة وسوگولو وغيرها، فارتفع شأن قومه من أولاد امبارك في عهده كثيرا، لكنه تعرض لتحديات متعددة، فقد تعرض قومه لغارات متكررة من جهة فلان سنبورو وغيرهم من السودان الذين حرضهم أو جندهم جيش الحاج عمر الفوتي الذي فتح بلاد كارته سنة 1271هـ/ 1855م، واشرأبت نفسه إلى باغنه[906] حيث أغار عليهم السودان وعلى طلبتهم تنواجيو سنة 1273هـ/ 1856م، وقتلوا منهم رجالا منهم اثنان من أهل الطالب أحمد بن محمد راره. ثم أغاروا عليهم في السنة التي تليها فقتلوا جميع من وجدوا من الرجال، ونزح أولاد امبارك عن أرضهم بعد هذه الغارة. وتمكن أعمر خلال هذه المناوشات من مهاجمة جيش الحاج عمر الفوتي بغتة في سنفاخه، وإرغامه على الفرار إلى چونگوي، ولكن جيش الحاج عمر تلقى تعزيزات جديدة تمكن بواسطتها من إرغام أولاد امبارك على الانكفاء نحو باغنه، قبل أن يضطرهم إلى الانكفاء نحو الشمال، فلم يزالوا بتلك النواحي حتى أواخر 1277هـ (منتصف 1861م) فعادوا إلى أرضهم[907].

وفي سنة 1283هـ/ 1866م وقع يوم "انيور" لأعمر بن عثمان على بكار بن اسويد أحمد. ثم تلاه يوم "افاره" (ويدعى أيضا يوم آگوينيت) لمشظوف وكنته وأولاد الناصر وأهل محمد الراظي من أهل سيدي محمود على أولاد امبارك ومعهم أولاد موحمد وأهل الطالب مصطفى، مات فيه من أولاد امبارك ومن حالفهم خلق كثير، وتفرقوا أيدي

---

[906] تنازع على المنطقة ثلاثة: الحاج عمر الفوتي وأولاد امبارك وأحمدو بن أحمدو بن أحمدو لبو (أحمدو الثالث) ملك ماسنه، ففاز بها الحاج عمر الذي انتزعها من الطرفين.

[907] پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، نشر جمعية الدعوة الإسلامية، 2001، ص258-259.

سبا. ومات الأمير أعمر بعد هذه الوقعة بقليل مصابا بالجدري (1283هـ/ 1866م)[908].

وخلف الأمير أعمر ابنه عثمان فتأمر إمارة إسمية في وقت تلاشى فيه ملك أولاد امبارك، وتفرق سلطانهم بين مختلف أقارب الأمير أعمر، في وقت فرضت فيه مشظوف سيادتها نهائيا على الحوض، وأطل فيه الاستعمار، فأصبحت "حلة" أهل هنون العبيدي مجرد رئاسة قبلية ضيقة.

ثانيا- سلطنة أهل هنون بن بهدل بن محمد الزناگي:

1- سلطنة هنون بن بهدل:

وهنون بن بهدل بن محمد الزناگي هو أول من وطد لأولاد امبارك الملك بمنطقة باغنه التي اجتاحوها وملكوا "إسكرانها"[909]، ورتبوا على أهلها المغارم، كل بطن من قومه من أولاد امبارك له أصحابه الخاصون به. وقد اشتهرت إمارة هنون هذا وعقبه من بعده بالسلطنة، واشتهر أمراؤها بالسلاطين. وقد أعطاه المولى إسماعيل العلوي ظهيرا بالسلطنة على باغنه سنة 1727م (1139هـ)، معززا بذلك شرعية ملك أولاد امبارك للمنطقة التي كان أولاد بوفايده ينازعونهم في حكمها، وهاجموها سنة 1126هـ/ 1714م بقيادة رئيسهم الخظير بن أحمد بنان بن أحمد بن بوهم[910].

وكان هنون بطلا وسلطانا عظيما، أخضع كثيرا من قبائل السودان لأولاد امبارك ودوخ باغنه سنة 1148هـ/ 1735م، وتوفي هنون سنة 1155هـ/ 1742م.

---

[908] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص131.

[909] إسكران في الأصل تجمعات سكانية ملك أهلها البقر تقيم على المناهل، ولا تظعن إلا نادرا، وقد تطلق على مخيم الأمير الذي أصبح يمتلك "آسكر" من البقر خاصا به.

[910] النافي بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرجع سبق ذكره، ص63.

2- سلطنة أعمر بن هنون بن بهدل:

وخلف السلطان أعمر أباه هنون، لكن اعلي بوزگراره بن بوسيف بن محمد الزناگي (من فاته) نازعه في ملك "آسكر"، وكاد يتغلب عليه، لولا أن الموت اختطفه[911].

وفي عهد السلطان أعمر اندلعت الحرب بين "آسكر" أهل بهدل و"آسكر" أهل اللب بن بوسيف (من أولاد الغويزي) في باغنه عام 1163هـ/ 1750م، ويسمى هذا العام عام حرب "إسكران". وتوفي أعمر سنة 1171هـ/ 1757م[912].

3- سلطنة اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل:

وخلف أعمر ابنه اعلي الملقب "بوسروال"، ونازعه عمه اعلي الشيخ بن هنون سنة 1175هـ/ 1761م فساند احمد بُكر رئيس أولاد رحمون (من أولاد يونس) اعلي الشيخ، بينما ساند بُوبو بن احمد موسى رئيس أولاد إيعيش (من أولاد يونس) اعلي بن أعمر بن هنون، وكان بين أولاد رحمون وأولاد إيعيش عداوة، فتحالف اعلي الشيخ مع بوبو بن احمد موسى سرا على أن يغدر اعلي الشيخ بصاحبه احمد بُوكر مقابل أن يغدر بوبو بصاحبه اعلي بن أعمر بن هنون، فاستدرج اعلي الشيخ احمد بُوكر فقتله، وقتل معه ابنه غدرا، واستدرج بوبو اعلي بن أعمر بن هنون فحبسه وأرسل إلى عمه اعلي الشيخ بن هنون، فلما أتاه أشفق عليه فلم يقتله، «وقال إنه منعه من قتله حينئذ كون عينيه كعيني أخيه أعمر بن هنون[913]»، فتركه بوبو في محبسه حتى يرى فيه رأيه، فانفلت من محبسه ولحق بمحلته، فلم يزل يقاتل عمه اعلي الشيخ حتى غلبه بعد سبع سنين من الحرب، وطرده إلى سيگو حيث مات.

وعزم اعلي على الانتقام من بوبو لكنه لم يظفر به، حتى توفي حوالي 1190هـ (1776م)، لكنه ظفر بابنه زيدان بن بوبو فقتله غدرا حوالي سنة 1202هـ/

---

[911] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص67.

[912] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص132.

[913] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص48.

1788م. وقوي سلطان اعلي، وعظم شأنه، ودام حكمه أكثر من أربعين سنة، ودان له البيضان والسودان المحيطون به من كل جانب، وملك من العبيد والذهب المجلوبين من السودان ما لا يوصف[914]. «وكان أرفع ملوك أولاد امبارك ذكرا، وأنفعهم للمسلمين، وأكثرهم عددا وعدة[915]»، وتنافس الشعراء والمغنون في مدحه[916]، وبسط الأمن والعدل حتى كان يجعل الذهب في ريش النعامة ثم يرسلها فلا يستطيع أحد أن يتجرأ عليها، ولو وجدها في الخلاء، فلقبه الناس لذلك بـ"اعلي العافية".

وفي 1187هـ/ 1773م وقع الشر بينه وبين أمير سيگو، فانتصر فيه اعلي. وفي سنة 1199هـ/ 1785م صال اعلي بن أعمر على إيدوعيش بتگانت، ثم عاد دون أن يظفر بشيء[917].

ووقعت في عهده وقعة "بنعوم" بين أولاد العاليه وفونتي سنة 1202هـ/ 1788م، ووقعة "أرطان" بين أولاد الناصر وأولاد علوش وبعض أولاد امبارك سنة 1203هـ/ 1789م.

وفي عهد اعلي هذا وصل الرائد الإنگليزي هوگتون إلى سوني، جنوب انيور سنة 1791م (1205هـ)، فتم اعتقاله ونقله إلى بنعوم حيث يوجد "آسكر" (مقر السلطان) فحبسه أولاد امبارك عندهم، ومات في محبسه بعد ذلك بقليل مريضا[918].

وفي مارس سنة 1796م (رمضان 1210هـ) أسر أولاد امبارك الرحالة الإنگليزي مونگو پارك في چاره، وتم اقتياده إلى مخيم اعلي، حيث ظل سجينا مدة أربعة أشهر،

---

[914] يقول فيه زفانه:

«ول أعمر ما امعاه الواصه معط مولان عارف اطريگو

مالك البيظان وأهل ماصه أمالك إيفلان وأهل سيگو».

[915] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص132.

[916] هو الذي أنشأ فيه "إيگاون" (المغنون) شور گتمار، الذي سموه باسم طبل السلطان اعلي، وكان من عادة المغنين أن يتغنوا بطبول الأمراء والسلاطين وينشأوا فيها الأشوار، كما هو حال طبل هنون العبيدي "الرزام" وغيره.

[917] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص248.

[918] پول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سبق ذكره، ص261.

وكان أولاد امبارك حينها في حرب مع بمبارة كارته[919]، فحدث أن هاجم زعيم بمباره داسه كوليبالي "آسكر" السلطنة في يوليو 1796م (محرم 1211هـ)، فتمكن مونگو پارك من الإفلات من سجنه والهروب مستغلا انشغال أولاد امبارك بصد الهجوم وهرب[920]. وقد وصف مونگو پارك السلطان اعلي بن أعمر بأنه «شيخ عربي ذو لحية بيضاء كثة، وأنه دائم الامتطاء لجواده الأبيض، أما إذا توجه إلى المسجد فإنه يمشي راجلا.. ولا يبيت في مكان معروف من حلته[921]».

وتوفي السلطان اعلي سنة 1213هـ/ 1798م.

4- سلطنة أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل:

وتولى بعد اعلي ابنه أعمر الملقب بالعيمار، وكان سلطانا قويا، قتل عمه هنون سنة 1202هـ/ 1788م لأجل نخوة فيه[922]. قدم إليه المؤرخ القاضي صالح بن عبد الوهاب في أواخر عهده فقلده القضاء فلم يزل معه حتى مات السلطان في ذي الحجة سنة 1223هـ (يناير 1809م)[923].

5- سلطنة امحمد آماش بن اعمر بن اعلي:

وخلف أعمر بن اعلي ابنه امحمد المشهور بآماش، وكان مسرفا في سفك الدماء، فتخلى صالح بن عبد الوهاب عن القضاء له ورحل عنه. ثار عليه ابنا عمه أعمر وأحمد

---

[919] كارته منطقة زراعية ورعوية تقع في غرب دولة مالي الحالية، عاصمتها مدينة انيور، كانت تحكمها سلالة وثنية تدعى ماساسي حتى فتحها الحاج عمر سنة 1271هـ 1855م، وحطم أصنامها، وحولها إلى بلاد إسلامية.

[920] پول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سبق ذكره، ص262.

[921] وصل مونگو پارك إلى حاضرة بنعوم حيث مقر السلطان اعلي يوم 12 مارس 1796م (2 رمضان 1210هـ) ووصف في كتابه "رحلة إلى داخل إفريقيا" مجلس السلطان، وذكر ما شاهده من ضرائب يدفعها السودان لأولاد امبارك مقابل حمايتهم. ويسمي الرحالة الإنگليزي سلطنة أولاد امبارك بـ"مملكة أولاد أعمر" ويذكر أن طولها مسيرة عشرة أيام (نحو 300 كلم).

[922] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص101.

[923] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص255.

اللب ابنا عثمان بن ابيبكر بن أعمر بن هنون بن بهدل فأوقع بهما سنة 1224هـ/ 1809م بإشلم (موضع بباغنه)، وقتل أعمر بن عثمان بن ابيبكر. وفي عهده وقعت حرب "وسط" في جمادى الأولى سنة 1234هـ (مارس 1819م) بين أولاد العاليه وأولاد عيشه، فأعان السلطان آماش أولاد العاليه بالأسلحة والخيل سرا، حيث كانت أم آماش واعلي وخطري أبناء أعمر بن اعلي من أولاد العاليه، في حين كانت أم أخيهم هنون من أولاد عيشه، كما وقعت في عهده وقعة "سمي" بين أهل هنون العبيدي وفاته وأولاد داود جميعا ضد فونتي وأولاد موحمد والفلان في أوائل ربيع الأول سنة 1235هـ (أواخر دجمبر 1819م)[924].

6- سلطنة اعلي بن أعمر بن اعلي:

وتولى بعد آماش أخوه اعلي بن أعمر بن اعلي، وكان من خيار ملوك أولاد امبارك، لكن تدخل آماش إلى جانب أولاد العاليه في حرب "وسط" دفع أخاه هنون إلى تدبير اغتياله بالتعاون مع بعض أخواله من أولاد عيشه ورئيس عبيد السلطان جدو بن سنبورو، فقتلوه غدرا في جمادى الأخيرة سنة 1244هـ (دجمبر 1828م)[925].

7- سلطنة هنون بن أعمر بن اعلي:

وتولى هنون بن أعمر بن اعلي السلطنة بعد قتله لأخيه اعلي، لكن أخاه المختار بن أعمر الملقب خطري تآمر بدوره مع أخواله أولاد العاليه، وأحد كبار العبيد يدعى ابن بيدالي، فقتلوه في صفر 1245هـ (أغسطس 1829م)[926].

---

[924] المرجع نفسه، ص133.

[925] النافي بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرجع سبق ذكره، ص108-109.

[926] المرجع نفسه، والمختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص133.

8- سلطنة المختار (خطري) بن أعمر بن اعلي:

وحل المختار بن أعمر بن اعلي الملقب خطري محل أخيه هنون، في وقت بدأت فيه مجموعات أولاد امبارك تتحالف ضد بعضها البعض، بسبب المؤامرات والانشقاقات التي تولدت عن حرب "وسط" وما أعقبها، حيث حرض أولاد العاليه خطري على محاربة قتلة شقيقه اعلي من أولاد عيشه المشاقين له حتى يعترفوا برئاسته عليهم[927]، فجرت بسبب هذه الأوضاع، وفساد أحوال أولاد امبارك السياسية عدة وقعات منها يوم "غابو" الأول يوم 2 شعبان 1246هـ (16 يناير 1831م) بين أهل هنون العبيدي وفاته، وأهل بهدل وسائر فونتي والعبيدات، ويوم "غابو" الثاني بين جميع أولاد الغويزي من جانب، وأهل بهدل وأهل الگاشوش من جانب آخر، يقود أهل "الگاشوش" سيدي أحمد بن المختار، بينما يقود السلطان خطري أهل بهدل. وانجر هذا اليوم عن قتل أهل "الگاشوش" لأحمد بن ملادة الغويزي. كما وقع يوم "طلي" بين أهل بهدل وأولاد أم النون، وقد قتل في هذا اليوم محمد بن ميمن بن محمد بن إيغينس، وأخوه سدوم، وعثمان بن بنباري، كلهم من أولاد أم النون، ويوم "كُبير" بين أولاد عيشه وأهل بهدل. وفي سنة 1257هـ/ 1841م وقع يوم "مد الل" الذي فني فيه خلق كثير من أولاد امبارك وقتل فيه السلطان خطري. وبموته انحسر ملك أهل بهدل وأصبح مجرد زعامة قبلية ضيقة[928]. وكان خطري في عهده أميرا عظيما غنيا سخيا[929]، كانت تأتيه الإماء من باغنه تحمل أطباق الذهب[930].

---

[927] النافي بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرجع سبق ذكره، ص110.

[928] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص133.

[929] مدحه نفرو بن آوليل باتهيدينت الغصاص الشهيرة التي يقول في مطلعها:

«متوسل للرب القهار.....إلخ».

[930] ابن بابا، التكملة، مرجع سبق ذكره، ص80.

9- سلطنة اعلي بن خطري (المختار) بن أعمر بن اعلي:

ولجأ اعلي بن خطري الذي مات عنه أبوه صغيرا، إلى أمير فاته المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار، وحاولا أن يحييا سلطان أهل بهدل في باغنه، فقاما بغزو بعض بمباره والفلان، ففتحا مدينة چگنه، وقتلا أمير الفلان محمد بن الحاج إبراهيم بن ألفا (أشفغ) كداد البواري، وعددا كبيرا من السودان سنة 1268هـ/ 1852م، لكن جيوش الحاج عمر الفوتي التي وصلت إلى المنطقة 1271هـ/ 1855م هاجمت باغنه، وتمكنت –بعد معارك دامية- من دحرهم وتشتيتهم وخضد شوكتهم، منهية بذلك أي أمل في إعادة إحياء سلطنتهم التي انقسمت إلى مجموعات قبلية متناثرة.

ثالثا- إمارة فاته:

1- إمارة سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف بن محمد الزناگي:

أول أمراء أولاد بوسيف بن محمد الزناگي تميزا بعد انقسام أولاد أعمُر. كان سيدا لأولاد بنت الغصاص، زعيما، بطلا، شجاعا.

2- إمارة المختار بن سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف:

وتأمر بعد سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف ابنه المختار، وكان يلقب بالأذكر، وكان من جلة العرب، جلدا، جهوري الصوت، قتله إيدوعيش بعد أن بلغ من الكبر عتيا[931].

3- إمارة سيدي أحمد بن المختار بن سيدي أحمد:

وتأمر بعد المختار ابنه سيدي أحمد[932]، وكان من فرسان العرب وشجعانهم وكرمائهم، أغار العبيدات في عهده على فاته سنة 1214هـ/ 1799م) في "إيولان" بسبب قتل

[931] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص134.

[932] هو الذي قيل فيه:

فاته لأحمد درماز بن بكار العبيدي، فقتلوا سيدي أحمد بن أحمد بن دخنان، وابنه، وسيدي أحمد بن أعمر (امعيمرات) بن بوسيف بن دخنان الفاتيين، وقتل من جانب بوالاعراف أحد أبناء مو بن محمد الزناگي، فقاد فاته ومعهم أهل هنون العبيدي في يوم "تنگه ناگه" ضد العبيدات سنة 1214هـ/ 1800م، فهزمهم، وقتل منهم اثنا عشر غلاما أولي ذوائب كانوا يحمون طبلهم([933]).

كما قاد قومه في يوم "غابو" الأول، لأهل هنون العبيدي وفاته على أهل بهدل وسائر فونتي والعبيدات الذي أصيبت فيه يد محمد بن سيدي أحمد بن الدليل الفاتي، فكان لابد من قطعها، فامتنع فأحضروا المغنين فأخذوا في الغناء حتى استخفه الطرب، فقالوا له: إن لنا إليك حاجة، فقال: ما حاجتكم؟ فقالوا له: يدك هي حاجتنا، فقال لهم: هاهي فاقطعوها، وإن شئتم فاقطعوهما معا[934]، وقاد سيدي أحمد قومه أيضا في يوم "غابو" الثاني. وتوفي سنة 1255هـ/ 1839م.

4- إمارة المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار:

وتأمر المختار الصغير على فاته بعد أبيه سيدي أحمد، وكان من فرسان العرب وساداتهم وحذاقهم. وهو الذي قام بإحياء دولة أهل بهدل في باغنه مناصرا لاعلي بن

«سيدي أحمد للمختار اعلى حسان اشريف
ادوم يالقهار واتعين ياللطيف».

[933] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص134.

[934] المرجع نفسه، ص264. والمغني الذي أطربه هو محمد بن اسويد بوه المطرب المشهور بجودة شعره الحساني ذهب إليه بأمر من سيدي أحمد بن المختار (وكان سيدي أحمد أبا لهامه زوج محمد بن سيدي أحمد بن الدليل) ومعه عدد من المطربين يحملون آلاتهم معهم، وأنشأ يقول:

«گواتْ أرْيَامُ كَامِلاتْ في الظيگ امنيْن إيفاتِن
صَبْحُ عندُ متراَجْمَاتْ اليوْم التيدَناتِن
فتنة غابُو ما لو امشِيل اتعد فيهَ كل حِيل
سَنَدْ المسلم وَلْ الدليل وسَايْ المسْلم عاتِن
شگاگ البَيْظ من الخيل والرجْلِ تِيجكرَاتِن...إلخ».

انظر، المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، هامش المحقق، ص320.

خطري بن أعمر. قاد أهل الگاشوش ومعهم لوكارات في يوم "عيجون" ضد عثمان بن هنون وقومه (أولاد عيشه)، وعثمان بن الحبيب وقومه (أولاد الناصر)، والمراد بن اعلي وقومه (أولاد الغويزي)، وأحمد محمود بن المختار بن المحيميد وقومه (مشظوف)، وأحمد بن امحمد وقومه (كنته) وانتصر عليهم سنة 1266هـ/ 1850م.

ووقع في عهده يوم "ابلعروگ" بين أولاد امبارك ومشظوف. أبلى فيه سيداتي بن اعلي بالمختار بلاء حسنا. ونالت هذه المعارك المختلفة وحروب المختار الصغير في باغنه ضد السودان، ومجابهته لجيوش الحاج عمر الفوتي منه كثيرا، فتقلصت قوته، وانحلت عرى جيشه، وآل به الأمر إلى أن قتل في وقعة "تيمزين"[935] لصمبني المدعوم من قبل جيش الحاج عمر الفوتي على أولاد امبارك في جمادى الثانية سنة 1274هـ (يناير 1858م)، التي سبى فيها هذا الجيش نساء وذراري أولاد امبارك.

5- إمارة بادي بن المختار الصغير:

وخلف المختار الصغير ابنه بادي فواصل الحرب مع الفوتيين، وكان جلدا قويا شجاعا، لكنهم هزموه في النهاية، ونهبوا جميع ماله، وسبوا نساءه، فحشد لهم ثانية فهزموه بعدما نال منهم في عدة وقعات.

ثم أبرم سنة 1277هـ/ 1861م صلحا مع القائد مصطفى الهوصي (أحد قواد الحاج عمر الفوتي)، تمكن من خلاله من العودة بذويه من أولاد امبارك إلى أرضهم التي أرغمهم سودان سنبورو على تركها سنة 1273هـ/ 1856م بعد غارات متتالية فني فيها خلق من رجالهم وسبي فيها عدد من نسائهم. وفي عهد بادي هذا وقع يوم "گصمباره" سنة 1278هـ/ 1861م بين أولاد أمبارك والاغلال، قتل فيه الجيد بن غلام الغلاوي.

---

[935] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

6- إمارة هنون بن المختار الصغير:

وتأمر بعد بادي أخوه هنون في ظرف تداعت فيه القوى المختلفة على أولاد امبارك بعدما فقدوا معظم قوتهم. ووقع في عهده يوم "اترنگنبه" ضد حشد أحمد بن الحاج عمر الفوتي.

7- إمارة اعلي بن المختار الصغير:

وتأمر بعد هنون أخوه اعلي، ووقع في عهده يوم "الزويكيات" ضد أولاد الناصر، لكن الظروف الشديدة التي مر بها أولاد امبارك، وضغط السودان وجيوش الحاج عمر الفوتي عليهم من الجنوب والشرق، وتصاعد قوة مشظوف الضاغطين من الغرب والشمال أدت إلى تفرق قومه من أولاد امبارك وتقويض إمارة فاته، وتحولها إلى مجرد زعامة قبلية ضيقة.

وتمكن اعلي من العودة بقومه إلى گينگي بعد وصول الفرنسيين إلى المنطقة، وظهورهم بانيور سنة 1891م (1308م)، معيدا لملمة شتات بعض مجموعات أولاد امبارك من حوله، إلى أن توفي بسيگو (مالي الحالية) في شوال 1314هـ (مارس 1897م)[936].

وبوفاته تلاشى أمر فاته نهائيا في وقت رسخ فيه الفرنسيون تواجدهم في المنطقة، وأخذوا يتطلعون إلى بسط نفوذهم على بلاد الحوض التي ورث مشظوف فيها معظم سلطان أولاد امبارك.

[936] پول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سبق ذكره، ص265.

إمارة مشظوف

شهدت قبيلة مشظوف على مدار تاريخها تحولات اجتماعية وسياسية عميقة، وأخذت هذه القبيلة شكلها الحالي إبان قيام إمارتها في الحوض، حيث جذبت إليها نجاحاتها الحربية والسياسية عددا كبيرا من العشائر والبطون التي كانت تدور في فلك أولاد امبارك. وتتفرع مشظوف حاليا إلى ثلاثة فروع رئيسة هي: النبيطات، والحمنات، وأولاد بوهماد[937]، وهؤلاء الأخيرون من أصول دليمية[938]، تزوج بوهماد وابنه بكو في النبيطات، فولد لهماد ابنان أحدهما اخلد أبو لخلد، والآخر علول أبو أولاد علول، وعن أولاد علول تفرع بطن ثالث يدعى أهل حمان[939].

وولد لبكو محم (محمد) جد أولاد محم، وموسى جد أهل موسى، وابريك جد أهل ابريك، واعبل جد العبلات. وفي أولاد بكو رئاسة مشظوف، في أولاد محم منهم. وتفرع أولاد محم إلى أهل إبراهيم، وأهل سيدي، وأهل همد، والمساسكه، ومن أهل إبراهيم منهم تنحدر الأسرة الأميرية الحالية لمشظوف (أهل المحيميد)[940].

وتعصبت مع هذه القبائل الثلاث (الحمنات، النبيطات، أولاد بوهماد) عشائر كثيرة مختلفة الأصول، كأولاد الوافي المتعصبين مع الحمنات، وهم من أصول دليمية[941]، والمزاوير المنتسبين إلى الأشراف الأدارسة، وأولاد ساله وهم من بطون شتى فيهم العلويون وفيهم أولاد يحي بن عثمان وغيرهم، والشومات وهم من أولاد يحيى بن عثمان أيضا، والجنابجة وهم من أولاد عگبة، وأهل الحسن منهم ينتسبون إلى أولاد

---

[937] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص200.

[938] فبوهماد وفق ما هو مكتوب على ضريحه –حسب پول مارتي- بن منصور بن ادريك بن دليم.

[939] الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، تحقيق ولد الشيخ محمد الأمين محمد المختار، مرقون، ص65.

[940] قيل إن المحيميد (واسمه محمد محمود) بن المختار بن إبراهيم بن محم بن بكو بن بوهماد هو الذي وضع حدا لهيمنة أولاد علول بقتله آخر رؤسائهم المسمى ابيطرات، ونصب نفسه رئيسا لمشظوف، وكان له الفضل في وضع الأسس الأولى لمعالم وحدة مشظوف، توفي في موضع يقال له بوسالف سنة 1820م (1235هـ). المرجع نفسه، ص34.

[941] المرجع نفسه، ص61.

بسباع[942]، وأولاد ملوك وينتسبون إلى المغافرة، وأولاد خيرة وينتسبون إلى أولاد امبارك، والتجار وينتسبون إلى الأنصار...إلخ. وتتوزع مشظوف خلال الحرب إلى ثلاثة ألوية: لواء مناع، ولواء أوليدات، ولواء الحمنات[943].

وكانت نواة قبيلة مشظوف الحالية في بلاد الحوض وما وراءها إبان مقدم الأفواج الأولى من بني حسان إلى المنطقة. وبعد وقعة "دكرش"[944] التي جرت خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م) بين مشظوف وأولاد موحمد، ومات فيها عدد من رؤساء مشظوف، نزحت قبيلة مشظوف إلى بلاد تگانت وأطراف آدرار، وشاركت إلى جانب إيدوعيش في الصراع الذي جرى بين هذه الأخيرة وبين المغافرة عموما.

ولما ظهرت إمارة إيدوعيش، وعظم سلطانها، ضايقت مشظوفا، فتركت تگانت إلى الحوض في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (19م)، حيث قامت لهم هناك إمارة عظيمة، امتدت من المناطق الواقعة بين آوكار شمالا، و (مالي الحالية) جنوبا، ومن مرتفعات أفله غربا إلى نواحي كساري وولاته شرقا، شاملة كل بلاد الحوض.

ويعرف الحوض بأنه منخفض شاسع، تطل عليه هضاب تگانت من الجهة الشمالية الغربية، وأرض الركيبه من الجهة الغربية، ويحده ظهر تيشيت من الجهة الشمالية، وظهر ولاته والنعمة من الجهة الشرقية. جزؤه الشمالي يعرف بآوكار، وهو أراض رملية واسعة تحفها من جانبها الغربي كتلة صخرية ضخمة تعرف بأفله، وتخترق آوكار كتلة صخرية أخرى تعرف باسم الركيز.

---

[942] المرجع نفسه، ص73.

[943] قال الشيخ المحفوظ: «فأولاد بكو دون العبلات والمزاوير وأولاد ساله فئة في الحرب يقال لها مناع، والعبلات من أولاد بكو والخلد وعلول من بني بوهماد والتجار والشومات من أولاد ملوك عصبة في الحرب يقال لها أوليدات، والأولى يقال لها خالفة أولاد محم، وفيها النبيطات، أما الحمنات فلا يدخلون في قسمة، ولكن يجعلون كمينا خلف العدو». الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، ص75.

[944] موقع يقع غربي انول المنهل المشهور الذي جرت عنده وقعة "كساري".

1- إمارة أحمد محمود بن المختار بن الحيميد:

ورث أحمد محمود رئاسة أبيه في مشظوف، وظهرت عليه مخايل الزعامة في تكَانت وهو شاب في حياة والده[945]. قاد هجرة مشظوف إلى الحوض سنة 1269هـ/ 1852م، وقامت على يده إمارتهم بالحوض، بعد سلسلة من الحروب مع أولاد امبارك، وغيرهم من أصحاب الشوكة في المنطقة. أما أبوه المختار فتوفي في طريق هجرتهم بتاسكاست (بين تكَانت وأفله).

وكان أحمد محمود موصوفا بالعدل والسياسة ونفوذ الأمر[946]، أسند إلى العلامة الشهير محمد يحي بن محمد المختار الولاتي قضاء الإمارة[947]، وبسط العافية، وأمن القوافل، وجبى الجبايات، وتطاول إلى جباية الرسوم من الفرنسيين في محطة "مدينه" (في مالي الحالية) سنة 1870م (1286هـ).

وفي 29 مارس 1871م (7 محرم 1288هـ) كتب قائد محطة "مدينه" رسالة إلى الحاكم الفرنسي بالسينغال يخبره فيها أن ملك مشظوف طلب منه في السنة الماضية تسديد إتاوة سنوية مقابل السماح للفرنسيين بالتبادل في محطة "مدينه"، وأنه أرسل إليه في هذه السنة يسأله عن الجواب[948]. وعندما تأخرت الإتاوات الفرنسية عن الأمير أحمد محمود أمر بقطع الطريق على القوافل المتجهة إليها، وبإتلاف العلك الذي يصر أصحابه على جلبه إلى المحطة. وسيؤدي هذا التصرف إلى انشقاق النبيطات

---

[945] قال بابا بن الشيخ سيديا: «حدثني الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني رحمه الله تعالى أنه لقي أحمد محمود قبل خروج مشظوف من تكَانت وهو شاب، في حياة والده المختار بن الحيميد، ومخايل ما ظهر منه بعد ذلك لائحة عليه من عزة النفس وإباية الضيم والامتعاض لما يسومهم العرب من الخسف». إمارتا إيلوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص166. وقال المختار بن حامدن: «وقيل إن بكار بن اسويد أحمد رآه وهو صبي فقال: إنني أكره هذا الرأس الكبير لما فيه من اليمن، وقد صدقت فراسته». الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص201.

[946] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص201.

[947] وسيخلف محمد يحي الولاتي في هذا المنصب ابنه محمد المختار الذي ظل قاضيا لولاته وأهل الحيميد حتى وفاته حوالي 1933م (1351هـ). الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص39.

[948] المرجع نفسه، ص42.

وأولاد ساله (تميدات) على الأمير، وإلى فقدان مشظوف بعد ذلك (سنة 1875م/ 1292هـ) السيطرة على المحطة لصالح إيدوعيش.

غير أن هذا لم يمنع أحمد محمود من بسط هيمنة حقيقية على الحوض، حيث «بلغ من العظمة والملك والقوة ما لم يبلغ مثله أحد من أمراء هذه البلاد الصحراوية، وبلغ سائر مشظوف من الكثرة، وكثرة الخيل والإبل وسائر الماشية ما لم تبلغه قبيلة من قبائل هذه الصحاري[949]».

وكان الأمير أحمد محمود مظفرا، منصورا، لم تنهزم له راية إلا نادرا، من أيامه المشهورة يوم "تاغطافت" 1277هـ/ 1861م، على جيش الحاج عمر الفوتي، كان مع الفوتي في هذا اليوم الاغلال، قتل فيه مشظوف قائد جيش الحاج عمر عبد السلام وعددا كبيرا من رجاله، ويوم "تنبنبه" في فاتح ربيع الأول سنة 1278هـ (6 سبتمبر 1861م) على جيش الاغلال الذي قيل إنه بلغ اثني عشر ألفا، وكان مع مشظوف في هذا اليوم أولاد الناصر، فحالوا بين الاغلال والماء فانتصروا عليهم بعد قتال دام ستة أيام.

وفي سنة 1279هـ (1862م) سارت مشظوف وأهل انبرح من أولاد الناصر، مع غيرهم نحو ولاته، فحاصروا أهلها، فقاتلهم أهل بورده، وقتل الغاظي بن الغله، وأحمد ارشق بن سيدي المختار بن سيدي أحمد رئيس أهل بورده[950]، وفي سنة 1282هـ/ 1865م وقع يوم "ولاته" انتصروا فيه على أولاد امبارك وأولاد بله، وفي سنة 1283هـ/ 1866م وقع يوم "افاره" على أولاد امبارك وأولاد موحمد وأهل الطالب مصطفى[951]، فلم يبق في الحوض أحد يساميهم قوة وبأسا ورئاسة.

وفي سنة 1290هـ/ 1873م، حاصر الأمير أحمد محمود أولاد ساله وأولاد الناصر وإيدوعيش، وفي سنة 1292هـ/ 1875م وقع يوم "غرجوگه" على أولاد الناصر والنبيطات وأولاد ساله (تيمدات) والشراتيت والسودان وبعض أهل سيدي محمود.

---

[949] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص165.

[950] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص271.

[951] المرجع نفسه، ص201.

وفي سنة 1299هـ/ 1882م وقع يوم "أگمون" لمشظوف وأهل سيدي محمود على إيدوعيش وكنته وأولاد الناصر، ثم انفصل أهل سيدي محمود عن مشظوف، فأوقع بهم إيدوعيش وكنته وأولاد الناصر عند المدروم.

وفي سنة 1300هـ/ 1883م أغار أهل أعمر بن احمد على أهل الحيميد عند المدروم[952]، وفيها انتصر أولاد الناصر على الأمير أحمد محمود في يوم "فوق"، وانتقم أحمد محمود قبل تمام الشهر من أولاد الناصر في يوم "الفشه". وبعد شهرين أغار أحمد محمود على أولاد الناصر عند تاغطافت فحمل أثاثهم واستاق ماشيتهم.

ووصلت قوة مشظوف في الحوض في هذه الفترة إلى درجة لا تضاهى، فقد كانوا من الوفرة وكثرة العدة بحيث أنه كان في كل لواء من ألويتهم الثلاثة (أولاد محم، وأوليدات، والحمنات ألف فارس) «غير محسوب في أفراسهم الأمهار، التي لم تقو بعد على الركوب[953]».

وفي 24 رمضان سنة 1301هـ (18 يوليو 1884) توفي الأمير أحمد محمود عصر يوم الجمعة بموضع يدعى الميلحه (شمال تمبدغه)، عن ثمانين سنة قضى منها أربعين في الإمارة[954].

2- إمارة محمد محمود بن أحمد محمود:

وتولى محمد محمود بن أحمد محمود الإمارة بعد وفاة أبيه. وفي سنة 1305هـ/ 1888م، ثار عليه إخوته المختار الشيخ وامهادي واعلي محمود وابن عمه أحمد بن اعلي محمود، فانقسمت مشظوف إلى طائفتين عظيمتين متحاربتين[955]، وانتصر الثائرون في أيام

---

[952] المرجع نفسه، ص275.

[953] بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، مرجع سبق ذكره، ص165.

[954] الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص36.

[955] انضم أغلب مشظوف وأولاد محم والحمنات إلى الثائرين، وتسموا بـ"المحصر الساحلي" (الشمالي)، وبقيت مع محمد محمود مجموعة من أولاد خيرة والعبلات وأولاد ملوك وأولاد علول وأولاد العنافي والشومات وأولاد ديات والدككات

منـها: يـوم "شـكرطيل" في 19 ذي الحجـة 1305هــ (27 سـبتمبر 1888م)، ويـوم "بوخزامه" في آخر صفر 1306هـ (4 نفمـبر 1888م)، أصـيب فيـه أحمـد بـن عبـد الرحمن رئيس الحمنات إصابة قاتلة، ويوم "أكنو" 5 ربيع الثاني 1308هـ (18 نفمـبر 1890م) الذي جرح فيه الأمير محمد محمود، ثم مات من جرحه، عند "الظايه الطويلـه" في نفس السنة.

3- إمارة أحمدو بن محمد محمود:

وخلف أحمدو أباه محمد محمود في الإمارة، وكان عاقلا ذكيا، فـنجح في كسـب ولاء عمـه المختار الشيخ الذي وعده بالاعتراف به كرئيس "للمحصر الشـرگي (الجنـوبي)"، كمـا فاوض ابن عمه أحمد بن اعلي محمود وحزبه من أجل حل أزمة الإمـارة، مظهـرا عـدم الاكتراث بقتلة والده[956].

وانعقد اجتماع في ولاته بين أحمدو بن محمد محمـود وأحمـد بـن اعلـي محمـود في ينـاير 1892م (جمادى الآخرة 1309هـ)، اتفق فيه الطرفان على الهدنة بينهما، كمـا اتفقـا على اغتيال اعلي محمود بن محمد المختار الملقب المقوفف الذي ساد اعتقـاد خطـأ بأنـه هو قاتل الأمير محمد محمود بن أحمد محمود بن المحيميد. وقد نفذ هـذا الاغتيـال، وآلـت الهدنة بين الطرفين إلى الفشل[957].

والرويصات والمساسكه وبعض الجنابجه ومعظم أولاد ساله، وتسموا بـ"المحصر الشرگي" (الجنوبي). الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص44.

[956] قيل إنه كان إذا عير بإهماله قتلة أبيه قال:

«أل شاف اگعاد امع گوم اعناد
إشك ان هاد وان مان هاد».

وأحيانا يقول:

«أل شاف املاس امع گوم اعكاس
إشك أن ناس وان مـــان ناس».

[957] الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، مقدمة المحقق، ص45.

وفي هذه الفترة وقع أول احتكاك بين مشظوف والمستعمر الفرنسي، فقد قامت قوة عسكرية يقودها الملازم مارشان غداة غزو الفرنسيين لانيور، بقطع الطريق على جيش الشيخ أحمد بن الحاج عمر الفوتي لمنعه من الوصول إلى سيگو، وكان الفرنسيون بحاجة إلى مساعدة البيضان من أجل تحقيق هذا الهدف، وتوقعوا أن تساعدهم مشظوف التي كان الملازم الفرنسي مارشان قد عفا عن أحد أبنائها قبيل ذلك[958]»، لكن ظن الفرنسيين خاب، فقد تأكدوا بعد مضي عدة أيام من أن مخيمات من أولاد الناصر ومشظوف المتحالفين مع المختار الشيخ وفروا المأوى للشيخ أحمدو وساعدوه على الوصول إلى سيگو مرورا ببلدتي باسكنو وچا. وفي فبراير 1893م (رجب- شعبان 1310هـ) التقى العقيد الفرنسي أرشينار في گونبو المختار الشيخ الذي طلب منه الاعتراف به كزعيم لمشظوف، كما طلب منه إعادة المخيمات التي كانت تحت سلطته، وفرت إلى مناطق النفوذ الفرنسي.

غير أن السلم لم يسد بين الفرنسيين ومشظوف، فمن جهة ظل رجال المختار الشيخ، حالهم كحال باقي مشظوف، يغيرون على قوافل المجموعات المعادية لهم، المتجهة إلى الأسواق الواقعة في مناطق النفوذ الفرنسي، ومن جهة أخرى لم يستتب الأمر للمختار الشيخ داخل مشظوف، حيث آلت الوقعات التي جرت بين الأمير أحمدو وابن عمه اعلي محمود والاغتيالات الأميرية التي رافقت ذلك إلى القضاء على كل فرص المختار الشيخ في الزعامة.

ومن أشهر وقعات الأمير أحمدو يوم "أيتگهار" سنة 1310هـ (1892م)، ويوم "إدريس" في صفر 1310هـ (سبتمبر 1892م)، ويوم "آرشان" 1313هـ (1895م)

[958] جاء في تقرير الملازم مارشان: «إن العفو الذي منحته لشاب مشظوفي سقط أسيرا خلال عملية سلب ضد أهل انگولو وفر لي الفرصة التي كنت أبحث عنها، فبعد يومين تقدم إلي عدد من المحاربين يقودهم المختار الشيخ بنفسه لتقديم الشكر». بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، مرجع سبق ذكره، 94.

على أحمد بن اعلي محمود، ومعه أولاد الفاغي من مشظوف وأهل احمد بن الحبيب من أولاد الناصر.
وفي جمادى الأولى 1314هـ (اكتوبر 1896م) اغتيل الأمير أحمدو في انعيجيات (قرب ولاته) من قبل عميه امهادي واعلي محمود ابني أحمد محمود بن المختار بن الحيميد وابن عمه أحمد بن اعلي محمود، وبتواطئ من المختار الشيخ الذي قتل الأمير في خيمته.

4- إمارة أحمد بن اعلي محمود:

وأعلن أحمد بن اعلي محمود نفسه أميرا بعد اغتيال ابن عمه أحمدو لكن ملكه لم يستتب لأن محمد المختار بن محمد محمود قتله في شوال 1314هـ (مارس 1897م) ثأرا لأخيه الأمير أحمدو المغدور في انعيجيات[959].

5- إمارة محمد المختار بن محمد محمود:

وتأمر محمد المختار بن محمد محمود بعد قتله لأحمد، وكان عادلا، نافذ الكلمة، دفع المختار الشيخ إلى التخلي نهائيا عن المطالبة بالزعامة في مشظوف، فسكن مع الحمنات حيث توفي في 18 ذي الحجة 1318هـ (8 إبريل 1901م).
واجتمع شمل مشظوف أو أغلبهم على الأمير محمد المختار، فسكنت به البلاد، واطمأنت ، وكثر الرخاء، وانتشر الأمن، لكن قبائل الشمال كانت تغير أحيانا على حين غرة على المواشي والقبائل في الحوض، فكان الأمير يطاردهم ويصدهم. كما أن الفرنسيين الذين فرضوا سيطرتهم على بلاد مالي أصبحوا يشكلون هاجسا بالنسبة له، بسبب المعارك التي يدخلون أحيانا ضد بعض رعاياه، أو ضد القبائل المصاقبة لأرضه.

[959] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص203.

وفي يناير 1897م (شعبان 1314هـ) قتل مجند فرنسي من أصل مغربي في بوچگيره ونهبت قرية نامبالا من قبل مجموعات من لوليدات وأولاد ملوك، فأصدرت السلطات الفرنسية في گونبو أمرا باحتجاز مخيمات مشظوف المتواجدة في المنطقة، مما تسبب في إحداث بلبلة في أوساط مشظوف.

وفي إبريل من نفس السنة (ذي القعدة 1314هـ) تفاهم الأمير محمد المختار مع الفرنسيين على تهدئة الوضع، لكن هذه التهدئة فشلت في يونيو 1898م (محرم 1316هـ) لأسباب مختلفة من أهمها تحريض كنته أزواد لقبائل الإمارة على عدم التعامل مع الفرنسيين، وعلى مقاومتهم على غرار ما فعل الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي ورجاله الذين هزموا الفرنسيين هزيمة منكرة قرب تنبكتو وقتلوا عددا من قادتهم في نفس الشهر(يونيو 1898م/ محرم 1316هـ)، وعدم مقاطعة الأمير لأولاد ملوك وأولاد سيدي الذين قتلوا رقيبا فرنسيا عند رأس الماء، فضلا عن إصرار الأمير محمد المختار على أن يصرف له الفرنسيون –كما كتب بذلك إلى قائد المنطقة- إتاوات تصل إلى مائة قطعة من النيلة بوصفه زعيما كبيرا لا يقل أهمية عن زعيم إيدوعيش بكار بن اسويد أحمد[960].

وتسبب هذا الوضع في نهب مشظوف لكل ما هو فرنسي، وقطعهم الطريق على المتعاملين مع الفرنسيين من البيضان. ولم تجد الدوريات الفرنسية نفعا في وقف هذه الوضعية التي أدى تفاقمها إلى مقتل جندي فرنسي آخر، فقررت القيادة الفرنسية تنظيم حملة لمواجهة مشظوف، وانطلقت هذه الحملة من كارونگا في 26 يوليو 1898م (7 ربيع الأول 1316هـ)، لكنها لم تحقق شيئا.

ووقع الأمير محمد المختار في تيگماطين في 4 أغسطس سنة 1898م (16 ربيع الأول 1316هـ) اتفاقية مع الفرنسيين للمساعدة في إعادة التهدئة إلى المنطقة. لكن الوضع بقي على حاله تقريبا لأن مشظوف ظلت عموما تسير في الخندق المقاوم للفرنسيين.

---

[960] پول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص95.

وفي اكتوبر 1908م (رمضان 1326هـ) كتب الحاكم الفرنسي إلى الأمير محمد المختار ليفرض عليه شروطا جديدة، فرد عليه الأمير برسالة قاسية وصف فيها الفرنسيين بأنهم لا يحفظون العهد، ويغالون في معاهدة تيگماطين. وظلت علاقة الإمارة بالفرنسيين متوترة ومتذبذبة حتى توفي الأمير محمد المختار مقتولا يوم 12 يوليو 1909م (24 جمادى الثانية 1327هـ) على يد محمد سالم بن الخاطر البحيحي الذي كان ضمن غزو فيه أفراد من أولاد غيلان والرگيبات وأولاد بسباع تسلل ليغير على الحوض.

6 - إمارة اعلي محمود بن محمد محمود:

وتأمر بعد محمد المختار أخوه اعلي محمود في وقت كانت فيه فرنسا تتطلع إلى احتلال الحوض، فقد توغلت سنة 1908م (1326هـ)حتى وصلت إلى باسكنو والنعمه، فحاول الأمير الجديد أن يعيد التوازن إلى التعامل بين فرنسا والإمارة على أساس الاتفاق القديم بين الفرنسيين وأخيه. وكالعادة ظل المشظوفيون يشاركون في عمليات التحرش بالفرنسيين، إلى أن احتلت فرنسا ولاته سنة 1912م (1330هـ)، وبسطت نفوذها على المنطقة.

إمارة البرابيش

كان أولاد عبد الرحمن (الرحامنة) البربوشيون أول من قدم إلى منطقة أزواد، قدموا إليها سنة 920هـ/ 1514م، مدفوعين من بعض أبناء عمومتهم الذين انتصروا عليهم في بعض حروبهم الداخلية في جنوب المغرب، وذلك إبان الانتشار الحساني ببلاد شنقيط[961]، وقد سلك البرابيش وأبناء عمومتهم من الرحامنة للوصول إلى أزواد طريقين مختلفين، فتوجهت منهم طائفة مباشرة باتجاه نهر النيجر مرورا بإيگيدي الشمالي، بينما اتجهت طائفة أخرى إلى آدرار، وانطلقت منه إلى تگانت والحوض والگبلة (التوارزة والبراكنة)، حيث فرضت سيادتها على هذه المناطق فترة من الزمن قبل أن تنتقل إلى أزواد.

وهيمنت طوائف البرابيش التي وصلت إلى منطقة أزواد خلال القرن العاشر للهجرة (16م) على سكان المنطقة، بفضل تصاعد نفوذها لدى ملوك السونگاي، حتى أصبحت لها الكلمة الفصل في أزواد في القرن الحادي عشر الهجري (17م)، وأمير البرابيش يومئذ عيسى بن سليمان رئيس أولاد عبد الرحمن، وفروعهم أولاد جلول، وأولاد اسعيد، وأولاد غيلان، والخطورات، والنهارات، وغيرها[962].

وقويت شوكة أولاد عبد الرحمن بعد انتصارهم على التوارگ وعظم سلطانهم، وسيطروا على طرق التجارة في الصحراء المحاذية لهم، وعلى مملحة تغازة[963].

ولما جاء الجيش المغربي إلى تنبكتو 999هـ/ 1591م حافظ البرابيش على نوع من الاستقلالية والنفوذ في الصحراء، حيث استنجد القاضي نور الدين عمر الذي خاف

---

[961] القاضي محمد محمود بن الشيخ الأرواني، الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد شنقيط والمغرب وتنبكتو وأروان، مخطوط، ص19.

[962] المصدر نفسه، ص20.

[963] پول مارتي، البرابيش، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، ص10.

من بطش باشا تنبكتو محمود بن زرقون بالأمير البربوشي عيسى بن سليمان، قرب تغازة، فأجاره وأوصله إلى مأمنه[964].

والتحق خلال هذه الفترة عبو بن مخلوف البربوشي (من أولاد عامر الرحمونيين)، بالشيخ الصالح الشريف سيدي أحمد بن آده مؤسس أروان، وسكن معه هو وابنه اسليمان، ثم توفي عبو بأروان.

وبعد وفاة الأمير عيسى بن اسليمان تأمر ابنه الفلالي، وكان أميرا قويا، تعرض لركب باشا تنبكتو علي بن عبد القادر عند توات سنة (1041هـ/ 1631م) حينما كان متوجها إلى الحج فنهبه، «وكاد أن يقتل الباشا لولا أنه استجار بكبيري الرفقة العالمين سيدي أحمد بن عبد العزيز الجراري وسيدي محمد بن أحمدو بابا التنبكتي، وافتدى منه بمال عظيم، وصده عن الحج بعدما قتل من قتل من أصحابه[965]».

ولما خلع جيش الرماة الباشا علي عبد القادر في محرم 1042هـ (يوليو 1632م) وولوا مكانه عليا بن مبارك الماسي لجأ الباشا المخلوع إلى الأمير الفلالي بن عيسى البربوشي، وكانت "حلته" آنذاك قرب تنبكتو، وطلب منه مساعدته على الهرب، فلم يمكنه من ذلك ورده إلى تنبكتو، فقتله الباشا الجديد علي بن مبارك[966].

وخلال هذه الأحداث تزوج اسليمان بن عبو بن مخلوف بابنة أمير أولاد عبد الرحمن الفلالي بن عيسى (قبيل سنة 1044هـ/ 1634م بقليل)، وذلك في آخر حياة الشيخ سيدي أحمد أگ آده (بن آده) الأروانى[967].

---

[964] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مرجع سبق ذكره، ص139.

[965] المرجع نفسه، 192.

[966] المرجع نفسه، ص194.

[967] قال القاضي محمد محمود الأروانى: «بنى الشيخ سيدي أحمد بن آده أروان، فكان ممن سمع بخبره، وقصده للزيارة - في صدر القرن الحادي عشر - عبو بن مخلوف من بني عامر الرحموني البربوشي، ومعه أولاده الأربعة: عيسى ومحمد وأحمد وسليمان، فسكن عبو بن مخلوف وابنه الصغير سليمان مع الشيخ سيدي أحمد، ولم يلبث إلا قليلا ثم توفي، فتزوج ولده سليمان بابنة شيخ أولاد عبد الرحمن، وذلك في آخر حياة الشيخ سيدي أحمد (المتوفى 1044هـ 1634م)». الترجمان، ص20. وقال پول مارتي: إنها من أولاد اسعيد. البرابيش، ص22.

وكان البرابيش في ذلك العهد مسيطرين على جل الطرق التجارية المؤدية إلى تنبكتو من الشمال. وكانوا في صراع شبه دائم -هم والتوارگ- مع باشوات تنبكتو، لاسيما الباشا يحي بن محمد الغرناطي الذي هاجم بلدة بنبا فأخرج منها البرابيش والتوارگ قهرا سنة 1061هـ/ 1651م، ثم بعث إليهم بالأمان فلم يجيبوه.

وفي سنة 1073هـ/ 1662م نزل المغافرة بولاته، وأغار عليهم البرابيش أربع مرات، ثم لحق بهم المغافرة فاقتتلوا من أول القيلولة إلى أن زال النهار، ثم اصطلحوا وتوقف القتال، فلما اطمأنوا غدر بهم المغافرة ونهبوهم فبقوا بولاته إلى أن جاءت إبل لبعض التجار فاشتروها وارتحلوا عليها قافلين إلى أروان[968].

وقصد أبناء عبو بن مخلوف (إخوة اسليمان)، ومعهم إيعيش بن العطشان (جد أولاد إيعيش البربوشيين)، أزواد تجارا، في رفقة يقودها عيسى بن عبو بن مخلوف. وكان أمير أولاد عبد الرحمن في هذه الفترة مولعا بجمع الإبل "الزرگ" (وهي الإبل البيضاء التي داخل بياضها سواد)، ويفرض على كل من امتلك ناقة هذا وصفها أن يأتيه بها، ويعاقب أو يقتل من لا يمتثل ذلك.

وكانت عند إيعيش بن العطشان ناقة تحمل أوصاف النوق التي يحوز الأمير لنفسه، فسمع الأمير بخبرها فأرسل إليه يريدها، فأبى إيعيش، فأرسل الأمير من يأتيه به هو والناقة فأتى بهما، فاغتصب الناقة، وحلق لحية إيعيش، ثم سرحه، فتلثم إيعيش وعاد إلى رفقته، وكانت بين أروان وتنبكتو، فلما رأوه على تلك الهيئة أجمعوا على حرب أولاد عبد الرحمن، وانطلقوا إلى اسليمان بن عبو في أروان[969]، فأعلموه بنيتهم، فسار معهم، وترك زوجته الرحمانية، ثم عمدوا إلى إبل لأولاد عبد الرحمن فنهبوها، وانطلقوا

---

[968] عائشة بنت احمياده، نظرة تاريخية على رئاسة البرابيش، مرقون، ص23 نقلا عن جدو بن الطالب الصغير البرتلي، مخطوط.

[969] قال الأرواني: «فتعرض لهم غزو من التوارگ فيه أربعون رجلا فسألوهم "الغفر"، فقالوا لهم نعم، وأفرشوا لهم الفرش، فلما اطمأنوا إليهم قتلوهم ودفنوهم، فمكان دفنهم هو المعروف الآن بالردمه». الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص21.

إلى مضاربهم بإيگيدي (الشمالي)، فلما علم أولاد عبد الرحمن بالخبر ركبوا في إثرهم فأدركوهم بمحل بئر أيدنان[970]، فتقاتلوا فانهزم أبناء اسليمان ومن معهم، وقتل قائدهم عيسى بن عبو بن مخلوف.

وصمم أنيس بن عيسى على الأخذ بثأر أبيه، فرحل إلى المولى إسماعيل العلوي، فبالغ له في فساد أولاد عبد الرحمن في أزواد، وخروجهم عن الطاعة، فأذن له المولى إسماعيل في الأخذ بثأره منهم، ومكن له في قومه[971]، فجمع أنيس "محلة" (جيشا) كبيرة من الرحامنة وغيرهم، فانطلق بها إلى إيگيدي، فجهز الأزواد، وهيأ الأنعام، ثم ارتحل بالمحلة في ثمانمائة رجل قاصدا أروان سنة 1092هـ/ 1681م، فلما وصلوا إليه علموا أن "حلة" أولاد عبد الرحمن عند "تنتهون" بين تنبكتو وأروان، فقصدوها. وكانت إبل أمير أولاد عبد الرحمن مصابة بالجرب فاجتمع لها رجال المحلة بتنتهون لعلاجها، فجاء جيش أنيس، وهم منهمكون في علاج الإبل فلم يتمكنوا من أخذ أسلحتهم، ففتك بهم أنيس وصحبه، وقتلوا أميرهم وعددا كبيرا من رجالهم، وسبوا نساءهم، وأخذوا الأموال، وعمدوا إلى الإبل فحلوا عقلها واستاقوها، فسمي ذلك العام عام "أم اعگال"[972].

ومر أنيس بأروان قافلا بجيشه، فترك عمه اسليمان بن عبو في محلة هناك، وترك له مائة وخمسين رجلا من قومه يحرسونه، ورجع هو بالجيش.

وتلاشت بعد هذه الوقعة إمارة أولاد عبد الرحمن، لتحل محلها إمارة أنيس بن عيسى بن عبو بن مخلوف وأولاد عمه اسليمان بن عبو بن مخلوف البربوشيين.

1- إمارة أنيس بن عيسى بن عبو بن مخلوف:

وانتقل أنيس بن عيسى بمحلته التي كانت تضم أربعمائة رجل، دون الخدم والحشم، إلى أروان سنة 1093هـ/ 1682م، وارتحل معه قومه من البرابيش: (أولاد أحمد بن

---

[970] لم تكن البئر قد بنيت يومئذ.

[971] الأروانی، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص21-22.

[972] المصدر نفسه، ص37.

عبو بـن مخلـوف، وأولاد بوخصـيب، وأولاد عيشـه، وأولاد عمـران، وأولاد غنـام، وأولاد إدريس، والمحافيظ)[973] فدانت له المنطقة، ودخل تحت حكمه كل من في أزواد مـن أهـل البادية وأهل الصحراء، وعظم ملكه حتى اشتهر بسلطان الصحاري[974].

وفي عهده جاء المصطفى التـارگي بجيشـه إلى أروان غازيـا الـبرابيش سـنة 1102هـ (90-1691م)، فاقتتلوا فانهزم المصطفى وجيشه وولوا هاربين[975].

وفي عام 1104هـ/ 1692م نشبت الحرب بين البرابيش والتـوارگ أيضـا، فانهزمـت التوارگ[976]. ثم توفي الأمير أنيس.

2- إمارة الحاج محمد بن اسليمان بن عبو بن مخلوف:

وخلف الحاج محمد بن اسليمان بن عبو بن مخلوف ابن عمه أنيس بن عيسى بن عبـو، وكان أميرا قويا ضم إليه بقايا أخواله الرحامنة، ودخل في حروب متقطعة مع التوارگ والرماة المغاربة. وفي عهده اندلعت الحرب بين البرابيش عند "أگُومار" سنة 1115هـ/ 1703م، وطارد بعضهم بعضا حتى دخلوا تنبكتـو، ووصـلوا إلى ولاتـه في شـوال سـنة 1116هـ (فبراير 1705م) فملكوها ست سنوات ثم ارتحلوا عنـها عائـدين إلى أزواد سنة 1122هـ/ 1710م[977] بعدما أوقع بهم أولاد يونس بـ"توگ" الوقعة التي تفرقـت فيها حشاشة البرابيش، وهم مائة طفل ظفر بهم أولاد يونس في ذلـك اليـوم[978]. وتـوفي الحاج محمد بعد ذلك بقليل.

---

[973] تاريخ البرابيش، مخطوط، ص4.

[974] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص98.

[975] الأروافي، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص27.

[976] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[977] تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، مرجع سبق ذكره، ص44. وتاريخ ابن اطوير الجنه، مرجع سبق ذكره، ص51-52.

[978] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص50. وقال المختار بن حامدن: «سموا بحشاشة البرابيش لأنهم كانوا يجمعون في ذلك اليوم الحشيش ليفرشوه تحت الحصر». المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مصدر سبق ذكره، ص22.

3- إمارة دمان بن الحاج محمد بن اسليمان:

وتولى بعد الحاج محمد ابنه دمان[979]، لكن مدته لم تطل. ورئاسته لم تستتب بسبب اختلاف البرابيش[980]. ثم توفي.

4- إمارة اعلي بن دمان بن الحاج محمد بن اسليمان:

وتأمر بعد دمان ابنه اعلي، واستعاد البرابيش في عهده بعض قوتهم. وفي سنة 1141هـ (1728م) غزا اعلي بجمع من رجاله من أروان قاصدا أولاد بوفايده في الگبلة (في الغرب) فهزمهم أولاد بوفايده عند "تدنيت"، وأسروا الأمير اعلي بن دمان، ففداه ابن اعبيد أمو الغلاوي بمائة ناقة من الإبل[981]، ثم رجع الأمير اعلي إلى أروان.

وفي سنة 1148هـ/ 1735م، تنازعت بنواحي تنبكتو بعض مجموعات البرابيش، على إثر خصومة وقعت بين فتيان من أولاد عامر وفتيان من المحافيظ، وقتل في هذا النزاع ثلاثة منهم[982].

وتسبب ذلك في انقسام البرابيش إلى طائفتين متحاربتين: طائفة أولاد عامر (وتطلق أولاد عامر على أولاد اسليمان وأولاد أحمد بن مخلوف)، ومعهم أولاد غيلان وأولاد بوخصيب، وطائفة المحافيظ، وأولاد عيشه، وأولاد عمران، والنهارات، ومن معهم، وأمرت هذه الطائفة الأخيرة عليها حام بن بدلَه.

---

[979] لم يذكر المختار بن حامدن ولا تاريخ البرابيش دمان هذا، كما لم يذكره الأروافي في حديثه عن أمراء أزواد في أول كتابه (ص25-55)، وذكره بعد ذلك عند سرده للائحتهم (ص99).

[980] تاريخ البرابيش، مصدر سبق ذكره، ص6.

[981] حوليات ولاته، مصدر سبق ذكره، ص14.

[982] تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، مرجع سبق ذكره،ص58.

ونزل أولاد عامر ومن معهم بـ"أگومار" بأمر من باشا تنبكتو أحمد بن القائد سنبير، ثم أمرهم الباشا بأن يرتحلوا إلى "ابراز" حتى لا يكونوا عرضة لأعدائهم أولاد عيشه والمحافيظ ومن معهم الذين نزلوا في "صدراية الاعظام" على طريق أروان، فلم يطيعوه، ثم بدا لهم بعد أيام أن يفعلوا ذلك، فرحلوا إلى "ابراز"، وحطوا به الرحال يوم 14 محرم 1149هـ (26 مايو 1736م)[983].

ثم انتقلت الطائفتان إلى تنبكتو ليشهد الباشا على صلحهما الذي سعى فيه قاضي أروان الفقيه سيدي الوافي بن طالبنا بن محمد بن سيدي أحمد بن آده، والكاهية في أروان علي بن عبد الكريم، لكن الصلح فشل، فأمر الباشا بأن يمنع البرابيش من البيع والشراء جراء ذلك، فبذل البرابيش مالا لبعض الرماة بقيادة الرامي أحمد بن أشفغ منصور مقابل عزل الباشا، فأقنع ابن أشفغ منصور الجيش بعزله، فعزله الجيش يوم 19 صفر من نفس الشهر (29 يونيو).

وفي يوم 20 صفر 1149هـ (30 يونيو 1736م) خرج القاضي سيدي الوافي وسيدي عبد الوهاب بن علي بن الشيخ من تنبكتو إلى "صدراية الاعظام" حيث طائفة المحافيظ، وأولاد عمران، وأولاد عيشه، والمحافيظ...إلخ ليحثوها على الصلح. واستجابت هذه الطائفة للشيخين سيدي الوافي وسيدي عبد الوهاب فرحلت معهما باتجاه تنبكتو. فلما دنوا من "ابراز" عرسوا حتى يعرج الشيخان على أعدائهم فيكلمانهم في شأن الصلح. غير أن أولاد عامر لما رأوهم مقبلين مع الشيخين جاشت صدورهم فوثبوا عليهم فاقتتلوا. وانهزمت طائفة أولاد عيشه ومن معهم أمام أولاد عامر وحلفائهم، وفروا بعدما مات منهم ستة وعشرون رجلا، باتجاه كندام، وتنبكتو، ومعهم صبيانهم، ونساؤهم، وجرحاهم، فتفرقوا في البيوت، وتبعهم أولاد عامر إلى تنبكتو فنهبوهم، وشاركهم التوارگ في نهبهم، فماجت المدينة واضطربت وانقطعت السبل[984].

---

[983] المرجع نفسه، ص72.

[984] المرجع نفسه، 76.

واتصل الرماة، بعضهم ببعض، وتشاوروا فيما بينهم حول تعيين باشا جديد حتى لا تظل البلاد سائبة، فاختاروا القائد سعيد بن القائد علي التزركيني وعينوه باشا جديدا في 22 صفر 1149هـ (2 يوليو 1736م)، لكن الفتنة ظلت متواصلة بين رماة تنبكتو والتوارگ من جهة وطائفتي البرابيش من جهة ثانية.

وعادت طائفة أولاد عيشه وإخوانهم إلى جهة أروان، لكنهم ما لبثوا أن عاودوا الانتجاع والتعرض للقوافل بنواحي تنبكتو. وعلم أولاد عامر في جمادى الثانية 1149هـ (اكتوبر 1736م) بوجود أعدائهم بالقرب من "حللهم"، فركبوا إليهم، فتلاقوا عند "نبكة حام" واقتتلوا قتالا شديدا، مات فيه خلق كثير من الطرفين، لكن الخسائر في أولاد عامر كانت أفدح، حيث فقدوا عددا من كبرائهم، كالحاج يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان، وحافظ بن إيعيش بن الحاج محمد، ومرزوق الشيخ، والحاج علي معتوگ، وجرح الأمير اعلي بن دهمان، جرحا لقي بسببه حتفه[985].

وشهدت منطقة أزواد مجاعة شديدة هذا العام حتى أكل الناس في أروان وتاودني الجلود.

5- إمارة محمد بن حافظ بن إيعيش بن الحاج محمد بن اسليمان:

ولما توفي الأمير اعلي بن دهمان تولى الأمر بعده ابن عمه محمد بن حافظ بن إيعيش[986] بن الحاج محمد بن اسليمان، ولم يلبث إلا قليلا، ثم توفي.

6- إمارة اعلي بن حافظ بن إيعيش:

وتأمر بعد محمد بن حافظ أخوه اعلي بن حافظ[987]، فلم يلبث أن توفي كذلك.

---

[985] المرجع نفسه، ص 39، 64. والأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص25.

[986] ذكر الأرواني محمد هذا وأنه خلف اعلي بن دهمان في الصفحة 99 من الترجمان، بينما ذكر في الصفحة 28 أن حافظ هو الذي خلف اعلي، وتقدم أن حافظ قتل في وقعة "نبكة حام".

[987] المصدر نفسه، ص99.

7- إمارة محمد بن اعلي بن حافظ:

وخلف اعلي بن حافظ ابنه محمد، واصطلحت المجموعتان على إمارته سنة 1165هـ/ 1752هـ. ثم ثار عليه ابن عمه محمد بن يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان فانتزع منه الإمارة قهرا.

8- إمارة محمد بن يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان:

ولما تأمر محمد بن يوسف عمل أولاد عيشه وأولاد عمران والحافيظ وحلفاؤهم، على إحداث الشقاق بينه وبين أبناء عمه أولاد أحمد بن عبو بن مخلوف، فآجر أحمد دوله العيشي (من أولاد عيشه) اميسه تكراس العمراني –وكان من دهاة العرب- بمائة مثقال من الذهب على أن يزرع الخلاف بين بيدي بن معتوگ ومحمد بن يوسف، فجعل اميسه يخرج كل يوم إلى الطريق ينتظر الواردين حتى أقبلت عير من الساحل فيها تجار شرفاء، فسلم عليهم، وقال لهم ممن أنتم؟ فأخبروه بحالهم ونسبهم، فقال لهم: أنتم شرفاء ضعفاء ليس عندكم من المال إلا القليل، فأنصحكم بالذهاب إلى بيدي بن معتوگ فإنه ابن عم أمير البرابيش محمد بن يوسف فإذا صرتم أضيافه توجه لكم في الأمير فلم يأخذ منكم "الغفر"، وكان اميسه يريد من وراء ذلك أن يرفض الأمير طلب بيدي فيثير حربا بينهما. ونفذ الأضياف نصيحة اميسه فنزلوا بدار بيدي وسألوه أن يتوسل لابن عمه الأمير أن يترك لهم "الغفر"، ففعل فترك لهم الأمير محمد بن يوسف "الغفر". فلما رأى اميسه ذلك ذهب إلى محمد بن يوسف خفية وقال له: ما فعلت لا يفعله الأمراء فإنك إن تركت "الغفر" لأبناء عمك نازعوك في الإمارة، فـ"الغفر" هو مدار الإمارة، وأنت تقدر أن تعطيهم كل ما طلبوا من الأموال من إبل وخيل وذهب وفضة، فقال له: ما قلت صحيح، وأرسل محمد بن يوسف إلى بيدي بأنه لا يقدر أن يتساهل في "الغفر"، ولكن له ما أحب من المال عوضا عنه، فرد عليه بيدي بأنه تفهم قوله، وأنه لا حاجة له في المال.

فلما لم يتيسر لاميسه مراده من جهة محمد بن يوسف وبيدي، ذهب إلى بيدي مرة أخرى، فقال له: كيف ترضى بما فعل بك ابن عمك، ترك لك "الغفر" حتى سمع الناس بأنه ترك لك من لاذ بك، وعرفوا بأنك رجل وجيه، ثم استخف بك بعد ذلك، كما يفعل باللحمة، وعرضك لسخرية العرب، فقال بيدي: قولك حق. فأرسل إلى محمد بن يوسف بأنه لا بد أن يترك له "الغفر"، فذلك هو اللائق به، فامتنع محمد بن يوسف من ذلك، فغضب بيدي وانحرف عن الأمير فمال إليه أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ وأمروه من يومئذ. واندلعت الحرب بينهم وبين محمد بن يوسف فتقاتلوا عند "انباك إيفرشي"[988].

ثم وقعت بينهم وقعة "أفراي" (في 1166هـ/ 1753م) فتقاتلوا قتالا شديدا مات فيه خلق كثير من الفريقين، ثم تهادنوا.

وفي عام 1167هـ/ 1754م أو الذي يليه[989] غدر أولاد أحمد بن عبو بن مخلوف بالأمير محمد بن يوسف في أروان وفتكوا به، وذلك أنه دخل عليه في بيته نهارا محمد بن الأمين بن بوراص ومعه أحد أولاد بيدي ومحمد بن أعمر بن الأمين في داره فلما رءاهم ارتاع لدخولهم عليه في وقت غير معتاد، فسلموا عليه فرد عليهم، وقال مرحبا يا بني عمي، ما جاء بكم في هذا الوقت؟ فقالوا له: حاجة لنا. وقام إلى مصافحتهم، فلما صافح محمد بن الأمين والتفت إلى محمد بن أعمر يريد مصافحته طعنه محمد بن الأمين بحربته، فمد الأمير محمد بن يوسف يده يتلمس خنجره ليأخذه، فطعنه محمد بن أعمر في أعلى رقبته، وكان رجلا قويا فأنفذ حربته فيه حتى خر صريعا، فشقوا بطنه ثم خرجوا[990].

فلما شاع الخبر ذهب محمد بن الأمين إلى ابن أگ سلطان التوارگ، ليعترف له بالأغفار (الإتاوات) التي كانت لمحمد بن يوسف على القوافل. وكان التوارگ قد

---

[988] المصدر نفسه، ص44.

[989] ذكر التاريخ الأول مولاي القاسم بن مولاي سليمان في حولياته، بينما ذكر الأرواني في الترجمان التاريخ الثاني.

[990] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، 155.

استعادوا نفوذهم وسلطانهم في المنطقة، بعدما تراجع سلطان الباشوات، وصالحوا البرابيش على أربعين بكرة من الإبل أو قيمتها[991] يدفعها أمير البرابيش -الذي يجبي أضعاف ذلك كل سنة- للتوارگ مقابل إعانتهم للبرابيش على أعدائهم، وتأمينهم للقوافل التي تدفع "الغفر" للبرابيش وتمر بأرض التوارگ. كما صالح البرابيش قبائل الهگار على أربعين مثقالا من الذهب سنويا أو قيمتها من الإبل، تدفع لأمينوكال (أمير) الهگار لضمان أمن القوافل المارة بأرضهم[992]، «فأما عدد "الغفر" الذي كان يأخذه أمير البرابيش [على البضائع الواردة إلى أروان] فهو سبعة مثاقيل سوى ثلث من الذهب لكل حمل، أوقيمة ذلك من الحوائج، وبعيرا عن كل جلب من الإبل، أو عن كل سَوق من الملح، ومن منع "الغفر" نهب ماله أو قتله في الحين، ومن دفع "الغفر" لم يظلمه أحد من الأجانب، ومن تعرض له رده عنه أهل الإمارة ولو بالقتال[993]»، «ويأخذ أمير البرابيش من قائد مملحة تاودني غفرا سنويا قدره أربعمائة رأس من الملح (حمل مائة ناقة)، فإذا أعطاها له لم يتعرض له ولا للقوافل القادمة إليه، بينما تدفع كل قافلة غفرا معلوما لقائد المملحة قدره حمل بعير أو نصفه من الميرة، كما يدفع له كل من يخرج الملح من السبخة الخمس[994]».

---

[991] المصدر نفسه، ص157.

[992] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، 39.

[993] الأروافي، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص156.

[994] المصدر نفسه، ص158. وقال إنه لما جاء الفرنسيون صار من يخرج الملح من مملحة تاودني -الواقعة على بعد 200 كلم شمال أروان- يدفع العشر للقائد وعشرا آخر للفرنسيين. وأضاف: «أول من بنى تاودني وحكم فيها القائد اصوير، ثم خلفه ابنه القائد محمد، ودخل عليه القائد أحمد الحيوفي وتقاتل معه، حتى أخرجه من تاودني بإعانة من السلطان، والظاهر أنه مولاي الرشيد في آخر حياته، وبناء تاودني وقع في القرن الحادي عشر، وذرية القائد اصوير وبنو عمه في تمنارت الآن، وهم أمراء قومهم قريبا من واد نون. ثم تولى بعد القائد أحمد الحيوفي ابنه عبد المالك، ثم بعده ابنه القائد أحمد الزين، ثم بعده ابنه القائد ناجي الملقب آدبه كينه، ثم بعده مولاه القائد محمد الأمين بن گربه، وفي زمنه دخل الفرنسيون الأرض وحكموها، ثم بعده القائد المختار بن الكنتي الجكني التيندوفي، ثم بعده القائد آدبه بن الأمير اندهي سيدي محمد بن الأمير الحبيب الأروافي» الترجمان، ص159.

وأما القوافل التي تفد إلى المنطقة فهي قوافل «أهل غـدامس، وأهـل تـوات، وتجكانـت، واعريب، والبرابره، وتكنه، وأولاد بسباع، وأهل تافلالت، وأهل طرابلس وغيرهم، فأمـا أهل غدامس فأكثر تجارتهم وحوائجهم، هم وأهل تـوات: الكحـال، والشـمة، والتمـر، ويردون على أزواد في الشهر مرتين، أو أكثر، ولا يخلو شهر من مجيء رفقة كـبيرة منـهم.. والرفقة قد يكون فيها الألوف من الإبل.. وأما تجكانت ومن معهم مـن أهـل السـاحل (الجنوب) والغرب، فلا يجلبون إلا السكر، والأتـاي، والحنابـل، والزربيـات، والـبرانس، والجرامق، والخنط، وغيرها من حوائج الغرب الكثيرة، وكل شهر أو شهرين تأتي منـهم رفقة كبيرة عظيمة فيها الألوف أيضا، وأول مجيء تجكانـت لأروان جـاؤوا في رفقـة مـن اثنتي عشرة ألف ناقة، حاملة كلها إلا القليل، ثم حملت الملح من تاودني.. وكان الاغلال، وأهل بورده، وإجمان، وتنواجيو، ومشظوف، وأولاد بله يأتون بالألوف مـن الإبـل لبيعهـا كل حين، ولحمل الملح.. والحـوائج الـتي يشـترون مـن أروان هـي: البخـور، والصـمغ، والعاج، والريش، والرقيق[995]».

وعلم أولاد اسليمان بذهاب محمد بن الأمين إلى سلطان التوارگ فأرسلوا إليه احمـد بن رحال بن دحمان، فاعترف السلطان ابن أگ باحمد بن رحال دون محمد بن الأمين.

9- إمارة احمد بن رحال بن دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان:

واستتبت الإمارة لاحمد بن رحال. وتواصل في عهده النزاع بـين أولاد اسـليمان وأولاد أحمد بـن عبـو وحلفـائهم أولاد عيشـه والحـافيظ وأولاد عمـران...إلخ، فلمـا كـان عـام 1170هـ/ 56-1757م وقع قتال شديد بين الطرفين عند الحفرة البيضاء، ثم تجـددت الحرب بينهم في آخر العام عند بئر الحسين بين تينكبتو وأروان.

وفي هذا العام اشتدت وطأة أولاد عيشه وأولاد أحمـد وحلفـاؤهم، علـى أولاد اسـليمان ومن معهم من البرابيش، وصار كني العيشي هو صاحب الحل والعقد فـيهم، فضـاقت

[995] المصدر نفسه، ص156.

الحال على أولاد اسليمان ومن معهم حتى أرسل امحمد بن رحال عام 1171هـ/ 1757م إلى كني فتصالح معه فوقعت العافية. ثم بعث امحمد بن رحال بعد ذلك بفترة إلى كني من يقتله غدرا فقتله، فحينئذ رحلت أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ إلى الگبلة (الغرب) ثم عادوا إلى أزواد فصاروا يدعون منذ ذلك اليوم بالبرابيش الگبليين[996].

وفي عام 1172هـ/ 1758م تجدد القتال بين أولاد أحمد وأولاد اسليمان عند "نبكة الغشوه" بين بوجبيها وكرطال، ومات في هذا القتال خلق كثير من الطرفين، وسمي هذا العام بعام "الغشوه".

وفي عام 1174هـ/ 1760م وقع الغلاء المفرط بأزواد، بسبب فساد الأحوال بين الرماة والتوارگ والسودان، وانقطاع الأسواق. «وفيه بنى امحمد بن رحال أمير البرابيش قصبته عند بئر بوجبيها، وجمع عسكرا عظيما بين العبيد والبرابيش، وأسكنه هناك، وطلب من القاضي سنبير بن القاضي سيدي الوافي أن يأذن لتلميذهم الطالب سيدي أحمد في الذهاب معه ليكون وكيلا على القصبة ففعل فكان ذلك سبب عمارة بوجبيها[997]».

وفي عام 1179هـ/ 1765م اقتتل البرابيش من جديد في يوم عرف بيوم "الزرايب".

وفي عام 1183هـ/ 1769م اقتتلوا أيضا قتالا شديدا عرف عامه بعام "اطويره"، مات فيه كثير منهم. وفي عام 1185هـ/ 1771م دارت عند تهيگيمت معركة كبيرة بين البرابيش "الگبليين" وبين بطن اجمل[998] فانهزم البرابيش "الگبليون". وفي عام 1192هـ/ 1778م توفي الأمير امحمد بن رحال[999].

---

[996] المصدر نفسه، ص58.

[997] المصدر نفسه، ص47.

[998] قال في الحسوة: «ومن قبائلهم.. أولاد بوخصيب، وأولاد إدريس، وأولاد غنام، ويقال لهؤلاء الثلاث بطن الجمل». انظر، صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص46.

[999] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص49.

10- إمارة اعلي بن امحمد بن رحال:

وتأمر بعد امحمد بن رحال ابنه اعلي. وفي عهده تواصل النزاع بين قبائل البرابيش. واتصل الأمير اعلي بالشيخ سيدي المختار الكنتي الذي كان والده امحمد بن رحال يجله ويكرمه، فضمن له انقطاع المنازعين وثبات الملك[1000]، واعترف اعلي للشيخ سيدي المختار بتحقق ما وعده به عندما خاطبه بحضور جمع من البرابيش بقوله: «يا اعلي ما أعطيتك لم أعطه لك خفية.. أعطيتك أربعا لم يعطها أحد من آبائك: أعطيتك رقاب البرابيش وأموالهم، وقد كان آباؤك يواسون البرابيش بأموالهم لكفاية شرورهم واستمالة صدورهم، ومصداق ذلك أن أبناء غيلان الذين هم ناب البرابيش وحشوتهم، صاروا تحت يدك، وطوع حلك وعقدك، وأعطيتك الشد (التبغ) وقد كان لا يؤتى به إلا من الساحل، ويجيء مرة في العام أو مرتين، وهو الآن يؤتى به من توات بأضعاف ما كان يجيء به من الساحل، ثم لا ينقطع العام كله، وأعطيتك التوارگ، وقد كان آباؤك يغرمون لأسفل سافل منهم، ويفدون عليهم وفود الرعية على ولاتهم، وهم الآن يهدون لك، ويفدون عليك أذلاء منقادين لأمرك، الشريف منهم والمشروف.. يهدون إليك فحول خيلهم، وكرائم إبلهم.. ثم هذا السرج الذي أركبتك عليه (الملك الذي وهبتك إياه) لو اجتمع الثقلان على أن ينزلوك عنه لم ينزلك عنه غيري[1001]».

وفي عهد الأمير اعلي نهب أولاد المولاة بقيادة أميرهم محمد بن المعلوم سنة 1194هـ/ 1780م إبلا للبرابيش، فتعقبوهم، وقاتلوهم فهزموهم وقتلوا منهم خمسين رجلا من بينهم أميرهم محمد بن المعلوم. وفي عام 1200هـ/ 1786م جرت بين أولاد أحمد وأولاد اسليمان وقعة ظفر فيها أولاد أحمد بالأمير اعلي فجرحوه جراحات تولد له منها

[1000] الشيخ سيدي محمد الخليفة، الطرائف والتلائد، مخطوط، ص198.

[1001] المصدر نفسه، ص208.

استرخاء برجليه، حتى صارتا لا تثبتان في الركاب، ويسمى هذا العام الذي جرت فيه هذه الوقعة عام "ابراز"[1002].

وفي عام 1204هـ/ 1790م وقع يوم "كورشي" دار فيه قتال عظيم بين الفريقين وحلفائهم. واصطلح بعد هذا اليوم عرب الگبلة سوى أولاد أحمد: (أولاد عيشه وأولاد عمران والمحافيظ) مع أولاد اسليمان[1003].

وفي عام 1206هـ (1792م) اجتاح المنطقة وباء شديد عرف بـ"مقاطة" (الأولى) هلك فيه خلق كثير، ظهر في قرية المبروك (شمال شرق تنبكتو) آخر سنة 1206هـ وأقام بها ستة أشهر، وفي فاتح محرم 1207هـ دخل تنبكتو وقتل كثيرا من الناس حتى خرج شرفاء تنبكتو وطلابها وجميع كبرائها يلتمسون من الله العفو عن المسلمين. وطافوا بالبلد يستشفعون بصلحاء تنبكتو كي يرفع الله عنهم ما حل ببلادهم، وفي شهر جمادى الأولى سنة 1207هـ دخل هذا الطاعون أروان فقتل 150 شخصا، ودخل بوجبيها، ثم دخل السودان وكان يقتل في كل يوم نحو 100 نفس، وامتد إلى الحوض فدخل ولاته في شهر رمضان سنة 1208هـ ومكث فيها أزيد من عشرة أشهر. ودخل تگانت سنة 1209هـ وقتل في المنطقتين خلقا كثيرا[1004].

وفي عام 1208هـ (93-1794م) تمالأ أولاد اسليمان وعرب الگبلة والتوارگ على أولاد أحمد فهجموا عليهم، ولم يكن مع أولاد أحمد أحد، فقتلوا رئيسهم محمد بن الأمين وأولاده وعددا كبيرا منهم، حتى لم يبق من أولاد أحمد في ذلك اليوم إلا رجال معدودون لاذوا بأهل أروان فتفرقوا في بيوتهم، فحاصروهم مدة، ثم تمكنوا من الخروج خفية فالتحقوا بمن لم يحضر الوقعة من أبناء عمهم، فرحلوا عن أزواد مغربين، فنزلوا على أولاد علوش وأولاد امبارك فأمنوهم. ويسمى هذا العام عام "ملزم الزرافه".

[1002] المصدر نفسه، ص32.

[1003] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص249.

[1004] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص49. والمختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مرجع سبق ذكره، ص184، وانظر أيضا هامش المحقق.

وركب أولاد أحمد وأولاد علوش غازين البرابيش بأزواد، فأغاروا عليهم فانهزم البرابيش، وفر كثير منهم، ورجع أولاد أحمد وأولاد علوش بما نهبوا.
وفي سنة 1217هـ/ 1802م توفي أمير البرابيش اعلي بن محمد بن رحال[1005].

11- إمارة امهمد بن امحمد بن رحال:

وتولى الأمر بعد اعلي أخوه امهمد بن امحمد بن رحال، فغزا أولاد علوش في أول عهده البرابيش أيضا فهزموهم ونهبوهم، ومات في هذا الغزو ابن الأمير بوبكر بن امهمد. وفي عهده رام أهل الكوري التقدم على بطن اجمل قهرا من أولاد اسليمان، فلم يرض الأمير امهمد وأولاد اسليمان بذلك فقاتلوهم حتى أذعنوا[1006].
وفي عام 1220هـ/ 1805م غزا البرابيش أولاد علوش في أرضهم فهزمهم أولاد علوش، فرجعوا هاربين، وقتل أولاد علوش يومئذ سنبير العمراني أحد رؤساء البرابيش.
وفي عام 1222هـ/ 1807م أغار أولاد علوش على البرابيش عند تلگان فقاوموهم مقاومة شديدة لكنهم انهزموا، فنهب أولاد علوش الإبل. ومات امهمد في ذي الحجة سنة 1222هـ (فبراير 1808م)[1007].

12- إمارة أحمد بن اعبيدَه بن امحمد بن رحال:

وتأمر بعد امهمد ابن أخيه أحمد بن اعبيدَه بن امحمد بن رحال، فتوحدت البرابيش تحت رايته، وكان سائسا مقداما شجاعا، «من نازعه أباده لوقته[1008]».

[1005] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص99.
[1006] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص33
[1007] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص99.
[1008] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص50.

وفي عهده احتدم الخلاف بين البرابيش وأولاد داود، فعزم أولاد داود على نزول أزواد وطرد البرابيش منه، فركبوا في خمسمائة مقاتل على الإبل وثمانين فارسا، فلما بلغوا رأس الطلح وجدوا ترمز هناك ففرت ترمز بإبلها، فهموا بإدراكهم فأعجزوهم، فاتجهوا إلى أروان فلم يجدوا البرابيش هناك فاقتحموا المدينة يريدون ملكها، وعلم بهم البرابيش فجاؤوا من الغد فخرج أولاد داود للقائهم فاقتتلوا فما مرت ساعة حتى انهزم أولاد داود، واستحر فيهم القتل، فلجأ بعضهم إلى بيوت المدينة، وفر الباقون، فأمن البرابيش كل من دخل في بيوت أروان من أولاد داود.

وفي عام 1232هـ/ 1817م غزا بطن الجمل أحمد بن اعبيده عند بير لميلح ولم يكن معه غير ثمانين خيمة، فثبت لهم حتى هزمهم.

وفي 1241هـ/ 1826م جاء الرحالة الإنگليزي گوردن لينگ إلى السودان، وانطلق من تنبكتو باتجاه أروان، فتبعه الأمير أحمد في الثالث من شوال 1241هـ (9 مايو 1826م) في نفر من قومه فأدركه عند "أسهب" غرب "المجيدي" وقتله مع مرافقيه هناك بعدما عرض عليه الإسلام وأعرض عنه[1009]، وقام أتباعه بحرق جميع أثاثه وكتبه، وذلك أن أمراء المنطقة كانوا قد تعاهدوا على أن كل من خرج لجهته قتله، فخرج لجهة أزواد فقتله أمير البرابيش[1010].

ومر إبراهيم بن عمر بن صالح البربوشي بجثث لينگ ومرافقيه الذين قتلوا معه، بعد أيام من قتلهم، فدفنهم[1011].

وفي 1243هـ/ 1828م وصل إلى المنطقة المستكشف الفرنسي ريني كايي (ولد كيجه) الذي كان يتكلم العربية ويدعي الإسلام، وعبرها دون أن يصاب بأذى[1012].

[1009] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص36.

[1010] الأرواني، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص50.

[1011] پول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص36.

[1012] المرجع نفسه، ص37.

وفي عام 1245هـ/ 1829م نهب أهل تنبكتو دارا لأهل أروان في تنبكتو فيها كثير من الملح، ومنعوهم من شراء الزرع بسبب رفض أهل أروان إعطاء المداراة مع أهل تنبكتو الذين عجز باشا تنبكتو عثمان بن القائد بوبكر عن تأمينهم بعدما تشتت جيش الرماة، فصارت كل فرقة تجمع الإتاوات على من قدرت عليه، وكان النفوذ في هذه الفترة في المنطقة بيد ملك ماسنه أحمد بن لبو، فأمر أمير قصر أروان الشيخ سيدي أحمد الحبيب قاضي أروان سيدي أحمد ين القاضي سيدي محمد (حفيد القاضي سيدي الوافي بن طالبن) بأن يكتب لأحمد بن لبو يشكو له أهل تنبكتو، ويبين له أن «أهل أروان يدارون عن أنفسهم وأموالهم أولاد امبارك وأولاد علوش، وجميع من يتعرض لهم من التوارگ، ويدارون أهل تاودني عند حملهم الملح من معدنه، وأولاد دليم، وغيرهم، وهذا كله لا يعني أهل تنبكتو حتى يكون ذلك مما يوجب عليهم أن يعطوا معهم مداراة[1013]»، فانتصر أحمد بن لبو لأهل أروان وأجبر أهل تنبكتو على الإمساك عنهم.

وفي آخر صفر 1267هـ (3 يناير 1851م) تقاتل أولاد علوش وأهل بورده مع البرابيش عند أروان قتالا شديدا، وانهزم أولاد علوش وأهل بورده، وقتل عدد منهم فيهم الطالب بن ارشق وسيدي الصغير بن سيدي المختار[1014].

وفي سبتمبر 1853م (ذي الحجة 1269هـ) وصل إلى تنبكتو الرحالة الإنگليزي "هنري بارث"، فأقام مع الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي مدة. وخلال إقامته بتنبكتو جاء اعلي بن الأمير أحمد إلى تنبكتو في دجمبر 1853م مع "أزولاي" (قافلة الملح)، فتاقت نفسه إلى قتل هذا الإنگليزي الذي تسمى بعبد الكريم، كما قتل أبوه لينگ من قبله، لكن الموت فاجأ اعلي في 19 دجمبر 1853م بتنبكتو[1015]، وعاد بارث بعد أشهر أدراجه دون أن يتمكن من الخروج من تنبكتو باتجاه الشمال.

[1013] الأروانی، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص51.

[1014] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص268.

[1015] بول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص37.

وتوفي الأمير أحمد سنة 1269هـ/ 1853م[1016].

13- إمارة امهمد بن أحمد بن اعبيده:

وتولى الإمارة بعد أحمد ابنه امهمد، وفي عهده وقع غلاء مفرط ومجاعة شديدة ابتدأت عام 1285هـ/ 1868م، وامتدت إلى السنة الموالية «حتى تفرق البرابيش في البلدان يريدون الزرع، وأكثرهم دخل أرض أولاد علوش، لطلب ما يسدون به خلتهم[1017]».

وفي عام 1287هـ/ 1870م نهب الرعيان إبل أولاد عيشه البربوشيين، فركبوا في أثرهم فالتحقوا بهم، وتقاتلوا، فانهزم أولا عيشه، ومات عدد من أعيانهم. وفي 1289هـ/ 1872م غزا الرعيان أزواد فنهبوا إبل البرابيش، فاقتفوا آثارهم، وأدركوهم بعدما جاوزوا غدير "كدامه" (غرب ولاته) فاقتتلوا معهم، فانهزم الرعيان وانجلوا عن الإبل، فرجع البرابيش إلى غدير "كدامه" - وهو على هيئة البئر- ليشربوا منه فمال إليهم الرعيان وهجموا عليهم هنالك وهم غافلون، فمات كثير من البرابيش، منهم من رؤسائهم البكاي بن أحمد بن اعبيده، وأخوه محمد، وعلي بن السيد العيشي، ومان بن محمد العمراني.

وفي عام 1290هـ/ 1873م ركب الأمير امهمد في جيش عظيم قاصدا الرعيان ثأرا ليوم "كدامه"، فانهزموا في وجهه، فقتلهم قتلا ذريعا، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم فساق الجميع إلى أروان، ثم «ذبح جميع صبيانهم ومعلميهم عند جبل گانب[1018]».

وفي عام 1292هـ/ 1875م أغار أولاد المولاة على الهمال (كنته)، ثم عرجوا على حلة البرابيش عند "الاعلاب" فأغاروا عليها، ولم يكن فيها حينئذ من الرجال المقاتلين إلا حماد بن حدي العمراني، ويسمى هذا العام عام "الاعلاب".

[1016] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص268. وقال الأروانى إنه توفي سنة 1288هـ 1871م عند عرگ أزوزال (غرب أروان). الأروانى، مصدر سبق ذكره، ص 53.

[1017] الأروانى، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص53.

[1018] المصدر نفسه، ص34. وأضاف: «ولم يمت من جيش البرابيش إلا رجل واحد هو محمد ولد بلخير السعيدي».

وفي هذه الفترة نهب أولاد داود إبل امهمد بن أحمد بن اعبيده رئيس البرابيش فطاردهم فلحق بهم عند "تاخمرت" وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا.
وفي عام 1293هـ/ 1876م توفي الأمير امهمد[1019].

14- إمارة سيدي محمد بن امهمد:

وخلف سيدي محمد أباه امهمد. وكان أميرا قويا تلقب بسلطان أزواد[1020]. وفي أول عهده (عام 1294هـ/ 1877م) تقاتل البرابيش مع أهل بورده في تاودني، فانهزم أهل بورده وهربوا فغنم البرابيش أثاثهم ومتاعهم ومواشيهم.
وفي عام 1295هـ/ 1878م تجدد الغلاء واشتدت المجاعة وتعددت المصائب فمات كثير من الخلق.
وفي 1297هـ/ 1880م وصل المستكشف النمساوي "أوسكار لينز" إلى أروان وعاد بسلام دون أن يلحقه أي أذى.
وفي عام 1298هـ/ 1881م أغار أولاد المولاة على إبل للبرابيش في بوجبيها فنهبوها فتبعهم البرابيش فأدركوهم عند بئر لمزيريف على طريق توات، فانهزمت البرابيش وقتل منهم رجال منهم أولاد مسعود الخصيب.
وفي 1299هـ/ 1882م تشاجر الأمير سيدي محمد مع ابن آبيشي العيشي فخرج ابن آبيشي من أروان قاصدا قصر المامون فأرسل إليه الأمير أربعة ليقتلوه وهو في الطريق، فقتلهم[1021].

[1019] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص269. نقلا عن تاريخ البرابيش. وفي الترجمان أنه توفي 1295هـ (1878م) ، الأروائي، مصدر سبق ذكره، ص55. وفي البرابيش لبول مارتي أنه توفي 1297هـ (1880م) ، بول مارتي، مرجع سبق ذكره، ص39.

[1020] بول مارتي، البرابيش، مرجع سبق ذكره، ص53.

[1021] الأروائي، الترجمان، مصدر سبق ذكره، ص55.

وفي عام 1300هـ/ 1883م أغار السكارنه وأولاد المولاة على إبل للبرابيش في أزواد فنهبوها فركب البرابيش في إثرهم فادركوا عند بئر "تنحيه" فاقتتلوا فانهزم السكارنه وأولاد المولاة وفروا، واسترجع البرابيش إبلهم واستولوا معها على إبل اسكارنه وأولاد المولاة وجميع حوائجهم.

وفي عام 1301هـ/ 1884م نهب أهل الساحل إبلا لأهل الحبيب (رؤساء أروان)، والبرابيش في أزلاي عند اتليگ، فركب من البرابيش غزو من تسعين رجلا (عشرة منهم من الوسره) في أثرهم، فلحقوا بهم عند مضيق بين جبلين يدعى الحنك فاقتتلوا فانهزم أهل الساحل، ثم لما أراد غزو البرابيش الرجوع سلك نفس المضيق، فشعر بذلك أهل الساحل فهجموا عليهم فلم يجد رجال البرابيش متسعا يقاتلون فيه، فأفناهم أهل الساحل.

وفي عام 1303هـ/ 1886م تشاجر الأمير سيدي محمد بن امهمد مع أولاد عيشه وأهل غيلان على بكرة "الغفر" التي كانت البرابيش تعطي لأمير إيلمدن فرحل أولاد عيشه وأهل غيلان فنزلوا على الهگار على طريق توات «وذبحوا على هگار وتعاهدوا معهم وأخذوا منهم الأمان[1022]». ويسمى هذا العام عام "تگافيت أولاد عيشه". ثم رجع أولاد عيشه إلى أزواد عام 1304هـ/ 1887م بعدما راضاهم الأمير سيدي محمد.

وفي عام 1305هـ/ 1888م تقاتل الأمير سيدي محمد بن امهمد مع التوارگ عند "أگومار"، وأعان السودان التوارگ فهزمهم سيدي محمد جميعا، ولم يمت من جيشه أحد وجرح عيدي العيشي البربوشي.

وفي 1306هـ/ 1889م تشاجر الأمير سيدي محمد مع الكنتي بن الشانع الجكني التيندوفي (والد المختار بن الكنتي قائد تاودني) «حتى هم ابن امهمد بقتل الكنتي، وذلك بسبب رفضه دفع إتاوة ألزمه الأمير أن يغرمها فامتنع. ثم صالح الناس بينهما على أن يدفع الكنتي الإتاوة، فحلف الأمير ابن امهمد ليحملن الكنتي الملح بنفسه

[1022] المصدر نفسه، ص35. والذبح عادة قديمة في المجتمع الصنهاجي تدل على توكيد العهد وعدم الرجوع فيه.

دون إعانة من عبيده أو من غيرهم، فغضب الكنتي وأبى، ثم وافقهم أمير تجكانت محمد البشير بن العبد وعروة بن سيدي محمد الأرواني، فقبل ابن امهمد بأن يحمل العبيد الملح عن الكنتي. وكظم الكنتي غيظه حتى خرج قافلا إلى تيندوف، فمر مع قومه بإبل تحمل الملح للأمير فهشموا الملح ونهبوا الإبل[1023]».

وفي عام 1307هـ/ 1890م أغار الهگار على إبل البرابيش عند موضع بين بوجبيها وأروان فنهبوها وقتلوا أحمد بن امبيريك العمراني، وأسروا بابه بن محمد بن اسويلم، فقال لهم إنه شريف، فخلوا سبيله.

وفي عام 1309هـ/ 1891م اختلفت ترمز مع الأمير سيدي محمد فرحل بترمز شيخهم الصديق بن الشيخ إلى أولاد علوش فحالفوهم، ثم نهضوا معهم نحو أزواد فجاؤوا إلى رأس الطلح فوجدوا به إبلا للأمير سيدي محمد بن امهمد وابا أحمد العمراني فنهبوها، وقتلوا بوبكر بن إبراهيم بن عمار الرتيبي، فركب سيدي محمد في إثرهم في مائتين وخمسين رجلا ولحق بهم عند باسكنو فاقتتلوا فانهزم جيش سيدي محمد بن امهمد، ومات في ذلك القتال دحمان بن أحمد بن اعبيده في عدد من البرابيش، وجرح عدد منهم، ومال البرابيش إلى بئر في تلك الناحية تدعى بوزريبه للشرب منها، فمات عندها كثير من جرحاهم.

وفي عام 1310هـ/ 1892م ركب الأمير سيدي محمد بن امهمد قاصدا أولاد علوش فأغار عليهم عند المصيگيل فهزمهم، وقتل جمعا كبيرا من رجالهم ونهب مواشيهم وأثاثهم، ولم يمت من جيشه إلا رجل واحد من الگوانين. وفي آخر هذا العام ركب أولاد علوش يريدون أزواد فأغاروا على البرابيش عند "نبكة اجماعه" وقتلوا حمو البوهنداوي ونهبوا الإبل، فركب البرابيش في أثرهم فلحقوا بهم بعدما وصلوا إلى خيامهم فاقتتلوا فانهزم البرابيش، ومات منهم في ذلك اليوم سبعون رجلا[1024].

[1023] المصدر نفسه، ص165.

[1024] المصدر نفسه، ص43.

وفي 1311هـ/ 1894م استولى الفرنسيون على تنبكتو، فنظم الأمير سيدي محمد المقاومة ضدهم. وعمل على قطع السبل عليهم، ومقاومة من يدخل بلاده منهم، ومعه في تلك المقاومة الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي وقومه، والأمير التارگي محمد أواب وقومه، وانگونه أمير كلنتصر وقومه، فلم يزل يقاوم الفرنسيين حتى أعجزوه واحتلوا كامل أرضه.

الرئاسات الحسانية

اشتهر من الرئاسات الحسانية التي لم تبلغ مبلغ الإمارات من حيث التنظيم السياسي:

1- رئاسات أولاد دليم:

أ- رئاسة أولاد المولاة:

كانت أولا في أزواد، وكانت دائرة بين بيت هيبه بن عبد الله بن بوعاده (من أولاد بوكرزية)، وبيت عبد الرحمن بن احماحو بن بله، فمن رؤسائهم ارشيد بن هني (أو هدي) بن عبد الله بن بوعاده اشتهر بالشجاعة، وقرض الشعر (الحساني)، ومحمد المعلوم بن احمد الاگرع (أو ابن احمد بن أحمد بن الاگرع) بن عبد الرحمن غزا البرابيش فقتل بطلهم أحمد الملقب الجمل بن إبراهيم بن غيلان، وابنه محمد، وابن أخيه فرج بن الحاج محمد بن إبراهيم، ثم غزاهم ثانية فقتلوه حوالي 1220هـ/ 1805م، وأجلوا أولاد المولاة من أزواد إلى آركشاش فحالفوا أولاد سالم بن الشويخ. ومن رؤسائهم كذلك احمد بن المهدي بن هيبه بن عبد الله بن بوعاده، واجديدو بن سيدي الأمين مات يوم آركشاش الذي انتصرت فيه الرگيبات على أولاد المولاة فتفرقوا بين البرابيش، والقواسم وتافلالت.

ب- رئاسة أولاد امعرف:

وهم أولاد الشويخ، وأولاد الرميثية، فأولاد الشويخ، وكانوا في تيرس وانتقلوا إلى إينشيري بعد الخلاف مع أبناء عمومتهم أولاد دليم على الزعامة السياسية، وكانت رئاستهم في بيت اللب بن الشويخ، فابنه اعلي، فابنه محمد، فابنه الفظيل، فابنه محمد،

فابنه أحمد الملقب أيده الذي حارب ولد عيده (أمير آدرار)، وكان آنذاك رئيسا لأولا دليم عامة، واشتهر بالعدل، وكان حيا سنة 1237هـ/ 1821م.

ثم خلفه على رئاسة أولاد اللب: اعلي الذي انفصل أولاد اللب عن أولاد دليم بسبب رئاسته العامة التي رفضها أولاد دليم، وقتله العويسيات[1025]. ثم أخوه سيدي أحمد الملقب فارس "خمرازه" وهي فرسه، وقتله العويسيات هو الآخر. وخلفه ابن أخيه محمد بن اعلي بن أحمد (أيده) الذي قتله أولاد دليم، فعمه عثمان بن أحمد (أيده)، وعمر فخلفه وهو ما يزال حيا ابن عمه اسويدات بن امحمد الملقب بالشيخ (بكسر الشين) بن باركلل بن امحمد بن الفظيل، وقتله أولاد دليم أيضا. فخلفه محمد بن عثمان بن أحمد (أيده)، وعمر بدوره، فخلفه في حياته اعلي الملقب اغموگ بن محمد بن اعلي بن أحمد (أيده) المشهور باظمين الساحل، وقتله السكارنه، فترأس بعده ابنه عبد الله الذي قتله العلب الساحليه، فابن عمه سيدي امحمد بن محمد بن عثمان المقتول يوم فرع الكتان مع أولاد يحي بن عثمان ضد إيدوعيش، فمحمد الملقب مماها (بتفخيم الميمين) بن عبد الله بن اعلي (اغموگ) والفظيل بن اللب بن عثمان، وعليهما دخلت فرنسا[1026].

ومن أولاد الشويخ أولاد سالم، والگرع، وأولاد سدوم، والوعران، ولكل منهم رئاسة خاصة به.

وأما أولاد الرميثية -وكانوا بتيرس ونواحي انواذيبو والداخلة، فمنهم لوديكات، وكانت رئاستهم في بيت جابر بن أوديكه، ثم في ابنه منصور، ثم في الشيعة بن منصور، ثم في أخيه أحمد، ثم في محمد بن اعلي بن بكار بن جابر، ثم في عبد الصمد بن الشيعة، ثم في ابنه سيدي بابه الذي قتله أولاد اللب، فرأسوا أخاه الحبيب فقتله أولاد اللب أيضا، فرأسوا أخاهما العروسي، وهو الذي أغار على سرح الترارزة يوم المدروم، وقتل

[1025] أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية، مصدر سبق ذكره، ص46.
[1026] المرجع نفسه، ص42-49.

سنة 1323هـ/ 1905م[1027]، وخلفه ابنه احمين الذي توفي 1359هـ/ 1940م إبان الفترة الاستعمارية.

ومن أولاد الرميثية كذلك أولاد باعمر، وكانت الرئاسة فيهم في بيت الشيخ انبريهي (ابن إبراهيم) بن عمي بن المسيده. ومن مشاهير رؤسائهم إبراهيم اخليل بن اعثيمين بن عمار بن الشيخ انبريهي، قتله أولاد يحي بن عثمان يوم آغوييت 1294هـ/ 1877م، فخلفه ابنه اعلي سالم، ثم أحمد بابا بن اعلي سالم. وفي عهده دخلت فرنسا المنطقة.

ومن أولاد الرميثية أولاد تگدي، وكانت الرئاسة فيهم دائرة بين بيت مختار بن حمو بن احمود بن تگدي، وبيت ابن عمه امحمد بن الزبير بن حمو.

ومنهم السراحنة، وكانت رئاستهم في بيت عثمان بن اللب بن مرزوگ بن عمي بن بوكديه بن ميم. ومنهم أولاد الخليگة، وكانت رئاستهم في بيت امحمد بن السيد بن الخليگة[1028].

2- رئاسات أولاد اعروگ:

تطلق أولاد اعروگ بن أودي على أولاد يونس، وأولاد عگبه، وأولاد داود، فأما أولاد يونس فكانوا أولا رؤساء عامة أولاد اعروگ، وكانت فيهم عدة رئاسات أعظمها رئاسات أولاد ازعيم، وأولاد رحمون، وأولاد إيعيش.

فمن رؤساء أولاد ازعيم ميارة بن أبي بكر، كان في ولاتة التي غادرها أولاد ازعيم سنة 1201هـ/ 1786م.

ومن رؤسائهم بادي بن الطالب محمود، عاش في القرن الثالث عشر الهجري (19م)، وأبلى في الحرب ضد أهل فوته بلاء حسنا. ولما فر أحمد بن الحاج عمر الفوتي في وجه

[1027] المرجع نفسه، ص42-49.

[1028] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، رجع سبق ذكره، ص86، وجزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص170، والجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص100.

ملاحقة فرنسا نزل به فأكرمه، وأبلغه مأمنه، رغم العداوة السابقة بينهما، فكافأه أحمد بذهب كثير كان يحمله معه. ولأولاد ازعيم قرية في مالي يقيمون بها تدعى ليره.

ومن رؤساء أولاد رحمون محمد بكر توفي آخر القرن الثاني عشر الهجري (18م).

ومن رؤساء أولاد إيعيش بوبه بن محمد موسى، عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (18م). ثم ابنه زيدان، قتله اعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل الامباركي في صدر القرن الثالث عشر الهجري (19م) لعداوة بين أبويهما.

ومن رؤساء أولاد عگبه بن اعروگ موسى بن المختار (من أولاد مزوك)، قتله أولاد امبارك، فقتل به أولاد مزوك التادلاوي بن حمو بن هنون العبيدي.

وإلى أولاد داود اعروگ انتقلت رئاسة أولاد اعروگ لما تلاشى أمر أولاد عگبة. ويقال إن دولتهم -أي أولاد عگبة- انقرضت ولم توجد فيهم بندقية، وإنما كان سلاحهم السيف والرمح والخنجر والعصا التي كان البيضان يتقنون فنون القتال بها.

واستطاع أولاد داود اعروگ أن يشكلوا قوة حقيقية في منطقة الحوض، شاركوا بفضلها في سلسلة طويلة من الحروب الدامية.

وكانت رئاسة أولاد داود اعروگ في القديم لأولاد زيد، ثم للجامات منهم، فمن رؤسائهم هرتوم الزيدي الذي دل المغافرة على موضع كساري حيث أوقعوا بأولاد بوفايده سنة 1124هـ/ 1712م.

وكان لأولاد زيد على أولاد علوش يوم عند تگلط أوقعوا فيه بهم الوقعة المشهورة سنة 1073هـ/ 1662م، فأثخنوا فيهم قتلا، وملأوا بئر تگلط من قتلاهم، فتفرق أولاد علوش على إثرها.

وتسلسلت رئاسة أولاد زيد في عائلة أهل الفراري الذين منهم أحمد بن الفراري، ثم ابنه احمد، ثم ابنه كدادو، توفي سنة 1236هـ/ 1820م في وقعة سمي. ثم ابنه النفع، ثم ابنه أحمد، ثم ابنه احمد، وفي رئاسته دخلت فرنسا فترك الرئاسة لأخيه الخليفة وهاجر هو. ثم تنازل الخليفة لأخيهما كدادو بن النفع فترأس.

وفي بطون أولاد زيد الأخرى رئاسات منها رئاسة الاكتاف، وممن تولاها اعلي بن اميسي، ثم ابنه يحيي، وكان حيا سنة 1275هـ/ 1858م.

ومنها رئاسة أولاد لحسن، وهم من زوايا أولاد زيد، عرفوا بالعلم والتقوى. من رؤسائهم العالم المعروف الحاج لحسن بن أغبدي (توفي 1123هـ/ 1711م) كان بتيشيت، وحج فلقي في حجه بمصر العلامة الخرشي شارح الشيخ خليل فرد عليه أربعين مسألة من شرحه، ارتكزت رئاسته على علمه وتقواه، تشهد بذلك نفاسة مصنفاته، وكثرة خريجيه. وخلف الحاج لحسن ابنه سيدي محمد فحاربه بكار بن الطالب اعلي بن العگيد البوفايدي، ومعه مهاجرو أولاد بوفايدة، فخرج بطائفته من تيشيت بعد أن قتل بكارا سنة 1154هـ/ 1741م، وتوجه إلى باسكنو، وكان الفلان كثيرون بنواحيها فأدركوا عندهم الرفعة والقدر.

ومن رؤسائهم المتأخرين سيدي أحمدن بن سيدي خليفة بن سيدي عبد الله بن سيدي محمد كان رئيس أولاد زيد إبان دخول فرنسا.

أما أولاد علوش فقووا وكثروا بعد يوم تگلط، وكونوا رئاسة عامة في أولاد داود، وكانت في عائلة أهل بوموسى (العثامنة)، فمن رؤسائهم بيده (الأول) بن احمد بن إبراهيم بن موسى، ثم محمد بن بيده، ثم أخوه هنون بن بيده، وفي أيامه قتل أولاد علوش الفقيه عمو بن الطالب عبد الجبار بن الحاج الطيب بن الطالب الصديق الجماني 1210هـ/ 1795م فنشبت حرب بين أولاد داود وإجمان من أيامها يوم "بطحت ولاته" في العاشر من شوال سنة 1210هـ (18 إبريل 1796م)، ويوم "تنوكر" في آخر صفر 1213هـ (12 أغسطس 1798م)، كان مع أولاد علوش فيه جميع أولاد داود اعروگ، ومع إجمان أولاد داود احمد، ويوم "بقي" لعشر بقين من الشهر الموالي (ربيع الأول 1213هـ/ فاتح سبتمبر 1798م) ، ويوم "ابرودات" ، ويوم "زوغ الحامي"، ويوم "آكريبات".

ومن أيام هنون كذلك يوم "گيبه" سنة 1217هـ/ 1802م لأولاد موحمد ومعهم لادم والفلان وفونتي (من أولاد امبارك) على أولاد داود اعروگ معهم أهل هنون العبيدي

وفاته وأهل بهدل (من أولاد امبارك). قتل فيه من أولاد داود اعروگ سيدي محمد بن أحمد بن الفراري الزيدي، ويوم "المخيشبه" سنة 1218هـ/ 1803م لأولاد موحمد على أولاد داود اعروگ، ويوم "الرماشية" سنة 1233هـ/ 1818م على أولاد داود اعروگ أيضا، ويوم "كبده" سنة 1233هـ أو 1234هـ/ 1818م أو 1819م على أولاد موحمد، قتل منهم فيه أحمد بن كعبوش واعلي بن الشين في خلق كثير، ويوم "جيگي" في رجب سنة 1233هـ أو 1234هـ/ 1818م أو 1819م على أولاد داود اعروگ، قتل فيه المختار بن هنون بن بيده العلوشي في مائة أو يزيدون من بينهم اعلي بن محمد بن الحاج من فونتي، وابن لأخيه ديسي، ويوم "زرگاگه" في تاسع ذي القعدة 1233هـ (10 سبتمبر 1818م) على أولاد داود، قتل فيه منهم ارشق بن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الحاج بن بورده، واعلي بن آفشال بن بيده العلوشي، وغيرهما. وقتل من أولاد موحمد أحمد بن الفاظل بن محمد بن أحمد بن الطالب المصطفى، وابن عمه ابراهيم بن الأمين. وقتل فيه من أولاد امبارك سيدي أحمد بن محمد بوسيف وابن عمه، ويوم "سنفغه" سنة 1234هـ/ 1818م، قتل فيه من أولاد داود احما الل بن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الحاج عبد الله بن بورده. ومات من أولاد امبارك ديسي بن محمد بن الحاج (من فونتي)، ويوم "الحصره" سنة 1235هـ/ 1819م على أولاد داود، قتل منهم فيه سيدي بن محمد بن أعمر، وسيدي إبراهيم بن سيدي محمد بن عيسى وغيرهما، وفي هذه السنة قتل هنون على يد إجمان فخلفه بيده (بيده الثاني) بن هنون. وفي نفس السنة أو التي تليها وقع يوم "سمي" بين أولاد داود وأولاد موحمد.

وفي رئاسة بيده (الثاني) بن هنون وقع يوم "شكرطيل" سنة 1240هـ/ 1824م، وقتل فيه من أولاد داود سيدي المختار بن بونا، ومن أولاد امبارك هنون بن اعلي بن بلمختار (من أولاد بنت الغصاص)، وتوفي بيده سنة 1250هـ/ 1834م.

ثم ترأس أخوه سيدي بن هنون، ودامت رئاسته حتى سنة 1274هـ/ 1858م. وفي سنته الأولى (1250هـ/ 1834م) وقع القتال بين لادم وأولاد علوش في ولاته.

وفي سنة 1257هـ/ 1841م وقع قتال بين أهل بورده وإيزماتن (التوارگ).
وفي سنة 1258هـ/ 1842م دارت وقعة بين أولاد علوش وأهل بورده في بطحاء ولاته، قتل فيها احميده بن أمگس العلوشي.
وفي سنة 1260هـ/ 1844م وقعت مناوشات بين أولاد داود اعروگ وأولاد الناصر وكنته.
وفي سنة 1262هـ/ 1846م التقى غزو من أولاد الناصر بأولاد علوش وأهل بورده ليلا، وتقاتلوا، وتسمى هذه الغزوة غزوة "البدل" لأنهم تبادلوا فيها المطايا.
وفي سنة 1263هـ/ 1847م أغار أولاد علوش على عابدين بن الشيخ سيدي محمد الكنتي ونهبوا متاعه، وقتلوا عشرة من كنته فيهم محمد بن سيدي الأمين وابنه بابا. وتسمى هذه الغزوة غزوة "تخمرت".
وفي السنة التي تليها (1264هـ/ 1848م) غزا عابدين أولاد علوش وقتل منهم نحو الثلاثين.
وفي سنة 1267هـ/ 1851م غزا أولاد داود اعروگ البرابيش، فلما بلغوا "تگانت كينه" بين تنبكتو وأروان أصابهم عطش فقصدوا أروان ليشربوا منه فتلقاهم البرابيش فقتلوا منهم نحو سبعين، منهم الطالب بن ارشق، وسيدي الصغير بن سيدي المختار، وأغلى گومو بن سيدي المختار بن سيدي الصغير ثلاثتهم من أهل بورده.
وفي سنة 1268هـ/ 1852م غزا أولاد علوش كنته في جهة "اشراط" ، ونهبوا مالا عظيما.
وفي سنة 1270هـ/ 1853م أو التي بعدها نهب أولاد داود اعروگ إبل امهمد بن أحمد بن اعبيده رئيس البرابيش، فأدركهم عند تخمرت فهزمهم، ولقي عدد منهم حتفه.
وفي سنة 1272هـ/ 1855م كانت وقعة أولاد داود اعروگ على إيگلاد (التوارگ).
وفي جمادى الأخيرة سنة 1274هـ/ 1858م اغتيل سيدي بن هنون بن بيده في باسكنو على يد أولاد أخيه.

ثم ترأس الشيخ بن بيده بن هنون بن بيـده مـن 1274هـ/ 1858م إلى 1280هـ/ 1863م.

ثم تلاه الشـيخ بـن سـيدي بـن هنـون بـن بيـده، واسـتمرت رئاسـته إلى 1315هـ/ 1897م.

ثم خلفه سيدي بن الشيخ بن سيدي إلى سنة 1331هـ/ 1913م. وفي عهـده دخلـت فرنسا.

وكانـت في أولاد بـوعلي العـرب مـن أولاد علـوش رئاسـة مخصوصـة في بيـت أهـل بوضروس. كما كان لأهل بوردة رئاسة مشهورة ارتكزت على العلم والجـاه تسلسـلت الرئاسة في أربعة عشر رجلا منهم بدءا بالحاج عبد الله بن بورده (تـ1170هـ/ 56-1757م وانتهاء بسيدي المختار بن احمدي بن سيدي المختار بـن أحمـد أرشـق الـذي ترأس في عهد فرنسا سنة 1368هـ/ 1949م[1029].

3- رئاسات أولاد رزگ:

كان أولاد رزگ من أعظم بني حسان سلطانا في آدرار، وأولهـم تملكـا في بـلاد الگبلـة، حكموا على بلاد الترارزة والبراكنة من القرن العاشر حتى صدر القرن الحـادي عشـر الهجـري (16م- 17م)، كمـا كانـت لبعضـهم بـآدرار (خاصـة أولاد عطيـة) مغـارم وجبايات. واشتهروا بالنخوة والأنفة، حتى صارت كلمـة اترزگـي في لغـة بـني حسـان مرادفا للأنفة.

كان أول من ملك الگبلة منهم أولاد رحمون بـن رزگ، ثم تغلـب علـيهم أولاد بـوعلي وأولاد اخليفة وأجلوهم.

فمن رؤساء أولاد بوعلي، واسمه محمد بن رزگ: موسى بن عمران بن اعلي، كـان ابنـه گدول بن موسى مشهورا بالسطوة والعظمـة، فكـان يحمـي حـوض نهـر السـينغال إذا

[1029] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص166- 177.

انحسر عنه ماء السيل فلا يطؤه إنسان ولا حيوان حتى ييبس، وذلك حتى لا تعثر خيله بسبب آثار الوطء، وكان شديدا على أزناگه، وعلى تشمشه حتى إنه كان إذا أتت راويته إلى بئر من آبارهم لايبرك جمله، بل تسقى قربه وجمله واقف، وإذا أصبح البقر باركا من حوله لا يقدر أحد على أن يثيره ولو مالكه، حتى ينهض البقر بنفسه، واتفق أن جاء يوما في رفقة من صحبه إلى تشمشه بأگننت، فباتوا يقتسمونهم، وأجمعوا أن يصبحوهم بالغارة أو بقبول المغرم، فحدث أن قتله عمه منصور وأبناؤه: بوهماد وممو وامهلهل وكاني أبناء منصور في تلك الليلة[1030]، ولم يعقب گدول إلا ابنته عيشه أم أولاد عزوز بن مسعود بن موسى بن تروز المعروفين بأولاد البوعلية[1031].

ومنهم: منصور بن عمران عم گدول، كان له من الولد ممو وكاني، وانقطع عقبهما، وبوهماد وامهلهل، فأما امهلهل فتنحصر بقيته في ابنه سيدي أحمد الذي تاب ودخل في إيدوالحاج القبلة، فاندمج عقبه فيهم، وفي قبيلة إيكمليلن، وهو جد عبد الله ومحمد ابني بو المختار بن سيدي أحمد اللذين كانا من أبطال حرب شربه مع الإمام ناصر الدين.

وأما بوهماد فمنه البطن الشهير بمحم بن أگد ويه وهو بيت الرئاسة في أولاد بوعلي كان الرؤساء منه يضعون التيجان على رؤوسهم، واستمر ذلك إلى مجيء الاستعمار.

ومن هذا البيت: امهينين بن عيسى قتل في وقعة النيش بين المغافرة وأولاد رزگ عام 1039هـ/ 1629م، فخلفه أخوه محمد، وفي عهده أوقع الكتيبات بإخوتهم أولاد بوعلي، فغضب أولاد بوعلي من ذلك غضبا شديدا، حتى ألجأهم الغضب إلى أن مالأوا المغافرة على الكتيبات، فكانت الوقعة المشهورة التي انهار بسببها ملك أولاد رزگ سنة 1040هـ/ 1630م[1032].

[1030] محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص65-66.

[1031] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرجع سبق ذكره، ص11.

[1032] وكان بيت أهل محم بن أگد ويه كبيت ابن عمهم گدول بن موسى بيت عظمة وسطوة، كان منه الرجلان اللذان مرا بامرأة من إيداشفغه تصلي الضحى وحولها صبيها، وكان صبيحا وسيما، فتقاولا أن كلبيهما لم يتغديا، فشقا الصبي نصفين بين كلبيهما. باباه، مرجع سبق ذكره، ص66-67. ويضيف نص شيم الزوايا لليدالي أنه اتفق أن فرغ أحد الكلبين من نصفه قبل الآخر، فأخذ في مناوشة الكلب الثاني على نصيبه، فذب عن الكلب الثاني صاحبه بقتل الكلب

ومن رؤساء أولاد بوعلي في عجز القرن الحادي عشر (17م): اعلي البوعلي الذي أخبر المغافرة بغرة الزوايا في حرب شربيه فأحدقوا بهم.

ومنهم: أهل اعلي وناس المشهورون بالنخوة، منهم: أعمر بن اعلي وناس، كان رئيسا قويا، زاحم اعلى الكوري أمير الترارزة على ضرائب النصارى العرفية ومغارم السودان فقتله الأمير.

ومنهم: حمزة بن اعلي الكوري بن اعلي وناس شايع الجنرال فيدرب في حربه ضد الترارزة (1272هـ/ 1275هـ- 1855/ 1858م) مات 14 دجمبر 1887م (28 ربيع الأول 1305هـ)، فخلفه ابن عمه أحمد بن البو بن اعلي وناس، ثم ابنه البو، ثم ابنه سيدي بن البو، قتله تغرجنت يوم السمسيات، فخلفه ابنه أحمد الذي دخلت عليه فرنسا وتوفي سنة 1373هـ/ 1953م.

وكان أولاد اخليفه بن رزگ الرؤساء بعد أولاد بوعلي، منهم: أوديكه بن بو أيوب الذي نزل عنده قضاة الزوايا في سبعين راكبا لجباية الزكاة، فأرسل إلى المغافرة، واحتال عليهم حتى حبس سيوفهم، فجاء المغافرة فقتلوا القضاة عن آخرهم. وقد توفي 1092هـ/ 1681م.

ومن حفدة أوديكه هذا من رؤساء أولاد اخليفة أحمد بن أعمر، وابنه يحظيه الخليفي الذي قتله اعلي الكوري بسبب منافسته في إتاوات النصارى، ثم ابنه أعمر بن يحظيه، ثم ابنه صنبه بن أعمر، فابنه المختار بن صمبه، فابنه إبراهيم بن المختار الذي أبرم اتفاقية تجارية مع فرنسا سنة 1245هـ/ 1829م. ومن بطون أولاد اخليفة: أهل سيره، وأهل ساسي بلاخ، وأهل مور، وأهل أحمد بن أعمر، وتسلسلت فيه رئاستهم حتى طلوع الاستعمار، وبعض زواياهم اليوم في قبيلة إيدولحاج.

ومن أولاد رزگ أولاد بيجه بن شمه (إيدكشمه) من أولاد سيدي اشواص الذين كانوا من أمراء أولاد رزگ وعظمائهم في المنطقة، وإليهم آلت بئر تندگسمي التي اشتق

الأول، فاقتتل الرجلان فماتا معا. وقال موسى كمرا في المجموع النفيس عازيا لابن احمد يوره: إن الحرب بين أولاد رزگ بدأت سنة 1020هـ

اسمها من اسم آل بيجه بن شمه (إيدكشمه)، وكانت تندگسمي قبلهم لقبيلة انگادس الذين ملكوها بعدما رحل عنها أغرمان. ولم تكن بلاد أولاد سيدي اشواص مقتصرة على تندگسمي، بل كانت لهم مناطق شاسعة تشمل العريه وجزءا من إگيدي (الجنوبي) وجزءا من فاي. وقد أقطع أولاد سيدي اشواص امرابط مكه بن أبييري منطقة واسعة من هذه الأرض تشمل مسيرة يوم للراكب في كل جهة انطلاقا من تنديله (في الجزء الشمالي من إيگيدي الجنوبي)، فأقام امرابط مكه بها حظيرته المشهورة بـ"ازريبت امرابط مكه" التي من دخلها كان آمنا[1033]. ثم مر المغافرة بامرابط مكه إبان نهضتهم إلى أولاد رزگ، فسأله أحمد بن دامان الدعاء والمساعدة، ووعده بتثبيت ما أقطعه أولاد رزگ من الأرض إذا ما انتصروا عليهم، فوقعت معركة انتيتام (1040هـ/ 1630م) وانتصر المغافرة فثبتوا له تلك الأرض.

وإبان الفوضى التي دبت في صفوف أولاد رزگ بعد هزيمتهم في انتيتام آوت بقايا من أولاد سيدي اشواص منهم أولاد بيجه بن شمه (إيدكشمه) إلى "امرابط مكه" فساكنوه وصاهروه[1034].

4- رئاسات المغافرة:

أ- رئاسة أولاد الناصر:

كانت في أولاد الناصر عدة رئاسات، غير أن رئاستهم العامة كانت غالبا في بيت اشبيشب بن عيسى بن بوخروفه بن مسعود بن معتوگ بن عنتر. ومن رؤساء هذا

[1033] تقول الرواية الشفهية إن رئيس أولاد سيدي اشواص اغتصب من امرابط مكه بقرة حلوبا لزوجته، لكنه لما قدم بها وربطها إلى جانب خيمته خيل له أن والد زوجته هو الذي يرضع البقرة بدل عجلها، بينما خيل للزوجة أن والد زوجها هو الذي يرضعها، وكاد أولاد سيدي اشواص أن يقتتلوا بسبب ما أثار هذا الموقف من سخرية الحاضرين وانقسامهم بين شيعة الزوج وشيعة الزوجة، فعند ذلك رجعوا على امرابط مكه بالاعتذار وأقطعوه الأرض المذكورة جبرا لخاطره. يحي بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، معهد الدراسات الإفريقية، 99، ص60-63 و90-92..

[1034] المختار بن حامدن، تساويد خاصة. ومحمد بن أبي مدين، المنيحة، ويحي بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص60-63 و90-92.

البيت الشعري بن اشبيشب. واعلي بن الشعري. وموسى بن اعلي بن الشعري، حارب أولاد بله سنة 1135هـ/ 1722م وأعمر بن موسى بن اعلي بن الشعري، توفي سنة 1152هـ أو 1153هـ/1739م.

ثم ابنه بكار في عهده جدت وقعة "يوم أرطان" سنة 1203هـ/ 88- 1789م لأولاد الناصر على أولاد امبارك وبعض أولاد علوش الذين مات من أشرافهم الديخن بن أعمر بن إبراهيم بن موسى، وابن عمه هنون بن علوش بن احمد بن إبراهيم، والمختار بن أحمد بن عيسى بن إبراهيم بن الجودة وآميگاي بن إبراهيم بن همد بن عيسى. ثم احمد بن بكار.

ثم إبراهيم فال بن احمد بن بكار قتل في وقعة "يوم أير" للأمير محمد بن احمد شين على أهل اسويد وأولاد الناصر سنة 1214هـ/ 1799م.

ثم أخوه أحمد المعروف بولد امبرح توفي في ربيع الثاني سنة 1229هـ/ 1814م.

ثم أخوهما الحبيب اغتاله إيدوعيش سنة 1235هـ/ 19- 1820.

ثم بكار بن أحمد (ولد امبرح) قتله أبكاك سنة 1250هـ/ 1834م.

ثم عثمان بن الحبيب (1250- 1269هـ/ 1834م- 1852م)، وكان من أعظم رؤساء العرب دولة في الصحراء وأرفعهم قدرا، في عهده وقع "يوم آجوير" سنة 1253هـ/ 1837م بين أولاد الناصر وأولاد امبارك[1035].

ثم أخوه أعمر بن الحبيب (1269هـ- 1270هـ/ 1852م- 1853م)، لم تطل مدته إذ قتله فال بن احماده بن أحمد بن امبرح ليلا بمدفع أصابه في شقه الأيمن فمات لحينه.

ثم بابا بن بكار (1270هـ- 1271هـ/ 1853م- 1854م) نازعه إبراهيم بن الحبيب.

ثم أخوه احماده توفي سنة 1278هـ/ 1861م.

[1035] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص132.

ثم اعلي بن موسى بن بكار بن أحمد بن امبرح اغتاله أهل الحبيب في مستهل ربيع الثاني سنة 1280هـ/ 1863م.

ثم أحمد بن عثمان بن الحبيب (1280هـ/ 1305هـ - 1863م/ 1887م) أوقع بمشظوف "يوم فوق" سنة 1300هـ/ 1883م.

ثم بكار بن أحمد بن عثمان 1305هـ - 1315هـ (1887م - 1897م) نازعه عمه سيدي أحمد الحبيب، وأثناء النزاع باغتتهما فرنسا باحتلالها لتلك النواحي سنة 1312هـ (1894م).

ثم أخوه أعمر بن أحمد عثمان، كان مقداما قويا جلدا إلى درجة أنه كان يلقي بالفارس وفرسه، توفي سنة 1342هـ/ 1923م.

وكانت في أولاد الناصر رئاسات فرعية منها رئاسة أولاد إبراهيم بن الشبيشب: وهي في بيت محمد الحرطاني بن إبراهيم، ومن رؤسائهم المختار البازي بن يوسف بن هنون بن محمد الحرطاني، من مشاهير العرب، وأخوه آفشال من أسخيائهم، والعزه بن البازي، كان من فحول العرب وأشدهم حزما وأرفعهم ذكرا وبكار بن العزه.

ومنها رئاسة أولاد حرمة الله بن أحمد بن مسعود بن معتوگ وهي في بيت أهل أوديكه بن اعلي بن عباد بن حرمة الله المعروفين بأولاد خط السماء، من رؤسائهم الفظيل بن أوديكه، وابنه سيدي أحمد بن الفظيل، وابن عوف بن سيدي أحمد، وبودرجه بن ابن عوف، وبوبكر بن عامر بن ادهيمين بن الفظيل بن أوديكه، وابنه سيدي أحمد بن بوبكر.

ومنها رئاسة أولاد اسعيد بن مسعود بن معتوگ وكانت في معتوگ بن اسعيد، وانتقلت إلى أعمر الخروف، ثم إلى ابنه سيدي أحمد، وقد قتلهما أولاد امبارك، فانتقلت إلى غلاب بن سيدي أحمد، ثم إلى الرسول بن سيدي أحمد بن أعمر لخروف، ثم إلى اعلي بيه بن النطاح.

ومنها رئاسة آفاشيل (أولاد كروم بن بواخروفه) وكانت في بيت هنون بن أحمد بن التليلي وابنه بكار، ثم اعلي بونه بن بكار[1036].

ومنها رئاسة أولاد يحي بن معتوگ وكانت في أهل كيسوم بن سليمان، من بطن آغرشان، ومنهم رؤسائهم احمد بن بكار بن كيسوم، وابنه سيدي المختار، والمحجوب بن حبيب الله بن المهدي بن كيسوم - قتل "يوم أير" سنة 1214هـ/ 799 - 1800م، وكان من فرسان العرب وعظماء قومه، ومحمد بن اعمر بن اعلي بن الغويزي بن نكدي بن الشين من آغرشان أيضا، وأعمر طالب بن اعلي بن محمد بن اعبيد الله بن الغويزي، والشيخ بن اعلي بن محمد بن أحمد بن بوجناح بن بوزيد بن الشين، وابنه محمد.

ومنها رئاسة أولاد عبد الكريم بن احمد بن معتوگ وهي في بيت حماده بن اعلي الزناگي بن مالك بن عبد الكريم، ومن رؤسائهم بهدل بن احمد بن حماد قائد أولاد عبد الكريم في وقعة "يوم كساري"، وهو أول من اتخذ منهم طبلا أخذه من "كساري"، واصنيبه فال بن سيدي أحمد بن احمد بن حماده، وابنه المختار، وأبناؤه إبراهيم، وأحمد فال، واعلي، وآبيلاي، ثم احمد، وعمر، وبكار، أبناء إبراهيم بن المختار بن اصنيبه، ثم حماد بن بكار بن إبراهيم بن المختار بن اصنيبه فال، نافسه على الرئاسة اعلي عمو بن آبيلاي بن المختار بن اصنيبه فال، ثم الناني، وأعمرن، وهنون، والمخيطير، والرحموني، وسيدي بنو أحمد بن سيدي أحمد بن هنون وكلهم من أولاد مالك بن عبد الكريم.

ومنها رئاسة الخدائع (أولاد أحمد بن معتوگ) وكانت في حبيب (ابن أو حفيد) تگدي بن أحمد بن معتوگ، ثم في ابنه عمر بن حبيب، فابنه إبراهيم بن عمر، فابنه بوزومه.

ومن رؤسائهم أيضا: بوعسريه بن محمد بن أحمد بن الدخين بن عيسى بن حبيب، وعبد الله بن عليلوات بن أعمر بن اعلي بن بوزومه قتل يوم "مونگل" سنة 1248هـ/ 32 - 1833م[1037].

[1036] المرجع نفسه، ص121.

[1037] المرجع نفسه، ص122.

ب- رئاسات أولاد داود احمد:

واشتهر عقب داود بن احمد بن عثمان بأولاد داود احمد، وكانت فيهم رئاسات منها رئاسة أولاد بوفايدة (العرب) كان من رؤسائهم العناني بن كاله، ثم أحمد بن العناني، ثم أبوهم بن أحمد، ثم احمد بن أبوهم، ثم أحمد بنان بن احمد، توفي سنة 1142هـ/ 1729م، وكانت له أيام مع البرابيش هزم فيها جيشهم سنة 1141هـ/ 1728م عند "تدنيت" وأسر اعلي بن دحمان منهم ففداه ابن اعبيد امو الي بمائة ناقة.

وفي سنة 1142هـ/ 1728م وقع يوم "بطحت ولاته" بين أولاد بوفائدة ومعهم إخوتهم أولاد منصور وبين أولاد طلحة، وفيه أوقع التوارگ بأولاد بوفائدة عند "رأس الماء"، ومات من أولاد بوفائدة: هنون بن اكدويه.

ثم ترأس الخاطر بن أحمد بنان (1142هـ- 1153هـ/ 1729م- 1740م). ثم عبد الله زيدان بن بكار بن احمد بن أبوهم (1152هـ- 1156هـ/ 1739م- 1743م).

وبعد هذا العهد تسكت المصادر عن رئاسة أولاد بوفائدة (العرب) وأيام حربهم لكننا نجدهم مع أولاد بله بن احمد بن داود وأولاد طلحة بن داود قد حاربوا إجمان في قتالهم مع أولاد علوش في وقائع "بطحت ولاته" سنة 1210هـ/ 1795م، و"تنوكر" و"بقي" سنة 1231هـ/ 1816م.

ومنها رئاسة أولاد بوفائدة (المهاجرين) من رؤسائهم: الطالب اعلي بن لعگيد. ثم ابنه بكار صاحب الحرب في تيشيت ضد سيدي محمد بن الحاج لحسن بن آغبدي الزيدي، غلبت في هذه الحرب طائفة سيدي محمد بعد أن قتلوا بكارا سنة 1154هـ/ 1741م. ثم جدو بن بكار الذي طرد أهل الحاج لحسن من تيشيت.

وقد استمرت رئاسة المهاجرين في عائلة أولاد بوفائدة بتيشيت حتى أخرجهم منها أهل أعمر بن اعبيد (من أولاد بله بن امحمد بن داود) فهاجروا إلى "ولاته"، وكان منهم علماء مشهورون[1038].

ومنها رئاسة أولاد نخله (أولاد سليمان بن داود) : كانت في أولاد الراحل الذين منهم أهل أحمد بركه بن الراحل، فكانوا بينهم كالملوك ثم هاجر أكثر أولاد نخله إلى أهل الحاج الأمين من الأغلال ولم يبق أحد منهم في العرب.

ومنها رئاسة أولاد طلحة بن داود من رؤسائهم الصديق بن طلحة. ثم عبدي بن الصديق. ثم المخينز بن عبدي. ثم إبراهيم بن المخينز، قتله أولاد الناصر سنة 1164هـ/ 1751م، وقيل سنة 1167هـ/ 53 - 1754م، اشتهر بالعدالة والورع. ثم بنيوگ بن إبراهيم. ثم أعمر بن بنيوگ. ثم المامي بن أعمر، تنازل عن الرئاسة لما تفكر في قوله تعالى {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}.

ثم أحمد بنان بن بنيوگ، قتل في وقعة "يوم حمدون" سنة 1309هـ/91 - 1892م.

ثم إبراهيم الشيخ بن أحمد بنان، كان يقيم الحدود، وعليه دخلت فرنسا الصحراء فهاجر إلى "التل" ومات هناك. ثم أخوه سيدي الأمين، ثم أعمر بن إبراهيم الشيخ، فابنه إبراهيم الشيخ، فأخوه بنيوگ بن أعمر، فابنه أواه.

ومنها رئاسة أولاد بله بن امحمد بن داود (العرب) كانت رئاستهم العامة في أولاد علول (من الدحاحنه)، فمن رؤسائهم اعلي بن علول، فابنه إبراهيم، فامهلهل بن إبراهيم، فداود بن امهلهل، فالمختار بن داود، فأعمر بن المختار، فمحمد بن أعمر، فابنه أعمر بن محمد الذي تنسك وصحب الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي، وبذلك شغرت الرئاسة العامة في "أولاد علول"، ثم رجعت إليهم بعد حين، فكان من رؤسائهم إبراهيم بن زيدان بن إبراهيم بن أحمد بن اعلي بن علول. فابنه محمد،

[1038] صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص 47.

هاجر بقومه سنة 1317هـ/ 1899م إلى الحوض الشرقي، وفي رئاسته دخلت فرنسا الصحراء. فابنه إبراهيم. فأحمد بن عبد الله بن علال بن أحمد بن اعلي بن علول.

ثم ترأس بعد هؤلاء من أولاد إبراهيم بن اعلي بن علول السالك بن محمد فال بن المختار بن سيدي محمد بن أعمر بن محمد بن أعمر بن المختار بن داود بن امهلهل بن إبراهيم.

وكانت هناك رئاسات في شتى بطون أولاد بلة[1039].

فمن رؤساء العناترة اخليفه بن هنون بن الكنتاوي، وأولاده وهم: محمد وأحمد واسويدات الذين كانوا شيوخ أولاد بله أيضا في آخر أمرهم.

ومن رؤساء أولاد سالم بن دحان: بكار بن اعلي بن محمد بن احميده بن سالم، قتل في "وقعة إيسيل" بين بطون أولاد داود بن امحمد سنة 1165هـ (1752م).

ومن رؤساء أولاد بله (المهاجرين) اعلي بن أعمر بن اعبيد، جاء بأولاد بله إلى تيشيت في الثاني من صفر سنة 1204هـ (1789م). وأحمد تياه بن اعلي بن أعمر، كان هو وأبوه تحت حكم أهل لعگيد من مهاجري أولاد بوفائدة. ودخل جزء من أبنائه في الاغلال.

ثم أخوه إبراهيم بن اعلي، فاقت سلطته سلطة أبيه، توفي سنة 1248هـ أو 1249هـ، (1832م أو 1833م) فتنازع الرئاسة بعده ابناه محمد وإبراهيم وآل الأمر إلى أن قتل محمد ابنا لعبد الله بن المختار بن عبد الله رئيس أهل إبراهيم بن الحاج، فكانت الوقعة بين أهل أعمر بن اعبيد ومعهم "ماسنه" وبين "الحجاج" و"الدحاحنه" يوم الجمعة تاسع رمضان 1266هـ (19 يوليو 1850م)، قتل فيها من أهل أعمر بن اعبيد: اعلي بن تياه وعمه السالك، وابنان لسيدي بن أعمر بن لوداعه وغيرهم، ثم كانت "وقعة أهتك" في ذي الحجة من نفس السنة، وبإثرها انسحب "الحجاج" و "الدحاحنة" من تيشيت وبنوا قريتهم "آغريجيت"[1040].

[1039] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص122.

[1040] المرجع نفسه، ص132.

ومن رؤساء الحجاج ثم أهل إبراهيم بن الحاج عبد الله بن المختار بن عبد الله بن إبراهيم، كان أكثر أهل البلاد مالا ومعروفا، حج وبعد أن قفل راجعا وقعت الحرب المذكورة آنفا مع أهل أعمر بن لعبيد، توفي سنة 1268هـ (1851م). ثم ابنه سيدي بن عبد الله.

ومن رؤساء أهل محمد بن الحاج محمد المختار بن أعمر بن إيله بن محمد بن الحاج، كان رأس أهل "آغريجيت" عقلا ونبلا. ثم ابن عمه عبد الله بن الحاج اعلي بن إيله. ثم اعلي بن سيدي الأكحل، وفي رئاسته دخلت فرنسا الصحراء[1041].

ج- رئاسات أولاد امبارك:

كانت في فرع أولاد الغويزي من أولاد امبارك، فضلا عن إمارة أهل بوسيف بن أوديكه رئاستان هما: رئاسة أهل سيدي أحمد بن أوديكه بن النبيگه بن الغويزي، ورئاسة أهل سيدي اعلي بن أوديكه بن النبيگه بن الغويزي.

فمن رؤساء أهل سيدي أحمد بن أوديكه: سيدي أحمد بن إبراهيم بن سيدي أحمد بن أوديكه. قتله عثمان الباشا بن هنون بن بهدل، وذلك هو سبب الحرب بين أولاد امبارك التي قتل فيها بوبكر بن هنون الكوري (الغويزي) في حصار "جگم". وابنه اعلي بن سيدي أحمد من مشاهير رؤساء المغافرة، وكان له أبناء تولوا رئاسة قومهم، هم: أحمد المشهور بالمراد، وابيبيه، والسيد، وودكه، وحماد، واحمد، وهنون.

ومن رؤسائهم إبراهيم فال بن اعلي فال بن السيد بن اعلي، قتله أهل سيدي محمود يوم الخميس آخر ذي الحجة سنة 1268هـ (14 اكتوبر 1852م) في وقعة "گبو" في حربهم ضد أولاد الناصر وبعض أولاد الغويزي، والعلوشي بن هنون بن اعلي.

وأما أهل سيدي اعلي بن أوديكه فمن رؤسائهم: سيدي اعلي بن أوديكه. وابنه أحيمَده بن سيدي اعلي، وابنه بكار بن أحيمَده، وابنه بهدل بن بكار، وأخوه أحمد بن

[1041] المرجع نفسه، ص166.

بكار. قتله اعبيد بن خيار الناصري العياسي سنة 1177هـ، 1763م في وقعة يوم "انبش"، وأخوهما الجوده بن بكار، وأعمر بن أحمد بن بكار، ومحمد خي بن أعمر بن أحمد بن بكار، قتله ايدوعيش، والجيد بن الجوده، قتله أهل اعلي بن احمد بن خونا في وقعة "تيط" سنة 1222هـ، 1807م، وأخوه سيدي أحمد بن الجودة، وأعمر بونا بن سيدي أحمد بن بكار، وأعمر بونا بن سيدي أحمد بن بهدل بن بكار، وأحمد بن سيدي بن بكار، قائد أولاد الغويزي في وقعة "غابو" الأخيرة، وعابدين بن (أو حفيد) الجودة بن بكار، واحمَيدو بن الشنظوره، وأحمد بن عابدين، وفي عهده دخلت فرنسا.

وكانت في فرع أولاد أعمر من أولاد امبارك فضلا عن إماراتهم الثلاث (إمارة أهل هنون العبيدي، وسلطنة أهل بهدل، وإمارة فاتـه) رئاسات فرعية في أولاد العاليه، وفونتي، وأولاد أم النون، والعبيدات.

فممن تقلد رئاسة أولاد العاليه بعد انحراف الإمارة عنهم إلى إخوتهم أولاد عيشه: سيدي أحمد بن بوسيف بن هنون العبيدي، وابنه احمد بن سيدي أحمد، وإخوته أعمر بي، والمختار، وبوسيف، وكان أعظمهم رئاسة، وهنون طاعو، والمختار بن احمد بن سيدي أحمد، تاب وهاجر إلى الزوايا، واسويد أحمد بن المختار بن هنون طاعو، قتله أولاد عيشه يوم "مد الل"، وبموته تلاشى أمر أولاد العاليه.

ومن رؤساء فونتي: اعلي بن احمد بن الحاج محمد (من أهل حمو البيض)، قتله احميدَه بن أمگس العلوشي يوم "جيگي" سنة 1234هـ/ 1819م، ثم أخوه ديسي، قتله أهل هنون العبيدي وفاته يوم "سمي"، ثم أخوهما عثمان الكوري، ثم دحان بن سيدي إبراهيم بن أحمد بن الحاج محمد قتيل أهل هنون في وقعة يوم "غابو الأول" كان رأس قومه وفارسهم، ثم عثمان الگطايه بن أعمر بن حمو، ثم اعلي بابي بن أحمد بن حمو قتيل أهل هنون العبيدي في يوم "مد الل"، وهو من أهل حمو الكحل.

ومن رؤساء أولاد أم النون عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن احمد بن اللب بن سدوم بن احمد الزناگي، ثم بوشنوفه بن محمد بن إيغينس بن احمد بن اللب قتله مشظوف،

فأخوه ميمين قتله أهل بهدل، فلبات بن بوشنوفه قتله أولاد الناصر في يوم "آجوير" سنة 1253هـ/ 1837م، فاعلي بن ميمين[1042].

ومن رؤساء العبيدات وكانت رئاستهم في بيت علول بن الابرص أحمد درماز بن بكار، قتله فاته، فكان هذا سبب وقعة "إيولان" على فاته سنة 1215هـ/ 1800م، التي قتل فيها سيدي أحمد بن أحمد بن دخنان، وابنه، وسيدي أحمد بن امعيمرات بن بوسيف بن دخنان من أولاد بنت الغصاص. ثم بولعراف بن الحاج محمد بن مو بن امحمد الزناگي، فهنون بن أحمد الملقب هنون جام[1043].

د- رئاسات البراكنة والترارزة وأولاد يحي بن عثمان:

من رئاسات البراكنة المشهورة رئاسة أولاد اعلي بن عبد الله، تعاقب على الإمارة فيها كل من بكار الغول بن اعلي بن عبد الل المتوفى 1092هـ 1681م، وأخوه امحيمد بن اعلي بن عبد الل، فابنه اعلي بن امحيمد توفي سنة 1139هـ/ 1726م، فابنه هيبه بن اعلي نازعه بكار ونغماش ابنا أعمر غرظو بن امحيمد فقتلاه في يوم گيمي بإعانة أخوالهما اليتامى ، فاسويد بن هيبه، فاعلي بن هيبه بن اعلي بن امحيمد الذي قاتل اليتامى وأولاد أعمر غرظو وانتصر عليهم في أيام "جگجل" و"الگليته" و"فرع الطلحايه" و"علب الكصره" بمعاونة أبناء الناصري وجميع أولاد اعلي، فكان ذلك سببا في انقراض سطوة أهل أعمر غرظو وأخواله اليتامى. وبعد اعلي بن هيبه ترأس ابنه إبراهيم بن اعلي وقتله إيدوعيش بمساعدة امحيمد بن المختار بن الناصري، فقتل به ابنه وخليفته سيدي هيبه امبارك فال بن الناصري، فكان ذلك سببا للحرب بين أهل الناصري وأهل هيبه، وانقسام أولاد اعلي إلى بيض هم طائفة أهل الناصري، وكحل

[1042] المرجع نفسه، ص135.
[1043] المرجع نفسه، ص140.

هم طائفة أهل هيبه المعروفين بالمحيصر. وخلف سيدي هيبه ابنه امحيمد الذي خلفه ابنه سيدي أحمد، دخلت فرنسا البلاد في عهده فهاجر إلى "التل"[1044].

وكانت لقبائل الترارزة الحسانية (أولاد دامان والعلب وأولاد بنيوگ وغيرها) رئاسات داخلية خاصة بها، كما كانت في بطون أولاد دامان رئاسات فرعية فرئاسة أهل عبله بن دامان كانت في بيت محمود بن عبله. ورئاسة أهل آگمتار بن دامان في بيت توجه بن امحمد بن دله بن آگمتار. ورئاسة أولاد عتام بن دامان في بيت أحمد بن عتام. ورئاسة أولاد ساسي بن دامان في بيت سيره بن الكوري بن ساسي. ورئاسة أولاد زنون بن دامان في بيت هيبه بن أحمد بن إبراهيم بن امحمد بن زنون.

وكان في كل من أولاد آگشار، وأولاد غيلان وغيرهم من أولاد يحيى بن عثمان رئاسات داخلية خاصة بهم.

[1044] المرجع نفسه، ص122.

دولة الحاج عمر الفوتي
ودورها في التاريخ السياسي والاجتماعي للمنطقة

1- نشأة الحاج عمر الفوتي وبداية أمره:

ولد عمر بن سعيد الفوتي المشهور بالحاج عمر تال سنة 1210هـ (1796م)[1045] في قرية هلوار التابعة لمدينة بودور السينغالية لأسرة دينية محافظة من قبيلة تالبه، التي قال الشيخ موسى كمرا بأن أصلها من البيضان، مضيفا بأن ذلك «يحتمل من جهة كونهم أصلا من فلان هندربه[1046]» التي هي في الأصل إحدى القبائل التي كانت تشكل جزءا من إمارة بيلگه الشنقيطية. ويسرد الشيخ موسى كمرا روايات تفيد بأن آباء الحاج عمر الفوتي هاجروا من بلاد شنقيط إلى السينغال في عهد جدهم آلجوما (آليجانا) سيلمان[1047].

وكان سعيد الفوتي والد عمر تال أحد تلامذة محظرة أهل همر (عمر) فال بابيري (قرب تيواون) وممن اشتهر بالفتوى في هلوار. وحفظ عمر تال القرآن مبكرا، ثم انتقل إلى قرية دربس فتعلم بها على يد زوج أخته العالم الشيخ بسمور[1048] الأمير بن عبد

[1045] هكذا نقل الشيخ موسى كمرا في "أشهر العلوم وأطيب الخبر في سيرة الشيخ الحاج عمر" (منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2001)، وقال أحمد بن بدي العلوي في "الدرع والمغفر" إنه ولد عام 1213هـ (1799م) وقال سيدي عبد الله بن محمد الصغير التيشيتي في تاريخه إنه ولد 1212هـ (1798م).

[1046] الشيخ موسى كمرا، أشهر العلوم وأطيب الخبر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص148. وقد ناقش الشيخ موسى كمرا في هذا الكتاب (ص133 وما بعدها) مسألة انتساب الحاج عمر إلى الأصل القرشي الذي نقله أحمد بن بدي العلوي في كتابه "الدرع والمغفر"، مشككا في ذلك. ونقل الشيخ موسى كمرا أن ألفا ممدو بوكر الذي في ووسوبي جانجا زعم أن عنده تاريخ هندربه، وأن أصلهم من الشام، ثم سكنوا في قصر البركه [ببلاد شنقيط] مدة، وكانوا مع تاگه [إمارة بيلگة]، ثم فارقوهم لفتنة بينهم، ثم ارتحلوا إلى نواحي منگل، ومنها ارتحلوا إلى فوته عبر مناطق من أرض مالي. أشهى العلوم، ص149. ولعله من هنا جاء أصل الرواية التي اعتمد عليها صاحب الدرع والمغفر في قرشية الحاج عمر.

[1047] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص134.

[1048] بسمور لقب لكل من تولى إمارة الضياع التي تحرث.

الله تلميذ الشيخ تفسيرو حماد الذي أخذ العلم عن قبيلة أولاد ديمان بـبلاد شـنقيط[1049] فدرس عليه اللغة والنحو والفقه، ثم ارتحل يطلب العلم فدرس ما أمكنـه مـن العلـوم الشرعية، وكانت له رحلة في طلب العلم إلى بلاد شنقيط[1050].

وفي ناحية بودور التقى عمر بن سعيد بأحد علماء فوتا چالون يدعى عبـد الكـريم بـن أحمد الناقل، كان عائدا إلى بلاده من بلاد شنقيط، حيث كان مع شيخه الصـوفي السـيد مولود فال اليعقوبي التجاني(تـ1267هـ/ 1851م)، فتتلمـذ عليـه ورافقـه إلى فوتـا چالون ومكث معه سنة وبضعة أشـهر، ثم خـرج حاجـا وبلغـه وهـو في أرض مـالي أن سيدي محمدا الغالي المغربي التجاني بمكة المكرمة فلحق به ومكث معه ثلاث سنوات.

وقفل الحاج عمر عائدا سنة 1245هـ (1829م)، فمر بمصر وعرج على الشـام، ومـر بليبيا وسكن نيجيريا حيث شارك الحاج عمر الإمام محمد بلو في تدبير سياسـة الجهـاد والغزو[1051].

ولما توفي الإمام محمد بلو سنة 1253هـ/ 1837م ارتحل الحاج عمـر عائـدا إلى بـلاده فحل بمدينة حمد الله عاصمة ماسنه ونزل ضـيفا علـى أميرهـا الشـيخ أحمـد بـن حمـدي

[1049] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت، 2005، ص39.

[1050] جزم برحلة الحاج عمر الشنقيطية جميل أبو النصر، ومادينا لي تال. انظر، أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، الندوة العالمية المنعقدة بتنبكتو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 1997، ص33. وقالت مادينا لي تال إن عمر بن سعيد أقام ببلاد شنقيط للدراسة والتحصيل مرتين على الأقل، وعاد من الرحلة الأولى متمكنا من الشريعة وعلم الكلام، أما رحلته الثانية فهي التي التقى خلالها لأول مرة شيخه في الطريقة التجانية عبد الكريم الناقل في بلدة انگاولى قرب بودور على الضفة الشنقيطية، وتضيف الباحثة مادينا لي تال أن عمر بن سعيد مكث مدة إلى جانب شيوخ تگانت (بتجگجة) حيث نشأت في ذلك العهد زاوية تجانية فتية. راجع، أحمد الأزمي، الحاج عمر الفوتي والمغرب، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، ندوة دولية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 2001، ص187 - 188.

[1051] تعرف الحاج عمر خلال رحلته التي دامت عدة سنوات على كثير من العلماء والأمراء، ووصل بعد فترة قضاها بليبيا إلى برنو بنيجيريا، ثم انتقل منها بعد خلاف وقع بينه وبين أميرها إلى سوكوتو فنزل على الإمام محمد بلو بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن فودي سنة 1246هـ (1830م) فأكرمه وأجله وزوجه ابنته حفصة، وتوفيت في هوصا دون أن تنجب. وولد للحاج عمر في سوكوتو ابنه وخليفته أحمد الكبير وأخته فاطمة أمهما عائشة بنت محمد نعم قاضي عثمان بن فودي.

(محمد) لبو، ومنها انتقل إلى فوتا چالون عن طريق سيگو فاستوطن چيگونكو بفوتا چالون، وأصبح له هناك أتباع ومريدون، فقد كان الشعور الديني الذي اجتاحها بعد استقرار بعض فلول دولة الإمام ناصر الدين فيها ما يزال متوقدا، في حين تعاني السلطة الإمامية فيها من الخلاف المستشري بين حزبي السوريا وألفايا الماميين.

وبعد عدة سنوات عظم فيها صيت الحاج عمر عاد إلى مسقط رأسه هلوار ليتفقد ذويه[1052].

وخلال هذه الرحلة التقى الحاج عمر بشيخه الشنقيطي السيد مولود فال اليعقوبي الذي شهد له بأنه أصبح من أكابر الطريق وشيوخها. ووصل الشيخ الحاج عمر إلى مسقط رأسه سنة 1262هـ/ 1846م.

وبعدما مكث ستة أشهر بفوتا تورو قفل الشيخ الحاج عمر تال راجعا إلى فوتا چالون، ورحل معه بعدما بايعه عدد من رؤساء فوتا تورو خلق من مريديه ومحبيه وقاصدي إحياء الإسلام والجهاد معه. وآخى الحاج عمر بين القادمين معه من فوتا تورو ومريديه من أهل فوتا چالون، وسمى أولئك بالمهاجرين وهؤلاء بالأنصار[1053].

وضاق إمام فوتا چالون المامي عمر ذرعا بالشيخ الحاج عمر، فرحل عنه إلى أرض تدعى دينگراي تابعة للملك يمبا ساغو ملك مملكة تمبا الوثنية، وأذن يمبا للحاج عمر في الإقامة بذلك الموضع شريطة أن يؤدي له صاعا من الذهب كل سنة، وكان ذلك عام 1265هـ/ 1849م[1054]. ومن هذا المكان أخذ الحاج عمر يوطد مذهبه، وينشر طريقته الصوفية، ويعلم العلم، ويجمع السلاح.

[1052] بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1980، ص21. ومر الحاج عمر الذي ترك أسرته حيث كان يقيم بچيگونكو في طريق عودته بإمام فوته الغربية أليمان بوبكر، وكان عالما نبيلا فتحادثا في أمر الجهاد، والتقى عددا من علماء الوالو وفوته وحاورهم. انظر، الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص177.

[1053] المرجع نفسه، ص27.

[1054] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص191.

واستمر على ذلك ثلاث سنوات، فقد كان الحاج عمر الذي اشتهر بمعارضته للوجود الأوروبي في بلاده يجمع الأتباع لطريقته التجانية من جهة والأنصار للجهاد ضد الكفار المجاورين له من جهة أخرى[1055].

وعلم الملك يمبا ساغو بأن الحاج عمر يجمع العدة ويصنع الأسلحة فغضب، وأرسل إليه الرسل ليسلم لهم ما لديه من السلاح، فامتنع الحاج عمر وقرر التهيؤ لحرب يمبا مع قلة فئته وقوة عدوه، وقام ببناء حصن حول قريته دينگراي.

وجهز الملك يمبا ساغو جيشه وغزا الحاج عمر في دينگراي لكنه انهزم أمام أصحاب الحاج عمر المفعمين بحماس الجهاد ضد الكفار. وبعد هذه المعركة نظم الحاج عمر أنصاره وغزا مملكة تمبا ففتحها وأذعن له ملكها يمبا معلنا دخوله في الإسلام.

وعاد الحاج عمر بعد هذا الانتصار إلى موطنه دينگراي، وترك في يمبا من يعلم أهلها شرائع الدين الإسلامي، لكن الملك يمبا ساغو أضمر الخيانة فكتب إلى صهره وجاره الملك بونچوگو بأنه سيرحل إليه بأمواله وحشمه ليتعاونا على حرب الحاج عمر، وفي نيته أن يغدر بالملك بونچوگو ويحتل مملكته ثم يحارب الحاج عمر بعد ذلك. وعلم سينبارا بن الملك بونچوگو، وكان في تمبا مع خاله يمبا ساغو، بما يضمره خاله لأبيه فأرسل إليه بالخبر، فلما وصل يمبا ساغو إلى بونچوگو قتله واصطفى أمواله وذراريه.

وعلم الحاج عمر بالأمر فأرسل إلى بونچوگو يريد أموال يمبا ساغو لكونه ما تركها له إلا ظنا منه أن إسلامه كان صحيحا، فأبى بونچوگو وهدد الحاج عمر، فاندلعت الحرب بين الطرفين، وأرسل الحاج عمر إلى فوتا تورو يطلب المدد للجهاد ضد هذه المملكة

[1055] كان الحاج عمر يرى أن النصارى قد وصلوا إلى عقر تورو، بعدما بسطوا نفوذهم على كل بلاد الوالو، وأنهم قد اشتروا الضمائر وملكوا السلاح، وأنه إذا عادت هيبة الإسلام إلى فوتا چالون، وانتشر منها إلى سيگو وانيور وكارته التي ما يزال الكفر منتشرا فيها مع أنها تتوسط بلاد المسلمين، فإن أمر النصارى سيكون هينا. وربما كان الحاج عمر يطمح إلى ربط هذه البلاد بشمال نيجيريا شرقا حيث إمارة صهره الإمام محمد بلو بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن فودي في سوكوتو، فتصبح للإسلام بذلك امبراطورية قوية قادرة على مجابهة النصارى. انظر، بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، مرجع سبق ذكره، ص21.

الكافرة، وانتهت الحرب بانتصار المسلمين، بينما كان المدد الفوتي في طريقه إلى الحاج عمر.

ووصل المدد وانتهت الحرب، واطمأنت الأرض بالحاج عمر وأنصاره، فشرع في تأسيس دولته وتثبيت أركانها في أرض الإسلام الجديدة. وكان ذلك سنة 1269هـ/ 1852م.

وطمع الحاج عمر في فتح بلاد انگالام والقضاء على سيري مانا، وفتح مملكتي سيگو وكارته، ومحو الوثنية من هذه الممالك، فجعل يرسل إلى محطة باكل لشراء السلاح، وإلى فوتا تورو لحث الناس على الالتحاق به للجهاد، وواصل فتح المناطق المحيطة به.

وهرب بعض أعداء الحاج عمر إلى گيدي ماغه وأخذ يؤلب أهلها ضده، فأرسل الحاج عمر إلى قائده مودي محمد اتشام بأن يحاربهم، فخاف بعض أعيان گيدي ماغه ممن كانوا قد انخرطوا في سلك الحاج عمر الفوتي على أهليهم وذراريهم هناك فهرعوا إلى الحاج عمر وتوسلوا إليه بأن يتركهم لهم ففعل[1056]، وسير جيشا كبيرا إلى سلي «فهدمها وقتل رجالها وسبى نساءها، وجعل الأغلال في أعناقهم والقيود في أرجلهم، ثم وفد عليه وفد من گدياگه ووفد من گيدي ماغه مستسلمين[1057]».

2- اتصال الزوايا البيضان بالحاج عمر الفوتي:

وخلال هذه الفترة انتشر خبر الحاج عمر تال في كل أرجاء شنقيط، فاتصل به عدد من أعلام وعلماء الزوايا مدحه بعضهم، وتتلمذ عليه بعضهم، ومنهم من تولى له القضاء، أو انضم إلى جيشه، أو نافح عن مواقفه[1058]. وكان الحاج عمر كما قال بوبكر باري

[1056] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص42.

[1057] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص232.

[1058] فمن أبرز من مدحه الشيخ محمد المامي، واعتبره أهلا للإمامة في حائيته التي يرد فيها على قصيدة للحاج عمر، ومن أبرز من انخرط في سلكه ابن انبوجه التيشيتي، وأحمد بن محم العلوي، ومن أبرز من نافح عنه أحمد بن بدي العلوي صاحب كتاب "الدرع والمغفر في الرد عن الحاج عمر".

«أجل من تابع حمل مشعل الحركة الإصلاحية التي لم تفتأ منذ ناصر الدين[1059]».
وشعر الفرنسيون بخطر الحاج عمر عليهم فحرموا بيع الأسلحة لأنصاره في جميع محطاتهم التجارية.
وتأكد ملك كارته المتمركز بانيور مامادو كانچا من أن جيوش الحاج عمر الفوتي ستتجه إليه بعدما تم لها فتح المناطق الغربية القريبة منه، فبادر إلى تجهيز جيش ضخم من بمباره أمر عليه قائده المغوار ينفللي سيما فالتقى بجيوش الحاج عمر غير بعيد من خاي، ودارت الدائرة بعد معارك عنيفة على الجيش البمباري. وقام الحاج عمر بتطهير منطقة كولوم التي جرت فيها المعركة، وبنى في كانيا كاري قلعة حربية.
وفي يوم الخميس 27 جمادى الأولى 1271هـ (15 فبراير 1855م) هاجم الحاج عمر مدينة يليمان إحدى أهم مدن كارته ففتحها وقتل ملكها مانا موري با، وقتل كل عائلة دمبله فيها، ثم لم يزل يقاتل قبائل كارته ويبيدهم حتى استسلم له ممدو كانچا ودخل الحاج عمر مدينة انيور ظافرا، وحطم أصنامها وفرض الإسلام على أهلها.
وكتب الحاج عمر إلى ماسنه وفوته وزوايا البياضين يبشرهم بما أحرزه من النصر والتمكين، فالتحق به عدد من أعلام زوايا البيضان من مختلف الأصقاع، فقربهم الحاج عمر وجعلهم من وجوه دولته، «وكان لأبناء تيشيت [منهم] مكانة كبيرة في العلاقات التجارية للدولة العمرية بعدما التحق بعض تجارهم بالحاج عمر في انيور خلال حملة كارته.. وأسسوا [هناك] حيا يدعى تيشيت، أنشأوا فيه المحاظر، ونظموا منه رحلات القوافل[1060]». وكانت مؤن تيشيت في ذلك العهد تأتيها من سيگو وكارته[1061]، وكذلك ولاته التي كاتبه أهلها واتصلوا به[1062].

[1059] أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، مرجع سبق ذكره، ص36.

[1060] أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي والمدرسة التجانية في تشيت نقلا عن روبنسون، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، مرجع سبق ذكره، ص97.

[1061] وفي ذلك يقول سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه قصيدة مطلعها:

سبحان ربك رزاق المساكين من أهل تيشيت في أرض السوادين

3- اصطدام الحاج عمر بأولاد امبارك وماسنه في باغنه:

ولما فتح الحاج عمر تال بلاد كارته اتصل به صمبني بن أبي بكر سيسى أمير فلان وورولبه بباغنه فبايعه. وكان صمبني على خلاف مع جيرانه البمباريين الوثنيين، ويعاني من سطوة رؤساء باغنه من أولاد امبارك الذين كانوا يغرمونه، ونفوذ حلفائهم من أمراء ماسنه، فطلب من الحاج عمر الفوتي جيشا «ليجاهد به كفار أرضه[1063]»، فأمده الحاج عمر بجيش يقوده ألفا عمر بن تشيرنو بيلا، فشب نار الحرب في تلك المنطقة. وبينما كانوا كذلك علم ألفا عمر بن تشيرنو بيلا بأن جيشا ماسنيا يقوده عبد الله بن أبي بكر هم صالح قد عسكر بالمنطقة فأرسل إليه بالهديا وطلب منه المسالمة، فقد كان الحاج عمر وجيشه يدركون بأن إمارة ماسنه قد تدخل الحرب إلى جانب أهل باغنه.

وإمارة ماسنه إمارة إسلامية فلانية قامت في بقعة خصبة تمتد من عقفة نهر النيجر شرقا إلى مشارف سيگو غربا، ومن مدينة جني جنوبا إلى مدينة تنبكتو شمالا. وكان أهلها قبل قيام إمارتهم الإسلامية مجرد تجمعات قبلية صنهاجية وفلانية خضعت لنفوذ كل من غانه ومالي والسونگاي، ثم هاجر إليها بعدما أصبحت معقلا من معاقل الفلان المهمة قوم من أحفاد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحيى الگلگمي الشنقيطي[1064] يعرفون بأهل بكار بن إبراهيم بن بكار، نزحوا من تيجريت ببلاد شنقيط باتجاه الضفة، وسكنوا بلحسي قبل أن ينتقلوا من بلاد شنقيط إلى بودي في السينغال، ومن بودي هاجر قسم منهم إلى ماسنه، وكانوا إبان هجرتهم إليها عصبة مع قبيلة وطابه الفلانية، ثم تحول بعضهم إلى قبيلة أورولبه الفلانية، وهم يدعون في الفلان

كم دون أرزاقهم من مهمه قذف ودونها من أبي سيـــــــف وهنون.

[1062] رسالة مخطوطة باسم أهل ولاته موقعة من قبل المحجوب بن الإمام ودبو بن العناية وأحمد بن بركة الله.

[1063] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص267.

[1064] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم هو الذي حفر بئر تن إبراهيم بتيجريت حوالي 536هـ 1142م.

ببكارنابه (نسبة إلى جدهم بكار)[1065]. وقد اشتهر منهم عثمان بن إبراهيم الذي أنشأ بماسنه محظرة معروفة توارثها أبناؤه بعده، وظهر من أحفاده رجل اسمه أحمد بن حمدي (محمد) لبو بن بوبو بن إبراهيم بن عثمان، فتعلم العلم وتصوف على الطريقة القادرية، وانضم إلى حركة عثمان بن فودي الإسلامية بنيجيريا، ثم رجع بعدما استتب أمر عثمان بن فودي إلى مسقط رأسه بماسنه، فقاد حركة إصلاحية دينية سنة 1231هـ/1816م تمكن على إثرها من تأسيس إمارة إسلامية قوية، بعدما جمع حوله جيشا دينيا قويا تغذيه العصبية الفلانية، فأسقط به في البداية سلطنة فلانية كانت تعرف بمملكة آردو، ثم امتدت فتوحاته فانتزع أجزاء من مملكة سيگو البمبارية التي كانت تسيطر آنذاك على مدينة جني. وخلت بسبب حروبه بلاد فيته الفلانية التي كانت تمتد إلى مدينة باسكنو الشنقيطية، فكان ذلك سببا في استقرار أبناء شيخ الناس وسيدي أحمد وسيدي بوبكر بني الحاج سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي النازح من تيشيت إلى ولاته بسبب الحرب التي وقعت بينه وبين بكار بن الطالب اعلي بن العگيد البوفايدي في باسكنو التي اتخذوا منها وطنا لهم[1066]، ثم أصبحت مركزا لجميع أولاد داود.

[1065] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص140. والشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس، مصدر سبق ذكره، ص92.

[1066] في سنة 1154هـ 1741م وقعت في تيشيت وقعة شهيرة عرفت بوقعة سابو سيري بين طلبة أولاد بوفائدة برئاسة بكار بن اعلي بن العگيد البوفايدي ومعهم بنو عمومتهم أولاد بلة وماسنه من جهة وطلبة أولاد زيد (من أولاد داود اعروگ) برئاسة سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي ومعهم بنو عمومتهم طلبة أولاد علوش وإيدوالحاج تيشيت من جهة أخرى، وقد أدت هذا الوقعة التي مات فيها خلق إلى هجرة هؤلاء الأخيرين إلى ولاته. وقد ذكر ذلك صالح بن عبد الوهاب في الحسوة البيسانية مضيفا «أن شيخ الناس (توفي في رمضان سنة 1187هـ) وسيدي أحمد وسيدي بوبكر (أبناء الحاج سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغبدي) وسيدي أحمد وسيدي المختار (ابني شيخ الناس) سكنوا بلاد فيتَه من بلاد السودان فأدركوا فيها رفعة وقدرا جليلا. فلما خلت بلاد فيتَه بفتنة أحمد لبو الفلاني استقلوا بقرية من قرى فيتَه اسمها باسكنو واحترمهم إيفلان وصاروا ملجأ لجميع أولاد داود بالميرة وحفظ من أتاهم منهم من عدوه». انظر، صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سبق ذكره، ص 58.

وبعدما استتبت سلطة الشيخ أحمد بن حمدي لبو أخذ في جهاد البمباريين الوثنيين من حوله، وبسط نفوذه على مناطق مختلفة واسعة، واستولى على جني، ودخل مدينة تنبكتو ظافرا، فضمها إلى إمارته وقضى فيها على سلطان التوارگ وبقية الرماة[1067]، وبنى مدينة حمد الله واتخذها عاصمة لدولته، وطلب من الزعماء والسلاطين المجاورين له أن يبايعوه بوصفه أميرا للمؤمنين وأرسل سفارة إلى الآستانة لربط علاقات مع العثمانيين. وتوفي الشيخ أحمد سنة 1261هـ/1845م، فخلفه ابنه أحمد بن الشيخ أحمد بن حمدي لبو (أحمد الثاني)، ومكث في الحكم 8 سنوات، وتوفي سنة 1269هـ/1853م. ثم خلف أحمد هذا ابنه أحمد (أحمد الثالث) الذي اصطدم بالحاج عمر الفوتي.

وحارب جيش الحاج عمر يوم 16 شوال 1272هـ (19 يونيو 1856م) قبيلة چاورا، ودمر عاصمتهم چاليگا، ثم توجه بعد عدة معارك خاضها في المنطقة إلى عاصمة باغنه باساگا فحاصرها وفتحها في 22 شوال 1272هـ (25 يونيو 1856م).

وعسكر جيش ثان من ماسنه في گيمبا مع فلول من سكان باغنه بينما كان الحاج عمر نازلا بجيشه في سنفاگا، ثم ارتحل الجيش الماسني فنزل بكاساكيري، وجهز الحاج عمر جيشا ضخما أمر عليه ألفا عمر بن تشيرنو، وحدثت أول مواجهة عسكرية بين الطرفين في ذي الحجة 1272هـ (أغسطس 1856م)[1068]، انتصر فيها الجيش الفوتي. وقام الحاج عمر بإطلاق سراح من أسر في هذه المعركة من الماسنيين وتسريحهم إلى بلادهم.

وواصل الحاج عمر جهاده فهاجم إمارة چانگوتا الوثنية بينما كان أميرها سونانكورو خارجها يقاتل بعض جيوش الحاج عمر في أطراف كارته وفتحها.

[1067] بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، مرجع سبق ذكره، ص71.

[1068] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص273.

4- رجوع الحاج عمر إلى فوتا تورو:

ورأى الحاج عمر أنه بات بحاجة إلى زيادة أعداد جيشه، فقرر العودة إلى بلاده الأصلية فوتا تورو لطلب المدد منهم لكونهم أهله وعشيرته، فكلف قائده ألفا عمر بن تشيرنو بالرجوع إلى مدينة انيور عاصمة الحاج عمر في تلك الفترة ليكون خليفته على البلاد حتى يعود، ووزع القواد على الثغور والمناطق المفتوحة ثم قفل راجعا إلى فوتا تورو. وخاض الحاج عمر في طريق عودته عدة معارك، وقام أحد أجنحة جيشه بمهاجمة الفرنسيين بمحطة مدينة خاسو قرب حوض نهر السينغال المحصنة، لكن قائد المحطة الكولونيل بول هول هزمه بعدما فقد عددا كبيرا من الرجال. وعاد جيش الحاج عمر الفوتي في 18 شوال 1273هـ (11 مايو 1857م) إلى محاصرة مدينة خاسو في ستة آلاف رجل، واستمر الحصار حتى هطلت الأمطار وامتلأ النهر، فجاء فيدرب في سفينة عسكرية إلى خاي، وهاجم بخمسمائة رجل مجهزين بأسلحة حديثة جيش الحاج عمر في 26 ذي القعدة 1273هـ (18 من يوليو 1857م) فانهزم الحاج عمر بسبب تفوق الآلة الحربية الفرنسية، وكثر القتل والأسر في صفوف الجيش العمري، «وعلم الشيخ وقتئذ ضعف المسلمين عن مقاومة جيش فرنسا لكثرة الجرحى من جيشه والشهداء[1069]».

واحتك الحاج عمر خلال هذه الفترة بإيدوعيش الذين كانوا يسيطرون على التجارة في محطة "باكل"، وجرت بينه وبين أميرهم بكار بن اسويد أحمد مراسلات.

وواصل الحاج عمر طريقه إلى فوتا تورو، مستمرا في غزو المناطق التي يمر بها، واكتتاب المستعدين للجهاد من المسلمين وإرسالهم إلى انيور حتى وصل إلى گانجور أوائل شعبان 1274هـ (أواخر مارس 1858م)، فجاءه أهل بوندو فزين لهم الالتحاق بانيور قائلا إن أرضهم أصبحت أرضا للنصارى فلا تصلح لهم مجاورتهم، فاستجاب له بعضهم وتلكأ بعضهم، فقام بشن الغارة على من لم يستجب له منهم، وغنم

[1069] المرجع نفسه، ص293.

مدفعين كبيرين من مدافع الفرنسيين انجلوا عنهما خلال اشتباك خاطف وقع بين الحاج عمر الفوتي وحاكم بوندو المامي بوبكر الذي أعانه الفرنسيون على الحاج عمر.
وبعث الحاج عمر بمن قبل الهجرة من أهل بوندو إلى انيور، ثم واصل طريقه فمر بهردلدي، قبل أن يحط الرحال بهوري فودي في أوائل ذي الحجة 1274هـ (أواسط يوليو 1858م). وهناك جاءه رؤساء فوته وأعيانهم فخطب فيهم وحرضهم على الهجرة إلى عاصمته الجديدة انيور لكون بلادهم أصبحت دارا للنصارى يجب تركها، فاستجاب له عدد منهم فبعث معهم أخاه تشيرنو بوبكر إلى انيور. وبقي الحاج عمر في هوري فودي حتى انسلخ الخريف[1070]، ثم ارتحل منها في دجمبر قاصدا تورو.

5- الحاج عمر يعود إلى انيور وجيشه يستأصل سلطان أولاد امبارك:
وبعدما أقنع الحاج عمر من استطاع إقناعه بالهجرة من أهل فوته قفل راجعا إلى انيور، وفي طريق عودته مر بقرب ماتام فأمر بعض رجاله بالإغارة على بعض القرى المتحالفة مع الفرنسيين فأغاروا عليهم يوم 9 إبريل 1859م (5 رمضان 1275هـ)، ومر جيشه بموضع تصل إليه فيه أسلحة الفرنسيين فقاموا بإطلاق النار عليه فقتلوا أفرادا من جيشه، فلم يلتف الحاج عمر إلى ذلك وواصل طريقه[1071]، لأنه كان يدرك أن ميزان القوى لم يسمح له بعد بمجابهة الفرنسيين. وكان الوالي الفرنسي فيديرب يناصبه العداء، ويشير في مراسلاته أن الحاج عمر لا يريد من وراء تأسيس دولته إلا طرد الفرنسيين من السينغال.
ونزل الحاج عمر وجيشه بگيمو، وصالحه أهل گيدي ماغه بالمال، وترك فيهم حامية من جيشه أمر عليها حفيده سري آدما، وجعل لها بيت مال لتكون بوابة للمهاجرين من فوتا تورو إلى انيور.

[1070] موسم الأمطار.
[1071] المرجع نفسه، ص332. وقال: إن الفرنسيين أطلقوا النار على جيش الحاج عمر كذلك عندما حاذوا محطة باكل، وأن الشيخ لم يرد على استفزازاتهم.

«وأثناء مرور الجيش بگيمو سمعوا أن سلطانا من سافاربه (=البيضان) يقال لـه هنـون قد جاء ليقاتلهم، فركبوا ووقعوا على جيشه فهزموه، وقتل هنون فغنم الجـيش العمـري ما وجد معه من إبل وخيل عراب[1072]». ووصل الحاج عمر إلى انيور يوم الخمـيس 27 ذي الحجة 1275هـ (28 يوليو 1859م).

وخلال رحلة الحاج عمر هذه خضد صمبني وجيش الحاج عمر الفوتي المساند له شـوكة أولاد امبارك وحلفاءهم من البيضان، وتمكنا بعد معـارك داميـة مـن الوقـوف في وجـه أهل بهدل الذين كانوا يحاولون إحياء سلطنتهم بمساعدة أمير فاته المختار الصـغير بـن سيدي أحمد بن المختار، وتشتيت جيوشهم.

وشن جيش الحاج عمر الفوتي وصمبني الغارة على كل ذي علاقة بـأولاد امبـارك مـن القبائل المحاربة أو من الزوايا كتنواجيو طلبـة (أشـياخ) أولاد امبـارك، الـذين أغـاروا عليهم سنة 1273هـ/ 1856م، وقتلوا منهم رجالا منهم اثنان من أهل الطالب أحمـد بن محمد راره. ثم أغاروا علـيهم في السـنة الـتي تليهـا فقتلـوا جميـع مـن وجـدوا مـن الرجال[1073].

ودحر هذا الجيش فات انغلي ومن معهم من أولاد امبـارك في وقعـة "تيمـزين"[1074] في جمادى الثانية سنة 1274هـ (1858م)، حيث قتـل أميرهـم المختـار الصـغير وسـادة فرسانهم، وسبى نساءهم وذراريهم، ثم كر عليهم بعـدما تـأمر ابنـه بـادي بـن المختـار الصغير فهزمهم بعد معارك ضارية، ونهب أموالهم، وقام بسبي نسائهم.

وتمكن الأمير الامباركي أعمر بن عثمان بن هنون خلال هذه المعارك من مهاجمة جيش الحاج عمر الفوتي بغتة في سنفاخه، وإرغامـه علـى الفـرار إلى چونگـوي، لكـن جـيش الحاج عمر تلقى تعزيـزات جديـدة تمكـن بواسـطتها مـن إرغـام أولاد امبـارك علـى الانكفاء نحو باغنه، قبل أن يضطرهم إلى التوجـه باتجـاه الشـمال، فلـم يزالـوا بتلـك

[1072] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص54.

[1073] المرجع نفسه، ص165.

[1074] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص134.

النواحي حتى أواخر 1277هـ (منتصف 1861م) فعادوا إلى أرضهم بعد صلح وقعوه مع مصطفى الهوصي أحد قواد الحاج عمر الفوتي[1075]. وأدت هذه الحروب إلى تلاشي ملك أولاد امبارك في المنطقة، بينما أدى استرقاق جيش الحاج عمر للسبايا من نساء البياضين وتكاثر هذه السبايا وتعدد قبائلها إلى إعادة بعض الزوايا النظر في مساندتهم للجهاد العمري[1076]، لاسيما مع مصادرة الحاج عمر الفوتي لبعض زروع الزوايا بحجة أن الجيش الإسلامي في حاجة إليها[1077].

واصطدم جيش الحاج عمر الفوتي فضلا عن أولاد امبارك بأولاد يونس وأولاد داود وغيرهم من بني حسان المتواجدين في المنطقة[1078].

[1075] بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، مرجع سبق ذكره، ص258 - 259.

[1076] قال العالم والشاعر سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجه العلوي التيشيتي الذي رحل إلى الحاج عمر الفوتي فانخرط في سلك دولته يخاطب أبناء جنسه من البيضان ويحثهم على مبايعة الحاج عمر الفوتي حتى لا تتعرض نساؤهم للسبي:

«وأخاف يا بيض الجلود عليكم إن لم تفيؤوا عاجلا أن تغنموا
فينال بيض بناتكم ذل السبا ويعمهن هوان فيء يقسم
فيكن من بعض المقاسم عرضة إما لبيع واتخاذ يهضم
ويقلن يا ويلاتنا مالنا صرنا سراري أسودين أنظلم
فيقال متن بغيظكن وقرن في هذا الهوان فقومكن الظلم».

[1077] أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، مرجع سبق ذكره، ص39. وأضاف: «ولما كان فتح كارته وباغنه إيذانا بالاحتكاك الفعلي بين الحاج عمر وبلاد شنقيط، واختبارا لما يشكله الجهاد العمري من تهديد للبنية السياسية والاجتماعية والفكرية الشنقيطية، كان من الطبيعي أن تتباين المواقف منه بتباين منطلقات أصحابها ومواقعهم واتجاهاتهم. وقد صور أحمد بن بدي –صاحب كتاب الدرع والمغفر- هذا التحول في موقف الزوايا، إذ قال مخاطبا الحاج عمر: واعلموا أن الزوايا كانوا في غاية الاعتقاد، مسرورين بقدومكم البلاد، لأن النصارى دمرهم الله أفسدوا في الأرض أي إفساد، ونهبوا الأموال وأخذوا النساء والأولاد، يغيرون ويعيثون، ولا صاد يصدهم عما يريدون.. فصار الزوايا شاة بين ذئاب، بحيث لا تسمع أصوات الكلاب، فلما وقع من أمر الجيش ما وقع، من أخذ أمتعتهم والزرع، أنشدوا بلسان حالهم وإن لم يقولوه بلسان مقالهم:

ياويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد».

[1078] بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، مرجع سبق ذكره، ص34.

وعلم الحاج عمر لدى عودته إلى انيور أن كارونكا، وهو أحد الأمراء الذين تم إخضاعهم سابقا، قد تمرد، وأخذ يحشد الجيوش ويغير بها على خليفته ألفا عمر بن تشيرنو بيلا، ويقطع الثغور، وبلغه أنه تحزب مع مناوئيه من مختلف القبائل، ومعه ملك سيگو في ذلك، وأن أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد بن حمدي لبو يؤيدهم ويغريهم على محاربته وإخراجه من تلك الأراضي، فخرج من انيور يوم 14 صفر 1276هـ (12 سبتمبر 1859م) مقتفيا آثار كارونكا، وعلم خلال مطاردته له في باغنه أن الفرنسيين أغاروا في 18 ربيع الأول 1276هـ (15 اكتوبر 1859م) على گيمو، وقتلوا حفيده سيري آدما وهزموا جيشه وأسرا ألفا وخمسمائة رجل، «فأرسل الحاج عمر إلى فيديرب، وتصالحا على أن يكون النهر حدا بينهما، فما كان عن يسار النهر إلى المشرق للشيخ، وما كان عن يمينه إلى المغرب للحاكم الفرنسي، وتعاهدا على ألا يقع أحدهما على الآخر[1079]».

وفي الرابع والعشرين من ربيع الثاني 1276هـ (20 نفمبر 1859م) هاجم الحاج عمر إمارة ماديكويا التي لجأ إليها كارونكا ففتحها، وقتل ملكها كتلا وجميع رجالها، وسبى نساءها، بينما خرج منها كارونكا هاربا.

وأغار أهل بليري على جيش الحاج عمر بماديكويا فوجدوه متهيئا للحرب، ثم جمع له أهل سيگو جيشا ضخما يقوده بونوتا فهاجموه في السادس والعشرين من جمادى الثانية 1276هـ (19 يناير 1860م) فتمكن من صد الجيش.

وجهز الحاج عمر جيشا أمر عليه عبد السلام فتوجه إلى الصحراء فأغار على من وجد من البيضان الذين سكنوا الصحراء خوفا من الحاج عمر فقتل منهم خلقا.

وارتحل الحاج عمر من ماديكويا، وخاض عدة معارك في نواحي سيگو وظفر بكارونكا فقتله، وتقدم إلى جامنا ففتحها.

[1079] الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، مرجع سبق ذكره، ص333.

وبلغ عالي بن ماصه البمباري ما قام بـه الحـاج عمـر فجهـز الجيـوش لحمايـة إمارتـه (سيگو)، وتقدم الحاج عمر إلى مدينة ويتاله المحصنة فحاصرها، وقـام بـإطلاق الـذخيرة من المدفعين الفرنسيين اللذين غنمها في بوندو لبث الـذعر في نفـوس مناوئيـه، وهـي حيلة دأب عليها جيش الحاج عمر خلال معاركه الحاسمة مع السكان الـذين لم يعتـادوا سماع أصوات مثل هذا النوع من الأسلحة. وتمكن الحاج عمر من فتح ويتاله يوم الأحـد 22 صفر 1277هـ (9سبتمبر 1860م)، بعد ثلاثة أيام مـن الحـرب، وبعـد خسـائر جسيمة تكبدها الطرفان، وقتل فيها تتا بن عـالي بـن ماصـه. وارتحـل الحـاج عمـر إلى صنصندي (سانساندي)[1080] فدخلها من غير قتال، وأقام فيها في انتظارا انتـهاء موسـم الأمطار وهبوط مياه النهر.

6- استنجاد عالي بن ماصه بأحمـد بـن أحمـد الماسـني والشـيخ سـيدي أحمـد البكـاي الكنتي:

ولما وصلت إلى عالي بن ماصه نتائج معركة ويتاله، وعلم بنزول الحاج عمر صنصـندي أرسل إلى الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشـيخ سـيدي المختار الكنتي في تنبكتو يستنجد به فكتب إليه الشيخ سيدي أحمد البكاي: «اعلـم يـا عالي أني لكم في أمر شديد، إذ أنتم كفـار وعـدوكم مسـلم، إن أعنـتكم خفـت، وإن لم أعنكم كانت مصيبة.. والحاصل يا عالي أني لكـم معـين بكـل وجـه جـائز[1081]». كمـا أرسل عالي بن ماصه إلى أمير ماسنه أحمد بن أحمد بن حمدي لبو يخبره بما حـل بمملكتـه، ويستنجد به، ويعلمه بأنه اعتنق الإسلام، فوعـده أحمـد بمناصـرته، وأمـره ببنـاء مسـجد يظهر به إسلامه.

وراسل أمير ماسنه الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي يستشيره بشأن هجوم الحاج عمـر الفوتي المتوقع على سيگو فكتب إليه الشـيخ سـيدي أحمـد البكـاي: «لا تتـرك سـيگو

[1080] المرجع نفسه، ص365.

[1081] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص96.

للحاج عمر، لا تتركه له. ولو قالها لك كل عربي وكل فلاني فلا تسمع لهم. لا تسمع لهم، مسلمين كانوا أو كفارا، بل اجعلهم مسلميك أو كفارك ولا تتركهم للحاج عمر، فإنه إن ملك سيگو عنك وصار له قوة ذلك الإقليم كله، من خيله، ورجله، وماله، وذهبه، وودعه، ونعمه، وزرعه، فما تصنع أنت حينئذ وفي أي شيء تشتغل؟ ثم أتراه يقعد عنك ولو قعدت عنه؟ ولو صح ذلك وهو لا يصح لجاءه أهل أرضك يهرعون إليه.. فاصدع بما تنوي وتريد، وأظهره قائما جهارا، واجمع قومك عليه، فإني لا أخاف عليك منه، فإنك تبارك الله أكثر منه جمعا، وأشد منه قوة، وأجرأ أبطالا، مع أنك ولله الحمد تجد ما لا يجده، فإنك تجدني لك عليه، ولا يجدني له عليك، وهي فضيلة إن لم تضيعها لم يضع لك شيء.. فقل له إنك قد أجرت هؤلاء الكفار، أو هؤلاء المسلمين، واطلب منه طلب المسلم إلى أخيه المسلم أن يدعهم لك، فإن تركهم حصل المطلوب، وإلا فقل له إني غير تاركهم لك، وإني على ذلك لا أريد قتالك، فادعه إلى الشرع، فإن استجاب لك أو نازعك في ذلك أحد من الفلان من قومك أو من غيرهم فاكتب إلي حينئذ، فإني أكتب لك كتابا من العلم الصحيح لا يجد الحاج عمر ولا أحد من الفلان ولا من العجم كلهم ولا من العرب محيدا ولا محيصا عنه، ولا يدري ما يقول فيه إلا أن يسلمه[1082]».

وكتب أمير ماسنه أحمد بن أحمد بن حمدي لبو إلى الحاج عمر الفوتي رسالة جاء فيها: «من أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد.. إلى الأخ الفقيه الحاج عمر بن سعيد.. أما بعد فقد بلغنا على ألسنة الواردين بحيث صح لدينا أنك حللت صنصندي ودخلتها بعدما بلغك أنهم بايعونا وأنهم من سائر رعتنا لشهرة ذلك وشيوعه، وعلم العام والخاص بوقوعه فساءنا منك ما بلغنا عنك إذ أنت المعتقد المرموق، المقتدى به بين الناس الموثوق، فإذا صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل، والأخذ في إثارة الفتنة وإحياء الأباطيل، اتخذك أهل الأهواء حجة في ذلك، وذريعة إلى ما

[1082] المرجع نفسه، ص96-97. وانظر، أضواء على الحاج عمر الفوتي من خلال المخطوطات العربية، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، مرجع سبق ذكره، ص217.

هنالك، فعاثوا وأفسدوا وأضلوا.. هذا على أنا نراك تتسلل تسللا، وتسر الحسو في الارتغاء إلينا، فقد تعرضت لنا دون أهل باغنه وهم بغاتنا، إذ كلهم داخلون تحت بيعتنا من رئيسهم المختار [الصغير بن سيدي أحمد بن المختار أمير أولاد امبارك] إلى مرؤوسهم صمبني وغيره كما يعلم كل أحد، فصمبني بغى بغير سبب.. وقد علمت أن لنا قتال الباغي.. فيا ليت شعري بما استحللت قتالنا معه؟ فأعرضنا عنك خوفا من الله تعالى في إثارة الفتنة بين المسلمين لا خوفا منك لأنا لا نراك تجاهد وتغلب إلا من وجدتنا غلبناه من باغنه إلى هنالك.. والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا، وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك، ويكون أهل صنصندي مبايعين فإن قبلت تركهم جعلك الله من القابلين، فعسى الله أن يجمعك عليه، ويأخذ بناصيتك إليه فتترك إثارة الفتنة بينك وبين إخوانك، فالجواد يكبو والصارم ينبو، فتدارك ما فرط منك، ولا تعرض عن الله فيعرض عنك، فلا بد للعبد من ربه في جميع الأحوال، وإن أصررت على ذلك وتماديت فيما هنالك، ورضيت بتحمل دماء المسلمين في عنقك، ولم تبال بنهي خالقك، ومليك رقك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومن أنذر فقد أعذر، وجاز دفع صائل ولو بقتل بعد الإنذار[1083]».

فأجابه الحاج عمر برسالة جاء فيها: «منا إلى أحمد بن أحمد وجماعته من الماسنيين.. أما بعد فقد وردت علينا رسالة من جهتكم.. أما القول بمبايعة أهل صنصندي إياكم، وكونهم من رعيتكم، وأن ذلك اشتهر، وعلمه الخاص والعام وانتشر، فالجواب فيه أنا ما سمعنا بهذه البيعة، ولا طرقت سمعنا هذه الوقعة، فما كانت قبل هذه المقالة، ولا أنشأت إلا في هذه الرسالة، وأحرى أن يعلم العام والخاص بها، فالله أعلم بقصد كاذبها في جلبها، وما زلنا حيث فتح الله لنا حتى أتتنا مكاتيبهم بأنهم يأمروننا بإنقاذهم من مغربهم ومشرقهم.. وأما قول هذا الكاتب: تتسلل إلينا..إلخ فجوابه أنا لا نظن أننا في محاربة الكفار، ومحاولة قطع دابرهم متسللين إليكم إلا بعد تحقيق أنكم

[1083] المرجع نفسه، ص367-368، وقد اقتصرنا منها على المهم، وما بين المعقوفتين توضيح من طرفنا.

وهم على حد سواء، أعاذكم الله من ذلكم.. وأما تعرضنا دون أهل باغنه وأنهم تحت بيعتكم جميعا، فقد علم كذبه عند عامة من يعرفها إذ حين إتياننا إليها وجدناها على ثلاثة أقسام: قسم كفار محضا، وقسم منافقون رفضوا الدين رفضا، وقسم مسلمون وأهم أقل قليل تحت هذين القسمين، ولا نعلم مبايعة إسلامية تعم جميع هؤلاء، وإلى الآن ما تعرضنا دونهم بل دون أنفسنا وحريمنا، وضعاف قومنا فيا ليت شعري ما الموجب إلى صولتكم علينا؟.. وأما أنهم بغاتكم فعلى تسليمه فقد أوجب الله عليكم قبل قتالهم قتال من بينكم وبينهم من المشركين الخالصين الذين لم يشوبوا شركهم بزي المسلمين، وأما أمر صمبني فإن كان بغى عليكم بعدما ارتحل عن وطنه إليكم، فالله يعلم سبب فراره منكم إلى قراره. وأما قوله: والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا فهو من أمهات العجب وأغرب الغرائب، كيف يصح إسلامهم وهم والله اليوم على كفرهم.. ولكن الحق أن أهل سيگو الآن لم يبق منهم والحمد لله إلا عالي هذا وحده بلا عيال، وأيقن بالتهلكة، وذهاب المملكة، فأراد أن يتخذكم عضدا دون كفره، ويوقع الحرب بينكم وبين إخوانكم المسلمين ويبقى على نكره، فأعطاكم الأموال فقبلتموها، واتخذ لكم كذيبة بلسانه فأفشيتموها..[1084]».

7- اشتباك جيش الحاج عمر الفوتي مع مشظوف:

وفي هذه الأثناء جهز الحاج عمر جيشا بقيادة قائده عبد السلام، فاشتبك مع مشظوف في يوم عرف بيوم "تاغطافت" (سنة 1277هـ/ 1861م)، انتصر فيه مشظوف على

[1084] المرجع نفسه، ص369-378، وقد اقتصرنا منها على المهم.

وللحاج عمر الفوتي كتاب يدعى "السيف الحق المعتمد فيما وقع بيني وبين أحمد بن أحمد" تطرق فيه إلى عدد من المراسلات التي جرت بينه وبين أمير ماسنه، وذكر فيه طرفا من هذه الرسالة. وقال فيه: «اعلم أن أحمد بن أحمد هذا وجه إلينا خمس وثائق: الأولى منها قدمت علينا في انيور، والثانية قدمت علينا في سابوسيري، والثالثة والرابعة والخامسة قدمت علينا ونحن في صنصندي».

جيش الحاج عمر الفوتي، وقتلوا قائده عبد السلام وعددا كبيرا من رجاله، وكان مع الجيش الفوتي في هذا اليوم الاغلال[1085].

8- تجدد المواجهة مع ماسنه:

وبعث أمير ماسنه بجيش جديد إلى الحاج عمر أمر عليه عمه با لوبو بن بوكر بن حمدي لوبو، وبعث برسالة جديدة إلى الحاج عمر جاء فيها: «إما أن تبايع وتدخل تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك، وإما أن ترحل وترجع إلى حيث أتيت، وأجلنا لك ثلاثة أيام حتى تطوي فيها أمتعتك، وإلا سأبعث إليك خيلا جردا ورجالا مردا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال مثلك[1086]»، فأجاب الحاج عمر بأن «أحمد بن أحمد قد كفر بكذبه على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أن النبي أمر بقتلي واستحل بذلك دمي ودماء المسلمين معي[1087]».

وعسكر جيش با لوبو على الضفة الجنوبية لنهر النيجر، فخرج إليه الحاج عمر والتحم الفريقان، ودارت بينهما مواجهة شرسة انهزم على إثرها الماسنيون ومن معهم. ورجع الحاج عمر إلى صنصندي، فلما أحس بأن جيش با لوبو قد ابتعد قافلا إلى ماسنه توجه إلى عاصمة سيگو سيكورو، ففر ملكها عالي بن ماصه وأتباعه من وجهه، واستولى الحاج عمر على دار ملكه في شعبان 1277هـ (مارس 1861م). ثم جعل يبعث السرايا الواحدة تلو الأخرى خلف عالي بن ماصه فلم يظفروا به حتى دخل أرض ماسنه. واتصلت بعد فتح سيگو سيكورو بلاد الإسلام بهذه النواحي بعضها ببعض، إذ لم يعد بين أراضي البيضان وماسنه وفوتا چالون بعد فتحها أي جيوب وثنية.

[1085] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص271.

[1086] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص57.

[1087] الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر، مرجع سبق ذكره، ص385.

وأرسل الأمير الماسني أحمد بن أحمد إلى الحاج عمر بعد فشل صولات جيوشه «يدعوه إلى المصالحة بالمتاركة والحفر والردم لكل منهما فأبى الشيخ عن ذلك قائلا: بل لا يكون بيني وبينه إلا الشريعة المحمدية فإن أهدرت دماءنا أو ذبحت كل واحد منا فلا كلام[1088]».

وقام الحاج عمر بتجهيز جيشه والارتحال باتجاه العاصمة الماسنية حمد الله، وفي الطريق إليها توفي صمبني مريضا، ودخل الحاج عمر حمد الله عنوة بعد قتال شديد دام عدة أيام في ذي القعدة 1277هـ (مايو 1862م). وجرح الأمير الماسني أحمد بن أحمد بن حمدي لبو في هذه المعارك فذهب به عبيده في سفينة فأرسل الحاج عمر فرسانا يقودهم ألفا عمر بن تشيرنو بيلا فأدركوه وقتلوه.

9- التحاق الماسنيين بالشيخ سيدي أحمد البكاي وتجدد الحرب:

وبعد بضعة أشهر من المكوث في حمد الله أرسل الحاج عمر إلى ابنه أحمد فاستخلفه، وجمع له كبراء جنده من أهل فوتا تورو وأهل فوتا چالون فبايعوه، ثم دعا له سادة ماسنه فبايعوه وهم كارهون، لإحساسهم بأن هذه البيعة ستؤدي إلى خروج ملك ماسنه من أيديهم.

وبعدما تمت البيعة عاد أحمد بن الحاج عمر إلى سيگو لتنظيم أقاليم الدولة الغربية، بينما بقي الحاج عمر في ماسنه لتوطيد أركان حكمه بها. غير أن الوضع لم يستتب له، فقد جعل سادة الماسنيين يتناجون سرا لمجابهة الحاج عمر، وكاتبوا الشيخ سيدي أحمد البكاي رئيس أهل تنبكتو وشيخ الطريقة القادرية بالمنطقة التي هي في الأصل طريقة أهل ماسنه طالبين منه النجدة، وواعدين إياه بالعدول عن الطريقة التجانية التي نشرها الحاج عمر في المنطقة[1089]، فكتب الشيخ سيدي أحمد البكاي رسالة إلى الحاج

[1088] الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر، مرجع سبق ذكره، ص60. والمصالحة بالمتاركة والحفر والردم لكل منهما تعبير عن طي ما فات وعدم نبشه وبدء صفحة جديدة.

[1089] پول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص104.

عمر يقول له فيها: «الواجب عليك تسليم إمارة ماسنه لبا لوبو[1090]»، فقام الحاج عمر تحسبا للوضع بسجن خمسة عشر من سادات ماسنه على رأسهم با لوبو، وذلك في أوائل مارس 1863م (منتصف رمضان 1279هـ). لكن أخوات المسجونين قدمن ما لهن من الحلي رشوة لأحد متولي إطعام السجناء فاحتال لهم حتى مكنهم من الهرب من السجن في أواخر نفس الشهر (صدر شهر شوال 1279هـ). وجهز الحاج عمر جيشا من ثلاثة آلاف رجل بقيادة أرطو علي لتعقب الفارين الذين بلغهم أنهم في قرية نامنجي، فلما وصلوا إليها وجدوهم قد التحقوا بالشيخ سيدي أحمد البكاي، ثم داهم الماسنيون والكنتيون جيش أرطو علي فألجأوه إلى نامنجي وحاصروهم، فأرسل الحاج عمر جيشا بقيادة ألفا عمر بن تشيرنو بيلا في ثلاثة آلاف رجل أخرى لفك الحصار عنهم، فتمكن من ذلك، لكن الجيش الكنتي الماسني كمن لهم في الطريق واشتبك معهم فدارت الدائرة على الفوتيين الذين فني منهم عدد كبير في هذه المعركة، وقتل قائدهم المغوار ألفا عمر بن تشيرنو بيلا. وكان وقع هذه المعركة ثقيلا على الفوتيين.

ثم جهز الحاج عمر جيشا لجبا فيه خيرة أبطاله وأمر عليه ألفا عثمان، فسار بالجيش حتى التقى بالجيش الماسني الكنتي، واصطدم الفريقان، لكن الدائرة دارت بعد معارك طاحنة على الفوتيين الذين قتل منهم خلق كثير أيضا، من بينهم قائد الجيش ألفا عثمان.

10- نهاية الحاج عمر الفوتي:

وزحفت كنته وماسنه إلى الحاج عمر في حمد الله فحاصروه حصارا شديدا من أواخر 1279هـ (1863م) حتى نفدت الأقوات، فأرسل الحاج عمر ابن أخيه التجاني بن ألفا أحمد لطلب النجدة. وبعد ثمانية أشهر وثمانية عشر يوما من الحصار خرج الحاج

[1090] الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر، مرجع سبق ذكره، ص488.

عمر وبعض رجاله برأي من بعض الفوتيين من حمد الله ليلة الأحد 28 شعبان 1280هـ (8 فبراير 1864م)، ومر بالمحاصرين وهم نيام فلم يعلموا بخروجه حتى الصباح، فتبعوه وأدركوه بجبل دگمبيري فدخل في غار بالجبل، ودخل معه فيه ابنه محمد الماحي ورجل آخر، فأوقد الكنتيون النار على باب الغار ومن حول الجبل فتوفي الحاج عمر جراء ذلك، يوم الجمعة الثالث من رمضان 1280هـ (12 فبراير 1864)[1091].

11- مآل الدولة بعد رحيل الحاج عمر الفوتي:

وعلم التجاني بن ألفا أحمد الذي رجع يوما واحدا بعد حادثة الغار بما وقع، بينما كان عائدا بالنجدة، فهاجم جيش الكنتيين ليلة عودته فانتصر عليه وطارده حتى السحر، ثم رجع إلى جيش الماسنيين الذي يقوده با لوبو فهزمه كذلك.

وبينما كان التجاني يحارب الماسنيين والكنتيين الذين اختلفوا وافترقوا توفي الشيخ سيدي أحمد البكاي في فبراير 1865م (رمضان 1281هـ) فاستغل التجاني ذلك كي يجتاح إقليم ماسنه ويوطد سلطانه فيه[1092]. وتطلب هذا الأمر من التجاني عدة أعوام فقد قاد عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي كنته وحلفاءه من البمباريين حربا ضروسا ضد أنصار با لبو الماسني فهزمهم وشتتهم، واستقر في فنديا. وقام ابن عمه عابدين بن البكاي النتيني الذي كان أبوه قائدا عسكريا مع عمه الشيخ سيدي أحمد البكاي بإعلان نفسه أميرا على ماسنه مظهرا معارضة عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي، لكن هذا الأخير تغاضى عنه وانسحب إلى إقليم مونيمبى البمباري. ونجح التجاني في إفشال مشروع عابدين بن البكاي النتيني بعدما هزم قائده وابن عمه بابحمد بن سيدي علواته[1093].

[1091] المرجع نفسه، ص509.

[1092] بول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سبق ذكره، ص107.

[1093] المرجع نفسه، ص110.

وبنى التجاني مدينة بنجگارا واتخذ منها عاصمة له، وكان سائسا مقداما، دينا متواضعا، استمر في حكم تلك الناحية أربعا وعشرين سنة، ظل خلالها يقارع الكنتيين والماسنيين حتى توفي وله ثمان وأربعون سنة، وأوصى بالإمارة لسعيد بن حبيب بن سعيد ابن أخ الحاج عمر لما توسم فيه من الديانة والعدل والصلاح. ولم يدم حكم سعيد هذا أكثر من ثلاثة أشهر، فاختار أهل بنجگارا محمد المنير بن الحاج عمر أميرا لهم[1094].

وخرج عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بعد وفاة التجاني في جمع من كنته والفلان وبمباره ليزور ضريح والده في ساريدينا، واتجه باتجاه جني فصده أنصار التجاني، ثم لحقوا به عند المراح قرب نهر النيجر فقتلوه مع عدد من رجال كنته منهم ابن عمه بابحمد بن سيدي علواته سنة 1889م (1316هـ) فتلاشى نفوذ كنته في منطقة حكم خليفة التجاني محمد المنير بن الحاج عمر على إثر ذلك[1095].

أما أحمد بن الحاج عمر وإخوته فواصلوا فور وفاة والدهم (1280هـ/1864م) تدبير الدولة الشاسعة التي ترك لهم أبوهم: محمد المنتقى بانيور، ومحمد البشير بجنبوك، ومحمد النور بجافنه، ومحمد العاقب بدينگراي، وأحمد الخليفة العام المسؤول عن كل هذه الأقاليم بسيگو. وتسمى أحمد بأمير للمؤمنين، وقرب عددا من أعلام البيضان من أبرزهم سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجه التيشيتي الذي ارتبط معه بعلاقات خاصة فأصبح من أقرب المقربين إليه، وكان أحد الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يحضرون بصورة مستمرة لقاءات أمير المؤمنين أحمد بالمبعوث الفرنسي أوجين ماج خلال مباحثاتهما التي أفضت إلى توقيع اتفاق يتضمن تنظيم العلاقات السياسية والعسكرية والتجارية بين الطرفين. وقد استشفع المبعوث الفرنسي مرات بسيدي عبد الله التيشيتي لقضاء حاجاته لدى الأمير الفوتي. وقد تولى سيدي عبد الله هذا عددا من الخطط الدينية والعلمية بسيگو فدرس وألف وأم صلاة

[1094] الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر، مرجع سبق ذكره، ص492.
[1095] بول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سبق ذكره، ص112.

الجمعة وظل إلى جانب الأمير أحمد بن الحاج عمر حتى توفي حوالي 1300هـ/ 1882م[1096]. وبسط أحمد بن الحاج عمر نفوذه على مناطق البيضان القريبة منه، حيث ذكرت الحوليات أن أهل ولاته دفعوا له سنة 1290هـ (1873م) مالا عظيما.

ودخل أحمد في صراع مع بعض إخوته تمكن من حسمه لصالحه، لكن نكث الفرنسيين لعهودهم واستمرارهم في بسط هيمنتهم على السودان الغربي أديا إلى اضمحلال هذه الدولة الفتية، فقد رفض أحمد بن الحاج عمر الدخول تحت بيعة النصارى بأي وجه، ترك سيگو تحت ضغط الاستعمار الفرنسي الزاحف على المنطقة سنة 1884م (1301هـ)، مخلفا فيها ابنه المداني، وتوجه إلى انيور التي أصبحت عاصمة دولته. ودخل الفرنسيون بقيادة القائد أرشينار مدينة سيگو يوم 6 أبريل 1890م (16 شعبان 1307هـ)، فمحوا معالم الدولة العمرية بها، وأمروا عليها أحد أحفاد سلطان بمبارة الأسبق انگولو جارا. وفي سنة 1891م (1308هـ) زحف أرشينار على انيور فاصطدم بجيش أحمد بن الحاج عمر ووقعت بينهما ملحمة من أعظم الملاحم التي جرت بين الفرنسيين وسكان غرب إفريقيا.

وقرر أمير المؤمنين أحمد بن الحاج عمر الذي استبسل في الجهاد لما سقطت انيور في فاتح يناير 1891م (18 جمادى الأولى 1308هـ) الهجرة، فشرق متجها إلى بنجگارا بأرض ماسنه، وفي طريقه مر أحمد بن الحاج عمر ببادي بن الطالب محمود رئيس أولاد ازعيم (من أولاد يونس) فأكرمه، وأبلغه مأمنه، رغم ما سلف من محاربة جيوش الحاج عمر الفوتي لأولاد امبارك وأولاد يونس، فكافأه أحمد على ذلك بذهب كثير كان يحمله معه[1097]. وفي بنجگارا تنازل الأمير محمد المنير عن الإمارة لأحمد بن الحاج عمر. وتذكر حوليات ولاته أن الشريف عينينا بن علال ذهب إلى أحمد بن الحاج عمر في بنجگارا

[1096] أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي والمدرسة التجانية في تشيت، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، مرجع سبق ذكره، ص98 - 99.

[1097] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سبق ذكره، ص169.

وأقام معه هناك[1098]، فقد كان أحمد بن الحاج على غرار أبيه محبا للعلم والعلماء، مقربا للبيضان الشناقطة الذين وصلت نهضتهم الثقافية إلى أوجها خلال هذا العهد، وطبقت شهرتهم الآفاق[1099]، مستكثرا من تآليفهم وفتاويهم.

وظل أحمد بن الحاج عمر في بنجگارا حتى وصل إليه الزحف الفرنسي سنة 1893م (1310هـ)، فهاجر منها، بعدما هزمه الفرنسيون إلى سوكوتو بنيجيريا، حيث توفي هناك سنة 1315هـ/ 1898م عن ثلاث وستين سنة، حكم منها سيگو وما جاورها 29 عاما، وعاش في الهجرة منها سبعة أعوام. وبايع المهاجرون مع أحمد بعد وفاته أخاه محمد البشير. وبنى لهم أمير سوكوتو قرية رحلوا إليها وسموها دار السلام، هي اليوم إحدى أكبر مدن نيجيريا الشمالية، لكن الاستعمار الإنگليزي داهمهم وقام بعد معارك طاحنة بتغريب أميرهم محمد البشير.

واستولى الفرنسيون على كل أقاليم دولة الحاج عمر، وأسروا عددا كبيرا من أفراد أسرة الشيخ وأبنائه، وتمكن محمد العاقب بن الحاج عمر أمير دينگراي، الذي قبل بمصالحة الفرنسيين إبان زحفهم على المنطقة، من تخليص عدد من أفراد عائلة الشيخ من الأسر، وقام الاستعمار الفرنسي بتعيينه، بناء على اتفاق معه، حاكما لبنجگارا مدة عشر سنوات، تمت إحالته بعدها إلى التقاعد.

[1098] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، حوادث السنين، مصدر سبق ذكره، ص379.

[1099] راجع للوقوف على أهمية المؤلفات الشنقيطية عند الحاج عمر وابنه أحمد: نور الدين غالي وسيدي محمد مهيبو والويس برينير، جرد المكتبة العمرية بسيگو، نشر المعهد الوطني للبحث العلمي (بفرنسا)، باريس، 1985.

النهضة الثقافية لبلاد شنقيط

أصبحت بلاد شنقيط خلال القرون الثلاثة الأخيرة التي سبقت مقدم الاستعمار الفرنسي (11 و12 و13هـ/ 17 و18 و19م) مركز علوم إسلامية غزيرة، وثقافة عربية واسعة، أثمرها تراكم قرون عديدة من انتشار العلم في هذه البلاد. فقد عرفت بلاد شنقيط في عهد المرابطين أول سعي لها نحو التعمق في تعلم العلم والتقيد به، مع مرشدها ومعلمها الأول عبد الله بن ياسين الجزولي (المتوفى 451هـ/ 1059م)، الذي استقدمه يحي بن إبراهيم الگدالي في فجر دولة المرابطين، فكان إماما ومعلما ومربيا للمرابطين، مدة يحي بن إبراهيم، ويحي بن عامر، وصدرا من ولاية أبي بكر بن عامر.

ولما تنازل هذا الأخير لابن عمه يوسف بن تاشفين عن المغرب الأقصى بعد أن أخضع بعضه، رجع أبو بكر بن عامر إلى الصحراء، واصطحب معه من أغمات أوريگه الإمام أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المتوفى سنة 489هـ/ 1096م بآزوگي آدرار، فنشر العلم بهذه الربوع وألف لأمير مرابطي الصحراء محمد بن يحي بن عامر اللمتوني[1100] كتاب "الإشارة في تدبير الإمارة"[1101].

كما اصطحب أبو بكر بن عامر معه كلا من إبراهيم الأموي، وعبد الله بن أبي بكر الزينبي، وعبد الرحمن الركاز (أجداد قبائل المدلش وإيدغزينبو وتركز المعروفة اليوم)، فكان هؤلاء الثلاثة يفتون الناس ويعلمونهم العلم. وكان إبراهيم الأموي يعلم الفقه ويقضي في مجلس الأمير، فكان هؤلاء عونا على انتشار العلوم الدينية في قبائل بلاد شنقيط، «مثل المدلش الذين كان الغلام منهم يحفظ المدونة قبل بلوغه، ومثل تجكانت في قرية تينيگي من آدرار، قيل إنه كانت توجد فيهم ثلاثمائة جارية تحفظ موطأ مالك، فضلا عن غيره من المتون، وفضلا عن الرجال، ولهذا قيل العلم جكني، وكذلك كان

[1100] ابن بسام، الذخيرة، مرجع سبق ذكره، ص119.

[1101] ألف الإمام الحضرمي عدة مؤلفات ضاعت باستثناء هذا الكتاب، وهو مطبوع، وكتاب موجود بمكتبة القرويين بفاس تحت عنوان "اختصار تنبيه الأنام"، وتوجد نسخ منه في بعض المكتبات الشخصية بالبلاد.

الأمر في سائر قبائل الزوايا الـذين كـان جمهـورهم في ذلـك العهـد في آبـير (شـنقيط الأولى)[1102]».

ثم جاء الشريف عبد المؤمن مؤسس قرية تيشيت، وجد شرفائها المعروفين، ومعـه الحـاج عثمان جد بعض بطون إيدوالحاج، وأحد مؤسسي قرية وادان، «وكانا قرآ على القاضي عياض المتوفى في مـراكش سـنة 544هـ/ 1149م، وكانـا يسـكنان أغمـات، فانتشـر عنهما العلم، واتسع نطاقه قرونا عديدة في القريتين[1103]».

وقدم يحي الكامل (جد قبيلة المحاجيب الحالية) على ولاته خلال القرن الثامن للـهجرة (13م) فانتشر على يده علم كثير في تلك النواحي، كما قدم بعد ذلك بقليـل الشـيخ التواتي سيدي علي بن سيدي يحي إلى منطقة الشمال الشنقيطي فعلـم العلـم وأرشـد إلى الدين، وتزوج في ابدوكل حيث ولد له ابنه الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي رحـل إلى خارج البلاد يطلب العلم، وعـاد بعـدما أصـبح شـيخا مقـدما في مختلـف الفنـون، وتزوج في قرية تينيگي التي كانت تشهد في ذلك العهد ازدهارا علميا وثقافيا كبيرا.

واشتدت عناية الشناقطة بالعلم، واستجلبوا المتون من بـلاد الإسـلام، وعـني الطـلاب بدرسها، والعلماء بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها، فبدأت خـلال القـرن الثـامن الهجري (14م) في حواضر آبـير، وولاتـه، وتيشـيت، ووادان، وتينيگـي، وتنبكتـو بـوادر حركة ثقافية تمخضت خلال القرن العاشر للهجرة (10هـ/ 16م) عـن انتشـار كـبير للمحاظر (المدارس) العلمية في كـل مختلـف القـرى والبـوادي، وعـن حركـة تـأليف واسعة، أول ما حفظ لنا التاريخ مـن ثمارهـا البـارزة مؤلـف "موهـوب الجليـل شـرح مختصر خليل" لمحمـد بـن أبي بكـر الحـاجي الـوادافي الـذي كـان حيـا سـنة 933هـ (1526م).

وكانت الثروة العلمية للبلاد تزداد بواسطة رحيل الشناقطة إلى المغرب وإفريقية ومصر لطلب العلم من جهـة، وسـفر الحجـاج والتجـار الـذين يجلبـون إلى الـبلاد مختلـف

[1102] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، الدار العربية للكتاب، 1990، ص5.

[1103] المرجع نفسه، ص6.

الأسانيد العلمية والصوفية والمصنفات الدينية واللغوية التي تتداول في مختلف مناطق العالم الإسلامي من جهة أخرى، فقد درس محمد بن سعيد بن تگدي اليدالي في تافلالت خلال القرن العاشر للهجرة (16م)، وعاد إلى منطقة الگبلة من بلاد شنقيط بعلم النحو ونشره هناك حتى اشتهر بالنحوي، وباسمه سمي النحوي أگد عبد الله فاتح فوته إبان عهد الإمام ناصر الدين (1083هـ/ 1673م)، وأخذ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي (ت959هـ/ 1552م) عن سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الآخذ عن السيوطي وأجازه في الطريقة القادرية، وأخذ محمد الشنقيطي عن الشيخ زروق (ت963هـ/ 1493م) الشاذلية، وأخذ أحمد بن القاضي عن محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي (ت 1010هـ/ 1601م[1104]، وأخذ أشفغ الخطاط (ت1196هـ/ 1782م عن سيدي أحمد التواتي المتوفى سنة 1138هـ/ 1725م، وأجازه في الطريقة الشاذلية عن سيدي أحمد بن عبد القادر عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي، وقد أخذ هذه الطريق أربعة من علماء الشناقطة هم نختارو بن المصطفى اليدالي، وسيدي محمد بن سيدي عثمان بن أعمر الولي المحجوبي الولاتي (ت 1132هـ/ 1720م)، وسيدي أحمد التمگلاوي، وسيدي عبد الله بن سيدي بوبكر التنواجيوي (ت 1145هـ/ 1732م) عن سيدي أحمد الحبيب السجلماسي عن سيدي أحمد بن عبد القادر عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي[1105]. وقد عاد سيدي عبد الله بن سيدي بوبكر التنواجيوي من عند شيخه السجلماسي بمكتبة نفيسة، وكان قد أخذ عنه القراءات العشر، فلما عاد إلى بلاد شنقيط «وجد الناس يلحنون في القراءة، ويصحفون في الحروف، فأزال اللحن والتصحيف عنهم[1106]»، وهو أول من أتى بالجيم الشديدة[1107].

[1104] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص112.

[1105] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، مرجع سبق ذكره، 1990، ص93.

[1106] البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مرجع سبق ذكره، ص208.

[1107] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص112.

وكان سيدي أحمد الفزاز بن محمد بن يعقوب الحاجي الوادافي هو أول من أدخل شرح الحطاب إلى وادان، أخذه بالسند المسلسل إلى الحطاب عن أحمد المسكه والد الشيخ أحمدو بابا التنبكتي (ت1086هـ/ 1675م)، وأخذه عنه سيدي أحمد أيد (أي ابن) القاسم اليعقوبي الحاجي شيخ مشائخ وادان، الذي أخذه عنه القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب العلوي الشنقيطي (ت1101هـ/ 1700م) والطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي كذلك (ت1107هـ/ 1695م)، وسيدي أحمد بوالاوتاد الحنشي التيشيتي أول من أتى بمختصر خليل إلى تيشيت ودرسه فيها، وأخذه عنه العالمان المشهوران أبوبكر بن أحمد بن أشفغ المسلمي (ت1039هـ/ 1629م)، والحاج الحسن بن آغبدي الزيدي (ت1123هـ/ 1711م)[1108] الذي لقي أثناء سفره إلى الحج الخرشي شارح خليل، واستدرك عليه أربعين مسألة في شرحه، وعن هؤلاء الرجال انتشر علم كثير في هذه البلاد خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م).

وكان الحجاج يلتقون بالعلماء ويأخذون عنهم، ويمكثون سنين مغتربين[1109]، فقد حج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر الصنهاجي الوادافي (جد الشيخ أحمدو بابا التنبكتي) سنة 890هـ/ 1485م، ولقي بمصر جلال الدين السيوطي، والشيخ خالد الأزهري[1110]، وحج ابنه الحاج أحمد بن أحمد ولقي جمعا كبيرا من العلماء، وكذلك فعل الحاج أحمد بن الحاج الأمين التواتي علامة كل فن الذي كان يترأس الركب من بلاد شنقيط حتى يصل إلى توات فيكون الأمر لأبي نعامة، وتوفي بفزان بليبيا عائدا من

[1108] المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، مرجع سبق ذكره، 1990، ص199.

[1109] كان للحج من بلاد شنقيط عدة طرق، أحدها يمر بعد أن يصل الركب الشنقيطي إلى مدينة توات (بغرب الجزائر)، حيث ينضم الشناقطة إلى الركب القادم من فاس وتازة، ويمر الركب بالجنوب الجزائري والتونسي، ثم يمر محاذيا شواطئ ليبيا مع الأبيض المتوسط حتى يصل إلى مصر ومنها إلى الحجاز. وأحدها يذهب من ولاته بالحوض فقرية المبروك بصحراء أزواد فواحة أكبلي بمنطقة توات حيث الزاوية الكنتية فمنطقة تزروفت فعين صالح بالجزائر ثم يواصل الركب سيره نحو فزان ثم أوجيلة بليبيا فسيوة وهي بداية أرض مصر ثم يمر الركب بالقاهرة فالحجاز. وهناك طريق يتجه من ولاته باتجاه الشرق فيخترق مالي والنيجر والتشاد ليصل إلى السودان، ويعبر إلى الحجاز عبر البحر الأحمر، كما أن هناك طريقا آخر يتجه من مدينة شنقيط باتجاه المغرب ثم يتجه من هناك بحرا إلى مصر ومنها إلى الحجاز عبر البحر الأحمر.

[1110] البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مرجع سبق ذكره، ص27.

آخر حجاته سنة 1157هـ/ 1744م، وحج عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى الحسني (ق11هـ/ 17م) وأخذ إضاءة الدجنة إجازة عن أبي مهدي مفتي الحرمين، وحج القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب العلوي الشنقيطي، «ومر بمصر حيث لقي الفقيه عليا الأجهوري (ت1067هـ/ 1656م)، وتلميذيه عبد الباقي والخرشي، ونبههما على فرع خارج من نسختهما من شرح الحطاب، فبحثوا عنه فوجدوه، وعجبوا من سعة علم الشنقيطي. وأخذ القاضي عبد الله في سفره هذا الحديث وغيره عن رئيس العلماء الشافعية بالديار المصرية عامر بن شرف الشبراوي، وعاد وهو يحمل معه ستمائة كتاب[1111]»، وتلقى علامة شنقيط الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت1107هـ/ 1695م) الإجازة في موطإ الإمام مالك وصحيح البخاري ومؤلفات السنوسي عن عالم المدينة المنورة أبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الشافعي، وذكر محمد محمود بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في كتابه الدر الخالد أن جده الحاج إبراهيم خرج حاجا وتوفي بمصر، وخلف بها مكتبة قدم به ابنه سيدي عبد الله (ت1233هـ/ 1818م) عندما سافر للحج ولقاء العلماء. وفي طريق عودته مكث سيدي عبد الله سنوات بالمغرب حيث أكرمه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأهداه أربعمائة كتاب. وقد أخذ ابن الحاج إبراهيم في المغرب عن الشيخ البناني محشي شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل، والشيخ التاودي المعروف بابن سودة، وعمر الفاسي شارح اللامية. وقد حج الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب (ت1247هـ/ 1831م)، فلقي بالمدينة المنورة صالح الفلاني الذي أجازه في الصحيحين والسنن الأربعة وموطأ الإمام مالك، وشفاء القاضي عياض، ومر في طريق عودته بفاس حيث صحب الشيخ سيدي أحمد التجاني (ت1230هـ/ 1814م) ثلاث سنين، وأخذ عنه الطريقة التجانية التي انتشرت على يديه في عدد من مناطق بلاد شنقيط، وفي أنحاء واسعة من إفريقيا[1112].

[1111] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص111.

[1112] المرجع نفسه، ص112.

وقدم الشيخ سيديا الأبييري (تـ1284هـ/ 1867م) إلى مـراكش في عهـد السـلطان عبد الرحمن فنال عنده وعند علماء البلد حظوة عظيمة، وعاد من رحلتـه بمـائتي كتـاب. وكان شيخه الشيخ سيدي المختـار الكـنتي (تـ1226هـ/ 1811م) يسـتقبل سـنويا قوافل الكتب من فاس والقيروان ومصر، وكانت هذه سبيل مئـات العلمـاء الشـناقطة الذين أعطوا كما أخذوا، وعلموا كما تعلموا، مثلما فعـل العـالم النابغـة محمـذن بـن حبيب الله المجيدري (تـ 1204هـ/ 1789م) الذي[1113] بهر علماء المغرب ومصر والحجـاز بعلمه، كما قال محمد عبد الله بن البخاري في كتابه العمران «وأخبـار شـيخنا محمـذن بـن حبيب الله المجيدري مشهورة من أرضنا إلى الغرب إلى إفريقية إلى مصر إلى مكـة إلى المدينـة، وإن تتبعت أثره، لم تجد موضعاً إلا له فيه تلميذ، وقل مصر مر به إلا سلم له أهله وأعجبـهم من عالم وولي[1114]». وفعل العلامة محمد محمود بـن التلاميـد التركـزي (تـ1323هـ/ 1905م) الذي حج وتجول في البلاد، ونشر العلم بالحجاز، وانتقل إلى مصر التي نال بهـا مكانة عالية حيث كان «آية من آيات الله في حفظ اللغة والحديث والشعر لا يند عن ذهنـه من كل أولئك نص ولا سند[1115]»، و«كان الطلاب الكبار [كما ذكر طه حسين] يتحـدثون أنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية الحـديث متنـاً وسـنداً عـن ظهر قلب[1116]»، وانتهت إليه –حسب رشيد رضا- «رئاسة علوم اللغة والحـديث في هـذه الديار[1117]»، و«كان لا ينفك يتحـدى رجـال اللغـة بالمسـائل الدقيقـة والنـوادر الغريبـة، مستعينا على جهلهم بعلمه، وعلى نسيانهم بحفظه، حتى هابوا جانبـه[1118]». وسـاهم محمـد

[1113] قيل إنه أحد أربعة لم يبلغ عالم في هذا القطر مبلغهم في عصرهم، وهم: المجيدري هذا، وابن رازگه، وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلويان، ومحمد اليدالي الديماني المختار بن حامدن، موسوعة موريتانيا، الجزء الجغرافي، مرجع سبق ذكره، ص86. وأحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص234.

[1114] محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، مرجع سبق ذكره، ص19.

[1115] أحمد حسن الزيات، مجلة الأزهر، سبتمبر 1961، العدد 2، ص291.

[1116] طه حسين، المجموعة الكاملة، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص343.

[1117] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص111.

[1118] أحمد حسن الزيات، مرجع سبق ذكره، ص292.

محمود بن التلاميد في تحقيق ونشر ذخائر التراث العربي، وفي مقدمتها القاموس المحيط الذي تعتبر نسخته المصححة من قبل هذا الشنقيطي هي أصح نسخة متداولة اليوم. «وتقديرا لمكانته كلفه السلطان العثماني عبد الحميد بالسفر إلى إسبانيا لوضع فهرس للمخطوطات العربية هناك، وأعطاه مؤذنا وخادما وسفينة خاصة، وكلف أحد العلماء التونسيين بمرافقته. وقد أنجز ابن التلاميد مهمته. وكان الملك أوسكار ملك السويد والنرويج قد طلب من السلطان أن يوفد إليه الشيخ الشنقيطي ليحدثه عن أشعار العرب وأيامها[1119]».

وكثيرون هم الشناقطة الذين أسهموا بعلمهم في النهضة الحديثة للأمة العربية كالعلامة محمد الخضر بن مايابى (تـ1354هـ/ 1935م) الشنقيطي الذي كان مفتي المالكية بالمدينة المنورة، وقد اشتهر بحفظ الحديث واستظهار تراجم رجال السند وتصحيح المتن، له كتاب كوثر الدراري في شرح البخاري، وقد رحل إلى العراق مع الشريف علي بن الحسين في عهد الملك فيصل الأول الذي أكرمه، وهم أن يسند إليه خطة الإفتاء لولا أن بعض المنتفعين عارضوا ذلك وتمنوا إزاحته لأنه غطى عليهم وأصبحوا وكأنهم طلاب في حلقة درسه، وكان يعظ الناس ويحدثهم بجامع الفضل في بغداد فشهد له العلماء العراقيون بأنه كان آية في الحفظ. وانتقل من العراق إلى الأردن فقربه الملك عبد الله وبقي هناك إلى أن توفى بعمان. وكان ابنه محمد الأمين قاضيا للقضاة في الأردن ووزيرا وسفيرا للملك حسين[1120]، وكأخيه محمد حبيب الله (تـ1364هـ/ 1945م) المدرس بمصر ومؤلف كتاب زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم، وأحمد بن المنجي الإيجيجي الشنقيطي (ولد 1301 هـ/ 1884م) المعروف في المشرق بأحمد المغربي. وقد توثقت صلته بالملك سعود وأقام معه في الرياض سبع سنوات نشر خلالها العلم؛ وكان إمام مسجد ابن عقيل في

[1119] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص270.
[1120] المرجع نفسه، ص273.

الطائف؛ كما كان مفتيا أيضا[1121]، وأحمد بن الأمين الشنقيطي (تـ 1331 هـ/ 1913م) صاحب كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط الذي زود المكتبة المصرية بكم وافر من شعر وأدب الشناقطة، ومحمد الأمين ولد فال الخير الحسني (تـ 1351 هـ/ 1932م)، وكان أحد أبرز من نشروا العلم في العراق والكويت[1122]، والشيخ محمد الأمين بن زيني الكلكمي (تـ 1389هـ/ 1969م) الذي قاد هجرة جماعية من ستمائة عائلة عندما قدم الاستعمار الفرنسي إلى بلاد شنقيط، واستقر بمدينة أوباري بمنطقة فزان الليبية، إلى أن اشتعلت الحرب بين الليبيين والاستعمار الإيطالي فهاجر وحط الرحال بالرشيدية بالقرب من مدينة عمار، حيث أقام زاوية كان لها دورها الكبير في إعادة نشر الإسلام وبث روحه بين قبائل شرق الأردن، وأقام بأضنة بتركيا، وقاتل مع الأتراك ضد الإنكليز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (آب بن اخطور تـ1393هـ/ 1973م) صاحب كتاب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن الذي صحب الملك عبد العزيز ودرس العلم في الرياض والمدينة المنورة، وكانت له مجالس للتفسير في الحرم النبوي افتتن بها الناس وانبهر بها العلماء لسعة حفظه وتنوع معارفه، وقد جمع تلامذته بعض هذه المجالس وطبعت مؤخرا تحت عنوان "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير"، والعلامة محمد الاغظف بن أحمد مولود الجكني الولاتي الذي حج عدة مرات، ودرس في الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي طريق عودته الثالثة من الحج مر بمراكش، فالتقى بالسلطان الحسن بن محمد سنة 1311هـ/ 1893م فأعجب بعلمه وعينه رئيسا للقضاة، وأسند إليه مهمة تعليم الأمراء، وخاصة ابنه الأمير عبد الحفيظ الذي لازمه ونهل من علمه، وأعجب به أي إعجاب، ودفع ذلك المولى عبد الحفيظ إلى تعيينه مفتيا للديار المغربية عندما آل إليه أمر المغرب، وأصبح

[1121] سيد أحمد بن أحمد سالم، العلاقات الثقافية الموريتانية السعودية، مجلة العرب، العدد 29، يناير ـ فبراير 1994، ص 99 ـ 100.

[1122] وقد خلدت العراق ذكر هذا العالم الشنقيطي فخصصت لسيرته أول كتاب مطبوع من سلسلتها "أعلام البصرة". المرجع نفسه، ص274.

بذلك بيت الشيخ محمد الاغظف في مراكش مركزا علميا يؤمه العلماء وطلبة العلم من مختلف مناطق المغرب، وملاذا للوافدين من علماء شنقيط ومشاهيرها. وللشيخ محمد الاغظف مؤلفات عديدة منها الشبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب، وهو شرح لمنظومة ألفها العاهل المغربي المولى عبد الحفيظ، وقد طبع بمصر سنة 1330هـ/ 1912م، وقد ساند الشيخ محمد الاغظف المقاومة ضد الفرنسيين، ورفض الاعتراف بهم وبنفيهم للمولى عبد الحفيظ فأمر الجنرال الفرنسي اليوتى بوضعه تحت الإقامة الجبرية حتى توفي بمراكش سنة 1334هـ/ 1916م، والعلامة المجاهد الذي لم ير له نظير في بلاد المغرب الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل الذي اتصل وهو في طريقه إلى الحج بالسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن بن هشام سنة 1274هـ/ 1857م، واتصل بعد عودته بالسلطان سيدي محمد سنة 1275هـ/ 1858م، ثم بالسلطان الحسن الأول بعد ذلك، وأعانه في حملته لمواجهة الأطماع الإسبانية في المنطقة سنة 1304هـ/ 1886م، وتتلمذ عليه السلطانان مولاي عبد العزيز[1123] ومولاي عبد الحفيظ[1124]، وبلغ من ارتفاع الصيت والاعتزاز ما لم يبلغه غيره، وتوفي الشيخ ماء العينين سنة 1328هـ/ 1910م.

وأضراب هؤلاء الشناقطة الذين أسهموا في نهضة أشقائهم من العرب والمسلمين يعدون بالمئات، وقد أثروا بمعارفهم وعلومهم مختلف المناطق العربية والإسلامية التي كانوا يمرون بها خلال أسفارهم أو رحلات حجهم. وفي رحلتي العلامة الطالب أحمد بن اطوير الجنة (ت1265هـ/ 1849م)، والعلامة محمد يحي الولاتي (ت1330هـ/ 1912م) إلى الحجاز المدونتين ما يكشف عن ثراء العلماء الشناقطة وعبقريتهم وتنوع معارفهم.

ويرجع إلى العلماء والأدباء الشناقطة الذين اتجهوا إلى إفريقيا السوداء تجارا أو معلمين الفضل في نشر الإسلام والثقافة العربية هناك، حيث كانوا ينشرون أينما حلوا الدعوة إلى

[1123] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص281.

[1124] الطالب اخيار بن الشيخ ماميا، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، مرجع سبق ذكره، ص39.

الإسلام، ويعلمون العلم واللغة العربية، فكان شمس الدين (أحد أحفاد محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحي الگلگمي) الشنقيطي المعروف في فوتا تورو الزنجية (بالسينغال حاليا) بچم سي قد أسهم إسهاما كبيرا في نشر العلم بالمنطقة. ويقال بأن شمس الدين هذا هو جد كل من يلقب بسي في بوصيا، وقد ذكرت وثيقة تاريخية عثر عليها في بلدة جول أن «شمس الدين الگلگمي نزل في بلدة سي، على الضفة اليسرى لنهر السينغال، وتزوج من عائلة من أعيان المنطقة وأنجب أنجالا من الذكور صاروا علماء، وانتشروا بتوجيه من والدهم في الأقاليم والقرى ببلاد فوته، ينشرون العلم والدين.. وكانت محاظرهم (مدارسهم الشرعية) من أوائل المحاظر التي سجل التاريخ تأثيرها في البلاد، فمن هذه المحاظر: محظرة بوبكر جم سي (أي بوبكر شمس الدين) في جابي سيلا، وهو جد كل الذين يلقبون بسي في بوصيا.. وهو الجد الأعلى أيضا لأسرة الدائرة التجانية في تيواون السينغالية، كما استطاع فرع من أحفاد بوبكر هذا يدعى الحاج مالك سي النزوح إلى بوندو (بشرق السينغال) وتأسيس إمارة إسلامية هناك كان لها أثر كبير في انتشار الإسلام في جنوب السينغال، ومحظرة باران جم سي (باران شمس الدين) في بولوبران، وانتيكان، ودمات، وتوللد راشد (المذرذرة الحالية)، وإليه ينتسب الذين يلقبون بسي في هذه الأماكن، ومحظرة تگدي جم سي (تگدي شمس الدين) في انجوم، وإليه ينتسب كل من يحمل لقب سي في انجوم وابودور وضواحيها كالجايين وجاترا وغيرها، ومحظرة دوگا جم سي (دوگا شمس الدين)، وإليه ينتسب الذين يلقبون بسي من الفلانيين في بوسيا وتورو وگنار (جنوب النهر بفوته الشرقية) وبلدة گدوديك وچول (شمال النهر)، وقد هاجر كثير من أحفاد دگا جم سي هذا مع الحاج عمر الفوتي وهم الآن في بلدة كوركاجل بانيور، ومحظرة رضوان جم سي (رضوان شمس الدين) ويورو جم سي (يورو شمس الدين) في هاير گلير شمال النهر[1125]».

[1125] بوبكر خالد با، تاريخ الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص59.

وتلقى القاضي السينغالي الشهير عمر فال العلم بمحاظر قبيلة أولاد ديمان قرب المذرذره، قبل قيام حركة الإمام ناصر الدين (تـ 1084هـ/ 1673م)، وأسس محظرة ابيري بإقليم تورو ثم نقلها إلى وسط كايور (12 كلم شمال تيواون)، واستمر يدرس فيها من 1027هـ/ 1618م إلى 1042هـ/ 1633م[1126]، وقد تخرج من هذه المحظرة التي دامت عدة قرون عدد من العلماء والرواد الأفارقة كالحاج مالك سي مؤسس دولة بوندو الإسلامية، وسليمان تشيرنو بال مؤسس دولة فوتا تورو الإسلامية التي درس أكبر أئمتها الإمام عبد القادر كن في محظرة أهل العاقل الديمانيين.

وتتلمذ الحاج عمر الفوتي مؤسس الدولة الإسلامية الكبرى في السودان الغربي لسيدي مولود فال الشنقيطي (تـ 1268هـ/ 1850م)، وأخذ عنه بواسطة عبد الكريم الناقل الطريقة التجانية التي انتشرت عن الشيخ محمد الحافظ العلوي في أرجاء واسعة في إفريقيا.

وفي فوتا جالون انتشر العلم على يد العلامة الحارث بن محنض الشقروي الشنقيطي (تـ1319هـ/ 1901م)، ولا يحصى عدد المشائخ الشناقطة الذين نشروا العلم والدين في مجاهل إفريقيا، أو تولوا مناصب دينية أو سياسية لأمراء أفارقة. وقد أدى الدور الأكبر في التعليم والتربية والدعوة في إفريقيا رجال من الأسر الحاجية، والكنتية، والفاضلية، والعلوية، وأسرة آل الشيخ سيديا، وأسرة آل الشيخ حماه الله، وكان الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه الشيخ سيدي محمد يتبادلان المراسلات مع المجاهد عثمان دان فوديو مؤسس دولة سوكوتو الإسلامية بنيجيريا، وبطريقتهما القادرية كانت تدين دولة ماسنه الإسلامية على نهر النيجر، وتتلمذ ثلاثة من الأئمة الفوتيين على الشيخ سيديا الأبييري(تـ1284هـ/ 1867م)، كما أخذ الشيخ أحمدو بمبا السينغالي مؤسس الطائفة المريدية عن حفيده الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيديا (تـ1342هـ/ 1924م)، وكان لأحمد بن أمين بن الفراء التندغي (تـ1327هـ/ 1909م) منزلة عظيمة عند رؤساء

[1126] المرجع نفسه، ص130 و143.

السودان، وتولى القضاء لتين رئيس بول. وكانت بلاد شنقيط بمثابة مركز الإشعاع الذي مكن إفريقيا السوداء من التعرف على الإسلام، والتمسك به، والتفقه في علومه، ونشر العربية بين المؤمنين به.

ومع أن هذه البلاد، باستثناء حواضر صغيرة قليلة لا يتجاوز عددها أصابع اليد، كانت أرض بادية، أهلها يتتبعون مواقع القطر وينتجعون الغيث، فقلما خلا حي من أحيائها من محظرة يتسابق إليها الطلاب أو عالم يشار إليه بالبنان، يعلم العلم حالا، ومرتحلا على ظهور العيس[1127]، فلذلك كثر فيها العلماء وانتشرت المؤلفات التي ضاهت –بل تفوقت أحيانا- في جودتها على المؤلفات القادمة من خارج البلاد، سواء في علوم القرآن، أو الحديث، أو العقيدة، أو الفقه، أو اللغة، إلى درجة أن المتون الشنقيطية أصبحت أهم مصادر مناهج التعليم في محاظر البلاد، وبعض هذه المؤلفات يدرس اليوم في العديد من جامعات الدول العربية والإسلامية ، كما هو حال كتاب مراقي السعود في الأصول، وكتاب طلعة الأنوار في مصطلح الحديث، وكتاب نور الأقاح في البلاغة ثلاثتها لعلامة دهره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (تـ1233هـ/ 1818م)، ونظما الغزوات وعمود النسب للعلامة المجلسي أحمد البدوي (تـ1209هـ/ 1793م)، وطرة العلامة اللغوي الشهير المختار بن بونه الجكني (تـ1220هـ/ 1805م) على ألفية ابن مالك في النحو واحمراره عليها، وطرة العلامة الحسن بن زين الگناني (تـ 1315هـ/ 1898م) على لامية ابن مالك في التصريف، والميسر شرح مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي للعلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني (تـ1277هـ/ 1860م) الذي صوب فيه بعض الأخطاء التي درج عليها أغلب شراح خليل، كما صوب بعض أخطاء شروح ألفية ابن مالك في النحو إبان تأليفه لطرته عليها، إضافة إلى مؤلفات العلامة مولود بن أحمد فال اليعقوبي (تـ1323هـ/ 1905م) وغيره.

[1127] وإلى ذلك أشار علامة القطر المختار بن بونه الجكني بقوله:

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين ديـــــن الله تبيانا.

وقد أفتى العلماء الشناقطة وألفوا في ما لم يتكلم فيه أئمة المذهب من نوازل خاصة بالبادية وبالبلاد السائبة (بلاد شنقيط) وأعراف وعوائد أهلها، كما فعل نابغة عصره العلامة الشيخ محمد المامي الباركلي الشمشوي (تـ1282هـ/ 1865م) في مؤلفه كتاب البادية، ومؤلفه الجمان وغيرهما. وتصل الثروة المحفوظة اليوم من فتاوي ونوازل الشناقطة إلى نحو عشر آلاف فتوى ونازلة، وتناهز مؤلفاتهم في مختلف المجالات الشرعية هذا العدد.

وكما برع الشناقطة في علوم الشرع برعوا في الأدب والشعر فدرسوا الدواوين القديمة واستظهروها حفظا، وقرضوا الشعر وأكثروا منه حتى اشتهرت بلادهم ببلاد المليون شاعر.

وأقدم شعر شنقيطي ترويه الذاكرة اليوم قصيدة في التوسل تنسبها الرواية الشفهية إلى الإمام محمد غلي، جد قبيلة الاغلال الحالية (ق9هـ/ 15م)[1128].

وفي ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الهجريين (15-17م) تذكر المراجع مقطعات شعرية محدودة، مثل القطعة المنسوبة إلى محمد بن مسلم الديسفي (الإيديشفي) الجكني في مدح المحاجيب[1129]، والمقطعات المنسوبة إلى الشيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي (تـ959هـ/ 1552م) في المديح النبوي والتوسل[1130]، فقد كان المجتمع في هذه الفترة ما يزال ينظر إلى قرض الشعر على أنه أمر مكروه شرعا، ويتحرج من إنشائه وإنشاده ما لم يتعلق الأمر بغرض شريف.

[1128] مطلع هذه القصيدة:

الحمد لله ما دام الوجود له — حمدا يبلغنا منه الرضى أبدا.

[1129] مطلع هذه القطعة:

إذا كانت جوالا وفي الأرض تبتغي — منازل بعض الصالحين ذوي الفكر.

[1130] من ذلك قوله:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم — وهذه حضرة المختار في الحرم

وهذه الروضة الغراء ظاهرة — وهذه القبة الخضراء كالعلم...إلخ.

وانظر، عبد الله بن بن احميده، الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط مبحث النشأة والأصول، ط1، 2001، ص157-176.

وفي القرن الحادي عشر الهجري (17م) تتحدث الرواية عن أمر إمام الزوايا ناصر الدين بتعزير الشاعر حبيب بن بلا اليعقوبي على إنشائه بيتي شعر غزليين[1131].

ومثل القرن الثاني عشر للهجرة (18م) الذي شهد توسعا كبيرا في مجال تعرب الشرائح الصنهاجية من المجتمع قرن الانتشار الغزير للشعر الشنقيطي، وظهور شعراء فحول ما زالت دواوينهم متداولة حتى اليوم، من أوائل المشهورين منهم سيدي عبد الله بن رازگه العلوي المتوفى 1143هـ/1731م، ومحمد اليدالي الديماني المتوفى 1166هـ/ 1753م، وعصريهما بوفمين المجلسي. ثم لم يزل الشعراء بعد ذلك يكثرون، ومادة الشعر الشنقيطي تتنوع إلى أن صار الشعر كأنه سجية من سجايا أهل هذه البلاد[1132].

وقاد هذا الوضع الشناقطة إلى طرق كافة أغراض الشعر، ومعارضة مختلف الشعراء، كما فعل الشاعر المجيد امحمد بن الطلبة اليعقوبي (ت1272هـ/ 1856م) الذي عارض ميمية حميد بن ثور الهلالي، وجيمية الشماخ بن ضرار الغطفاني، وقال إنه يتمنى أن يجتمع مع هذين الشاعرين في ملإ من أهل الجنة، وينشدوا قصائدهم ليحكم بينهم هذا الملأ أيهم أحسن شعرا.

وتزخر البلاد اليوم بعشرات –أو مئات- الدواوين الشعرية التي تركها لنا أجيال من الشعراء الذين عاشوا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (19و20م)، وتبرهن أعمالهم على أن النهضة الشعرية في بلاد شنقيط سبقت النهضة الشعرية في

[1131] هذان البيتان هما:

رب حوراء من بني سعد الاوس ... حبها قائم بـــــذات النفوس

جعلت بيننا وبيـــن الغواني ... والكرى والجفون حرب البسوس.

[1132] ولهذا قال الشاعر الشنقيطي محمد فال بن عينين الحسني:

الطفل يولد فينا كابن ساعدة ... منقحا دررا أصـــدافها ذهب

انظر إلى ما لنا من كل قافية ... لها تنم شذور الزبرج القشب.

وقال الشاعر محمذن بن السالم الحسني:

مصداق أني كريم العيص منتسب ... إلى قريش بيوت العز والجدل

نسجي القريض وإحكامي قوافيه ... ولا أميز بين العطف والبدل.

البلاد العربية الأخرى[1133]، ووصلت إلى درجة دفعت الأستاذ طه الحاجري إلى القول بأن «الصورة التي أتيح لنا أن نراها لشنقيط في هذين القرنين جديرة بأن تعدل الحكم الذي اتفق مؤرخو الأدب العربي على إطلاقه على الأدب العربي عامة، فهو عندهم وكما تقضي آثاره التي بين أيديهم أدب يمثل الضعف والركاكة[1134]»، بينما توفر الشناقطة، كما بين ذلك الأستاذ عبد اللطيف الدليشي، على «شعراء فحول لا يقلون مستوى عن أمثال المتنبي والبحتري وشوقي والرصافي[1135]».

وقد مكنت هذه النهضة الشناقطة من تنظيم مقاومة ثقافية قوية للاستعمار الفرنسي لا تقل ضراوة عن المقاومة السياسية والعسكرية له.

[1133] يقدم كتابا "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" لأحمد بن الأمين الشنقيطي و"الشعر والشعراء في موريتانيا" لمحمد المختار بن اباه صورة عن المستوى الرفيع الذي وصل إليه الأدب الشنقيطي خلال عهد النهضة الثقافية لبلاد شنقيط (ق11-14هـ/ 17-20م) ويقدم كتاب أحمدو (جمال) بن الحسن "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الأساليب" دراسة أسلوبية مستفيضة عن الشعر الشنقيطي، كما يقدم كتابا "فتح الشكور في أعيان علماء التكرور" للبرتلي و"منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور" للطالب أبي بكر المحجوبي نماذج من تراجم وسير الأعلام الشناقطة، ويقدم كتاب "بلاد شنقيط المنارة والرباط" صورة عن المحظرة الموريتانية طبيعتها ومناهجها وأعلامها. وقد جمع المؤرخ المختار بن حامدن فهرسا ضم الآلاف من المؤلفات والدواوين الشنقيطية التي تزخر بها اليوم المكتبات ودور المخطوطات المختلفة العامة والخاصة في البلاد، كما ألف المستشرق الألماني روبشتوك موسوعة جمع فيها عشرة آلاف مؤلف شنقيطي، وجمع الباحث يحيى بن البراء مدونة للفتاوى الشنقيطية ترجم خلالها لنحو ألف عالم شنقيطي، وضمنها نحو ست آلاف فتوى فقهية من فتاوى بلاد الصحراء الشنقيطية، فجاءت مدونته أكثر بألف فتوى من مدونة الونشريسي المشهورة باسم "المعيار المعرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب".

[1134] النحوي، المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص257.

[1135] المرجع نفسه، ص257.

إرهاصات الاستعمار

يعود الاهتمام الفرنسي باستكشاف بلاد شنقيط إلى القرن السابع عشر ميلادي (11هـ)، ففي سنة 1630م/ 1040هـ غرقت إحدى السفن الفرنسية التي كانت تجوب المنطقة، ونجا ابول إيمبير الذي كان على متنها، فأسره البيضان. ولم يسجل هذا الفرنسي تجربته حيث مات وهو ما يزال في أسرهم.

وبعد هذا التاريخ بعشر سنوات وصل الرحالة الفرنسي شارانت إلى بلاد شنقيط، وأمضى مع البيضان خمسا وعشرين سنة، ومكث ثماني سنوات في بلاط سلطان المغرب المولى رشيد[1136].

وفي سنة 1685م (1096هـ) قام مدير مستعمرة السينغال الفرنسي دولاكورب بأول استكشاف فرنسي موثق، وحملت رحلته التي نشرت عنوان: "رحلة السيد دولاكورب الأولى إلى الساحل الإفريقي سنة 1685م"، وقد ضمنها معلومات مستفيضة عن تقاليد وعادات البيضان وعلاقاتهم بالزنوج، وعن التبادل التجاري بالمنطقة خاصة تجارة العلك، وتحدث فيها عن التجارة في محطتي تكشكمبه (لإيدوالحاج الترارزة) وتيريي روج (قرب بودور) البركنية، وعن لقائه بأمير الترارزة هدي بن أحمد بن دامان والفرح الذي قابل به الهدايا العرفية المقدمة له من قبل الفرنسيين[1137].

وفي ما بين سنتي 1697م (1096هـ) و1702م (1113هـ) قام مدير مستعمرة السينغال الفرنسية آنذاك آندري بري بالتجول في منطقة نهر السينغال والالتقاء بالبيضان، وجمع معلومات عن المنطقة.

[1136] محمد سعيد بن همدي، موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، سلسلة مقالات، ترجمة محمد بن محمد المختار، مرقون، ص6.

[1137] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001، ص71.

وفي مطلع القرن الثامن عشر زار القس لابات آرگين، وكتب بتفصيل رحلته إلى أرض البيضان، كما تحدث عن رحلات مدير المستعمرة السينغالية آندري بري.

وفي سنة 1778م (1192هـ) قام الحاكم الفرنسي العام لجزيرة گوري السينغالية ألكسندر لوبراسور بزيارة الساحل الأطلسي لأرض البيضان، وقام بجمع معلومات عن البيضان وطرق التبادل التجاري معهم.

وفي مايو (ربيع الثاني) من نفس السنة تحطمت بالساحل الشنقيطي سفينة "لومارين" الفرنسية فوقع ركابها أسرى في يد مجموعة من صيادي إيمراگن، وأمضوا شهرين في الأسر وجابوا الساحل الشنقيطي من الرأس الأبيض إلى اندر (سينت الويس)، وكان من بين هؤلاء الأسرى قس يدعى اگليكور، فقام بتدوين رحلتهم واصفا حياة السكان البيضان ومعاملتهم لهم[1138].

وفي السنة الموالية قام تاجر فرنسي بالسينغال يدعى دومنيك لاميرال بالتجول في منطقة حوض النهر، وكتب كتابا حول مشاهداته أفاض فيه في الحديث عن البيضان وحياتهم وأنشطتهم المختلفة.

وفي يناير 1784م (صفر 1198هـ) غرقت بالشواطئ الشنقيطية سفينة فرنسية تسمى "لي دوزامي" (الصديقان) فأسر البيضان اثنين ممن كانوا على متنها هما صوني وجاك فولي، وقضى هذان الفرنسيان ثلاثة أشهر في الأسر متنقلين عبر الصحراء مع البيضان، وكتبا عن تجربتهما وعن حياة شعب البيضان الذي أسرهما.

وفي إبريل سنة 1785م (جمادى الأولى 1199هـ) تجول الفرنسي جان باتيست دوران مدير شركة السينغال الفرنسية في المحطات التجارية النهرية، وكتب عن رحلته هذه متحدثا بإسهاب عن منطقتي الترارزة والبراكنة.

[1138] محمد سعيد بن همدي، موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، مرجع سبق ذكره، ص8. ومحمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص68-96.

وفي شعبان (يوليو) من نفس السنة غرقت بجزيرة آرگين سفينة فرنسية كانت تقل ابيير ريموند ديبريسون فوقع في أسر البيضان، ومكث معهم أربعة عشر شهرا في تجوالهم، وكتب عن تجربته وعن المنطقة بعد عودته إلى فرنسا.

وفي خريف نفس السنة تجول الرحالة الفرنسي اگزافيي كولبيراي في المنطقة النهرية، وضمن رحلته التي استمرت ثلاث سنوات معلومات كثيرة عن البيضان وعن التبادل التجاري معهم.

كما تجول في المنطقة في نفس السنوات الفرنسي فيلونوف جوفروي وترك مؤلفا يصف فيه رحلته ويتحدث فيه عن البيضان.

وفي يوليو 1816م (شعبان 1231هـ) تحطمت سفينة "لاميديز" الفرنسية جنوب الرأس الأبيض على السواحل الشنقيطية، ونجا الفرنسي گاسبار تيودور موليين من هذا الحادث وتمكن من الوصول إلى اندر، ثم تجول بين الساحل الأطلسي الشنقيطي ومحطات التبادل النهرية بين الفرنسيين والبيضان. وبعد عودة خاطفة إلى فرنسا رجع موليين وقام برحلة إلى منابع السينغال وغامبيا، ونشرت رحلته هذه سنة 1820م (1235هـ) تحت عنوان: "رحلة إلى قلب إفريقيا ومنابع السينغال وغامبيا".

وفي أغسطس 1824م (ذي الحجة 1239هـ) أشرف الوالي الفرنسي بالسينغال البارون روجي على تنظيم رحلة المستكشف الفرنسي ريني كايي المشهور عند البيضان بولد كيجه الذي قام باستكشاف بلاد البراكنة، وكان يفكر في الاتجاه منها برا إلى تنبكتو، وقضى في البراكنة تسعة أشهر متنقلا من مكان إلى آخر، مدعيا بأنه مصري مسلم يسمى عبد الكريم، جاء ليتعلم العلم، حيث التحق بمحظرة محمد بن سيدي المختار الإيجيجي، وعاد إلى بلاده في مايو 1825م (رمضان 1240هـ) بعدما جمع معلومات مهمة عن البيضان وعن منطقة البراكنة.

وقام بويي ياميز الذي تم تعيينه سنة 1842م (1258هـ) واليا بالسينغال بإعادة تنظيم الوجود الفرنسي بهذه المستعمرة، متجاوزا طبيعته التجارية إلى الوضع

الاستعماري، وطلب من فرنسا الموافقة على استخدام القوة ضد البيضان لإنهاء هيمنتهم على الممالك السودانية الواقعة جنوب النهر[1139].

وفي اكتوبر 1843م (رمضان 1259هـ) قام الضابط البحري جان فرانصوا كاي بمهمة استطلاعية في حوض نهر السينغال قادته إلى كل من بلاد الترارزة والبراكنة حيث جمع معلومات عن السكان ونمط حياتهم. وأطلق هذا الضابط لأول مرة تسمية موريتانيا على بلاد البيضان الشناقطة.

وفي السنة الموالية قام الموظف الفرنسي بالسينغال آن رافينيل بمهمة استكشافية في حوض نهر السينغال جمع خلالها معلومات عن البيضان وعلاقاتهم بالزنوج[1140]. وقام الوالي بويي وياميز في نفس السنة بحملة استعراضية في الترارزة، وجابت وحداته البراكنة، وباشر اختطاف الأمير البركني المختار بن سيدي ووزيره عبد الله انجاي، ثم نفاهما إلى الگابون[1141].

وأدرك البارون روجي الذي عاد إلى فرنسا وأصبح رئيسا للجنة الجزائر والمستعمرات بالبرلمان الفرنسي الأهمية الاستراتيجية التي تحظى بها بلاد شنقيط بسبب موقعها الواقع بين المستعمرتين الفرنسيتين الجديدتين السينغال والجزائر، فقام في 27 نفمبر 1848م (فاتح محرم 1265هـ) بتوجيه رسالة إلى وزير البحرية الفرنسي اقترح عليه فيها تنظيم رحلة استكشافية تدرس سبل الربط بريا بين الجزائر والسينغال، معتبرا «أن ذلك ستكون له أهمية كبيرة للتجارة والعلوم والسياسة معا[1142]». واقترح البارون

[1139] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مجلة مصادر، الكراس الثالث، 2002، ص21.

[1140] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص72.

[1141] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص22.

[1142] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص102.

روجي على الوزير الفرنسي تكليف ليوبولد ابانى، وهو مولد فرنسي سينغالي، بالقيام بهذه المهمة، مبررا اقتراحه بأن ابانى يعرف القليل من الحسانية ويمكنه أن يتقنها بسهولة إذا قضى شهرين في أحد مخيمات الزوايا، حيث سيتعلم التقاليد التي عليه أن يلتزم بها كي لا يثير شكوك أو انزعاج القبائل البيضانية التي سيمر بها خلال رحلته. وتم تكليف ليوبولد ابانى رسميا بهذه المهمة فباشر في تنفيذها سنة 1850م (1266هـ) مدعيا أنه مسلم من أصل تركي، لكن ابانى عدل عن التوجه إلى الجزائر واتجه إلى المغرب بعدما تعرض للضرب والشتم والشك في صدق إسلامه، وتعرضت قافلته للنهب.

وفي مارس 1851م (ربيع الثاني 1267هـ) قام الوالي الفرنسي ابروتى الذي حل محل بويي وياميز بجولة عبر النهر استطلع خلالها المشاكل التي يواجهونها مع الترازة وغيرهم من البيضان، وخلص –كما كتب في الرسالة التي وجه إلى وزير المستعمرات في 15 مايو 1851م (14 رجب 1267هـ) إلى أن «الحرب [مع الترارزة] لا مناص منها، وسنخوضها عاجلا أو آجلا، وعلينا أن نوقت لها، وأنا على يقين من أنكم ستمدونني بالوسائل الكفيلة بخوضها بصفة شاملة ومحمودة العواقب ضد الترارزة وكل [سكان] النهر.. فتلكم هي الطريقة الوحيدة لترسيخ نفوذنا وضمان تجارتنا على النهر بشكل دائم[1143]».

وفي فاتح نفمبر 1854م (9صفر 1271هـ) تم تعيين الجنرال فيديرب خلفا لابروتى، فعمل على تنفيذ التصورات السياسية التي وضعها سلفه، وقام بمحاربة الترارزة وغيرهم من البيضان لإجبارهم على ترك الضفة الجنوبية لنهر السينغال واعترافهم بسلطة فرنسا عليها. وقام فيديرب في الثامن من نفمبر 1855م (27 صفر 1272هـ) بتوزيع منشورين مكتوبين بالعربية جاء فيهما: «ألم ير محمد الحبيب [أمير الترارزة] أن الله أجرى النهر، وجعله حاجزا وفاصلا وحدا بين البيضان والسودان، فلا

[1143] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص23.

بد من احترام حدود الله[1144]»، ثم خاض عدة حروب في المنطقة مكنته من تدعيم النفوذ الفرنسي في مستعمرة السينغال، ومن إجبار أمراء الترارزة والبراكنة وإيدوعيش على التنازل عن سيادة البيضان على الضفة الجنوبية، وتوقيع اتفاقيات يقبلون فيها بتغيير أسس التبادل التجاري، وبالسيادة الفرنسية على الضفة الجنوبية، وبكون نهر السينغال هو الحد الفاصل بين بلادهم وبلاد الزنوج.

وعمل فيديرب على توسيع الاستكشافات في بلاد شنقيط، فقام بإيفاد عدة بعثات لاستكشاف مختلف مناطق بلاد شنقيط، ودراسة سبل ربط الجزائر بخط بري بالسينغال عبر الأراضي الشنقيطية، فكلف الملازم البحري إيجن ماج في دجمبر 1859م (جمادى الأولى 1276هـ) بالتوجه إلى منطقة تگانت مرورا بمنطقتي گيدي ماغه والعصابه لدراسة المنطقة وجمع معلومات استكشافية عنها. وختم ماج مهمته بتقرير نشر بعد عودته من رحلته ببضعة أشهر(سنة 1860م/ 1277هـ) تحت عنوان "رحلة إلى تگانت" خلص فيه إلى أن الربط الآمن بين الجزائر والسيغال في ذلك الزمن عبر بلاد البيضان يكاد يكون مستحيلا[1145].

وكلف فيديرب ضابط الهندسة البحرية فيلكران في 1860م (76-1277هـ) بمهمة مماثلة بالساحل الأطلسي الشنقيطي، خاصة منطقة آرگين، وقد درس فيلكران بمساعدة مرافقه الضابط البحري أوب منطقة خليج آرگين ووضعا لها خريطة مفصلة، ونشرا تقريرا عن مهمتهما تحت عنوان "استكشاف خليج آرگين"، وأوفد نقيب الأركان العامة الضابط هانري فينصان إلى منطقة آدرارعبر مناطق الترارزة وإينشيري وتيرس. وقد استغرقت رحلة هذا الضابط الذي يرافقه المترجم السينغالي المختار بن عبد الله الشيخ سك المشهور بابن المقداد وأربعة جنود وخادم سبعين يوما قطع خلالها ألفي كلم، وتعرض خلالها للنهب، ومنع من دخول أطار وشنقيط، وأنجز هذا المستكشف

[1144] المرجع نفسه، ص36.

[1145] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص109.

أولى خرائط البلاد. وقد نشرت رحلة فينصان تحت عنوان "رحلة استكشافية داخل آدرار".

وأرسل فيديرب الملازم الأول البحري دومنيك بوريل إلى منطقة البراكنة يوم 12 يوليو 1860م (23 ذي الحجة 1276هـ) في رحلة استغرقت ثلاثة أشهر تجول خلالها في مختلف أنحاء البراكنة، ونشرت رحلة هذا المستكشف تحت عنوان "رحلة داخل بلاد بيضان البراكنة". وبعث في نفس الفترة الملازم علي صل وهو سينغالي انخرط في الجيش الفرنسي إلى منطقة الشرق الشنقيطي، واستغرقت رحلة هذا المستكشف ثمانية وعشرين شهرا.

وفي دجمبر 1860م (جمادى الأولى 1277هـ) مول فيديرب رحلة حج للسينغالي المختار بن عبد الله الشيخ سك (ابن المقداد) كي يتمكن من اجتياز الصحراء وجمع معلومات عنها، وقد نشرت رحلة ابن المقداد تحت عنوان "رحلة برية بين السينغال والمغرب".

وفي دجمبر 1879م (ذي الحجة 1296هـ) نظمت الحكومة الفرنسية رحلة استكشافية للمستكشف ابول صولي تهدف إلى دراسة إمكانية إنشاء للسكة الحديدية يربط بين الجزائر والسينغال عبر أعالي السودان، لكن صولي الذي أصبح يوم 20 مارس 1880م (8 ربيع الثاني 1297هـ) على مقربة من أطار تعرض لنهب قافلته من قبل مجموعة من أولاد دليم كادت أن تقتله لولا تدخل الشيخ سعد بوه، وعاد صولي أدراجه بعدما قضى خمسة وخمسين يوما في بلاد البيضان قطع خلالها أكثر من ألف كلم، وتوج مهمته بوثيقة تحمل عنوان "تقرير إلى وزير الأشغال العمومية حول رحلة بين سينت الويس وآدرار دجمبر 1879م- مايو 1880م"[1146].

وفي نهاية 1880م (1297هـ) انطلق من الشمال الضابط الفرنسي ابول افلاتير عضو لجنة السكة الحديدية العابرة للصحراء من ورگلة صحبة ثمانية فرنسيين، وفرقة

[1146] المرجع نفسه، ص119.

حراسة جزائرية لاستكشاف الصحراء وتحديد النقاط المحتملة لطريق السكة الحديدية، لكن التوارگ اغتالوا الضابط افلاتير ومعظم مرافقيه في الطرف الجنوبي من الصحراء الجزائرية في فبراير 1881م (ربيع الأول 1298هـ). وانطلق من الجنوب للقيام بنفس المهمة بمنطقة حوض نهر النيجر مدير الشؤون السياسية بمستعمرة السينغال الضابط الفرنسي جوزيف گالييني، وأسر هذا الضابط وثلاثة من مرافقيه من قبل قوات الأمير أحمدو بن الحاج عمر الفوتي[1147].

وفي مطلع 1887م (ربيع الثاني 1304هـ) كلفت الحكومة الفرنسية عضو المجلس الأعلى للمستعمرات شارل صولير باستكشاف السواحل الأطلسية الشنقيطية، فزار الرأس الأبيض، وخليج آرگين، والجزر القريبة منه.

ووصل في نفس التاريخ المستكشف الفرنسي كامي دولس إلى السواحل الشمالية لبلاد شنقيط، وكان قد تعلم مبادئ الإسلام والعربية في الجزائر، فأسره أولاد دليم غير أنهم لم يقتلوه لأنه ادعى لهم أنه جزائري مسلم، وحملوه إلى الشيخ ماء العينين الذي أطلق سراحه. وكتب هذا المستكشف معلومات متنوعة عن تيرس وآدرار والصحراء الغربية التي تجول فيها.

وفي سنة 1888م (1305هـ) كلفت فرنسا دولس باستكشاف الطريق المؤدية إلى تنبكتو من مراكش عبر توات وتافلالت، فاغتاله أدلاؤه من التوارگ في فبراير 1889م (جمادى الآخرة 1306هـ).

وفي 1889م (1306هـ) وصل الفرنسي ليون فابير إلى السواحل الجنوبية الغربية لبلاد شنقيط، وزار منطقة آرگين، وعاد في سنة 1891م (1308هـ) إلى المنطقة فقام برحلات داخل البلاد زار خلالها بلاد التارزة وإينشيري وآدرار. ونبه هذا المستكشف في رحلته التي نشرت تحت عنوان "رحلة داخل بلاد التارزة والصحراء الغربية" على

[1147] محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص44.

ضرورة تمركز فرنسي قوي على الشاطئ الشنقيطي لإفشال المحاولات الإسبانية في وادي الذهب والبريطانية في الطرفاية[1148].

وفي 1893م (1310هـ) كان الفرنسيون في مالي يتحركون لبسط سلطاتهم على الأطراف الشرقية لبلاد شنقيط، حيث احتلوا تنبكتو سنة 1894م (1311هـ).

وفي نفس السنة قام الفرنسي گاستون دوفى صحبة زميله هانري بونيفال برحلة استكشافية انظلقت من اندر (سينت الويس) متجهة إلى المغرب، فمر بالترارزة وآرگين، لكن قافلته نهبت فعاد أدراجه، ونشر رحلته التي أكد فيها على ضرورة إسراع فرنسا في بسط سيطرتها على الشاطئ الشنقيطي، تحت عنوان: "مهمة في الصحراء الغربية من السينغال إلى تيرس"[1149].

وفي مارس 1899م (شوال 1316هـ) قررت فرنسا إيفاد بعثة استكشافية إلى عمق البلاد، وتم تكليف عالم آثار فرنسي يدعى بول بلانشي بقيادة البعثة التي تضم فرنسيين آخرين أحدهما جيولوجي يدعى ديرينس، والآخر عسكري يسمى اجوينو گامبيتا، كما تضم المترجم محمدن بن المختار بن عبد الله الشيخ سك المشهور بمحمدن ولد ابن المقداد، وثلاثين مجندا إفريقيا، وتتوفر على 85 جملا من بينها 67 محملة بالبضائع والمؤن. وقد حظيت هذه البعثة التي مثلت آخر محاولة فرنسية لاستكشاف البلاد قبل احتلالها العسكري بعناية كبيرة من قبل الفرنسيين إذ تولت مجموعة من رجال الأعمال الفرنسيين تمويلها، وقدمت لها وزارتا البحرية والدفاع الدعم والمساعدة، بينما أشرف الوالي الفرنسي في السينغال على تسخير فرقة عسكرية لضمان أمن البعثة وتقديم التسهيلات اللازمة لإنجاح مهمتها التي كانت تهدف إلى البحث عن المعادن في البلاد، والتنقيب عن نترات الصوديوم والذهب في بلاد شنقيط، ودراسة المنطقة المناسبة لمرور خط حديدي ينطلق من جنوب وهران إلى السينغال

[1148] محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص143.

[1149] المرجع نفسه، ص168.

مرورا بآدرار، فضلا عن دراسة سبل بسط النفوذ الفرنسي على البلاد. وانطلقت هذه البعثة من اندر في إبريل 1900م (ذي الحجة 1317هـ) ووصلت إلى أطار الذي استقبلهم سكانه بالشتائم والتهديد، مطالبين الأمير بعدم السماح للنصارى بدخول المدينة، لكن أحمد بن الأمير المختار تولى استضافة البعثة نيابة عن والده الذي كان يوجد حينها خارج المدينة، وتعهد بحمايتها. وبعث ابلانشي ولد ابن المقداد إلى الأمير لإقناعه بالمجيء إلى أطار، أو السماح للبعثة بالانتقال إليه لتوقيع اتفاقية تجارية جديدة مع فرنسا. وبينما كان محمدن ولد ابن المقداد يفاوض الأمير خارج أطار، تمت مهاجمة البعثة من قبل السكان، ووقعت اشتباكات متقطعة بين الطرفين يومي 9 و10 يونيو 1900م (11 و12 صفر 1318هـ) أسفرت عن قتل عشرة أشخاص من المجندين، وتم نهب القافلة، وأسر الفرنسيين الثلاثة، بينما لاذ بقية الجنود بالفرار عائدين إلى اندر[1150].

وأوفد الوالي الفرنسي على وجه السرعة رسلا إلى كل من الشيخ سعد بوه والمختار ابن عيده لضمان سلامة الفرنسيين. وطالب سكان آدرار الغاضبون من دخول النصارى إلى بلادهم بإرسال هؤلاء الفرنسيين إلى الشيخ ماء العينين في السمارة، لكن الشيخ سعد بوه نجح أخيرا في استخلاصهم مقابل فدية مالية بعدما قضوا سبعة وسبعين يوما في الأسر. وحرر ابلانشي تقريرا عن هذه المهمة تحدث فيه عن طبيعة المنطقة وثرواتها وسكانها وأنشطتهم الاقتصادية، كما تحدث عن مواقفهم السياسية من بسط النفوذ الفرنسي على المنطقة.

وتزامن هذا التقرير مع شروع فرنسا في الاستعداد للاحتلال الفعلي لبلاد شنقيط على يد مفوضها الاستعماري الشهير كبلاني.

[1150] محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني، مرجع سبق ذكره، ص169 - 228.

خاتمة

الاستعمار المباشر

تعلم الفرنسي اگزافيي كوبولاني (كبلاني) العربية، وتعرف على الإسلام بالجزائر حيث نشأ، ثم تخصص في الطرق الصوفية، وعمل على التقريب بين فرنسا والإسلام، مروجا لفكرة التعامل بتسامح مع المسلمين والعمل على كسب ود المشائخ الدينيين.

وفي يناير 1899م (رمضان 1316هـ) قام الجنرال الفرنسي المقيم بالجزائر ديترانتنيان بتكليف كبلاني بأول مهمة له في بلاد البيضان، تمثلت في القيام بدارستهم من وجهة النظر السياسية والدينية، وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلمية. وكان هدف كبلاني السياسي الأول هو مسالمة أولاد علوش ومشظوف، بينما كان هدفه الثاني استكشاف أحوال البيضان الدينية والتعرف على طرقهم الصوفية لاسيما الطريقة الفاضلية المنتشرة في الحوض ودورها في الحياة السياسية[1151]. ونجح كبلاني في هذه المهمة، فرد وزير المستعمرات الفرنسي على هذا النجاح بالكتابة إلى الوالي الفرنسي العام بالجزائر في 30 دجمبر 1899م (26 شعبان 1317هـ) بأنه نظرا لنجاح كبلاني في مهمته في بلاد البيضان فإن «الوقت قد حان لكي نعطي لعلاقاتنا مع هذه القبائل وجهة أكثر اتساقا مع تقاليدهم ومعتقداتهم[1152]».

وقررت فرنسا بناء على اقتراح من كبلاني دراسة فكرة احتلال الأقاليم التي يسكنها البيضان من الضفة اليمنى للنهر إلى خاي إلى تنبكتو إلى الجنوب الجزائري وإلى تخوم المغرب، وجمع هذه الأقاليم في مكونة استعمارية خاصة بها، وتم منح كبلاني لقب وصفة

[1151] الرائد جيلبيه، التوغل في موريتانيا، تعريب الدكتور محمدن بن حمينا، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت 2007، ص127.

[1152] روبير راندو، اگزافيي كوبولاني لوياسيفيكاتير، مطبعة أ. إيمبير، 1939، الجزائر، ص72.

مقيم ببلاد البيضان البلاد التي أطلق عليها اسم موريتانيا الغربية مكلف بدراسة سبل إدارتها السياسية والإدارية، فقام كبلاني صحبة فرنسي آخر يدعى بينگير بإعداد مشروع احتلال البلاد، وقدماه إلى وزارة المستعمرات التي أحالته إلى الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية لدراسته. لكن الوالي اعترض عليه قائلا «بأنه من الخطورة بمكان تغيير الوضع القائم بشأن العلاقات الفرنسية البيضانية المستقرة منذ أكثر من 50 سنة[1153]». كما اعترض عليه الوزير ديلكاسي ذاكرا أنه «لا يمكننا في هذا الظرف إغضاب إسبانيا وإنگلترا بعزل وادي الذهب ورأس جيبي (الطرفاية) اللتين تطالبان بهما[1154]».

ورد كبلاني على هذه الاعتراضات بتقديم مشروع أصغر يستثني وادي الذهب من خطة الاحتلال، ووافق الوزير ديلكاسي على هذا المشروع.

وفي مارس 1901م (ذي القعدة 1318هـ) وصل كبلاني إلى اندر (سينت الويس) في مهمة استطلاعية جديدة أخذ خلالها في توثيق عرى الصداقة مع عدد من مشائخ البيضان الدينيين، ثم عاد إلى فرنسا ليقنع السلطات بأن الأوان قد آن للشروع في تنفيذ الاحتلال.

وأخذ الفرنسيون في التمهيد لسياستهم الاستعمارية بقيامهم في مارس 1902م (ذي القعدة 1319هـ) بالتدخل بصورة مباشرة في شؤون البيضان، حيث قاموا بإنشاء ثكنة مراقبة عسكرية في دگانه تتكون من فرقة مشاة، وفرقة من الخيالة السينغاليين، وفرقة مدفعية، تحت إمرة الرائد الفرنسي ديلابلان مكلفة بفرض زعامة الأمير أحمد سالم بن اعلي على الترارزة، ثم انتقلت هذه الثكنة في شهر مايو مع الأمير أحمد سالم إلى سهوة الماء شمال بحيرة الركيز حيث انضم إليه أنصاره. ومثل ذلك أول حضور عسكري للفرنسيين في بلاد البيضان. وتهادن الأمير أحمد سالم بن اعلي مع سيدي بن محمد فال الذي كان ينازعه الإمارة فانسحبت الثكنة الفرنسية من سهوة الماء.

[1153] المرجع نفسه، ص73.

[1154] المرجع نفسه، ص73.

وفي يونيو 1902 (ربيع الأول 1320هـ) صدر مرسوم يعين كبلاني أمينا عاما لمستعمرات الفئة الثانية مكلفا بقسم الدراسات الإسلامية والصحراوية، ثم عين من قبل الوالي العام لإفريقيا الغربية الفرنسية مفوضا عاما لموريتانيا في اكتوبر 1902م، (رجب 1320هـ) وقام بوضع تصوره لاحتلال ما أطلق عليه اسم موريتانيا السفلى (الترارزة والبراكنة وتگانت وآدرار) سلميا.

وغادر كبلاني في 10 دجمبر 1902م (9 رمضان 1320هـ) اندر للقيام بجولة عمل في الترارزة التي قرر أن يبدأ باحتلالها، وتمكن من دفع الأمير أحمد سالم بن اعلي إلى توقيع اتفاق يتنازل بموجبه عن امتيازاته وضرائبه العرفية مقابل تعويض فرنسي ثابت، ويضع بموجبه إمارته تحت الحماية الفرنسية، وقام بإنشاء أول مركز عسكري فرنسي ببلاد شنقيط بسهوة الماء (قرب الركيز) في 15 دجمبر 1902م (14 رمضان 1320هـ)، وأخذ في استقبال قبائل الزوايا التي وفدت إليه لإعلان خضوعها للسلطة الفرنسية[1155].

وفي 5 فبراير 1903 (7 ذي القعدة 1320هـ) أقام كبلاني مركزا عسكريا ثانيا باخروفه (قرب المذرذرة)، وتوجه إلى انواكشوط لإقامة مركز عسكري ثالث، لكن استقباله لوفود قبائل المنطقة أخر إقامة ذلك المركز. وعاد كبلاني يوم 21 مارس (21 ذي الحجة 1320هـ) إلى اندر ومعه حشود من البيضان الذين خضعوا له، فانبهر الوالي الفرنسي روم بنجاح وسرعة الاحتلال السلمي للترارزة الذي قام به كبلاني. وقام وزير المستعمرات گاستون دومرگ بتهنئته على ذلك، ورخص له في احتلال بقية البلاد بنفس الطريقة بدءا بالبراكنة ثم تگانت، وأمره بتأجيل احتلال آدرار حتى يرخص له في ذلك.

[1155] المرجع نفسه، ص94.

وفي مايو 1903م (صفر 1321هـ) تم تعيين كبلاني مندوبا للوالي العام في موريتانيا، ومكلفا بالضرائب والعدل في مستعمرة الترارزة، في نفس الوقت الذي بدأت فيه بعض المجموعات البيضانية المسلحة بالتعرض للفرنسيين وتنظيم المقاومة ضدهم.

وتمكن كبلاني من احتلال البراكنة التي وصل إليها في دجمبر، وأقام فيها مركزا عسكريا بألاگ. وبعد عودته من البراكنة انتقل إلى انواكشوط حيث أقام مركزا عسكريا أسند قيادته إلى النقيب افريرجان، وعينه إداريا لمنطقة الترارزة الغربية. ثم أقام مركزا عسكريا آخر في گورگول، بانيا سياسته على توفير الحماية لمن يعلن له الخضوع من مجموعات البيضان، ومحاربة المجموعات التي تناهضه أو تهاجم القبائل الداخلة تحت حمايته. ومع تقدم العمليات العسكرية الفرنسية أخذ الوجود الاستعماري لفرنسا ببلاد شنقيط يترسخ. وفي 18 أكتوبر 1904م (8شعبان 1322هـ) تم تتويج هذه الوضعية الجديدة بمرسوم فرنسي يؤسس إقليم موريتانيا المدني، وخول كبلاني سلطة مفوض الحكومة العامة في هذا الإقليم[1156].

ومع حلول 1905م (1322هـ) أخذ كبلاني يخطط لغزو تگانت في وقت اتضح فيه للبيضان البعد الاستعماري للتوغل الفرنسي في بلاد شنقيط، فأخذت قبائل تگانت وآدرار والساحل التي بدأت تستشعر الخطر الفرنسي تمد يد العون للمجموعات التروزية والبركنية المناهضة للاستعمار، وأخذ الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل المقيم بالسمارة في تعبئة تلامذة الزاوية والقبائل المطيعة له لتجنيد المجاهدين، وإرسالهم للمساعدة في حماية تگانت وآدرار من الغزو الفرنسي، وإحباط استعمار كل من الترارزة والبراكنة، حاثا السلطان المغربي مولاي عبد العزيز العلوي على مدهم بالسلاح والذخيرة، وتعيين شريف ذي صلة به لقيادة عمليات الجهاد ضد الفرنسيين ببلاد شنقيط. وأفلحت المقاومة الوطنية في قتل المفوض الاستعماري الفرنسي كبلاني يوم 12 مايو 1905م (7 ربيع الأول 1323هـ) بتجگجه على يد مجموعة من

[1156] الرائد جيلييه، التوغل في موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص146.

المجاهدين البيضان يقودهم الشريف سيدي بن مولاي الـزين الـذي سـقط شـهيدا في نفس المعركة.

وتصاعدت منذ ذلك التاريخ وتيرة المقاومة وتوسعت دائرتها، وأدركت فرنسا، التي تخلت بعد مقتل كبلاني عن سياسة الاحتلال السلمي، أنها لن تتمكن من السيطرة على البلاد ما لم تحتل آدرار، وهو ما تم لها في مطلع 1909م (أواخر 1326هـ) على يد العقيد گورو.

وواصلت فرنسا مساعيها للسيطرة على أطراف البلاد، وتنظيمها إداريا، لكنها لم تتمكن من القضاء نهائيا على المقاومة المسلحة فيها إلا بحلول سنة 1934م (1352هـ). وبقيت هذه المستعمرة التي أصبحت تدعى رسميا موريتانيا تحت سلطة فرنسا، إلى أن تم الإعلان، بعد عقود من النضال الثقافي والسياسي، عن استقلالها الرسمي يوم 28 نفمبر 1960م (8 جمادى الآخرة 1380هـ).

ثبت بأهم المراجع

ابن أبي زرع، الأنيس المطرب في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973.

ابن بسام، الذخيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، 1979.

ابن بطوطة، الرحلة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2002.

ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.

ابن الخطيب، الإحاطة في تاريخ غرناطة، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1952.

ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر، 1984.

ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر- بيروت 1968.

ابن انبوجه العلوي، فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور، مرقون.

ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، طبع مؤسسة ناصر، 1980.

ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1984.

أحمد الأزمي، الحاج عمر الفوتي والمغرب، ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ الحاج عمر الفوتي تال، ندوة دولية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 2001.

أحمد بن أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1957.

أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط4، القاهرة، 1989.

أحمد بن الحاج عبد الله، وثيقة تاريخية نقلا عن توماس وايت كومب، الشاهد الجديد على أصول كنته، مرقون.

أحمد بن الحباب، الحركات الإصلاحية جنوب نهر السينغال، جامعة انواكشوط، مرقون، 1987.

أحمد بن حبت، ورقات في التاريخ، مخطوط.

أحمد بن حسن بن القاظي، أولاد اللب أهم المنعطفات التاريخية محاولة لتأسيس ومقاربة المكتوب والمروي، مخطوط.

أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.

أحمدو (جمال) بن الحسن، الحاج عمر الفوتي وبلاد شنقيط ملاحظات في العلاقات الثقافية والسياسية، الندوة العالمية المنعقدة بتنبكتو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 1997.

أحمد حسن الزيات، مجلة الأزهر، العدد 2، سبتمبر 1961.

أحمد سالم بن باگا، تاريخ إمارة الترارزة، مخطوط.

أحمد الشكري، مملكة غانا وعلاقتها بالحركة المرابطية، معهد الدراسات الإفريقية، 1997.

أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، مطبعة العمل، تونس، 1959.

أحمد مولود أيده، تاريخ العمارة التقليدية بموريتانيا، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ع،8، 2001.

إدريس صالح الحرير، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في انتشار الإسلام هناك، القاهرة، 1987.

الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

آمبروسيو ميراندا، التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية، مطبعة النجاح، الرباط، 2001.

أميل هات، ابيتيت اكرونيك ديزي إيدوعيش، نشر مجلة الدراسات الإسلامية، باريس، 1937.

البرتلي، فتح الشكور في أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، 1991.

بابا بن الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق، إزيد بيه بن أحمد محمود، الطبعة الثانية، انواكشوط، 1994.

بوبكر باري، لوروايوم دي والو، مطبعة كرتالا، 1985.

بوبكر خالد با، الحاج عمر الفوتي حياته وجهاده، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 1980.

بوبكر خالد باه، تاريخ الثقافة الإسلامية بوادي السينغال، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مرقون.

البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ابيير بونت، إمارة آدرار، ترجمة بوبه بن محمد نافع، ط1، 2002.

بشيري بن محمد، موريتانيا الملامح الجغرافية، مجلة مصادر، 2002.

بوبه بن محمد نافع وروبير فيرني، الأركيولوجيا الموريتانية في متحف انواكشوط، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2001.

بوبه بن محمد نافع، روبير فرني، محمد بن ختار، الأركيولوجيا في موريتانيا ضمن كتاب الأركيولوجيا في إفريقيا الغربية الصحراء والساحل، نشر سي، أر، إي, آ, آ، 2002.

بول مارتي، إمارة الترارزة، نشر أرنست لورو، 1919م.

بول مارتي، إمارة البراكنة، نشر أرنست لورو، 1921م.

بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود بن ودادي، نشر جمعية الدعوة الإسلامية، 2001.

بول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

بول مارتي، البرابيش، تعريب محمد محمود بن ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1987.

تاريخ أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة آدرار، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب القطرية، 2004.

تاريخ البرابيش، مخطوط.

تاريخ سانتاكروز- أكادير، وثيقة برتغالية من القرن 16، تعريب أحمد صابر، نشر جامعة ابن زهر، أكادير، 1994.

التقي العلوي، سلسلة مقالات منشورة.

حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، وزارة الأوقاف المغربية، 1997.

حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

حوليات ولاته مخطوط

خديجة بنت الحسن، تحقيق منظومة ابن احجاب في تاريخ إمارة الترارزة، منشورات بيت الحكمة، تونس، 1991.

الخليل النحوي، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

الخوارزمي، صورة الأرض، تحقيق هانس فون مزيك، فيينا، طبع هولز هوزن، 1926.

ددود بن عبد الله، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط: الأطر العامة وسياق الإنتاج، تاريخ موريتانيا فصول ومعالجات، انواكشوط، 1999.

ددود بن عبد الله، الإسلام والمجتمع في إفريقيا الغربية خلال القرنين 17و18م، حوليات كلية الآداب، ع2، 1990.

ديديي كارتيي، جيولوجية موريتانيا، ترجمة الدكتور فؤاد العجل، طبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990.

رحال بوبريك، التاريخ الاجتماعي لولاته، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2002.

روبير راندو، اگزافيي كوبولاني لوپاسيفيكاتير، مطبعة أ. إيمبير، 1939، الجزائر.

الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، 1981.

سيدي أحمد بن أحمد سالم، تحقيق تاريخ ابن اطوير الجنه، نشر جامعة محمد الخامس، الرباط، 1995.

سيد أحمد بن أحمد سالم، العلاقات الثقافية الموريتانية السعودية، مجلة العرب، العدد 29، يناير ـ فبراير 1994.

سيدي أحمد بن أسمه، ذات ألواح ودسر، مخطوط.

سيد بن الزين العلوي، كتاب النسب، مخطوط.

سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، صحيحة النقل في علوية إيدوعلي وبكرية محمد غلي، مخطوط.

سيدي عبد الله بن المحبوبي وبباه محمد ناصر، المجال والسكان، موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع، مركز الدراسات العربية، بيروت، 1994.

الشيخ سيدي محمد الكنتي، الطرائف والتلائد، مخطوط.

الشيخ سيدي محمد الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله بن السالم، منشورات مؤسسة امربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، 2007.

الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن اسليمان، رسالة في التاريخ، مخطوط.

الشيخ محمد المامي، جمان البادية، مخطوط .

الشيخ المحفوظ بن بيه، أخبار مشظوف وأخيارها، تحقيق ولد الشيخ محمد الأمين محمد المختار، مرقون.

الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت، 2005.

الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية، مخطوط.

الشيخ موسى كمرا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، منشورات معهد الدراسات الإفريقة، الرباط، 2001.

شارل آندري جوليان، تاريخ شمال إفريقية، ترجمة محمد امزالي، تونس 1998.

صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، مخطوط.

الطالب اخيار بن الشيخ ماميا آل الشيخ ماء العينين، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، منشورات مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2005.

الطاهر بن عبد السلام اللهيوي، حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام، دار الثقافة، 1978.

طه حسين، المجموعة الكاملة، دار الكتاب اللبناني، 1982.

عائشة بنت احمياده، نظرة تاريخية على رئاسة البرابيش، مرقون.

عبد الرحمن با، التكرور ديزوريجين آلا كونكيت ابار لومالي (التكرور من الأصول إلى السيطرة المالية)، المطبعة الجديدة، انواكشوط، 2002.

عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تاريخ السودان، تحقيق ونشر هوداس، 1981.

عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط3، المركز الثقافي العربي، 2002.

عبد الله بن بن احميده، الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط مبحث النشأة والأصول، ط1، انواكشوط، 2001.

عبد الودود بن انتهاه السمسدي، نزهة الأخيار في الغامض من الحروب والأخبار، مخطوط.

عزيز بطران ووينفرد جونسون، آبير في تواريخ بعض مجموعات الصحراء، جامعة هاورد، واشنطن.

فتحي زغروت، العلاقات بين الأمويين والعبيديين في الأندلس والشمال الإفريقي، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2006.

فرج محمود فرج، أضواء على إقليم توات في القرنين 18-19، الجزائر، 1977.

الفشتالي، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، المطبعة العصرية، الرباط، 1973.

كابرييل كامب، البربر الذاكرة والهوية، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، نشر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2005.

كرونيك دلا ديكوفرت دلا گينى (مسار اكتشاف غينيا)، نص برتغالي يعود إلى القرن السادس عشر (م) مترجم إلى الفرنسية يتحدث عن مسار اكتشاف السواحل الشنقيطية.

مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر وأحمد التوفيق، مطابع المعارف الجديدة، 1984.

مجهول (مؤلف مغربي من أهل القرن 6هـ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د.سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، 1986.

محمد بن أبي مدين، المنيحة، تحقيق إبراهيم بن محمد بن أبي مدين، مرقون.

محمد بن أحمد يوره، كتاب الآبار، تحقيق أحمدو ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، 1990.

محمد محمود بن الشيخ الأروانى، الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد شنقيط والمغرب وتنبكتو وأروان، مخطوط.

محمد سعيد بن همدي، موريتانيا في مواجهة عبر القرون مع أوروبا، سلسلة مقالات، ترجمة محمد بن محمد المختار، مرقون.

محمد عبد الله بن محمدا، الضرائب العرفية ودورها في أزمة إمارة البراكنة خلال النصف الأول من القرن 19م، مرقون.

محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

محمد فال بن بابا العلوي، التكملة في تاريخ إمارتي الترارزة والبراكنة، تحقيق أحمدو (جمال)، نشر بيت الحكمة، تونس 1986.

محمد ماء العينين، تاريخ الشرفاء العروسيين، إصدارات مركز الشيخ سيدي أحمد العروسي، 2004.

محمد عبد الله بن البخاري، كتاب العمران، تحقيق مريم بنت ءاده ، مرقون.

محمد المختار بن السعد، إمارة الترارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703م إلى 1860م، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003.

محمد المختار بن السعد، حرب شربيه، نشر المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994.

محمد المختار بن السعد، السياسة التوسعية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومكانة موريتانيا في اهتمامات فرنسا الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، مجلة مصادر، الكراس الثالث، 2002.

محمدن بن أحمد سالم، الخط والمخطوط في بلاد شنقيط، مرقون.

محمذن بن باباه، نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، قرطاج، 1990.

محمدو بن محمذن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001.

محمدو بن محمذن، وثائق من التاريخ الموريتاني (نصوص فرنسية غير منشورة)، المطبعة الجديدة، انواكشوط، 2000م.

محمود كعت، الفتاش، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، نشر هوداس ودلافوس.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الجغرافي، طبع جامعة محمد الخامس، الرباط 1994.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء السياسي، طبع دار الغرب الإسلامي، 2000.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء المدلش، مرقون.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء شرفاء ولاته والنعمة وتيشيت، مرقون.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء بني حسان، مرقون.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء تجكانت، مرقون.

المختار بن حامدن، جزء حوادث السنين، مرقون.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء المحاجيب، مرقون.

المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، جزء إيدوعيش، مرقون.

المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، 1966.

المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق ونشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي،القاهرة، 1963.

مصطفى أعشي، جذور الكتابة الامازيغية، من أجل ترسيم أبجدية تيفيناغ لتدريس الأمازيغية، منشورات آ أم أه أر سي، الرباط، 2002.

مصطفى ناعمي، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد35، 1985.

النافي بن الحسين، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ8م إلى نهاية القرن 5هـ11م، مرقون قيد الطبع.

النافي بن الحسين، موريتانيا من عهد غانه إلى المرابطين، تاريخ موريتانيا فصول ومعالجات، انواكشوط 1999.

النافي بن الحسين، إمارة أولاد امبارك، مرقون.

نصر السيد نصر، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1979.

انواكشوط عاصمة موريتانيا خمسون عاما من التحدي، دار سيبيا، 2006.

والد بن خالنا، ورقات في أنساب الصحراء، مخطوط.

والد بن خالنا، كرامات أولياء تشمشه، مخطوط.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995.

يحي بن البراء، ملكية الأرض في موريتانيا، نشر معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003.

فهرست

مقدمة.....3

محددات عامة.....13

خريطة بلاد شنقيط.....22

ما قبل التاريخ.....23

بلاد شنقيط في عهد ما قبل التاريخ.....25
ما قبل العصر الحجري القديم.....25
الحجري القديم والحجري المتوسط.....28
الحجري الجديد.....30

التاريخ القديم.....35

الأجناس السكانية القديمة ببلاد شنقيط ومصيرها.....**37**
ما قبل الملثمين.....37
صنهاجة اللثام.....58

تطور وتشكل سكان البلاد خلال فترة التاريخ القديم.....65

الغزو الفرعوني.....65
الغزوان الفينيقي والقرطاجي.....67
الغزو الروماني.....71
الغزو الوندالي.....74
الغزو البيزنطي.....76

التاريخ الوسيط.....79

مقدم الإسلام.....81
الفتوحات الإسلامية الأولى بالمنطقة.....81
الإسلام يفشو في بلاد شنقيط بفضل التجار الخوارج.....86

مملكة آوكار وانقسامها إلى مملكتي غانه وانبته.....90
مملكة آوكار.....92
مملكة غانه.....94
مملكة انبته.....98

دولة المرابطين.....109
من التحالف العرقي إلى الرباط الديني.....109
مرحلة الرباط.....111
مرحلة الغزو وتأسيس الدولة.....114
أمير الحق يحي بن عامر.....115
تعيين أبي بكر بن عامر مكان أخيه يحي.....117
وفاة عبد الله بن ياسين.....118

الخلاف بين گدالة ولمتونة يضطر أبابكر للعودة إلى الصحراء.....119
انقسام الدولة المرابطية.....120

الدولة المرابطية الصحراوية.....123
الإمام الحضرمي المرشد الروحي الجديد لمرابطي الصحراء.....123
غزو أبي بكر بن عامر لتيرس وما وراءها من بلاد شنقيط.....126
وفاة أبي بكر بن عامر.....127
يحي بن أبي بكر يخلف أباه أبابكر بن عامر.....129
محمد بن يحي بن عامر يخلف يحي بن أبي بكر.....129
أحمد بن يحي بن عامر يخلف أخاه محمدا.....130
اضمحلال الدولة المرابطية بالصحراء.....131

البلاد السائبة.....132
مجموعة قبائل الشاطئ الگدالي.....133
القبائل المرابطية النازحة إلى بلاد شنقيط من الشمال.....138
النازحون مع الشريف عبد المؤمن والحاج عثمان الأنصاري.....140
النازحون مع ابن غانية.....142
النازحون مع ابن الصحراوية 145
خراب آبير وبناء شنقيط.....148
تلاشي ابدوكل وصعود إيديشلي.....151
إمارة بيلگه.....154
من التونگچيين إلى تشمشه.....159

هيمنة الممالك الزنجية الواقعة جنوب الصحراء على أجزاء من بلاد شنقيط.....166
مملكة التكرور.....166
مملكة مالي.....168
مملكة السونغاي.....171
مملكة الدينانكوبيين.....174

الحملات السعدية على بلاد شنقيط.....176

نزوح بني حسان إلى بلاد شنقيط.....191
من بلاد الحجاز إلى بلاد المغرب.....191
انحراف العرب عدا زغبة والمعقل عن الموحدين.....193
الموحدون يكافئون زغبة وعرب المعقل.....194
تفريعات قبائل المعقل ومواطنهم الجديدة.....195
بنو حسان يتغلغلون في بلاد شنقيط.....199

الحرب الصنهاجية الحسانية وانتشار بني حسان على إثرها في البلاد.....201
أسباب الحرب الصنهاجية الحسانية.....201
نتائج الحرب: انتشار بني حسان في المجال الشنقيطي.....204

وصول المستكشفين الأوروبيين إلى بلاد شنقيط ووصفهم لها إبان الانتشار الحساني فيها.....208
وصف المستكشف فالانتيه فرناندس.....216
وصف المستكشف باتشيكو بيريرا.....217

وصف المستكشف كاداموستا.....218
وصف المستكشف اليون آفريكان.....218
وثائق برتغالية أخرى تحدثت عن البلاد.....220
وصف المستكشف مارمول.....221

ملامح سكانية جديدة للبلاد.....225
تلاشي الأجناس السكانية القديمة.....225
السلالات الأساسية لقبائل البيضان وتفريعاتها.....230

القبائل المنتسبة إلى أصول صنهاجية.....230

القبائل المنتسبة إلى الأشراف.....235
المنتسبون إلى عبد الله بن إدريس.....236
المنتسبون إلى عمر بن إدريس.....236
المنتسبون إلى القاسم بن إدريس.....237
المنتسبون إلى محمد بن إدريس.....238
المنتسبون إلى علي بن إدريس.....239
المنتسبون إلى أحمد بن إدريس.....239
المنتسبون إلى داود بن إدريس.....240
شرفاء أدارسة وعلويون آخرون.....240
مجموعات أخرى من الشرفاء.....241
شرفاء منتسبون للحسين بن علي.....243
شرفاء حفدة ملوك.....243

القبائل المنتسبة إلى أصول قرشية أو أنصارية.....245

القبائل المنتسبة إلى بني حسان.....251
أولاد عبد الرحمن (الرحامنة).....252
أولاد حمه (البرابيش).....252
أولاد دليم.....253
أولاد أعمر.....254
أولاد اعبيد الل.....254
أولاد أودي (الودايا).....255
أولاد اعروگ بن أودي.....255
أولاد رزگ بن أودي.....256
أولاد مغفر بن أودي.....257
أولاد الناصر بن مغفر.....258
أولاد ارميث بن مغفر.....258
أولاد عثمان بن مغفر.....259
أولاد العربية.....259
أولاد الزناگية.....262

التاريخ الحديث.....267

دولة الإمام ناصر الدين.....269
تشمشه ينعمون بالأمن في عهد المغافرة.....269
بدء أمر الإمام ناصر الدين.....271
من التوبة إلى الدولة.....273

مرحلة الحرب.....275
اصطدام الدولة بالمغافرة.....277
اندلاع شربيه.....278
الإمام ناصر الدين يحث الفرنسيين على الحياد.....280
مقتل الإمام ناصر الدين.....281
مبايعة أشفغ الأمين بن سيدي الفالي إماما للزوايا.....283
خلع الإمام أشفغ الأمين ومبايعة القاضي عثمان.....283
مقتل الإمام القاضي عثمان.....285
انقسام التائبين واستتباب للبيعة للمبارك بن حبيب الله.....286
مقتل الإمام المبارك بن حبيب الله.....287
التحاق منير الدين بإيچيچبه ومبايعته هناك.....287
مبايعة المختار أگد عبد الله واتساع التحالف ضد حركة التائبين.....288
مقتل الإمام المختار في يوم تن يفظاظ.....290
انتهاء حرب شربيه.....291

الدول الإمامية جنوب نهر السينغال ودور حركة الإمام ناصر الدين في قيامها.....292
الدولة الإمامية بفوتا چالون.....293
الدولة الإمامية ببوندو.....295
الدولة الإمامية بفوتا تورو.....298

نشأة النظام السياسي الأميري في بلاد شنقيط.....308

إمارة الترارزة.....310
إمارة أحمد بن دامان.....311

إمارة هدي بن أحمد بن دامان.....314
إمارة السيد بن هدي بن أحمد بن دامان.....315
إمارة أعمر آگجيل بن هدي بن أحمد بن دامان.....316
إمارة اعلي شنظوره بن هدي بن أحمد بن دامان.....318
إمارة أعمر بن اعلي شنظوره.....323
إمارة المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره.....329
إمارة اعلي الكوري بن أعمر بن اعلي شنظوره.....331
إمارة امحمد الجواد بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره.....335
إمارة عاليت بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره.....336
إمارة أعمر بن المختار بن أعمر بن اعلي شنظوره.....336
إمارة أعمر بن المختار بن الشرقي بن اعلي شنظوره.....336
إمارة محمد الحبيب بن أعمر بن المختار بن الشرقي.....348
إمارة سيدي بن محمد الحبيب.....369
إمارة أحمد سالم بن محمد الحبيب.....370
إمارة اعلي بن محمد الحبيب.....372
إمارة محمد فال بن سيدي بن محمد الحبيب.....374
إمارة أعمر سالم بن محمد الحبيب.....375
إمارة أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب.....376

إمارة البراكنة.....380
إمارة امحمد بن عبد الل بن كروم.....381
إمارة نغماش بن امحمد بن عبد الل.....381
إمارة هيبه بن نغماش.....382
إمارة امحمد بن هيبه بن نغماش.....382

إمارة أحمد بن هيبه.....382
إمارة امحمد بن أحمد بن هيبه.....383
إمارة اعلي بن أحمد بن هيبه.....383
إمارة احمياده بن اعلي بن أحمد بن هيبه.....384
إمارة المختار بن آغريشي.....384
إمارة محمد بن المختار بن آغريشي.....385
إمارة سيدي اعلي بن المختار بن آغريشي.....386
إمارة أحمدو بن سيدي اعلي.....387
إمارة المختار بن سيدي.....390
إمارة محمد الراجل بن المختار بن سيدي.....392
إمارة امحمد بن سيدي.....393
إمارة سيدي اعلي بن أحمدو بن سيدي اعلي.....396
إمارة أحمدو بن سيدي اعلي.....398

إمارة أولاد يحي بن عثمان.....400
إمارة عثمان بن الفظيل.....402
إمارة الاگرع بن الفظيل.....403
إمارة سيدي أحمد بن عثمان بن الفظيل.....404
إمارة أحمد بن سيدي أحمد بن عثمان (أحمد ابن عيده).....405
إمارة امحمد بن أحمد ابن عيده.....410
إمارة عثمان بن أحمد ابن عيده.....412
إمارة محمد بن أحمد ابن عيده.....412
إمارة أحمد بن امحمد بن أحمد ابن عيده.....415
إمارة أحمد بن سيدي أحمد بن أحمد ابن عيده.....420

إمارة المختار بن أحمد ابن عيده.....424
إمارة أحمد بن المختار بن عيده.....426
إمارة سيدي أحمد بن أحمد بن سيدي أحمد.....426

إمارة إيدوعيش.....428
إمارة امحمد بن خونه.....428
إمارة أعمر بن امحمد بن خونه.....431
إمارة اعلي بن امحمد بن خونه.....432
إمارة بكار بن أعمر بن امحمد بن خونه.....432
إمارة امحمد شين بن بكار.....433
إمارة محمد بن امحمد شين.....436
إمارة اسويد أحمد بن محمد بن امحمد شين.....442
إمارة سليمان بن محمد بن امحمد شين.....446
إمارة عبد الله بن امحمد شين.....447
إمارة بكار بن اسويد أحمد.....448

إمارة أولاد امبارك.....454
فرع أولاد الغويزي.....457
إمارة اللب بن بوسيف بن أوديكه.....458
إمارة هنون الكوري بن اللب بن بوسيف.....458
إمارة بوبكر بن هنون الكوري بن اللب بن بوسيف.....458
إمارة سيدي أحمد بن امحمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف.....459
إمارة هنون بن سيدي أحمد بن امحمد بن أحمد بن اللب بن بوسيف.....459
إمارة أحمد بوشارب بن سيدي أحمد بن امحمد بن اللب.....459

إمارة بوسيف بن سيدي أحمد بن امحمد بن اللب.....459
إمارة سيدي أحمد فال بن بوسيف بن سيدي أحمد.....460
إمارة الشيخ أحمد بن سيدي أحمد فال.....460
إمارة الطالب جدو بن سيدي أحمد فال.....460
إمارة أعمر بن بوسيف.....461
إمارة اعلي امحمد بن بوسيف.....461
إمارة امحمد فال بن سيدي أحمد فال.....461

فرع أولاد أعمُر.....461
أ- إمارة أهل هنون العبيدي بن محمد الزناگي (الإمارة العامة).....462
إمارة بوسيف بن هنون العبيدي.....462
إمارة عثمان بن هنون العبيدي.....462
إمارة بكار بن هنون العبيدي.....462
إمارة عثمان بن بوسيف بن أحمد بن هنون العبيدي.....463
إمارة هنون بن بوسيف بن أحمد بن هنون.....463
إمارة عثمان بن هنون بن بوسيف.....465
إمارة محمد الشيخ بن عثمان بن هنون.....466
إمارة أعمر بن عثمان بن هنون.....467

ب- سلطنة أهل هنون بن بهدل بن محمد الزناگي.....468
سلطنة هنون بن بهدل.....468
سلطنة أعمر بن هنون بن بهدل.....469
سلطنة اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل.....469
سلطنة أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل.....471

سلطنة امحمد آماش بن اعمر بن اعلي.....471
سلطنة اعلي بن أعمر بن اعلي.....472
سلطنة هنون بن أعمر بن اعلي.....472
سلطنة المختار (خطري) بن أعمر بن اعلي 473
سلطنة اعلي بن خطري (المختار) بن أعمر بن اعلي.....474

جـ- إمارة فاته.....474
إمارة سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف بن محمد الزناگي.....474
إمارة المختار بن سيدي أحمد بن هنون بن بوسيف.....474
إمارة سيدي أحمد بن المختار بن سيدي أحمد.....474
إمارة المختار الصغير بن سيدي أحمد بن المختار.....475
إمارة بادي بن المختار الصغير.....476
إمارة هنون بن المختار الصغير.....477
إمارة اعلي بن المختار الصغير.....477

إمارة مشظوف.....478
إمارة أحمد محمود بن المختار بن الحيميد.....480
إمارة محمد محمود بن أحمد محمود.....482
إمارة أحمدو بن محمد محمود.....483
إمارة أحمد بن اعلي محمود.....485
إمارة محمد المختار بن محمد محمود.....485
إمارة اعلي محمود بن محمد محمود.....487

إمارة البرابيش.....488

إمارة أنيس بن عيسى بن عبو بن مخلوف.....491
إمارة الحاج محمد بن اسليمان بن عبو بن مخلوف.....492
إمارة دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان.....493
إمارة اعلي بن دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان.....493
إمارة محمد بن حافظ بن إيعيش بن الحاج محمد بن اسليمان.....495
إمارة اعلي بن حافظ بن إيعيش.....495
إمارة محمد بن اعلي بن حافظ.....496
إمارة محمد بن يوسف بن أحمد بن الحاج محمد بن اسليمان.....496
إمارة امحمد بن رحال بن دحمان بن الحاج محمد بن اسليمان.....499
إمارة اعلي بن امحمد بن رحال.....501
إمارة امهمد بن امحمد بن رحال.....503
إمارة أحمد بن اعبيدَه بن امحمد بن رحال.....503
إمارة امهمد بن أحمد بن اعبيده.....506
إمارة سيدي محمد بن امهمد.....507

الرئاسات الحسانية.....511
رئاسات أولاد دليم.....511
رئاسة أولاد المولاة.....511
رئاسة أولاد امعرف.....511
رئاسات أولاد اعروگ.....513
رئاسات أولاد رزگ.....518
رئاسات المغافرة.....521
رئاسة أولاد الناصر.....521
رئاسات أولاد داود امحمد.....525

رئاسات أولاد امبارك.....528
رئاسات البراكنة والترارزة وأولاد يحي بن عثمان.....530

دولة الحاج عمر الفوتي ودورها في التاريخ السياسي والاجتماعي للمنطقة.....532
نشأة الحاج عمر الفوتي وبداية أمره.....532
اتصال الزوايا البيضان بالحاج عمر الفوتي.....536
اصطدام الحاج عمر بأولاد امبارك وماسنه في باغنه.....538
رجوع الحاج عمر إلى فوتا تورو.....541
الحاج عمر يعود إلى انيور وجيشه يستأصل سلطان أولاد امبارك.....542
استنجاد عالي بن ماصه بأحمد بن أحمد الماسني والشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي.....546
اشتباك جيش الحاج عمر الفوتي مع مشظوف.....549
تجدد المواجهة مع ماسنه.....550
التحاق الماسنيين بالشيخ سيدي أحمد البكاي وتجدد الحرب.....551
نهاية الحاج عمر الفوتي.....552
مآل الدولة بعد رحيل الحاج عمر الفوتي.....553

النهضة الثقافية في بلاد شنقيط.....557

إرهاصات الاستعمار.....572

خاتمة: الاستعمار المباشر.....582

ثبت بأهم المراجع.....**587**